



United Nations  
Educational, Scientific and  
Cultural Organization



Unitwin Network  
for Underwater  
Archaeology



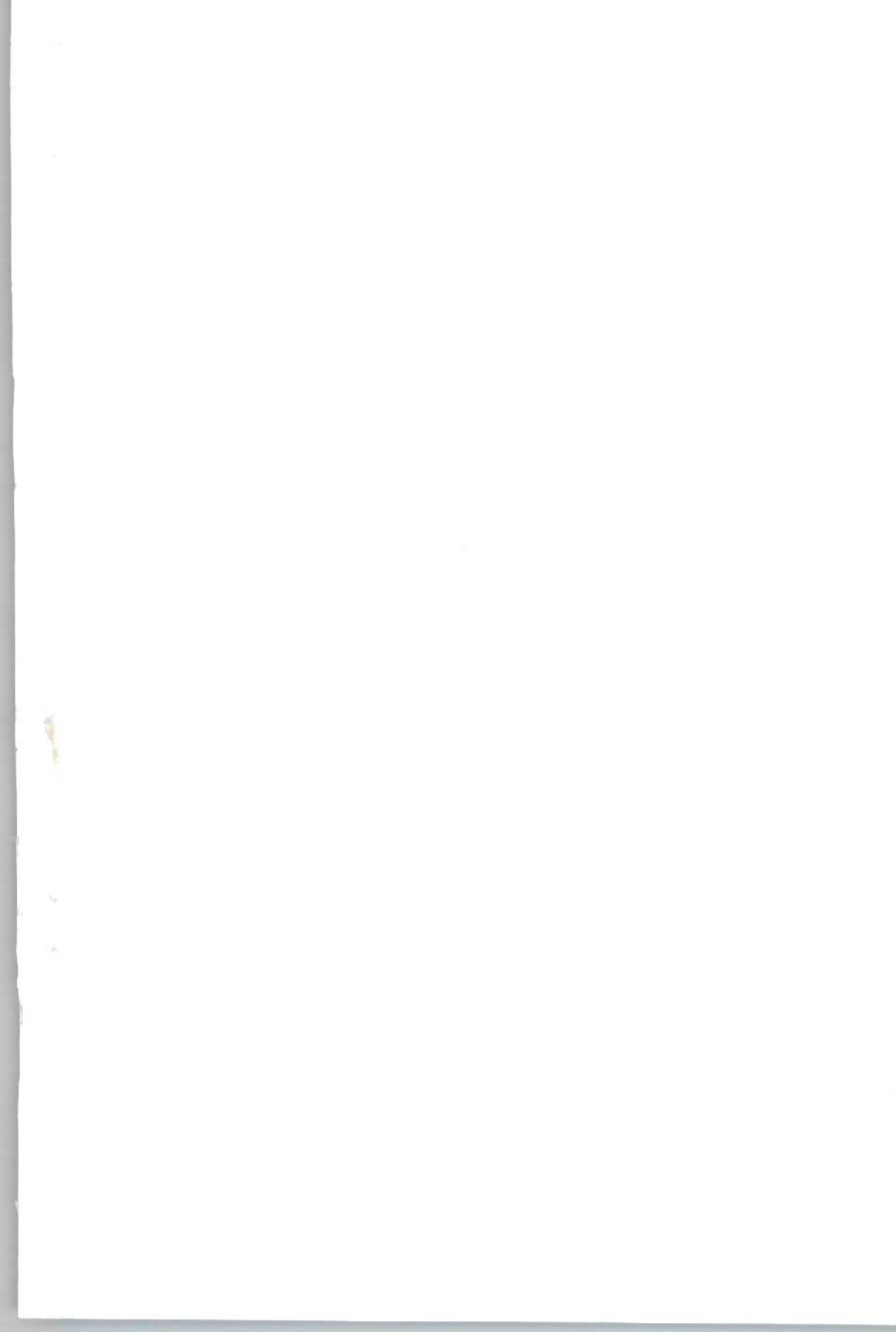
جامعة الإسكندرية  
كلية الآداب

# مجلة كلية الآداب

العدد 73 - 2014

علمية - محكمة









United Nations  
Educational, Scientific and  
Cultural Organization



Unitwin Network  
for Underwater  
Archaeology

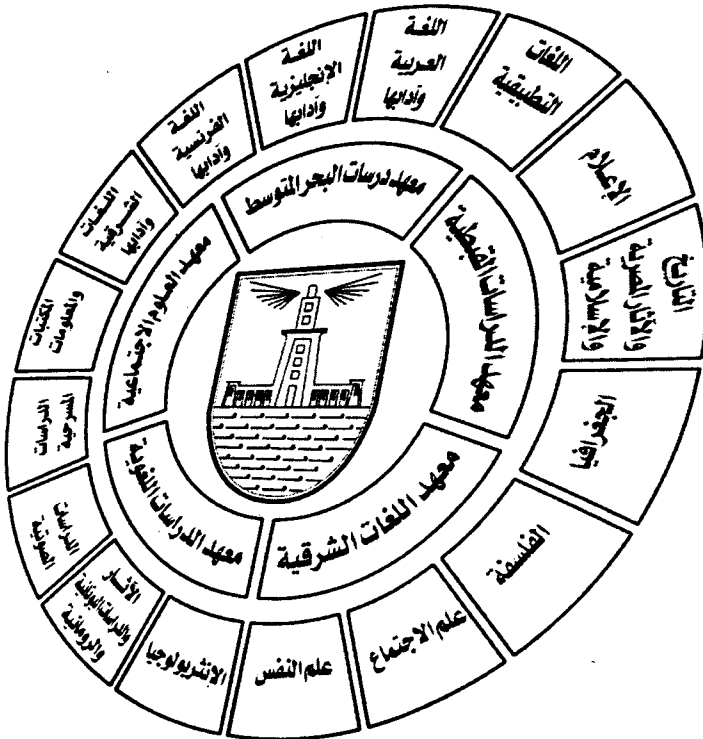


جامعة الإسكندرية  
كلية الآداب

# مجلة كلية الآداب

العدد 73 - 2014

علمية - محكمة



رقم الإيداع : ٣١٩ / ١٩٨٠

I.S.B.N: 1110 - 2128

# مجلس إدارة مجلة الكلية



## أعضاء مجلس الإدارة:

أ.د. عباس محمد سليمان  
أ.د. سحر عبد المحسن حمودة  
أ.د. على عبد الرازق جلبي  
أ.د. محمد السيد عبد الغني  
أ.د. غادة عبد المنعم موسى

## سكرتير التحرير:

الآنسة / منيرة رشاد فهمي

## المدقق اللغوي

أ / محمد عبد السلام

## الإشراف الفني

عبد الفتاح محمود الحضري

## رئيس مجلس الإدارة

**أ.د. أشرف أحمد فراج**

عميد الكلية

نائب الرئيس ورئيس تحرير المجلة

**أ.د. نفين محمد السيد خالد**

وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث







## افتتاحية العدد

يأتي صدور العدد (٧٣) لسنة ٢٠١٤م من المجلة العلمية المحكمة لكلية الآداب - جامعة الاسكندرية متزامناً مع صدور العدد (٧٤) دليلاً على أهمية المجلة ومكانتها التي اكتسبتها لدى الباحثين والعلماء والمهتمين بنشر أبحاثهم ودراساتهم بها. والمجلة كعنها تسعى إلى التشجيع الدائم للمهتمين بنشر أبحاثهم وتلقى كافة الأعمال العلمية والبحوث الجادة والمبتكرة في شتى التخصصات والمعارف الأدبية واللغوية والاجتماعية والإنسانية بصفة عامة، وإن دل ذلك على شيء إنما يدل على ثقة الباحثين في مجلتهم، وفي مكانتها وريادتها التي وصلت إليها عبر تاريخها العلمي الأصيل.

كما أن المجلة نجحت في الخروج من الحدود المحلية وأصبحت لها مكانة إقليمية فأنت لها الأبحاث من معظم الدول العربية، وإن دل هذا فإنما يدل على إهتمام القائمين على المجلة الوصول إلى المقاييس الدولية.

وقد تضمن العدد الذي بين أيدينا من المجلة عدداً من البحوث والدراسات الأصلية في تخصصاتها وفروعها المعرفية فجاءت بحوث الدراسات اللغوية والأدبية والنحوية في اللغة العربية على نحو شمل الدراسة الأولى بعنوان: فن الاستدارة عند العرب (تأصيل وتمثيل)، والبحث الثاني بعنوان: وظيفة الخطاب النحوي في مناجح تدريس العربية للناطقين بغيرها، أما البحث الثالث فجاء بعنوان: من مصطلحات النقد النحوي (الفاسد والمحال) عند المبرد. وجاء البحث الخامس وموضوعه: أبعاد الصورة السيرالية في الشعر الجاهلي، وجاء البحث السادس يحمل عنوان: الحداثة عند الصولي (كتاب اخبار أبي تمام أنموذجاً)، وجاء البحث السابع حياة السرد في «سيرة حياتي» لعبد الرحمن بدوي (دراسة في الموضوع وفي الفن)

أما البحوث والدراسات التاريخية فجاءت متضمنة ومشملة على موضوعات البحوث التالية: البحث الأول وعنوانه "سياسة التهجير في الأراضي البيزنطية" وياتي البحث الثاني بعنوان "وقعة الحرة ٦٣ هـ / ٦٨٣ م :قراءة في جدلية الرمزية الدينية والسلطة السياسية" دراسة تحليلية"، والبحث الثالث بعنوان: " دخول مصر حرب فلسطين عام ١٩٤٨ بين الرفض والقبول (دراسة وثائقية)، أما البحث الرابع فجاء في مجال دراسات التاريخ القديم بعنوان: العقاب الآلهي في الفكر المصري القديم.

وجاءت بحوث نظم المعلومات الجغرافية في بحوث متنوعة؛ فجاء البحث الأول عنوانه: " موانئ التعدين في شبه جزيرة سيناء :دراسة في جغرافية النقل البحري، فجاء البحث الثاني عنوانه: دراسة تحليلية لبعض مظاهر جغرافية الثروة الحيوانية في محافظة أسيوط، أما البحث الثالث فجاء عنوانه: بعض التغيرات المورفولوجية المعاصرة للساحل الشمالي لسيناء شرق بحيرة البردويل، وجاء البحث الرابع بعنوان: حديقة قصر المنتزه رؤية جغرافية، ثم جاء البحث الخامس والاخير بعنوان: تحليل الانماط المكانية لاستخدام الأرضي التجاري بمنطقة المسجد الأحمدى بطنطا :دراسة في استخدام الأرض الحضري.

وجاءت الدراسات الأنثروبولوجية بعنوان: " الرؤية المستقبلية للشعائر في مصر :دراسة أنثروبولوجية "، أما البحث الثاني فجاء بعنوان: الشخصية المصرية بين مركزية العقل والتكامل المعرفي، وجاء البحث الثالث بعنوان: عادات الموت كمحدد للسماة الثقافية للمجتمعات الريفية في- المجتمع المصري.

وعن البحوث والدراسات المعدة باللغة الإنجليزية والمقدمة للنشر بالمجلة فقد جاءت من قسم اللغة الإنجليزية وآدابها بعنوان: *Technique as culture in postmodernist* *Ethnic American Novel: A Feminist cultural Reading of the "Baarrie – Logos" of the "Nueva Mestiza" in Sandra Cisneros' "Caramelo and*



*"Harem Years: " وجاء البحث الثاني بعنوان: "Daina Abu - Jaber's Crescent A Chronicle of an Egyptian History: A New Historicist Reading of Huda Shaarawi's Memoirs"*

وجاءت البحوث المقدمة للمجلة باللغة الفرنسية في بحث واحد بعنوان:

*" Technique as culture in postmodernist Ethnic American Novel: A Feminist cultural Reading of the "Baarrie – Logos" of the "Nueva Mestiza" in Sandra Cisneros' "Caramelo and Daina Abu - Jaber's Crescent"*

وهكذا يقدم العدد (٧٣) من المجلة مجموعة متنوعة من الدراسات والبحوث العلمية غي شتى المجالات والروافد المعرفية الإنسانية والاجتماعية، ونأمل أن تسد حاجة الباحثين والقراء.

والله الموفق ،،،

أ.د. نيفين محمد خالد



# المحتويات

## اللغة العربية وآدابها

- فن الاستدارة عند العرب (تأصيل . وتمثيل)
- د. أحمد عبد التواب عوض ١
- وظيفة الخطاب النحوي في مناهج تدريس العربية للناطقين بغيرها
- د. محمد عديل عبد العزيز علي ٣٥
- من مصطلحات النقد النحوي (الفاقد والمحال) عند المبرد
- د. عادل فتحي رياض ٦٧
- أبعاد الصورة السيربالية في الشعر الجاهلي
- د. منى زكي يس محمد ٩٣
- الحداثة عند الصُّولي (كِتَابُ أَخْبَارِ أَبِي تَمَّامٍ أَنْموذَجًا)
- د. نور الدين زين العابدين متولي ١٣٩
- حَيَاةُ السَّرْدِ فِي «سِيرَةِ حَيَاتِي» لعبد الرَّحْمَنِ بَدْوِي (دراسةٌ فِي الموضوع وفي الفن)
- أ. محمد شمس عقاب ٢٠٣



## التاريخ والآثار المصرية والإسلامية

- سياسة التهجير في الأراضي البيزنطية

د. سهام محمد عبد العظيم ٢٤٥

- وقعة الحرة ٦٣ هـ ٦٨٣\ م.: قراءة في جدلية الرمزية الدينية والسلطة السياسية "دراسة تحليلية"

د. عبد الهادي العجمي ٢٧٧

- دخول مصر حرب فلسطين عام ١٩٤٨ بين الرفض والقبول  
(دراسة وثائقية)

د. مرفت أسعد عطا الله ٣٣٣

- العقاب الآلهي في الفكر المصري القديم

د. وفاء أحمد السيد بدار ٣٧٧

## الجغرافيا ونظم المعلومات الجغرافية

- موانئ التعدين في شبه جزيرة سيناء: دراسة في جغرافية النقل  
البحري

٤٠٥ د. أيمن عبد المطلب التمامي

- دراسة تحليلية لبعض مظاهر جغرافية الثروة الحيوانية في محافظة  
أسيوط

٤٦٣ د. خالد إبراهيم بدره

- بعض التغيرات المورفولوجية المعاصرة للساحل الشمالي لسيناء  
شرق بحيرة البردويل

٥٣٧ د. عادل عبد المنعم أحمد السعدني

- حديقة قصر المنتزه رؤية جغرافية

٥٧٩ أ.د. محمد عبد القادر شنيشن

د. عبد الرحمن محمود إبراهيم منصور

- تحليل الانماط المكانية لاستخدام الأراضي التجاري بمنطقة  
المسجد الأحمدى بطنطا: دراسة في استخدام الأرض الحضري

٦٢٧ د. مجدى محمد على حسن

## الانثروبولوجيا

- الرؤية المستقبلية للشعائر في مصر: دراسة أنثروبولوجية

٧٠١ أ.د. فاروق أحمد مصطفى

- الشخصية المصرية بين مركزية العقل والتكامل المعرفي

٧٣٥ أ.د. محمد عباس إبراهيم

- عادات الموت كمحدد للسماوات الثقافية للمجتمعات الريفية في

المجتمع المصري

٧٧٧ د. ميرفت حسن برعي



فن الاستدارة عند العرب  
(تأصيل . وتمثيل)

دكتور / أحمد عبد التواب عوض  
أستاذ مساعد - كلية البنات  
جامعة عين شمس

مؤلف: د. محمد عبد الحليم

الجمهورية العربية السورية

مؤلف: د. محمد عبد الحليم

الجمهورية العربية السورية

الجمهورية العربية السورية

## (١-١) مقدمة:

مصطلح الاستدارة مجهول كمصطلح نقدي حديث في أدبنا العربي، ولا يعرفه كثير من مثقفينا في الأدب والنقد والبلاغة بهذا الاصطلاح، وإن عرفوه لا يردونه إلى أصوله العربية، فقصدت أن أعرف بهذا الفن وأوصل له في العربية وأمثل له من التراث العربي القديم بتطبيقه على أمثلة من الكلام العربي القديم من شعر ونثر بدءاً من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي لتأصيل وجود هذا الفن في الأدب العربي منذ القدم، وأنه ثابت الجذور في الأدب العربي قبل العصر الحديث لتأكيد استمرارية وجود هذا الفن في الكلام العربي؛ فتناولت أقسامها وقوالبها وموضوعاتها، ومما أستنبطه من شواهدنا لنماذج توضح الاستدارة وأنواعها وتبين أقسامها، وكلام العلماء والباحثين في هذا الفن؛ بغية إزاحة الغبار عن هذا الأسلوب الجميل من أساليب العربية.

فوجدت ابن المعتز بعد أن عدّد أنواع البديع في كتابه البديع، يقر بأن محاسن الكلام كثيرة لا ينبغي للعالم أن يدعى الإحاطة بها حتى يتبرأ من شذوذ بعضها عن علمه. ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى البديع ولم يأت غير رأينا فله اختياره<sup>(١)</sup> فكانت الاستدارة من جملة ما لم يذكره ابن المعتز في كتابه

وتظهر الاستدارة في أكثر من شكل فني، فمنها: ما يكون في معرض المساواة، وهو الأكثر والأشهر والأشدّ جذبا لانتباه الأدباء والبلاغيين، وإن كان هذا الأسلوب يجمع أكثر من طريقة لربط أوله بآخره، وتسمى أيضا الاستدارة في معرض التشبيه، وينطبق عليها تعريف الاستدارة كما عرّفها الزيات وكما هي توضيح مصطلحها الفرنسي كما ذكره الأستاذ الزيات، ومن ذلك أيضا الاستدارة في معرض التوكيد، والاستدارة بحدي المبتدأ والخبر، والاستدارة بحدي الشرط والجواب، فهذه أساليب ظهرت بها الاستدارة في الأدب العربي، وسأوضحها بضرب أمثلة لها منه.

## (١-٢) تعريف الاستدارة (لغة واصطلاحاً):

الاستدارة في اللغة مادتها "دور"، ومعناها الحسي: من الطواف حول الشيء، إذا عاد إلى الموضوع الذي ابتداء منه<sup>(٢)</sup>، والدائرة: كالحلقة أو الشيء المستدير<sup>(٣)</sup>، والدوار:

"مستدار رمل تدور حوله الوحش" (٤)، ويقال: استدار القمر: عاد إلى الموضع الذي ابتداء منه، ودوران الفلك: تواتر حركاته بعضها إثر بعض من غير ثبوت، ولا استقرار" (٥).

ومعناها المعنوي: الدوران والرجوع إلى الأصل والإحاطة به، كما في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: "... إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض.." (٦) أي عادت دورة الزمان إلى الفطرة التي فطر الكون عليها، أو عاد إلى الموضع الذي ابتداء به" (٧)، وأدار الأمر والرأي: أحاط بهما (٨).

ولا غرو أن يقوم المعنى الاصطلاحي على أساس من المعنى الحسي والمعنوي، فيقول ابن فارس: "الدال والواو والراء" أصل واحد يدل على إحداق الشيء بالشيء من حواليه" (٩) أي إحاطته به، والرجوع إلى أصل الشيء بعد الإحاطة به ووصفه، أي الابتداء بمعنى لا ينقضي قبل انقضاء الكلام فيه حتى يحاط بالمعنى المراد فيطوف بالألفاظ حول المعنى ويحيط به في جملة تربط الأول بالآخر؛ فكانه دائرة تربط أول المعنى بآخره وترد آخره إلى أوله، ولم يتفق الباحثون على تعريف محدد للاستدارة، أو صورة محددة لها، ولذا كان عليّ أن أخرج بتحديد يجمع تعريف الاستدارة من أجل تحديد تعريف لها آخذاً بآراء من سبقني.

المصطلح: تحديد مصطلح الاستدارة . بطبيعة الحال . ليس بالأمر الهين؛ لأنه يزلقنا لمتاهات المصطلح ومشاكله، فمن الثابت أن قيام إنسان بوضع مصطلح وإلزام كل الناس به أمر صعب، وأشد صعوبة منه . بل من المستحيل . دراسة موضوع وحملك السابقين على أن يدرسوه أو يفهموه بمصطلح تفرضه عليهم؛ لأن اللغة استخدام، وهذه مسألة ينبغي أن نبصرها قبل أن نلج موضوعنا، فقد لا نجد استخداماً لمصطلح الاستدارة عند البيانيين القدماء، فلا يلتفتنا ذلك عن تتبع الموضوع علّه يكون قد دُرِسَ تحت مُسمى آخر، فإذا وجدنا من علمائنا القدماء من درس هذا الفن أو جزءاً منه أو تنبه إليه وذكره بمسمى آخر، فيكون مدروساً عندهم، وغياب المصطلح لا يعني غياب معرفة الفن نفسه، وقد تنبه الزيات إلى هذا المصطلح وذكره في كتابه دفاع عن البلاغة بهذا المصطلح، وذكر أن بعض المتأخرين تنبه إليه . أي فن الاستدارة . فسمّوه بالنظم أو حُسن النسق (١٠)؛ وإن كان لي تحفظ على ذكر الزيات اتنبه لفن الاستدارة ودرسه تحت هذين

المصطلحين (النظم، وحسن النسق) لأن ابن حجة الذي استشهد بأنه درسه تحت مسمى حسن النسق قد درسه تحت مسمى التفريع. كما سبق أن ذكرناه في البحث. وإن كنت أؤيد الزييات في فكرة احتمال اختلاف المصطلحات من عالم إلى عالم، ومن زمان إلى زمان، فعدم ذكر المصطلح ليس دالا على أن الفن لم يُفطن إليه، ولكن قد يفتن بعض العلماء إليه ويضع له مصطلحا آخر ارتضاه حسب نظره وبخاصة في موضوعنا هذا، فلعل الباحثين لم يجتمعوا على مصطلح له قديما.

وعليّ أن أغوص في بطون الكتب والدراسات السابقة لكي أوضح كيف درس السابقون والقدماء هذا المصطلح وهل تنبهوا له أم لا.

### ( ٢-٢ ) تحديد المصطلح:

لا أعلم أحدا من العرب. حسب علمي. استخدم هذا المصطلح، وقد أشار إلى هذا الزييات في قوله: "... ولكن البيانين من علمائنا لم يحفلوا بهذا النوع ولم ينهوا إليه"<sup>(١١)</sup>، فلم يُسمَّ البلاغيون هذا الفن البلاغي قبله بهذا الاسم، ولنا أن نتساءل عن مفهوم الاستدارة عند الزييات؟.

الزييات استخدم المصطلح مشوبا بالاضطراب، وذلك في ربطه بين المصطلح الفرنسي (la période)، وقد ترجم هذا المصطلح في معجم لاروس الفرنسي بـ: " جملة لها بداية ونهاية، ولا تكون في الوقت نفسه طويلة للغاية حتى يمكن إلقاء نظرة واحدة عليها، لذلك حددها بعض اللغويين بقولهم: هي الجملة المكونة أو المركبة من عدّة عناصر يتحقق بمجموعها المعنى العام المعبر عنه"<sup>(١٢)</sup> أما ما تُرجم عن أرسطو طاليس في الجملة الدورية، فيقول أرسطو فيما ترجم عنه في الترجمة العربية القديمة، عن المقال الدوري بأنه: "المقال الذي يكون بدؤه وآخره شيئا واحدا، ويكون ذا قدر معتدل، فالذي بهذه الحال قد يكون لذيذا يسير التعليم..."<sup>(١٣)</sup>، ومقاربة بين التعريفين، والربط بالتعريف السابق للنظم وحسن النسق ثم تمثيله له بما يخالف أياً منها، ووضعه حدا للاستدارة بقوله: "الاستدارة: جملة متوسطة الطول تشتمل على فاتحة وخاتمة وتتألف من فواصل ترتبط بإحكام وتتساوق في انتظام، وتحمل كل فاصلة من



فواصل الفاتحة جزءاً من المعنى بحيث لا يتم المراد إلا بذكر الجملة الأخيرة وهي الخاتمة<sup>(١٤)</sup>.

( ٢-٢-١ ) مصطلحات القدماء للاستدارة: تنبه القدماء لمثل ما تنبه له المحدثون من أنواع الاستدارة، وإن وضعوا لها مصطلحات أخرى، فقد جعل بعضهم هذا الفن تحت مصطلح: التشبيه مثل المبرد الذي وضع المبرد هذا النوع من الاستدارة تحت باب التشبيه، وذكره بأنه تشبيه معيب عابه بعض الناس، ويذكر له مثالا من شعر كثير عزة<sup>(١٥)</sup>.

وبعضهم أطلق عليه مصطلح التفریع مثل ابن رشيق وابن خلف<sup>(١٦)</sup>، واتبعهما في التسمية، الزنجاني والعلوي والنويري والتفتازاني<sup>(١٧)</sup>، ونجد أن ابن نايقا البغدادي يستشهد بأمثلة للتفریع من شعر قيس بن الخطيم<sup>(١٨)</sup>، وجمع ابن أبي الإصبع أنواع التفریع وجعل الاستدارة نوعاً من ثلاثة أنواع مما سمي بالتفریع مستتباً إياه من ألوان البديع ومدارسة النصوص بين ما سمي بأسلوب النفي والجحود وبين ما سمي بالتفریع<sup>(١٩)</sup>.

ونلاحظ مما سبق أن علماء البديع كانت لهم اليد الطولى في مسألة استنباط ألوان البديع من النصوص وتسميتها وتحديد مصطلحاتها، ومنها مصطلح التفریع الذي جعلناه فرعاً مما نطلق عليه الاستدارة، دون أن يكن مصدرهم كتاب الخطابة لأرسطو، ونجد ابن معصوم يذكر أن التفریع في الاصطلاح يطلق على معينين<sup>(٢٠)</sup>، وقد سبق أن ذكرنا اتباع المحدثين لهم في ذلك، فوجدنا الهاشمي على سبيل المثال يسميه التفریع، وانظر من تبعهم في هذا الاصطلاح في العصر الحديث كثير<sup>(٢١)</sup>.

نلاحظ أن بعض البلاغيين خالف في استخدام مصطلح التفریع فنجد جلال الدين القزويني، وغيره فضّل أن يطلق عليه مصطلح النفي والجحود<sup>(٢٢)</sup>.

ولذلك نستطيع أن نقول: إن من تعريفات البلاغيين: التفریع: وهو ما ذكره الخطيب في التلخيص والإيضاح، وهو أن يثبت لمتعلق أمر حكماً بعد إثبات ذلك الحكم لمتعلق آخر، على وجه يشعر بالتفریع والتعقيب.

والثاني: ما ذكره البديعون الذي سماه بعضهم النفي والجحود، وهو أن يأخذ المتكلم في وصف فيقول: ما كذا، ويصفه بمعظم أوصافه اللاتقة به في الحسن والقبح،

ثم يجعله أصلا يفرع منه معنى فيقول: بأفعل من كذا، وهو المعنى المشهور للتفريع، وهو الذي نظمه جل أصحاب البديعيات " وذكروا أمثلة له.

وقد أطلق على هذا الأسلوب أسلوب " النفي والجحود"، فقال: " اعلم أن النفي قد كثر في أشعار العرب والمحدثين...." (٢٣)

ووجدت أن صفي الدين الحلي بعضهم وضعه تحت مصطلح التوشيح، حيث قال مادحا الصحابة:

ما روضة وشح الوسمي بردتها يوما بأحسن من آثار سعيهم. (٢٤)

مما يدل على تنبه العرب لفن الاستدارة في الأدب العربي واستعمال هذا الفن في أساليبهم، ووضعهم مصطلحات لهذا الأسلوب منذ بداية تنظير العلوم ودراساتها دراسة نظرية تعقيدية والتأليف فيها.

ورغم ثبوت جذر هذا الأسلوب الأدبي في التراث وقدمه تنظيرا وتطبيقا، إلا أن ذلك لم يشفع له كي يتفق العلماء على مصطلح واحد يدل عليه، فقد وجد هذا المصطلح من التمزيق كل مُمَرَّق، والعبث به، فرغم ثباته منذ العصر الجاهلي إلى الآن؛ كأسلوب مستخدم في الأدب العربي، وإدلاء علماء العرب من بلاغيين وغيرهم بِدَلُوهِم في تعريفه، إلا أن هذا لم يزد إلا تقطعا وتمزيقا في الاصطلاح على أيديهم؛ فنالوا منه بقدر ما أحسنوا إليه، ولم يلتقوا في تحديده على كلمة سواء قديما أو حديثا.

فكما ظهر لنا كثرة المصطلحات المستخدمة للتعبير عن أشكال هذا الأسلوب في العربية (٢٥).

وقلة من تعرض لهذا الأسلوب بالدراسة من الباحثين العرب، واختلاف اصطلاحهم حول مصطلح الاستدارة، فوجدت من يدرس جوانب من الاستدارة تحت مصطلحات عدة (٢٦).

( ٢-٢-٢ ) مصطلحات الباحثين المحدثين للاستدارة:

نجد اختلافا بين التعريفات فمنها ما ذكره أحمد حسن الزيات ومثل لهذا التعريف بأربعة أبيات<sup>(٢٧)</sup> ارتبط أولها بآخرها بجملة الشرط، فبدأت الأبيات بما الحجازية واسمها (فما الفرات)، ولم يأت "خير ما" المقترن بحرف الجر الزائد نحويا لتأكيد النفي (بأجود) إلا في البيت الأخير، متخللا بينهما جمل عدة، وكذا في تمثيله بقول الجاحظ حيث: "فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا، وكان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه، وكان منزلها عن الاختلال مصونا عن التكلف، صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة"<sup>(٢٨)</sup> حيث بدأت الفقرة بأداة الشرط غير الجازمة وفعل الشرط (فإذا كان المعنى شريفا)، وانتهت الفقرة بجملة جواب الشرط (... صنع...)، فارتبط ما بين أول الفقرة وآخرها بأركان جملة الشرط من أداة الشرط وفعله وانتهت بجوابه.

وتبع الزيات في التسمية د. محمد محمد حسين (١٩١٢ م. ١٩٨٣ م) في تحقيق ديوان الأعشى وشرحه<sup>(٢٩)</sup>: إذ بين في مقدمته للتحقيق، الأصول الفنية في شعر الأعشى ومنها: وحدة المعنى والاستدارة والاستطراد والقصص، ويعرف الاستدارة بقوله: " هي صورة من صور الترابط الذي يقوم بين الأبيات والمقصود بالاستدارة هو توالي مجموعة متلاحمة من الأبيات تجري على نظام متسق، يقوم فيه كل بيت بنفسه في معناه، ولكن المعنى العام لا يتم إلا بالبيت الأخير منها"<sup>(٣٠)</sup>، ويمثل من شعر الأعشى للاستدارة بثلاثة أمثلة: نلاحظ أن الاستدارة: الأولى بين أداة الشرط وفعله ولا يأتي جوابه إلا مع آخر بيت فيها<sup>(٣١)</sup>، والثانية تبتدئ بالمبتدأ ولا يأتي الخبير إلا مع آخر بيت فيها<sup>(٣٢)</sup>، والثالثة: تبتدئ بما واسمها وتنتهي بخبرها المنفي بما خاصة<sup>(٣٣)</sup>، ويجعلهم جميعا من الاستدارة. ورأينا من أتى بعدهما يعالجون الموضوع باتباعهم في المصطلح، مثل أحمد عبد التواب عوض، في بحثه: الاستدارة عند العرب<sup>(٣٤)</sup>، وأحمد محمد النجار، في بحثه: الاستدارة في البيان العربي<sup>(٣٥)</sup>.

وبعض الباحثين عالج موضوعات هذا الفن باصطلاحات مختلفة، فبعض الباحثين أطلق عليه مصطلح الاستدارة السابق لكنه ربطه بالتشبيه، وكانت معالجتهم لنوع من الاستدارة إذ يعالج الجانب المتصل بالتشبيه وهو الاستدارة في معرض المساواة<sup>(٣٦)</sup>،



ويتوقف عنده، وهو النموذج الأول الذي مثل به الزيات، ووجدنا من يطلق عليه: الاستدارة التشبيهية، مثل شكري فيصل<sup>(٣٧)</sup>، وقد انطبقت الاستدارة التشبيهية عنده على الاستدارة وغيرها.

أو تشبيه الاستدارة، مثل إسماعيل العالم<sup>(٣٨)</sup>.

ووجدنا من يعالج الموضوع باصطلاح قريب من الاستدارة ويربطه بالتشبيه مثل من أطلق عليه: التشبيه الدائري مثل إسماعيل العالم<sup>(٣٩)</sup>، ويلاحظ أن د. إسماعيل العالم، له بحثان في هذا الموضوع، درس فيهما هذه الظاهرة، كل بحث ارتضى لنفسه مصطلحا دون أن يشير إلى الآخر فسمّاه في أولهما: التشبيه الدائري متبعا فيه سبيل د. عبد القادر الرباعي، ولم يخرج عما حدده كما نص هو في مقدمة بحثه، وفي ثانيهما أطلق عليه تشبيه الاستدارة.

ومنهم من جعله نوعا مميزا من التشبيه فوجدنا من يطلق عليه: التشبيه الطويل مثل نجيب البهيتي، ونصرت عبد الرحمن<sup>(٤٠)</sup>.

أو التشبيه القصصي مثل نجيب البهيتي، الذي أطلق عليه التشبيه الطويل ثم عدل عن التسمية وقال: "أولى بنا أن نسميه التشبيه القصصي"<sup>(٤١)</sup>.  
أو التشبيه الاستطرادي، مثل إيليا حاوي<sup>(٤٢)</sup>.

أو التشبيه القبيح مثلما ذكره علي الجندي<sup>٤٣</sup> متبعا ما أطلقه عليه المبرد حيث ذكر مثلا من شعر كُثِير عزة من التشبيه القبيح ناقلا إياه من كتاب الكامل<sup>(٤٤)</sup>.  
ووجدنا من يتحرر من لفظ التشبيه فيطلق عليه: الاستطراد مثل عمر الدسوقي أثناء معالجته لنموذج متمم بن نويرة<sup>(٤٥)</sup>.

وأطلق عليه بعض الباحثين التضمين مثل: شوقي ضيف<sup>(٤٦)</sup>.

وبعضهم يطلق عليه التضمين العروضي مثل: سيد البحراوي، فيذكر النوع الجائز من التضمين، وهو الأسلوب المنفي والمجانب عنه بأفعل التفضيل<sup>(٤٧)</sup>، ويتبعه في ذلك موسى ربابعة<sup>(٤٨)</sup>.

ووجدنا من يربطه باصطلاحات أو اتجاهات أو فنون كمن يربطه بالاتجاه القصصي، مثل أحمد كمال زكي<sup>(٤٩)</sup>.

ومنهم من يربطه بالخيال أو التصوير عامة، مثل يوسف اليوسف<sup>(٥٠)</sup>.

ومنهم من يربطه بالتكرار، مثل علي البطل<sup>(٥١)</sup>.

ووجدت من يطلق عليه التمثيل الدلالي، مثل يوسف إسماعيل، حيث قال: إن التمثيل الدلالي يعني الوحدات التي ينقسم إليها النص دلاليًا سواء كانت ذات استقلال كامل أو نسبي وقد درس النقاد العرب ذلك تحت باب "التضمين" في مباحث ائتلاف المعنى مع الوزن وعيوب القافية وألوان البديع<sup>(٥٢)</sup>.

وغير ذلك من المصطلحات، ولا أقصد بطبيعة الحال مصطلح "التدوير العروضي" الذي يعني اتصال شطري البيت في كلمة واحدة، أو مصطلح القصيدة المدورة: وهو تقنية أساسية في الشعر الحر الذي لا تظهر فيه القافية<sup>(٥٣)</sup>، ولكنني أقصد التنقيب عن ارتباط الأبيات بعضها ببعض في المعنى واللغة باستخدام هذا الفن.

( ٢-٣ ) معنى الاستدارة: نستنبط تعريفها من المعنى اللغوي والاصطلاحي أنها جملة تحتوي بين ركنيها جملاً وسطى، أي جملة تربط أول الاستدارة بآخرها، أو بمعنى آخر هي جملة لها مقدمة وخاتمة، ركنها الأول: المقدمة، وركنها الأخير كالخاتمة للمعنى، وينطبق هذا على أسلوب التفريع كما عرّفه البلاغيون، ولا يقتصر عليه بل يدخل معه كل ما ينطبق عليه التعريف من أساليب أخرى وجدناها في التراث العربي، منها ما نطلق عليه: الاستدارة بحدي الشرط، أو الاستدارة بحدي المبتدأ والخبر، أو الاستدارة في معرض المساواة، أو الاستدارة في معرض التوكيد، أو غيرها مما نجده في الأدب العربي.

فلم يقتصر معنى الاستدارة. بالمعنى الحديث. على أسلوب النفي والوجود كما سمّاه أسامة بن منقذ، أو التفريع كما شرحه ابن أبي الإصبع، وهو ما يبدأ بما واسمها وينتهي بذكر خبرها منفيًا بما خاصة بل اتخذت قوالب تلثم فيها مجموعة من الأبيات أو فقرة من النثر، كأن تبدأ بالشرط وتنتهي بجوابه<sup>(٥٤)</sup>، أو تبدأ بالمبتدأ ثم تنتهي بخبره<sup>(٥٥)</sup>، ومثلها ما يبدأ بحرف القسم والمقسم عليه ثم تنتهي بجوابه، ... مما سنفصله في تطبيقنا للاستدارة على نماذج في اللغة العربية.

(٣-٥) تطبيق للاستدارة على نماذج في الأدب العربي القديم:

وجدنا فن الاستدارة في الأدب العربي، منذ العصر الجاهلي وما تلاه من العصور، في نصوص العربية ومن أمثلتها:

(٣-١) الاستدارة في معرض المساواة:

وهي الاستدارة التي غرضها مساواة المشبه به بالمشبه، فأساسها تشبيه، لكنه يعرض في معرض الاستدارة، ويفصل صفات المشبه به في صورة يشبهها بالمشبه، ويدعي المساواة بينهما.

مثال على الاستدارة في معرض المساواة قول الأعشى في مدحه قيس بن معد يكرب بالتقوى والزهد والورع ونلاحظ أن المدح بهذه الصفات كان نادرا في العصر الجاهلي فيقول<sup>(٥٦)</sup>:

وما أَيْبَلِيَّ عَلَى هَيْكَلٍ      بِنَاءٌ وَصَلَبٌ فِيهِ وَصَارَا  
يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِيهِ      لِكَ طَوْرًا سُجُودًا وَطَوْرًا جُؤَارَا  
بِأَعْظَمَ مِنْهُ تُقَى فِي الْحِسَابِ      إِذَا التَّسَمَّاتُ نَقَضْنَ الْعُبَارَا

فيصف الراهب المنقطع للعبادة في صومعته مؤكداً على نفي كون هذا الراهب أكثر تقوى لله، أو أقرب إلى الله بأعماله من ممدوحه في يوم القيامة، ففي هذا المقطع المكون من ثلاثة أبيات يبدأ الأسلوب بـ "ما" واسمها "وما أييلي...". واصفاً "اسم ما" بالأوصاف التي يريد أن ينسبها إليه...، وفي آخر بيت في المقطع يذكر "خبر ما" المسبوق بحرف الجر الزائد "بأعظم منه"، أي من ممدوحه وكأنه يقارن بين الراهب المتبتل وممدوحه في صفة التقوى والحساب؛ أي وجه الشبه في التقوى والورع وهو وجه المقارنة بين المشبه والمشبه به.

فكان إظهاره الصورة في فن الاستدارة بهذه الطريقة في التعبير أبلغ وأعمق تأثيراً في النفس من ذكرها بالتشبيه المباشر بقوله إن ممدوحه مثل الراهب في صومعته، ولكن الصورة التي عرض فيها المعنى أعطت للمعنى ما لم يعطه التشبيه المباشر أو الأسلوب العادي من إضافات وبلاغة في الأسلوب، فضلاً عن إثراء الصورة برسم لوحة لهذا الراهب في صومعته مظهرها دقائقها ومفصلاً إياها.

فبدأ (بما) وانتهى بأفعل التفضيل المسبوقة بما الزائدة (بأعظم).

وقول النابغة يمدح النعمان بالكرم<sup>(٥٧)</sup>:

فَمَا الْفُرَاتُ إِذَا جَاشَتْ غَوَارِيهِ	تَرْمِي أَوَاذِيَّهُ الْعَبْرِينَ بِالزَّبْدِ <sup>(٥٨)</sup>
يَمُدُّهُ كُلُّ وادٍ مُتَرَعٍ لَجِبٍ	فِيهِ رِكَامٌ مِنَ الْيَبُوتِ وَالْخَصْدِ <sup>(٥٩)</sup>
يَظَلُّ مِنَ خَوْفِهِ الْمَلَأُحُ مُعْتَصِمًا	بِالْخَيْرِزَانَةِ بَعْتَدَ الْأَيْنِ وَالنَّجْدِ
يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ سَيْبَ نَافِلَةٍ	وَلَا يَحُولُ عَطَاءُ الْيَوْمِ دُونَ غَدٍ <sup>(٦٠)</sup>

فبدأ المقطع بما واسمها (فما الفرات)، وأنهاه بخبر ما المسبوق بحرف الجر الزائد الباء (بأجود). مدعياً المساواة بين المشبه والمشبه به، ومفصلاً صورة المشبه به في ثلاثة أبيات.

وقول المرقش الأصغر متغزلاً<sup>(٦١)</sup>:

وَمَا قَهْوَةٌ صَهْبَاءُ كَالْمِسْكِ رِيحُهَا	تُعَلِّي عَلَي النَّاجُودِ طَوْرًا وَتُقَدِّحُ
ثَوْتٌ فِي سِبَاءِ الدَّنِّ عِشْرِينَ حِجَّةً	يُطَانُ عَلَيْهَا قَرَمَدٌ وَتُرْوُحُ
سَبَاهَا رِجَالٌ مِنْ يَهُودَ تَبَاعَدُوا	لِجِيلَانٍ يُدْنِيهَا مِنَ السُّوقِ مُرْبِخُ
بِأَطْيَبِ مِنْ فِيهَا إِذَا جُنْتُ طَارِقًا	مَنْ اللَّيْلِ، بَلْ فُوهَا أَلْدُّ وَأَنْصَحُ <sup>(٦٢)</sup>

فبدأ الصورة بما واسمها (وما قهوة) وختمها بخبر ما المسبوق بحرف الجر الباء (بأطيب)، فكانت صورة واحدة.



وقول الأعشى يصف جرأة النعمان بن المنذر<sup>(٦٣)</sup>:

فَمَا مُخْبِرٌ وَرَدَّ كَأَنَّ جَبِينَهُ      يُطَلِّي بَوْرَسٍ أَوْ يُطَانُ بِمُجَسِّدِ  
 كَسْتَهُ بَعُوضُ الْقَرِيْبَيْنِ قَطِيفَةٌ      مَتَى مَا تَنَلُ مِنْ جِلْدِهِ يَنْزُدُ  
 كَأَنَّ تِيَابَ الْقَوْمِ حَوْلَ عَرِينِهِتَا      بَيْنَ أَنْبَاطِ لَدَى جَنْبِ مُخَصَّدِ  
 رَأَى ضَوْءَ نَارٍ بَعْدَمَا طَافَ طَوْفَةً      يُضِيءُ سَنَاهَا بَيْنَ أَثْلِ وَعَرْفَدِ  
 فَيَا فَرَحًا بِالنَّارِ إِذْ يَهْتَدِي بِهَا      إِلَيْهِمْ وَإِضْرَامِ السَّعِيرِ الْمُوقَّدِ  
 فَلَمَّا رَأَوْهُ دُونَ دُنْيَا رِكَابِهِمْ      وَطَارُوا سِرَاعًا بِالسَّلَاحِ الْمُعْتَدِ  
 أُتِيحَ لَهُمْ حُبُّ الْحَيَاةِ فَأَذْبَرُوا      وَمَرَجَاةُ نَفْسِ الْمَرْءِ مَا فِي غَدِ غَدِ  
 فَلَمْ يَسْبِقُوهُ أَنْ يُلَاقِي رَهِيْنَةً      قَلِيْلَ الْمَسَاكِ عِنْدَهُ غَيْرَ مُفْتَدِي  
 فَأَسْمَعَ أَوْلَى الدَّعْوَتَيْنِ صِحَابَهُ      وَكَأَنَّ النَّيَّ لَا يَسْمَعُونَ لَهَا قَدِ  
 بِأَصْدَقِ بَأْسًا مِنْكَ يَوْمًا وَنَجْدَةً      إِذَا خَامَتِ الْأَبْطَالُ فِي كُلِّ مَشْهَدِ

فصور هذا الأسد في صورة مظهره مظهره الخارجي، ومظهر عرينه، ونشاطه ومغامراته وربط صورته بصورة ممدوحه، فهو ليث وردي اللون قابع في عرينه ومملكته كان جبينه قد صبغ بالورس الأصفر، وجسده صبغ بالزعفران الأحمر، والتفّ حوله البعوض بكثرة، فكانه قد كساه بقطيفة وهو يثور عليها كلما همت أن تنال من جلده، ويدل على شجاعته فيشهد بذلك تنائر أشلاء ضحاياه حوله ويصور الشاعر آثارها الباقية بصورة السراويل القصيرة التي تركها الفلاحون بجوار زرعمهم يوم حصاده، إذ إنهم يلبسون لباسا خاصا بالحصاد، فصور ما تبقى من الضحية وملابسه بصورة السراويل القصيرة بجوار

الحقل يوم الحصاد، ورغم كثرة ضحاياه، فهو يبحث عن مزيد فهو يطوف باحثاً عن ضحايا جديدة ويذكر نموذجاً لمغامراته بأنه لا يهتم بأحد الرجال، ولكن بمجموعاتهم وبخاصة تلك التي يكون معها سلاح وركبان فيصلي إليهم ولا يهتم بركابهم لأن غايته الصعاب، فيهجم عليهم بسرعة وقوة، فلا يشعرون به إلا وهو دون ركبهم لسرعته الفائقة وقوته الشديدة، فما يكون منهم إلا أن يطيروا فزعاً فارين بأرواحهم، أما هذا الأسد الهصور من الفوز بهدفه بإصابة أحدهم وإيقاعه فريسة له، فأسمع فريسته سعى الحظ الفريسة أصحابه بصوت استغاثته التي لم يشتها، لأن الأسد قد فتك به، فأسد بهذه الصفة لهيبته قوية جداً في النفوس، ويساوي بينه وبين النعمان بن المنذر في الشجاعة وقت الغزو والإغارة ووقوع الظلم؛ فهما في الشجاعة سواء بسواء، فكان مدح النعمان بن المنذر بالشجاعة في أسلوب استداري في معرض المساواة عند الأعشى طويل إذ مدحه باستدارته السابقة التي بلغ عدد أبياتها العشرة، فبدأ الاستدارة بما واسمها، (فما مخدر)، وأنهاها بخير ما المسبوق بما الزائدة (بأصدق).

واستدارة ابن الرومي الطويلة المكونة من ستة عشر بيتاً<sup>(٦٤)</sup>:

- |                                  |                                  |
|----------------------------------|----------------------------------|
| ١. ليأمن سِقَاطِي فِي الْخَطُوبِ | ونبوتي جنان الذي يخشى عليّ ويحذر |
| ٢. فما أسدّ جهم المحيا شتيمه     | فصاقصة ورد السّبال غضنفر         |
| ٣. مسمّى بأسماءٍ فمنهن ضيغم      | ومنهن ضرغام ومنهن قَسُور         |
| ٤. له جنة لا تستعار وشِكة        | هو الدهر في هذي وهذي مكفّر       |
| ٥. إهاب كتحفاف الكمي حصانة       | وعوج كأطراف الشبا حين يُفغّر     |
| ٦. وحجّن كأنصاف الأهلة لايني     | بهن خضاب من دم الجوف أحمر        |
| ٧. تظل له غلب الأسود خواضعا      | ضوارب بالأذقان حين يزمجر         |
| ٨. له ذمّرات حين يوعد قرنه       | تكاد له صمّ السّلام تفتّر        |
| ٩. يراه سراً الليل والدؤدؤونه    | قريباً بأدنى مسمع حين يزار       |
| ١٠. يُدير إذا جنّ الظلام حجّاجه  | شهاب لظى يعشى له المتنوّر        |
| ١١. خُبعتة جاب البضيع كأنه       | مكسر أجواز العظام مجبر           |

١٢. له كلُّكل رحبُ اللَّبان وكاهل  
 ١٣. شديد القوى عَبل الشوى مُؤجد القرا  
 ١٤. إذا ما علا متنَ الطريق ببركه  
 ١٥. أخو وحدة تُغييه عن كل منجد  
 ١٦. مخوف الشذا يمشي الضراء لصيده  
 ١٧. بأزى على الأقران مني صولة  
 فبدأ الاستدارة بما واسمها ( فما أسد)، وأنهاها بخبرها المسبق بالباء الزائدة (باري).

وصورة للاستدارة عند البهدي تمثل دورا من أطوار نموها في مقام المدح عندما يصطنع الشاعر البهدي المعروف بـ (ابن الأشد أو الأسد) استدارة في معرض المفاضلة، فيمدح الهادي<sup>(٦٥)</sup>:

- ما مُخِدِرٌ خَلِدِرٌ مُسْتَابِدٌ أَسَدٌ  
 غَضَنْفَرٌ غَضِيفٌ قِرْضَابَةٌ ثَقِيفٌ  
 ذُو بَرْتِنٍ شَرِثٌ ضَخَمٌ مُزَوَّرَةٌ  
 جَابُ الشَّرَاسِيفِ رَحْبُ الْجَوَافِ مُقْتَرِسٌ  
 عَفْرَنْسٌ أَهْرَتْ الشِدْقَيْنِ ذُو حَنْقٍ  
 جَهْمٌ الْمُحَيَّا هَمُوسٌ لَا يُنْهِنُهُ  
 فِي حَظْمِهِ حَنْسٌ فِي أَنْفِهِ قَطْسٌ  
 ذُو آلَةٍ قَيْسَرِيٍّ حِينَ تَبْرُزُهُ  
 بِسَالِحِ عَشْرٍ عَشْرٍ مِنْ شَجَاعَتِهِ  
 بَلْ أَنْتَ أَجْرَأُ مِنْهُ فِي تَقَدُّمِهِ  
 ضَبَارِمٌ خَادِرٌ ذُو صَوْلَةٍ زَبْرٌ  
 مُسْتَرَعِبٌ لِقُلُوبِ النَّاسِ مُصْطَبِرٌ  
 خَبِعْتُنُ الْخَلْقِ فِي أَخْلَاقِهِ زَعْرٌ  
 عِنْدَ التَّجَاوُلِ لِلْأَقْرَانِ مُهْتَصِرٌ  
 لِلْقَرْنِ عِنْدَ لِقَا الْأَقْرَانِ مُقْتَسِرٌ  
 صَوْتُ الرِّجَالِ وَلَا لِلزَّجْرِ يَنْزَجِرُ  
 كَأَنَّما وَجْهَهُ مِنْ هَضْبَةٍ حَجْرٌ  
 غَشْمَشْمِيٌّ فَلَا يُقِي وَلَا يَنْدُرُ  
 إِذَا تَنَازَلَتْ الْأَبْطَالُ وَاشْتَجَرُوا  
 وَأَنْتَ أَقْدَمُ مِنْهُ حِينَ يَحْتَرُّ

فالتقط البهدي الألفاظ العسيرة والعبارات القوية في تلك الاستدارة، مما أعطى قصيدته هذه تميزا فيا بالمدح، فلقد أعنا البهدي بأسماء الأسود وصفاته فذكر منها: ضبارم، غضنفر، غضف، قرضابة، عفرنس، هموس، فسور، يضاف إلى ذلك إمعانه فيذكر صفات الأسود كقوله: شرث، ذوبرن، أهرة الشدقين، جاب الشراسيف، مهتصر... وهو منثم



شبهه بالأسد خلِّقا وشجاعة، حتى أن الصورة الاستدارية تكاد تخرج ممدوحه على هيئة أسد، فلا يخالفه إلا عندما يصف ممدوحه بالخلافة فجمع في شخصه صفات الرجولة والشجاعة المتمثلة في الأسد، مع خصال النبل وطباعه، ولذلك سأل عنه الهادي بقوله: أين نسبة الأسد؟، لشدة احتفاله بالنسبة إلى الأسد، ويقال إنه ما من شاعر أم عنف يخلع صفات الأسد وأسمائه على ممدوح كما صنع البهدي، والقصيدة تستحيل لهذا السبب متناً لغوياً أو رسالة لغوية انطوت على أغلب أسماء الأسد وصفاته، ووصفه له بجهم المحيا وهذه الصفة يندر وقوعها في المدح، من أجل ذلك كانت كثرة الصفات التي استعارها الشاعر من الأسد ثم أسندها للممدوحهم ما يشي بالمطابقة بينه وبين الأسد، ومن ثم تحيل على تركيزه على القوة التيكاني تحلى بها ممدوحه، وقد أراد من كل ذلك أن يُبرز فيه صفة البطولة التيراها في هذه القصيدة جارية على صفة الأسد بمختلف هيئاته وأسمائه وطباعه، وساعده على هذا التميز إخراج الصورة في هيئة الاستدارة، فبدأها بما واسمها (ما مُخْدِرٌ)، وأنهاها بخبر ما المسبوق بحرف الجر الزائد نحوياً (ببالغ).

وأيضاً في قول صاحب الخزانة نثراً من إنشاء القاضي شهاب الدين محمود:

"وما أم طفل قذفها الزمن العنيد، في بعض البيد، في أرض موحشة الممالك، قليلة المسالك، قد لمع سرايها، وتوقدت هضابها، وصرخ بومها، ونفر ظليمها، وحضر سمومها، وغاب نسيمها، فلما خافت على ولدها من الظمأ والهلاك، أجلسته إلى جنب كئيب هناك، ثم ذهبت في طلب الماء للغلام، لنلا يقضي عليها الأوام، فانتهى بها المسير، إلى روضة وغدير، وآثار مطي بوارك، تدل على أن الطريق هنالك، فعادت إلى ولدها مسرعة، وكل أعضائها إليه عيون متطلعة، فلما شارفت جنب الكئيب، رأت ولدها في فم الذيب، بأكثر مني حسرة وتلهفا، وأظم مني حرقة وتأسفا. وأغزر دمعا عندما قيل لي الذي كلفت به أضحي على البعد مُزْمَعاً"<sup>(٦٦)</sup>.

فبدأ الاستدارة بما واسمها (وما أم طفل)، واختتمها، بخبر ما المسبوق بحرف الجر الزائد الباء (بأكثر مني).



( ٣-٢ ) الاستدارة بحدي الشرط الجواب:

وهي الاستدارة التي يكون أسلوب الشرط يربط بين أولها وآخرها، فتبدأ بأداة شرط ويليه فعل الشرط، ولا يأتي جواب الشرط إلا في نهاية الاستدارة. وقد كثر مثل هذه الاستدارة في القرآن الكريم، ومن الأمثلة لها:

قول الله تعالى في سورة الانفطار: { إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ \* وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ \* وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ \* وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ \* عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ } (٦٧)

فبدأت الآيات بأداة الشرط ( إذا ) وفعل الشرط، ولم يأت جواب الشرط إلا في الجملة الأخيرة، ( علمت نفس ) ليعدد صور هذا اليوم وصفاته في هذه الاستدارة التي تعرض يوم القيامة وما يحدث فيه.

وفي سورة التكويد نجد استدارة أطول من الاستدارة السابقة، فعرض صوراً ليوم القيامة قال تعالى: { إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ \* وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ \* وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ \* وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ \* وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ \* وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ \* وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ \* وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ \* بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ \* وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ \* وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ \* وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ \* وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ \* عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا أَخْضَرَتْ } (٦٨)

فهذه المعطوفات تصف يوم القيامة، وقد بدأت الاستدارة بأداة الشرط وفعله ( إذا الشمس كورت )، ولم يأت جواب الشرط ( علمت نفس ) إلا في الآية الرابعة عشرة من السورة.

وقول الله تعالى: { قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } (٦٩).

فبدأ بأداة الشرط وفعله ( إن كان ) ولم يأت خبر كان إلى بعد معطوفات عدة ( أحب ) وأتى جواب الشرط بعد ذلك ليربط أول الآية بآخرها، ( فتربصوا ) .

ففي هذه الاستدارة نوعان: بحدي اسم كان وخبرها، والاستدارة الكبرى بحدي الشرط والجواب.

فيقول الأعشى في أسلوب استداري شرطي مادحا قيس بن معد يكرب (بالشجاعة

والقوة:

وإذا تجيء كتيبةً مَلُومَةٌ      خرساءُ تُغشي من يذود نهالها  
تأوى طوائفها إلى مُحَضَّرَةٍ      مكروهةٍ يخشى الكمأة نزالها  
كنت المُقَدَّم غير لابس جَنَّةٍ      بالسيف تضرب مُعلِّما أبطالها

فمجيء الكتيبة مرتبط بتقدمه، وفي هذا إظهار للشجاعة، ثم تدخل بعض الجمل التي تزيد الصورة بهاء وروعة وجمالا وتعطي لشجاعته عمقا في النفوس وتأصيلا لم يسبق إليه، فأعطاه أسلوب الاستدارة نفسا طويلا لكي يصف هذه الكتيبة التي تجيء بأنها مجتمعة كثيرة العدد وأن من يقف أمامها تغطيه ولا يؤثر فيها، وتنظم إليها كتيبة أخرى سوداء لكثرة عددها جنودها شجعان يكره نزالهم حتى أن الشجعان من الأبطال تخشاهم وتخشى من فيها من الشجعان، وبعد أن يظن أنه قد رسم الصورة المناسبة في ذهنه للقوة والبطش ويضيف إليها من العناصر المفزعة لهذا الجيش كثير العدد والعتاد ثم أعطته تعليقا على جواب الشرط، بأن تقدمه هذا يكون بدون درع أو ترس لكن معه سيفه الذي يطير رقاب أبطال هذه الكتيبة، فأعطى أسلوب الاستدارة الأعشى بُغْدًا ما كان يعطيه تشبيه عادي أو أسلوب شرط عادي ولكن ساعده النفس الطويل في الاستدارة لرسم هذه اللوحات التي أعطت لنا انطبعا متكاملا، فأعطاه هذا الأسلوب جمعا بين الصورة التي يتخيلها وإنصاف عدوه حيث ذكر أن جيشه قوي وكثير العدد، لا إنصافا لعدوه ولكن إظهارا لقوة ممدوحه، وتصوير مقدار شجاعته، ويصور ذلك بصورة ذهنية ويضع ممدوحه فيها ليصور مدى شجاعته وقوته.

فبدأ المقطع بأداة الشرط وفعله ولم يذكر جواب الشرط إلا في البيت الثالث (كنت المقدم) فيصف ممدوحه بالشجاعة والقوة بادنا بأسلوب الشرط، واصفا حربيا ومتصورا لها صورة من ذهنه بأن كتيبة من كتائب الجيش ثم يأخذ في وصفها بأنها مجتمعة كثيرة العدد مستطردا في وصفها بأن من يقف أمامها تغطيه ولا يؤثر فيها، وتنظم إليها كتيبة أخرى سوداء لكثرة عددها وهم شجعان تخشاهم الشجعان من الأبطال، وبعد أن يظن أنه قد رسم الصورة المناسبة في ذهنه للقوة والبطش ويضيف إليها من العناصر

المفرعة لهذا الجيش كثير العدد والعتاد يأتي بجواب الشرط وهو أن ممدوحه يكون مقدا في مواجهته أمام هذه الكتيبة لا يلبس ترسا أو درعا فيحاربهم مؤثرا فيهم مهلكا أبطال الجيش، فهذا الأسلوب يجمع بين الصورة التي يتخيلها ومقدار شجاعته، ويصور ذلك بصورة ذهنية ويضع ممدوحه فيها ليصور مدى شجاعته وقوته.

ومن أمثلتها في النثر قول الجاحظ: " فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا، وكان صحيح الطبع معتدلا عن الاستكراه، وكان منزها عن الاختلال مصونا عن التكلف، صنع في القلب صنيع الغيث في الأتربة الكريمة"، والاستدارة كثيرة الدوران في طريقة ابن المقفع وطريقة الجاحظ<sup>(٧٠)</sup>

### ( ٣-٣ ) الاستدارة في معرض التوكيد

وهي الاستدارة التي تكون بعد قسم فتأتي أداة القسم، والمقسم به، ولا يأتي المقسم عليه إلا في نهاية الاستدارة، وقد كثر مثل هذه الاستدارة في القرآن الكريم، وفي غيره من أساليب العربية ومن أمثلته في القرآن الكريم قول الله تعالى: { وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا \* وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّاهَا \* وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا \* وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا \* وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا \* وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّاهَا \* وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا \* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّاهَا }<sup>(٧١)</sup>

فبدأ بواو القسم والمقسم به ( والشمس... )، وأقسام معطوفة، وأنهى استدارته بجواب القسم الفعل الماضي المسبوق بقد التي تفيد التحقيق (قد أفلح..). ومثال آخر لها : قول الأعشى في معرض التوكيد كل منهما بدأت بلفظة "حلفت" ثم المقسم به، وانتهت بلام التوكيد ثم المقسم عليه<sup>(٧٢)</sup>.

إذا مخرم جاوزه بعد مخرم	حلفت برب الراقصات إلى منى
وطابقن مشيا في السريح المخرم	ضوامر حوصا قد أضرَّ بها السرى
ورقيت أسباب السماء بسلم	لئن كنت في جبِّ ثمانين قامة
وتعلم أني عنك لست بملجم	ليستدرجنك بالقول حتى تهرة



فبدأ بلفظ القسم وفعله وهو "حلفت"، ثم المقسم به وهو "رب الراقصات ...". ثم يصف ما أقسم به بما يوجب له القداسة "الأماكن المقدسة" ويصف طريقة مشيها، وهذه الصورة التي يرسمها للإبل من أنها نوق الضوامر غائرات الأعين من شدة السير ليلا الذاهبة إلى منى قاطعة جبلا تلو جبل، وواد عقب واد، تطابق وقع أقدامها المحمية من شدة حرارة الجو بخيوط مشدودة يسير حول أرساغها، وهذه الصورة التي رسمها لجهد الإبل ونصبها إنما مقصدها الطاعة فهي ذاهبة لبيت الله فخطواتها مباركة، ونصبها مقدس، ويذكر شرطا ينهيه بالمقسم عليه مسبقا بلام التوكيد إن ساخت بك الأرض أو طرت في الفضاء ليصلن إليك قولي وانتقاصي وهجائي الذي أقوله فيك حين يعلم خيانتة، فالاستدارة ربطت الأسلوب عبر أربع أبيات بدأت بأداة القسم والمقسم به حتى بلغ المقسم عليه تأكيدا وتوثيقا لانتقامه منه وبلوغه هذا الانتقام حتى يعلم خيانتة.

( ٣-٤ ) الاستدارة بحدي المبتدأ والخبر:

وذلك بأن يبدأ الشاعر استدارته بالمبتدأ ولا يأتي خبره إلا في آخر المعنى الذي يريد قوله فتأتي بعد المبتدأ جملة أخرى متعددة فاصلة بين المبتدأ وقبل إتيان خبره واصفة المبتدأ وموسعة في ذكر مميزاته وخصائصه، حتى إذا ظن الشاعر أنه قد وقى المبتدأ حقه أتى بالخبر رابطا بين أول الموضوع وآخره بجملة مكونة من مبتدأ وخبر وذلك مثل قول الأعشى مادحا قيس بن معد يكرب:

فيا ربَّ ناعيةٍ منهمُ      تَشُدُّ الَّلِّفَاقَ عَلَیْهَا إِزَارَا  
تَنُوطُ التَّمِيمِ وَتَأْتِي الْعَبُ      قَ مَشْنُ سِنَةِ النَّوْمِ إِلَّا نَهَارَا  
مَلَكَتْ فَعَانَقَتْهَا لَيْلَةٌ      تَنْصُ الْعُقُودَ وَتَدْعُو يَسَارَا

فيذكر قوة ومدوحه وإخضاعه من بغى من القبائل الباغية، ويظهر دلائل نصره عليهم فمتها: أخذه السبايا من نسايتهم بعد هزيمتهم، فمنها سبية سمينه لترفها تأنر بثوين كناية عن نعيمها في قومها وعزتهم ومنعتهم فلم يقدر عليهم إلا من وجه، وكذلك دلالة على جمالها وعظم الغنيمة التي أخذها منهم ويستطرد في وصف هذه السبية بأنها سمينة تلبس التمام خوفا من حسد أعين الحاسدين لجمالها وسنها وهي لا تتناول طعام

الصباح لأنها لا تصحو إلا متأخرة لنعيمها، وبعد أن يصفها بهذه الصفات يأتي بالخبر (ملك) ثم يتكلم عنها بعد هذا الوصف الذي دار حوله بالمبتدأ والخبر.

وقد تكون الاستدارة بحدي ما أصله المبتدأ والخبر، مثل قول الله تعالى:

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (٧٣)

فبدأت الآية بإن وخبرها المقدم (إن في خلق)، ولم يأت اسمها المقدم المسبوق باللام المزحلقة الزائدة للتوكيد إلا في آخر الآية (آيات)

ومن الاستدارة التي تكون بحدي ما أصله المبتدأ والخبر قول عبد الحميد الكاتب: (... فإن أمير المؤمنين عندما اعترم عليه من توجيهك إلى عدو الله الجلف الجافي الأعرابي المتسكع في حيرة الجهالة، وظلم الفتنة، ومهاوي الهلكة، ورعاعه الذين عاثوا في الأرض فسادا، وانتهكوا حرمة الإسلام استخفافا، وبدلوا نعمة الله كفرا، واستحلوا دماء أهل سلمه جهلا، أحب أن يعهد إليك في لطائف أمورك وعوام شئونك، ودخائل أحوالك،....." (٧٤)

فبدأ بإن واسمها (فإن أمير المؤمنين)، وأنهى استدارته بخبر (إن أحب)، وفصل بينهما ما يريد أن يوضحه.

#### (٤-١) فائدة الاستدارة

لاستخدام أسلوب الاستدارة في الكلام فوائد جمة منها:

١. أنها أقرب إلى الحفظ وأسرع في الفهم؛ إذ إنها مقسمة سواء أكان بين أقسامها تضاد أو تقابل. وبضدها تتميز الأشياء، أم كان بين أجزائها توازن وسجع يعين على الحفظ لتساوي المصارع في الطول، قال ابن رشد معلقا على هذا الأسلوب وهو يلخص كلام أرسطو عن الجملة الدورية: "والكلام بهذه الصفة لذيد، وذلك أن الأشياء المتضادة تكون أعرف إذا وضع بعضها إلى حيال بعض، ذلك أنها تعلم من وجهين:

بذاتها وزيادة أي بمقايستها إلى الضد"، أو كانت مضارعة فتشابه أوائل الفصول ونهايتها يعين على الحفظ ويساعد على الفهم،، أو قد يكون بها عطف لتساوي الحكم فييسر معرف الشيء بمساويه

٢. تثير الشوق وتمتع الوجدان: إذ هي عبارة عن لوحات تتعلق الأنفاس بأبياتها حتى تمامها، إذ إنها تميل إلى الأسلوب القصصي والنفس تميل إلى القصص، والحكايات الاستطاردية، والاستطراد ينفي ملل التعمق في الموضوع، وتقيس النظر بنظيره والمشابهة مرتبطة بنوازع الإنسان فهو يميل إلى تمثيل المعنوي بالحسي وما لا يعرف تفاصيله إلى ما يعرفها، ففسر النفس بازديادها فهما للشيء بتشبيهه بشيء تعرف تفاصيله.

٣. ألد في السمع: إذ إنها تسمح بالجمع بين الضدين، قال ابن رشيق: " الكلام بهذه الصفة لذيد، وذلك أن الأشياء المتضادة تكون أعرف إذا وضع بعضها إلى حيال بعض، وذلك أنها تعلم من وجهين: بذواتها وزيادة، أي بمقايستها إلى الضد. تسمح بطول النفس فتيسر تفصيل الفكرة بحيث يصل للمستمع المعنى كاملا والصورة كاملة، ويستطيع الشاعر عن طريقها أن يعبر عن هواه وأشواقه ويثبت مهارته وحسن صناعته.

الأسلوب القصصي : تتيح للأديب باستعمال القصص في توضيح فكرته. إثراء المعنى بما يفيد: إذ إنها تسمح بطول النفس، فيستطيع الأديب أن يوضح فكرته ويسطها فيثريها.

تربط بين الأشياء التي ليس بينها رابط فيعطي معرفة بعلاقة الأشياء ببعضها ببعض، وذلك لفائدة التشبيه الذي يشبه شيئا بشيء.

ربط أول الكلام بآخره: إذ بهذا الربط يقوم أسلوب الاستدارة بالربط بين ركني الجملة أو الأسلوب.

الاستدارة تحتوي على صور وتشبيه: فهي تستخدم الصورة كوسيلة من وسائل التشبيه وباستخدام الصنعة في التركيب تميز أسلوبها و ولذلك وجدنا د. الرباعي يسميه التشبيه الدائري، وللصنعة في التعبير وجدنا ابن رشيق يسميها التفريع وابن منقذ يطلق عليه النفي الجحود، لكونه تشبيه غير معهود يختلف عن التشبيه العادي الذي عهدوه.



( ٤-٢ ) دواعي الاستدارة:

للاستدارة دواعي كثيرة تستدعيها ويحسن أن يعرض المعنى في ثوبها، وذلك إذا كانت :

١. استجابة لانبساط فكرة في الذهن. أو صورة أو موقف شعوري يستغرق وقتاً تتداعى فيه عناصر الاستدارة وترتبط أجزاؤها فسترسل الفكر والخيال حتى يصل إلى الغاية التي يكتمل عندها ذلك المعنى القائم بالنفس والموقف الشعوري في صورة متكاملة العناصر

يمكن أن تتمثل حين تنبسط صورة في الذهن أو فكرة أو موقف شعوري يستغرق وقتاً ما، تتداعى فيه عناصر الاستدارة، وترتبط أجزاؤها، ويسترسل الفكر أو الخيال حتى يصل إلى الغاية التي يكتمل عندها ذلك المعنى القائم في النفس أو الموقف الشعوري في صورة متكاملة العناصر، متداعية الأجزاء، ويعمل عقل الفنان وخياله، وتدفعه العاطفي وذوقه في صياغتها صياغة حية، وإثرائها بالصور التي يرتبك بعضها ببعض برباط وثيق يجمعها في لوحة متناسقة.

( ٤-٣ ) الخاتمة وأهم النتائج:

وجد فن الاستدارة طريقه عبر كثير من الأدباء العرب في مختلف فنون الأدب بدءاً من العصر الجاهليمروراً بالعصور التالية، فلم يكن هذا الفن حكراً على فن واحد أو أديب واحد أو شاعر واحد فقط، بل كان هذا الفن منتشرًا - كما مثلنا- بين عديد من فنون الأدب وعبر أكثر من أديب من أدباء العربية وشاعر من شعرائها، ولم تقتصر على فن واحد فقط من فنون العربية فوجدنا هذا الفن في الشعر والنثر، بل وجدناه في القرآن الكريم؛ ونضرب مثلاً للشعراء الجاهليين والمخضرمين الذين انتشر هذا الفن في شعرهم؛ فنجد أن الأعشى والنابغة الذبياني كانا من أكثر الشعراء الجاهليين استخداماً لهذا الأسلوب في شعرهما وتبعهما: النابغة الشيباني، وأبو ذؤيب الهذلي، وقيس بن الحداذية، وساعدة الهذلي، والخنساء، وعبيد بن الأبرص، ومتمم اليربوعي، وكعب بن زهير، أوس بن حجر، والمسيب بن علس، وحاجز الأزدي، وخفاف بن ندبة، وقيس بن الخطيم، وعنترة

بن شداد، وطفيل الغنوي، وانتشرت في العصور التالية، وإن لم ينظر النقاد هذا الفن إلا في عصور تالية، حتى استقر هذا المصطلح في العصر الحديث.

وقد ظهرت الاستدارة في الأدب العربي القديم في أربعة أشكال فنية وهي:

١- ما يكون في معرض المساواة. ٢- ما يكون في معرض التوكيد.

٣- ما يكون بحدي المبتدأ والخبر. ٤- ما يكون بحدي الشرط والجواب.

فهذه أربعة أساليب استخرجتها مما ظهرت في معرضه الاستدارة في الأدب

العربي، وقد ذكرت أمثلة لها في البحث.

ولقد كان فن الاستدارة ضروريا لما له من فوائد في المعاني فهو:

١- يساعد على الحفظ، ويعين على سرعة الفهم؛ لما يساعده التقسيم بها من

تضاد أو تقابل.

٢- يثير الشوق ويمتع الوجدان لارتباط النفوس باكمال اللوحة والأسلوب

القصصي، فيسر النفس بازديادها فهمها للشيء بتشبيهه بشيء تعرف تفاصيله، وتساعد

الأديب على توضيح فكرته.

٣- يلذ السمع: بسماحه بطول النفس؛ فيعطي مجالا لتفصيل الفكرة بحيث يصل

المعنى للمستمع كاملا وتصل الصورة كاملة.

٤- يساعد على إثراء المعنى وبسطه بما يفيد.

٥- يربط بين الأشياء التي ليس بينها رابط، ويربط أول الكلام بآخره، فيعطي

معرفة بعلاقة الأشياء بعضها.

وقد ذكرت اختلافات الباحثين في المصطلح، وما ارتضيته من مصطلح لهذا

الفن، وأن الاختلافات لم تكن اختلافات تناقض بعضهم ينكر الفن وبعضهم يثبته، ولكنها

مشكلة المصطلح على مدى كل العصور، إذ كل منهم يأخذ جزءا ويطلق عليه مصطلحا،

وبعضهم يستسيغ مصطلحا والآخر يفضل غيره، وأظني جمعت الأشتات وارتضيت لها

مصطلح الاستدارة.



( ٥-١ ) أهم المصادر والمراجع :

(١) الاستدارة عند العرب مع التطبيق على شعر الأعشى، د. أحمد عبد التواب عوض، مجلة فكر وإبداع، رابطة الأدب الحديث بالقاهرة، الجزء الثامن والعشرون، عدد مايو ٢٠٠٥م.

(٢) الاستدارة في البيان العربي، أ.د. أحمد محمد النجار، مجلة فكر وإبداع، رابطة الأدب الحديث بالقاهرة، الجزء الثلاثون، سبتمبر ٢٠٠٥م.

(٣) أمالي المرتضي (علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين)، تحقيق محمد بدر الدين النعساني الحلبي، ط: مصر، ١٩٠٧م.

(٤) أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم المدني (علي صدر الدين بن أحمد بن محمد الحسني الحسيني المعروف بعلي خان ميرزا أحمد، ١٠٥٢.١١١٩هـ)، حققه وترجم لشعرائه، شاعر هادي شكر، ط مطبعة النعمان، النجف الأشرف سنة ١٩٦٩م = ١٣٨٩هـ.

(٥) البديع، لابن المعتز، تحقيق وتعليق اغناطيوس كراتشوفسكي، مكتبه المثني، بغداد، ط٢، 1967م.

(٦) البديع في الشعر ونقده، أسامة بن منقذ(ت: ٥٨٤هـ)، تحقيق أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد الحميد، ط البابي الحلبي سنة ١٩٦٥م.

(٧) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، نجيب البهيتي (١٩٠٨م. ١٩٩٢م)،، دار الأندلس، بيروت، سنة ١٩٨٠م.

(٨) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع المصري (عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر)، (٥٩٢. ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق د. حفني محمد شرف، ط المجلس الأعلى للثنون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي (الكتاب الثاني)، ١٩٦٣م.

- (٩) التشبيه الدائري في الشعر الأموي وموازنته بالشعر الجاهلي، د. إسماعيل أحمد العالم، بحث منشور بمجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، عدد ٧٩، إبريل ٢٠٠٠م.
- (١٠) التشبيه الدائري في الشعر الجاهلي، د. عبد القادر الرباعي، بحث منشور بالمجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، العدد السابع عشر، المجلد الخامس، سنة ١٩٨٥م.
- (١١) التضمن العروضي والشعر العربي، د. سيد البحراوي، بحث منشور بمجلة فصول ٧م، ع ٣، ٤، إبريل وسبتمبر ١٩٨٧م.
- (١٢) تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، شكري فيصل (١٩١٨. ١٩٨٥م)، ط جامعة دمشق، سنة ١٩٦٢م.
- (١٣) التقطيع النظمي والتمفصل الدلالي، د. يوسف إسماعيل، بحث منشور بمجلة التراث العربي، عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق عدد ٨٧/٨٦ أغسطس ٢٠٠٢.
- (١٤) تلخيص الخطابة، ابن رشد، حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي الناشر وكالة المطبوعات الكويت، ودار القلم بيروت لبنان، د. ت. توقيع المقدمة في صيف سنة ١٩٥٩م.
- (١٥) الجمان في تشبيهات القرآن، ابن نايقا البغدادي (عبد الله بن محمد بن الحسين أبو القاسم، ٤١٠. ٤٨٥هـ).
- (١٦) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، السيد المرحوم أحمد الهاشمي (أحمد بن إبراهيم بن مصطفى: ١٢٩٥. ١٣٦٢هـ = ١٨٧٨. ١٩٤٣م)، ط دار الفكر بيروت سنة ١٩٧٨م. ص ٣٨٦.
- (١٧) الخطابة "الترجمة العربية القديمة"، أرسطوطاليس، حققه وعلق عليه: عبد الرحمن بدوي، الناشر: وكالة المطبوعات الكويت، ودار القلم بيروت، كتبت المقدمة في باريس صيف ١٩٤٩م، ط: سنة ١٩٧٩م.
- (١٨) دفاع عن البلاغة، لأحمد حسن الزيات، مطبعة الرسالة، سنة ١٩٤٥م.

- ١٩) ديوان ابن الرومي، شرح الأستاذ أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة النشر: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٢٠) ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) شرح وتعليق، د. محمد محمد حسين ط دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ط ٢ سنة ١٩٧٢م.
- ٢١) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: حمدو طماس، ط دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ٢، ٢٠٠٧م.
- ٢٢) شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، صفي الدين الحلبي (عبد العزيز بن سرايا بن علي السننسي الحلبي ٦٧٧. ٧٥٠هـ)، تحقيق نسيب تشاوي، دار صادر بيروت سنة ١٩٩١.
- ٢٣) الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية، د. عز الدين إسماعيل، ط دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، سنة ١٩٦٧م.
- ٢٤) شعر الهذليين في العصر الجاهلي والإسلامي، د. أحمد كمال زكي، دار الكتاب العربي، القاهرة، سنة ١٩٦٩م.
- ٢٥) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ط مصر سنة ١٨٩٧م.
- ٢٦) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، د. نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن سنة ١٩٧٦م.
- ٢٧) الصورة الفنية في الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، د. علي البطل، دار الأندلس، بيروت، سنة ١٩٨٠م.
- ٢٨) طبقات الشعراء، ابن المعتز. دراسة وتحقيق: د. محمد بديع شريف، دار المعارف، القاهرة. ١٩٧٧ [ذخائر العرب: ٥٤].
- ٢٩) الطراز، يحيى العلوي (ت: ٧٢٩هـ)، ط المقتطف مصر سنة ١٩١٤م.
- ٣٠) ظاهرة التضمن العروضي في شعر الأعشى دراسة في المفهوم والوظيفة، بحث ضمن كتاب له بعنوان: "قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي" د. موسى ربابعة، طبع مكتبة الكتاني، ودار الكندي بالأردن سنة ٢٠٠١م.
- ٣١) العصر الجاهلي، شوقي ضيف، ط دار المعارف ص ٣٦٥.



- (٣٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، ٢٠٠٦م.
- (٣٣) فن التشبيه، د. علي الجندي، ط مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٨٢م.
- (٣٤) الفهرست، ابن النديم، بتحقيق: د. محمد عوني عبد الرؤوف، و د. إيمان السعيد جلال، طبعة سلسلة الذخائر الأعداد ١٤٩، ١٥٠.
- (٣٥) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت، لبنان ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.
- (٣٦) الكامل في اللغة والأدب، المبرد (محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي: ٢٧٦.٢١٠ هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، والسيد شحاتة، ط مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٥٦م.
- (٣٧) الكامل، للمبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، والسيد شحاتة، مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٥٦م.
- (٣٨) لسان العرب، ابن منظور، ط دار صادر، بيروت.
- (٣٩) مختصر السعد شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم، التفتازاني (سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله، ت ٧٩٢هـ)، سعد الدين التفتازاني، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، ط المكتبة العصرية، صيدا، بيروت
- (٤٠) المصطلحات البلاغية والنقدية في كتاب الطراز للعلوي، د. عبد الرازق أبو زيد زايد، ط مكتبة الشباب القاهرة سنة ١٩٨٩م.
- (٤١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط ٣، سنة ١٩٨٥ = ١٤٠٥م.
- (٤٢) معجم لاروس (معجم فرنسي فرنسي) *dictionnairefr.Larousse*. مادة ((la période)).
- (٤٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، بتحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ٣، سنة ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م، ط مكتبة الخانجي، مصر.

- ٤٤) معيار النظار في علوم الأشعار، الزنجاني (عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الخزرجي (ت: ١٢٥٥هـ. ١٢٥٧م).
- ٤٥) المفضليات، المفضل الضبي، شرح وتحقيق/ أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون،
- ٤٦) مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، دار الحقائق، بيروت سنة ١٩٨٠م.
- ٤٧) من جماليات تشبيه الاستدارة في الشعر الأموي، د. إسماعيل أحمد العالم، بحث منشور بالمجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، العدد ٧٨، ربيع ٢٠٠٢م.
- ٤٨) مواد البيان، لعلي بن خلف (ت: ٤٥٦ أو ٤٦٣هـ)، تحقيق د. حسين عبد اللطيف، نشر في سلسلة منشورات جامعة الفاتح بليبيا سنة ١٩٨٢م.
- ٤٩) مواهب الفتح في شرح التلخيص، للفتازاني، دار السرور، بيروت، لبنان.
- ٥٠) موسيقى الشعر عند جماعة أبولو، د. سيد البحراوي، دار المعارف ن القاهرة سنة ١٩٨٦م.
- ٥١) النابغة الذبياني، د. عمر الدسوقي، ط دار الفكر العربي، القاهرة سنة ١٩٦٠م.
- ٥٢) نماذج في النقد الأدبي، إيليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، سنة ١٩٦٩م.
- ٥٣) نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ابن عبد الدائم القرشي التيمي البكري) (٦٧٧. ٧٣٣هـ)، ط دار الكتب المصرية.

## (٦-١) الهوامش:

- (١) البديع، ابن المعتز، المقدمة.
- (٢) لسان العرب، ابن منظور، ط دار المعارف، " دور " ٢٩٦/٤.
- (٣) ابن منظور " دور " ٢٩٧/٤.
- (٤) القاموس المحیط، الفيروز آبادي، مجد الدين، " دور " ٥٠٤/١، وابن منظور " دور " ٢٩٧/٤.
- (٥) المصباح المنير، الفيومي، " دور " ٢٠٢/١.
- (٦) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق رقم (٣١٩٧)، وفي المغازي رقم (٤٤٠٦)، وفي تفسير القرآن رقم (٤٦٦٢)، وفي كتاب الأضاحي رقم (٥٥٥٠)، وفي كتاب التوحيد رقم (٧٤٤٧).
- (٧) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط ٣، سنة ١٤٠٥=١٩٨٥م، " دور " ٣١٣/١.
- (٨) المعجم الوسيط " دور " ٣١٢/١.
- (٩) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، بتحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ٣، سنة ١٤٠٢. ١٩٨١م، ط مكتبة الخانجي، مصر، ج ٢ ص ٣١٠.
- (١٠) انظر: دفاع عن البلاغة، الزيات، ص ١١٢.
- (١١) دفاع عن البلاغة ص ١١٢.
- (١٢) معجم لاروس ((la période)).
- (١٣) الخطابة (الترجمة العربي القديمة)، أرسطوطاليس، حققه وعلّق عليه عبد الرحمن بدوي، الناشر: وكالة المطبوعات بالكويت، دار القلم بيروت، كتبت المقدمة في باريس صيف ١٩٤٩م، ص ٢٠٨.
- (١٤) انظر: دفاع عن البلاغة، الزيات، ص ١١٢.
- (١٥) انظر: الكامل في اللغة والأدب، المبرد (محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي: ٢٧٦.٢١٠هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، والسيد شحاتة، ط مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٥٦م، ١٦٥/٣.
- (١٦) انظر: العمدة في محاسن الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني (الحسن بن أبو علي، ٤٥٦.٣٩٠هـ)، ط دار الجليل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ٤٢/٢ - ٤٤. وانظر: مواد البيان، لعلي بن خلف (ت: ٤٥٦ أو ٤٦٣هـ)، تحقيق د. حسين عبد اللطيف، نشر في سلسلة منشورات جامعة الفاتح بليبيا سنة ١٩٨٢ ص ٣٣٧.٣٣٦. (ألف الكتاب سنة ٤٣٧هـ كما نص في ثنايا كتابه، واتجه كل منهما إلى معالجة الاستدارة تحت عنوان التفریع.
- (١٧) انظر: معيار النظار في علوم الأشعار، الزنجاني (عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الخزرجي (ت: ٦٥٥. ١٢٥٧م)، وانظر: الطراز، يحيى العلوي (ت: ٧٢٩هـ)، ط المقتطف مصر سنة ١٩١٤، ١٣/٣، وانظر: المصطلحات البلاغية والنقدية في كتاب الطراز للعلوي، د. عبد الرازق أبو زيد زايد، ط مكتبة الشباب القاهرة سنة ١٩٨٩ ص ١٠٥. ١٠٦. وانظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري) (٦٧٧. ٧٣٣هـ)، ط دار الكتب المصرية، ١٦٠/٧، وانظر: مختصر السعد شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم، الفتازاني (سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله، ت



٤١٥. (٧٩٢هـ)، سعد الدين التفتازاني، تحقيق د. عبد الحميد هندواوي، ط المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ص ٤١٥.
- ٤١٩، وانظر: مواهب الفتح في شرح التلخيص، دار السرور، بيروت، لبنان، ص ٣٨٣. ٣٨٥.
- (١٨) انظر: الجمان في تشبيهات القرآن، ابن نايقا البغدادي (عبد الله بن محمد بن الحسين أبو القاسم، ٤١٠هـ. ٤٨٥هـ)، ص ١٠٨.
- (١٩) انظر: تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع المصري (عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر، ٥٩٢. ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق د. حفيظ محمد شرف، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي (الكتاب الثاني) ص ٣٧٢. ٣٧٤.
- (٢٠) انظر: أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم المدني (علي صدر الدين بن أحمد بن محمد الحسني الحسيني المعروف بعلي خان ميرزا أحمد، ١٠٥٢. ١١١٩هـ)، حققه وترجم لشعرائه، شاعر هادي شكر، ط مطبعة النعمان، النجف الأشرف سنة ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م. ج ٦ ص ١١١.
- (٢١) انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد المرحوم أحمد الهاشمي (أحمد بن إبراهيم بن مصطفى: ١٢٩٥. ١٣٦٢هـ = ١٨٧٨. ١٩٤٣م)، ط دار الفكر بيروت سنة ١٩٧٨م. ص ٣٨٦.
- (٢٢) جلال الدين القزويني (٦٦٦. ٧٣٩هـ) وفي ص ٣٧٩ يذكر له تعريفاً آخر، وكذلك العباسي (٨٦٧هـ. ٩٦٣هـ).
- (٢٣) البديع في الشعر ونقده، أسامة بن منقذ (ت: ٥٨٤هـ)، تحقيق أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد الحميد، ط البايي الحلبي سنة ١٩٦٥م ص ١٢٣.
- (٢٤) شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، صفي الدين الحلبي (عبد العزيز بن سرايا بن علي السنوسي الحلبي ٦٧٧. ٧٥٠هـ)، تحقيق نسيب تشاوي، دار صادر بيروت سنة ١٩٩١، ص ٣٠٣. ٣٠٤.
- (٢٥) فنجد أرسطو يترجم عنه قوله عن الاستدارة بالمقال الدوري، وابن رشيق يضع له مصطلح التفريع، وأسامة ابن منقذ يضع له مصطلح النفي والجحود، وغيرهم... انظر موضعه في هذا البحث.
- (٢٦) فنجد، عبد القادر الرباعي، وإسماعيل العالم يدرسه تحت مصطلح: التشبيه الدائري، وموسى رابعة، وسيد البحراري في التضمين العروضي... وغيرهم، فلم أجد من يدرس الاستدارة مينا كل جوانبها وأنواعها، (انظر: موضعه في هذا البحث)، أما من درسه تحت مصطلح الاستدارة: انظر: الاستدارة عند العرب، د. أحمد عبد التواب عوض، مجلة فكر وإبداع، صادرة عن رابطة الأدب الحديث، الجزء الثامن والعشرون، عدد مايو ٢٠٠٥م، وانظر: الاستدارة في البيان العربي، أ.د. أحمد محمد النجار، مجلة، مجلة فكر وإبداع، صادرة عن رابطة الأدب الحديث، الجزء التاسع والعشرون، عدد أغسطس ٢٠٠٥م.
- (٢٧) استشهد بأربعة أبيات للنابعة: انظر: الزيات دفاع عن البلاغة ص ١١٢.
- (٢٨) دفاع عن البلاغة، ص ١١٢.
- (٢٩) وقد طبع ديوان الأعشى الكبير بتحقيق محمد محمد حسين أول مرة سنة ١٩٥٠م بالمقدمة التي بها الدراسة التي ذكر فيها الاستدارة.

- (٣٠) مقدمة ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) شرح وتعليق، د. محمد محمد حسين ط دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ط ٢ سنة ١٩٧٢ ص ٤٠.
- (٣١) انظر: مقدمة ديوان الأعشى الكبير، د. محمد محمد حسين، ص ٤٥، والأبيات في الديوان ١: ٣٨، ٤١.
- (٣٢) انظر: السابق نفسه، والأبيات في الديوان ٥: ٤٣، ٤١.
- (٣٣) انظر: السابق نفسه، ص ٤٥، ٤٦، والأبيات في الديوان ٥٨: ١٣، ٦١.
- (٣٤) الاستدارة عند العرب مع التطبيق على شعر الأعشى، د. أحمد عبد التواب عوض، مجلة فكر وإبداع، رابطة الأدب الحديث بالقاهرة، الجزء الثامن والعشرون، عدد مايو ٢٠٠٥م.
- (٣٥) الاستدارة في البيان العربي، أ.د. أحمد محمد النجار، مجلة فكر وإبداع، رابطة الأدب الحديث بالقاهرة، الجزء الثلاثون، سبتمبر ٢٠٠٥م.
- (٣٦) انظر: معالجتنا لأنواع الاستدارة في بحثنا هذا.
- (٣٧) انظر: تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، شكري فيصل (١٩٦٨، ١٩٨٥م)، ط جامعة دمشق، سنة ١٩٦٢م، ص ١٧٧.
- (٣٨) انظر: من جماليات تشبيه الاستدارة في الشعر الأموي، د. إسماعيل أحمد العالم، بحث منشور بالمجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، العدد ٧٨، ربيع ٢٠٠٢، ص ١١٩، ١٤٩.
- (٣٩) انظر: التشبيه الدائري في الشعر الجاهلي، د. عبد القادر الرباعي، بحث منشور بالمجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، العدد السابع عشر، المجلد الخامس، سنة ١٩٨٥م، وانظر: التشبيه الدائري في الشعر الأموي وموازنته بالشعر الجاهلي، د. إسماعيل أحمد العالم، بحث منشور بمجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، عدد ٧٩، إبريل ٢٠٠٠.
- (٤٠) انظر: تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، نجيب البهيتي (١٩٠٨، ١٩٩٢م)، دار الأندلس، بيروت، سنة ١٩٨٠، ص ٩٥، وانظر: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، د. نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن سنة ١٩٧٦م، ص ١٧٩.
- (٤١) انظر: تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، نجيب البهيتي، ص ٩٥.
- (٤٢) انظر: إيليا حاوي، نماذج في النقد الأدبي، دار الكتاب اللبناني، سنة ١٩٦٩م، ص ٣٠٤.
- (٤٣) انظر: فن التشبيه، د. علي الجندي، ط مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٨٢، ج ٣ ص ١٣٨.
- (٤٤) كتاب الكامل، للمبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، والسيد شحاتة، مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٥٦م، ٣/ ١٦٥.
- (٤٥) انظر: النابغة الذبياني، د. عمر الدسوقي، ط دار الفكر العربي، القاهرة سنة ١٩٦٠م، ص ٢٠٥.
- (٤٦) العصر الجاهلي، شوقي ضيف، ط دار المعارف ص ٣٦٥.
- (٤٧) انظر: التضمن العروضي والشعر العربي، د. سيد البحراوي، بحث منشور بمجلة فصول ٧م، ص ٤٤، ٣، إبريل وسبتمبر ١٩٨٧ ص ٩١، ٩٧.



- (٤٨) انظر: ظاهرة التضمن العروضي في شعر الأعشى دراسة في المفهوم والوظيفة، بحث ضمن كتاب له بعنوان: "قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي" د. موسى زبارة، طبع مكتبة الكتاني، ودار الكندي بالأردن سنة ٢٠٠١، ص ١١٢.٧١.
- (٤٩) انظر: شعر المهذلين في العصر الجاهلي والإسلامي، د. أحمد كمال زكي، دار الكتاب العربي، القاهرة، سنة ١٩٦٩م، ص ٣٥٨ وما بعدها.
- (٥٠) انظر: مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، دار الحقائق، بيروت سنة ١٩٨٠، ص ٣٠١.
- (٥١) انظر: الصورة الفنية في الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، د. علي البطل، دار الأندلس، بيروت، سنة ١٩٨٠م، ص ٢١٨.
- (٥٢) التقطيع النظمي والتفصل الدلالي، د. يوسف إسماعيل، بحث منشور بمجلة التراث العربي، عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق عدد ٨٧/٨٦ أغسطس ٢٠٠٢.
- (٥٣) انظر: الشعر العربي المعاصر، قضايا وظواهره الفنية، د. عز الدين إسماعيل، ط دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، سنة ١٩٦٧ ص ١٠٩، وانظر موسيقى الشعر عند جماعة أبولو، د. سيد البحراوي، دار المعارف ن القاهرة سنة ١٩٨٦م ص ١٩٦.
- (٥٤) كما استشهد الزيات بمثاله عن الجاحظ. (انظر: دفاع عن البلاغة ص ١١٢).
- (٥٥) كما استشهد د. محمد محمد حسين على ذلك في مقدمة تحقيقه لديوان الأعشى، انظر: ص ٤٥.
- (٥٦) الأبيات من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب من بحر المتقارب، الديوان ص ٨٦.٨١.
- (٥٧) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: حمدو طماس، ط دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ٢٠٠٧، ص ٣٧.
- (٥٨) جاشت: اضطرت، الغوارب: أعالي الموج، وفي رواية: "إذا هب الرياح له". الأواذي: جمعا لأذي وهو الموج، والعبرين: الضفتين، والزبد: رغوة الماء.
- (٥٩) لجب: ذو صوت. البيوت: نوع من الشجر ذو أشواك، والخضد: النبات والأغصان المتكسرة.
- (٦٠) السيب: العطاء. النافلة: المزيد.
- (٦١) المفضليات، المفضل الضبي، ٤٣/١.
- (٦٢) صهباء: شقراء أو حمراء. تعلق: ترفع. الناجود: المصفاة. تقدح: تعرف بالقدح. سباء الدن: احتوائه عليها. قرمد: طين يوضع على فم الدن. تروح: تعرض للريح لتبرد. سبأها: اشتراها. جيلان: قوم من الديلم كان كسرى يتخذهم عمالا على البحرين. أنصح: أخلص وأطيب.
- (٦٣) الديوان ص ٥١.٤٩.
- (٦٤) ديوان ابن الرومي، شرح الأستاذ أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة النشر: ١٤٢٣ - ٢٠٠٢، ج ٢، ص
- (٦٥) طبقات الشعراء، ابن المعتز، ص: ١٣٣.
- (٦٦) خزانة الأدب، للحموي ص ٥٠٥.
- (٦٧) الانفطار: ١-٥.

- (٦٨) التكوير: ١-١٤.
- (٦٩) التوبة: ٢٤.
- (٧٠) دفاع عن البلاغة، ص ١١٢.
- (٧١) الشمس: ١-٩.
- (٧٢) من قصيدة يهجو بها عمير بن عبد الله بن المنذر بن عبدان، ديوان الأعشى، ص ١٨٨-١٨٤.
- (٧٣) البقرة/ ١٦٤.
- (٧٤) صبح الأعشى، ٤/ ١٦٥.

# وظيفية الخطاب النحوي في مناهج تدريس العربية للناطقين بغيرها

دكتور/محمد عدیل عبد العزیز علی

مدرس العلوم اللغوية

في جامعة الإمارات العربية المتحدة

بالتصميم وتقديم

أ. د. محمد عبد الحليم محمد

أ. د. محمد عبد الحليم محمد

أ. د. محمد عبد الحليم محمد

أ. د. محمد عبد الحليم محمد

[صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة، فهو علم بكيفية لا نفس كيفية، فليست نفس الملكة، وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علمًا، ولا يحكمها عملاً. مثل أن يقول بصير بالخياطة غير مُحكم لمملكته في التعبير عن بعض أنواعها: الخياطة هي أن يدخل الخيط في خرت الإبرة ثم يغرزها في لفقي الثوب مجتمعين، ويخرجها من الجانب الآخر بمقدار كذا، ثم يردها إلى حيث ابتدأت، ويخرجها قدام منفذها الأول، بمطرح ما بين الثقبين الأولين، ثم يتمادى على ذلك إلى آخر العمل، ويعطي صورة الحبك والتثيت والتفتيح وسائر أنواع الخياطة وأعمالها. وهو إذا طُوب أن يعمل ذلك بيده لا يحكمُ منه شيئاً. وكذا لو سئل عامل بالنجارة عن تفصيل الخشب فيقول: هو أن تضع المنشار على رأس الخشبة، وتمسك بطرفه، وآخرُ قبالتك ممسك بطرفه الآخر، وتتعاقبانه بينكما، وأطرافه المضرسة المحددة تقطع ما مرت عليه ذاهبة وجائية، إلى أن ينتهي إلى آخر الخشبة. و هو لو طُوب بهذا العمل أو شيء منه لم يحكمه. وهكذا العلم بقوانين الإعراب مع هذه الملكة في نفسها، فإن العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل وليس هو نفس العمل. ولذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة، والمهرة في صناعة العربية، المحيطين علما بتلك القوانين، إذا سُئل في كتابة سطرين إلى أخيه أو ذي مودته أو شكوى ظلامه أو قصد من قصوده أخطأ فيه عن الصواب، وأكثرَ من اللحن، ولم يجد تأليف الكلام لذلك، والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربي. وكذا نجد كثيرا ممن يحسن هذه الملكة، ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور، وهو لا يحسن إعراب الفاعل من المفعول، ولا المرفوع من المجرور، ولا شيئا من قوانين صناعة العربية. فمن هذا تعلم أن تلك الملكة هي غير صناعة العربية، وأنها مستغنية عنها بالجملة] ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، [الفصل الخمسون: في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية، ومستغنية عنها في التعليم]، ص ٣٨٥.

النحو ضابط السلامة اللغوية ومعياري صحتها، وهو متن العربية وجوهر بنيتها. وإن الغاية الأساسية التي نشأ من أجلها - ألا وهي ضبط اللغة وعصمة اللاحنين - فرضت على هذا النحو "أن يتسم في جملته بسمة النحو التعليمي لا النحو العلمي، أو عبارة أخرى أن يكون في عمومته نحوا معياريا لا نحوا وصفيا. ولعل أحسن تلخيص لموقف النحو العربي من



هذه الناحية المعيارية هو قول ابن مالك في ألفيته: فما أبيع أفعل ودع ما لم يبيع" (د. تمام حسان، ٢٠٠٧، ص ١٣).

إلا أنه عقب تلك النشأة التعليمية الخالصة سلك النحاة مسلكاً آخر حينما "تخطوا هذه الغاية وانصرفوا إلى غيرها بحثاً عن العامل المسبب للحركة الإعرابية على أواخر الكلم، ولم يعد القول المشهور [الإعراب فرع على المعنى] يبرز أمامهم إلا لماماً، فاهتموا بوضع المصطلحات النحوية، حتى غدت أعمالهم جلها تقوم على العامل والتعليل والتأويل، والخوض فيما لا يحتاجه العالم المتقن فضلاً عن المتعلم الشادي" (د. أحمد خليل عمارة، ١٩٨٤، ص ١٥ - ١٦).

وقد اقترن النحو العربي في بدايته بدراسة أحوال الألفاظ، ثم انتقلت الفكرة إلى المتأخرين الذين قصروا النحو على الإعراب والبناء، ولذلك كان النحو عند أغلبهم "علم يُبحث فيه عن أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءً. وموضوعه الكلم العربي من حيث ما يعرض له من الإعراب والبناء" (د. محمد حماسة، ٢٠٠٠، ص ٢٥). وصار النحو التقليدي هو "نحو القاعدة أو الشكل، الذي شاع واستقر في الممارسة التأليفية والتعليمية للنحو العربي، وقوامه تقديم القاعدة النحوية مع شرح وتحليل وأمثلة وشواهد وتعليقات، يؤدي فهمها إلى السلامة في اللغة العربية من الناحية النحوية" (د. حسن الملوخ، ٢٠٠٢، ص ١٥٦ - ١٥٧).

وقد اكتسب النحو العربي نزعةً تجريديةً أحياناً، فُدم لها تفسيرٌ مفاده: "أنه حين نظر النحاة في اللغة العربية واستعمالها وجدوا أن ظروف الاستعمال تنأى عن طابع الاطراد، وأن من المستعمل ما هو شاذ أو قليل أو نادر أو لغة تقوم بعينهم، وأن هذا الاستعمال غير المطرد يقف جنباً إلى جنب في حقل الفصاحة مع المطرد من الاستعمال، حتى كان من قواعدهم العامة قولهم: الشذوذ لا يُنافي الفصاحة.

ومن الواضح أن واضع القاعدة كان يسعى إلى العثور على وضعٍ مثاليٍ يطرد فيه الاستعمال في كل الحالات، حتى تكون القاعدة تلخيصاً مطلقاً لسلوك المفردات... ومن ثم كان على النحاة أن يلجأوا إلى التجريد العقلي ليجردوا من المستعمل هيكلاً بنوياً عقلياً معيارياً، يهيمن على المستعمل، ويعد نقطة انطلاقاً لتفسيره. وهكذا نشأ أصل الوضع وأصل القاعدة في أذهان النحاة دون أن يجري بهما الاستعمال" (د. تمام حسان، ١٩٨٤،

وقد عرف ابن جنّي النحو في خصائصه بأنه "انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه، من إعراب وغيره: كالتثنية، والجمع، والتحقيق، والتكسير، والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك؛ ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها" (ابن جنّي، ج ١، ص ٣٤). والظاهر من التعريف السابق أمران، أولهما: أن ابن جنّي لم يقصر النحو على الإعراب، بل عدّه أشمل من ذلك بكثير، بعدما أضاف إليه المباحث الصرفية والنحوية، لكن اهتمامه بالإعراب جعله يغلب على الأصل. وثانيهما: أن علم النحو لم يُوضع أساساً للعرب، وإنما كان ذا نزعة تعليمية موجّهة للموالي.

ولكن على الرغم من ذلك لم يراع هذا الخطاب النحوي التعليمي حاجات الدارسين من غير العرب، وخاطب العرب وحدّهم، بل إننا يمكننا الجزم أن "النحو العربي المدون في كتب النحاة لم يصمم منهجياً لغايات تعليم العربية للناطقين بغيرها... وأن النحو العربي الذي وضعه النحاة ذو سمت موافق لسمت النحو الذي كان الناطقون بالعربية يجترونها، وهو سمت يكاد يختلف تماماً عن ذلك السمت الخاص، الذي يسم لحن الناطقين بغير العربية" (د. عمر يوسف عكاشة، ٢٠٠٣، ص ٢٦). وبناءً عليه نصل إلى نتيجة شبه مؤكدة، هي أن الخطاب النحوي التقليدي أُلّف وصمّم للمتعلمين من أبناء العربية الناطقين بها.

### ■ واقع تعليم العربية لغير أبنائها

[١] افتقاد الإستراتيجية: إن واقع الخطاب النحوي لمتعلمي العربية من غير أبنائها أنه مجرد تراكم للخبرات والرؤى الشخصية والاجتهادات الصفية التي لا ترقى بحال إلى مفهوم الإستراتيجية الواضحة (للتفصيلات انظر: د. حسني عبد الباري عصر، ٢٠٠٠م، ص ٢٧٣).

[٢] عدم التفرقة بين الملكة والصناعة

يقول ابن خلدون عن الإعراب: "إنما هو علم بكيفية العلم وليس هو نفس العمل" (ابن خلدون، ج ٢، ص ٣٨٥). وفي موضع آخر: "ومن هؤلاء المخالطين لكتاب سيويوه من

يغفل عن التفطن لهذا، فيحصل على علم اللسان صناعة، ولا يحصل عليه ملكة" (السابق، ج ٢، ص ٣٨٦). أيضا يقول: "وهذه الملكة - كما تقدم - إنما تحصل بممارسة كلام العرب، وتكرره على السمع، والتفطن لخواص تراكيبه، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استبطنها أهل صناعة اللسان، فإن هذه القوانين إنما تفيد علما بذلك اللسان، ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها"<sup>٣</sup> (السابق، ج ٢، ص ٣٨٧).

ومن هنا تقع كثير من المؤسسات التعليمية في وهم كبير هو "عدم التفرقة بين إكساب الملكة وتعليم الصناعة... فإكساب الملكة هو تعليم اللغة. أما تعليم الصناعة فهو تدريس النحو" (عبد الناصر عثمان صبير، ونور الدين بن أحمد، ٢٠١١م، ص ٢٥٦). ولذلك تجد الكثير من المتعلمين "يحصل على علم اللسان صناعةً، ولا يحصل عليه ملكة؛ إذن فلا غرو في القول إن هذه المناهج تعلم عن العربية، ولا تتلمَّ العربية" (السابق، ص ٢٥٣). أو كما يقول د. طعيمة: "إن ثمة فرقاً بين تعليم المدارس اللغة، وبين تعليمه عن اللغة" (د. طعيمة، ١٩٨٢، ص ٣٤). ويقول آخر: "إذا نظرنا إلى واقع تحصيل العربية بوصفها لغةً ثانيةً في أيامنا هذه فسوف نجد أنها تُتعلَّم تعلمًا، ولا تُكتسب اكتسابًا" (عبد الوهاب صديقي، ٢٠١١، ص ٨٧).

وقد انتقل هذا الاتجاه الخاطئ إلى مريدي العربية من غير العرب "فبدل أن تُقدم لهم اللغة قُدمت لهم قواعد اللغة، فأصبح الكثيرون منهم يعرفون متى يجب أن يتقدم المبتدأ على الخبر أو الخبر على المبتدأ، ويعرفون الممنوع من الصرف، ولكنهم لا يعرفون اللغة نفسها قراءة أو كتابة أو حديثاً" (د. أحمد شلبي، ١٩٨٠، ص ٢٠)، و(د. عباس محجوب، ١٩٨٦، ص ٦٨)، لذلك تجد المدارس مشحونا بالقواعد النحوية دون أن تكون لديه القدرة على استثمارها في سياق واقعي.

[٣] عدم تحقيق شروط الانغماس اللغوي الكامل: فإن اكتساب العربية لا بد ان يكون داخل بيئة عربية خالصة، ولكن ما يحدث هو أن "الناطقين بغير العربية لا يعتمدون في تحصيلها على عملية الاكتساب من مجتمع عربي، بل يحصلونها بتعلُّمها في غرفة الدرس وبإشراف مدرِّس، سواء أكان ذلك التعلُّم في مجتمع عربي أم في غيره. وسواء أيضا أكان المدرِّس ناطقا بالعربية أم بغيرها" (د. عمر يوسف عكاشة، ٢٠٠٣، ص ٨٥). وهذا يشبه مزاولة



حرف البحر؛ إذ إن "ترسيخ القواعد اللغوية في ذهن المتعلمين لا معنى له إذا كانت إمكانية التوظيف قليلة أو مستحيلة في الواقع الحياتي للمتعلم" (عبد الوهاب صديقي، ٢٠١١، ص ٨٧).

### ■ أسباب الدراسة

[١] إن محاولات تيسير النحو العربي وتجديده وإصلاحه - قديماً وحديثاً - ظلت حبيسة نحو النحاة، ولم تحد عنه إلى نحو اللغة. أقصد إلى القول: إنها ظلت أسيرة النحو التقليدي تبدأ منه وتنتهي إليه، فلم تنخرط في محاولات تجديدية حقيقية تطل الأصول وتتعامل معها بهدف طرحها في ثوب جديد، يُرى فيه أثر اللسانيات الوظيفية بوضوح<sup>(٤)</sup>.

[٢] إن أهداف تلك المحاولات السابقة - سواءً أكانت التيسير أم التجديد أم الإصلاح - كانت تروم أبناء العربية الناطقين بها، في حين لم يجرب أصحابها خوض غمار التنظير لدارسي العربية من غير أبنائها، وفق اللسان العربي المعاصر، ومن ثم تُركت المهمة لخبرة المعلم، فضلاً عن دفعها إلى غير المختصين.

[٣] إن الاتجاه التقليدي في تقديم الخطاب النحوي العربي للناطقين بغير العربية - دون محاولة استثماره في سياق وظيفي واقعي - أسهم في تقديم خطاب تعليمي معرفي يجافي معيار الاستعمال، ويخلو من التأكيد على دور المشاركة.

### ■ أهداف الدراسة

[١] توجيه الدارس إلى معرفة نظام اللغة بقصد إرشاده إلى فهمها والتحكم في استخدامها، مما يعينه على اكتساب الملكة التبليغية، ودمجها في سلوكه اللغوي.

[٢] تمكين الدارس من توظيف مكتسباته اللغوية، وممارستها في وظائفها العملية ممارسة سليمة، مستخدماً مخزونه اللغوي القواعدي في إنتاج وحدات تعبيرية وكتابية مقبولة.

[٣] التأسيس لخطاب نحوي تطبيقي، لا يقتصر على استظهار القواعد وتداول الإعراب، ليجد الدارس أن ما يتلقاه داخل القاعات التدريسية قابل للاستثمار في الواقع

المعرفي والاجتماعي. وهو لا يعني بالضرورة التقييد لنحو جديد، وإنما إعادة ضبطه لكي يطابق الملكة اللغوية للعربي المعاصر.

[٤] الانفتاح على مستجدات الدرس اللساني الحديث لاسيما الميدان الوظيفي ومقارباته المنهجية الثرة في مضمار تعليم اللغات الأجنبية لغير أبنائها، بمختلف مكوناته الصوتية وال fonولوجية والمعجمية والتركيبية والأسلوبية والتداولية.

### ■ أهمية الدراسة

إن معرفة القاعدة النحوية لا تعني القدرة على تطبيقها في الخطاب التواصل، تماما كما أن الدراسة الواعية للقواعد ليست المدخل الوحيد لتعلم اللغة. وهنا يبرز المقصود بـ "توجيه تعليم اللغة توجيها وظيفيا"، وهو أن يهدف تعليمها إلى تحقيق القدرات اللغوية عند الدارس؛ لكي يتمكن من ممارستها في وظائفها الطبيعية العملية ممارسة صحيحة" (د. داوود عبده، ١٩٧٩م، ص ٩). فاللغة الوظيفية مرتبطة أساسا بغرض تعلمها، وهو غرض يفرض الاستجابة لحاجات تليغية عاجلة (شريف بوشحان، ٢٠٠٢م، ص ١٣٧). ولا فائدة تجنى من تلقي المعلومات وترديدها دون أن يكون لما يتعلمه الدارس أثر في حياته العملية الواقعية، وهذا ما تؤكدته الفلسفة الواقعية (د. ظبية سعيد السليطي، ٢٠٠٢، ص ١١٤).

وهو أمر يؤكد رجال التربية في العصر الحديث من أن قواعد اللغة بالنسبة للدارسين تشكل وسيلة لا غاية؛ فلا تقتصر لذاتها بل هي وسيلة إلى صحة التعبير؛ لذا "ينبغي أن يقتصر في دراسة النحو العربي على ما يحتاجون إليه من القواعد اللازمة لتقويم ألسنتهم وتصحيح أسلوبهم" (د. راتب قاسم عاشور، ود. محمد فؤاد الحوامدة، ٢٠٠٧م، ص ١٣٩). فهو في النهاية وسيلة استرشادية "لتعلم اللغة وكيفية السير على خطى المتكلمين بها، وليس بهدف لمعرفة الجزئيات الدقيقة في الأبواب النحوية وشواذها، وما جاز فيه الوجهان أو تعددت الوجوه" (د. خليل عمارة، ٢٠٠٤م، ص ٥٤٠).

وعود على بدء، أقول: إن تدريس النحو التحليلي - الأدوات والحركات والإعراب - يختلف عن تدريسه وظيفيا، وطلاب العربية من الناطقين بغيرها في حاجة ماسة إلى "نحو لا يكتفى فيه بعلامات الإعراب، هم في ميسس الحاجة إلى نحو هو بالفعل علم العربية، شريطة أن يتناول مستويات اللغة جميعها، دون إهمال بطبيعة الحال لعلامات الإعراب... نحتاج إلى



نحو يدور بين الأدوات والآليات (د. محمد عبد الفتاح الخطيب، ٢٠٠٩، ص ٤١٩). فقد باتت الحاجة ماسة إلى منهج تعليمي "لا يقدم اللغة العربية كأنها ركام من القواعد والشواهد والشوارد، بل يقدمها لغة طبيعية، تسخر وسائلها الصرفية والتركيبية والصوتية والتنغيمية للتعبير عن المضامين الدلالية والأهداف التواصلية؛ منهج يقدم قواعد اللغة العربية في صورة نحو تعليمي لا نحو وصفي، نحو هدفه تزويد المتعلم بالآليات التي تمكنه من استيعاب الوسائل المختلفة التي تملكها اللغة العربية، ويستخرها المتكلم للتعبير عن مراده ومقاصده" (د. عز الدين البوشيخي، ٢٠٠٩، ص ص ٤٣٤-٤٣٥).

واعتماد الدرس اللغوي للنحو الوظيفي إطارا مرجعيا للعرض والتقديم ليس معناه جعل هذا النحو غاية في حد ذاته، وإنما وسيلة ينبغي استثمارها بهدف تنمية قدرات المتعلمين اللسانية التواصلية من خلال إرسال الخطابات الصحيحة المقبولة واستقبالها مع مراعاة مقتضى الحال وكذلك استثمارها في القراءة والتعبير.

### منهج الدراسة

تطلق الدراسة من معطيات المنهج الوصفي وضوابطه، كما تمتح مفاهيمها وإجراءاتها من أدبيات اللسانيات الوظيفية والمشروع اللساني الذي اقترحه الباحث المغربي د. أحمد المتوكل، مبرزا فيه قيمة الجوانب التواصلية وتأثيرها في الخصائص البنيوية للعبارة اللغوية، وموليا جل عنايته للبعد التداولي في التحليل اللغوي، ومتخذًا منه بعدا للربط بين المفردات وسياق إرسالها.

وذلك قطعًا دون أن نسعى في تقديم الأسس النظرية والمبادئ المنهجية العامة المعروضة في أدبيات اللسانيات الوظيفية ومشروع د. المتوكل، الذي تبنى فيه أفكار سيمون ديك وانطلق منها في تأسيس نظرية معاصرة للنحو الوظيفي العربي. إنَّ هدف البحث هو تقديم الخطاب النحوي إلى المتعلمين بشكل وظيفي غائي ذي خصائص بنيوية معتبرة.

لذلك فإنَّ وجهة البحث لسانية وظيفية، تسعى إلى سبر طبيعة المتعلم واحتياجاته اللغوية ومشكلاته من خلال إسهامات علم اللغة التطبيقي، الذي يحاول الإجابة عن سؤال: ماذا نُدرِّس؟ أما سؤال: كيف نُدرِّس؟ فتكمن الإجابة عنه في مناهج تعليم اللغات، وحينها يبدأ علم اللغة التطبيقي في الربط بين الدراسات اللسانية التي تهتم بالنشاط اللغوي

وميكانزوماته، في الوقت الذي تهتم فيه المناهج التعليمية بتشخيص هذا النشاط وإدراكه (د.المصطفى بن عبدالله بوشوك، ١٩٩١، ص٤٣-٤٤). ولذلك لا تستند الدراسة إلى أساس تربوي يتناول تخطيط المنهج ومكوناته وأدواته أو يعالج الأهداف التربوية<sup>(٥)</sup>، فهو أمر متروك لذوي الاختصاص، ولقد اكتفيت باليسير من الأهداف لعلّي أبلغ بالبحث تمامه.

■ موضوع الدراسة

اللغة وسيلة تعبيرية وظيفية، والتواصل هو الوظيفة الأساسية للغة، ويمكن الجزم أنه لن ينتهي المعنى اللغوي للملفوظ عند حدود مبناه الصرفي وتركيبه النحوي، ولكنه سيكتمل في إطار سياقه الاتصالي الوظيفي. وبناء عليه فإن "دراسة اللغة دراسة شكلية معزولة عن السياق الاجتماعي والثقافي أمر منقوص، لا يكتمل إلا بوضع هذه الدراسة الشكلية على محك الاستعمال، فهو وحده القادر على أن يسدها، ويمنحها كثيرا من الحيوية والانطلاق والقبول. على أن دراسة الاستعمال اللغوي لن تتم على وجهها الصحيح بمعزل عن الدراسة الشكلية للجوانب اللغوية. فالجانبان إذن متكاملان في دراسة الظاهرة اللغوية، ولا يجوز أن نستغني بأحدهما عن الآخر، أو أن نُعلي من شأن أحدهما على حساب الآخر" (د.إبراهيم السمراي، ٢٠٠٩، ص٥٣).

ولذلك فإن الخطاب التعليمي التقليدي لن يجدي نفعا مع الدارسين إذا كان خطابا نظريا إسقاطيا، بل إنه سيقم عزلة بينهم وبين التواصل المنشود. ولذلك ينبغي ألا يفهم هذا الخطاب "على أنه تكديس لأشكال وقواعد منعزلة - قلت أو كثرت - بل إرشاد للاستعمال الصحيح وفهم لغتنا" (عليه بيبي، ٢٠٠٩م). وكذلك فإن المعارف النحوية لن ينظر إليها بوصفها "مادة للحفظ، بل هي مادة يُواجه بها المرء في الحوار، ومن أجل الحوار التلقائي فقط مع اللغة واستعمالها الخلاق، فالنحو الوظيفي يطمح إلى التعيين في معرفة الأشكال واستعمالها حسب إنجازها" (جرهارد هلبش، ٢٠٠٣، ص٣٢٠).

وإذا كان حديثنا عن المقاصد والوسائل فإنه ينبغي لنا التفريق بينهما، وعدم "التزهد في درس قوانين اللغة وأصولها، لكن الإغراق في الوسائل يفوت معرفة المقاصد كما يقول الأصوليون، خاصة إذا أنفقت في النحو الأعمار والسنون، فيخرج الطالب بعد سنوات من الجد في الحفظ ودراسة متون اللغة بحصيلة كبيرة، ولكن بدون قدرة على توظيف هذه

الأصول في المخاطبات والمكاتبات، والفهم والإفهام" (عبد الناصر صبير، و نور الدين أحمد، ٢٠١١م، ص ٢٥٣).

خلاصة القول إنه يجب "تنسيق الدروس النحوية في سياقات لغوية لها علاقة مباشرة بحياة الطلبة، وهذا لفتح مجال الممارسة والتطبيق بشكل واسع أمامهم... إن النحو الذي نريد أن نقدمه للطلبة هو نحو تطبيقي، وليس نحو افتراضيا ونظريا إعرابيا، حيث يستطيع الطلبة بعد دراسة مجموعة من القواعد النحوية تطبيقها كلاما وكتابة وقراءة... إن النحو الذي يراد تدريسه هو من النوع الوظيفي والعملي" (د. عبد الحليم محمد، وقصي سمير عباسي، ٢٠١٢، إنترنت).

### المنحى الوظيفي في الوصف اللغوي

تنوعت مقاربات الوصف اللغوي، وكان مبعث هذا التنوع هو تعدد المقترحات حول طبيعة اللغة ذاتها ووظيفتها. هذا ويمكننا التمييز - داخل النظريات اللغوية المعاصرة - بين تيارين اثنين "أولهما: تيار يشمل النظريات اللغوية التي تعدُّ اللغات الطبيعية أنساقا مجردة، يمكن دراسة بنياتها بمعزل عن وظيفتها في التواصل داخل المجتمعات، وتعد النظرية التوليدية التحويلية - وما أفرزته من نماذج مجردة - ممثلا لها. وثانيهما: تيار يشمل النظريات اللغوية التي تذهب إلى أن بنيات اللغات الطبيعية مرتبطة بوظيفتها الأساسية وظيفه التواصل، ويدخل في هذا الإطار جميع النظريات التي تأخذ في وصفها اللغات الطبيعية البعد التداولي، كالنظرية النسقية والنظرية الوظيفية الأمريكية ونظرية النحو الوظيفي" (علي آيت أوشان، ١٩٩٨، ص ٤٩، هامش ٣٣).

هذا ويجمع الوظيفيون على أن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل، وأنه لا يمكن رصد خصائص أية لغة أو وصف بنيتها دون استشعار قيمتها الاتصالية، وأن نموذج القدرة التواصلية: مرسل → مستقبل ينضوي تحته الخصائص التركيبية والدلالية والتداولية. كما اصطلح على اتحاد خمس ملكات تؤسس في مجموعها نموذج القدرة التواصلية لدى مستعمل اللغة، هي المكونات اللغوية والمنطقية والمعرفية والإدراكية والاجتماعية، وهي



مبادئ لفطرية مستقلة عن خصوصيات اللغات الطبيعية، ولكل منها دورها وإسهاماتها (د. أحمد المتوكل، ١٩٩٣، ص ٥).

وترتبط في المنهج الوظيفي البنية بالوظيفة، فالأولى انعكاس للثانية. ومرد هذا التصور هو جوهر المنهج الوظيفي الذي يأخذ في اعتباره زخم الاستخدام وشروطه [سياقات التواصل وظروف المستعملين]، كما أنه يعد اللغة نسقا متكاملًا، تؤثر أجزاءه بعضها في بعض. المستوى الوظيفي إذن هو مستوى تنظيم الجملة على أساس مطابقتها للسياق التبليغي. ولذلك تختص اللسانيات الوظيفية بدراسة العناصر اللغوية من خلال وظيفة كل منها في الملفوظ، ضمن عملية التبليغ. ولا يعد النموذج النحوي نموذجًا وظيفيًا، إلا إذا أُفرد فيه مستوى خاص للوظائف التداولية، باعتبارها خصائص تسهم في تحديد البنية التركيبية الصرفية للجملة أو النص.

وبذلك يختلف المنحى الوظيفي في تعليم اللغات عن "الطريقة التقليدية التي اتخذت من اللغة اللاتينية نموذجًا يحتذى، وعن الطريقة البنوية الوصفية والسلوكية، اللتين حصرتا الفعل اللغوي في سلوكات محددة. ذلك أن الطريقة التواصلية تقوم على طرح يأخذ بعين الاعتبار علاقة اللغة بالمجتمع... فإن غاية تعليم اللغة هي جعل المتعلم يمتلك قدرة تواصلية أي قدرة على استعمال اللغة في سياق تواصلٍ لأداء نوايا تواصلية معينة" (علي آيت أوشان، ١٩٩٨، ص ٤٣).

ومما لا شك فيه أن التعليم الوظيفي للغات يركز أساسًا على الإفادة باعتبارها وصفة "لإنجاح العملية التعليمية التعليمية، ولا سيما إذا كان التعليم للغة مرتبطًا بالحياة المهنية. وفي هذا السياق لا ينبغي أن يوجّه المتعلمين إلى معرفة نظام اللغة بقدر التحكم في استخدامها، فنجعلهم يعملون على اكتساب الملكة التبليغية، لا أن نحقق لديهم الملكة اللغوية التي هي معرفة علمية أكثر منها عملية" (شريف بوشحدان، ٢٠٠٢م، ص ١٤٠).

وتأسيسًا عليه فإن المنحى الوظيفي في تعليم اللغات يعتمد المقاربة الوصفية التواصلية في تلقين الخطاب النحوي بوصفه اتجاهًا أثبت جدارته وكفايته في تطوير حلقات تعليم العربية للناطقين بغيرها على المستويين النظري والتطبيقي (د. رشدي أحمد طعيمة، ١٩٨٩، ص ٢٩).

ويرمي هذا الاتجاه الوظيفي إلى دمج المهارات اللغوية في ملكات المتعلمين ليتمكنوا من ممارستها في خطاباتهم الطبيعية فيما بينهم، ومع أبناء اللغة المستهدفة. ويتطابق ذلك المنحى الوظيفي مع المفهوم الحديث للتربية من أنها "إعداد للحياة وليست هي الحياة؛ لذلك ينبغي أن تمدنا دراسة اللغة بخبرات حية وواقعية ومهارات تعيننا على استخدام اللغة أحسن استخدام في تعاملنا اليومي للغة" (د. ظبية سعيد السليطي، ٢٠٠٢، ص ١١٩).

وقد قدم د. داوود عبده ملاحظات أساسية في تعليم العربية وظيفيا حينما طرح طريقتين لتعليم [لن]، الأولى بوصفها أداة لنصب المضارع [تعليم تقليدي]، والثانية بوصفها أداة لنفي المستقبل [تعليم وظيفي]. ففي الحالة الثانية يُترك للدارس ملاحظة تحرك آخر المضارع بالنصب حال نفيه بلن، أو كونه مجزوما حال سبقه بـ [لم] بوصفها أداة لنفي الماضي. ومصحّحا في الوقت ذاته أخطاء شائعة من قبيل سوف لا أفعل، وسوف لن أفعل. فتكون الطريقة الثانية خادمة لفكرة تحرك المضارع أفضل من الأولى التي قدمتها جافة تقليدية، بخلاف كونها ملهمة للدارسين لفكرة الصحة التعبيرية بين نفي الماضي ونفي المستقبل، وإن لم يرد في كلام المعلم مفردات من قبيل مرفوع منصوب مجزوم، معرب مبني... إلخ (د. داوود عبده، ١٩٧٩م، ص ص ١١ - ١٤).

### - التعليم التحويلي الوظيفي (الهدف/ المحتوى/ الإستراتيجية/ التدريب) (٦)

إن القدرة التواصلية أو التداولية لدى المتعلم هي المسؤولة عن توليد جمل صحيحة تركيبيا ودلاليا، وتداوليا [أي مطابقة لمقامات استعمالها ومحققّة لأهداف إرسالها]. بخلاف الاتجاه التوليدي التحويلي الذي حصرها في قدرة نحوية أساسية، قوامها عدد من المبادئ، تعنى بإنتاج عدد لا نهائي من الجمل السليمة تركيبيا ودلاليا (د. عز الدين البوشيخي، موقع إنترنت).

وإن الفارق بين النحو غير الوظيفي [الصوري] وبين النحو الوظيفي جد كبير، والفصل بينهما أمر حتمي. ففي حين يُكتفى في الأول بتحديد أدوار أو وظائف بنية الجملة [الوظائف النحوية: كالفاعل، والمفعول... إلخ]، دون تمثيل لمستوي الوظائف الدلالية



والتداولية، أو حتى دون اعتبارهما مفاهيم أولية مشتقة من المكون التركيبي - تماما كما هو الحال مع نماذج الأنحاء النحوية التوليدية التحويلية - فإنه لا يقتصر في الثاني [الوظيفي] على الدور الذي تلعبه الكلمات أو العبارات في الجملة - أي الوظائف التركيبية أو النحوية كالفاعل والمفعول - لأن هذه الوظائف لا تمثل إلا جزءا من كل، تتفاعل مع وظائف أخرى مقامية أو تبليغية هي الوظائف الدلالية والتداولية، بحيث تترابط الخصائص البنوية للعبارات اللغوية بالأغراض التبليغية التواصلية، التي تستعمل هذه العبارات وسيلة لبلوغها. وبهذا يكون النحو الوظيفي هو ذلك الجهاز المركب من محصلة الوظائف التركيبية والدلالية والتداولية المتضافرة فيما بينها (يحيى يعطيش، 2006، ص 41-42).

ولذلك فإن أهداف المتعلمين وحاجاتهم - وفق الاتجاهين السالفين [البنوي/الوظيفي] حتما تفرق - ففي الأول يكتسب المتعلم مخزوناً من التراكيب، عليه أن يتعلم كيف يستخدمها في خطاب ناجز [قدرة لغوية ثم قدرة تواصلية لاحقة]. بخلاف الثاني الذي سيلبي حاجة الدارس ويمنحه قدرة لغوية فاعلة من خلال بناء قدرته التواصلية<sup>(٧)</sup>.

#### ● (أولا) الهدف

تقديم البنى النحوية الوظيفية الأكثر شيوعاً واستخداماً في خطاب تعليمي معرفي متكامل، يراعي أهداف المتعلمين وحاجاتهم، ومن خلال نصوص وظيفية جوهرها الفهم والمزاولة. ثم التحقق من قدرتها التفسيرية بإنتاج بنى أخرى صحيحة مثلها، مما يمنح القاعدة النحوية ثباتاً في قريحة المتعلم. وبذلك نمكّن الدارس من استخدام مخزونه القواعدي واستثمار مكتسباته النحوية والبلاغية في إنتاج واستقبال وحدات تعبيرية وكتابية سليمة في الخطابات المكتوبة والمحكية، وعليه فإن السعي سيكون في أثر النحو العملي لا العلمي (صاحب المصطلحين د. حسن عون، 1979، ص 45-46).

#### ● (ثانياً) المحتوى

خطاب تعليمي ممزوج بشيقات واقعية، يلائم الملكة اللغوية للناطقين بغير العربية، ويتسم ببساطة صياغته وقرب مأخذه، وفي سبيل ذلك ينبغي الاقتصار على الموضوعات ذات التطبيق المباشر في واقع الاستخدام اللغوي؛ مما يعين الدارس على استخدام اللغة بشكل

مقبول بين أبنائها. وذلك بالتخلص من "المقررات المبنية على النصوص المصطنعة غير الطبيعية، وأن تكون المقررات وظيفية، مؤسسة على التدرج الدوري، شاملة للمواقف والأدوار الاجتماعية التي سيواجهها المتعلم" (د. عبده الراجحي، ٢٠١٣، ص ١٠٥).

### ● ثالثا الإستراتيجية

إن الحديث عن اللغة قبل معرفة كيفية استخدامها أمر لا جدوى منه بالنسبة للمتعلم الأجنبي، إذ ينبغي له أولا اكتناز الجمل الرئيسة والتراكيب الأولية والتعبيرات الأساسية، وأن يأنس استخدامها وظيفيا حتى يعتاد إنتاجها وفهمها، ثم إنه من خلال مراقبته لها في مواقف متنوعة يستطيع أن يستبطن سلوكها النحوي، مما يهيئ له اكتساب القواعد دونما حاجة إلى خطاب نحوي خالص.

وإن تنمية حاسة الاستنباط عند المدارس يمنح السلوك النحوي ثباتا في قريحته، كما يمثل عملية استدعاء أو ترابط شرطي بين القاعدة وأشهر مثال لها، مما ينمي خاصية القياس عنده في بناء جمل صحيحة على مستوى الأبنية النحوية الوظيفية. وذلك بخلاف الوسائل التقليدية التي من شأنها رفع معدلات الحفظ والاستظهار.

### ● (رابعا) التدريب

[١] تصميم المواد التعليمية على هيئة مناشط هدفها المشاركة، مع تقليص المهام القلمية وأوراق العمل المنفصلة، مما لا يسهم في بناء خطاب نحوي تطبيقي يتقاطع مع حاجات الدارسين.

[٢] اكتشاف القواعد النحوية من خلال استنتاجها بخلاف الوسائل التقليدية التي تباشر وسائل من شأنها رفع معدلات الحفظ والاستظهار؛ "فإنه من خلال ملاحظة اللغة وتقليدها في المواقف الحقيقية يستطيع الدارس أن يسيطر على القواعد عن طريق الاستنتاج، ودون الحاجة إلى معرفة واعية تفصيلية في شكل قواعد نحو" (د. محمود كامل الناقبة، ١٩٨٥، ج ٢، ص ٣٢٣ - ٣٢٤).

[٣] تقديم تطبيقات من شأنها تثبيت القواعد النحوية في ذهن الدارس، ثم تمثلها واستظهارها في حديثه وكتابه، فإن "كفاية الناطق بغير العربية كفاية مُتعلمة تتضمن معرفة



مباشرة، فيلجأ بصورة واعية إلى قواعد اللغة كلما أراد التعبير بها" (ميشال زكريا، ١٩٨٥، ص ٦٩). ولقد أشار د. الناقه إلى المزاي الثلاث التي تؤديها التدريبات في برامج تعليم اللغات الأجنبية "أولها: أنها تحدد وتوضح الأهداف المقررة من المنهج، وثانيها: أنها تستثير دوافع الطلبة إلى التعلم، وثالثها: أنها تقيم تحصيل الطلبة في الغرفة الدراسية" (د. الناقه، ١٩٨٥، ج ٢، ص ٢٧٢). كما اقترح د. الناقه مواصفات عامة لتلك التدريبات، منها "أن تعدد أشكالها- أن تستثير الدارس إلى العمل الذاتي- أن تصمم في كل درس لكي تصل بالدارس إلى استخدام محتواه اللغوي بشكل فاعل- أن تركز على التقابل بين العربية ولغة الدارس- أن تركز على المشاكل الأخرى الناتجة عن دراسات تحليل أخطاء الكفاية" (د. محمود كامل الناقه، ١٩٨٥، ج ٢، ص ٢٧٢).

[٤] استغلال نظرية الألعاب اللغوية، فإن "المتأمل للجو المبهج الذي تُضفيه الألعاب على دروس اللغة، والآثار الطيبة التي تتركها في نفوس الدارسين، وما يطرأ على لغتهم من تطور ونمو سيقنع - بلا شك - بجدوى استخدام الألعاب اللغوية بوصفها عاملاً ملطفاً من جفاف الدروس وتعب التدريبات، ووسيلة لتنمية مهارات اللغة، وتوفير فرص الاتصال بين الدارسين في مواقف اجتماعية طبيعية مرحة" (مصطفى ناصف عبد العزيز، ١٩٨٣، ص ٧). وحول توظيف المهارات الذهنية في الألعاب اللغوية: "هناك مكان في فصل اللغة لأنواع مألوفة من ألعاب التنافس والمجازفة، التي تتمثل في التسابق لإكمال عمل أو التباري لتسجيل أكبر عدد من النقاط. ولكي يتم ذلك لامناس من توظيف مهارات مثل: الملاءمة والتمييز والتعرف والتسلسل والتتابع والاستدلال. ولا شك أن اللغة الناتجة من مثل هذه الأنشطة يمكن أن تكون مفيدة للغاية" (مصطفى ناصف عبد العزيز، ١٩٨٣، ص ١٧).

[٥] تشجيع محاولات الاتصال داخل القاعات وخارجها، وحفز الدارسين وإرشادهم إلى أن الكفاية الاتصالية هي الهدف الأسمى، مع مراعاة غمسه في مواقف طبيعية ضاغطة يتسنى لهم تمثل ما تلقوه فيها.

[٦] استثمار الجداول النحوية والرموز والأسهم والأقواس والمشجرات، من خلال رسوم بيانية بسيطة يشار فيها إلى العلاقات والعمليات، وهو من الخطوات الإجرائية الناجزة لطرح مبادئ الخطاب النحوي وظيفياً.

[٧] استنطاق أخطاء الكفاية عند المتعلمين وتحليلها للاستفادة مما توحى به من إشكالات لغوية وغير لغوية<sup>(٨)</sup>.

### – الضوابط العامة لخطاب التطبيق النحوي

[١] الشيوع والاستخدام: إن التعليم الوظيفي يعني انتخاب القواعد الفاعلة التي يحتاج إليها المتعلم حال خطابه مع أبناء اللغة المستهدفة، وهذا يعني استيعاب منظومة القواعد المنتخبة – وفق سياقات استعمالها – التي تتطابق مع النشاط اللغوي الفعلي للغة المستهدفة، وتقديم الموضوعات الأكثر دورانا في الواقع اللغوي، من مثل حروف العطف والجبر، والإضافة، والأفعال الماضية والمضارعة، وأدوات النصب والجزم ... إلخ<sup>(٩)</sup>؛ لأن المتعلم سيتمكن حينئذ من توظيفها للتعبير عن موضوعات شتى: علمية وأدبية وقانونية واقتصادية... إلخ.

كذلك تأجيل ما ليس له صدى على مقياس الاستخدام الفعلي، من قبيل: التمييز، والمفعول المطلق، والمفعول لأجله، والتوكيد، والترخيم، والندبة، والاستغاثة، والتنازع والاشتغال، والإعراب التقديري، وحذف الفاعل والمفعول، والتقديم والتأخير، والمصدر المؤول، وأنواع الخبر؛ لأن هذه الموضوعات تناسب المختصين. كذلك " ضرورة البعد عن الاستطراد في الموضوعات النحوية التي لا تفيد الطالب في مواقع الحياة؛ كدقائق الإعراب وما يتصل به من بناء وإعراب تقديري ومحلي، ويحسن بالمدرس العناية ببيان معاني الأدوات اللغوية وطريقة استعمالها في الكلام، وبيان أثرها الإعرابي دون تفصيل" (عابد توفيق الهاشمي، ١٩٨٧، ص ٢٠٤).

ومما يذكر في هذا السياق أن شيوع [كان، وإن، وأن] أكثر من [ما فتى، وما انفك، ولكن، وليت]. ويزيدنا د. الناقه من الشعر بيتا "إن أكثر التوابع شيوعاً هو النعت، وأقل التوابع شيوعاً التأكيد... وإن الفاعل أكثر المرفوعات شيوعاً، وضمير الغائب أكثر شيوعاً من ضمير المتكلم والمخاطب، والمفعول به لعامل مذكور هو أكثر المنصوبات شيوعاً" (د. محمود كامل الناقه، ١٩٨٥، ج ٣، ص ٢٣-٢٤). كذلك ينبغي استبعاد الأمثلة التي حوت خلافات بين علماء النحو، والافتراضات التي لم تكن موجودة أصلاً في

اللغة (للتفصيلات: أحمد شيخ عبدالسلام، ١٩٩٦، ص ٦). وذلك مادام الهدف هو أن يكون "درس القواعد وسيلة محببة تعين على سلامة اللسان والقلم من الخطأ، دون الإيغال في سرد التفاصيل النحوية والشواهد اللغوية وحفظ المصطلحات" (جودت الركابي، ١٩٨٦، ص ١٣٥).

[٢] المشابهة والمقارنة: وهو ضابط يسهم في تكوين ترابط بنيوي ودلالي بين الأبنية المختلفة والموضوعات في ذهن الدارس، كذلك يساعده في عمليتي التخزين والاسترجاع. كان يدرس المعرب في مقابل المبني، والفاعل في مقابل المبتدأ أو نائب الفاعل، والأفعال الناقصة في مقابل الحروف المشبهة بالفعل، والجملة الاسمية في مقابل الجملة الفعلية، والإثبات في مقابل النفي، والذكر في مقابل الحذف، والإظهار في مقابل الإضمار، والتقديم في مقابل التأخير، والفصل في مقابل الوصل، والخبر في مقابل الإنشاء، والتقييد في مقابل الإطلاق، والتكثير في مقابل التعريف... وهلم جرا.

[٣] العرض والتقديم: إننا لا يمكننا إغفال دور المعلم في طرح القواعد النحوية بدءاً من استحضار الغايات، وتصور المقاصد، ثم تنظيم المنهج واختيار طريقة التدريس الملائمة المستمدة من واحدة من نظريات التعلم على اختلاف مبادئها واستراتيجياتها، واستشارة الطلاب واستثمار حافزيتهم. ومما يستند إلى وعي المعلم أيضاً قدرته على عرض بعض مظاهر النحو الشكلي وتقديمها في شكل سائغ من قبيل الجملتين الآتيتين [قرأ التلميذ الدرس، والتلميذ قرأ الدرس]. فلا فائدة عملية ترجى من تعليمه أن الفاعل في الجملة الثانية ليس التلميذ كما في الجملة الأولى، بل ضمير مستتر تقديره هو، ولا تعليمه التمييز بين الفتحة في نهاية قرأ والفتحة في نهاية الدرس باعتبار أن الأولى حركة بناء والثانية حركة إعراب... ولكن ما يجيزه للدارس أن يتعلمه أن العربية تجيز الجملتين، بوضع الفعل قبل الفاعل أو بعده، وأن الفعل الماضي في مثل هاتين الجملتين ينتهي بفتحة، وأن الفاعل ينتهي بضممة والمفعول به بفتحة... إلخ (د. داوود عبده، ١٩٧٩، ص ٥٥).

ويضرب د. داوود عبده مثالا آخر يحتاج إلى معلم واع بصدد تقديمه للدارسين هو أن بعض حركات الإعراب تكون شكلية دون سند وظيفي مقبول مقنع "فأداة التأكيد إن، وأداة الاستدراك لكن، وأداة التمني ليت ترد كلها في موضوع واحد (إن وأخواتها). في حين



ترد أدوات النفي - رغم اشتراكها في وظيفة لغوية واحدة - في موضوعات مختلفة، فليس ترد مع كان وأخواتها، وغير مع أدوات الاستثناء، ولم مع أدوات الجزم، ولن مع أدوات النصب إلخ" (د. داوود عبده، ١٩٧٩، ص ٥١-٥٢).

ومما ينبغي لفت النظر إليه بمزيد الأهمية أن العربية "تعد من اللغات التي يتحتم فيها التمييز بين الحالة الإعرابية والعلامة الإعرابية، بين الرفع والضم وبين النصب والفتح وبين الجر والكسر. ما يفرض هذا التمييز أن الحالة الإعرابية لا تتحقق دائما في شكل العلامة الإعرابية المتوقعة كما هو الشأن في جمع المؤنث السالم في حالة النصب، وأنها قد لا تتحقق إطلاقا كما هو الشأن في ما يسمى الاسم المقصور مثلا" (د. أحمد المتوكل، ٢٠٠٦م، ص ٩٨).

[٤] السبق والانتظام: استثمار فكرة الأصل والفرع في المناهج النحوية، فيقدم الأصل على الفرع، مثل المفرد على الجمع، والمذكر على المؤنث، والنكرة على المعرفة، والإثبات على النفي، والمجهول على المعلوم. كذلك يتقدم المطرد التام على الشاذ، فتقدم الجموع السالمة على جموع التكسير، والمبني للفاعل على المبني للمفعول.

[٥] التدرج والتوزيع: يقول ابن خلدون: "اعلم أن تلقين العلوم للمتعلّمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج شيئا فشيئا، وقليلًا قليلًا" (ابن خلدون، ج ٢، ص ٣٤٧). وهذا ما يؤكد المختصون: "إن اكتساب اللغة عند الأجانب قائم على اكتساب القواعد اللغوية، وكما لاحظنا فإنه يتم بتعلم التراكيب الأقل تعقيدا أولا ثم الأكثر تعقيدا" (د. داود عبده، ١٩٨٤، ص ٨٣).

فإن عرض الموضوعات النحوية بطريقة تصاعدية من شأنه أن يمكن الدارس أن يتمثلها وظيفيا. والتدرج في طرح القواعد يعني "إدخال نواة التراكيب قبل التركيب الموسع، ويقصد به عدم الإدخال في صورة من صور الموسعة قبل إدخاله في أبسط صورته، فلا يصح مثلا إدخال تركيب مثل «هذا الطالب الباكستاني جديد» قبل إدخال «هذا الطالب جديد»، وهذا بدوره لا يدخل قبل «الطالب جديد» (د. محمود كامل الناقية، ١٩٨٥، ج ٣، ص ٢٨).

ومنه أيضا "الصفة وأفعال التفضيل، فإن الطفل العربي أو الطالب الأجنبي حين يتعلم قاعدة صياغة أفعال التفضيل من الصفة على وزن أفعال، يستطيع أن يصوغ أكبر من

كبير، أو أشطر من شاطر، وأشجع من شجاع، أما إذا كان الطفل أو الطالب الأجنبي قد تعلم أشجع قبل أن يتعلم شجاع، فإنه لا يستطيع استنتاج الصفة من ذلك، فقد يكون الصفة على وزن فعيل أو فاعل، أو فعال أو فعل... وإن الفعل المتعدي أصعب من الفعل اللازم؛ ولهذا يتعلم الطفل [نام] قبل كلمة [نوم]، وأفضل التفضيل أصعب من الصفة؛ ولهذا يتعلم الطفل كلمة «حلوان» قبل كلمة «أحلى» (د. داود عبده، ١٩٨٤، ص ٨٤). ومنه كذلك أسماء الأفعال، فالمتعلم يستدعي الأفعال بسرعة، ويستدعي الأسماء بسرعة أكبر، لكنه في أسماء الأفعال لن يستدعيها بالسرعة نفسها، اللهم إلا في سياقات معينة مثل: «آمين - أف - هيات... إلخ». كذلك لام الابتداء وتزحلقها للخبر، ففي سورة يس قوله تعالى: (فقالوا إنا إليكم مرسلون) الآية ١٤، ثم قوله تعالى: (قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) الآية ١٦ من السورة نفسها.

#### - الخاتمة

لقد تبنت الدراسة اتجاه المقاربة الوظيفية بوصفها أنجع الوسائل في تقديم الخطاب النحوي لدارسي العربية من الناطقين بغيرها، وأن المعالجة الوظيفية هي الأنسب لحاجات المتعلمين وغاياتهم من الإقبال على حلق تعليم اللغات، وأن تلك المعالجة تستلزم اعتماد طرق تدريس فاعلة، ترصد المناشط اللغوية الاتصالية المرتبطة بها، بعدما أضحت تعليم العربية سوقاً رائجة في موطنها وفي غيره للفتات كلها.

وبعد... فإن قدر لهذا البحث الظهور، فذاك بمنّ الله وحده، وعظيم فضله، وجزيل عطائه. وإن هذا جهد المقل، وإنني لأرجوه عز وجل أن يكون البحث وافياً بغرضه، محققاً لهدفه، مستويًا على سوقه. وقد صح العزم مني على إتمامه بتلك الصورة، ولست أغالي فأدعي لهذا البحث كمالاً وهو لله وحده، أو أدعي العصمة من الزلل وقد خص الله بها نفسه، وإنما غاية المراد أن يحقق البحث الفائدة المرجوة منه. ولا يبقى على قارئ البحث سوى أن يغفر لنا ما قد يرصده من زلل. ولا أزعم أنني بلغت التمام بعلمي هذا، فنصّر الله وجهه من نظر فيه فسد خلله، وستر زلله، وقد علم الأوائل والآواخر أنه ليس لمن كتب عصمة. أسأل الله أن يتقبله، وأن يتفجع به، وأن يختم بالصالحات أعمالنا، إنه أكرم مسؤول وأرجى مأمول، وهو

المستعان وعليه التكلان. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

### - النتائج

[١] إن النظرة الوظيفية للخطاب النحوي تتفق مع طبيعة اللغة ذاتها، بوصفها ظاهرة اجتماعية، وليست قالبا جامدا منفصلا عن العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والظروف المحيطة بهم.

[٢] إن التعليم النحوي الوظيفي هو خطاب تطبيقي، يستحضر قدرات الدارسين وحاجاتهم؛ لذلك يتحرى منظومة قواعد منتخبة، ذات طبيعة وظيفية؛ تدعم الدارس في إصداراته المكتوبة والمحكية.

[٣] إن اعتماد الخطاب الوظيفي إطارا مرجعيا للعرض والتقديم ليس معناه جعل هذا النحو غاية في حد ذاته، وإنما وسيلة ينبغي استثمارها بهدف تنمية قدرات المتعلمين التواصلية، كما أنه لا يعني بالضرورة التعميد لنحو جديد، وإنما إعادة ضبطه لكي يطابق الملكة اللغوية للعربي المعاصر.

### - التوصيات

وبعد... فإنني آمل أن أكون قد وفيت الدراسة حقها، ووصلت بها إلى غايتها، وقبل أن أرفع قلمي عن هذا العمل فإنني أنوه بمزيد الاهتمام إلى أهمية:

[١] تقديم مبادئ نحوية عامة ضابطة، هدفها تزويد الدارسين بالمهارات اللغوية التي تجعلهم قادرين على فهم طبيعة اللغة، والقواعد التي تضبطها وتحكم ظواهرها.

[٢] اختبار الاتجاه الوظيفي في الوصف النحوي، ونقل إسهاماته إلى الدرس النحوي العربي المعاصر، فالوظيفية هدفها تعويد المتعلم أساليب التواصل، وأغراض الاستعمال، والتأكد من مطابقتها لمقتضى الحال. بخلاف اللسانيات البنوية التي تستقرى الظواهر اللغوية بهدف تمكين الدارس من تطبيق القواعد والمفاهيم والأساليب المكتسبة في تحليل النصوص أو قراءتها، كذلك تنمية الرصيد النحوي والصرفي عنده.

[٣] ترسيخ العادات اللغوية الصحيحة عند الدارسين من قبيل تعويدهم: التناوب بين



أزمة الأفعال في العربية، واستخدام المبني للمجهول بالتناوب مع المعلوم - استخدام اسم المفعول بوصفه صيغة صرفية ناجزة [ممنوع، مغلق، مفتوح، موجود]- الالتفات إلى المقصد التداولي لترتيب المفردات داخل النصوص وفق ما يستدعيه سياق الخطاب [نحو تقديم المفعول لأجله في: تنفيذاً لأمر المدير العام، تجاوزاً مع اللوائح والقوانين، نظراً لأهمية الموضوع]- ضبط بنى الكلمات، وضبط أواخرها<sup>(١١)</sup>. وذلك من خلال خطاب تطبيقي شائق، لا يسهم في إقامة عزلة بينهم وبين الاستعمال اللغوي المنشود.

[٤] تأجيل العناصر النحوية التي يصعب على بعض المتعلمين اكتسابها، إما لعدم وضوحها في ذهنه، أو لعدم قدرة المتعلم على استيعابها، أو لعدم وجود أصل لها في نظامهم اللغوي كبعض جموع التكسير والمثنى والمؤنث المعنوي والنكرة والمعرفة.

[٥] زيادة التدريبات الشفهية القائمة على المحاكاة والتكرار، فلا يقتصر الخطاب التعليمي على عرض القاعدة ومناقشة الأمثلة، ثم استنباط القاعدة وتقريرها في أذهان الدارسين؛ بل زيادة جرعة التدريبات حتى تتكون العادات اللغوية الصحيحة عند الدارسين.

[٦] استثمار الجداول النحوية والأشكال المساعدة خلال عرض مبادئ الخطاب النحوي، وذلك من خلال رسوم بيانية بسيطة يشار فيها إلى العلاقات والعمليات بالرموز والجداول والسهام والأقواس والمشجرات، وتستثمر فيها الألوان.



■ هوامش البحث

[١] هناك من يلتزم التفرقة بين تعليم العربية بوصفها لغة أجنبية أو بوصفها لغة ثانية. قاصدا بالأولى - AS *a Foreign Language* - تعليم اللغة في بيئة لا تُستعمل فيها، ومنه تعليم الإنجليزية في أقطارنا العربية. في حين أن الثانية - *As a Second Language* - وقاصدا بالثانية تُعَلَّم اللغة مع استخدامها في بيئتها تُعَلَّم إلى جانب اللغة الأم، نحو تعليم الإنجليزية في الهند والفلبين (د. محمود كامل الناقبة، ١٩٦٧، ص ٤٨٥ - ٤٨٦ بتصرف).

[٢] أرى أن هذا التفسير ليس مستقرا دوما؛ فإنك لن تعمد من النحاة من يقدم بعض التراكيب مصحوبة بضوابط إرسالها وسياق استقبالها، فقد اتصل سيويه - على سبيل المثال - بالواقع اللغوي وهو بصدد التعامل مع المرويات، واحتكم إليه في العديد من المواضع، كما فحص عددا من الأطر الاجتماعية والثقافية التي درج القوم عليها، ولهذا كانت آراؤه مطابقة لأساليب العرب وأنماط استعمالهم؛ بسبب الاستقراء الدقيق لواقع الاستعمال اللغوي، وبسبب ما أوتي من دقة النظر وسعة الإحاطة ومهارة الصنعة (د. محمد عدليل، ٢٠١٣). فتراه يتسع في تحليل التراكيب إلى وصف المواقف الاجتماعية التي تستعمل فيها "واللغة عنده لم تكن تفك عن ملاسبات استعمالها، ومقاييس اللغة عنده تستمد من معطيات النظام الداخلي للبناء اللغوي كما تستمد من معطيات السياق الاجتماعي التي تكتنف الاستعمال اللغوي" (د. رشيد بلحبيب، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى). ولذلك نحن متفقون مع من يذهب إلى أن تعليم اللغة العربية وتعلمها ينبغي أن يظل موصولاً بفكر علماء الأمة الأوائل، الذين اشتغلوا بالدرس اللغوي في سياقه الاجتماعي الوظيفي (د. دخيل الله بن محمد الدهماني، ٢٠٠٧م).

[٣] من النقاط الجديدة بالاعتبار، وتستحق دراسة منفصلة بذاتها: هل يمكن تحقيق الكفاية الاتصالية لمعلمي اللغات من غير أبنائها، أم يصعب ذلك فعليا، كما رأي ابن خلدون في ندرة تحصيل الملكة اللسانية للمستعربين من العجم، فقد وسم ملكتهم بالمخدوشة؛ بعدما سبقت لهم ملكة أخرى مما يعوق تمام ملكتهم الجديدة، ويفرق بينهم وبين العرب الأقحاح، وأقرأ إن شئت: "وقد تقدّم لنا أن اللغة ملكة في اللسان، وكذا الخط صناعة ملكتها في اليد. فإذا تقدّمت في اللسان ملكة العجمة صار مقصراً في اللغة العربية؛ لما قدمناه من أن الملكة إذا تقدمت في صناعة بمحل فقلّ أن يجيد صاحبها ملكة في صناعة أخرى، وهو ظاهر. وإذا كان مقصراً في اللغة العربية ودلالتها اللفظية والخطية اعتاص عليه فهم المعاني منها كما مر، إلا أن تكون ملكة العجمة السابقة لم تستحكم حين انتقل منها إلى العربية، كأصاغر أبناء العجم الذين يربون مع العرب قبل أن تستحكم عجمتهم، فتكون اللغة العربية كأنها السابقة لهم، ولا يكون عندهم تقصير في فهم المعاني من اللغة العربية" (ابن خلدون، ج ٢، ص ٣٦٥). وفي موضع آخر: "وإذا تبين لك ذلك علمت منه أن الأعاجم الداخلين في اللسان العربي، الطارئین عليه، المضطربین إلى النطق به؛ لمخالطة أهله كالفرس والروم والترك بالمشرق، وكالبربر بالمغرب، فإنه لا يحصل لهم هذا الذوق لقصور حظهم في هذه الملكة التي قرنا أمرها؛ لأن قصارهم - بعد طائفة من العمر، وسبق ملكة أخرى إلى اللسان وهي لغاتهم - أن يعتنوا بما يتداوله أهل مصر بينهم في المحاوراة من مفرد ومركب لما يضطرون إليه من ذلك" (السابق، ص ٣٨٨). (لتفصيلات انظر: د. محمد عيد، ١٩٧٩، ص ٧٥). وأرى أن الواقع يخالف ذلك فقد يرقى المدارس الأجنبية إلى مرتبة

المتحدثين من أبناء اللغة، طلاقة وفصاحة وتذوقا، وربما يصعب تمييزه منهم في أحيان كثيرة، ولكن ذلك قطعاً مرهون بتوافر أسباب وشروط معينة.

[٤] وذلك ينطبق على المحاولات كلها: بدءاً من إبراهيم مصطفى (إحياء النحو)، ومقدمة كتاب الرد على النحاة لشوقي ضيف، والنحو الجديد لعبد المتعال الصعيدي، و النحو المنهجي لمحمد أحمد برانق، ونحو التيسير لأحمد عبد الستار الجوارى، وفي النحو العربي لمهدي المخزومي، واللغة العربية المعاصرة لمحمد كامل حسين، وانتهاء بتجديد النحو لشوقي ضيف.

[٥] أقصد "التغيرات السلوكية أو نواتج التعلم التي يسعى المعلم إلى إحداثها في تلاميذه في الوقت المخصص للتدريس، وهذه التغيرات السلوكية المتوقع حدوثها تقبل الملاحظة والقياس" (د.حسن شحاتة، ٢٠٠٣م، ص٢٢).

[٦] المنحى أو المدخل الوظيفي في تعلم اللغات الأجنبية وتعليمها يقصد به اعتماد المقاربة الوظيفية في تلقين الخطاب النحوي بوصفه اتجاهها أثبت جدارته وكفايته في تطوير حلقات تعليم العربية للناطقين بغيرها على المستويين النظري والتطبيقي. ومن الجدير بالذكر أن المذهب الوظيفي يرجع إلى أفكار اللغوي البريطاني G.R.Firth، الذي يرى أن اللغة أداة تفاعل بين شخصي (هـ.د.وجلاس، ١٩٩٤م، ص٣٤٢).

[٧] انطلاقاً من التفرقة بين الكفاءة اللغوية *Competence Linguistic*، والكفاءة الاتصالية *Competence Communicative*. ويقصدُ بأولاهما تزويد الدارس بالمهارات اللغوية التي تجعله قادراً على فهم طبيعة اللغة، والقواعد التي تضبطها وتحكم ظواهرها. فأقدر الناس على التعامل باللغة هم أولئك الذين يعرفون أصولها، ويفهمون قواعدها. وأما الثاني فمفاده تزويد الدارس بالمهارات اللغوية المناسبة التي تمكنه من الاتصال المثمر بمتحدثي اللغة المستهدفة (د.رشدي طعيمة، ١٩٨٢ ص ٢٨-٢٩ بتصرف). وأرى أن الجمع بين المسارين بين في مضمار تعليم اللغات هو الهدف المنشود؛ فوقوف الدارس المتقدم *Advanced Learner* على آلية عمل النظام اللغوي للغة المستهدفة أمر في غاية الأهمية، إذ يزيده وعياً بالنظام الوظيفي والتعبيري لها، كما يدفعه إلى التفكير بمنطق اللغة، وممارستها ممارسة واعية، مما لا يجعله بمعزل عن إدارة اللغة بشكل فاعل خارج القاعة الدراسية.

[٨] هناك فارق بين أخطاء الأداء *Mistakes* وبين أخطاء الكفاية *Errors*، وهما معاً محط اهتمام الباحثين في مجال تحليل الأخطاء اللغوية *Error Analysis*. ويفرقون بينهما، باعتبار الأولى عفوية يرتكبها الجميع حال حديثهم باللغة الأم أو اللغة الثانية، وهي أخطاء غير منتظمة تتج بطريقة عشوائية عرضية، دون أن تكون لها صفة التكرار. بخلاف الثانية ومردّها الاستعمال الخاطئ لقواعد اللغة بطريقة منتظمة، يقع فيها الناطقون من غير أبناء اللغة وكذلك الأطفال قبل إتمام عملية اكتساب اللغوي (للتفصيلات د.عمر يوسف عكاشة، ٢٠٠٣، ص ٩١-٩٢ بتصرف).

[٩] هناك محاولات عديدة لتحديد الموضوعات الأساسية التي ينبغي تقديمها لمعلمي العربية الأجانب. منها دراسة محمود أحمد السيد (أسس اختيار القواعد النحوية في منهج تعليم اللغة بالمرحلة الإعدادية)، فقد توصل إلى واحد وعشرين موضوعاً أساسياً يجدر البدء بها في الخطاب النحوي التطبيقي، هي: المضارع وأحواله، والفاعل، ونائب

الفاعل، والمبتدأ والخبر، وإن وأخواتها، وكان وأخواتها، والمفعول به، والمفعول فيه، والحال والاستثناء والتمييز، والمجرور بالحروف والمضاف إليه، وحروف الجر وحروف العطف، وحروف النصب وحروف الجزم، وأسماء الاستفهام، والإفراد والتثنية والجمع، والأسماء الخمسة والنعث. كذلك دراسة د. عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي، ودعبد الوهاب زكريا [منهج مقترح لتعليم النحو العربي للناطقين بغير العربية].

[٦٠] من الأمور الجديرة بالنظر تعويد الدارس ضبط أواخر الكلمات، وعدم تقويتها بالوقف غير المبرر الذي يفسد المعنى؛ فالحركة الإعرابية "إجراء شكلي وظيفي، فهي تبث المعنى وتراقبه في البنية التركيبية، وتنظم هندسة الكلم من فصل ووصل، وتمازج ونقصان، إنها الحد الفاصل بين المبنيات والمعربات، وهي أيضا تميز بين التراكيب اللازمة والمتعدية التي تسير نحو التوسع واسترسال المعنى، فهي نظام شكلي شديد الاختزال، ولكنها ذات أبعاد تجريدية موهلة في الاسترسال" (د. دليلة مزوز، ٢٠١٠م، ص ص ٤-٥).



## مراجع البحث

## ■ (أولا) الكتب

- [١] د. إبراهيم يوسف السمراي، التنظير والتطوير والتجديد في البحث اللغوي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- [٢] د. أحمد شلبي، تعليم العربية لغير العرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م.
- [٣] د. أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي (الأصول والامتداد)، دار الأمان، الرباط، ط١/٢٠٠٦م.
- [٤] آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دار الهلال العربية، الرباط، ط١/١٩٩٣م.
- [٥] د. تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط١/٢٠٠٧م.
- [٦] د. تمام حسان، التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها، سلسلة دراسات في تعليم اللغة العربية، معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٤م.
- [٧] جرهارد هلبش، تاريخ علم اللغة الحديث، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١/٢٠٠٣م.
- [٨] ابن جنى، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- [٩] جودت الركابي، طرق تدريس اللغة العربية، دار الفكر، الرياض، ١٩٨٦م.
- [١٠] د. حسن خميس الملخ، التفكير العلمي في النحو العربي، دار الشروق، الأردن، ط١/٢٠٠٢م.
- [١١] د. حسن شحاتة، المناهج الدراسية بين النظرية والتطبيق، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م.



- [١٢] د.حسن عون، دراسات في اللغة والنحو العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٦٩م.
- [١٣] د.حسني عبد الباري عصر، مهارات تدريس النحو العربي (النظرية والتطبيق)، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، ط١/٢٠٠٠م.
- [١٤] د.خليل أحمد عميرة، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي (بحوث في التفكير النحوي والتعميد اللغوي)، دار وائل، عمان، ط١/٢٠٠٤م.
- [١٥] د.خليل أحمد عميرة، في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق)، علم المعرفة، جدة، ط١/١٩٨٤م.
- [١٦] د.داوود عبده، دراسات في علم اللغة النفسي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٨٤م.
- [١٧] د.داوود عبده، نحو تعليم اللغة العربية وظيفيا، مؤسسة دار العلوم، الكويت، ط١/١٩٧٩م.
- [١٨] د.راتب قاسم عاشور، ود.محمد فؤاد الحوامدة، أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، دار المسيرة، عمان، ط٢/٢٠٠٧م.
- [١٩] د.رشدي أحمد طعيمة، ود.محمود كامل الناقبة، تعليم اللغة اتصاليا بين المناهج والاستراتيجيات، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (إيسيسكو)، المملكة المغربية، ٢٠٠٦م.
- [٢٠] د.رشدي أحمد طعيمة، تعليم العربية لغير الناطقين بها (مناهجه وأساليبه)، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، ١٩٨٩م.
- [٢١] د.رشدي أحمد طعيمة، المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، معهد اللغة العربية بمكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٩٨٦م.
- [٢٢] د.رشدي أحمد طعيمة، الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٢م.

- [٢٣] د. ظبية سعيد السليطي، تدريس النحو العربي في ضوء الاتجاهات الحديثة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١/٢٠٠٢ م.
- [٢٤] عابد توفيق الهاشمي، الموجه العملي لتدريس اللغة العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧ م.
- [٢٥] عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط ١/٢٠٠٤ م.
- [٢٦] د. عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١٣ م.
- [٢٧] علي آيت أوشان، اللسانيات والبيداغوجيا [نموذج النحو الوظيفي: الأسس المعرفية والديداكتيكية]، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط ١/١٩٩٨ م.
- [٢٨] د. عمر يوسف عكاشة، النحو الغائب (دعوة إلى توصيف جديد لنحو اللغة العربية في مقتضى تعليمها لغير الناطقين بها)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١/٢٠٠٣ م.
- [٢٩] د. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، دار الشروق، بيروت، ٢٠٠٠ م.
- [٣٠] د. محمد عيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، مكتبة عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٩ م.
- [٣١] د. محمود كامل الناقية، ود. رشدي أحمد طعيمة، الكتاب الأساسي لتعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى (إعداد، تحليل، تقويمه)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٣ م.
- [٣٢] د. محمود كامل الناقية، أساسيات في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ضمن: تطوير تدريس علوم اللغة العربية وآدابها، من إصدارات اتحاد المعلمين العرب، الخرطوم، ١٩٧٦ م.
- [٣٣] د. المصطفى بن عبد الله بوشوك، تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها، دار الهلال

العربية، الرباط، ط ١٩٩١/١ م.

[٣٤] مصطفى ناصف عبد العزيز، الألعاب اللغوية في تعليم اللغات الأجنبية (مع

أمثلة في تعليم العربية لغير الناطقين بها)، دار المريخ، الرياض، ط ١٩٨٣/١ م.

[٣٥] ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية،

بيروت، ط ١٩٨٥/٢ م.

[٣٦] هـ. دوجلاس براون، مبادئ تعلم وتعليم اللغة، ترجمة د. إبراهيم بن حمد القعيد،

و.د. عيد بن عبدالله الشمري، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٩٩٤ م، (الطبعة

المترجمة هي الطبعة الثانية).

### ■ (ثانيا) الدوريات

[١] د. دليلة مزوز، المنحى الوظيفي في رسالة سيويه، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة

محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ٧٤، جوان ٢٠١٠ م.

[٢] شريف بوشحدان، لغة وظيفية أم تعليم وظيفي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة

محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ٣٤، أكتوبر ٢٠٠٢ م.

[٣] عبد الناصر عثمان صير، ونور الدين بن أحمد، النحو في كتب تعليم العربية

للناطقين بغيرها، مجلة الدراسات الأدبية واللغوية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، السنة

الثانية، ع خاص (لسانيات تطبيقية)، سبتمبر ٢٠١١ م.

[٤] عبد الوهاب صديقي، اللسانيات وتدرّس اللغة العربية من منظور لساني وظيفي

حديث، مجلة الدراسات الأدبية واللغوية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، السنة

الثانية، ٢٤، ٢٠١١ م.

[٥] د. محمد عديل، المنحى التداولي في خطاب الوصف النحوي (الكتاب أنموذجا)،

مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، قيد النشر (إبريل ٢٠١٤).

[٦] د. محمود كامل الناقه، تدرّس القواعد في برنامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين

بها، المجلة العربية للدراسات اللغوية، السودان، معهد الخرطوم الدولي، ج ٣، ١٩٨٥ م.



## ■ (ثالثا) الرسائل الجامعية

[١] د. يحيى بعبيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، 2006م.

## ■ (رابعا) الندوات والمؤتمرات

[١] أحمد شيخ عبدالسلام، معايير تحديد القواعد النحوية في تعليم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية، ورقة عمل قدمت في المؤتمر المنعقد في الجامعة الإسلامية الماليزية، ٢٤-٢٦ أغسطس، ١٩٩٦م.

[٢] د. دخيل الله بن محمد الدهماني، المدخل التكاملي في تعليم اللغة العربية بمراحل التعليم العام: أسسه النظرية وتطبيقاته التربوية (نحو بناء لغوي متماسك)، ورقة عمل قدمت إلى المؤتمر العالمي الأول للغة العربية وآدابها بعنوان: إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري للأمة الإسلامية، في محور [نيل توجيه عملية تعليم اللغة العربية وتعلمها نحو البناء الحضاري للأمة]، ١٨-٢٠ ذو القعدة ١٤٢٨هـ، الموافق ٢٨-٣٠ نوفمبر، ٢٠٠٧م.

[٣] د. عز الدين البوشيخي، المقاربة التواصلية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، سجل المؤتمر العالمي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، الرياض، ١٤-١٥ / ١١/ ١٤٣٠هـ، الموافق ٢-٣ / ١١/ ٢٠٠٩م، معهد اللغة العربية بجامعة الملك سعود.

[٤] د. محمد عبد الفتاح الخطيب، الكفاية التخاطبية لمتعلمي العربية من الناطقين بغيرها (نحو منهج أمثل لتعليم العربية)، سجل المؤتمر العالمي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، الرياض، ١٤-١٥ / ١١ / ١٤٣٠هـ، الموافق ٢-٣ / ١١ / ٢٠٠٩م، معهد اللغة العربية بجامعة الملك سعود.

[٥] محمود كامل الناقة، خطط مقترحة لتأليف كتاب أساسي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، ندوات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٥م، ج ٢.



## ■ (خامسا) مواقع الإنترنت

[١] د. رشيد بلحبيب، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى

<http://www.almenhaj.net/makal.php?linkid=1029>

٢٠٠٩/١٢/١٠ م.

[٢] د. عز الدين البوشيخي، تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من منظور وظيفي

[http://www.isesco.org.ma/arabe/publications/Langue\\_arabe/p19.p](http://www.isesco.org.ma/arabe/publications/Langue_arabe/p19.p)

٢٠١٠/١١/٢٨ م.

[٣] عليّة بيبيّة، الاتجاه الوظيفي في تدريس النحو العربي، المركز الجامعي تبسة،

الجزائر مجلة حولية التراث، ٩٤، ٢٠٠٩ م - [http://Annales.univ-](http://Annales.univ-mosta.dz/index.php/archive/208.html)

[mosta.dz/index.php/archive/208.html](http://Annales.univ-mosta.dz/index.php/archive/208.html)

[٤] د. عبد الحلیم محمد، وقصي سمير عباسي، ملامح النحو العربي في برنامج تعليم

العربية لغير الناطقين بها.

[http://www.alukah.net/Literature\\_Language/0/7427](http://www.alukah.net/Literature_Language/0/7427)، ٢٠١٢/١٠/٢٠ م.

شبكة المعلوماتية

العدد 14 - سنة 2014

Volume 14 - 2014

14-1-2014

العدد 14 - سنة 2014

Volume 14 - 2014

14-1-2014

العدد 14 - سنة 2014

Volume 14 - 2014

14-1-2014

العدد 14 - سنة 2014

Volume 14 - 2014

14-1-2014

من مصطلحات النقد النحوي  
(الفاسد والمحال) عند المبرد

دكتور/عادل فتحي رياض

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية  
كلية الآداب والعلوم - جامعة قطر

وإنما هي لغة  
 من لغة الله

في لغة الله

في لغة الله  
 في لغة الله



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين، وعلى آله الطاهرين..

وبعد؛ فإن من أهم ما يُعنى به دارسو العربية دراسة اللغة التي كتبت بها مصنفات تلك اللغة، وبخاصة كتب النحو العربي؛ إذ إن العلوم مغلقة مبهمة إلا إذا كشف المراد بمصطلحاتها وألفاظها، وما ورد فيها من مطلق ومقيد، أو مجمل ومبين. ولأهمية الكشف عن معاني الألفاظ الخاصة. أعني: المصطلحات. ألقت الكتب المبينة للمراد منها في العلوم عامة مثل "التعريفات" للجرجاني و"كشاف اصطلاحات الفنون" للتهانوي، أو في علمٍ مخصوص. كالفقه. نحو "شرح حدود ابن عرفة" للرصاع و"طلبة الطلبة" للنسفي.

"والمصطلح في أي دراسة نحوية ليس إلا جزءاً من بناء نظري للغة، ومن ثم فإن عزل المصطلح فهما وتقييما عن الهيكل النظري الذي ينتمي إليه يحول بين الدارس وبين النظرة العلمية للأمر"<sup>(١)</sup>.

وبعد (النقد) من أبرز السمات العلمية للنحو العربي، فلا معصوم في هذا العلم، وإنما مرده إلى الاستقراء والتعديد وقياس ما لم يقل على الكثير مما قيل. وأصل النقد لغة: التمييز، ومن معانيه: بيان عيب الشيء<sup>(٢)</sup>.

ومن الخطأ قصر دلالة النقد في النحو العربي على بيان العيب أو الغلط، ولا يجوز أن يجعل مرادفاً للاعتراض أو الخلاف، بل هو أعم من ذلك بدليل أصل دلالاته اللغوية وهو التمييز. وأشكال النقد في النحو العربي متنوعة، فهناك نقد القاعدة، ونقد التوجيه، ونقد النحوي. وإن شئت قلت. بلغة الفقهاء. : نقد الحكم، ونقد الفتوى، ونقد المفتي<sup>(٣)</sup>.

وكثير من هذه المصطلحات لم يفرد بالتصنيف لبيان حدّه، وإنما قد نقف على مفهوم بعضها في كتب التعريفات، أو من خلال تتبعنا واستقراءنا لمواطنها. وبخاصة مصطلحات القبول والرد، ويجب على الدارس للمصطلح النقدي النحوي التفرقة بين وجوده في كلام المتقدمين، وبين ذكر المتأخرين له؛ لأن مصطلحات المتقدمين كانت في طور إنشاء القاعدة، أي أن انطلاق البحث عندهم من الجزئيات إلى الكليات. أما المتأخرون فإن بحثهم غالباً

منصرف إلى توجيه القاعدة المقررة أو مناقشتها، أي: إنزال الكلبي على الجزئي. وهذه التفرقة مهمة لدراسة المصطلح وضبطه.

وثمة سؤال يطرح إشكالا في دراسة مصطلحات النحو النقدية، وهو كيف نجزم بأن هذا اللفظ له دلالة اصطلاحية خاصة بهذا العلم أو هذا الإمام؟ وأنه غير مستعمل في دلالة اللغوية العامة؟ والإجابة عن ذلك أنه لا يكون اللفظ مصطلحا إلا بأمرين:

١. إما أن ينص المستعمل له على دلالة الاصطلاحية، كما فعل الفراء في مصطلح (الصِّرف) في باب نصب الفعل، فيقول: "وإن شئت جعلت هذه الأحرف المعطوفة بالواو نصبا على ما يقول النحويون من الصِّرف فإن قلت: وما الصِّرف؟ قلت: أن تأتي بالواو معطوفة على كلام في أوله حادثة لا تستقيم إعادتها على ما عطف عليها، فإذا كان كذلك فهو الصِّرف... إلخ" (٤).

٢. أو باستقراء نحوي متأخر عن الإمام أو باحث مواطن ذكر هذا اللفظ للحكم على دلالة أهي لغوية؟ أم اصطلاحية؟ أم يرد متنوعا في كلام هذا الإمام؟

وقد حظي سيبويه وكتابه بنصيب وافر في هذا الباب وظهر لديه هذا التنوع الدلالي في المصطلحات و"الكثير من الكلمات تكررت في كثير من المواضع حتى إنه التقرب منصفة الاصطلاح ذي الدلالة القارة المحددة. من ذلك كلمات من مثل: وجه الكلام أو الوجه، مستقيم، قبيح، تمثيل، حسن، فاسد، محال، ممتنع.. إلخ" (٥).

وتنوعت صور استعمال المصطلح النحوي عنده كاستعمال (الصفة) للدلالة على النعت و الحال والتمييز والتوكيد (٦). أو تسميته (الحال) خيرا (٧). وقد تعدد مرادفات المصطلح لاختلاف المدارس، فعند البصريين نجد: البدل، والجر، والنفي. ويقابلها عند الكوفيين: الترجمة (أو التبيين)، والخفض، والجحد... إلخ (٨).

ويرى الدكتور حسن حمزة (٩) أن سيبويه أول من استعمل (القبيح) مصطلحا، وأنه باستقرائه لاحظ أمورا عدة، أهمها:

أ. أن هذا المصطلح يتعلق بالتركيب النحوي، أي بطريقة تركيب الجملة ومواقع الألفاظ فيها.

ب. أنه يطلق أيضا على الاستعمال المخالف لما عليه جمهور العرب.

ج. أن القبيح ليس خروجاً على النظام اللغوي وأنه مما يقبل عند الضرورة<sup>(١١)</sup>.  
ومن أبرز محاولات رصد ألفاظ أو مصطلحات الحكم النحوي. وإن شئت قلت:  
النقد النحوي. ما قامت به الدكتورة خديجة الحديثي في كتابها "الشاهد وأصول النحو في  
كتاب سيويوه"؛ إذ إنها ذكرت في ثنايا كتابها مصطلحات عدة أطلقها سيويوه على لهجة ما أو  
حكم أو شاهد نحو: جيد عربي، ضعيف، قبيح، مستكرة، رديئة جداً، بعيد، غلط، محال،  
شاذ، مطردة، اللغة الأولى القُدُمى، القديمة الجيدة... إلخ<sup>(١٢)</sup>.

وكنت قد كتبت بحثاً عن مفهوم مصطلح (التكلف) في النحو العربي<sup>(١٣)</sup>، وبعد التتبع  
لموارد هذا المصطلح في كتب النحاة رأيت أن أقرب تعريف له هو أنه: (وصف للعدول عن  
ظاهر اللفظ لغير دليل) فهو بهذا وصف لـ (التأويل البعيد). وأرجو أن يكون هو وبحثي هذا  
نواة لمعجم أتبع فيه ألفاظ النحاة ومصطلحاتهم في كتبهم ذاكراً دلالتها، راصداً تطورها في  
مؤلفاتهم.

\* \* \*

ولم يحظ الإمام أبو العباس المبرد بمثل هذه العناية والاهتمام، من حيث تتبع دلالات  
الألفاظ لغة واصطلاحاً، وهو علم مجتهد له اختياراته وتوجيهاته، وقد نثر في تضاعف بحوثه  
ومناقشاته ألفاظاً عدة عند قبول حكم ما أو رفضه، أشبَّهها بألفاظ الجرح والتعديل عند  
المحدثين، مثل: الفاسد والمحال والغلط والبعد والضعف والقبح... إلخ

وقد اخترت في هذا البحث لفظين. أو مصطلحين. أطلقتهما المبرد في أبواب شتى،  
واصمًا بهما ما رفضه من مسائل هذه الأبواب، وهما (الفاسد) و (المحال)، وسأحاول في  
بحثي هذا تعرف دلالتهما عن طريق تتبع مواطن استعمال المبرد في كتابه "المقتضب"<sup>(١٣)</sup>.

وسوف أجلي معنى المصطلحين و العلاقة بينهما ومسائلهما في مدخل ومحورين:  
المدخل: معنى (الفاسد) و (المحال).

والمحور الأول: ما رماه المبرد بالفاسد: وأسألف المسائل تحته بحسب الأسباب:  
الفساد بسبب الإحالة، أو مخالفة القاعدة النحوية، أو مخالفة القياس الصحيح، أو مخالفة  
المعنى الصحيح. وثمة تداخل وتلاق بين هاتيك الصور، فإن المبرد قد يذكر أن الإحالة



بسبب ضعف القياس أو المعنى، وهذا لا تناقض فيه؛ لأنه لا مانع أن تجتمع أكثر من مخالفة أو ضعف في التوجيه أو الكلام الواحد.

والمحور الآخر: ما رماه الميرد بالإحالة، وسيكون تقسيمه قريبا مما قبله: بسبب مخالفة القاعدة النحوية، أو المعنى الصحيح، أو مخالفة القاعدة والمعنى معا.  
مدخل: معنى (الفاسد) و (المحال).

الفساد لغة: "نقيض الصلاح" كما في "لسان العرب" (١٤). وفي "تاج العروس": "فسد الشيء: بطل واضمحل، ويكون بمعنى: تغير" (١٥).

وحدّ مصطلح (الفاسد) عند الفقهاء: "الصحيح بأصله لا بوصفه". أو هو "ما كان مشروعاً في نفسه فاسد المعنى، كالبيع عند أذان الجمعة" (١٦).

وهو عند فقهاء الشافعية بمعنى: "الباطل، وهو ما فقد ركنا أو شرطاً بلا ضرورة" (١٧).  
أما الإحالة والمحال في اللغة فقد تعدد المعنى بحسب المنعوت بهما، فقوس مستحيلة ومستحالة: معوجة، وكل ما تحول أو تغير من الاستواء إلى العوج فقد حال واستحال (١٨). وكلام مستحيل: أي: محال (١٩) ... والمحال: الباطل (٢٠). وقال الراغب: "هو ما جمع بين المتناقضين، وذلك يوجد في المقال" (٢١).

وفي "لسان العرب": "المحال من الكلام: ما عدل به عن وجهه ... وكلام مستحيل: محال. ويقال: أحلت الكلام أحيله إحالة: إذا أفسدته. وروى ابن شميل عن الخليل بن أحمد أنه قال: المحال: الكلام لغير شيء. والمستقيم كلام لشيء" (٢٢).

أما (المحال) في كتب الحدود والتعريفات فقول: "ما يمتنع وجوده في الخارج، كاجتماع الحركة والسكون في جزء واحد" (٢٣)، أو هو "ما لا يتصور وجوده في الخارج" (٢٤). وقيل: "ما اقتضى الفساد من كل وجه" (٢٥).

العلاقة بين اللفظين: بتحليل النقول السابقة نفهم أن ثمة علاقة عموم وخصوص مطلق بين الفاسد والمحال، فكل محال من الكلام فاسد، وليس كل فاسد محالاً. لذا يصح أن نقول: كما تقدم: أحلت الكلام أحيله إحالة: إذا أفسدته.. لا العكس.



ووجه فساده الجمع بين المتناقضين، كما يقول سيويه: "وأما المحالف أن تنقض أو لكلامك بآخر هفتقول: أتيتك غدا وسأتيتك أمس"<sup>(٢٦)</sup> ويلفظ آخر: الفاسد (أو الفساد) له صور متعددة منها المحال (أو الإحالة). هذا هو الفرق بينهما من حيث اللغة.

. (الفاسد) و (المحال) في لغة المبرد النقدية.

قبل الخوض في بيان معنى هذين اللفظين . ليصيرا مصطلحين . يجب أن نعترف بأن كثيرا من مصطلحات النقد النحوي لم يضع العلماء لها حداً جامعاً مانعاً؛ لذا ظل كثير منها غامضاً أو عاماً فضفاضاً، ولعلنا بجمع أبرز الصور والأشكال التي أطلقت هذه المصطلحات في سياقها نستطيع أن نحدها ونضع لها تعريفاً يكون أقرب إلى مقصود النحاة، ولن يكون حداً جامعاً مانعاً؛ لجواز دخول صور أخرى فيه أو عدم اطراده؛ لأن ذلك يعتمد على استقراء كتب النحو والأعراب جميعها.. وإذا لم يحسن وضع الحد المطرد فالرجوع إلى المعنى اللغوي للفظ هو الملجأ الوحيد لمعرفة دلالاته المقصودة عند النحاة.

"والمصطلحات لا توضع ارتجالاً، ولا بد في كل مصطلح من وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة كبيرة كانت أو صغيرة بين مدلوله اللغوي ومدلوله الاصطلاحي"<sup>(٢٧)</sup>.

أما بالنسبة إلى هذين اللفظين فلا يختلف المعنى الاصطلاحي عن اللغوي كثيراً، بل يتداخلان، وظهر ذلك في أثناء بحث الإمام المبرد مسائل العربية ومناقشته أقوال المخالفين وتوجيهاتهم. وتدقيق النظر في كلام المبرد يمكن أن نضع تعريفاً لكل من لفظي (الفاسد) و(المحال) عنده، ثم نستحضره معنا في أثناء قراءة مسائل البحث:

(الفاسد) هو : وصف للخروج عن استقامة الكلام لفظاً أو معنى أو توجيهها.

فقولي: (وصف) يدخل فيه الحكم النحوي؛ لأنه وصف في المعنى.

وقلت (استقامة الكلام) ويصح أن أقول: صحة الكلام

وقولي: (لفظاً) يدخل فيه مخالفة الإعراب والرتبة والربط وغيرها من لوازم التركيب

الصحيح.

وقولي: (معنى) يدخل فيه المحال، وإيهام ما ليس مقصودا.  
 وقولي: (توجيها) يدخل فيه أقوال المخالفين المرفوضة.  
 وأما (المحال)، فهو ما يمنع من تصور معنى الكلام على وجهه الصحيح.  
 وقديين السيرافي المقصود منه في كلام سيويه، وقال: "ومعنى أنه محال أنه أحيل عن وجهه المستقيم الذي به يفهم المعنى إذا تكلم به" (٢٨). وهو قريب من معناه عند المبرد وسوف أعود إليه عند بيان مسائل المحال.

أولاً: صور مصطلح الفساد (أو الفاسد)

( ١ ) الفساد للإحالة.

بدأت بهذه الصورة لأبرهن على العلاقة التي ذكرتها آنفا (وهي أن الفساد أعم من الإحالة)، والمقصود بها هنا: مسائل رماها المبرد بالفساد لاقتران الإحالة بها. ولكي ينضبط البحث فسوف أرتبها بحسب أسباب الإحالة التي اقتضت الفساد.

ومن نماذج هذه الصورة:

أ. الإحالة بسبب ضعف المعنى.

. قال: "تقول: (قد قاله القوم حتى إن زيدا يقوله)، (وقد شربوا حتى إن أحدهم يجر بطنه)؛ لأنه موضع ابتداء. ألا ترى أنك تقول: (قد قاله القوم حتى زيد يقوله)، و لو قلت في هذا الموضوع: (أنّ) كان محالاً؛ لأن (أنّ) مصدر ينبي عن قصة، فلو كان: (قد قاله القوم حتى قول زيد) كان محالاً. و لكن لو قلت: (بلغني حديثك حتى أنك تظلم الناس) كان من مواضع أنّ المفتوحة؛ لأن المعنى: بلغني أمرك حتى ظلمك الناس. وإنما يصلح هذا ويفسد بالمعنى" (٢٩).

فمعنى كلام المبرد أنه لو أتينا بـ (أنّ) كان معنى الكلام مخالفاً لمقصود المتكلم ولا يستقيم، فيصح وصمه بالمحال، ففساده من جهة إحالته، وإحالته بسبب ضعف معناه.

. وثمة صورة أخرى تظهر فيها تلك العلاقة الثلاثية بين الفساد والإحالة والمعنى، وهي الإخبار عن الظروف غير المتصرفة نحو: عند وسحر وذات مرة وعشية ... إلخ، يقول المبرد: " فلا يجوز الإخبار عن شيء منها، لأنك إذا جعلت شيئاً منها خبر ابتداء،

أردت أن ترفعه، والرفع فيها محال؛ لأنها لا تكون أسماء غير ظروف لأنك تقول: مكان واسع، ولا تقول: عندك واسع، ولا: ذات مرة خير من مرتين؛ لفساد ذلك في المعنى" (٣٠).

. وفي صورة أخرى استعمل المصطلحين (الفساد والمحال) مترادفين في سياق واحد، والجامع بينهما انقلاب المعنى فقال: "بأما لا يكون المستثنى فيه إلا نصبًا: وذلك قولك: جاءني إخوتك إلا زيدًا، ومررت بإخوتك إلا زيدًا، ولا يكون البدل ها هنا. ألا ترى أنك لو طرحت الإخوة من الكلام لتبدل (زيدًا) منهم لفسد لو قلت: جاءني إلا زيدًا كان محالًا، وكذلك مررت إلا يزيد محال" (٣١).

ب. البعد عن القياس الصحيح حسب في الإحالة، ولما كان محالًا كان فاسدًا. يتعرف المضاف بما أضيف إليه، فلا يجوز أن يكون معرفة ثم يضاف إلى معرفة، ومن الخطأ. كما يقول المبرد. أن يقترن المضاف والمضاف إليه ب (أل)؛ إلا أن يكون المضاف مشتقًا كقولنا: القارئ القرآن والكاتب الرسالة.

قال المبرد: "علم أن قومًا يقولون: أخذت الثلاثة الدراهم يا فتى، وأخذت الخمسة عشر الدرهم. وبعضهم يقول: أخذت الخمسة عشر الدرهم، وأخذت العشرين الدرهم التي تعرف. وهذا كله خطأ فاحش. و علة من يقول هذا الاعتلال بالرواية، لا أنه يصيب له في قياس العربية نظيرًا.

و مما يطل هذا القول أن الرواية عن العرب الفصحاء خلافه. فرواية برواية. والقياس حاكمٌ بعد أنه لا يضاف ما فيه الألف واللام من غير الأسماء المشتقة من الأفعال...

و قد اجتمع النحويون على أن هذا لا يجوز، وإجماعهم حجة على من خالفه منهم. فعلى هذا تقول: هذه ثلاثة أبواب؛ كما تقول: هذا صاحب ثوب. فإن أردت التعريف قلت: هذه ثلاثة الأتواب، كما تقول: هذا صاحب الأتواب؛ لأن المضاف إنما يعرفه ما يضاف إليه فيستحيل هذه الثلاثة الأتواب؛ كما يستحيل هذا صاحب الأتواب. وهذا محال في كل وجه

...

ألا تراك تقول: كل اثنين جاءني أكرمهما؛ لأنك تريد: الذين يجيئونك اثنين اثنين. فلو قلت: كل الاثنين أو كل الرجل على هذا لاستحال. ففساد هذا بين جدًا" (٣٢).

ج. الفساد لإحالة العمل.



مثل قولك: (عبد الله قام) فإن الفعل لم يعمل في الاسم المتقدم، ومن قال ذلك فقولُه محال فاسد، وذلك لأمر ذكرها المبرد مدلا عليها بأمثلة: "منها أن (قام) فعل، ولا يرفع الفعل فاعلين إلا على جهة الإشراك؛ نحو: قام عبد الله وزيد، فكيف يرفع عبد الله، وضميره؟"

ثم يزيد المبرد التأكيد على الفساد لإحالة العمل بقوله: "ومن فساد قولهم أنك تقول: رأيت عبد الله قام، فيدخل على الابتداء ما يزيله، ويبقى الضمير على حاله".  
ويقول أيضا: "ومن ذلك أنك تقول: عبد الله هل قام؟ فيقع الفعل بعد حرف الاستفهام، ومحال أن يعمل ما بعد حرف الاستفهام فيما قبله"<sup>(٣٣)</sup> ... إلى آخر أمثله وتوجيهاته الدالة على فساد هذا القول لإحالة العمل.

## (٢) الفساد لمخالفة القاعدة النحوية.

وهو السبب الثاني لإطلاق مصطلح (الفساد) على الكلام أو التوجيه. وأعني به الخروج عن القواعد المقررة الصحيحة من عملاً أو رتبة أو ربط... إلخ  
ومن مسائل ذلك عند المبرد:  
أ. عدم العمل.

وظهر ذلك عند استدلاله على عدم تركيب (لن) من (لا) وأن) مخالفاً بذلك الخليل، فقال رحمه الله: "وليس القول عندي كما قال . أي: الخليل . وذلك أنك تقول: زيداً لن أضرب؛ كما تقول: زيداً سأضرب. فلو كان هذا كما قال الخليل لفسد هذا الكلام؛ لأن زيداً كان ينتصب بما في صلة أن. ولكن لن حرف بمنزلة أن"<sup>(٣٤)</sup>.

ومعنى هذا الاستدلال أن القاعدة المقررة الصحيحة هي أن (أن) لها الصدارة ولا يعمل ما بعدها فيما قبلها، ولما صح قولنا (زيداً لن أضرب) دل ذلك على أن (لن) ليست مركبة من (لا) و (أن).

. ولما ذكر المبرد القول بأن (فعل الأمر معرب وليس مبنياً، وأن عامل الجزم فيه

مضمر)، قال:



"فإن قال قائل: الإضمار يعمل فيها. قيل: هذا فاسد من وجهين: أحدهما: أن الفعل لا يعمل فيه الإضمار إلا أن يعوض من العامل. والثاني: أنه لو كان ينجزم بجازم مضمر لكان حرف المضارعة فيه الذي به يجب الإعراب، لأن المضمر كالظاهر..."<sup>(٣٥)</sup>.

ب. اختلال الرتبة.

"فإن قال قائل: هل يجوز: اليوم إنك منطلق، ولك علي إنك لا تؤذي؟  
فإن ذلك غير جائز؛ لأنك تريد التقديم والتأخير، فيكون على قولك: إنك منطلق اليوم وإنك لا تؤذي لك علي. وإن رحلتك يوم الجمعة. وإنما فسد لأن (إن) لا يصلح فيها التقديم والتأخير، كما لم يصلح ذلك فيما تعمل فيه من الأسماء إذا كانت مكسورة. فإذا كانت مفتوحة جاز فيها التقديم والتأخير، أعني تقديم الخبر وتأخيره، لأنها موضوعة موضع المصدر"<sup>(٣٦)</sup>.

فإذا وضعنا (أن) صح وجاز أن تقول: "يوم الجمعة أنك خارج، واليوم أنك راحل، ولك علي أنك لا تؤذي؛ لأنه أراد: يوم الجمعة خروجك، وفي يوم الجمعة رحلتك، ولك علي ترك الأذى"<sup>(٣٧)</sup>.

ج. عدم الربط والمرجعية الصحيحة.  
لأن عدم عود الضمير على ما هو له، أو عوده على غير شيء موجب للفساد.  
قال: "إذا قلت: (الذي كان زيد هو منطلق أبوه)، فرددت هو إلى زيد فسد من جهتين:

إحدهما: أن هو للأب، وقد جعلتها لزيد. والآخر: أنك لم تجعل في صلة (الذي) شيئاً يرجع إليه. فإن قال: أزد هو إلى (الذي). لم يكن في خبر زيد ما يرجع إليه... "وله في هذا الباب أمثلة وتدرجات للطلاب على مسائل عود الضمير صحة وفساداً"<sup>(٣٨)</sup>.

د. عدم تمام أركان الجملة.

وفيه يؤكد المبرد أن الكلام قد تتم فيه المرجعية والربط بين أجزائه ولكنه يكون فاسداً لافتقار الجملة إلى ركن من أركانها، يقول: "ولو قلت: (ظننت الذي التي تكرمه يضربها) لم يجز، وإن تمت الصلة؛ لأن (التي) ابتداءً وتكرمه صلتها، ويضربها خبر الابتداء. فقد تم

الذي وصلته؛ وإنما فسد الكلام؛ لأنك لم تأت بمفعول ظننت الثاني. فإن أتيت فقلت: أخاك أو ما أشبهه صح الكلام"<sup>(٣٩)</sup>.

### ( ٣ ) الفساد لمخالفة القياس الصحيح.

ومن نماذج ذلك:

أ. ما ذكره المبرد من أن بعض النحويين لا يجيز الإخبار عن (الأخ) في قولنا: (كان زيد أخاك)، "ويقول: إنما معناه: كان زيد من أمره كذا وكذا؛ فكما لا يجوز أن تخبر عن قولنا: من أمره كذا وكذا؛ كذلك لا يجوز أن تخبر عما وضع موضعه"<sup>(٤٠)</sup>  
فرد المبرد قوله بفساد قياسه، وقال: "وهذا قولٌ فاسد مردود لا وجه له؛ لأنك إذا قلت: زيد منطلق، فمعناه: زيد من أمره كذا وكذا. فلو كان يفسد الإخبار هناك لفسد هاهنا"<sup>(٤١)</sup>. فلما كان قياسه فاسدًا كان قوله مثله.

ب. من أدلة القائلين بإعراب فعل الأمر أنه يشبه الفعل المضارع في بجامع الدلالة على الطلب، لأن (ليضرب) معناها (اضرب)، فرد المبرد ذلك بفساده لعدم صحة قياسه، فالمضارع يشبه الأسماء في تغير آخره بالإعراب ولا تتغير بنيته مثلها، أما الأمر فبنيته تتغير.. قال: "قد يقع الشيء في معنى الشيء وليس من جنسه.. ومن الدليل على فساد قوله أن هذه الأفعال المضارعة في الإعراب كالأسماء المتمكنة. والأسماء إذا دخلت عليها العوامل لم تغير أبنيتها، إنما تحدث فيها الإعراب... فإذا قلت: افعل في الأمر لم تلحقها عاملاً؛ ولم تقررها على لفظها؛ ألا ترى أن الجوازم إذا لحقتها لم تغير اللفظ"<sup>(٤٢)</sup>.

ج. تقدم معنا رد المبرد القول بجواز (أخذت الثلاثة الدراهم) وكان من جملة ردوده قوله: "و علة من يقول هذا الاعتلال بالرواية، لا أنه يصيب له في قياس العربية نظيراً. و مما يبطل هذا القول أن الرواية عن العرب الفصحاء خلافه، فرواية برواية، والقياس حاكمٌ بعد أنه لا يضاف ما فيه الألف واللام من غير الأسماء المشتقة من الأفعال"<sup>(٤٣)</sup>.

د. اعترض المبرد على من يقول بمجيء (أو) بمعنى (بل) واستشهادهم بقوله تعالى: (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون)<sup>(٤٤)</sup>، وقال: "وهذا فاسد عندنا" .. واستدل على فساده بعدم الاطراد لأن " أو لو وقعت في هذا الموضوع موقع بل لجاز أن تقع في غير هذا

الموضع، وكنت تقول: ضربت زيدا أو عمرا، وما ضربت زيدا أو عمرا على غير الشك، ولكن على معنى بل فهذا مردودٌ عند جميعهم" (٤٤).

والاطراد من أمارات انضباط العلة الصحيحة التي هي ركن من أركان القياس.

( ٤ ) الفساد لمخالفة المعنى الصحيح.

لقد قرر المبرد في مواضع من المقتضب، أن المعنى يصلح بصحتها الكلامي فساد بفساده، فمن ذلك قوله: "ألا ترى أنك لو قلت: (أنا عبد الله منطلقاً) لكان المعنى فاسداً؛ لأن هذا الاسم لا يكون لي في حال الانطلاق ويفارقني في غيره، ولكن يجوز أن تقول: (أنا عبد الله) مصغراً نفسك لربك، ثم تقول: آكلأ كما يأكل العبيد، وشارباً كما يشرب العبيد؛ لأن هذا يؤكد ما صدرت به ... وهذا باب إنما يصلحه ويفسده معناه، فكل ما صلح به المعنى فهو جيد، وكل ما فسد به المعنى فمردود" (٤٥) وكذا قال أيضا في باب التصغير: "فبالمعنى يصلح اللفظ ويفسد" (٤٦)، وقال عند ذكر مواضع (أنّ) المفتوحة: "لو قلت: (بلغني حديثك حتى أنك تظلم الناس) كان من مواضع أنّ المفتوحة؛ لأن المعنى: بلغني أمرك حتى ظلمت الناس. وإنما يصلح هذا ويفسد بالمعنى" (٤٧).

❖ وبعد؛ فهذه صور ورود مصطلح الفساد الأربع كما وقفت عليها عند المبرد: الإحالة، ومخالفة القاعدة النحوية، ومخالفة القياس الصحيح، ومخالفة المعنى الصحيح.

واجتهدت في وضع حدّ له كما سبق وهو أنه: (وصف للخروج عن استقامة الكلام (أو صحته) لفظاً أو معنى أو توجيهاً)، وأن الفاسد أقوى من الضعيف؛ إذ إن الضعيف قد يُقبل أما الفاسد فمردود وباطل.

\* \* \*

ثانياً: مصطلح الإحالة (أو المحال)

تقدم أول البحث أن مصطلح المحال أخص من مصطلح الفاسد، وكل ما يطلق عليه (محالاً) يصح أن نقول عنه: إنه فاسد. وأن الفساد في استعمال المبرد له صور متعددة بحسب أسبابه. وهذه الأسباب منها ما هو مشترك مع مصطلح (المحال) كما سيأتي؛ لذا كان



من المفيد هنا أن نستحضر في ذهن صور المحال السابقة المندرجة تحت مصطلح (الفاسد).

ولا يذكر مصطلح المحال في الكلام إلا ويشار إلى نص سيوييه المشهور عن استقامة الكلام، فإنه يقول رحمه الله:  
"هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة: فمنهم ستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب.

فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيت كأمس وسآتيك غدا .  
وأما المحالف أن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيت كغدا وسآتيك أمس.  
وأما المستقيم الكذب فقولك: حملتا لجبل، وشربت ماء البحر ونحوه.  
وأما المستقيم القبيح فانت ضعال لفظ فيغير موضعه نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكيزيداً يأتيتك، وأشبه ذلك. وأما المحال الكذب فانتقول: سوف أشرب ماء البحر أمس" (٤٨).  
يقول السيرافي: "ومعنى أنه محال أنه أحيل عن وجهه المستقيم الذي به يفهم المعنى إذا تكلم به" (٤٩).

وقال أيضا: "إن المحال هو الكلام الذي يوجب اجتماع المتضادات" (٥٠).  
وكلام السيرافي الأول أتم وأعم من الثاني؛ لأن الأول يجمع بين استقامة اللفظ على سنن كلام العرب وإفهامه المعنى المقصود، بخلاف الثاني الذي ينحصر في اختلال المعنى.  
تعريف (المحال):

يمكن أن أضع تعريفا أحاول ان أجمع به صور الإحالة الواردة في كلام الإمام المبرد متوائمة مع كلام السيرافي السابق، فأقول: المحال هو: ما يمنع من تصور معنى الكلام على وجهه الصحيح.

. صور استعمال المبرد لمصطلح (المحال).  
وجدت بعد تتبع أنه يمكن حصرها في صورتين تتولد منهما صورة ثالثة، وذلك على النحو التالي:

. الإحالة لمخالفة القاعدة النحوية.

. الإحالة لمخالفة المعنى الصحيح.



. الإحالة لمخالفة القاعدة والمعنى معاً.

( ١ ) الإحالة لمخالفة القاعدة النحوية. وتحتها مسائل متنوعة من أبواب شتى، منها:

. نقل المبرد في "الكامل" أبيات أبي عبد الرحمن العتبي، وفيها:

يا خير إخوانه وأعطفهم  
عليهم راضيا وغضبانا

فقال المبرد: " قوله: يا خير إخوانه محال وباطل، وذلك أنه لا يضاف أفعال إلى شيء إلا وهو جزء منه" (٥١).

وإذا قلنا هنا: إن (باطل) معناها (فاسد) فموضع المسألة في المحور الأول، أما إذا قلنا: إن (باطل) بمعنى (ضائع) أو (كاذب) فموضعها هنا، ولأن هذين المعنيين هما مؤدّا المحال... وقد اكتفى بإطلاق المحال على هذه المسألة في المقتضب في باب (التمييز والتمييز)، فقال: "ولا يضاف أفعال إلى شيء إلا وهو بعضه؛ كقولك: الخليفة أفضل بني هاشم. ولو قلت: الخليفة أفضل بني تميم كان محالاً؛ لأنه ليس منهم"

. ومنها ما يتعلق بباب الإضافة. كالمسألة السابقة. وهو إضافة (أي) إلى (من)، وذكر المبرد هنا مصطلح المحال مرتين؛ مرة قال (محالاً) وأخرى قال (أحلت) أي جئت بمحال.

قال: "و لو قلت: أي من يأتي آتة كان محالاً؛ لأنك إذا أضفت أي إلى من؛ لم تكن من إلا بمنزلة الذي. فإن قلت: أجعل أي استفهاماً، وأجعل من جزاءً فقد أحلت؛ لأنك إذا أضفت إلى الجزاء اسماً دخله الجزاء؛ ألا ترى أنك تقول: غلام من يأتك تاتته، فيصير الجزاء للغلام صلة..."

فإن قلت: أجعلها استفهاماً. قيل: قد أحلت؛ لأنك قد جعلتها جزاءً واستفهاماً في حال، ومتى كانت في أحدهما بطل الآخر" (٥٢).

. ومنها مسألة تتشابه مع استعمال المبرد مصطلح (الفاسد) عند غياب المرجع وضعف قرينة الربط في الكلام، ولكنه اكتفى هنا بـ (المحال)

قال في "المقتضب": "ويقول النحويون: إذا قلت: ظننت وطني أخواك منطلقاً، فالتقدير في المعنى: أن يكون ظني بهما كظنهما بي. فإن أخبرت في قول النحويين عن الأخوين فقلت: الطان أنا والطانان منطلقاً أخواك؛ كان محالاً؛ لأن قولك: (الطان أنا) الألف

واللام للأخوين؛ لأنهما الخبر، وليس في الصلة ما يرجع إلى الموصول فهذا عندهم محال<sup>(٥٣)</sup>.

ومعنى كلامه: أن قولك: (الظان أنا) معناه (اللذان ظنا)، وما بعدها صلة، وجملة الصلة ليس بها ما يرجع إلى الموصول.

. وقال في مسألة الإخبار عن الحال: "فإن قلت: ضرب عبد الله أخاك قائماً، فقيل: أخبر عن قائم، فقد سألت محالاً؛ لأن الحال لا تكون إلا نكرة، والمضمر لا يكون إلا معرفة وكل ما أخبرت عنه فإضماره لابد منه؛ فالإخبار عن الحال لا يكون، وكل ما أخبرت عنه فإضماره لابد منه"<sup>(٥٤)</sup> لأنه سيكون جمعا بين المتناقضين: النكرة والمعرفة، وهو غير متصور. وقد يطلق الإحالة فيما يتعلق بالعمل والرتبة معا من حيث عدم الجواز ومخالفة القواعد المقررة، أو العمل وحده، أو الرتبة وحدها.

. فمما أطلق الإحالة فيه على ما يتعلق بالعمل والرتبة معا، قوله: "وإن قال قائل: فقل: إن يقوم زيداً؛ لأن يقوم ليس مما تعمل فيه إن؛ فإن هذا محال من وجهين:

أحدهما: أن (إن) مشبهة بالفعل، فلا يجوز أن تلي الفعل؛ كما لا يلي فعل فعل، وليس فيها ضمير فيكون بمنزلة: كاد يقوم زيد؛ لأن في كاد ضميراً حائلاً بينها وبين الفعل. والجهة الأخرى: أن (يقوم) في موضع (قائم)، فلا يجوز أن يفصل بها بين إن واسمها؛ كما لا يجوز أن يفصل بقائم"<sup>(٥٥)</sup>.

. أما الإحالة في العمل وحده، فقوله: أعجبنى اليوم ضرب زيد عمراً. إن جعلت اليوم نصباً بأعجبنى فهو جيد. وإن نصبته بالضرب كان محالاً، وذلك لأن الضرب في معنى (أن فعل)، و(أن يفعل)، فمحال أن ينصب ما قبله؛ لأن ما بعده في صلته، ولا يعمل إلا فيما كان من تمامه، فيصير بعض الاسم، ولا يقدم بعض الاسم على أوله"<sup>(٥٦)</sup>.

. وأما ذكره الإحالة عند اختلال الرتبة فقط، ففي تقدم معمول اسم الفاعل المعرف بـ (أل) قال المبرد: "ولو قلت: الدرهمين ظن المعطي منطلقاً كان محالاً، سواء إذا أردت: ظن المعطي درهمين منطلقاً؛ لأن الدرهمين من صلة المعطي، فإذا قدمتها فقد بدأت بالصلة قبل الموصول، وإنما هو تمام اسمه فكأنك جعلت دال زيد قبل يائه، أو يائه من قبل زايه"<sup>(٥٧)</sup>.

(٢) الإحالة لمخالفة المعنى الصحيح.

وهذه المخالفة قد تكون لعدم تصور المعنى أصلاً، أو لأنه غير مقصود، أو لنقصانه.

. فمن أمثلة إطلاق المبرد (المحال) لعدم تصوره:

أ . أن حروف المعاني لا يتصور معناها إذا قيلت منفردة، من غير سياق تقع فيه ، ككاف التشبيه ولام الملك، فإن معنى التشبيه والملك غير متصور أو لا يظهر بمجرد إطلاق نحو هذه الأدوات مجردة عن سياقها.

قال: "فأما ما كان من هذه الحروف التي جاءت لمعان، فهي منفصلة بأنفسها مما بعدها وقبلها، إلا أن الكلام بها منفردة محالٌ... فإن منها: كاف التشبيه التي في قولك: أنت كزيد، ومعناه: مثل زيد ، واللام التي تسمى لام الملك" (٥٨).

ب . ومسألة دخول (من) في سياق النفي على المعرفة، فليس متصوراً قولنا: (ما جاءني من عبد الله)؛ لأن (من) في سياق النفي لا تدخل إلا على نكرة شائعة في جنسها نحو: أحد، و رجل ...

قال: "تقول: ما جاءني عبد الله. فإذا قلت: ما جاءني من رجل لم يقع ذلك إلا للجنس كله، ولو وضعت في موضع هذا المنكور معروفاً لم يجوز لو قلت: ما جاءني من عبد الله ، كان محالاً؛ لأنه معروف بعينه فلا يشيع في الجنس" (٥٩).

ج . وكذا مسألة الفرق بين (آتيك إذا احمر البسر) و (آتيك إن احمر البسر)، إذ لا معنى للشك أو عدم الإمكان في المثال الثاني. يقول: "و تقول: آتيك إذا احمر البسر، ولو قلت: آتيك إن احمر البسر كان محالاً؛ لأنه واقع لا محالة" (٦٠).

د . ويصح أن تقول: "سَرَّ دفعك إلى المعطي زيدا ديناراَ درهماً القائم في داره عمرو" .. يقول المبرد: "نصبت (القائم) ب(سر)، ورفعت عمراً بقيامه.



ولو قلت: (سَرَّ دفعك إلى زيد درهما ضربك عمرا)؛ كان محالا ؛ لأن الضرب ليس مما يُسَرُّ" (٦١).

. أما إطلاق المبرد المحال على مخالفة المعنى المقصود فمن أمثلته:

أ . نصب (يكون) في قوله تعالى: (فإنما يقول له كن فيكون) (٦٢)، يقول المبرد: "النصب هاهنا محال؛ لأنه لم يجعل فيكون جواباً. هذا خلاف المعنى؛ لأنه ليس هاهنا شرط، إنما المعنى: فإنه يقول له: كن فيكون، و(كن) حكاية" (٦٣).

ب . ومحال قولك: (لا تعص الله يدخلك النار)؛ لأن معنى (لا تعص): أطمع، قال: "ولو قلت: لا تعص الله يدخلك الجنة كان جيداً؛ لأنك إنما أضمرت مثل ما أظهرت. فكانك قلت: فإنك إن لا تعصه يدخلك الجنة... و لو قلت: (لا تعص الله يدخلك النار) كان محالاً؛ لأن معناه: أطمع الله. وقولك: (أطمع الله يدخلك النار) محال" (٦٤).

ج . وكذا محال أن تعرب (زيد) بدلا في قولك: (نعم الرجل زيد) مثل (مررت بأخيك زيد)، يقول: "وهذا محال؛ لأن الرجل ليس يقصد به إلى واحد بعينه؛ كما تقول: جاءني الرجل، أي: جاءني الرجل الذي تعرف. وإنما هو واحد من الرجال على غير معهود تريد به هذا الجنس. ويؤول (نعم الرجل) في التقدير إلى أنك تريد معنى محموداً في الرجال، ثم تعرف المخاطب من هذا المحمود" (٦٥).

د . ومسألة مجيء (أن) بعد حتى الابتدائية وأنت لا تريد المصدر المنبئ عن القصة، قال: "وإنما يصلح هذا ويفسد بالمعنى. وتقول: ظننت زيدا إنه منطلق لا تكون إلا المكسورة؛ لأن المعنى: ظننت زيدا هو منطلق؛ كما تقول: ظننت زيدا أبوه منطلق. ولو قلت: ظننت زيدا أنه منطلق، ففتحت لكان المعنى: ظننت زيدا الانطلاق، وهذا محال" (٦٦).

. أما نموذج الإحالة لنقص المعنى، فهو مبني على الخلاف بين سيبويه والمبرد في جواز قولنا: (جاء عبدالله وذهب زيد العاقلان) ، فسيبويه يرى جوازه لأن الفاعلين مرفوعان من جهة واحدة وهي الفعل، ويعني به اتحاد العامل في الجنس، فكلاهما فعل (٦٧). ويرى المبرد أن المعنى سيكون ناقصا، فتوجيه سيبويه محال، قال: "وليس القول عندي كما قال؛ لأن النعت إنما يرتفع بما يرتفع به المنعوت. فإذا قلت: جاء زيد، وذهب عمرو العاقلان؛ لم يجز أن يرتفع بفاعلين.



فإن رفعتها بجاء وحدها فهو محال؛ لأن عبد الله إنما يرتفع بذهب، وكذلك لو رفعتها بذهب لم يكن لزيد فيها نصيب<sup>(٦٨)</sup> وهذا هو وجه النقص؛ إذ لو كان العمل في النعت لأحد الفعلين لنقص المعنى في الآخر.

( ٣ ) الإحالة لمخالفة القاعدة والمعنى معًا.

تقدم أن المبرد لا يحصر الإحالة فيما يتعلق بالمعنى فقط، بل يعد ما خالف القاعدة النحوية فقط محالاً في بعض الصور، ولعل ذلك لفساد معنى الكلام ضمناً وإن لم يصرح به. وفي هذه الصورة نجده وظف مصطلح (المحال) في مسائل رفضها لفظاً ومعنى، مصرحاً بذلك في بعضها بقوله: "ويستحيل في التقدير مع استحالته في المعنى"<sup>(٦٩)</sup>؛ ومن ذلك:

أ. قوله: "ولو قلت: زيد أخوك قائماً وأنت تريد النسب فهو محال؛ لأن النسب

لازم فليس له في القيام معنى، ويستحيل في تقدير العربية مع استحالته في المعنى... ولا

يصلح: زيد أخوك يوم الجمعة إذا كان من النسب؛ لأنه لا فعل فيه"<sup>(٧٠)</sup>.

ب . ولا يجوز لفظاً ومعنى قولك: (مررت بزیدِ عمرو في الدار) إلا على جهة القطع والاستئناف، يقول: "هو محال إلا على قطع خيرٍ واستئناف آخر. فإن جعلته كلاماً واحداً قلت: مررت بزید وعمرو في الدار"<sup>(٧١)</sup>.

ج . شرط الخبر أن يكون هو المبتدأ في المعنى، أو به ما يعود إلى المبتدأ؛ فأحد الشرطين يخص المعنى والآخر تابع للفظ، فإن لم يتحقق ذلك كان الكلام محالاً. قال المبرد: "واعلم أن خير المبتدأ لا يكون إلا شيئاً هو الابتداء في المعنى؛ نحو: زيد أخوك، وزيد قائم.

فالخبر هو الابتداء في المعنى، أو يكون الخبر غير الأول، فيكون له فيه ذكر. فإن لم يكن على أحد هذين الوجهين فهو محال"<sup>(٧٢)</sup>.

د . ومن ذلك أيضاً المنادى المقرون بكاف الخطاب، فإن ذلك محال؛ قال: "اعلم أن إضافة المنادى إلى الكاف التي تقع على المخاطب محال. وذلك لأنك إذا قلت: يا غلامك أقبل، فقد نقضت مخاطبة المنادى بمخاطبتك الكاف"<sup>(٧٣)</sup> ولا يجتمع مناديين مختلفي الجنس في خطاب واحد.

هـ . الأسماء المشتقة فيها معنى الفعل لذا صح أن تعمل عمله رفعا ونصبا كاسم الفاعل، فالضارب والقاتل معناهما . كما يقول المبرد :. الذي ضرب والذي قتل؛ لذا كان محالاً أن يقع الجامد موقع اسم الفاعل وينصب مفعولاً؛ لانعدام هذا المعنى وهذا التقدير، يقول: "ولا معنى للأسماء غير المشتقة في ذلك. ألا ترى أنك لو قلت: هذا الغلام زيداً كان محالاً"<sup>(٧٤)</sup>.

\* \* \*

#### الخاتمة

يمكن أن أوجز أهم النتائج التي توصل إليها البحث في النقاط التالية:  
 . المقصود بالنقد النحوي هو مطلق التمييز، ويندرج فيه القبول والرد، لا بيان العيب والخطأ فحسب.

. تحرير المصطلح يكون بنص مستعمله على مفهومه، أو باستقراء الباحث لصور موارده ومواطن ذكره.

. لم يحظ المبرد بدراسة وافية لمصطلحاته مثلما حصل مع سيبويه وكتابه.

. كثير ذكر لفظي الفساد والإحالة (أو الفاسد والمحال) كثرةً تنبئ عن وجود دلالة مصطلحية لهما في الفكر النحوي عموماً.

. المصطلحان لهما حظ وافر من معناهما اللغوي، وهذا يساعدنا في فهم كثير من الألفاظ الواردة في كلام النحاة وبخاصة المتقدمون منهم، فإذا لم نستطع إدراك المفهوم العرفي للمصطلح فإننا نحمله على دلالاته اللغوية.

. العلاقة بين الفاسد و المحال علاقة عموم وخصوص مطلق، فكل محال من الكلام فاسد، لا العكس.

. يمكن تعريف الفساد بأنه: وصف للخروج عن استقامة الكلام لفظاً أو معنى أو توجيهها.

. يمكن تعريف الإحالة بأنها: ما يمنع من تصور معنى الكلام على وجهه الصحيح.

. تنوعت صور المصطلحين عند المبرد تبعاً لأسبابهما، وقد يجتمع أكثر من سبب في المسألة الواحدة.

. لا أستطيع أن أجزم بأن دلالة هذين اللفظين الاصطلاحية كانت قائمة في فكر المبرد النحوي، بحيث إنه كان يستصحب حدهما في مناقشاته وبحثه؛ إذ يحتمل أنه استعملهما بحسب دلالتهما اللغوية توسعاً كغيرهما من الألفاظ الدالة على الضعف أو الرفض.

وأوصي في الختام بعمل معجم خاص بالألفاظ القبول والرفض في النحو العربي على غرار كتب الجرح والتعديل في علم مصطلح الحديث، ودراسة تطور تلك الألفاظ، وعقد المقارنات بين استعمال المتقدمين والمتأخرين لها.

والحمد لله رب العالمين

## أهم المصادر

. القرآن الكريم

أولاً: الكتب

١. تاج العروس، الزبيدي، ط. دار الجيل. الكويت.
٢. التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م
٣. التوقيف على مهمات التعريف، المناوي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٠م
٤. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا الأنصاري، تحقيق د. مازن مبارك، دار الفكر، بيروت، ١٤١١هـ
٥. الشاهد النحوي في كتاب سيويه، د. خديجة الحديشي، جامعة الكويت، ١٩٧٤م
٦. شرح ألفية ابن مالك (منهج السالك)، الأشموني، ط. عيسى الحلبي، القاهرة
٧. شرح كتاب سيويه، السيرافي، تحقيق أحمد مهدي وعلي سيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م
٨. الكامل في اللغة والأدب، المبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ٣، ١٩٩٧م
٩. الكتاب، سيويه، تحقيق: عبد السلام هارون، ط. دار الجيل، بيروت، الأولى.
١٠. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، مكتبة لبنان، ١٩٩٦م.
١١. الكليات، الكفوي، تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري، الرسالة، بيروت.
١٢. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ٣، ١٤١٤هـ
١٣. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د. مهدي المخزومي، ط. الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨م
١٤. المصطلح النحوي نشأته وتطوره، د. عوض القوزي، الرياض، ١٩٨١م
١٥. المصطلحات العلمية في اللغة العربية، د. مصطفى الشهابي، دمشق، ط ٢، ١٩٦٥م
١٦. المصطلحات النحوية في التراث النحوي في ضوء علم اللغة الحديث، د. يناس الحديدي، ط. دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٦م



١٧. معاني القرآن، الفراء، تحقيق أحمد نجاتي وآخرون، ط. دار المصرية للتأليف والترجمة، الأولى.
١٨. معنى اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام، تحقيق: مازن مبارك، ومحمد حمدالله، ط. دار الفكر، الأولى ١٩٩٢م.
١٩. المفردات في غريب القرآن، الراغب، تحقيق صفوان الداودي، ط. دار القلم، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ
٢٠. المقتضب، المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. ١٣٩٩هـ.
٢١. الوحدة والتنوع في النظرية النحوية العربية، حسن حمزة، ط. مكتبة لبنان، بيروت، الأولى، ٢٠١٢م
- ثانيا: الرسائل العلمية:
١. النقد النحوي في فكر النحاة إلى القرن السادس الهجري، سيف الدين شاکر نوري، كلية التربية، جامعة ديالى، العراق، ياشراف د.علي عبيد جاسم، ٢٠٠٦م
- ثالثا: الدوريات:
١. مصطلح التكلف في البحث النحوي، د.عادل فتحي رياض، مجلة دار العلوم، القاهرة، ع ٥١، ٢٠٠٩م
٢. مفهوم الإحالة عند سيويه، د.لطيفة النجار، المجلة الأردنية، ج ٣، ع ١، ٢٠٠٧م
٣. النقد النحوي للغات العرب في كتاب سيويه، محمد بشير حسن، مجلة كلية التربية، جامعة ديالى، العراق، ع ٣٣، ٢٠٠٩م

- (١) المصطلح النحوي دراسة نقدية تحليلية، أحمد عبد العظيم، ص ٢
- (٢) لسان العرب، ابن منظور، ٣ / ٤٢٥، ٤٢٦
- (٣) انظر النقد النحوي في فكر النحاة، سيف الدين شاکر نوري، ص ٣٥٩، ٣٦٠
- (٤) "معاني القرآن، الفراء (١ / ٣٣، ٣٤)
- (٥) مفهوم الإحالة عند سيويه، لطيفة النجار، ص ٧٥
- (٦) انظر الكتاب (٢ / ١٢١، ٣٥١، ٣٥٩، ٣٩١)
- (٧) الكتاب (٢ / ٤٩، ٥٠، ٨١، ٨٧)
- (٨) انظر المصطلحات النحوية، يناس الحديدي (١٤٤، ١٥٨، ١٦٠)، مدرسة الكوفة، مهدي المخزومي (٣٠٩، ٣١٠)
- (٩) أستاذ اللسانيات العربية بجامعة لومير، ليون، فرنسا
- (١٠) الوحدة والتنوع في النظرية النحوية العربية، حسن حمزة، ص ١١٥، ١١٦
- (١١) انظر الشاهد النحوي، خديجة الحديشي، الصفحات: ٤٠، ٣٩، ٧٦، ٨٤، ٨٢، ٩٢، ٩٦، ١٦٧، ٢٣٦
- (١٢) نُشرَ بمجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد ٥١، ٢٠٠٩م
- (١٣) وقد رجعت إلى كتابه "الكامل" في مسألة واحدة من مسائل (المحال).
- (١٤) (ف س د) ٣ / ٣٣٥
- (١٥) (ف س د) ٨ / ٤٩٦
- (١٦) التعريفات، الجرجاني، ص ١٦٤
- (١٧) الحدود الأنيقة، زكريا الأنصاري، ص ٧٤
- (١٨) (ح و ل) تاج العروس، الزبيدي، ٢٨ / ٣٦٧، ٣٦٨
- (١٩) المصدر السابق ٢٨ / ٣٧٠
- (٢٠) المصدر السابق ٢٨ / ٣٧٠
- (٢١) المفردات في غريب القرآن، ص ٢٦٧
- (٢٢) ١٨٦ / ١١، وانظر تاج العروس ٢٨ / ٣٧٠
- (٢٣) التعريفات، الجرجاني، ص ٢٠٥
- (٢٤) التوقيف، المناوي، ص ٢٩٨
- (٢٥) الكلليات، الكفوي، ٨٩٦، والحدود الأنيقة، زكريا الأنصاري، ٧٤
- (٢٦) الكتاب، سيويه ١ / ٢٥
- (٢٧) القوزي، ص ٢٣.
- (٢٨) شرح كتاب سيويه ١ / ١٨٦
- (٢٩) المقتضب ٢ / ٣٥٠
- (٣٠) المقتضب ٤ / ٣٥٣
- (٣١) المقتضب ٤ / ٤٠١
- (٣٢) المقتضب ٢ / ١٧٧
- (٣٣) المقتضب ٤ / ١٢٨

- (٣٤) المقتضب ٨/٢ . وانظر "مغني اللبيب" ص ٣٧٤  
 (٣٥) المقتضب ٤/٢  
 (٣٦) المقتضب ٣٥٤/٢ . وانظر "شرح ألفية ابن مالك" للأشموني (٢٧٢/١ ، ٢٧٣)  
 (٣٧) المقتضب ٣٥٤/٢  
 (٣٨) المقتضب ١٠١/٣  
 (٣٩) المقتضب ١٩١/٣  
 (٤٠) المقتضب ٩٧/٣  
 (٤١) المقتضب ٣/٢  
 (٤٢) المقتضب ١٧٥/٢  
 (٤٣) سورة الصافات آية ١٤٧  
 (٤٤) المقتضب ٣٠٤/٣ . وانظر "مغني اللبيب" ص ٩١  
 (٤٥) المقتضب ٣١١/٤  
 (٤٦) المقتضب ٢٧٤/٢  
 (٤٧) المقتضب ٣٥٠/٢  
 (٤٨) الكتاب ١/٢٥ ، ٢٦  
 (٤٩) شرح الكتاب ١/١٨٦  
 (٥٠) شرح الكتاب ١/١٨٦ ، ولو قال المتناقضات لكان أحسن. وللدكتورة لطيفة النجار بحث منشور في المجلة الأردنية عنوانه: "مفهوم الإحالة عند سيويه، أبعاده وضوابطه" ذكرت فيه خمس صور للإحالة غير التناقض، وهي: نقص الكلام، وغياب المرجح، والكلام المفكك، ومقام الكلام، ومخالفة الأصول النحوية.  
 (٥١) الكامل في اللغة والأدب ٧٨/٤  
 (٥٢) المقتضب ٣٠١/٢  
 (٥٣) المقتضب ١١٣/٣  
 (٥٤) المقتضب ٩١/٣  
 (٥٥) المقتضب ١١٠/٤ . وانظر "شرح ألفية ابن مالك" للأشموني (٢٧٢/١ ، ٢٧٣)  
 (٥٦) المقتضب ١٥٧/٤  
 (٥٧) المقتضب ٦٩/٤  
 (٥٨) المقتضب ٣٩/١  
 (٥٩) المقتضب ٤٢٠/٤  
 (٦٠) المقتضب ٥٦/٢  
 (٦١) المقتضب ٢١/١  
 (٦٢) سورة البقرة آية ١١٧  
 (٦٣) المقتضب ١٨/٢  
 (٦٤) المقتضب ٨٣/٢  
 (٦٥) المقتضب ١٤٢/٢  
 (٦٦) المقتضب ٣٥٠/٢

(٦٧) الكتاب ٦٠/٢، ونصه: "وتقول: هذا رجل وامرأته منطلقان، وهذا عبد الله وذاك أخوك الصالحان؛ لأنهما ارتفعا من وجه واحد، وهما اسمان بنيا على مبتدأين، وانطلق عبد الله ومضى أخوك الصالحان؛ لأنهما ارتفعا بفعلين، وذهب أخوك وقدم عمرو الرجلان الحليمان"

- (٦٨) المقتضب ٣١٥/٤
- (٦٩) المقتضب ٢٧٤/٣
- (٧٠) المقتضب ٢٧٤/٣
- (٧١) المقتضب ١٢٥/٤
- (٧٢) المقتضب ١٢٨/٤
- (٧٣) المقتضب ٢٤٥/٤
- (٧٤) المقتضب ١٤٤/٤



# أبعاد الصورة السريالية فى الشعر الجاهلى

دكتور / منى محمد زكى يس خضر

أستاذ مشارك فى الأدب العربى

بجامعة حائل

مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة - العدد ١٠٠ - ٢٠٠٤

أحمد محمد عبد الحليم

أحمد محمد عبد الحليم

أحمد محمد عبد الحليم

## تمهيد

الربط بين الشعر والفن؛ أحد الحقول المهمة التي ينبغي العناية بها في دراسة الأدب العربي ، لأن بينهما حقولا خصبة متداخلة وتأثيرات شكلية مشتركة بين الفنون اللغوية والبصرية التي لا تقل في أهميتها عن مناهج البحث الأخرى "فالفن هو أقرب من سواه إلى روح الشعر العربي لأن الهدف منهما هو تحقيق المتعة للمتلقي دون تحقيق غاية خلقية أو اجتماعية" <sup>(١)</sup> ولا يخفى على دارسي النقد الأدبي أن هناك كتابات في كل العصور تنبئ بوجود علاقات مشتركة فيما بينهما <sup>(٢)</sup>. ومما لا شك فيه أن هناك عوامل وأسس مشتركة بين الفن والشعر لها أهميتها في توصيل العملية الإبداعية للمتلقي بشكل مؤثر كالكلمات والألوان والخطوط والإدراك الحسي؛ إما بكل حاسة من الحواس الظاهرة على حدة ، وإما باشتراك عدة حواس معا مع التفكير العقلي، يذكر ابن سينا أن " الحس المشترك يؤدي إلى القوة المصورة على سبيل استخزان ما تؤديه إليه الحواس فتخزنه، وقد تخزن القوة المصورة أيضا لأشياء ليست من المأخوذات عن الحس، فإن القوة المفكرة قد تتصرف على الصور التي في القوة المصورة بالتركيب والتحليل لأنها موضوعات لها ، فإذا ركبت صورة منها أو فصلتها أمكن أن تستخدمها فيها" <sup>(٣)</sup>

<sup>١</sup> - العلاقات التصويرية بين الشعر العربي والفن الإسلامي-د/نبيل رشاد نوفل -منشأة المعارف-الإسكندرية- ١٩٩٣ص-١٣٣.

<sup>٢</sup> - على سبيل المثال-لا الحصر-نذكر مؤلفات منها: فن الشعر- لأرسطوطاليس -ترجمة د/عبد الرحمن بدوي -دار الثقافة - بيروت-بدون تاريخ-ص ٨. والأسس الجمالية في النقد العربي- د/عز الدين إسماعيل-نشر دار الفكر العربي- القاهرة ١٩٦٨م- ط ٢ ، ونظرية المعنى في النقد العربي- نشر دار القلم-القاهرة- ١٩٦٥م؛ كما ينبغي الإشارة إلى وجود دراسة قيمة للأستاذ الدكتور نبيل رشاد نوفل(سبق الإشارة إليها)، والعلاقات المنهجية بين الأدب والفنون الأخرى ليوسف شتريلكا-ترجمة د/مصطفى ماهر- مقال بمجلة فصول- المجلد الخامس-العدد الثاني- القاهرة -يناير-مارس ١٩٨٥م ص ١٩٠، ١٨٠، وتهتم هاتان الدراستان بالربط بين النص الأدبي وتفاعله مع بقية الأنساق الفنية الأخرى دون الإغراق من خصوصية كل فن

<sup>٣</sup> - من كتاب العلاقات التصويرية-د/نبيل نوفل-ص نقلا عن كتاب ابن سينا -التعليقات- ت -د/ عبد الرحمن

فخيال الأديب في حالة دينامية لا تتوقف وعقله يؤدي دورا هاما في نقل الصور المختزنة في خياله، المتوافقة مع موضوعاته ؛ بل إدخال علاقات جديدة فيما بينها فتكون معان جديدة لها جمالها وخصوصيتها؛ ومن ثم ينقلها للمتلقى بشكل مدهش، وهذا الأمر لا يتوفر لكل أديب ، لأن الخيال الثري مع الكلمات والمعاني الجديدة - كما يقول التوحيدي- "صلف تياه ، لا يستجيب لكل إنسان ، ولا يصحب كل لسان، وخطره كثير، وله أرث كآرن المهر ، وإباء كإباء الحرون، وزهو كزهو الملك ، وخفق كخفق البرق ، وهو سهل مرة ويتعسر مرارا، وينذل طورا ويعز أطوارا، ومادته من العقل ، والعقل سريع الحؤول ، خفي الخداع ، وطريقه على الوهم ، والوهم شديد السيلان، ومجره على اللسان ، واللسان كثير الطغيان" (1)

كما أدرك النقد العربي القديم الطبيعة التصويرية للشعر ، وأدرك أن الصورة الشعرية ماهي إلا صورة بصرية، وأن الخيال اللامحدود له دور محوري في إثراء النص الأدبي (2).

وفي العصر الحديث تستهوي تلك الدراسات نقاد وفنانين كثر لكونها من الأعمال الأدبية الكاشفة عن علاقات ممتعة بين الفن و النص الأدبي ؛ يقول الفنان ( بول كلي ): (( اعتدنا في الماضي ، أن نمثل الأشياء المرئية على الأرض ، أشياء إما يستهويها النظر إليها ، أو تلك التي نرغب في أن نراها ، نحن اليوم نكشف عن الحقيقة الكامنة

بدوي- نشر الهيئة العامة للكتاب- القاهرة-

1 - الإمتاع والمؤانسة- لأبي حيان التوحيدي- صححه وشرح غريبه- أحمد أمين وأحمد الزين- بيروت المكتبة العصرية- 1953م - ص 9.

2 - الحيوان- للجاحظ- ت عبد السلام هارون- نشر الحلبي -القاهرة- 1948م -ج-3 ص 130 ، وأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز- لعبد القاهر الجرجاني- ت- السيد محمد رشيد رضا- نشر مطبعة صبيح- القاهرة- 1959م- ط 6- ص 94 وما بعدها ، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل -للزمخشري- نشر دار المعرفة- بيروت- بدون تاريخ- ج 3 ص 377 ، ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء- لحازم القرطاجني- ت محمد الحبيب بن الخوجة- نشر دار الكتب الشرقية- تونس 1966م ص 18 وما بعدها، وغيار الشعر لابن طباطبا العلوي -دراسة وتحقيق د/محمد زغلول سلام- نشر منشأة المعارف بالإسكندرية- 1980م ص 23 وغيرها .



وراء الأشياء المرئية ، وبذا نبرهن على أن ما يُرى إن هو إلا حالة منفصلة في علاقتها بالكون ، وأن هناك حقائق أخرى مجهولة كثيرة )) .<sup>(١)</sup> ( أزعـم أن تلك المقولة سبق إليها علماء العرب قديما ، وهي رجـع صدى لنظرياتهم التي أرسـو بها قواعد النقد التي جاء بها أمثال الجرجاني قبل أكثر من ألف عام عن (( معنى المعنى )) ، والرماني ، الذي أعتقد أنه أول من تنبه إلى القيم التصويرية في رسالته (النكت في الإعجاز القرآني) وبرغم أنه طبق مفهومه على الصور المستمدة من القرآن الكريم ، إلا أنه أرسى قواعد مهمة تصلح لتطبيقها على الشعر ، واعتمد في تقسيمه للتشبيه والاستعارة على أساس هام وهو قدرة اللغة على خلق صور محسوسة محاكية لتصورات ذهنية أو محاكية لصور محسوسة مثلها بطريقة أكثر عمقا وتأثيرا يفوق من تقدمه وتعتمد تقسيماته على فكرة توتر قطبي التجسيد والتجريد أو التصوير والتفكير ، وقد ذكر التشبيه على أربعة أقسام:

- 1- إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، حيث تتقابل الصورة البصرية مع الفكرة الذهنية ، بهدف إظهار الشق المتجسد على تقديم المعنى المجرد .
  - 2- إخراج ما لم تجر به عادة إلى ما قد جرت به العادة ، حيث تتقابل صورتان حسيان لإبراز فكرة غير مألوفة في إحدهما .
  - 3- إخراج ما لا يعلم بالبدئية إلى ما يعلم بها، عن طريق تقابل صورتين حسيين لكشف مغزى عقلي في إحدهما .
  - 4- إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها، وذلك بإضفاء قيمة نسبية على واحدة من صورتين متقابلتين<sup>(٢)</sup>
- والصورة تتولد نتيجة فعل وقسوع الخيال على لحظة تقاطع الواقع مع

<sup>١</sup> - مئة عام من الرسم الحديث - جي . إي . مولر و فرانك ايلجر - ت : فخري خليل - دار المأمون - بغداد -

١٩٨٨ ص ١٢٣

<sup>٢</sup> - العلاقات التصويرية-د/نبيل نوفل عن كتاب ثلاث رسائل في الإعجاز القرآني -حققها وعلق عليها د/محمد

خلف الله و/د/محمد زغلول سلام- نشر دار المعارف -القاهرة- 1968م -ط2- من ص 81-94

اللاواقع وتلاقي العادي مع الغير مألوف على نحو تضع بموجبه الحدود الفاصلة بين هذين البعدين ؛ فالرؤية الشعرية السريالية التي هي هدف من أهداف البحث ؛ تسلك طريقها في غزو مجالات مجهولة فتصبح معلومة ، وذلك مثلما يفعل الأديب في العصر الجاهلي في صورته السريالية حيث ينتشل نفسه من المعهود في علاقة التشابه إلى التوغل في مجالات غير معهودة ، كما يعقد ترابطات أخرى بين الواقع واللاواقع ، ولا ريب في أن الشاعر في العصر الجاهلي عقد محاوراته مع الكون الرحيب من حوله ، واستشرف خيالات من اللاشعور، ودمجها مع الواقع ، وهذا من شأنه أن يخلق صورة تحل في النص على نحو مذهل ، بل يلبي الحاجة الجمالية منه، " فالشعر القديم كان في معظمه يتحرك في حدود الاستعارة والتشبيه، فكانت اللغة عندئذ، تمثل وجودا غير حقيقي لوجود حقيقي " (١)

وظل النص في هذه الحال بصورة أمنت بقاءه وضمنت استمراره مع التأثير فينا ؛ وذلك بحرصه على هدم الممنوع في صورته وتشبيحاته ، وتوسيع دائرة المباح فيها ؛ فالشعر بحكم كونه عملا في الكلمات والكلمات لا يمكن أن يكون نقلا للواقع أو مبالغة فيه ، وإنما هو عملية ترحال بالكلمات في الخيال بين الواقع واللاواقع ، وهذا يعني أننا مطالبون بقراءة ومشاهدة النص القديم بإعادة استكشاف شعرته المقلبة -في بعض الأحيان- في ضوء ما يستحدثه الخطاب النقدي المعاصر بحيث تقترب منه لتعطيه حقه فيما يلزم من إضافات، فتكف الكلمة عن كونها مجرد وعاء يقطنه معنى محدد معلوم إلى فضاءات أخرى أرحب وأوسع ، فلا يكفي الشعر في تلك الفترة الزمنية (العصر الجاهلي) أن نلقي نظرة سريعة عليه مركزين فقط على الجانب التقني والدراسات المنهجية المستقدمة من الغرب دون النظر في محتواه ومضمونه وعلاقته بالفنون البصرية الأخرى .

١ - الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية -د/عز الدين إسماعيل-بيروت- دار العودة ط 2

أما عن أنماط الصورة عند الغربيين فإنني لا أراها تبعد كثيراً عن التفكير النقدي العربي القديم في استظهاره للصورة الشعرية، وفي إطار الحديث عن الصورة في النقد الغربي يمكن ضبط رؤى ونظرات الاتجاهات والمدارس الأدبية والنقدية عندهم على النحو التالي:

الكلاسيكيون أهملوا الخيال في صورهم؛ لأن الصورة في نظرهم تعتمد على الوضوح والحقيقة، ولذلك وقفوا عقبة في سبيل فهم الصورة. أما الرومانسيون فقد طرقت الخيال الشعري لرسم صورهم الشعرية، وهم من ابتدع مصطلح الصورة في العصر الحديث من خلال المزاجية بينهم وبين الطبيعة ليصلوا إلى الحلول الشعري بينهما. أما البرناسيون فقد مالوا إلى التصوير التجسيمي المحسوس الذي يدرك عن طريق العين فهم يؤكدون على فعالية الصور الحسية المرئية وأثرها في إيضاح الفكرة المطلوبة. أما الرمزيون فيلجأون إلى التصوير المادي للأشياء ومن الماديات يعبرون عن الأشياء النفسية والوجدانية عن طريق اللغة الوجدانية وتراسل الحواس والتعبير الإيحائي عبر الرمز. أما السرياليون فيعدون الصورة جوهر الشعر، وهي من إنتاج الخيال، ويهتمون بالصور التي تعبر عن الجوانب النفسية والباطنية، وأفضل الصور عندهم هي التي تبرز الحواس لأنها في نظرهم أقوى تأثيراً على القارئ، كما يفضلون الصور المتضادة وتراسل الحواس والمدرجات. أما المدرسة النفسية للأدب فقد تمكنت من تحويل الصور الموجودة في عالم اللاشعور الباطني إلى صور محسوسة في عالم الشعور الإنساني. أما الوجوديون فالصورة عندهم عمل تركيبى يضم نوعاً من المعرفة الحسية تمثل للوعي ويكون موضوعها في حكم المعدوم، ويتم تصميمها عن خيال تلقائي. أما الشكلانيون الروس فالصورة عندهم خلق رؤية خاصة للشيء في الوجود. أما البنيويون فالصورة عندهم هي جوهر فن الشعر، وهي القصيدة نفسها التي تحرر الطاقة الشعرية الكامنة في العالم. أما السيميولوجيون فالصورة عندهم تعني تمثيلاً لجمع التجارب الحسية والحركية.

يذهب هربرت ريد إلى أن العلاقات هي القانون الأول للجمال إذا قسناه



بالإيقاع أو أي شكل من أشكال السيمترية.<sup>(١)</sup>

والسريالية نزعة عاشت بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، اندست في شتى مجالات الحياة، في البدء كانت حركة شعرية ابتلعت الحركة الإبداعية وذيولها، وحطمت كل ما يقرأ في المدارس من الشعر، وما قيل من قصيد، لتبقى بعد هذا كله على مثل قصيدة (الاتحاد الحر) لأندريه بروتون أو (العيون النخسية) لبول إيليار أو (موجة أحلام) للويس آراجون. كتب (أندريه بروتون) زعيم المذهب في تعريفها:

"إنها الجريان النفسي الآلي الذي تحاول به أن تعبر عن مجرى الفكر الحقيقي، لفظاً أو كتابة أو بأية طريقة أخرى، وهي ما تمليه النفس، حرة من كل رقيب يفرضه العقل، طليقة من أي شاغل خلقي أو فني"<sup>(٢)</sup>

فالسريالية تقوم على الاعتقاد بالوجود الواقعي السامي لبعض أشكال من التداعي أهملت قبلها، وبقدرة الحلم الخارقة، وبالفكر المسترسل المنزه عن الغاية وهي تنزع إلى أن تقوض إلى غير ما رجعة جميع أنواع النشاط النفسي الأخرى. وإلى أن تحل محلها في حل مشكلات الحياة الرئيسية.

بعد ذلك جاءت كحركة فنية؛ فآثار بيكاسو وتانفوي وماسون وسلفادور دالي، لا تفهم بدون النزعة السريالية، ثم اتخذت منحى فلسفي لفلاسفة محو الفلسفة ولفظوها ولم يلجأوا إلى العقل، بل غلقوا الأبواب أمامه، وفتحوها على مصراعيه لأمواج الحلم وتيارات اللاشعور، ولقد بدأوا أول ما بدأوا متكئين على فلسفات سبقتهم ولاسيما فلسفة (فرويد) و(هيجل) ثم مالبتوا بعد حين أن هجروا كل فلسفة وصبوا اللعنات على كل فيلسوف، وعلى هيجل وفرويد وأعلنوا

<sup>١</sup> - الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية - د/عز الدين إسماعيل - بيروت - دار العودة ط 2  
1972م

<sup>٢</sup> - انظر: بيانات السريالية - أندريه بروتون - ترجمة - صلاح برمدا - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق - 1978م - ص ٤١ والنزعة السريالية أدبياً وفنياً وفلسفياً - خليل عبد اللطيف جريدة الفرات - السورية - الاثنين ١٦ - ٥ -



أنهم اتجاء ثورة، ثورة في كل شيء .

والسريالية "أي ما فوق الواقعية أو ما بعد الواقع" هي مذهب أدبي فني فكري، أراد أن يتحلل من واقع الحياة الواعية، وزعم أن فوق هذا الواقع أو بعده واقع آخر أقوى فاعلية وأعظم اتساعاً، وهو واقع اللاوعي أو اللاشعور، وهو واقع مكبوت في داخل النفس البشرية ، ويجب تحرير هذا الواقع وإطلاق مكبوته وتسجيله في الأدب والفن. وهي تسعى إلى إدخال علاقات جديدة ومضامين غير مستقاة من الواقع التقليدي في الأعمال الأدبية. وهذه المضامين تستمد من الأحلام؛ سواء في اليقظة أو المنام، ومن تداعي الخواطر الذي لا يخضع لمنطق السبب والنتيجة، ومن هواجس عالم الوعي واللاوعي على السواء، بحيث تجسد هذه الأحلام والخواطر والهواجس المجردة في أعمال أدبية. وهكذا تعتبر السريالية اتجاهاً يهدف إلى إبراز التناقض في حياتنا أكثر من اهتمامه بالتأليف. وبعد مسرح العبث الابن الشرعي للسريالية. (١)

وقد اشتغل أغلب فحول الشعراء العرب بما له علاقة بقضية التلقي في منطقة التأثير النفسي والذهني ، ولم يكن ذلك بعيداً عن مؤسسي الدادائية والسريالية بعد أن رفضوا الواقع ، وما كتب عنه ومنه من شعر ، لأن المهم بالنسبة إليهم (( لم يكن العمل الفني ذاته ، بل الهزة التي يستطيعون خلقها ، والارتباك الذي يسببونه في الذهن )) (٢)

### أهم سمات السريالية:

١ - التأليف بين عالمي الواقع والحلم والعبور من أحدهما إلى الآخر فالأحلام والذكريات إضاءات للمواقع الخفية في الإنسان؛ وهي تتشابك وأرجاء

١ - للمزيد-نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد. د. عبد الرحمن رأفت الباشا. نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤٠٥هـ.-مذاهب الأدب العربي. د. عبد الباسط بدر، دار الشعاع، الكويت، الأدب ومذاهبه. د. محمد مندور - المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العنيفة. د. نبيل راغب - مكتبة مصر - القاهرة- والأدب الرمزي، هنري بير- ( السريالية، إيف دوبليس (سلسلة زدني علماً)

٢ - مئة عام من الرسم الحديث- ص ١٢١

الواقع الراهن. وقد ألحَّ بروتون في بيانه الأول على أهمية الأحلام وامتزاجها باليقظة، وبنى على هذه الصلة كتابه "الأواني المستطرقة" الذي سجل فيه بعض أحلامه ثم عكف على تحليلها.

٢ - الدخول في عالم الغرابة والإدهاش. فالمصادفة التي تعدّ عنصر ضعيف في الرواية العادية تغدو عندهم عنصراً هاماً. وكذلك اللجوء إلى عالم الأشباح والتجسّسات وانفلات الخيال....

٣ - الاعتراف من الهذيانات بمختلف أنواعها حتى الجنوني منها لأنها ترشد إلى أعماق الذات.

٤ - الحب عندهم وسيلة لتصور العالم القادم، إنه الحب الكلّي المطلق المزيج من كل أنواع الحب. إنه وسيلة للمعرفة، أفضل أحوالها تجسّدها في المرأة. وفي مجال الحب يغدو الممنوع مباحاً، ويصبح الحب سلاحاً ثورياً يباح معه كل شيء محبوب، والحب لا يعمل إلا مع الأمل، وبهما يتجدد العالم، ويصبح فردوساً آخر غير الفردوس الإلهي

١ - الخيال والصور: السريالية ديوان الأخيلة والصور الغريبة والمتناقضة العسيرة عن الفهم، يقول آراجون: "السريالية هي الاستعمال غير المنظم والهوجائي للصورة المذهلة التي تولّد الشعور بالغرابة والدهشة والشذوذ والذهول" وسبب هذه الغرابة أنها خلقٌ ذهني خالص لا يمكن أن يتولّد من مقارنة أو مشابهة بين طرفين، بل من مقارنة بين واقعين متباعين بنسبة أو بأخرى، وكلما كانت الصلة بين هذين الواقعين بعيدة جاءت الصورة قوية. وقد شبهها بروتون بـ"صور الأفيون التي تأتي من ذاتها تلقائياً طاغية لا يستطيع الإنسان صرفها عنه لانعدام سيطرته على إرادته. فقد ((بدأت السريالية بالدفاع عن استسلام الإنسان للخيال من أجل غاية صريحة هي اكتشاف أبعاد جديدة لعقل الإنسان وحاسيته وانفعالاته))<sup>(١)</sup>.

١ - عصر السريالية - ٢٩٢.

٢ - وأن الخيال هو : " الرباط الذي يصل عالم الإنسان الداخلي النفسي بعالم الواقع الخارجي " <sup>(١)</sup>.

اللغة: يقول بيير روفيردي: "دع الكلمات تتكلم وتقول ما تريد قوله متناسياً ما كانت تحمله من المعاني في الآداب السابقة. دعها تعمل وتؤثر مستقلة، تتزوج فيما بينها أو تتأفر مؤلفة صوراً وكاشفة عن واقع لم يقله أحد بالضرورة.

إن كل نشاطها يتجه إلى الوصول إلى نقطة مركزية عليا تختصر العالم وتهيمن عليه، ومنها ينطلق الفكر ويشع في جميع جهات الحياة المرئية والخفية لتجديد الفرد والحياة الاجتماعية والانتصار على الواقع والتحكّم في المستقبل. والأمر الخاص بها والمميّز لها محاولتها الربط بين عالم اليقظة والحلم، والواقع الخارجي والداخلي، والعقل والهלוسة والجنون، وهدوء المعرفة وحتى الحب وتمرد الثورة.

الشعر: الشعر السريالي ناشئ عن دافع لاشعوري يتدع القصيدة كما يخلق الحلم. <sup>(٢)</sup>

ترى هناك وجه شبه بين هذه النزعة الناشئة في العصر الحديث وبين الصورة عند شعراء العصر الجاهلي على اعتبار أن الصورة عند الشاعر الجاهلي " تأخذ شكلاً أكثر حرية بحيث لا تلتزم قوانين الواقع ، بل تلتزم عوامل باطنة كثيرة تزدهم في عقل الفنان ، سواء بوصفها نزوعاً فردياً له أو فكرة كلية للجماعة" <sup>(٣)</sup>!

هذا ما سأحاول الإجابة عنه في صفحات البحث التالية .

### مفهوم ونشأة الفن السريالي:

إن السريالية "مذهب" يعود في نشأته إلى سنوات قليلة سبقت نشوب الحرب

<sup>١</sup> - المصدر السابق - ٢٨٤

<sup>٢</sup> - كتاب المذاهب الأدبية لدى الغرب -الك مع ترجمات ونصوص لأبرز أعلامها - دراسة-عبدالرزاق الأصغر- نشر اتحاد الكتاب العرب-١٩٩٩

<sup>٣</sup> - العلاقات التصويرية- د/نبيل نوفل- ص ١١٠



العالمية الأولى. وبدأ هذا المذهب الحديث سيره في محاولات تحريرية في سبيل التخلص من ضغط كابوس المقاييس الفنية الذي كان جاثما جنوما متسع الأطراف في أواخر القرن التاسع عشر في أوروبا. هذه الفترة التي كثرت فيها الاتجاهات الفنية والأدبية في أوروبا واصطدمت التيارات الفكرية المتدفقة من ألمانيا وإيطاليا وأميركا وبريطانيا بصنوف من الأدب الخفيف الذي كان يسيطر وقتئذ على الذوق الأدبي في أوروبا الوسطى والغربية.

فقد وجد بعض الفنانين من شعراء وموسيقيين ورسامين أن الطريقة التي كانوا "يصنعون" فيها إنتاجهم الفني تنحصر في شمول حالات وجدانية وفكرية تكاد تكون عادية في مادتها الأساسية وخطوطها الجوهرية، وأن للذهن أثرا ظاهرا فيها يدنيها من الإنتاج العلمي والفلسفي. فعمدوا إلى محاولة جديدة جريئة أرادوا فيها أن يتم تسجيل ما يرد إلى مخيلتهم من صور إبداعية كما هي تماما بصرف النظر عن جمال هذه الصور أو قبحها وعن مطابقتها للمقاييس الاجتماعية أو تنافرها معها، على ذات الطريقة التي يسجل بها المحللون النفسيون الخواطر المختلفة أو أحلام اليقظة.

وكانت هذه المحاولة قائمة على اعتقاد هذا الفريق أن الفن الصحيح هو الذي يرسم الانعكاسات التي تتولد نتيجة للتفاعل القائم بين نضالنا الخارجي وذاتنا المجردة، بعيدا عن دائرة المنطق بعيدا عن التأثير بأي توجيه فكري. فبرزت الدادائية "تشق لتيارها خطوطا مشوهة واستمرت كذلك حتى أخذت الأوساط الأدبية والعلمية في أوروبا تعير اهتماما كبيرا للفرويدية- مذهب الدكتور سيكموند فرويد- وأخذت نظريات هذا العالم الكبير في التحليل النفسي والأحلام والغريزة الجنسية ومظاهر النشاط الفردي وارتباطها بالطاقة، تنتشر بين طبقة المثقفين من كتاب ونقاد وفنانين فوجد الفريق المجدد والمخلص في كل ذلك تشجيعا له على المضي في الاتجاه التحرري الذي خطه لنفسه ومادة علمية تدعم مذهبه الجريء<sup>(1)</sup>، والاتجاه السريالي في الصور والأخيلة يبدو مختلفا؛ ف"قد تنقذ الصورة من اللاشعور في حالة نفسية يكون فيها الانتباه غير شامل لها كل الشمول. ومن القضايا المعروفة في السيكلوجيا الحديثة أن تركز الانتباه- أيا

١ - منشورات نزار قباني - بيروت - ١٩٦٧ انظر: كتاب عصر السريالية لمؤلفه د/والاس فاولي - ترجمة خالدة سعيد



كان نوعه- في بقعة حسية أو ذهنية لا يستمر إلا لحظة أو لحظات قليلة. والصور لا بد أن تحدث في المجموعات العصبية العليا استجابة خاصة يبقى فيها أثرها وانطباعها واضحين بينما تبقى الصورة ذاتها، في حدودها التكوينية، أشكالاً غير واضحة.

فإذا جاء صاحبها ليسجلها بالرسم أو بالكتابة أو بأية طريقة أخرى، لم يجد لكيانها الخطوط الهندسية- من ألفاظ أو أشكال أو ألوان- مع أن الأثر والانطباع اللذين تركتهما في مجموعاته العصبية العليا حالة واضحة كل الوضوح. هنا يضطر لمعالجة الوضع بطريقة أخرى. فيعمد أولاً إلى الخطوط الهندسية- الألفاظ أو الأشكال أو الألوان- الباقية التي استطاع الانتباه إليها والتقاطها وتثبيتها في الحافظة ثم يلجأ إلى اصطناع خطوط هندسية جديدة يسكب فيها انطباع الصورة إلى الوجود في أسلوب هو مزيج من السريالية والرمزية؛ لأن أثر الذهن أصبح ظاهراً فيه، في الالتجاء إلى المعجم التقليدي في التفسير والتشبيه والإسهاب

غير أن هذه الطريقة في تسجيل ما ولده اللاشعور باصطلاحاته السريالية ليست سريالية محضة كما أنها لا تمت بالوقت ذاته إلى الرمزية بروابط واضحة. إلا أن الصبغة السريالية تطفئ عليها لأن الصورة قد ولدت في الأعماق نتيجة تفاعل أقصى المعرفة الإنسانية بالحنين الذي لا ينتهي امتداده في الحلقات البشرية<sup>١١</sup>.

الحركة السريالية التي بدأها بروتون ببيانه عنها فقال: إن كل شيء يحمل على الاعتقاد أن ثمة حداً فكرياً فيه يزول التناقض بين الحياة و الموت ، و بين الواقع و الخيال ، و بين الماضي و الحاضر ، بين الأعلى والأدنى هدفها الأمل في تحديد هذا الحد وإيضاحه والبحث عن الحد الذي يزول فيه التناقض بين المواقف والأشياء ، وقد عرفها وهو أحد رواد السريالية؛ : قائلًا : بأنه مذهب يعبر عن خواطر النفس بعيداً عن أي رقابة يفرضها العقل، مشيراً إلى سلطان الأحلام وأهمية الوهم في إبراز النفسية

١- انظر: نظرية الشعر/ ٥- مرحلة مجلة شعر - القسم الثاني: مقالات/شهادات/ مقدمات - تحرير وتقديم : محمد كامل الخطيب. منشورات وزارة الثقافة - دمشق، ١٩٩٦ (عن سريال : علي الناصر وأورخان ميرس. المقدمة الطبعة الأولى عام ١٩٤٧ - مطبعة السلام/حلب. وانظر كتاب عصر السريالية لمؤلفه د/ولاس فاولي- ترجمة خالدة سعيد

الحقيقية الكامنة في خلفية تفكيرنا العقلاني.. ثم هياً للحركة منذ عام ١٩٣١م وهب لها نشاطاً و شجاعةً ألا وهو ( سلفادور دالي ) صاحب المنهج الجديد الذي عرف باسم المنهج البارانوني النقدي نسبة إلى مرض البارانونيا ، وهو مرض يصحب لدى المصاب بهذيان في تأويل العالم الخارجي و الداخلي و بإكبار للذات مبالغ فيه ، غير أنه يمتاز بالنظام و الانسجام و يملك صاحبه صحة سوية و لا يبدي أي اضطراب عضوي مع ذلك نراه يحيا في عالم لا يخضع له ، بل يخضعه و يكيّفه وفق رغباته ، تعبر عن قوى اللاشعور و رغبات الحلم و تكون بمثابة تحقيق مادي لحالات و أشكال يكاد صاحبها لا يتبينها ، وتكاد تفوته ، فهي الرغبة في تحقيق الواقع لأشياء نراها بالحلم ، إنها قوة خلق و إبداع إلى جانب أنها قوة تنظيم و عقل و تحديد .

ولبيان هذا المفهوم ننظر مثلاً إلى صورة من صور سلفا دور دالي ( ١٩٠٤ - ١٩٨٩ ) ، وهومن رواد السريالية في الفن التشكيلي الحديث والمعاصر بلا منازع، فماذا ترى؟

تبدأ اللوحة من جانبها الأيسر، من إناء رمان مشقوق جزئياً (سقطت منه حبتان)، وطلع من شقه المكشوف أو اندلع - سمكة قرش مفترسة فتحت عينها وفمها بشكل واسع، وطلع من فمها، أو اندلع أيضاً، نمر بتعابير هانجة مفترسة، بجانبه نمر آخر بنفس التعابير المفترسة، مندفعاً نحو امرأة نائمة عارية ومستلقية على ما يشبه خريطة مجسدة لجزيرة في مياه. واتجاه النمر المفترس، تمثيلاً للرغبة المفترسة، موجه نحو ذراع المرأة من خلال بندقية تنطلق من فكي النمر وينتهي رأسها غارزا في لحم المرأة الشفاف

يتشكل في الصورة انطلاقاً من إناء الرمان، مروراً بالسمكة فالنمرين فالبنديقية، قوس أو نصف دائرة، يستدير فوق المرأة النائمة على مسطح، وبجانبها إناء رمان آخر، تطير فوقه فراشة صغيرة.

فإذا انطلقنا في الصورة إلى قسمها الأعلى، فوق قوس النمرين والسمكة والرمان، وجدنا فيلاً أصغر حجماً من النمر، معلقاً في سقف الصورة بما يشبه قطعة قماش، وتنحدر من قوائمه (يديه ورجليه) خيوط أو خطوط مستطيلة مستدقة على صورة حبال

صغيرة تنتهي للإمساك ببعض الصورة: هناك خيط (وهو امتداد لطرف من أطراف الفيل) ينغرس في البحر، وآخر ينغرس في ساق المرأة النائمة العارية وثالث في أقصى المشهد من جهة اليسار، ورابع في كتلة عن يمين الصورة على شكل تمثال أو ما يشبهه، مما يؤمن التوازن العظيم بين أجزاء الصورة.

الفيل صغير جميل مائي وضاحك. كأنه القدر الخرافي الضاحك من قسوة الافتراضات المتواليه والممسك بأطراف اللعبة بخيوط ممتدة من قوائمه. ألوان الفيل مائية بين أزرق وأبيض ورمادي على العموم. وهي هادئة بل ساخرة... في حين أن ألوان الرغبات المفترسة في كل من السمكة والنمرين والبندقية هي حمراء قرمزية.. تغدو صفراء مخططة بخيوط سوداء في النمرين، مع شدة قرمزية. أما المرأة العارية النائمة التي نحوها تتجه الرغبات المؤججة، وفوقها يضحك الفيل المائي المعلق.. فبالألوان الشفافة الزهرية.

هذا هو التأليف الصوري السريالي للوحة سلفادور دالي. وهي باختصار، منطوية على تأليف صوري لمخيلة الرسام، بعناصر من أبداع عناصر التشكيل، لجهة توازنات الكتل والألوان والخطوط والفكرة.. ما يوحي بعلاقات الافتراض في الحياة. من النبات للسمكة للحيوان للمرأة العارية.. واللعبة التشكيلية كلها ممسوكة بخيوط ممتدة في قوائم فيل مائي ضاحك معلق في أعلى الصورة، لعله يرمز بها للقدر، أو ما هو أقصى منه وأبعد..

والصورة الشعرية في الشعر السريالي لها دور بارز في بلورة الشاعر وتفاعله مع الأحداث وهي أحوج ما تكون إلى الخيال الذي يجمع بين الأطراف المتباعدة ومن ثم يتيح للسامع قراءات الصور الذهنية والحسية معا، فتساب في الأعماق الشعورية واللاشعورية وتلتقي مع القناعة الذهنية، وصاحب الصورة الشعرية السريالية، يرسم بخياله الممتزج باللاوعي لوحات يتلون فيها التجسيم والتشخيص وتزخر بالانفعال النفسي فلا يستعين الشاعر بالتوضيح التشبيهي أو التقريب الاستعاري، إنما ينظر بمنظار المصور فينقل صورته.







عشار ونوق حيال تلحقها ربح الفيث.

وشبه زهير امرأة في الشعر بثلاثة أوصاف في بيت واحد فقال:

تَنَازَعَتِ الْمَهَا شَبَهَا وَذُرَّ      الْبُحُورِ وَشَاكَهَتْ فِيهَا الظُّبَاءُ

ثم قال ففسر:

فَأَمَّا مَا فُوتِقَ الْعِقْدِ مِنْهَا      فَمِنْ أَدْمَاءَ مَرَّتَعَهَا الْخَلَاءُ  
وَأَمَّا الْمُقَاتَانِ فَمِنْ مَهَاةٍ      وَلِلدُّرِّ الْمَلَاخَةُ وَالصَّفَاءُ

ومن مظاهر فتنة الأعشى بالخمير أنه كان يصور لونها ورائحتها، قائلا:

وَكَأْسٍ كَعَيْنِ الدَّيْكِ بَاكَرَتْ حَدَّهَا      بِفَيْتَانِ صِدْقٍ وَالنَّوَاقِينُ تُضْرَبُ  
سُلَافٍ كَأَنَّ الرَّغْفَرَانَ، وَعِنْدَمَا      يُصَفَّقُ فِي نَاجُودِهَا ثُمَّ تُقَطَّبُ  
لَهَا أَنْجٌ فِي الْبَيْتِ عَالٍ كَأَنَّهَا      أَلَمَّ بِهِ مِنْ تَجْرِ دَارِيسَ أَرْكَبُ

٢- الصفة الحسية: وهي تبدو بشكل جلي في جوانب كثيرة من شعرهم ؛ فالشاعر في العصر الجاهلي لديه قدرة فائقة و متميزة في عرض صورته المخترنة في خياله والمترسبة في أعماق ذاته ، ليعيد إنتاجها وفق طريقته التي بموجبها تنتقل الصورة من واقع لغوي إلى واقع لغوي؛ فالفن يستمد بريقه ومضاءه من كونه يستل الصورة المعتمة في اللاشعور إلى النور ، فيتجلى زاخرا بالحياة ، مليء بالدلالات، وهو في هذه الحالة يكسر العلاقات التي يفرضها المنطق، فإذا بالمدرک المتعارف عليه المعلوم يتماهى في علاقات جديدة يخلعها عليه من فضائه ومحيطه ، فإذا بحثنا عن العلاقة التي تربط بينهما لا نجد سوى عملية التشبيه أو الاستعارة التي وظفها بعناية في نصه في نوع من التكثيف الشعري الذي يمتد في حشد من الدلالات التي تعضد صورته الشعرية،

والتعبير الحسي في الصور الشعرية مفهوم تردد في الدراسات البلاغية كثيراً،

وذلك لأنه أسلوب يكشف المعنى الشعري المخزون في الذهن بشفافية للمتلقي. ومن أنماط الصور البلاغية التي تعتمد على التعبير الحسي، الصور التشبيهية حيث تجمع بين الأشياء المتماثلة الكائنة في النفس والشعور لتقيم بينها وبين الآخر علاقة معاناة وعلاقة بحث في العالم المحيط، وهي أكثر الأنواع البلاغية استعمالاً حيث تُعدُّ أصل الألوان البيانية وعمدتها.

والصور الاستعارية تؤدي المعنى الشعري بطريقة تجسيمية لأنها توحد بين ذاتين بحيث يصبح في مقدور أحدهما أن ينوب عن الآخر، وتكمن جمالياتها في الخيال التصويري الذي يسيطر على المتلقي بحيث تلتئم العاطفة مع الحواس فتحدث اللذة عن طريق الإيحاء، والتقمص الوجداني مع كائنات الحياة، وتصبح شريكة له وبهذا تظهر فيها الفعالية الخلاقة بين اللغة والفكر. ويزخر النص الشعري بتلك الألوان من الصور التي من خلالها يعرض لقضايا منها:

قضية الزمان والمكان التي نراها مختلفة في خيال الشاعر الجاهلي؛ لنقرأ للأعشى<sup>(١)</sup> هذه الأبيات حيث يقول:

كأنها درة زهراء أخرجها	غواص دارين يخشى دونها الغرقا
قد رامها حججا مذ طر شاربه	حتى تسعع يرجوها وقد خفقنا
لا النفس تؤنسه منها فيتركها	وقد رأى الرغب رأي العين فاحترقا
ومارد من غواة الجن يحرسها	ذو نيقة مستعد دونها ترقا
ليست له غفلة عنها يطيف بها	يخشى عليها سرى السارين و السرقا
حرصا عليها لو أن النفس طاوعها	منه الضمير ليالي اليم أو غرقا
في حوم لجة آذي له حدب	من رامها فارقته النفس فاعتلقا
من نالها نال خلدا لا انقطاع له	وما تمنى فأضحى ناعما أنقا
تلك التي كلفتك النفس تأملها	وما تعلقك إلا الحين والحرقا

١- ديوان الأعشى - ت- د/محمد محمد حسين - مؤسسة الرسالة- ط ٧-١٩٨٣م- ص ١٣٦٧.

فالأعشى يشبه المرأة بلؤلؤة زهراء رآها غواص دارين ، فخشى من دونها الفرق ، وظل يطلبها مذ كان فتى صغيرا حتى كبر سنه ، فما ظفر بها وما ينس من الوصول إليها ، خيال الشاعر (سريالي) فقد رأى اللؤلؤة - حبيته - يحرسها جني قوي مستعد للدفاع عنها ، ولم تغفل عينه عنها ، حيث كان يطوف بها خشية أن يمر بها سار أو تتعرض للسرقة.

وفي ناحية أخرى من المشهد الذي رسمه الشاعر بكلماته ، يرى غواص دارين لا يتركها حرصا عليها ، ولو أطاع نفسه التي كانت تزين له الغوص في ليال يصطخب فيها اليم وأمواجه لغرق، فهي في بحر لجي ، ومن حاول الوصول إليها فهو هالك لا محالة تعلقا بها؛ ومن نالها فقد ظفر بالخلود الأبدي ، راضيا هائئ البال.

فالمراة في خيال الشاعر درة يحيط بها بحر لجي ، والزمان لا يغيرها فهو غير محيط بها ؛ فهي إذا تمنح الخلود لمن ينالها ؛ فالغواص يرمقها قبل أن يطر شاربه ، وظلت موجودة حين شاب وتسمع.

فالأعشى حطم الزمان ، في حين صور المكان متحدا ، لأن المكان في فكره اللاشعوري محدود والزمان عنده لا حدود له في تلك الصورة. (١)

وقريب من هذه الصورة ، صورة المرأة عند المسيب بن علس ؛ حيث قال (٢):

كجمانة البحري جاء بها	غواصها من لجة البحر
نصف النهار الماء غامر	وشريكه بالحب ما يدري
فأصاب منيته فجاء بها	صدفية كمضئنة الجمر
يعطي بها ثمننا فيمنعها	ويقول صاحبها ألا تثنري؟
وترى الصواري يسجدون لها	ويضمدونها بيديه للنحر

١ - تنوع استخدام الشعراء لهذه الصورة ، حتى العصر الحديث ، فهي تذكرنا بقصيدة "قازنة الفنجان" لنزار قباني .

٢ - الشعر الجاهلي تطوره وخصائصه الفنية - د/بهي الدين زيان - دار المعارف مصر - ١٩٨٠ م ص ٧



فصورة المرأة هاهنا كسابقتها يراها الشاعر كجمانة ، ثم يذكر قصة حصوله عليها وتمسكه بها ، كما يصورها بالجمر المتخلف عن النار المقدسة لديه ؛ ولتدعيم تلك الصورة صور الصواري يسجدون لها.

وتصوير المرأة بالدرة متواتر ففي الشعر الجاهلي ؛ من ذلك قول امرؤ القيس: (١)

خدلجة روضة رخصة كدرة لج بأيدي الخول

ويقول قيس بن الحطيم: (٢)

كانها درة أحاط بها العواص يجلسون وجهها الصدف

فالشاعر الجاهلي يحسن استغلال صورة الطبيعة حسب موقفه النفسي وحب طبيعة الأحداث، فينتج صوراً بديعة، تكاد تكون لوحات فنية أبدع في رسمها ، وأضفى خبراته عليها.

والبعد عن المحبوبة يصوره عنترة بن شداد في قوله:

إذا كان دمعي شاهداً كيف أجحد ونار اشتياقي في الحشا تنردد

ونار هجرها لا تبقي فيه ولا تذر فيقول:

نعميم وصلك جنات مزخرفة ونار هجرك لا تبقي ولا تذر

وهذه اللوحة السريالية التالية، يرسمها طرفة بن العبد بكلماته ؛ يقيم فيها علاقة تصويرية سريالية بين ناقته وبين ألواح الإران والنسر والباب والقوس والقنطرة والجل

١- الديوان ص ١٤١-

٢- قيس بن الحطيم - الديوان - ت درية الخطيب ولطفي مقال-دار الكعب-١٩٧٥ م ص ٦٠



..... إلى آخر الصور الموحية بقوتها في دمج عجيب ؛ حيث يقول<sup>(١)</sup> :

وإني لأمضي الهم عند احتضاره  
أمون كألواح الإران نسأتها  
جمالية وجناء ترددي كأنها  
تباري عتاقا ناجيات وأتبع  
تربعت القفين في الشول ترتعي

بعوجاء مرقال تروح وتفتدي<sup>(٢)</sup>  
على لاحب كأنه ظهر بوجد<sup>(٣)</sup>  
سفنجة ترددي لأزعر أريد<sup>(٤)</sup>  
وظيفا وظيفا فوق مور معبد<sup>(٥)</sup>  
حدائق مولى الأسرة أغيذ<sup>(٦)</sup>

تربع إلى صوت المهيب وتقي  
كأن جناحي مضرحي تكفنا

بذي خصل روعات أكلف ملبد (٧)  
حفافيه شكا في العيب بمرد (٨)

(٨)

فطورا به خلف الزميل وتارة  
لها فخذان أكمل النحض فيهما  
وطي محال كالحني خلوفه  
كأن كناسي ضالة يكتفانها

على حشف كالشن ذاو مجدد<sup>(٩)</sup>  
كأنها بابا منيف ممدد (١٠)  
وأجرنة لزت بدأي منضد (١١)

١ - الديوان - ص ٣٤-٣٣ في معلقته

٢-العوجاء : الضامرة - المرقال : وهو بين السير والعدو

٣-الإران : تابوت الموتى - نسأتها : ضربتها بالعصا - البرجد الكساء المخطط

٤-السفنجة:نعامة-الأزعر: ذكر النعام قليل الشعر-الأريد:الأغر

٥-الوظيف: في اليد من الرسغ إلى الركبة وفي الرجل من الرسغ إلى العرقوب- المور: الطريق

٦-القفين: اسم مكان - الشول هنا: وقت من السنة تجف فيه ضروع النياق - المولى : مكان أصابه الولي وهو المطر الذي يعقب الوسمي.

٧-تربع: ترجع - ذوخصل: كناية عن الذنب-والأكلف الملبد: كناية عن الفحل.

٨- المضرحي:النسر الأبيض-العيب:عظم الذنب-المسرد:المخز.

٩- ذوا المجدد: القرية الجافة الخلق.

١٠ - النحض : اللحم

١١ - المحال: جمع محالة وهي فقرة الظهر-الحني: جمع حنية وهي القوس-الدأي : جمع دأية وهي فغار العنق.

- لها مرفقان أفتلان كأنما  
وأعلم مخروث من الأنف مارن
- وأطر قسي تحت صلب مؤيد (١)  
تمر بسلمي دالج متشدد (٢)  
عتيق متى ترجم به الأرض تزدد (٣)
- (٣)

فالأبيات تتسم بحشدها لصور خيالية عجيبة لناقته ؛ فالناقاة أمون كألواح الإيران، وتسير في طريق كأنها ظهر بوجد، وهي نعامة تردي لظلم، وذنبها يشبه جناحي نسر أبيض، وضرعها كقرية جافة الخلق، وفخذها كبابي قصر منيف ، وفقار ظهرها كالقسي ، والفراغ الذي بين مرفقيها وزورها يشبه (كناسين) بيت الظباء في شجرة ، وأضلاعها كأطر الأقواس ، ومرفقاها كحبل دلاء ، وهي كقنطرة الرومي المقرمد، وعضداها كسقف أسند بعض حجراته إلى بعض ، وأثار النسع عليها كالطرق في أرض صلبة ، وعنقها كسكان سفينة تسير بنهر دجلة ، وجمجمتها مثل السندان ، وحرف الجمجمة كحرف المبرد، وعيناها مرأتان قد غارتا في عظم في أرض صخرية ، وهما كعيني بقرة وحشية ، وخداها كقرفطاس الشامي ... ؛ هكذا يتحول الإحساس الذاتي للشاعر بقوة ناقته إلى صور محسوسة مترادفة متواليه ؛ فقد تحررت مخيلته من أسر الواقع والتجأ إلى ما فوق الواقع في تصويره لناقته ، كما هو حال السريالين ؛ ترى أيستطيع أحد الرسامين السريالين رسم تلك اللوحة كما عبر عنها طرفة بن العبد قديما؟؟

والجدير بالملاحظة أن الشعراء يكررون وصف الناقاة بالبناء الضخم الشاهق، وربما يتشابه هذا الوصف مع وصف الفرس بالهيكل - كما سيتضح- وفي هذا محاولة ناجحة لإضفاء سمة الرهبة والقوة عليها. وقد حظي الفرس بالمكانة نفسها في الإبداع الشعري الجاهلي، فأبدع الشعراء في وصفه كما أبدعوا في وصف الناقاة، وقد اقترن وصفه بوصف مظاهر الطبيعة المتنوعة، وتكرر وصفه بالهيكل في شعر امرئ القيس ، من ذلك

١- كناسي : متى كناس وهو بيت الظباء.

٢- سلمى: متى سلم وهو دلو بعروة واحدة- والدالج: السقاء.

٣- الأعلم: المشفر المشقوق- المارن: مالان من قصبه الأنف.

قوله:

بمنجرد قيد الأوابد هيكل<sup>(١)</sup>  
 كجلمودٍ صخرٍ حطَّه السيلُ من غلٍ  
 كما زلَّتِ الصفوَاءُ بالمتنزلِ  
 أثرنَ غباراً بالكديدِ المرَّكَلِ  
 إذا جاش فيه حميه غلى مرجل  
 ويلوي بأثواب العنيفِ المثقلِ  
 تقلب كفيه بخيطٍ موصلِ  
 وإرخاء سرحانٍ وتقريبُ تنقلِ  
 مداك عروسٍ أو صلاية حنظلِ

وقد اغندي والطير في وكناتها  
 مكرٌ مفسرٌ مُقبلٍ مُدبرٍ معاً  
 كُمتِ يزُلُّ اللبدُ عن حالٍ متيه  
 مسحُ إذا ما السابحاتُ على الوئى  
 على العقب جياش كأنَّ اهترامه  
 يطيرُ الغلامُ الحفُّ عن سهواته  
 دريرٍ كخُذروفِ الوليدِ أمره  
 له أيطلا ظبي وساقا نعامه  
 كأنَّ على الكتفين منه إذا انتحى

يقول في بيت آخر:

أفانين جري غير كز و لا وان<sup>(٢)</sup>

على هيكل يعطيك قبل سؤاله

والهيكل في الفكر القديم يطلق على النجوم والكواكب، حيث سميت بالهياكل وعبدها القدماء ودلت لفظة الهيكل على المعابد، والمعبد بناء ضخم يضي على الفرس هية كبيرة، كهية الناقة المشبهة بالبناء الضخم، وتتأكد هذه الهية بالقدرات الهائلة، التي أضفاها امرؤ القيس على فرسه، فهو قيد للوحوش، خارق السرعة في البيت الأول، وهو لا ينتظر حته على الجري السريع في البيت الثاني، بل إن امرأ القيس بحث عن فرس مثال فشكله من مجموعة حيوانات وأبدع صورة شعرية حظيت بإعجاب النقاد والدارسين، وهي التي يقول فيها يقول:

١- ديوان امرؤ القيس الكندي - ت- محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف - مصر ص ٥١

٢- ديوان امرؤ القيس الكندي نفسه ص ١٤٧

له أبطالا ظبي وساقا نعامة  
وارخاء سرحان وتقريب تتقل<sup>(١)</sup>

فالفرس يمثل أساس عملية الصيد عند الجاهليين، لذا أصروا على تأكيد هذه الحقيقة بالحاق صفات القوة والسرعة والسيطرة به، فكما وجدناه قيد الأوابد عند امرئ القيس، نجده صقرا يحسن الانقضاض على فريسته فلا تفلت منه عند الحارث بن حلزة اليشكري<sup>(٢)</sup>:

ومداممة قرعتها بمداممة  
فكانه لآلى وكأته صقر  
وطلباء محنية ذعرت بسمح  
يلوذ حمامه بالعوسج  
صقر يصيد بظفره وجناحه  
فإذا أصاب حمامة لم تدج

ونلاحظ في هذه الأبيات، إن الشاعر لم يكتف بتشبيه الفرس بالصقر "إنما ذكر الظفر والجناح لتأكيد المعنى الذي أراده، وفي صورة الفرس صاحب الجناح"<sup>(٣)</sup>. بل نلمح فرسا أسطوريا يكثر الحديث عن أمثاله في القصص الخرافية الأسطورية، التي سبغت الطبيعة وكائناتها بقوى خارقة، ليس من الغريب أن ينعكس صداها في الإبداع الشعري. والفرس يرافق الشاعر في بطولاته ومغامراته، كما كانت الناقة ترافقه في رحلاته، وتشابه لوحات الفرس في الشعر الجاهلي بشكل ملاحظ، فكثيرا ما يوصف بالكميت، وهو كالعقاب أو النسر في الانقضاض على الفريسة.

كما نشاهد عند الشاعر الجاهلي صورة سريالية تتردد على ألسنة شعرائهم وهي صورة الحمر الوحشية التي أصابها الموت بعد الرخاء؛ فهذا أبوكبير الهذلي يروي بأسلوبه تجربة الموت والحياة من خلال قصة الحمر الوحشية التي تتداخل مع تجربته الانفعالية

١- نفسه ص ٥٥

٢- المفضليات- المفضل الضبي- القاهرة- دار المعارف - ص ٢٥٦

٣- الطفيل الغوي - الديوان- دار الكتاب الجديدة - ١٩٦٨ ص ٤٣



إزاء الموت والحياة حيث يقول<sup>(١)</sup>:

قُب بسذي شجون مبرم<sup>(٢)</sup>  
وعميمها أسداف ليل مظلم<sup>(٣)</sup>  
ديم العماء وكل غيث متجم<sup>(٤)</sup>  
ذات العشاء بهيدب متهزم<sup>(٥)</sup>  
أصوات ركب في ملا مترنم<sup>(٦)</sup>  
مصطافة فضلات ما في القمقم<sup>(٧)</sup>  
متفلق النسين نهد المحزم<sup>(٨)</sup>  
إذا كان شعشة سوار الملجم<sup>(٩)</sup>  
سرف الدلاء من القليب الخضرم<sup>(١٠)</sup>

يخرجن من لجف لها متلقم<sup>(١١)</sup>  
من بين قارمها ومالم يقرم<sup>(١٢)</sup>  
من بين محتقّ بها ومشرم<sup>(١٣)</sup>

والدهر لا يقسي على حدثانه  
يرتدن ساهرة كأن جيممها  
في مرتع القمر الأوابد أسقيت  
واهي العروض إذا استطار بروقه  
وكان أصوات الخموش بجوه  
عجل الرياح لهم فتحمل غيرهم  
فرأين قلة فارس يعدو به  
ذو غيث بشريذ قذاله  
وكان أوशल الجديدة وسطها  
متبهرات بالسجال ملاؤها  
فاهتجن من فزع وطار جحاشها  
وهلأ وقد شرع الأسنة نحوها

١- من ديوان الهذليين ص ١١١-١١٥ القسم الثاني نشر الدار القومية-القاهرة-١٩٦٥م

٢-قُب:خماص البطون ويقصد حمر الوحش- الشجون:الشعاب-المبرم: ثمرة الطلح

٣-الساهرة: الأرض-الجميم: البت الذي ارتفع ولم يتم كل التمام-العميم: المتكهل التام من البت

٤-القمر:حمر بيض البطون-الأوابد:المتوحشة-ديم:المطر الساكن-العماء:السحاب الرقيق-

٥-واهي:الذي تشققت نواحيه بالماء-استطار بروقه:انكشف

٦-الخموش:البعوض.

٧-فضلات ما في القمقم- أي فضلات ما في الدن

٨-القلة: الرأس- نهد المحزم: عظيم البطن.

٩-فرس غيث:متتابع العدو- البشر:الكثير- سوار الملجم:ساورته إياه إذا كان الإلجام

١٠-الوشل:الماء يقطر ويسيل- الخضرم: كثير الماء.

١١-متبهر: ممتليء- اللجف: ما تهدم من طي البئر من أسفلها.

١٢- القارم: الذي قدم

١٣-المحتق:المصاب بطعنة نافذة- المشرم:الذي شق الأرض بالعرض.

يصور هذا المشهد البعد الماورائي للشاعر المتمثل في إحساس التناقض في الوجود وفي مشاعر الإنسان المتناقضة بين الفرح والحزن والحركة والسكون والحياة والموت، وهذه المتناقضات قائمة في حياة الإنسان والحيوان على حد سواء؛ فلم ير بأساً من نقلها من عالم الحيوان إلى عالم الإنسان في مشاهد سريلية نابغة من فقدانه لإحساس الأمان؛ فالحمر الوحشية كانت تعيش حياة هائلة سعيدة إلى أن ظهر الصيد الذي بدل حياتهم فتركهم ما بين قتيل وجريح.

فنظرة الشاعر السوداوية جعلته يختار تلك الصورة التي تعبر عن اقتناص الموت للحظات السعادة الهائلة وتحويل الحياة من حالة الاطمئنان وراحة بال إلى حالة الشقاء والمرارة فالشاعر هنا " يهمله أن ينقل تجربته للآخرين بصورة مؤثرة ، لذلك كان تأثير القصيدة في المستمع هو العامل الأول في تقدير قيمتها ، فلم يكن الشاعر ليهمه البحث عن الجديد في الصورة والتعبير بقدر ما كان يتبع إحساسه الخاص بوقوع هذه القصيدة أو تلك" (١)

ومن أشهر الصور شهرة ، صورة زهير بن أبي سلمى التي نفرت من الحرب وآثارها؛ حيث يقول (٢):

وما هو عنها بالحديث المرجم	وما الحرب إلا ما علمتم و ذقتم
وتضرر كما ضريرتموها فتضرم	متى تبعوها تبعوها ذميمة
وتلقح كشافا ثم تجمل فتئم	فتعركم عرك الرحى بثفالها
كأحمر عاد ثم ترضع فتطم	فتتج لكم غلمان أشأم كلهم
قري بالعراق من فقير ودرهم	فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها

١- قراءة ثانية للشعر الجاهلي الأصالة والممكن- مطاع صفدي- ص ١٧

٢- ديوان زهير بن أبي سلمى شرح أبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني ثعلب - الدار القومية - القاهرة- ١٩٦٢م

فهذا الشكل السريالي البشع الذي سجله الشاعر لتفسير وتحذير الناس من الحرب وآثارها السيئة على البشر ، ما هو إلا مخزون نفسي لاشعوري من الحروب التي عايشها الشاعر والتي استمرت سنوات طويلة مخلقة تراكمات نفسية وظفها الشاعر لتبشيع صورة الحرب وقسوتها؛ فالحرب تأكل مشعلها وتطحنهم كما تطحن الرحي البذور الدالة على النماء فهي تطحن الأخضر واليابس ولا تترك شيئا إلا جعلته باليا، أوهي ناقة بغيضة تلد نوقا مشوهة لا فائدة منها، والحرب تأتي على الأخضر واليابس مخلقة دمارا هائلا للمقرى فلا نفع لها.

كما يكر زهير تلك الصورة محذرا من الحرب وآثارها حيث قال<sup>(١)</sup>:

إذا لقيت حرب عوان مضرة      ضرورس تهر الناس أنيابها عصل  
قضاعية أو أختها مضرية      يحرق في حافاتها الحطب والجدل

فقد صور الحرب (سيئة الخلق) ، (ضرورس) يكرهاها الناس وينفزون من شكلها القبيح ، فهي ذات أنياب معوجة ، فاتحة فمها تجعل من يراها يستقبح صورتها ويهرب منها ، وهو لا يترك تلك الصورة إلا ويدعمها بألوان وأشكال النار المتأججة التي تأكل الحطب القوي في حافتها فما بالنا بداخلها.

تلك الصورة المقيتة تبدو عند النابغة الذبياني حيث يقول<sup>(٢)</sup>:

إني لأخشى عليكم أن يكون لكم      من أجل بغضائهم يوم كأيام  
تبدو كواكب الشمس طالعة      لا النور نور ولا الإظلام إظلام

فاستخدام الشاعر للعناصر الضوئية يصور الحرب بصورة خرافية يمتد أثرها على الكون كله ممثلا في الشمس والكواكب التي تظهرها في وقت واحد ، فلا يستطيع

١- الديوان ص ٦٠

٢- ديوان النابغة الذبياني- ت- محمد أبو الفضل إبراهيم- دار المعارف- مصر ١٩٨٥م ص ٨٣

المشاهد أن يميز بين النور والظلام بما يعني نهاية الكون .

وتتكرر الصورة عند أوس بن حجر، فيقول<sup>(١)</sup>:

وإني امرؤ أعددت للحرب بعدما	رأيت لها نابا من الشر أعصلا
أصم ردينا كأن كعوبه نوى	القسب عرّاصا مزجا منصلا
عليه كمصباح العزيز يثبُّه	لفصح ويحشوه الزبال المفتلا
وأملس صوليا كنهى قزازة	أحس بقاع لفتح ربح فأجفلا
كأن قرون الشمس عند ارتفاعها	وقد صادفت طلّقا من النجم أعزلا
تردد فيه ضوءها وشعاعها	فأحسن وأزين بأمرئ إن تزبلا

صورة السهام هاهنا حيث أعدها أوس للحرب بعد أن أدرك خطورتها، فهي "نابا من الشر أعصلا"، ثم رسم بكلماته صورة سريالية لهذه السهام ؛ فعليها ضوء مثل ضوء مصباح العزيز، وهي كالطلق من النجم يلتقي مع قرون الشمس "أشعتها" وهي أيضا مرآة تعكس ضوء الشمس مع كونه مصباح العزيز المضيء بالنار المقدسة التي تضيء في عيد الفصح .

ولطبيعة البيئة التي عاش فيها عنترة حيث ولد في خضم الحروب بل أصبح بارعا فيها، فالأمر هنا مختلف عما سبق؛ يبدو ذلك من خلال أبيات صور فيها فخره بنفسه وقومه بني عيس وأنهم يدعونه دائما لخوض الحروب لعلمهم اليقيني بجسارته وقوته فيقدم غير هيباب لها:

بسيفٍ حده موج المنايا	ورُمحٍ صدزُهُ الخشفُ المُميتُ
خلقتُ من الحديدِ أشدَّ قلبًا	وقد بليي الحديدُ وما بليت
وإني قد شرتُ دَمَ الأعادي	بأحقافِ الرُّؤوسِ وما رويتُ
وفي الخربِ العوانِ وُلدتُ طفلا	ومن لبِنِ المعامِعِ قد سُقيتُ

١- ديوان أوس بن حجر- ت محمد يوسف نجم- دار صادر بيروت- ١٩٧٩م ص ٩



فما للرمح في جسي نصيبٌ      ولا للسيف في أعضاي قوتٌ  
ولي بيتٌ علا فلِكَ الثريا      تخِرُّ لِعُظْمِ هَيْبَتِهِ البُيوتُ

وعمر بن معدى كرب يفتخر بفروسيته فيقول:

وَمُرِدٌ عَلَى جُرْدٍ شَهِدْتُ طِرَادَهَا      قُبَيْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَوْ حِينَ ذَرَّتْ  
صَبَحَتْهُمْ بَيضاءَ يَبْرُقُ بَيْضُهَا      إِذَا نَظَرْتُ فِيهَا العُيُونُ ازْمَهَرَّتْ  
وَلَمَّا رَأَيْتُ الخَيْلَ زَهَوُوا كَأَنَّهَا      جَدَاوِلُ زَرْعٍ أُرْسَلَتْ فَاسْبَطَرَتْ

كما يشكل البرق صورة تفاعلية نراها عند امرئ القيس حيث يقول<sup>(١)</sup>:

أعني على برق أراه وميض      يضيء حيا في شمرايح بيض  
ويهدأ تارات سناه وتارة      ينوء كنعتاب الكير المهيض  
وتخرج منه لامعات كأنها      أكف تلقى الفوز عند المفيض

فامرؤ القيس يستمتع بوصف البرق ؛ فهو يحلم به ويستدعيه من اللاشعور وكأنه حلم من أحلام يقظته ؛ فهو يضيء السحاب القريب من الأرض ذا اللون الأبيض ، وهذا يجعل ضوءه أشد بريقا ولمعانا ، وهو يهدأ فترات ثم يعود ثانية فيراه مثل بعير يمشي على ثلاث أرجل، وقد كسر هذا البعير بعد شفائه فيراه يمشي رويدا رويدا ليشارك المتلقي خياله في وصف بقاء البرق، ثم يرى الشاعر البروق وقد التمعت ، كأكف تعلن فوزها عند من يضرب بالقداح ؛ وما هذا إلا حالة الشاعر النفسية التي تعبر عن فرح واستبشار كمن يضرب بالقداح ويسعد بفوزه .

فالكتابة التي هي كتابة بالصور لتحويلات الأمكنة الشديدة والصاعقة.. متأتية من

١- ديوان امرؤ القيس الكندي -ت- محمد أبو الفضل إبراهيم- دار المعارف-مصر-ص ٧٣

أصل مشهدي؛ إلا أنها تعود. من ثم، فتشكل في رأس الشاعر بقناعاته ورؤيته الخاصة ، فتبدو مختلفة عن طبيعتها، وهي إحدى ملامح السريالية. فعروة بن الورد -مثلا- له رؤيته الخاصة لوجه الصعلوك: قصورته لديه كضوء شهاب. يقول<sup>(١)</sup>:

ولكن صعلوكا صفيحة وجهه      كضوء شهاب القابس المتور

وهذه الخنساء ترسم صورة سريالية لأخيها صخر حيث تقول فيها<sup>(٢)</sup>:

وإن صخرًا لتأتم الهداة به      كأنه علم في رأسه نار

وصورة الليل عند امرئ القيس في معلقته صورة سريالية حيث يقول :

وليل كموج البحر أرخى سدوله      علي بأنواع الهموم ليأتي  
فقلت له لما تمطى بصلبه      وأردف أعجازا ونساء بكلكل  
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي      بصبح وما الإصباح منك بأمثل

تري امرأة القيس الجاهلي يذكر في معلقته الليل ، ويشبّه بموج البحر المتراكب المتعاقب عليه لكي يتليه، ثم يستعير له صورة جمل كبير يتمطى بصلبه، ويردف إعجازه وينوء بكلكله... هكذا يتحول الإحساس الذاتي للشاعر بالهم، إلى صور محسوسة مترادفة متوالية من بحر وليل وناقاة صحراء ، إلى صورة الشاعر في مخيلته، فقد لعبت عناصر المكان بسحريته أدوارها الفاعلة في هذه النقلة، إضافة للدور الأهم والأكثر حسما وهو تحرير المخيلة من أسر الواقع، والتجاؤها للحلم؛ بل إلى ما

١- ديوان عروة بن الورد- دار صادر - بيروت ٣٧

٢- ديوان الخنساء- المكتبة الثقافية - بيروت - ص ٣٧

فَيَا لَكَ مَنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ  
بِأَمْرَاسٍ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جُنْدَلٍ<sup>(١)</sup>

هنا وصف عجيب وسابق لعصره فيه منتهى الشاعرية ومنتهى قوة التصوير والإبداع يقول يا لك من ليل كأنَّ نجومه ربتت بأجود وأقوى أنواع الجبال ألا وهو الكتان ، وللتوضيح أكثر أنَّ الليل بطوله وثقله من هموم الشاعر، وما يعاينه ويقاسيه من شعور بالملل كأنه مجموعته من أجود أنواع الجبال وزعت على عدد النجوم التي كان يراها في أفق السماء فكل طرف من هذه الجبال ربط بنجمه من نجوم السماء يقابله في الأرض ربط الطرف الآخر بالصخرة الكبيرة الصماء ومن هذه الصورة نستنتج أن الليل من طوله عليه وثقله وبطء مروره كأن نجومه مربوطة بحجارة الأرض الكبيرة فالشاعر بالربط بالجبال وزع عدد نجوم السماء على عدد الصخور الكبيرة الموجودة في الأرض. وقريب من هذا البيت، وفي صورة أخرى لطول الليل، يصور سويد بن أبي كاهل الشكري<sup>(٢)</sup> النجوم: بإنسان يعرج ويغمز في المشي، فيحتاج إلى من يجره جرا لشدة بطنه:

فتواليها بطيئات التبعي  
سحب الليل نجومًا ظلعا

وهذا ما دعت إليه السريالية في أن (( تمر - الصورة - في شرطين لتأكيد نفسها : الهدم الكلي للواقع الراهن ، ثم إعادة ترتيب عناصره بالطريقة الأقرب إلى تحريره في الداخل كما في الخارج ))<sup>(٣)</sup>.

وامرؤ القيس يصور اعتماد قومه عليه من خلال تلك الصورة:

١ - صم جندل : أي الصخور الكبيرة-أمراس : أطراف الجبال - كتان : أجود وأقوى أنواع الجبال

٢ - المفضليات - ص ١٩٢

٣ - السريالية وتفاعلاتها العربية - عصام محفوظ-المؤسسة العربية للدراسات والنشر - ط١-١٩٨٧م- ص ١٤

وَقَرْبَةَ أَقْوَامٍ جَعَلْتُ عِصَامَهَا      عَلَى كَاهِلٍ مَنِي ذُلُولٍ مُرَحَّلٍ<sup>(١)</sup>

يشير الشاعر في هذا البيت أن قومه يعولون عليه ، كأنه البعير المعتاد على حمل المهام الصعبة ، فيشير بقوله قربة أقوام أي عند السفر كأن عطش القوم والرفقاء هو قربة ماء حملها موضوع على كاهله أي مربوط على أعلى ظهره لسقياهم وتلبية ما يحتاجون ويريدون ، أو أن حاجات قومه وتأدية حقوقهم كقربة الماء التي رُبَطَ

ووضع حملها على ظهره كأنه البعير المعتاد على تحمل المهام الصعبة والمشقات ، فهو بهذا البيت يمدح نفسه. وقد أشار جمهور الأئمة أن هذا البيت وما بعده من أبيات وصولاً إلى البيت الذي قال فيه :

كِلَانَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئًا أَفَاتَهُ      وَمَنْ يَخْتَرِثُ خَزْيِي وَخَزْيُكَ يَهْزِلُ

ليست للشاعر، وأنا فيما اعتقد لا أوافقهم الرأي إلا في بيت واحد ألا وهو :

( وَقَرْبَةَ أَقْوَامٍ جَعَلْتُ عِصَامَهَا      عَلَى كَاهِلٍ مَنِي ذُلُولٍ مُرَحَّلٍ )

أما الأبيات التي تليه جلياً فيها أسلوب امرؤ القيس وأكبر دليل أن التشبيه هو من ضمن تشبيهات خاصة بامرئ القيس نقرأ البيت التالي :

وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفَرٍ قَطَعْتُهُ      بِهِ الذُّنْبُ يَغْوِي كَالْخَلِيعِ الْمُعِيلِ<sup>(٢)</sup>

يشبه الشاعر الوادي الخالي من النبات والناس والأنس الذي مرَّ به وقطعه بجوف الحمار، ولقد قرأت عدة شروح ولم تكن مقنعة بالنسبة لي ولا تماشى مع القوة والجزالة

١ - قربة أقوام : يقصد بها حاجات أقوام - عصامها : أي وكاء القربة أي جبل القربة - كاهل : أعلى الظهر - ذلول - ذلول مرحل  
٢ - جوف العير : جوف الحمار - الخليع : السبؤ من أقاربه المطرود - المعيل : أي الذي له أولاد كثير يعير محمّل أي وضع على ظهره العتاد .



المعهودة للشاعر في أغلب أبيات المعلقة وهذا الشرح تحديداً الشطر الأول فيه اجتهاد مني وهو أن الشاعر شبه الوادي الموحش بجوف الحمار فكيف يشبه الشاعر الوادي بجوف الحمار في هذا الشطر إشارة من الشاعر أن جوف الحمار لا يرى إلا في حالة واحدة عندما يكون ميت وقد تأكل لحمه وبانت عظامه فمنظر الميتة دليل على المنظر الموحش الخالي من الأنس ، ولكن يتراد للذهن سؤال لم اختار الحمار بالتحديد؟ لأن الوادي الذي مرَّ به بتشكيلته الجغرافية كأنه جوف حمار ميت كبير، هذا الأسلوب في تشبيهاته كقولِه عندما شبه حلول الليل وتمكّنه من أفق السماء بالبعير الضخم الأسود اللون فمن ذلك البيت نستنتج أسلوب وطريقة امرئ القيس الخاصة عند تناول ما حوله بالوصف والتشبيه بصور خيالية لها ارتباط مباشر بالواقع وأن هذا الوادي الذي مرَّ به سمع في أرجائه صوت عواء الذئب وكأنَّ هذا الذئب من صوت عوائه مخلوع ومطرود ومنبوذ من أهله ولديه الكثير من الأبناء لا يستطيع أن يقدم لهم شيئاً من فرط جوعهم وسوء حالهم، فكان عواء الذئب من سوء هذا الحال الذي وصفه به مخلوع ومنبوذ ولديه عيال وفي المعنى العام إشارة إلى أن المكان الذي مرَّه وتجاوزهُ موحشٌ وشديد الظلام مخيف ؛ وفي هذا البيت تأكيد على أن البيت لا مريء القيس من طريقة تشبيهه المميزة ، ولا ننسى أن الشاعر لا زال مستمراً بالاسترسال في ذكرياته ولكن بإكمال مسيرة الحزن والضيق. وكما هو معلوم عنه فقد طرده أبوه وعاش مع الصعاليك حياتهم فانعكس ذلك على شعره وصوره وأخيلته.

ونراه في موضع آخر يصف حالته الوجدانية مع صاحبه في صورة هي أقرب

للسريالية:

وما ذرفتُ عيناكِ إلا لتضربي      بسهميكِ في أعشارِ قلبِ مقتلٍ<sup>(١)</sup>

وما بكيت ونزلت من عيناكِ الدموع إلا لتضرب وتصيب نظراتُ عيناكِ الغارقة بالدموع التي فعلها فعلُ السهام في عمق الأجزاء الداخلية من قلبي الذليل من رقة وشدة

١- بسهميك : عيناها ونظراتهما-أعشار : عمق القلب

جبه لك لكي تزيدين من حجم عذابي وتألّمي.

ثم يتابع وصف محبوبته وصفا سرياليا قائلا:

مُهْفَهْفَةٌ بِيضَاءٍ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْفُورَةٌ كَالسَّجْنَجِلِ<sup>(١)</sup>

يصفها بقوله هي امرأة دقيقة الخصر لطيفة ، ضامرة البطن و صدرها براق اللون متألّلي وصاف كالمرآة.

كَبِكْرِ الْمُقَانَاةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَدَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْمُحَلَّلِ<sup>(٢)</sup>

شبه الشاعر بياضها الذي به قليلاً من الصفرة كأول بروز بيضة النعام التي خولط بياضها بصفرة خفيفة وقد غطاها الماء العذب الصافي لتعطي منظرا رائعا لمن يراها، فقصده بهذا التشبيه أن محبوبته بياض بصفرة خفيفة شفافة وأحسن ألوان النساء عند العرب التي خالط بياضها صفرة خفيفة.

وَجِيدٌ كَجِيدِ الرَّثْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَضَّتْهُ وَلَا بِمُعْطَلٍ<sup>(٣)</sup>

يشبه الشاعر عنقها بعنق نوع من الطباء البيض الخالصة البياض إذا رفعتة ، وأنها عند رفعة لا تتجاوز الحد المحمود ، أي ليس طويل جداً كطول رقبة الرثم وأنه لا يشبه عنق الظبية في الخلو من الحلبي كالذهب المجوهرات ، أو عنقها رقبته بياضاً طويلة ليست غليظة إذا رفعت رأسها لأعلى ، ولا رفيعة إذا أنزلت رأسها لأسفل.

١- مهفهفة : لطيفة الخصر ضامرة البطن - السججل : المرأة أو الفضة.

٢ - كبكر المقاناة : كبدية البيضة المختلط بها لونين- غداها : غطاها- نمير الماء : أي الماء العذب غير محلل : أي لا يشوبه شيء من حلول الناس عليه وعشيم به فهو ماء صافي اللون .

٣ - جيد : العنق الرقبة- الرثم : الظبي الأبيض الخالص البياض- فاحش : ما جاوز القدر الغير محمود- نضتة : رفعتة لأعلى

وَفَرِحَ يَرِيْنُ الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ      أَثِيْثٌ كَفَيْتُو النَّخْلَةَ الْمُتَعَكِّلُ<sup>(١)</sup>

يُصور الشاعر شعرها بأنه شديد السواد وانقسامه ما بين ظهرها وأكتافها من طوله وغالب نعومته يزيد من جمالها وجمال منظرها بشكل عام وأنه كثير كثيف متفرع منه طرفان على جانبيها كعنقود النخلة فيه التواءات وتجعدات جميلة المنظر:

غَدَائِرُهُ مُتَشَشِرَاتٌ إِلَى الْعَلَا      تَصِلُ الْعِقَاصُ فِي مُنْتَهَى وَمُرْسَلِ<sup>(٢)</sup>

يقول الشاعر وهو يكملُ وصف شعرها بأن خُصلَ شعرها بعضها مرتفعة من بعد الانحناء بالتقوس إلى أعلى أي متجهه أطراف الخصل إلى فوق وأن هناك خصل أكثر كثافة من لعب الهواء بها تظل ما بين حالتي تارة يصبح فيها انحناء والتواء وتارة تعود ناعمة ممدودة وهنا مشهد شعري رائع إلى أبعد الحدود وكأننا نراها أمامنا

تُضِيءُ الظَّلَامَ بِالْعِشَاءِ كَأَنَّهَا      مَنَارَةٌ مُنْسَى رَاهِبٍ مُتَبَلِّ

يصف الشاعر المحبوبة بأنها من شدة بياضها وجمالها تضئ ظلام الليل وكأن نورها يغلب شدة الظلام فنورها يشبه منارة الراهب المتعب المنقطع عن الناس فيها يهتدي تائه الليل كما يهتدي بمنارة الراهب تائه الليل من قوة نورها ولا ننسى أن منارة الراهب في ظل تبتله وتعبده تبقى طوال الليل مسرجة مضيئة ولا أعلم هل الشاعر يقصد نفسه بشكل غير مباشر بأنه تائه الليل وحائره ونورها اهتدى وبجها اطمأن؟!

كما وصف شعراء العصر الجاهلي كل مظاهر الطبيعة بطريقتهم في استدعاء الخيال من الصور المخترنة في اللاشعور لربطها بظواهرها الواقعية: يقول أوس بن حجر

١ - فرح : شعر الرأس - المتن : الظاهر - فاحم : شديد السواد- أثيث : كثير كثيف كقنو النخلة: كعنقود

النخلة المتعكل : أي الذي فيه التواءات وتجعدات جميلة

٢- غدائره : أي خصلات الشعر- متششيرات : أي مرتفعات لأعلى- العقاص : خصل الشعر

في وصف السحاب<sup>(١)</sup>

دان مسفّ فويق الأرض هيدبه  
ينزع جلد الحصى أجش مبترك  
يكاد يدفعه من قام بالراح  
كانه فاحص أولاعب داح

وقال الأعشى في وصف الرياض:<sup>(٢)</sup>

ما روضة من رياض الحزن معشبة  
يضاحك الشمس منها كوكب  
خضراء جاد عليها مسبل هطل  
شرق مؤزر بعميم التبت مكتهل

نرى في الأبيات السابقة لأوس بن حجر وللأعشى، أن الطبيعة قد بعثت الحياة في كل كلمة نظمها الشاعران، وكونت عناصر الطبيعة علاقات متشابكة انتجت مشاهد طبيعية متقنة، في بيتي أوس بن حجر تمتزج صورة السحاب مع صورة الراح، ثم تخرج صورة المطر الغزير الذي يتلعب كل شيء أمامه، كما تتلعب المدحاة التي يلعب بها الطفل على الأرض كل شيء أمامها، ثم إن كل كلمة استخدمها الشاعر في الأبيات توحى بوجود الطبيعة، وسيطرتها على ذهن الشاعر تماما في أثناء النظم. أما الأعشى فهو يبني في بيته علاقات أكثر حيوية بين عناصر الطبيعة، فالروضة الخضراء التي يصفها، على علاقة طيبة مع الأمطار التي تجود عليها من خيرها دائما، مما يزيد لها عشا وخضرة، وهي تضاحك الشمس التي منحنتها النضارة والنمو والاختضار، والأعشى في كل هذا يتحدث عن جارية أحبها وليس عن الطبيعة، ولكن الطبيعة كانت ملهمه الأساسي لتشكيل هذه الصور الخاصة به للتعبير عن مشاعره.

كما نجد الشاعر الجاهلي يحول الطبيعة إلى وحدات إبداعية متماسكة ومتصلة

١- الديوان- ص ٥

٢- الديوان - ص ١٥٠



تشكل فنا ممزوجا بفكر الجاهلي ومعتقده.

يتحدث الحادرة عن المطر ويشبه نزوله بعملية حلب الناقة، فهذا المطر أدرته ريح الصبا، وهذا المطر يهطل من غيمة شديدة الوقع على الأرض حتى تقشر وجهها وتتغلغل في ثناياها لتبعث الخصب والنمو، ثم يجري الماء في أصول الشجر، لبعث الحياة والنمو، يقول الحادرة: (1)

كفريض سارية أدرته الصبا      من ماء أسجر طيب المستقع  
ظلم البطاح به انهلال حريصة      فصفا التطاف بها بعيد المقلع  
لعب السيول به فأصبح ماؤه      غللا تقطع في أصول الخروع

وفي استعارة لفظة أدرته المستعملة لحلب الناقة للدلالة على المطر ما يجعل من "السماء ناقة أسطورية عظيمة والسحب أضرعها التي تدر اللبن" (2) فهو يدفع بالمخيلة إلى أن ترى ما هو واقعي بلباس غير واقعي، ذلك لأن الخيال باعتباره الرباط الذي يصل عالم الإنسان الداخلي النفسي الذي يربطه بعالم الواقع الخارجي (3)

يقول النابغة الذبياني معتذراً (4) للنعمان بن المنذر وكان قد توعده:

وعيدُ أبي قابوسٍ في غيرِ      أتاني ودونسي راكسٌ فالضواجِعُ  
كُنْهِ \_\_\_\_\_      من الرُقشِ في أنيابها السَّمُّ ناعِ  
فبِتُّ كأنِّي ساورتنِي ضئيلةٌ

فالشاعر هنا محبوم نالت منه أفعى من أخطر أنواع الأفاعي المعروفة في صحراء

١- الحادرة - الديوان - دار صادر بيروت ١٩٨٠م - ص ٤٧

٢- ريتا عوض - سنية القصيدة الجاهلية. الصورة الشعرية لدى امرؤ القيس - بيروت - دار الأدب، ١٩٩٨م

٣- عصر السريالية - والاس فاوولي - ت : خالدة سعيد - منشورات نزار قباني - بيروت - ١٩٦٧ - ص ٨٤

٤- الكامل في اللغة والأدب - لأبي عباس المبرد - تحقيق - حنا الفاخوري - دار الجيل - بيروت ١٩٩٧م - ج ٢ ص

العرب ، فهو يعاني حتى المسموم الذي ترتعد أوصاله ، ويشرف على الهلاك ، ويلزم الحذر ولا يفارقه ؛ وحيداً في ليله ، تتابه المخاوف والظنون ولا يجد من يواسيه أو يخفف عنه آلامه فهو كما يقول رامبو ، إنه يقوم بـ (( رؤية ملا يرى ، وسماع ما لا يسمع ))<sup>(١)</sup>.

### الخاتمة

قصت في هذا البحث استشراف نماذج من الصور السريالية في الشعر الجاهلي القديم، بمعنى ؛ كيفية توظيف عنصر السريال في تأليف الصورة الشعرية ؛ فالصورة أداة من أدوات الشاعر القديمة التي تدخل في الوصف والتشبيه والاستعارة المتعلقة بالمحسوسات البصرية ذات الأشكال والألوان؛ فلقد استبق الشاعر الجاهلي زمانه في تأليف صور سريالية في شعره لتكون مفاجأة لمنظري السريالية في العصر الحديث ، بحيث انتقل الشاعر بالصورة الواقعية إلى تشكيل جديد أطلق فيه لمخيلته العنان لتأليف صورة أخرى خارج نطاق الواقعية إلى اللاواقعية . ولم يكن الشعر العربي ، طيلة عمره المديد من الشعر الجاهلي حتى آخر قصيدة كتبت في زمننا الحاضر ، شعراً عقلياً ينبع من الوعي ، ويتحرك في حدود الواقع والمنطق ، بل كان وما يزال يأخذ من هذا وذاك ، وما يزال أساسه المتين الذي ينبع منه - على الرغم من تحولاته وتبدلاته - هو وادي عقر ، وجنياته ، ومن ثم الإلهام ، إنه - أي الشعر العربي - خارج الواقع وخارج العقل ، وفي الوقت نفسه ، هو ينبع من داخلهما ويتحرك بين أساسهما، إنه ليس ببعيد عنهما ، ولا هو بالقرب منهما .

ولما كان الإبداع ، فعل إنساني لا يقف الزمان ولا المكان عائقاً في طريقه ، فإن

١ - ثورة الشعر الحديث - ج ١ - د. عبد الغفار مكاوي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر - ١٩٧٢ ص - ومن الطريف ، أن ناقداً عربياً كالجاحظ ، قد انتبه لهذا الأمر ، وسبق رامبو بألف عام عندما فسر هذه العملية بكل عقلانية وعلمية ، وجاء بالمعارة ذاتها التي استشهد بها رامبو في أن الشاعر يقوم بـ (( رؤية ملا يرى وسماع ما لا يسمع )) ؛ قال الجاحظ وهو يكذب ما أشع حول شياطين الشعر : (( وإذا اسوحش الإنسان تمثل له الشيء الصغير في صورة الكبير وارتاب وتفرق ذهنه وانتقصت أخلاطه فرأى ما لا يرى وسمع ما لا يسمع وتوهم على الشيء اليسير الحقير أنه عظيم جليل ) انظر : الحيوان - الجاحظ - القاهرة - ١٩٣٨ - ١٦٤/٦

اشتغال الشعراء العرب قبل أكثر من ألف عام في منطقة اشتغل فيها شعراء آخريين وفي لغة ومن حضارة وثقافة مغايرة لما عند وحول هؤلاء الشعراء ، لم يكن من الأمور العسيرة ، أو من ( سابع المستحيلات ) - كما يقال - إذا أخذنا بنظر الاعتبار فحولة هؤلاء الشعراء ، وعبقريتهم وقوة إبداعهم ، يستعير الخيال السريالي قبل السرياليين بألف عام ، ليقدم من خلاله ما يحسن به وما يراه ، لأنه لا يرتضي بما تراه عيناه من صور ( واقعية ) ، وإنما يجعل من مخيلته ( المعمل ) الإبداعي لإنتاج صور مغايرة للواقع دون أن تبتعد عنه هل كان الشاعر الجاهلي قد زهد بالواقع فأطلقه وأطلق معه ما كان ينظمه العقل له . وكذلك حالات الوعي التي كانت تنظم له شاعريته ؟ فراحت الرغبات الدفينة تفعل فعلها في نظم الشعر بعيدا عن الواقع والعقل والوعي ، وقريبا من عالم الأحلام ، وما هو خارق ، مع العلم أن من معاني السريالية هو (( الواقعية الخارقة ))؟ (١).

إن عوامل كثيرة دفعت النفسية العربية - بصورة عامة - والنفسية الشعرية ومن ثم الذائقة الشعرية ، بصورة خاصة ، إلى البحث عما هو مغاير لما ألفته تلك النفسية ، إذ رافقت الإنسان العربي حالات من القلق والحيرة والشك بما هو عليه الواقع المعاش ، فدفعت بها إلى حالة البحث عما هو جديد ، أي إلى التغيير نحو الأحسن ، أي الثورة على ذلك الواقع المرفوض ، أو الهروب إلى ما هو مضاى ، ومن ثم النكوص . وكان عالم الشعر ، والذائقة الشعرية ، عند بعض الشعراء الجاهليين الأكثر تحسناً ، أول المبادرين للثورة على ذلك الواقع ، أو الهروب منه .

مما تقدم تبين لي أن سمات الأدب السريالي المتمثل في:

- ١ - الخيال المتمثل في الدخول في عالم الغرابة والإدهاش ، واللجوء إلى عالم الأشباح والتجسيدات وانفلات
- ٢ - التأليف بين عالمي الواقع والحلم والعبور من أحدهما إلى الآخر ؛ فالأحلام والذكريات إضاءات للمواقع الخفية في الإنسان ؛ وهي تتشابك مع الواقع الذي يعيشه

<sup>١</sup> بيانات السريالية- ص ٣٩



الشعراء.

٣ - الصور فيه عبارة عن مجموعة من التدايعات النابعة من اللاشعور ، تنمقها أو تشوهها المقدره الفنية الواعية؛ وتخرج في ذلك عن كل أساس منطقي ، وكما قال أحد منظري السريالية (بيير روفيردي):-

"دع الكلمات تتكلم وتقول ما تريد قوله ، متناسيا ما كانت تحمله من المعاني في الآداب السابقة ، دعها تعمل وتؤثر مستقلة ، تتزاوج فيما بينها أو تتسافر ، مؤلفة صورا ، وكاشفة عن واقع لم يقله أحد بالضرورة..."<sup>١</sup>

٤- الأخيلة والصور السريالية غريبة ومتناقضة قد يعسر فهمها ، وسبب هذه الغرابة أنها إبداع ذهني خالص لا يمكن أن يتولد من مشابهة بين طرفين ، بل من مشابهة بين واقعين متباعدين نسبيا ، وكلما كانت الصلة بين هذين الواقعين بعيدة ، جاءت الصورة قوية . ولغموض الصورة لا ينتظر من القارئ فهمها من القراءة الأولى ، بل لابد له أن ينسى كل ما اكتسبه من ثقافته المصطنعة وينغمس مع السرياليين في مفاهيمهم وأفكارهم وحياتهم.

٥- الشعر السريالي ناشئ عن دافع لاشعوري يتدع القصيدة كما يتدع الحلم ؛ ويرى (إيلوار) أن القصيدة مجموعة من الهلوسة والجنون والتذكر والقصص القديمة والمشاهد المجهولة والأفكار المتضاربة والتنبؤات البعيدة وحشد العواطف وتشويش العقل والعبث . إنها انطلاق الوحي الحر من أعماق النفس وتدفعه بحرية تامة مخترقا جميع الحواجز.<sup>(٢)</sup>

ومن ثم اعتقد أن سمات الأدب السريالي قد اتضحت في البحث الذي بين أيديكم ، متمنية أن يحظى القبول ، ويفتح المجال لدراسة جذور هذا المذهب وغيره من

<sup>١</sup> - انظر: موقع الألوكة على الشبكة العنكبوتية الإنترنت على الرابط التالي:



المذاهب المعاصرة عبر عصور الأدب العربي المختلفة لتتحقق مقولة المستشرقة الألمانية  
(هلنكة) " أن شمس العرب أشرقت على الغرب."

## الفهرس

- ١ - الأدب الرمزي ، هنري بير - السريالية، إيف دوبليس (سلسلة زدني علما )
- ٢-الأدب ومذاهبه، د. محمد مندور ط دار المعارف
- ٣-أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز- لعبد القاهر الجرجاني-ت-السيد محمد رشيد رضا-  
نشر مطبعة صبيح-القاهرة-١٩٥٩م-ط ٦-
- ٤-الأسس الجمالية في النقد العربي- د/عز الدين إسماعيل-نشر دار الفكر العربي-  
القاهرة ١٩٦٨م- ط ٢
- ٥-الإمتاع والمؤانسة-لأبي حيان التوحيدي-صححه وشرحه غريبه-أحمد أمين وأحمد  
الزوين- بيروت المكتبة العصرية١٩٥٣م
- ٦-بيانات السريالية-اندرية بروتون-ترجمة-صلاح برمدا-وزارة الثقافة والإرشاد  
القومي-دمشق-١٩٧٨م
- ٧-بنية القصيدة الجاهلية ، الصورة الشعرية لدى امرؤ القيس -ريتا عوض - -بيروت-  
دار الأدب ، ١٩٩٨م
- ٨-التعليقات- ابن سينا - ت - د/ عبد الرحمن بدوي- نشر الهيئة العامة للكتاب-  
القاهرة-١٩٧٣م
- ٩-ثلاث رسائل في الإعجاز القرآني -حققها وعلق عليها د/محمد خلف الله ود/محمد  
زغلول سلام- نشر دار المعارف -القاهرة- ١٩٦٨م -ط ٢
- ١٠-ثورة الشعر الحديث ج ١ د. عبد الغفار مكاوي - الهيئة المصرية العامة للكتاب -  
مصر ١٩٧٢
- ١١-الحيوان-للجاحظ-ت عبد السلام هارون-نشر الحلبي -القاهرة-١٩٤٨م -ج -

- ١٢ - دراسات في الأدب العربي " للمستشرق جوستاف فون جرنباوم-دار مكتبة الحياة بيروت - ١٩٥٩ م
- ١٣-ديوان الأعشى- ت-د/محمد محمد حسين - مؤسسة الرسالة- ط ٧-١٩٨٣ م
- ١٤-ديوان-الحادرة - دار صادر بيروت ١٩٨٠ م
- ١٥-ديوان الخنساء- المكتبة الثقافية - بيروت
- ١٦-ديوان النابغة الذبياني - ت -محمد أبو الفضل إبراهيم-دار المعارف-مصر ١٩٨٥ م
- ١٧-ديوان الهذليين ص ١١١-١١٥ القسم الثاني -نشر الدار القومية-القاهرة- ١٩٦٥ م
- ١٨-ديوان امرؤ القيس الكندي -ت- محمد أبو الفضل إبراهيم- دار المعارف-مصر
- ١٩-ديوان أوس بن حجر-ت محمد يوسف نجم-دار صادر بيروت-١٩٧٩ م
- ٢٠-ديوان زهير بن أبي سلمى -شرح أبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني ثعلب - الدار القومية - القاهرة- ١٩٦٢ م
- ٢١-ديوان زهير بن أبي سلمى -شرح أبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني ثعلب - الدار القومية - القاهرة- ١٩٦٢ م
- ٢٢-ديوان عروة بن الورد-دار صادر - بيروت
- ٢٣-ديوان-الطفيل الغنوي -دار الكتاب الجديدة -١٩٦٨
- ٢٤-ديوان-قيس بن الحظيم -ت درية الخطيب ولطفي صقال-دار الكتب-١٩٧٥ م
- ٢٥-السريالية وتفاعلاتها العربية - عصام محفوظ-المؤسسة العربية للدراسات والنشر - ط ١-١٩٨٧ م
- ٢٦-الشعر الجاهلي تطوره وخصائصه الفنية-د/بهي الدين زيان-دار المعارف-مصر- ١٩٨٠ م

- ٢٧- الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية -د/عز الدين إسماعيل -  
بيروت- دار العودة ط ٢ ١٩٧٢ م
- ٢٨- عصر السريالية - والاس فاولي - ت : خالدة سعيد - منشورات نزار قباني -  
بيروت - ١٩٦٧
- ٢٩- العلاقات التصويرية بين الشعر العربي والفن الإسلامي-د/نبيل رشاد نوفل -منشأة  
المعارف -الإسكندرية-١٩٩٣ م
- ٣٠-العلاقات المنهجية بين الأدب والفنون الأخرى ليوستف شتريلكا-ترجمة د/مصطفى  
ماهر- مقال بمجلة فصول- المجلد الخامس -العدد الثاني-القاهرة -يناير-مارس  
١٩٨٥ م
- ٣١- عيار الشعر لابن طباطبا العلوي -دراسة وتحقيق د/محمد زغلول سلام-نشر منشأة  
المعارف بالاسكندرية-١٩٨٠ م
- ٣٢- فن الشعر- لأرسطوطاليس -ترجمة د/عبد الرحمن بدوي -دار الثقافة - بيروت-  
بدون تاريخ
- ٣٣-قراءة ثانية للشعر الجاهلي الأصالة والممكن- مطاع صفدي
- ٣٤-الكامل في اللغة والأدب ، لأبي العباس المبرّد ، تحقيق حنا الفاخوري ، دار الجيل،  
بيروت ، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م
- ٣٥-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل-للزمخشري-  
نشر دار المعرفة-بيروت-بدون تاريخ-ج ٣
- ٣٦-مئة عام من الرسم الحديث - جي . إي . مولر و فرانك ايلجر - ت : فخري  
خليل - دار المأمون - بغداد - ١٩٨٨ .
- ٣٧-مذاهب الأدب الغربي، د. عبد الباسط بدر، دار الشعاع، الكويت
- ٣٨-المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العشية، د. نبيل راغب - مكتبة مصر -



القاهرة

- ٣٩- المذاهب الأدبية لدى الغرب - مع ترجمات ونصوص لأبرز أعلامها - دراسة-عبد الرزاق الأصغر- نشر اتحاد الكتاب العرب-١٩٩٩م
- ٤٠- المفضليات- المفضل الضبي- القاهرة - دار المعارف
- ٤١- منهاج البلغاء وسراج الأدباء- لحازم القرطاجني- ت محمد الحبيب بن الخوجة- نشر دار الكتب الشرقية- تونس ١٩٦٦م
- ٤٢- النزعة السريالية أديباً وفنياً وفلسفياً- خليل عبد اللطيف جريدة الفرات-السورية  
الاثنين ١٦-٥-٢٠١١
- ٤٣- نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، د. عبد الرحمن رأفت الباشا. نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٤٠٥هـ.
- ٤٤- نظرية الشعر/ ٥- مرحلة مجلة شعر - القسم الثاني: مقالات/شهادات/ مقدمات - تحرير وتقديم محمد كامل الخطيب. منشورات وزارة الثقافة - دمشق، ١٩٩٦ (عن) سريال : علي الناصر وأورخان ميسر. المقدمة. الطبعة الأولى عام ١٩٤٧ - مطبعة السلام/حلب.
- ٤٥- نظرية المعنى في النقد العربي- نشر دار القلم-القاهرة- ١٩٦٥م

المجلة الإلكترونية للدراسات والبحوث في اللغة العربية

العدد 10 لسنة 2014م - 2013م

المجلد 10 - العدد 10 - 2014م - 2013م

المجلة الإلكترونية للدراسات والبحوث في اللغة العربية

العدد 10 لسنة 2014م - 2013م

المجلة الإلكترونية للدراسات والبحوث في اللغة العربية

العدد 10 لسنة 2014م - 2013م

المجلة الإلكترونية للدراسات والبحوث في اللغة العربية

العدد 10 لسنة 2014م - 2013م

المجلة الإلكترونية للدراسات والبحوث في اللغة العربية

العدد 10 لسنة 2014م - 2013م

المجلة الإلكترونية للدراسات والبحوث في اللغة العربية

العدد 10 لسنة 2014م - 2013م

المجلة الإلكترونية للدراسات والبحوث في اللغة العربية

## الحدائثُ عند الصُّولي

(كتاب أخبار أبي تمام أنموذجاً)

دكتور/ نور الدين زين العابدين متولي أحمد

مدرّس النقد الأدبي بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا

ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

والحمد لله رب العالمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## المقدمة:

يُقصدُ بالحدائثة في الأدب ذلك الاستباق والاستشراف الفكري لما يمكن أن يكون عليه الفكر مستقبلاً، ووضع أسس ومعايير محددة لا يقبلها من يعيش في الوقت الراهن، لابتعادها عما تعودته المفكرون والأدباء في مرحلة ما من مراحل الحياة، لانفصالها في نظر هؤلاء عن القوانين، أو قل العادات والتقاليد المتبعة في فن من الفنون والتي ألفتها جماعة من الأدباء والنقاد. ومن ثمَّ لا تُعدُّ الحدائثة صفة يتصف بها المجتمع، أو شكلاً يتزين به، وإنما هي مرحلة يبلغها المجتمع من التطور الفكري والثقافي ويدخل بتطوره النوعي الذاتي في نمط جديد من الحياة، قوامه الاستيعاب التام للحظة الراهنة التي يعيشها المجتمع في مختلف المستويات، وإدراك التطورات الثقافية والأدبية والعلمية والصناعية والسياسية والاجتماعية.

ومن ثم، فقد كان للحدائثة مشروع يهدف إلى "تخليص الإنسان من أوهامه وتحريره من قيوده، وتفسير الكون تفسيراً عقلانياً واعياً، ورأت الحدائثة أن مثل هذا المشروع لا يتم ما لم يقطع الإنسان صلته بالماضي ويهتم باللحظة الراهنة العابرة"،<sup>١</sup> والحدائثة هي نقيض القديم والتقليدي، فهي ليست مذهباً سياسياً أو تربوياً أو نظاماً ثقافياً واجتماعياً فحسب، بل هي حركة نهوض وتطوير وإبداع هدفها تغيير أنماط التفكير والعمل والسلوك، وتبديل النظرة الجامدة إلى الأشياء والكون والحياة إلى نظرة أكثر تفاعلاً وحيوية. وهذا ما سنتناوله في هذا البحث حول الفكر الحدائثي عند الصولي من خلال نظريته إلى عوامل التطور الحضاري وأثرها في الفكر النقدي، ومحاولته إعادة النظر فيما أثير حول أبي تمام وفنه الشعري من خلال كتاب (أخبار أبي تمام)<sup>٢</sup>.

## الحدائثة لغةً:

واستحدثتُ خبراً، أي وجدتُ خبراً جديداً. قال ذو الرمة:

أم راجع القلب من أطرا به طربُ أستحدثت الركب عن أشياعهم خبراً<sup>٣</sup>

"وَحَدَّثَ حَدُوثًا وَحَدَائِةً نَقِيضُ قَدَمٍ وَحَدَثَانِ الْأَمْرَ بِالْكَسْرِ أَوَّلُهُ وَابْتِدَاؤُهُ كَحَدَائِةِ"<sup>٤</sup>  
 "وَمُحَدَّثٌ: مَوْجِدٌ وَجَدِيدٌ"<sup>٥</sup> و"الْحَدِيثُ: نَقِيضُ الْقَدِيمِ، وَالْحُدُوثُ: كَوْنُ شَيْءٍ لَمْ  
 يَكُنْ"<sup>٦</sup>. وأحدث الشيء ابتدعه، وأوجده، استحدثه: أحدثه، وعده حديثًا، والحداثة: سن  
 الشباب، ويقال أخذ الأمر بحداثته: بأوله وابتدائه"<sup>٧</sup>

أما الحداثة اصطلاحاً فهي "مصطلح نقدي أطلقه النقاد على الشعراء الذين أتوا بعد  
 الجاهليين والمخضرميين، ويبدأ عهد المحدثين ببشار بن برد، ومروان بن أبي حفصة، ومطيع  
 بن إلياس ومن جاء بعدهم"<sup>٨</sup>، وقد اقترن المصطلح في معظم الدراسات الأدبية والنقدية  
 بمصطلحات أخرى "ومن هذه المصطلحات: الأصالة، والمعاصرة، والجدوة"<sup>٩</sup>، وقد ارتبط هذا  
 المفهوم بالشعر والأدب والموسيقى والفنون والرسوم، والحداثة بمفهومها الواسع "تعدّ رفضاً  
 للنزعة الوضعية وخروجاً على المبدأ العام للمحاكاة الذي حكم الفن بشكل عام، ومن ثم فهي  
 تميل إلى تأكيد العامل الجمالي أو الشكلي"<sup>١٠</sup>

وفي رأي الباحث فالحداثة تعني مواكبة كل شيء مستجد بُغية التحرر من كل قيد  
 يغلّ الانفتاح الفكري، ومن هنا يمكننا القول: إن الحداثة حركة فكرية شاملة لها خصائصها  
 ومميزاتها وقوانينها التي تجعلها في حراك دائم لا يقف عند حد معين ولا تعريف ثابت له  
 حدوده المغلقة، لأنه إن وُجد هذا التعريف فقدت الحداثة مضمونها.

وبناءً على المقدمة السابقة، فيمكننا الآن أن نبين عناصر الدراسة في هذا البحث؛  
 إذ تقوم الدراسة على إيضاح الدور النقدي الكبير الذي قام به أبو بكر الصولي ونظريته  
 الحداثية خاصة في كتابه ( أخبار أبي تمام)؛ من حيث كونه أحد رواد النقد العربي في القرن  
 الرابع الهجري، ناهيك بما كان لذلك القرن من الدراسات النقدية التي أثرت التراث الأدبي  
 على مر تاريخه، وجعلت منه بؤرة ومركزاً للإشعاع الفكري النقدي، ومن تلك الدراسات التي  
 كانت ولا زالت وستظل منارة يستهدي بها كل باحث عن دروب الإجازة فيما يتصل بفنون  
 الأدب ونقده:

عيار الشعر - لابن طباطبات ٣٢٢هـ

أخبار أبي تمام - للصولي ت ٣٣٥هـ

الموازنة بين الطائنين - للآمدي ت ٣٧٠ هـ

نقد الشعر - لقدامة بن جعفر ٣٧٦ هـ

والوساطة بين المتنبى وخصومه - للقاضي الجرجاني ت ٣٨٢ هـ

وكتاب الصناعتين - لأبي هلال العسكري ت ٣٩٥ هـ

ولسوف توضح الدراسة المنهج النقدي الذي التزمه الصولي في تناوله لهذا الكتاب وأثر ذلك في تجلي الحدائث فيه، وذلك من خلال موقفه من أبي تمام في عدد من القضايا التي شغلت فكر معاصريه، وقد قسم الباحث دراسته إلى ثلاثة مباحث منفصلة، بعد التعريف بشخصيتي الدراسة، والمباحث هي موقف الصولي من أبي تمام في القضايا التالية:

المبحث الأول: الجانب الحدائثي في اللفظ والمعنى وعلاقته بالبيئة والعصر.

المبحث الثاني: الجانب الأخلاقي في شعره .

المبحث الثالث: الغموض الذي وشح به أبو تمام شعره وجعله موضعاً للنقد السلبي تارة، والإيجابي تارة أخرى.

وفي النهاية خاتمة تتضمن النتائج التي توصل إليها الباحث، يليها ثبت بالمصادر والمراجع التي أعانته في دراسته.

التعريف بالصولي:

(٠٠٠ - ٣٣٥ هـ = ٠٠٠ - ٩٤٦ م)

هو محمد بن يحيى بن عبد الله، أبو بكر الصولي بالضم، "ومن الناس من يقول: الصولي بالفتح نسبة إلى صول بلدة بصعيد مصر الأدنى شرقي النيل، وهو خطأ فاحش وغلط قبيح" <sup>١١</sup>، والثابت في غير مصدر من مصادر الترجمة للكتاب والأدباء أنه بالضم لا الفتح. فقد "ولد أبو بكر ببغداد ونشأ بها" <sup>١٢</sup>. وجده هو "إبراهيم الصولي من الشعراء المجيدين" <sup>١٣</sup> وقد عُرف أبو بكر بالشطرنجي، لأنه كان من أحسن الناس لعباً بالشطرنج. وترجع نسبته إلى



جده (صول تكين) وهو من أكابر علماء الأدب. " وكان حسن العقيدة، جميل الطريقة، وكان ذا نسب، فإن جده (صول) وأهله كانوا ملوك جرجان "٤٤. نادم ثلاثة من خلفاء بني العباس، هم: المكتفي ثم المقتدر ثم الراضي. "أخذ عن ثعلب والمبرد وأبي داود السجستاني، وأخذ عنه أبو عبد الله المرزباني الكاتب الإخباري وغيره "٥٥. ومن أشهر من تتلمذ له: أبو الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني. وكان الصولي يدين بالفضل لأساتذته وخاصة المبرّد (إمام مدرسة البصرة في العربية والنحو في عصره) ت ٢٨٥هـ، وثعلب (وهو إمام مدرسة الكوفة في النحو واللغة) ت ٢٩١هـ، إذ يقول عنهما: " ومن جليل ما رأيناه وأزمناه وأكثرنا عنه من بعد صيته، وشهد بالعلم له ووقع الإجماع عليه اثنان: أبو العباس الأزدي، وأبو العباس الشيباني رحمهما الله "٥٦. وصاحبنا له تصانيف، منها (الأوراق) في أخبار آل العباس وأشعارهم، طبع منه (أشعار أولاد الخلفاء) و(أخبار الراضي والمتقي) و(أخبار الشعراء المحدثين). وله (أدب الكتاب) ٥٧ و(أخبار القرامطة) و(الغرر) و(أخبار ابن هزيمة) و(أخبار إبراهيم بن المهدي) و(أخبار الحلاج) و(شعر أبي نواس والمنحول إليه) أربعة كراريس من أوله عندي و(الوزراء) و(أخبار أبي تمام) و(شرح ديوان أبي تمام) الجزء الثالث منه، و(وقعة الجمل) رسالة صغيرة، و(أخبار أبي عمرو بن العلاء). (٥٨).

#### وفاته:

توفي - رحمه الله - سنة خمس، وقيل سنة ست وثلاثين وثلاثمائة بالبصرة مستراً؛ لأنه روى خيراً في حق علي بن أبي طالب، فطلبه الخاصة والعامة ليقتلوه، فلم يقدروا عليه، وكان قد خرج من بعد مضايقة لحقته. ٥٩ في خلافة المطيع بن الفضل بن المقتدر بالله تعالى. ٦٠.

#### التعريف بأبي تمام:

(١٨٨ - ٢٣١ هـ / ٨٠٣ - ٨٤٥ م)

هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، "أحد أمراء البيان، ولد بقرية جاسم، وهي إحدى قرى الجيدور، من أعمال دمشق، وأثبت الأقوال المأثورة أن مولده كان في سنة



تسعين ومائة من الهجرة" <sup>٢١</sup>. رحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق، ثم ولي بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفي بها.

كان أسمر اللون، طويلاً، فصيحاً، حلو الكلام، فيه تمتمة يسيرة، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطع.

في شعره قوة وجزالة، واختلف في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحتري، له تصانيف، منها فحول الشعراء، وديوان الحماسة، ومختار أشعار القبائل. وذهب مرجليوث <sup>٢٢</sup> في دائرة المعارف إلى أن والد أبي تمام كان نصرانياً يسمى ثادوس، أو ثيودوس، واستبدل الابن هذا الاسم فجعله أوساً بعد اعتناقه الإسلام ووصل نسبه بقبيلة طيء، وكان أبوه خماراً في دمشق وعمل هو حائكاً فيها، ثم انتقل إلى حمص وبدأ بها حياته الشعرية.

وفي أخبار أبي تمام للصولي: إنه كان أجش الصوت يصطحب راوية له حسن الصوت فينشد شعره بين يدي الخلفاء والأمراء.

"كان له مذهب في المطابقة والحسن اشتهر به، ونسب إليه، وهذا المذهب لم ينسب لأبي تمام لأنه اخترعه... ولكنه نسب إليه لأنه أفضل الشعراء جميعاً فيه، وأكثر منه" <sup>٢٣</sup> وكان من سبب هذه الكثرة أنه "أحسن في بعض ذلك وأساء في بعض وتلك عقبى الإفراط وثمره الإسراف" <sup>٢٤</sup>

كان (ابن الأعرابي) <sup>٢٥</sup> اللغوي الكوفي ت ٢٣١ هـ يتعصب على شعر أبي تمام ويقول: إذا كان ذلك كلام العرب فكلام العرب باطل ورأيه يذهب إلى البدع والإغراق فيه عند أبي تمام.

وقال عنه صاحب البحتري: "إن ابن الأعرابي وأحمد بن يحيى الشيباني - وقبلهما دُغَيْل الخزاعي - قد كانوا علماء بالشعر وكلام العرب، وقد علمتم مذاهبهم في أبي تمام وازدراءهم بشعره، وطعن عليه دُغَيْل بقوله: إن ثلث شعره محال، وثلثه مسروق، وثلثه صالح" <sup>٢٦</sup>

المنهج النقدي الذي التزمه الصولي في تناوله لهذا الكتاب:

عَوَّل الصولي في منهجه النقدي على عناصر عدة كان لها الغلبة في نتاجه النقدي في كتاب أخبار أبي تمام، ومن هذه العناصر قضية السرقات، والتعقيد والتكلف والغموض، وموقفه من اللفظ والمعنى حيث سيتبين لنا أن الصولي لم ينتصر لأحدهما على حساب الآخر بل أقام توازنا فنيا بينهما لتحقيق التكامل الفني في النص المقدم، كما كان للصولي رأي في علاقة النص الشعري بالعقيدة أو بالجانب الديني؛ إذ استطاع أن يجعل هناك فاصلا بين الدين من ناحية والفن الشعري من ناحية أخرى، كما نادى ونظّر وطبق للفصل بين الدين والأخلاق وأبعد معيار الكفر والإلحاد عن النص الشعري من حيث الجودة والرداءة، وكان له في تقلبات

( الرواة الأوائل) <sup>٢٧</sup> عبرة في هذا الشأن، فأراد أن يناصر شاعره بشيء من الموضوعية الفنية.

وقد كان لثقافة الصولي المتنوعة دورا بارزا جليا في تحقيق ما ربه هذا، إذ اعتمد على ذلك التنوع في منهجته بشكل عام، وكان هذا التنوع هو المكون الأساس لموقفه النقدي، فقد كان الصولي ينتقل بين المدارس النقدية ليمزج بينها لإنتاج نظرية نقدية موضوعية، كما تنتقل النحلة بين أزهار الحدائق لتكوّن من ذلك الرحيق نتاجا لذيذا يستمتع به كل راغب في الفائدة. وقد كان التنوع سمة العصر الذي عاش فيه الصولي؛ إذ كان الأديب أو العالم يصقل نفسه بشتى العلوم والمعارف ليكون على قدر المسئولية العلمية والأدبية التي قد يواجهها وهو في حضرة الملوك والأمراء، وقد عمل الصولي بمقولة ابن عبد ربه ت ٣٢٨ هـ في العقد الفريد، إذ قال: "من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا، ومن أراد ان يكون أديبا فليتع في العلوم" <sup>٢٨</sup> وقد انتهج الصولي هذا النهج في حياته، وقد بدا ذلك جليا في مصنفاته وكتابات المتنوعة في مختلف الفنون والآداب. ناهيك بأنه كان (عالما بالشعر) <sup>٢٩</sup> عارفا به واقفا على جيده وقبيحه، أصيله وزائفه، عالما بالشعراء وطبقاتهم ومذاهبهم الأدبية واتجاهاتهم الفنية ما دفعه إلى جمع عدد من دواوين الشعراء منهم: أبو نواس وأبو تمام وابن الرومي والبحري والعباس بن الأحنف وعلي ابن الجهم وابن طباطبا العلوي وإبراهيم بن العباس الصولي وابن عينية وابن شراة والصنوبري ودعبل الخزاعي وابن المعتز العباسي وخالد بن يزيد الكاتب ومسلم بن الوليد وأبو الشّيص وغيرهم.

ومن العوامل التي ساعدت الصولي في التفرد بمنهجه النقدي أنه كان مطلعاً على آداب العرب قديمها وحديثها حتى عصره، وكان حافظاً لمواقف الرواية وفي ذلك "كان عالماً بفنون الآداب والأخبار، جيد الحفظ واسع الرواية"<sup>٣٠</sup> كان يمتلك مكتبة عظيمة تحفل بثنى المعرفة والعلوم، وفي ذلك "قال أبو بكر بن شاذان<sup>٣١</sup> وكان ممن أخذ عن الصولي: رأيت للصولي بيتاً عظيماً وهي مملوءة بالكتب وهي مصفوفة وجلودها مختلفة الألوان، لكل صنف من الكتب لون فصنف أحمر وصنف أصفر وغير ذلك، قال: فكان الصولي يقول: هذه الكتب كلها سماعي"<sup>٣٢</sup>.

### المبحث الأول: موقف الصولي من أبي تمام في اللفظ والمعنى:

ما من شك أن قضية اللفظ والمعنى كانت وستظل قضية شائكة وشائقة لكل من يتناولها بالشرح والتحليل، والاستناد إلى شواهد تدعم وجهة النظر التي يود أن ينتصر لها صاحب الرأي، وما يهمننا في هذا المقام هو معرفة رأي الصولي بشيء من التفصيل في قضية اللفظ والمعنى، وحرري بنا أن نعرض لرأيه الذي ذكره في أخبار أبي تمام وتفضيله لشاعره وأنصار مذهب المحدثين على حساب البحري وأنصاره، فنجده يذهب إلى المزوجة بين اللفظ والمعنى ولا يعول على أحدهما ولا ينتصر له إلا عند الحاجة، فإذا أراد أن يقدم أبا تمام على غيره من الشعراء، جعل يبيد تفوقه في المعاني التي سبق بها غيره من الشعراء ليدفع عنه ما لصق به من سرقة، وإذا أراد أن يقدم شاعره في اللفظ استند إلى الشواهد التي توضح تقدمه في هذا الأمر. ويصرح بقوله بأن الجودة هي المعيار والحد الفاصل بين اللفظ والمعنى، ومغلفاً موقفه بشيء من الموضوعية والحياد التام.

وتلك القضية من أهم القضايا التي ارتسمت بوضوح في مخيلة الصولي تجاه أبي تمام، ومنطقنا في ذلك يعود إلى ثقافة الصولي المتنوعة كما ذكرناها، أضف إلى ذلك الفكر المتجدد لدى الشاعر بحيث يمكننا أن نقول: إن أبا تمام كان بمثابة الناطق بلسان الصولي إذ وجد الثاني في الأول ضالته التي كان يبحث عنها بين الشعراء الذين عاصروه أو تقدموا عليه، كما وجد أبو تمام في الصولي - من الناحية النقدية - مآربه الذي يعبر عن فكره ويعمل موافقه، من حيث ما يتصل بقضية التجديد في المعاني وما ارتبط بها من ألفاظ، والتعمق



الفلسفي وغيره. وفي هذا المقام يتعين علينا أن ندرك القيمة التي من أجلها سعى الشاعر إلى التجديد وما انطوى عليه من نواح فلسفية وفكرية لا يقوى عليها إلا ذوو الدربة والتمرس في فنون القول وفي هذا قال أصحاب أبي تمام "إنما أعرض عن شعر أبي تمام من لم يفهمه لدقة معانيه، وقصور فهمه عنه، وفهمه العلماء والنقاد في علم الشعر"<sup>٣٣</sup> وهنا ينبغي أن نعرف الهدف الذي كان يسعى أبو تمام لتحقيقه من وراء التجديد والانصراف عن القواعد التقليدية الصارمة للشعر العربي، وذلك الهدف يتجلى في إثبات تلك الذاتية المفرطة التي وُسم بها الرواة الأوائل في نقدهم للشعراء المتأخرين؛ إذ كان ابن الأعرابي يرى أن شعر هؤلاء المحدثين مثل أبي نواس يفتقد إلى العمق، وشبه شعره بالريحان الذي تذوي رائحته بعد ساعته أو يموه، في حين إنه جعل "أشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيباً"<sup>٣٤</sup> وليس هذا فحسب فقد قال كذلك على أبي تمام قال: إذا كان هذا من كلام العرب فكلام العرب باطل، وهذا الموقف من أبي نواس وأبي تمام وغيرهم يدل على رفضهم شعر المتأخر لا لشيء سوى تأخره وإن كان جيداً وقبولهم شعر المتقدم وإن كان عيباً "فإني رأيتُ من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله... ويُرذَل الشعر الرصين، ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه، أو انه رأى قائله"<sup>٣٥</sup> وقد رأى عبد العزيز الجرجاني أن "تلك الغضاضة أهون محملاً وأقل مرزأةً من تسليم فضيلة لمحدث والإقرار بالإحسان لمولد"<sup>٣٦</sup> وتلك هي قمة العصية النقدية لشعراء عصر الرواة. من هنا كان الدافع لأبي تمام الولوج في أعماق النفس الشاعرة متقدماً عن سبقه من الشعراء الذين أبدعوا في الجانب اللفظي وما يتصل به من توشيحته بالبديع وأنواع التجنيس والاستعارات مثل: بشار بن برد، وأبو نواس، و(ملسم بن الوليد)<sup>٣٧</sup>.

ولعل نظرة الصولي لقضية اللفظ والمعنى تتفق وبعض آراء سابقيه من أمثال الجاحظ وابن المعتز وابن قتيبة وإن اختلفت عن نظرة الآمدي الذي انتصر للفظ على حساب المعنى لتقديم البحري على أبي تمام.

وها هو فريق انتصر للفظ على المعنى من مثل الجاحظ ت ٢٥٥ هـ ومن بعده أبو هلال العسكري ت ٣٩٥ هـ، فوجد الجاحظ ت ٢٥٥ هـ الذي يعد من النقاد ثاقبي البصر الذين أماطوا اللثام عن قضية خطيرة اتصلت بالإعجاز القرآني، فكان النزاع محتدماً في أين



يكنم الإعجاز، في اللفظ وتأليفه أو في المعنى ودلالته أو تناغمهما معا والعلاقة التي يؤديها هذا التداخل والتماهي بينهما، أم بالعلاقة المتولدة بين ذا وذاك. فنجدده يصرح قائلا: " المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمي، والبدوي والقروي والمدني، إنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وصحة الطبع وجودة السبك"<sup>٣٨</sup> وهذا يؤدي بنا إلى ما ذهب إليه في أن " الشعر صناعة، وضرب من النسيج، وجنس من التصوير"<sup>٣٩</sup> إذن فإن الجاحظ يصرح بأهمية اللفظ لصعوبة تخيره، أما المعاني فهي متاحة ومطروحة للجميع، وقد رأى د عبد العزيز عتيق أن الجاحظ لم يفضل اللفظ على المعنى فيقول: " لا ينبغي أن يفهم من هذا القول إن الجاحظ ينكر المعاني وشأنها في بلاغة القول؛ لأننا نراه ينوه بأهمية المعاني الغريبة الجميلة والشريفة الكريمة... وكيف أن من هذه المعاني ما يخرجها الشاعر إخراجا لا يبارى، فينصرف الشعراء عنه عجزا"<sup>٤٠</sup> ويرى الباحث أن الجاحظ فعلا قد انتصر للفظ، ودلالة ذلك تهوينه من شأن المعاني في قوله " مطروحة في الطريق" وفي الوقت نفسه عظم من قيمة اللفظ مقارنة بالمعنى، ولكن يجب أن ندقق هنا أننا في وضع تفضيل وليس إسقاط أحد عنصري الشعر (اللفظ والمعنى) في حين يطلب ناقد آخر التحفظ على استخدام اللفظ والمعنى خاصة في النقد القديم لأنه " ليس المقصود باللفظ دائما اللفظ المفرد، ولا المقصود بالمعنى دائما المدلول المفرد للألفاظ"<sup>٤١</sup> وسار على نهج الجاحظ أبو هلال العسكري ت ٣٩٥ بقوله "الكلام . أيدك الله . يحسن بسلاسته، وسهولته، ونصاعته، وتخير ألفاظه، وإصابة معناه، وجودة مطالعه، وليس مقاطعه، واستواء تقاسيمه، وتعادل أطرافه، وتشابه بواديه، وموافقة أخيره فباده، حتى لا يكون في الألفاظ أثر، فتجد المنظوم مثل المنثور في سهولة مطالعه، وجودة مقطعه، وحسن رصفه وتأليفه، وكمال صوغه وتركيبه، فإذا كان الكلام كذلك كان بالقبول حقيقاً، وبالتحفظ خليقاً"<sup>٤٢</sup> ومن هنا فالعسكري يطلب تخير اللفظ وإصابة المعنى.

هذا فريق دافع عن اللفظ، أما الفريق الذي أولى أهمية للفظ والمعنى معا فيمثلته ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، وقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ). وقد قسم ابن قتيبة الشعر إلى أربعة أضراب وفقا للأهمية التلازمية بين اللفظ والمعنى:

١ . ضرب حسن لفظه وجاد معناه .

٢ . ضرب منه حسن لفظه وحلا، فإذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى .

٣ . ضرب منه جاد معناه، وقصرت ألفاظه .

٤ . ضرب منه تأخر معناه، وتأخر لفظه<sup>٤</sup> .

أما قدامة بن جعفر<sup>٤٤</sup> فقد سار على منهاج ابن قتيبة في نقد الشعر وتحدث عن اللفظ والمعنى، وجعلهما قسيمين في تحمل مظاهر القبح وملاحم الجودة فيما أورده من آراء في عيوب الألفاظ والمعاني، وأثر الوزن والقافية في جودة المعاني ورداءتها<sup>٤٥</sup> .

وهناك فريق ثالث لم يفصل بين اللفظ والمعنى، ويمثله ابن رشيق ( ت ٤٥٦ هـ ) وابن الأثير ( ت ٦٣٧ هـ ) . ومما قاله ابن رشيق في أهمية اللفظ والمعنى « اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه كارتباط الروح بالجسم: يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه.. فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه »<sup>٤٦</sup> وقد رأى ابن الأثير أن الألفاظ حكمها حكم اللآلئ " فإنها تُتخير وتتقى قبل النظم ... وهي الأصل المعتمد عليه في تأليف الكلام من النظم والنثر"<sup>٤٧</sup> وأراد أن يؤكد على قوة الدلالة القائمة من خلال اللفظ بأن " الأصل في المعنى أن يحمل على ظاهر لفظه، ومن يذهب إلى التأويل يحتاج إلى دليل"<sup>٤٨</sup>

ومطالعنا لأخبار أبي تمام نراه قد عوّل على المزوجة بين اللفظ والمعنى في النظم، ورأى في ذلك أن البحري قد اقتضى واحتذى معاني في أبيات لأبي تمام واقتصها فحذبت المعاني واضطرتته إلى أن حكى لفظه في هذا، فصار يشبه لفظ أبي تمام، ولفظ البحري في أكثر هذه أسهل"<sup>٤٩</sup> . وهنا يُصدم الصولي بسهولة لفظ البحري، وهذا ما دفع أحد أصحاب أبي تمام بأن يسأله: يا أبا تمام: لم لا تقول من الشعر ما يُفهم؟! فقال: وأنت لم لا تفهم من الشعر ما يُقال؟! فأفحمه"<sup>٥٠</sup> .

وتلك القضية التي أثارها هذا السؤال في فهم الدلالة، ومدى الاتساع الذي تتسم به، أدت إلى اتهام أبي تمام بتهمة الغموض، وكان رد شاعرنا أنه اتهم أنصار ذلك الرأي بتهمة

سوء الفهم وعدم القدرة على متابعة القول بدلالته المتسعة. وهنا ينبغي أن نفرق بين ما يمكن أن يطلق عليه سوء فهم لمعانٍ ما مستحدثة، وسوء فهم الألفاظ المقعرة النابعة من " المصادر والمباني التي هي غير مقصودة ولا معهودة، كما قال بعضهم للرشيد: أحسن الله إنابتك، فقال: وعجل إماتتك، ومنه ما أخذ على زهير: ولا بحقلد في بيته:

تقيُّ نقيُّ لم يكثر غنيمَةً      بنهكةً<sup>٥١</sup> ذي القربى ولا بحقلد<sup>٥٢</sup>

وفي هذا النوع من الألفاظ ينبغي مراعاة حال السامعين فيما هو مألوف سماعه، وما هو غريب وحشي ناب.

وبرى الباحث أن قضية الغموض وما يتصل بها من استباق فني قد دعا إليه أبو تمام، ودعمه فيه الصولي بآرائه النقدية، فإن ما يقوم به أبو تمام ما هو إلا تجديد، وهذا التجديد في رأيه يتطلب وعياً وفهماً وثقافة وإعادة النظر وإطالته مع الأخذ في الاعتبار أن الشاعر " قد يكون مقصراً ولا يكون مخطئاً، لأنه لا يمكنه الإحاطة بكل شيء"<sup>٥٣</sup>.

وهذا ما قاله أحد قراء أبي تمام، إذ قال: " فكان ينشدنا البيت من شعره ثم يقول: ماذا أراد بهذا فنشرحه له، فيقول: أحسن والله، وأجاد!"<sup>٥٤</sup> وهنا لا ينبغي أن نغفل قيمة تجربة الشاعر ومحاولة كسر القيود التي طوقت حياته، فما أروع أن يأخذ المتأخر عن المتقدم، ويطور معانيه وألفاظه، ويصبغها صبغة جمالية فنية معبرة عن واقعه وعن تجربته الذاتية أو الاجتماعية، وهذا الرأي قد آمن به قدامى النقاد شريطة ألا يوظف الشاعر ألفاظ العامة في شعره لأن " المختار من الكلام هو الذي يكون سهلاً جزلاً لا يشوبه شيء من كلام العامة وألفاظ الحوشية، كقول المتنبي:

أين البطريقُ والخَلْفُ الذي خَلَّفُوا      بمفرق المَلَك، والزَّعم الذي زعموا

إذ وصف هذا البيت بأنه قبيح جداً، لأنه سمع قول العامة: حلف برأسه، فأراد أن يقول مثله، فلم يستو له"<sup>٥٥</sup> وعدم الاستواء هنا يقصد به معصية أدواته الفنية التي أراد أن يوظفها في هذا السياق من القول.



ويجب ألا ننسى أن "الشاعر صانع قصائد، غير أن مادة قصائده هي كل مدركات حياته، وكل انطباع لدى الفنان في أي وسط خاضع لفنه يحكيه ويصوغه" <sup>٥٦</sup>. كما أن " للشاعر أن يستخدم كل أسلوب صحيح سواء كان غريباً أو معهوداً أليفاً... وقد وجدتُ بعض الأدباء يقسم الكلمة إلى وضعية وشريفة، فكل كلمة كثر استعمالها صارت وضعية، وكل كلمة قل استعمالها صارت شريفة، وهذا يؤدي إلى ضيق الذوق وفوضى الآراء في الأدب" <sup>٥٧</sup> وأفهم من هذا الكلام أن الشاعر ينبغي أن يُنظر إلى ألفاظه ومعانيه في مقامها الذي صيغت فيه وليس النظر إلى اللفظة مفردة على إطلاقها ومبتورة من سياقها.

ويصرح الصولي بقيمة المعاني ومدى تطورها وأن الألفاظ هي التي تنتقل إلى ركايبها، فهو هنا يعطي المعنى قيمة التطور " اعلم - أعزك الله- أن ألفاظ المحدثين مذ عهد بشار إلى وقتنا هذا كالمنتقلة إلى معانٍ أبداع وألفاظٍ أقرب، وكلام أرق، وإن كان السبق للأوائل بحق الاختراع والابتداء والطبع والاكتفاء، وإنه لم تر أعينهم ما رآه المحدثون، فشبهوه عياناً" <sup>٥٨</sup>، لذلك كانت وجهة المتأخرين عن المتقدمين؛ إذ إن " المتأخرين إنما يجرون بريح المتقدمين، ويصبون على قوالهم ويستمدون بلغابهم، ويتجمعون كلامهم، وقلما أخذ أحد منهم معنى من متقدم إلا أجاده" <sup>٥٩</sup> والمتأخر على هذا النحو يكون بالمعنى أحق من المتقدم شريطة أن "يزيد على معناه، وينقص من لفظه ويحترس مما طعن به عليه، فحينئذ يكون الشاعر المتأخر به أحق" <sup>٦٠</sup>.

ولعل ما ذكره الصولي في هذا الشأن ينسحب على ما مدح فيه كثير من النقاد قول امرئ القيس في وصف عقاب:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا      لَدَى وَكْرِهِا العُنَابِ وَالْحَشْفِ البَالِي

فامرؤ القيس يشبه شيتين بشيتين فهي صورة مركبة، ففي الشطر الأول المشبه، وفي الشطر الثاني المشبه به، والمعنى: إن هذه العقاب كثيرة الصيد، وتطعم أفراسها قلوب الطير، فكان الرطب من قلوب الطير يشبه العناب في لونه وشكله، وكان اليابس من قلوب الطير يشبه الرديء من التمر في لونه وشكله.

وأصل الكلام: كأن قلوب الطير رطبة العناب، وكأنها يابسة الحشف البالي.



ثم جاء بشار وهو أعمى أكمله لم ير الواقعة المذكورة:

كأنَّ مَثارِ النِّقعِ فوقَ رؤوسنا      وأسِافنا ليلٌ تهاوَتْ كواكبُه

ولكنه شبّه حدّسا فأحسن وأجمل، فشبه شيئا بشيئين في بيت واحد والأمثلة والشواهد في ذلك كثيرة.

والصولي هنا يؤصل لقيمة المعاني القديمة وحق المتأخرين في تناولها إن كانت أقوى وأفضل، وفي هذا المقام ليست الأفضلية لبشار على امرئ القيس، ولكنها- في رأي الباحث- كفة الميزان الثانية التي عادلته الأولى.

ومن التشبيه إلى حالات تتعلق باللفظ والمعنى، وما يحال إليهما من غلو في الاستخدام، كقول أبي نواس في مدح الرشيد:

البيت الأول:

وأخفتَ أهلَ الشِركِ حتى إنّه      لتخافك النطفُ التي لم تُخلق

البيت الثاني:

وقول أبي تمام في هجاء معاذ له:

أفِيّ تنظّم قول الزورِ والفنَدِ      وأنت أنزُرُ من لاشيءٍ في العددي

وقوله في البيت الثالث:

ما كُنْتُ أحسبُ أنّ الدهرَ يمهلني      حتّى أرى أحداً يهجوهُ لا أحداً

وقول المتنبي في تصوير فزع جنود العدو:

البيت الرابع

وضاقت الأرضُ حتى صار هاربهم      إذا رأى غيرَ شيءٍ ظنّه رجلاً

وبالنظر إلى ما يقال إنه غلو في البيت الأول، فيرى الباحث أنه لا غلو فيه لأن الدراسات الحديثة - وخاصة الطبية منها - أثبتت أن الأجنة تتأثر بالعوامل النفسية التي تحيط بالأم، حتى إنه ليقال للمرأة من قِبَل الأطباء إنه ينبغي الابتعاد عن كل ما يؤدي إلى التوتر والقلق حتى لا يؤثر ذلك في الجنين، وإذا كان الجنين سيتأثر فلا مانع من تأثر النطفة التي هي أصل الجنين.

أما في بيتي أبي تمام فقد أخذ عليه التقليل من شأن المهجو ولا مانع من ذلك، لأن قيمة الإنسان في الحياة تتعلق بما يقدمه من عمل يخدم به نفسه ومجتمعه الذي يعيش فيه كما في البيتين الثاني والثالث، وهي فكرة فلسفية ليست بغريبة على أبي تمام، الذي كان "لا يُسقط معناه البتة" كما قال عنه الصولي والذي لا يمكن لنا أن نقرأه إلا بالعقل الخالص، العقل الذي تشرب الفلسفة اليونانية بفضل الترجمات التي نشطت آنذاك، وأفاد منها أبو تمام في معانيه العالية، واستعاراته البعيدة، وتورياته العميقة، فقد كان قوي الفكر غواصاً على المعاني.

ورغم ما قلته عن أبي تمام، فلم يكن هذا الشاعر الفذ إلا متأملاً عميقاً، وحدائياً سابقاً، ومؤسساً للآتي الأعظم، ولم يشكل حالة شعرية فلسفية في الزمان والناس والموت والنسل والحياة والشك في خلود النفس، كالتي نجدها عند أبي الطيب المتنبّي في بيته الذي صور الخوف والفرع في قلوب الأعداء بأنه إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً، وفي أبيات أخرى للمتنبّي توضح موقفه من الحياة والموت وصروف الزمان والعلاقات بين الناس:

إذا ما تأملتُ الزمانَ وصرّفه      تيقنْتُ أن الموتَ ضربٌ من القتلِ

وما الدهرُ أهلٌ أن تؤملَ عنده      حياةٌ وأن يُشتاقَ فيه إلى النسلِ

وقوله:

تخالَفَ الناسُ حتى لا اتفاقَ لهم      إلا على شجبٍ والخلفِ في الشجبِ

فقليلٌ تخلصَ نفسَ المرءِ سالمةً      وقيلَ تشرُّكُ جسمِ المرءِ في العطبِ

ومن تَفَكَّرَ في الدُّنيا ومهجته      أقامه الفِكْرُ بين العجزِ والتعبِ

ويرى الباحث أن أبا تمام كان القدوة والمثال للمتبني فيما يتصل بقيم الحياة وفلسفتها. وأبيات أبي تمام وهي على محدوديتها، فقد شكلت اللبنة الأولى لفلسفة الرجل الذي سيقى المجسر الأول لعلاقة الشعر العربي بالفلسفة. "وعلى أية حال، فيتضح لنا من ذلك أن غلو المحدثين أشد عمقا وأبعد غورا من غلو القدماء، وهو يتفق كثيرا والواقع المادي أو النفسي، ولو فهم على حقيقته فإنه لا يعد خطئا فنيا"<sup>٦١</sup>

ومما أخذه صاحب الموازنة<sup>٦٢</sup> على أبي تمام في البيت التالي:

رقيقُ حواشيِ الحِلْمِ لو أنْ حلمه بكفَيْكَ ما ماريتَ في أنه بُزْدُ.

إذ إنه وصف الحلم بالرقعة، وإنما يوصف الحلم بالعظمة والرجحان والثقل والرزانة، ومما ذكره الآمدي في الرد على قول أبي تمام قول النابغة:

وأعْظَمُ أخلاقا وأكْبَرُ سيدا وأفضَلُ مشْفوعا إليه وشافِعَا

وقول الفرزدق:

أحلامنا ترنُ الجبالَ رزانةً وتخالنا جنًا إذا ما نجهلُ

ويرى الباحث أن هذا الأخذ على أبي تمام في وصف الحلم بالرقعة، ما هو إلا استمرارٌ لصبغ شعره بالصبغة السابقة عليه؛ إذ إنه من غير المنطقي أن تكون الأوصاف التي كانت تقال في الجاهلية وصدر الإسلام للألفاظ، هي نفسها التي كانت سائدة في العصر العباسي، وعندما نتلقى هذا الوصف يمكننا أن نحيله إلى لغة العصر وذوقه، وما دخل على البيئة العباسية من عناصر التطور والرقي الحضاري عما كانت عليه من قبل، وهذا ليس ببعيد عن المعاني والألفاظ.

ومن المعروف أن الحِلْمَ صفة أخلاقية تدرك معنويا لا حسيًا، فالحلم لا يرى بالعين أو يلمس باليد ولكن نحكم على الشخص بالحلم إذا كان متزنا في أخلاقه، راجحا في عقله، صائبا في أحكامه، وهذا ما اعتاده الناس، أما أبو تمام ذو الفكر الحدائي فقد جعل الحلم يدرك باللمس - مخالفا من سبقه في هذا الشأن - فهذا الممدوح رقيق حواشي الحلم حتى لو

لمستَ حلمه بكفيك ما شككت لحظة أنه بُرد، ومن المآخذ كذلك وصف البُرد بالرقّة، ومن المعتاد أن توصف بالمتانة، وهذا في رأيي مظهر من مظاهر مجازاة العصر وروح التجديد، إذ إنه من المنطقي أن تكون هناك أنواع متنوعة من البرد منها ما هو ناعم وخشن، ومنها ما هو رقيق وسميك، لكن الفهم الذي جعل هناك طعنا على البيت هو ذلك المعنى القديم الذي ارتبط بما يماثله في البيئة من خشونة وقوة ومتانة. أما بيئة العصر العباسي فقد اختلف فيها الأمر كثيرا.

وفي هذا المقام ينبغي كشف النقاب عن شيء مهم يتعلق بطبيعة المتلقي وثقافته التي تحدث عنها أبو تمام ضمينا، بحيث يمكننا الذهاب بالقول إلى أن هذا التحول في الاستخدام عما كان مألوفاً قديماً إلى معانٍ جديدة لهو عينُ الإبداع والحدائث، التي استطاع الصولي تلمسها في أشعار أبي تمام، بأن قال: " وليس أحد من الشعراء - أعزك الله - يعمل المعاني ويخترعها ويتكيء على نفسه فيها أكثر من أبي تمام، ومتى أخذ معنى زاد عليه ووشحه ببديعه وتمم معناه فكان أحق به"<sup>٦٣</sup> ولماذا لا، وقد كان المتنبي " يسبق غيره ولا يقلد أو يكرر ما قاله السابقون عليه، ومن ثم فهو يبغي الأصالة من ناحية، ويهدف إلى التجديد المبتكر الذي هو صوته المنبعث من داخله، من حسه، من إيقاعه من خبرته، من نشوته من قريحته، لا من ذاكرته من ناحية أخرى"<sup>٦٤</sup> وتلك العناصر كانت " أحد الأسباب القوية التي جعلت بعض المتأخرين من النقاد يفضلون صياغة أبي تمام الشعرية على صياغة المتنبي، ويقدمون الأول على الثاني من أجل ذلك"<sup>٦٥</sup>، إذن فالتجديد النابع من الحس والإيقاع والخبرة والقريحة وليس من الذاكرة هو الأجدر بالتقدير والإعلاء، مع الوضع في الاعتبار أهمية تلك الذاكرة في إقامة المقارنات والمقابلات القائمة بين شاعر وشاعر، وبين عصر وعصر، ناهيك بما تقوم به الذاكرة من نقد القديم بتحري الجيد وتتبعه، وتجنب الرديء وإسقاطه.

ومما أخذه أبو هلال العسكري والآمدني على أبي تمام قوله:

الوُدُّ للقرى ولكنْ عُرْفُهُ      للأبعد الأوطانِ دون الأقربِ



"إذ جعل الود للأقارب، وجعل المال والعطا والجزل لمن هم ليسوا بأقاربه، وهذا ينقص الممدوح مرتبة من الفضل، وجعل وده لذوي قرابته ومنعهم عرفه، وجعله في الأبعدين دونهم"<sup>٦٦</sup> أما الصولي فقد فسر هذا القول بأنه يخص ذوي قرابه بالود دون العطاء؛ لأنهم غير محتاجين، وعرفه لمن ليس بينه وبينهم نسب. وهنا يرى الباحث أن الإشكال في كلمتي "الود" و"العرف" فقد يكون المقصد من وراء تلك التضادية بين القرب والبعد، من خلال جعل الود للأقارب، والجزل والعطاء للأبعاد، بأنه نوع من أنواع التوزيع في العطاء أملا في تحقيق علاقات اجتماعية واسعة طيبة، وتحقيق ترابط اجتماعي أشمل وأقوى، هذا يتم عبر الجمع بين القريب والبعيد، وبين المادي والمعنوي، فكلاهما عطاء، ولكنهما عطاءان مختلفان، وهو في النهاية خير. وهذا التدليل يطرح "قضية النص المفتوح الدلالة"<sup>٦٧</sup>، وعدم غلق الدلالة على ما كان يقصده المتقدمون من الشعراء، وهذه الانفتاحية تعد من عناصر الحداثة؛ إذ إن " المعنى يستجد باستجداد ظروف تلقي النص... ووفق ظروف المتلقي"<sup>٦٨</sup> وهذه المستجدات هي التي دفعت الصولي ليتقدم المدافعين عن أنصار المحدثين من الشعراء وفي مقدمتهم أبي تمام، وكان يهدف من وراء ذلك إفساح المجال للمتلقي لقراءة النص حسب قراءته وثقافته ولغته وفكره. وهذا التفسير يصب في معين استباق الصولي بفكره النقدي ما انطوى على شعر شاعره وموضوعاته وما تضمنه من معانٍ وألفاظ وإشارات كانت - حقا - غريبة في حينها، ولكنها صارت علما في وقتنا هذا، وحتى الآن لا يستطيع أن يكشف النقاب عن هذا النوع من الشعر إلا من توافرت لديه صفات القارئ المثقف. ومن ثم يمكننا الذهاب بالقول إلى أن الصولي استطاع بفكره ودعمه للمحدثين " إطلاق الفكر من قيود التقليد"<sup>٦٩</sup> والتحرر من أفكار إذا كانت سائدة في عصر، فلا يمكن أن تسود في عصر آخر. وهنا كانت نظرة النقاد المحدثين إلى الشعراء المتأخرين ومنهم أبو تمام، إذ إنهم " اعتبروا البديع ضربا من التفنن يعمد إليه المحدثون ليخرجوا من الحصار الذي فرضه عليهم القدماء أو ليتحرروا من نير القديم في الشعر والنثر"<sup>٧٠</sup>

ويذهب الصولي إلى أن المعايير النقدية التي انتهى إليها النقاد في عصره من جودة المعاني وقرب الألفاظ لا تستطيع أن تفسر لنا جمال الشعر، ولا أن تبين اتساع دلالاته، وها هو الآمدي يأخذ على أبي تمام قوله:

ظعنوا فكان بكاي حولا بعدهم ثم ارعوتُ وذاك حكم ليبيد

أجدر بجمرة لوعةٍ إطفأؤها بالدمع أن تزداد طولَ وقود<sup>٧١</sup>

أخذ عليه بعض النقاد ومنهم الآمدي أنه يخالف أعراف العرب في أن المعلوم من شأن الدمع أن يطفئ الغليل، ويبرد حرارة الحزن ويزيل شدة الوجد، ويعقب الراحة، وهو في أشعارهم كثيرٌ موجود، يُنحى به هذا النحو من المعنى، وقد دلل الآمدي بأبياتٍ لأبي تمام نفسه فيما ذهب إليه العرب في هذا الشأن من وظيفة الدمع.

فلعلَّ عينك أن تجودَ بماءِها والدمعُ منه خاذلٌ ومواسي<sup>٧٢</sup>

وأيضاً:

فلعلَّ عبرةً ساعةٍ أذريتها تشفيك من إربابٍ وجدٍ مُخول<sup>٧٣</sup>

وباعتراف الآمدي، فإن هذا ما ذهبت إليه العرب، وما قالت مثله، إذن فعلينا انتظر ما يعرف بالدلالة المؤجلة عند أبي تمام، وهو ما صرح به الصولي حول معاني أبي تمام وألفاظه من أن بعض النقاد والرواة "يعلمون تفسير الشعر ولا يعلمون ألفاظه، وإنما يميز هذا منهم القليل"<sup>٧٤</sup>، ولذلك كان الصولي يرى أنه إلى جانب العلماء الذين يجهلون شعر أبي تمام ويعيونه، كان هناك من يجعل من عيب أبي تمام سبباً لنهايةٍ واستجلاباً لمعرفة، وهو يرى أن مادحه وذامه كليهما لا يستطيع "أحدٌ منهم القيام بشعره، والتبين لمراده، بل لا يجسر على إنشاء قصيدة واحدة له"<sup>٧٥</sup>

ويرى الباحث أن أبا تمام أراد بهذا المعنى -المخالف لأعراف السابقين- المستقل بذاته أن يجعل له عالماً آخر، يخرج به عن عالم سابقه ومعاصريه من الشعراء، متخذاً من المخالفة والمغايرة طريقاً للتعبير بهما عن ذاته التي تجيش بما لا يعلمه غيره، ومن أراد أن ينسج على منواله ويقتفي أثره، وتلك المغايرة هي الحدائة التي نقب عنها الصولي في شعر

أبي تمام من خلال ذلك العالم الذي يجعل فضاء الدلالة رحب، ويبحث عن يسد فجواته بفهمٍ ثاقبٍ لما يدور في ذهن الشاعر، ويعتقد أن الشاعر في البيتين يعاني ويلات فراق المحبوبة ومن ثم (ظلَّ بُكَايَ حَوْلًا بعدهم) واستمر البكاء حولاً كاملاً مما جعل الحزن متأصلاً في أعماق الشاعر، ولم تقم الدموع بوظيفتها المألوفة في إطفاء نار الشوق والولع، ومن هنا تحولت تلك الدموع إلى سلاحٍ حادٍ يُذكي نار الحزن بسقوطها من العين متى تذكر الشاعر المحبوب. وأحياناً قد يفقد الدواء فاعليته بسبب طول فترة الاستخدام، وبالقياس فإن الدموع عندما صارت غير فاعلة ولا تجدي نفعاً أصبحت مصدراً للحزن وإشعال النار بعدما كانت وسيلة لتخفيف الآلام. وقد قدّم الشاعر لذلك في البيت السادس من القصيدة نفسها بقوله:

مالي بَرِنَعٍ مِنْهُمْ مَعَهُودٌ  
إلا الأَسَى وعزيمَةُ المَجْلُودِ.

فقد آثر الشاعر الإعراض عن الدمع والتسلي بالصبر على هذا الفراق، لأن الدمع لن يزيده إلا أواراً على أوار كما أوضحنا سابقاً.

يقول أبو تمام<sup>٧٦</sup>:

وَصَحَا بِوَجْهِ الخَطْبِ وَهُوَ بِهِمٌ <sup>٧٧</sup>	بَرَقَتْ بَوَارِقُ مِنْ يَمِينِكَ غَادَرَتْ
للدُّلُوبِ أَوْ لِلْمُرْزَمِينَ نَدِيمٌ	مَتَفَجَّرَ نَادِمَتُهُ فَكَانَتْ بِي
وَالغَيْثُ يَكْرُمُ مَرَّةً وَيَلُومُ <sup>٧٨</sup>	غَيْثٌ حَوَى كَرَمَ الطَّبَائِعِ ذَهْرَهُ
حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ مَحْمُومٌ <sup>٧٩</sup>	مَا زَالَ يَهْدِي بِالْمَوَاهِبِ دَائِباً
مَا رَبُّهُ المُكْدِي وَلَا المَسْهُومُ <sup>٨٠</sup>	لِلجُودِ سَهْمٌ فِي المَكَارِمِ وَالتَّقَى
فَنَشْرَتُهُ وَالشَّخْصُ مِنْهُ عَمِيمٌ	أَحْفِيئُهُ فَخْفِيئُهُ وَطَوِيئُهُ
وَالْبَيْنُ يُوقِدُهُ هَوَى مَسْمُومٌ	النَّارُ نَارُ الشُّوقِ فِي كَيْدِ الفَتَى
يَدْعُو عَلَيْهِ النَّائِلُ المَظْلُومُ	سَرَقَ الصَّيِّعَةَ فَاسْتَمَرَّ بِلَغْنَةٍ
قَمَرُ الدُّجَى إِنِّي إِذْ نُنْ لِنَيْمِ!	أَقْبَعُ المَعْرُوفَ وَهُوَ كَأَنَّهُ



وللنقاد على أبي تمام مأخذ في بعض من هذه الأبيات، فهذا هو ابن سنان الخفاجي<sup>٨١</sup>  
(ت ٤٦٦هـ) يأخذ عليه بيته:

متفجّر نادمتُهُ فكأنني . للدلو أو للمرزومين نديمُ

" الدلو ها هنا أحد البروج ولا اختاره لموافقته اسم الدلو المعروف"<sup>٨٢</sup> والمغزى من وراء قول ابن سنان، أنه كان يأمل في اشراك المتلقي لفهم المعنى، وذلك بأن يوظف الشاعر لفظة الدلو في معنى آخر غير معناها الأصلي لتعطي إثارة فكرية لدى القاريء.

كما أخذ عليه القاضي الجرجاني في الوساطة قوله:

ما زال يهذي بالمواهبِ دائماً حتى ظننّا أنّه محمومُ

وفيه قال القاضي الجرجاني " إن أبا تمام تناول معنى بارداً<sup>٨٣</sup> وغرضاً فاسداً فأكده وأضاف إليه الحمى والهديان"<sup>٨٤</sup>، وذهب عبد القاهر الجرجاني في أحد مواقف النقدية من شعر أبي تمام إلى أن " أبلغ شيء في بسط لسان القادح فيه والمنكر لفضله وأحصر حجة للمتعصب أنه لم يبالي في كثير من مخاطبات الممدوح بتحسين ظاهر اللفظ، واقتصر على صميم التشبيه وأطلق اسم الجنس الخسيس كإطلاق النبيه، ثم مثل على ذلك بقول أبي تمام:

فإذا ما أردتُ كنتِ رشاءً وإذا ما أردتُ كنتِ قليياً<sup>٨٥</sup>

وقوله:

ما زال يهذي بالمواهبِ دائماً حتى ظننّا أنّه محمومُ

وكان تعقيب الشيخ عبد القاهر الجرجاني على البيتين " بأن أبا تمام صك وجه الممدوح كما ترى بأنه رشاء، ولم يحتشم أن جعله يهذي، وجعل عليه الحمى، وظن أنه إذا حصل له المبالغة في إثبات المكارم له وجعلها مستبدة بأفكاره وخواطره حتى لا يصدر عنه غيرها فلا ضير يتلقاه بمثل هذا الخطاب الجافي والمدح المتنافي"<sup>٨٦</sup>

وقد قال لابن الأثير تعليقا على هذا البيت: " ما أعلم كيف كانت حاله عند نظم هذا

البيت"<sup>٨٧</sup>



وقد دافع الصولي في أخباره عن هذا البيت مقارنا إياه بيت أبي نواس في أحد

الخلفاء:

جُدت بالأموالِ حتى قيل ما هذا صحيحٌ

"والمحموم أحسن حالاً من المجنون؛ لأن هذا ييراً فيعود صحيحاً كما كان، والمجنون قلماً يتخلص. فأبو تمام في تشبيهه الإفراط في الإعطاء والبذل يكثر المحموم، أعذر من أبي نواس إذ شبهه بفعل المجنون"<sup>٨٨</sup>

وهذا الرأي له وجهة من الصحة من ناحية تحليل الألفاظ ومقارنتها، إلا أن الصولي لا ينكر أن لشاعره سقطاته اللفظية التي كان ينبغي أن تؤخذ بحذر في مخاطبة الملوك والأمراء، فكيف يقع في تلك الأخطاء، وهو الموجه والناصح الأمين في رسالته للبحري، بأن يكون عند المديح "حذراً من المعاني المجهولة والابتعاد عن الألفاظ الزرية، وخيَّاطاً يقطع الثياب على مقادير الأجسام"<sup>٨٩</sup>

هذا هو ما اتَّهَمَ به أبو تمام بأنه خرج عما أَلْفَه الشعراء العرب، ولكن في حقيقة الأمر هو لم يخرج بقدر ما أوحى إلينا بدلالة نفسية عميقة لا يبلغ شأوها، ولا يكشف عن نقابها إلا من اخترق المعنى الأول للدلالة، وبحث عن معناها الثاني فوجده واطمأن إليه من خلال السياق.

وحقاً فإن أبا تمام " رب معانٍ، وصقيل ألباب، وقد شُوهد له بكل معنى مبكر لم يمش فيه على أثر فهو غير مدافع عن مقام الإغراب الذي برز فيه على الأضراب" وقد عبر بعض النقاد عن عدم ظهور الدلالة في وقته بما يعرف بـ (التأجيلية) وهي " سر خلود النصوص العظيمة التي ما زالت تشغلنا حتى يومنا هذا، نمارس فيها التحليل والتأويل دون أن يدعي ناقدٌ أو دارس أنه قال فيها الكلمة الأخيرة"<sup>٩٠</sup> لأنه لو قيلت الكلمة الأخيرة في النصوص الأدبية مات النقد.

### وختلاصة القول:

إن الصولي كان له رؤية حدائفة تكشف عن ناقد له قدرة كبيرة على استنطاق ما وراء النصوص، وقد بدا ذلك جليا من خلال تحليله لما طعن به على بعض من شعر أبي تمام فيما يتصل باللفظ والمعنى وعلاقتهما بالعصر وروحه الجديدة وحضارته، وكانت نقاط دفاعه عن شاعره مرجعيتها علمه وثقافته وإطلاعاه الذي أشرنا إليه سابقا، لذلك كان تركيزه على العلم والثقافة والرغبة في الانحلال من قيود القدماء التي كانت بمثابة أغلال لا ينفك عنها إلا من كانت لديه القوة الفنية، والمقدرة الأدبية، وهذا ما جعل نقاد عصره يصون عليه جام غضبهم لمخالفته إياهم في فنون الشعر وصياغته التعبيرية، ولكن هذا لا يجعلنا نغض الطرف عن اندفاع الصولي في دفاعه عن شاعره، كما كان الآمدي يهوى فن البحتري مما قيل عنه في أحكامه: إنه بحتري الهوى، وذلك الهوى الفني هو الذي جعل حالة الخصومة مستمرة لفترة طويلة.

### المبحث الثاني: موقف الصولي من الأخلاق في الشعر:

ما من شك أن الإسلام أثر في الشعر تأثيرا كبيرا من حيث توجيه الناس وحضهم على مكارم الأخلاق والبعد عن الفحش في القول، والاهتداء إلى كل ما من شأنه أن يرسى قواعد الفضيلة والخير. ومن ثم يحض على توجيه الشعراء ضمن الإطار الأخلاقي، والديني.

وانقسم الناس إلى فريقين في نظرهم إلى العلاقة بين الشعر والأخلاق:

الفريق الأول: ربط بين الأخلاق، والشعر؛ أي أن يكون الشاعر مُنسجما مع أخلاق الدين وتعاليمه فيما يقول، وأهم من يمثل هذه الفئة الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- والخلفاء، والصحابة من بعده ويرون أن الشعر لا ينبغي أن يخرج عن تعاليم الدين، ليرسخ في الصدور تلك الدعوة الجديدة التي كان معيارها الإعلاء من قيمة الإنسان وحفظ كرامته في القول والفعل.

الفريق الثاني: ذهب إلى الفصل التام بين الشعر والأخلاق، من أجل إفساح المجال لحرية الشاعر في القول، وبيان ما تملبه عليه قريحته، إعلاء من قيمة الفن الشعري وبحثا عن

الجودة دون قيد أو شرط. ولم يعولوا كثيراً على ما يتضمّنه الشعر من فضائل أخلاقية بمعنى أنّ للشاعر أن يختار ما يشاء من المعاني إن كانت أخلاقية أو غير أخلاقية، ولكن شريطة الإجادة في الشعر. وكل هذه إشارات إلى بدء الاهتمام بالعلاقة بين الشعر، والدين، والأخلاق. ولقد تناول هذه القضية عددٌ من النقاد مثل الأصمعي<sup>٩١</sup> في (فحولته)، وأبو بكر الصولي في كتابه موضوع الدراسة، وقدامة بن جعفر في (نقد الشعر)، والقاضي الجرجاني في (الوساطة بين المتنبّي وخصومه) .....

وممن عُرف عنهم الفحش في القول والفعل، أبو نواس:

ألا فاسقتني خمراً، وقل لي: هي الخمرُ	ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهزُ
فما العيشُ إلا سكرةٌ بعد سكرةٍ	فإن طال هذا عندهُ قَصُرَ الدهرُ
فُبُخْ باسمٍ من تهوى ودعني من الكنى	فلا خيرَ في اللذاتِ من دونها سِتْرُ
ولا خيرَ في فتكٍ بدونِ مجانةٍ	ولا في مجونٍ ليس يتبعهُ كفرُ
فبتنا يرانا الله شرّاً عصابةً	نُجْرَرُ أذْيالَ الفُسوقِ ولا فخرُ <sup>٩٢</sup>

والأبيات السابقة تبين مدى الفجور الذي وصل إليه القول الشعري فيما يتصل بتوظيف الشعر في الفخر بالمجون وضربه غرض الحائظ بالأخلاق الإنسانية، والدين، حتى إن الشاعر يُفاخر ويُجاهر بأن الله - جلّ وعلا- يراه في فسوقه وارتكابه للمعصية.

إذن؛ تعد قضية علاقة الأخلاق بالشعر ليست بالشيء الجديد عند نقاد القرن الثالث الهجري، فقد تناول تلك القضية من قبل أبو عمرو بن العلاء<sup>٩٣</sup> من حيث تفضيله لشعر لبيد على من سواه من الشعراء "ما أحد أحب إليّ شعراً من لبيد بن ربيعة، لذكره الله عز وجل، وإسلامه، ولذكره الدين والخير"<sup>٩٤</sup>، ومن هنا يرى الصولي في دفاعه عن أبي تمام وأصحاب مذهبه أنّ الكفر والإيمان لا علاقة لهما بشعر الشاعر وفي ذلك قال: "وقد ادعى قومٌ عليه الكفر بل حققوه، وجعلوا ذلك سبباً للطعن على شعره وتبحيح حسنه، وما ظننتُ أن كفرا



ينقص من شعر، ولا أن إيماننا يزيد فيه... لأن الناس على ظاهرهم حتى يأتوا بما يوجب الكفر عليهم بفعلٍ أو قول<sup>٩٥</sup>

من النص السابق يتبين لنا أن الصولي حاول الدفاع عن شاعره ضد بعض النقاد الذين تناولوه بالنقد في مذهبه الجديد، ومن بين الانتقادات التي وجهت إليه هو الطعن في دينه وأنه كان قليل الورع أو في دينه (رقة)<sup>٩٦</sup>؛ ولذلك انبرى الصولي ليدافع عن أبي تمام مبيناً أن عقيدة الشاعر شيء وشعره شيء آخر. وهنا نطرح سؤالاً: هل يجب أن يكون الشعر مرآة لسلوك الشاعر؟ فالصولي يريد أن يقول: لا يجوز الحكم على فن الشاعر من خلال سلوكه وأخلاقه.

وفي القضية نفسها تحدث الأصمعي عن علاقة الشعر بالدين والأخلاق، مبدياً رأيه في شعر حسان بن ثابت؛ إذ كان ينظر إلى الجودة لا إلى الأخلاق فيقول: "طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لأن، ألا ترى حسان بن ثابت كان علماً في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير من مرثي النبي صلى الله عليه وسلم، وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما، وغيرهم لأن شعره، وطريق الشعر هو طريق الفحول مثل امرئ القيس، وزهير، والنابغة من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب، والنساء، وصفة الخمر والخيل والحروب والافتخار، فإذا أدخلته في باب الخير لأن"<sup>٩٧</sup> ومن النص يتبين أن الأصمعي يفصل فصلاً تاماً بين الشعر والأخلاق وأثر تلك الأخيرة في الأول. وحسان بن ثابت نفسه كان يرى أن الصدق بالشعر هو الأفضل، وهو الذي ينبغي أن يسعى إليه الشاعر وكان يقول:

وَأِنْ أَشْعَرَ يَبِّ أَنْتَ قَائِلُهُ      يَبِّ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقًا

وَأِنَّمَا الشَّعْرُ لُبُّ الْمَرْءِ يَعْرِضُهُ      عَلَى الْمَجَالِسِ إِنْ كَيْسًا وَإِنْ حُمْقًا<sup>٩٨</sup>

فهو من أنصار مذهب الصدق في الشعر، والابتعاد عن مذهب الكذب فيه؛ ولذلك كان يُقال: إن الشعر ميدانه الكذب، والإسلام يمنع الكذب، وهذا أدى إلى تراجع الشعر بعض الشيء، ما أدى إلى اختلاف النقاد والبلاغيين حول مفهوم الصدق في الشعر، والفصل بين الصدق الفني والصدق الواقعي<sup>٩٩</sup>. كذلك عندما سأل الساجستاني<sup>١٠٠</sup> أستاذه الأصمعي عن فحولة لبيد بن ربيعة فقال "وإن لبيدا ليس بفحل، وإن شعره كان طيلسان طبري، يعني أنه



جيد الصنعة وليس له حلاوة" <sup>١٠١</sup> ومن الواضح في هذا السياق أن الأصمعي يستمر فاصلاً بين الشعر والأخلاق، إذ ينظر إلى الفحولة بمعيار "جودة السبك، وبراعة المعنى، ووفرة الشعر معاً" <sup>١٠٢</sup> وها هو أبو عمرو بن العلاء يقدم الأخطل عمن سواه من الشعراء - على الرغم من أنه نصراني - إذ يقدمه على جرير والفرزدق، فيقول: "لو أدرك الأخطل يوماً في الجاهلية، ما قدمت عليه جاهلياً ولا إسلامياً" <sup>١٠٣</sup> وهنا يرسخ أبو عمرو بن العلاء لقضية أفضلية القدامى على المحدثين.

وقد فطن بعض النقاد إلى خطر ذلك "فأشاد بالشعر بقدر ما فيه من قيم خلقية" <sup>١٠٤</sup> فالأصمعي عندما قال (طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لأنّ) فهو يرى أنّ الشّرّ هو الميدان الذي كان يسير فيه الشعر الجاهلي، واستشهد بأشعار الفحول الذين يقولون الشعر في أغراضه المعروفة كالمدح والفخر وبعض هذه الأغراض استمر بعد ظهور الإسلام، ولكن اختلفت في بعض صفاتها وتمّ تهذيب هذه الأغراض، والحدّ من من إغراق الشاعر في الخيال.

ويعد دفاع الصولي عن الحدائين وفي مقدمتهم أبو تمام لهو انتصار لفكره الحدائين الذي يفخر به ويعتد، لأنه يرى أنه إذا كان بعض الشعراء قد أهدرت دماؤهم لخروجهم عن تعاليم الدين إلا أن هذا لم يمنع النقاد من تناول شعرهم، ولم يسقط عنهم إجادتهم، وهذا التناول بمثابة التصريح الضمني بجودة هذا الشعر والعامل الأقوى أثراً في استمراريته، فيقول: "فكيف يصحّ الكفر عند هؤلاء على رجل، شعره كله يشهد بضدّ ما اتهموه به، حتى يلعنوه في المجالس، ولو كان على حال الديانة لأغروا من الشعراء بلعن من هو صحيح الكفر، واضح الأمر، ممن قتله الخلفاء - صلوات الله عليهم - بإقرارٍ وبينّة، وما نقصت بذلك رتب أشعارهم، ولا ذهبت جودتها، إنما نقصوا هم في أنفسهم، وشقوا بكفرهم" <sup>١٠٥</sup> ويعج التاريخ الأدبي العربي بعدد غير قليل من الشعر الذين كان شعرهم سبياً في (موتهم) <sup>١٠٦</sup>.

وقد دلّل الصولي على رأيه في ضرورة تحييد الكفر والإيمان عن الشعراء الذين صنفهم ابن سلام في طبقاته من الفحول "بأنه ما ضرّ هؤلاء الأربعة الذين أجمع العلماء على أنهم أشعر الناس: امرأ القيس والناطقة الذبياني وزهير والأعشى كفرهم في شعرهم، إنما ضرهم

في أنفسهم، ولا رأينا جريرا والفرزدق يتقدمان الأخطل عند من يقدمهما عليه بإيمانهما وكفره، وإنما تقدمهما بالشعر. وقد قدم الأخطل عليهما خلُق من العلماء، وهؤلاء الشعراء طبقة واحدة، وللناس في تقديمهم آراء<sup>١٠٧</sup>

ويستمر الصولي في دفاعه عن أبي تمام، فهذا هو يقول: إن شاعره لم يكن هجاءً مثل غيره من الشعراء، بل كان لا يرد الهجاء بهجاء من مثله " وكان أبو تمام لا يجيب هاجيا له، لأنه كان لا يراه نظيرا ولا يشتغل به"<sup>١٠٨</sup>. ومما هُجِيَ به أبو تمام قول عبد الصمد بن المعذل<sup>١٠٩</sup>، واصفا إياه بالمذلة وكثرة السؤال لعطاء الأموال:

أنت بين اثنتين تغدو مع النَّا سٍ وكلتاها بوجهه مُدَالِ

لست تفكُّ طالبا لوصالٍ من حبيبٍ أو طالبٍ لِتَوَالِ

أيُّ ماءٍ لماءٍ وجهك يَبْقَى بعد ذُلِّ الهَوَى وذُلِّ السَّوَالِ

وقال الوليد<sup>١١٠</sup> من قصيدة أخرى في هجاء أبي تمام وأنه نصراني وليس بعربي:

دع الهجاء فإن الله حرّمه واقصد إلى الحقّ إن الحقّ متسعٌ

واذكر حبيب بن أوشونا ودعوته فإن طيّباً إذا سُبوا به عجزوا

إن يقبلوك أبا النقصان يحتقبوا عارا وتخفيضُ منهم كل ما رفعوا

لو أن عبد منافٍ في أرومتهم تقبلوك لما ضرروا ولا نفعوا

وإن نفوك كما ينفون كلبهم عن الصميم أصابوا الحق وانثفعا<sup>١١١</sup>

وقصيدة أخرى:

أنتَ عربيّ عربيّ ال أصل ما فيك كلامٌ

عربيّ عربيّ عرابيّ ما تُرامُ أجبايّي ما تُرامُ

ما ذُنّي إن خا لَفَتِي فيكَ الأنامُ

وأنتَ منك سجايا نبطياتُ لنامُ

ثم قالوا جاسمي  
كذبوا، ما أنت إلا  
من الأنباطِ حامٍ  
عربي لا تضامٍ  
وقوله:

ما كنتَ إلا نبطياً قلباً  
ولو نقرَ الصخرَ أفضَ غَرباً  
حتي يُسيح للنبات شرباً  
ويُنبتَ الحبَّ به والقضباً<sup>١١٢</sup>

وحريّ بنا أن نتوقف هنا عند نقطتين رئيسيتين في هذا الهجاء، النقطة الأولى وهي السخرية من اسم أبي تمام، وتعمد الشاعر في ذكره لاسم نصرانيّ دلالة على الطعن فيه بسبب دينه، ولربما كان في هذا ما يفسر اتهام بعضهم له بالكفر. والنقطة الثانية هي تشبيه أبي تمام بالكلب الجرب الذي يجب أن ينفية أهله كي لا يكون لهم سببا في العار والمرض، وهذا في رأيي لا يقلل أبداً من القيمة الفنية لهذه الأبيات في هجاء أبي تمام، بالرغم من خروجها عن المألوف الذي كان ينادي به بعض النقاد.

وقد كان لقدماء بن جعفر ت ٣٣٧هـ رأيٌ رصينٌ في قضية الأخلاق والشعر، فهو لا يعيب على الشاعر معانيه ولا ألفاظه ولكن ما يعيب الشاعر - في رأيه - قدرته على الصياغة وقوة السبك، فيقول: "ومما يجب توطيده وتقديمه، قبل الذي أريد أن أتكلم فيه، أنّ المعاني كلّها معرضة للشاعر، وله أن يتكلم منها، فيما أحبّ وآثر، من غير أن يُحضرَ عليه معنى يروم الكلام فيه، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعية، والشعر فيها كالصورة ... وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى كان، من الرفعة والضعفة، والرّفث والنزاهة، والبذخ والقناعة، والمدح وغير ذلك من المعاني الحميدة والذميمة: أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة"<sup>١١٣</sup>

ثمّ ذكر أن هنالك من يعيب قول امرئ القيس في قوله:

فمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ  
فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُخَوَّلٍ  
إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ  
بِشِقِّ وَتَحْتِي شِقُّهَا لَمْ يُخَوَّلِ



وانطلاقاً من علاقة الأخلاق بالشعر فإن قدامة لا يهتم بفحش المعنى بقدر جودته في حينه الذي قيل فيه، فيقول: "وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يُزيل جودة الشعر فيه، كما لا يعيب جودة التجارة في الخشب مثلاً رداءته في ذاته"<sup>١٤</sup>

يشبه قدامة بن جعفر المعاني بالمادة (الخشب)، ويقول: إنَّ المعاني في الشعر هي بمنزلة المادة الموضوعية، واللفظ يساوي الصورة؛ أي أن كل معنى من هذه المعاني نستطيع أن نصوغه بطريقة مختلفة وهذه هي الصياغة الفنيّة، وهذا ما يُعرف بالأسلوب، فكل إنسان له أسلوبه الخاص وصياغته الخاصة في سبك المعاني فالمعنى الواحد يمكن أن يُصاغ بطرق مختلفة كما أن التجار يمكن أن يصوغ من الخشب أشكالاً مختلفة، فالتجار الماهر يستطيع أن يصنع من الخشب الرديء أجمل الأشكال، والذي لا يتقن صنعه لا يستطيع أن يصنع من الخشب الجيد الشيء الجيد وهكذا حال الشعر، وكما أنّ للخشب أنواع فالمعاني لها أنواع.

ويرى قدامة بن جعفر بأنه يُسمح للشاعر أن يتناول أيّ معنى من المعاني شريطة الإجادة في الصياغة الفنيّة، ولا يهم إذا كان منسجماً مع الأخلاق أو الدين أو غير منسجم فالمهم هو الإجادة. أما القاضي الجرجاني فيذهب في وساطته مذنباً متفقاً إلى حدّ بعيد مع موقف قدامة بن جعفر يقول الجرجاني: "والعجب ممن يُنقص أبا الطيب، ويفضُّ من شعره لأبيات وجددها تدلُّ على ضعف العقيدة، وفسادِ المذهب في الديانة"<sup>١٥</sup>. وعندما يبدأ القاضي الجرجاني

كلامه بلفظة (والعجب) فهذا فيه من الدلالة على الرد على من يعجبون مما قيل عنه فساد عقيد المتنبى في شعره، وقد مثل ذلك بقول المتنبى:

يترشّفن من فمي رشفاتٍ      هنّ فيه أحلى من التوحيد

ويسخر الجرجاني ممن "يحتمل لأبي نواس قوله:

قلت والكأس على ك      فَيّ تهوي لالتشامي

أنا لا أعرفُ ذاك ال      يوم في ذاك الزحام

وقوله:



أترُك لذة الصَّهْبَاءِ نقداً  
لما وعدوه من لبنٍ وخمرٍ  
حياةً ثمَّ موتٌ ثمَّ بعثٌ  
حديثُ خرافةٍ يا أمَّ عمرو  
وقد روي أنهما لديك الجن <sup>١١٦</sup>  
وقوله:

يا عاذلي في الدِّينِ ذَا هجرِ  
ما صَحَّ عندي من جميعِ الَّذِي  
لا قدرٌ صحَّ ولا جَبْرٌ  
يُذكَرُ إلا الموتُ والقَبْرُ  
فاشربْ على الدهرِ وأيامِهِ  
فإنَّما يَهْلِكُنَا الدهرُ <sup>١١٧</sup>

وقد أُرِدَفَ القاضي معلقاً على الأبيات السابقة بكلام يغلب عليه قوة المنطق وصحة القريحة "فلو كانت الديانة عاراً على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر لوجب أن يُمَحَى اسمُ أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عُذَّت الطبقات، وكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزَّيْعَرِي وأضرابهما ممن تناول رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وعاب من أصحابه بكمأ خرساً، وبكأء مُفَحِّمِينَ؛ ولكنَّ الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر" <sup>١١٨</sup>.

ويتضح لنا أنه كما دافع الصولي عن أبي تمام، فإن القاضي الجرجاني بهذا النص يُحاول الدفاع عن المُتَنَبِّي - بكل صرامة وحزم لا يقبلان النقاش - ببعض الحجج والبراهين، والآراء، فبيّن في هذا النص أن الدين بمعزل عن الشعر، وبيّن أيضاً أننا إذا أردنا أن نقف ضد المُتَنَبِّي علينا أن نقف ضد أبي نواس، ويجب أن تختلف نظرنا إلى بعض الشعراء الجاهليين، وشعراء صدر الإسلام، وهذا يندرج تحت المُقايَسة، فهو قام بِمُقايَسة شعر المُتَنَبِّي مع أشعار أخرى.

وعلى الرغم من قناعة د محمد مندور بأهمية اللغة ودورها في الحفاظ على مقدسات الدين والعلاقة القوية التي تربط العرب بدينهم؛ لأنه "على سلامة تلك اللغة يتوقف فهمهم لمصادر دينهم، وهو أعز ما يملكون" <sup>١١٩</sup> إلا أنه يرد ادعاء الصولي فيما ذهب إليه من وجود

طاعين في دين أبي تمام بقوله " إن كتب النقد التي بين أيدينا لا تحمل أي صدى لهذه التهمة التي لم نجد لها إلا عند الصولي " <sup>١٢٠</sup> وهذا الرأي هو نفسه ما يطمئن إليه الباحث، لأنه بالبحث والتقصي بين دفتي الديوان، لم تظهر تلك القضية بالشكل الجلي الذي طرحه الصولي في أخبار أبي تمام.

ويرى الباحث أن هناك سؤالاً ينبغي أن يُطرح في هذا السياق، إذا آثرنا تناول القضية بموضوعية، والسؤال هو أنه مادام الصولي يتخذ من الفصل بين الشعر والأخلاق معياراً، فلماذا يؤكد على الأخلاق الحسنة لأبي تمام والتزامه الديني؟! وقد وجدت ما يدل على ذلك عندما كان يغريه الحسن بن وهب <sup>١٢١</sup> بجارية عنده ترغّب فيه، فرد عليها قائلاً:

أَبْرَقْتُ لِي إِذْ لَيْسَ لِي بَرْقٌ	فَتَرْخُزْجِي مَا عِنْدَنَا عِشْقُ
مَا كُنْتُ أَفْسُقُ وَالشَّبَابُ أَحْيَى	أَفْحِينَ سَبْتُ يَجُوزُ لِي الْفِسْقُ؟
لِي هِمَّةٌ عَنِ ذَاكَ تَرَدَّعُنِي	وَمُرْغَبٌ مَا خَانَهُ عِرْقُ <sup>١٢٢</sup>

وهذا الرد يدل على الصولي على أخلاق أبي تمام ليس في المشيب فقط، ولكن في مرحلة الشباب كذلك، فالشاعر يصرح بأنه لم يكن يوماً فاسقاً حتى في فترة نزقه ونشاطه وحيوته وشبابه، فهل يُعقل أن يفعل ذلك عندما تقدمت به السن. ومرد ذلك - كما يقول - همته التي تمنعه من مجارة تلك الجارية ومتابعتها. وهنا يرى الباحث أن الصولي لم يلتزم بالمعيار أو المقياس الذي وضعه لنفسه للحكم على أبي تمام، وفي هذا الأمر مخالفة لموضوعية هذا المعيار، وذلك إن دل فيدل على حبه الشديد لشاعره مما جعله يستحضر من أبياته ما يرد عنه الطعن في أخلاقه ودينه.

ونخلص من هذا إلى أن الصولي كانت له نظرة منهجية حدائية مفصلة تؤسس وترسي لقواعد القيمة الفنية للأعمال الأدبية، متخذاً من الجودة معياراً جاداً للحكم على الشاعر، بقطع النظر عن أخلاقه أو دينه، وتتجلى حدائة الصولي عندما نجد أنه من النقاد الحدائين من نادى بضرورة إبعاد الفضيلة والرذيلة كذلك عن الشعر لمعرفة قيمته الحقيقية، وذلك " لأننا لن نستطيع أن ندرك ماهية القيمة، ولا أن ندرك أي التجارب أقوم من غيرها طالما ظل

تفكيرنا في حدود المجردات الكبرى مثل الفضائل والذائل<sup>١٢٣</sup> وبالرغم من مخالفة الصولي نفسه لفكرته إلا أن ذلك لا يسحب بساط الفكرة من تحت قدميه، خاصة وأنا نتحدث عن القرن الرابع الهجري وما قبله؛ حيث التيار الجارف الذي كان يحارب كل حركة تدعو إلى التجديد والابتكار والانفصال عن محراب القديم والخروج من عباءة تلك السلطوية التقليدية التي كانت تتناسب ومجريات العصر، وأثبتت تلك التقليدية أهميتها وقوتها- في حينها- في إرساء قواعد الشعر بشكل عام، ولكن يعاب على أنصارها عدم الاعتراف بكل من خالفهم.

### المبحث الثالث: موقف الصولي من الغموض عند أبي تمام

قضية الغموض في الشعر العربي ليست وليدة العصر الحاضر، فقد لازم الغموض الشعر منذ زمن طويل، فوجدناه في شعر المبدعين؛ بحيث يمكننا القول: إن الغموض صفة تلازم الإبداع الفني الأصيل، لذا رأينا الغموض في الشعر العربي القديم يبرز بصورة جلية مع أبي تمام والمتنبي، وهذا يقودنا إلى عبارة أبي تمام المشهورة عندما سُئل لماذا لا تقول ما يفهم؟ فأجاب: لماذا لا تفهمون ما يقال؟ إلا أن هذا القول يجب ألا يفتح الباب على مصراعيه للشعراء الجدد ليتخذوه حجة على غموضهم غير المبرر غالباً.

فالغموض عند أبي تمام والمتنبي، كان جزئياً ومحدوداً، مقارنة بما يلهث وراءه بعض الحدائين من غموض قد يكون مصطنعاً لعل لا يعلمها إلا مبدعها. وهناك سؤال يطرح نفسه بقوة هل يوجد غموض في الشعر؟ أم أن هناك قصورا أو تقصيرا من جانب المتلقيين؟

مما هو غني عن البيان أن الحياة العربية القديمة كانت حياة بسيطة مباشرة لا غلوة فيها ولا التواء في التعبير، فلم يكن الذوق العربي القديم بعامة، يميل إلى الغموض والإبهام والإلغاز، فقد كان يميل -على الأغلب- إلى الوضوح، وتفضيل كل شيء مكشوف بارز، كمعالم الصحراء في ضوء الشمس الساطعة، فكانت المحسوسات في الجاهلية تُشبه بما يراه العرب حولهم مرأى العين بحيث لم يكن آنذاك مجال للخيال" فضمنت أشعارها من التشبيهات ما أدركه من ذلك عيائها وحسها إلى ما في طبائعها وأنفسها من محمود الخلاق ومذمومها... فشبهت الشيء بمثله تشبيها صادقا على ما ذهب إليه في معانيها التي أرادتها"



١٢٤. ومن هنا، ظل الشعر الغامض -الذي يكوّن نسبة محدودة من الشعر العربي- يواجه نقداً، ومعارضة، وذكماً. وهذه القضية تناولها كثيرٌ من النقاد في أبحاثهم. ولا ينبغي أن نغفل في هذا المقام ما قاله الآمدي في موزانته بين أبي تمام والبحري في هذه القضية، إذ قال في تفضيله للبحري على أبي تمام: "وإن كنت تميل إلى الصنعة، والمعاني الغامضة التي لا تستخرج إلا بالفوض والفكرة، ولا تلوي على غير ذلك فأبو تمام عندك لا محالة"١٢٥.

وقد اعترف بها آخرون وقالوا: إن الغموض علامة التجديد والإبداع والنبوغ شريطة أن يكون هذا الغموض هادفاً إلى شيء من وراءه لأن "أفخر الشعر ما غمض، فلم يعطك غرضه إلا بعد ملاحظة منه"١٢٦ في حين يصرح ناقد آخر بأن الغموض ينبغي أن ينطوي على الشفافية التي تسمح للقارئ بسبر أغواره من خلال شفرات النص، وعبر ذلك التناغم والتمازج القائم بين الشاعر والقارئ، فيما يعرف بالأفق المقصود أو "أفق التوقعات"١٢٧ كما سطرته نظرية التلقي إذ إن "قدرا من الغموض ضروري للشعر الجيد على أن يكون غموضاً شفافاً"١٢٨ وهذا الرأي الأخير يدفعنا في اتجاه البحث عن المعاني داخل النص حتى لو تعرض القارئ لصدمة فنية متجلية في صعوبة لفظ أو غياب معنى، ولكن ليس بالضرورة غياب الاثنين؛ لأن ذلك سيفقد النص ماهيته وجوهره لأن "الشعر لا يكون شعراً حقاً إلا إذا ارتفعت فيه القدرة على السبق والابتكار والخروج على المألوف وخلق العلاقات الجديدة التي تصدم القارئ وتهزه لما تحتويه من عناصر الدهشة والجدة"١٢٩ وتلك الصدمة لن تكون إلا من خلال الانحراف عن الواقع والتقاليد الشعرية الموروثة إذ يُصغى الفنُّ الشعري حينئذ بالحدائث وما تمليه علينا من ابتداعات وما لها من تداعيات، "ولذلك تطرح الحدائث نفسها بوصفها إشكالاتاً يتأبى على الحل نظرياً، ولكنه يقود إلى إبداع شكلي وجدلية خصبة، تطبيقاً. ويتمثل هذا الإشكال في أن الحدائث تصارع إلى الأبد، ولكنها لا تنتصر قط، بل إن عليها أن تصارع حتى نفسها، بعد فترة، لكي لا تنتصر."١٣٠

وإذا نظرنا إلى مقولة أبي تمام عندما سُئل عن الغموض في شعره، بقول أحدهم لماذا لا تقول من الشعر ما يفهم، فما كان منه إلا أن قال بسرعة بديهية وحضور خاطر وصفاء ذهن "ولماذا لا تفهم ما أقول؟!



وهذا ما ذهب إليه البحري في رده عن لا يفهمه وذهب بمعناه بعيدا عن ذهن

المتلقي:

عليّ نحتّ القوافي من أماكنها وما عليّ لهم أن يفهمَ البقر<sup>١٣١</sup>

ويتضح من كلام البحري أنه ينفي تهمة الغموض عن نفسه، بل يلصقها بمن لا يفهم  
فنه الشعري ولم يكتفِ بذلك، بل إنه وصف من لا يفهم بالبقر.

وينبغي أن نفرق بين نوعين من الغموض<sup>١٣٢</sup>: الغموض الإيجابي والغموض السلبي؛  
فالأول يتعبك في التفكير، لكنه يعود عليك بفائدة تستحق العناء، إذ يسخو بكل جديد رائع،  
والثاني يخفي فقراً في التفكير أو الإحساس، ويغطيّ سطحية وضحالة في المعنى فيكون  
المعنى سطحياً ولكنه يقدمه في حلة تستدعي التعمق الذي لا طائل من ورائه إلا إضاعة  
الوقت وإرهاق الذهن. وهناك من النقاد من رحب بالنوع الأول من الغموض وقال عنه "إن  
غموض الشعر حالة مدهشة لها أسبابها ولها خصائصها التي تحتاج منا إلى بذل الجهد حتى  
لا نشجع على السطحية والابتذال"<sup>١٣٣</sup> وقد ذهب صاحب الخصومة إلى أن أبا تمام يعد  
مضرب المثل في الغموض والتعقيد على إطلاقه دون تحديد بقوله "ولو كان التعقيد  
وغموض المعنى يسقطان شاعراً لوجب ألا يُرى لأبي تمام بيتٌ واحدٌ، فنحن لا نعلم له  
قصيدة تسلم من بيتٍ أو بيتين قد وفّر من التعقيد حظهما، وأفسد به لفظهما، ولذلك كثر  
الاختلاف في معانيه، وصار استخراجهما باباً منفرداً ينتسب إليه طائفة من أهل الأدب،  
وصارت تُتطرح في المجالس مطارحة أبيات المعاني، والغاز المُعمّى"<sup>١٣٤</sup>.

ومن الكُتّاب الحداثيين من مزج بين روح العصر والتطور الثقافي وما يتطلبه من  
الغوص في المعاني بقدر قيمة الفكرة التي يطرحها؛ إذ إن هؤلاء الكتاب "يبدأون العمل في  
لحظة تتميز فيها الثقافة بأسلوب سائد الإدراك والشعور، وتشكل حداثتهم من خلال تمردهم  
على هذا الأسلوب السائد، بوصفها تمرداً حاداً على النظام الرسمي، ولكن الحداثة لا  
تستبدل بالأسلوب السائد الرسمي الذي تمرد عليه أسلوباً رسمياً آخر، لأنها تتنكر لنفسها  
لو فعلت، فتتوقف عن أن تكون حديثة"<sup>١٣٥</sup>. وفكرة التمرد هذه تقودنا إلى العالم الخاص

بالشاعر الذي يمكننا أن نطلق عليه العالم المجرد، علما بأن ذلك "التجريد ينشأ من حيرة الشاعر بين الذات والمجموع، فيلجأ إلى خلق عالم مستقل له علاقاته الداخلية المغايرة لما هو خارجي" <sup>١٣٦</sup>

ويرى الباحث أن هذه الصفات تنطبق على حداثة أبي تمام من خلال ذلك التجريد المفرط الذي لا يكاد يلامس الواقع. ولولا هذا التجريد المتمثل في خلق عالم مستقل عن العالم الخارجي، لما وقع المتلقي في حيرة لما يقصده الشاعر؛ لأن "الشاعر في فضاء التجريد يتوحد مع نفسه من ناحية، ومع اللغة من ناحية أخرى، إلى حد الامتزاج المتناغم" <sup>١٣٧</sup> وهو في هذه الحال يتوقع من المتلقي أن يعيش معه في عالمه ولا ينفصل عنه شريطة ألا يفرض عليه تأويلا محددا للمعنى المراد من نظمه، لأنه لو فعل "فسيطفيء الشاعر قدرة المتلقي على الإبداع من خلال القراءة المتعددة للنص" <sup>١٣٨</sup> ومن ثم فإن الخروج عن المؤلف يعد نوعا من أنواع التمرد على المقاييس السائدة؛ إذ يحاول الشاعر أن يتفرد بمذهبه الفكري الخاص الذي يخلق به إلى عنان السماء قائدا ثورة تصحيحية تتطلب منه أن يتحدى قرائه "ليس على أساس قرار أو نزوة، ولكن نتيجة ضرورة أخلاقية ونفسية عميقة ملحة، وقد لا يكون هؤلاء الكتّاب على وعي بأنهم يتحدّون الفرضيات الحاسمة لزمانهم، ولكن أثرهم ثوري وبمجرد أن يتعرف النقاد والمتلقون المتعاطفون هذا الأثر تنبثق "الطليعة" بوصفها مجموعة تنطوي على وعي ذاتي" <sup>١٣٩</sup> ولكننا ينبغي أن نكون على حذر من تلك الثورة وذلك التمرد لأن الاستمرار فيهما من دون مناصرين أو هدف بين سيؤدي لا محالة إلى الانحدار المؤذن بالنهاية.

ومن خلال مطالعة الباحث لآراء الصولي في شعر أبي تمام، نجد أنه لم يدافع عنه فيما لم يفهم أو غمض من شعره، دون أن يذكر شاهدا واحدا على ما لم يفهم من تلك الأشعار، وهذا قد يكون لكثرة الشواهد التي تنطوي على الغموض أو لقلتها وعدم اكتراث الصولي بها؛ لأنها قد لا تنقص من قدر شاعره ذرة خردل. فيقول الصولي: حدثني محمد بن الحسن الإشكري، أنشد أبو حاتم السجستاني شعرا لأبي تمام، فاستحسن بعضه، واستقبح بعضا، وجعل الذي يقرؤه يسأله عن معانيه، فلا يعرفها أبو حاتم فقال: ما أشبه شعر هذا الرجل إلا بتياب مصقلات خُلقان، لها روعةٌ وليس لها مُفْتَشٌّ" <sup>١٤٠</sup>

وفي موقع آخر ذكر قول أبي تمام وهو يمدح خالد بن يزيد الشيباني<sup>١٤١</sup>:

طَلَّلَ الْجَمِيعَ لَقَدْ عَفْوَتْ حَمِيدًا      وكفى على رُزْني بذاك شهيدا<sup>١٤٢</sup>

وعندما انتهى من قصيدته سئل الراوي عن شعر أبي تمام قال: فيه ما أَسْتَحْسِنُهُ، وفيه ما لا أعرفه ولم أسمع بمثله، فإما أن يكون هذا الرجل أشعر الناس جميعا، وإما أن يكون الناس جميعا أشعر منه<sup>١٤٣</sup>

وفي شاهد آخر: تناوله ابن المعتز للقدح في أبي تمام:

كان في الأَجْفَلَى وفي النَّقْرَى عُر      فُك نَضَرَ العموم نَضَرَ الوَحَادِ<sup>١٤٤</sup>

وفي معرض حديثه قال عنه "وهذا من الكلام البغيض والغريب المستكره من البدوي، فكيف به إذا جاء من ابن قرية متأدب"<sup>١٤٥</sup>.

والشاهد السابق يقدم لشاهد آخر في الغموض الذي قيل عن أبي تمام في بعض المواضع منها:

شاب رأسي وما رأيتُ مشيبَ الرَأ      سِ إلا من فضلي شيبِ الفؤادِ<sup>١٤٦</sup>

شرحه التبريزي بقوله: ما شبت للكبير، إنما ذلك للهموم، وإذا نظرنا إلى الرؤية القديمة لهذا البيت لوجدنا أن هناك سخرية مما ذهب إليه أبو تمام من جعل الشيب للقلب، وعلق ابن المعتز على هذا الأمر ساخرا بقوله "يا سبحان الله ما أقبح مشيب الفؤاد وما كان أجراه على الأسماع في هذا وأمثاله"<sup>١٤٧</sup> وإذا كان ابن المعتز يسخر من تلك الصور ف"إن كثيرا من الاستعمالات الاستعارية التي رسمت بالغموض والبعد كانت تستند إلى تشكيل الصورة تشكيلا يعتمد على التداخل بين المرئي وغير المرئي، وهو ما كان ينفر منه الآمدي ويعده من الوسوس المحكمة"<sup>١٤٨</sup>

والمعنى هنا ظاهر وواضح ولا يحتاج إلى تأويل؛ إذ يسحب الشاعر حالته المعنوية من كثرة الهموم، على حالته المادية وهي شيب الرأس، وهذا ما يعرف في النقد الحديث بالمزج بين المادي والمعنوي، والمرئي وغير المرئي، ودلالتنا على ذلك أن الإنسان قد يصاب بالهم



والاكتئاب والحزن والبث ونتيجة ذلك وضع الأثر المادي على الإنسان، ولنا في سورة يُوسُفَ عِبْرَةٌ فِي ذَلِكَ، قَالَ -تعالى- فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ "وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْصَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦)"<sup>١٤٩</sup> فكان الهمُّ والحزنُ الشديد سبباً فيما آلت إليه حال سيدنا يعقوب من كَفِّ البصر. فإذا كان الحال كذلك فيمن يؤثر فيه الحزن والبث النابع من القلب، إذن فليس بعيد أن يكون ذلك سبباً في مشيب الرأس.

وقد ذكر الصولي أن أبا هفان<sup>١٥٠</sup> قال لأبي تمام: تَعِمِدُ إِلَى ذُرَّةٍ فَتَلْقِيهَا فِي بَحْرِ خُرْءٍ، فَمَنْ يَخْرِجُهَا غَيْرَكَ؟!<sup>١٥١</sup> ويقصد المعنى المُلْقَى فِي أَلْفَاظٍ رَدِيئَةٍ.

وانتقالاً إلى مدى التشابه بين القديم والحديث في قضية الحدائث التي نوه إليها الصولي من خلال غموض شعر أبي تمام، نجد أن الآمدي صاحب كتاب الموازنة يصف شعر أبي تمام الذي هو عنده «شديد التكلف، صاحب صنعة، ومستكره الألفاظ والمعاني»<sup>١٥٢</sup> وأن معانيه غامضة إذا ما قورنت بشعر البحري الذي هو عنده «ما فارق عمود الشعر وطريقته المعهودة، وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام»<sup>١٥٣</sup>، ويقول أحد المؤيدين لشعر أبي تمام المحدث آنذاك إن الواحد من هؤلاء الطاعنين " لا يجسر على إنشاء قصيدة واحدة، إذ كانت تهجم - لا بد- به على خير لم يروه، ومثل لم يسمعه، ومعنى لم يعرف مثله"<sup>١٥٤</sup> ويستمر في إسقاط ما عابه عليه أعداؤه بقوله «وما أحسب شعر أبي تمام مع جودته وإجماع الناس عليه، ينقص بطعن طاعن عليه في زماننا هذا»<sup>١٥٥</sup> لأنهم لم يجدوا مذ عهد بشار " أئمة كائمتهم، ولا رواة كرواتهم، الذين تجتمع فيهم شرائطهم، ولم يعرفوا ما كان يضبطه ويقوم به، وقصروا فيه فجعلوه فعادوه"<sup>١٥٦</sup> وهذا القول يبين أهمية معرفة السياق الذي يقال فيه الشعر، وقد كان الجهل بمعرفة هذا السياق هو السبب الأساسي في الهجوم على كل من انتصر لهذا الشعر المحدث كائناً ما كان.

وإذا ما قارنا هذا الكلام بما يردده الحداثيون في وقتنا لوجدناه يشابهه، إن لم يكن يطابقه إلى حد بعيد من حيث إن من لا يفهم هذا الشعر ليس ملماً بما تعارفت عليه



النظريات النقدية الحديثة. وهذا الرأي يذهب بالباحث إلى أن الشاعر قديما وحديثا له الحرية فيما يقول من لفظ أو معنى لأنه سيستطيع أن يجعل له مناصرين ومؤيدين يتقمصون شخصيته ويؤولون وينظرون لما يقصده الشاعر، وما لا يقصد، وهو ما أدى في النهاية إلى إشكالية النص المفتوح الدلالة الذي يقبل التأويل والتبخر في جزئياته ولنا في كثير من أبيات المتنبى ما يدل على تلك الانفتاحية، منها قوله:

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مَمَّنْ صَمَّ مَجْلِسُنَا      بَأَنِّي خَيْرُ مَنْ تَسَعَى بِهِ قَدَمُ  
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي      وَأَسَمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ  
أَنَا مِْلَاءُ جُفُونِي عَن شَوَارِدِهَا      وَسَهَرُ الْخَلْقِ جَرَاهَا وَيَخْتَصِمُ

البيت الأخير اختلف في شرحه وتأويله، ولعل هذا ما جعل ابن جني في شرح ديوان المتنبى في كتابه (الفسر) يُتهم بأنه قد أساء فهم بعض أبياته، وفي الحقيقة هو لم يفهم خطأ، ولكنها التعددية الدلالية التي لا تجعل للنص معنى محددًا، بل تجعل القارئ يعيش في رحاب واسعة زرع فيها الشاعر بذوره ثم التقطها القارئ بعد أن صارت ثمارا يانعة، ثم يأتي الناقد ليميز جيد تلك الثمار من رديتها، وفي النهاية ستجد كل الثمار سوقها وفقا لنظرية العرض والطلب.

وهذا لا شك يثري النواحي الأدبية والنقدية، ومن هذا المنطلق يكون كلام الصولي عن أبي تمام وأنصار مذهبه بمثابة نظرية قديمة حديثة في آن؛ لأنها أصلت لقضية (الغموض والإبهام في شعر الحدائث)<sup>١٥٧</sup> عبر إشراك المتلقي في فهم النص الشعري من خلال أهمية توسعة مداركه ووقفه عند كل جديد يتفوه به الشاعر، بل والتقصي المستمر عما يعيشه، وهذه القضية أسست للعوامل النفسية المؤثرة في قول الشاعر.

انظر إلى قول أبي تمام:

جاءتك من نظم اللسانِ قِلادةً      سِمطانٍ فيها اللؤلؤُ المكنونُ  
حذيت حذاء الحضرمية أزهفت      أجابها التخصيرُ والتلّيسُ

إنسية وحشية كثرت بها حركات أهل الأرض وهي سكون

أما المعاني فهي أباكاز إذا نُصتْ ولكن القوافي عُون<sup>١٥٨</sup>

ويريد الباحث من الشاهد السابق أن يدلل على كثرة معاني أبي تمام وابتكارها، وإذا كانت المعاني أباكاز فإن القوافي (عُون) جمع (عَوَان) أي ولدت مرة بعد مرة ويشترك فيها الشعراء، هذا في الوقت الذي يرى بعض النقاد أنه لم يكن له معانٍ مبتكرة إلا في (ثلاثة مواضع)<sup>١٥٩</sup> فقط، وهذا الأمر يقودنا إلى تفاوت النقاد في تقييمهم للشعراء وفقا لما اقتضاه عمود الشعر العربي؛ إذ صرح المرزوقي في مقدمة شرحه ديوان أبي تمام بعد أن حدد عناصر عمود الشعر العربي بأن "هذه الخصال عمود الشعر عند العرب، فمن لزمها بحققها، وبنى شعره عليها، فهو عندهم المُفْلِقُ المُعْظَمُ، والمُحْسِنُ المُقَدَّم. ومن لم يجمعها كلها فبقدر سُهْمَتِهِ منها يكون نصيبه من التقدم والإحسان"<sup>١٦٠</sup>

ويرى الباحث أنه من المحتم أن نتوقف عند جملة (بحققها) التي ذكرها المرزوقي؛ لأنها هي الضالة المفقودة التي يبحث قدامى الشعراء ومحدثوهم عنها، والسؤال في هذا المقام: من من الشعراء استطاع أن يوفِّيَ عمودَ الشعرِ حَقَّهُ؟ الإجابة كذلك متفاوتة وغير محددة المعايير؛ لأن ما يُعجب به ناقدٌ، قد يطعن عليه آخر، وقيمة الاختلاف هذه هي السبب في التطور النظري والتطبيقي للفكر النقدي والبلاغي قديما، وما سيكون عليه الحال مستقبلا بمشيئة الله، ناهيك بالمعلوم يقينا أن مفهوم عمود الشعر العربي لم يؤخذ من شاعر واحد بعينه أو عصر محدد، بل من شعراء كثر وعصور أدبية متعددة، بدءا من العصر الجاهلي وصولا إلى القرن الرابع الهجري، وهذا يقودنا إلى ما يعرف بقضية توجيه الشعر حسب الهوى "لأن الذي لا شك فيه، هو أن العلاقة بين الشارح أو الناقد، وبين شارح آخر أو ناقد، أو بينهما معا وبين الشاعر، لها أثر في توجيه معاني الشعر والحكم على الشاعر، بل لها أثر في رواية شعره"<sup>١٦١</sup> وذلك هو التأصيل الفعلي لمناصرة الفن الشعري.

وقول أبي تمام في موضع آخر:

لمدينة عجماء قد أمسى إلي فيها خطيبا باللسان المُعْرَبِ<sup>١٦٢</sup>

غَزَبْتُ خَلَاتِقَهُ وَأَغْرَبَ شَاعِرٌ  
فيه فأحسنَ مُغْرِبٍ في مُغْرِبٍ<sup>١٦٣</sup>  
وفي قصيدة أخرى:

إِلَيْكَ أَرْخَنَّا عَازِبَ الشَّعْرِ بَعْدَمَا  
تمهَّلَ في روضِ المعاني العجائبِ<sup>١٦٤</sup>  
غرائبٍ لا قَتَ في فِئَاتِكَ أَنْسَهَا  
من المجدِ، فهي الآنَ غيرُ غرائبِ<sup>١٦٥</sup>

ويقول:

لا مُعْنَى بِكُلِّ شَيْءٍ وَلَا كُلُّ  
عجيبٍ في عينه بعجيبِ<sup>١٦٦</sup>

نجد أن المعنى العام الظاهر الجلي في الأبيات السابقة هو أن الشاعر يقر بأن من الشعر غرائب وعجائب، وهو هنا يعترف بأنه شاعرٌ يأتي بالغيرب من القول، كما أقر سابقاً بكثرة معانيه الأبيكار، ولكنها غرائب فنية يتعمق فيها ويتبحر من أتاحت له أدوات الصيد الثمين، وتلك الغرائب صارت فيما بعد معلومة وليست مستغربة لمن تتقف على ما رسمه أبو تمام ومن بعده أنصار مذهبه ونقاده المصطفين المدافعين عن فنه، فهو يرى بأن ما يراه البعض غريباً الآن هو ليس في عينه بغيرب، ولكن سيأتي وقت فهمه وإيضاحه.

وهذه الشواهد توضح موقف الصولي مما قيل عن شاعره، ولم ينبري في الدفاع عنه كالعادة، وعلى الرغم من ذلك، فقد يكون عدم دفاع أبي بكر الصولي عن أبي تمام في هذه المواضع نوع من الملل لما قد قدمه سابقاً عن علم أبي تمام وذكائه وفطنته ودُرَيْتِهِ وتمرّسه، ومنه قوله: "وإن أنصف من يقرأ هذا وأشباهه من تفسيرنا، علم أن أحداً لم يستقلّ بمثله، ولا علم حقيقة الكلام... وهذا دليل على حذق أبي تمام وجهل الناس في الرواية"<sup>١٦٧</sup>

مما سبق تبين لنا أن شعر أبي تمام لم يخلُ من الإشكالات التي دارت حوله، فقد فُرى، وقيل فيه ما قيل، ولا يزال قابلاً للقراءة والتأويل، وهذا يعني أنه نصّ إشكالي، والنص الإشكالي ثريّ بطبيعته، قابل للتأويل والتعدد، وقد اختلفت في هذا الشعر الأقوال والأحكام بين مؤيد ومعارض، وتباينت وجهات النظر تبايناً يدعو إلى التمهّل والترؤي، فاجتمع حوله



الأنصار ورفعوه إلى مرتبة الزعامة الشعرية ونظروا إليه نظرة الشاعر الحدائي المطور، وحاول الخصوم أن يغمطوه حقّه، وبين هذا وذاك ثارت الحركة النقدية المستمرة حوله إلى يومنا هذا

وخلاصة القول: إن الحدائنة تنبع من الابتكار وتصب في معين التجديد وهي تركز على الإبداع بشتى مستوياته والخروج عما اعتاده القدماء لا لمجرد الخروج ولكن لإضافة شيء ما للتجربة الشعرية والإنسانية التي تفرضها مقتضيات التطور الثقافي والاجتماعي والحضاري بتفاصيلها المختلفة، أي أنه خروج إيجابي لا خروج سلبي هدفه الانقطاع عن التراث وتب الصلة به كما يعتقد البعض، بل هي اتصال بالتراث والاستفادة من تجربته والبناء عليها وتوظيفها، فالحدائنة لا تعيش حالة صراع بينها وبين التراث وتهدف لإزالته من الساحة بل إنها تأخذ من الماضي وتضيف إليه وتعيش حالة من العطاء الدائم الذي يهدف في النهاية إلى مواكبة كل تجديد دون انفصال عن الواقع، فكل شاعر يضيف بتجربته الإبداعية للشعر كما أضاف الأولون، وبهذا فالشعر يعيش حالة نمو وتطور- ينبنى بعضها على بعض وفقا لأسس ومعايير يجب أن تكون واضحة للعيان- وليس حالة نقص وتآكل أو انحدار حتمي ناتجة عن الإسراف في المخالفة وعدم اتباع القوانين التدريجية للتطور المطلوب لأن " وفرة المخالفة تفضي إلى الانحدار، ولا معنى لذلك سوى سرعة الوصول إلى البدائية" <sup>١٦٨</sup> ولكي لا نصل إلى تلك البدائية علينا أن نكون منصفين وموضوعيين إزاء تلك القضية التي بلغت شأوها الآن، ومن هذا المنطلق فقد كان الصولي ذا فكر حدائي وهذا ما عرضناه، ويرجو الباحث أن يكون قد أصاب ووفق فيما سعى إليه واجتهد، وعلى قدر الاجتهاد يكون التوفيق.



الهوامش

- ١ د ميحان الرويلي، د سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ٥، ٢٠٠٧، ص ٢٢٥.
- ٢ من أهم كتب الأخبار، لما فيه من قيمة فنية وعلمية كبيرة، فقدم من خلاله كثيراً من الأخبار التي تتصل بأبي تمام ومن عاصره من الأدباء والكتاب، ويعد هذا الكتاب من من الكتب الأولى التي تناولت ذلك الصراع الذي وضعت بذوره في القرن الأول الهجري وقد نمت ثماره في القرون الثلاثة التالية عليه، وهو صراع الطبع والتكلف. كما أنه اشتمل أخباراً وشعراً انفرادياً بذكرهما الصولي ولم ترد في دواوين أصحابها كما ذكر الأستاذ أحمد أمين في مقدمة الكتاب.
- ٣ الرازي: مختار الصحاح: مادة حَدَّثَ، مكتبة لبنان، ١٩٨٦، ص ٥٣.
- ٤ الفيروزآبادي: القاموس المحيط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط ٤، ٢٠٠٩، ص ٢٦٩.
- ٥ لجنة من العلماء: معجم الألفاظ القرآنية، إصدار مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٢٧٤/١.
- ٦ ابن منظور: لسان العرب، مادة (حدث) ١٣٠/٢-١٣٤.
- ٧ لجنة من العلماء: المعجم الوسيط، مادة حَدَّثَ مكتبة الشروق، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٤، ص ١٥٩/١.
- ٨ د. وحيد كتيّبة: معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان، ط ١، ٢٠١٢، ص ٢٤٨.
- ٩ وقد ميز (أدونيس) بين الجديد والحديث فيقول: "للجديد معنيان: زمني وهو، في ذلك، آخر ما استجد، وفني، أي ليس في ما أتى قبله ما يماثله. أما الحديث فذو دلالة زمنية ويعني كل ما لم يُصِح عتقاً. كل جديد، بهذا المعنى حديث. لكن ليس كل حديث جديداً [...] الجديد يتضمن إذن معياراً فنياً لا يتضمنه الحديث بالضرورة، وهكذا قد تكون الجدة في القديم كما تكون في المعاصرة. انظر أدونيس: مقدمة للشعر العربي، ص ٩٩-١٠٠.
- ١٠ د سامي خشبة: مصطلحات فكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١١٤.
- ١١ أبو بكر الصولي: أدب الكُتّاب، تح: محمد بهجة الأثري، المكتبة السلفية، مصر، ١٣٤١هـ، ص ٨.
- ١٢ ياقوت الحموي: معجم الأدباء (إرشاد الأريب في معرفة الأديب) ت: د إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٣، ص ٢٦٧٧/٦.
- ١٣ ابن خَلِّكَان: وفيات الأعيان، ت: د إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٧٨، ص ٤٤/١. قال عنه أبو تمام: "لولا أن همة إبراهيم سمت به إلى خدمة السلاطين، لما ترك لشاعرٍ خبزاً، يعني لجودة شعره، وله من الكتب: كتاب الرسائل، كتاب الدولة، كتاب الطبخ، كتاب الشعر" انظر الفهرست للنديم، تح: رضا - تجدد بن علي الحائري، طهران، ١٩٧١، ص ١٣٦.

١٤ ابن الأنباري: نزهة الأئمة في طبقات الأدباء، تح: د إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقا، الأردن، ط٣، ١٩٨٥، ص ٢٠٤

١٥. ياقوت الحموي: معجم الأدباء (إرشاد الأريب في معرفة الأديب)، ٢٦٧٧/٦

١٦ انظر الصولي: أخبار أبي تمام، ص ٧.

١٧ ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب في فنون الأدب والبلاغة، إذ يحتوي على علم كثير ومباحث جمة في صنوف الأدب والخطابة والكتابة، وقد قال عنه مؤلفه في مقدمته: "هذا كتاب ألفناه فيما يحتاج إليه أعلى الكُتَّاب درجة، وأقلهم فيه منزلة، وجعلته جامعا لكل ما يحتاج الكاتب إليه حتى لا يعول في جميعه إلا عليه" وقال: "هذا الكتاب هو المستحق أن يسمى أدب الكتاب على الإيجاب لا على الاستعارة". وقد رأى محقق الكتاب (محمد بهجة الأثري) أن هذا يعد تعريضا بابين فتيبة؛ إذ قالوا - ولم ينصفوا- عن كتابه: خطبة بلا كتاب.

١٨ خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢، ١٣٦/٧

١٩ اليافعي: مرآة الجنان وغبرة اليقظان، تحقيق، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ٢٤٤/٢

٢٠ ابن الأنباري: نزهة الأئمة في طبقات الأدباء، ص ٢٠٦

٢١ انظر الآمدي: الموازنة بين أبي تمام والبحتري، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٤٤، ص ٥

٢٢ هو دافيد صمويل مرجليوث، إنجليزي يهودي، من كبار المستشرقين، متعصب ضد الإسلام، عين أستاذ للعربية في جامعة أكسفورد له كتب عن الإسلام والمسلمين، لم يكن مخلصاً فيها للعلم مات سنة ١٩٤٠م من مؤلفاته: "التطورات المبكرة في الإسلام"، و"محمد ومطلع الإسلام"، و"الجامعة الإسلامية". بدأ حياته العلمية بدراسة اليونانية واللاتينية ثم اهتم بدراسة اللغات السامية فتعلم العربية ومن أشهر مؤلفاته ما كتبه في السيرة النبوية، وكتابه عن الإسلام، وكتابه عن العلاقات بين العرب واليهود. ولكن هذه الكتابات اتسمت بالتعصب والتحيز والبعد الشديد عن الموضوعية، ولكن يحسب له اهتمامه بالتراث العربي كمنشره لكتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي، ورسائل أبي العلاء المعري. الزركلي: الأعلام، د عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين: دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٩٣، ص ٥٤٦.

٢٣ السابق: الصفحة نفسها

٢٤ عبد الله بن المعتز: البديع، ت: إغناطيوس كراتشوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ط٣، ١٩٨٢، ص ١.

٢٥ أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي (١٥٠ - ٢٣١ هـ) قال ثعلب: شاهدت مجلس ابن الأعرابي وكان يحضره زهاء مئة إنسان، كان يسأل ويقرأ عليه، فيجيب من غير كتاب، ولزمته بضع عشرة سنة ما

رأيت بيده كتابا قط، ولقد أملى على الناس ما يحمل على أجمال، ولم ير أحد في علم الشعر أغزر منه. وهو ربيب المفضل بن محمد صاحب المفضليات. مات بسامراء. له تصانيف كثيرة، منها (أسماء الخيل وفرسانها - خ) و(تاريخ القبائل) و(تفسير الأمثال) و(شعر الأخطل - ط) و(معاني الشعر)، و(أبيات المعاني - خ) وغيرها، وكان أعلم الناس باللغات والأيام والأنساب وغيرها. انظر نزهة الألباء لابن الأنباري ص ١٢٠ و الأعلام لخير الدين الزركلي ١٣١/٦.

٢٦ الآمدي: الموازنة، ص ٢١.

٢٧ مثل: حماد الرواية ١٥٨هـ، أبو عمرو بن العلاء ١٥٩هـ، خلف الأحمر ١٨٠هـ، إذ كانوا لا ينظرون إلا للشعر القديم المتمثل فقط في الشعر الجاهلي الذي كان يمثل لهم الأصل والمرجع، وقد عبر الأصمعي عن هذا الرأي من خلال كلام أستاذه أبي عمرو بن العلاء إذ قال "جلستُ إلى أبي عمرو عشرَ حججٍ، ما رأيته يحتج بيت إسلامي"، انظر البيان والتبيين للجاحظ: تحقيق د عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٩٩٨، ٣٢١/١.

٢٨ ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، تحقيق د مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٤٣/٢

٢٩ ذكر المرزباني في معجم الشعراء أن الصولي "كان شاعرا مجيدا، قدم لنا قصائد رائعة ومقطعات كثيرة معظمها في المديح والغزل واعترف أدباء عصره بشاعريته ومقدرته الفنية" انظر معجم الشعراء للمرزباني تحقيق عبد الساتر أحمد، القاهرة، ١٩٦٠ ص ٤٦٥، وفي مقدمة أدب الكتاب للصولي قال محقق الكتاب "وليس الصولي من الشعراء المكثرين الذين دونوا الدواوين وقصدوا القصائد، فذلك لم يعد من الشعراء، ولكنه استطاع أن يسمعا من شعره ما تقرط به الأسماع، وتلذه الطباع" انظر الصولي: أدب الكتاب ص ١٤.

٣٠ ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، تحقيق، دائرة المعرفة النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٣، ١٩٨٦، ٤٢٧/٥

٣١ ابن شاذان الشيخ الإمام، المحدث الثقة المتقن أبو بكر، قال الخطيب: كان ثقة ثباتا، كثير الحديث. ولد في ربيع الأول سنة ثمان وتسعين ومائتين وسمع وهو ابن خمس سنين، مات في شوال سنة ثلاث وثمانين وثلاث مائة.

٣٢ ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص ٢٠٥.

٣٣ الآمدي: الموازنة بين الطائنين، ص ٢١.

٣٤ المرزباني: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، طبعة المكتبة السلفية القاهرة، ١٣٤٣هـ، ص ٢٤٦.

٣٥ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢، ٦٣/١



- ٣٦ علي عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبّي وخصومه، تحقيق، د محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية بيروت، ط ١، ٢٠٠٦، ص ٥٣
- ٣٧ قيل إنه " أول من أفسد الشعر، ثم تبعه أبو تمام واستحسن مذهبه، وأحب أن يجعل كل بيت من شعره غير خالٍ من بعض هذه الأصناف " انظر الموازنة للأمدي: ص ٢٠.
- ٣٨ الجاحظ: الحيوان، تحقيق د/ عبد السلام هارون، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٤، ١٣٢/٣.
- ٣٩ السابق، الصفحة نفسها.
- ٤٠ د عبد العزيز عتيق: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص ٣٢٧
- ٤١ د محمد زغلول سلام: تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٢، ص ٦٦
- ٤٢ - كتاب الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ص ١٩٧١، ص ٦١
- ٤٣ ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ٦٤-٧٠
- ٤٤ قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج: كاتب، من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة. كان في أيام المكنفي بالله العباسي، وأسلم على يده، وتوفي ببغداد. يضرب به المثل في البلاغة. له كتب، منها " الخراج - ط " قسم منه، و" نقد الشعر - ط " و" جواهر الألفاظ - ط " و" السياسة " و" البلدان " و" زهر الربيع " في الأخيار والتاريخ، و" نزهة القلوب " و" الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام. انظر الأعلام للزركلي. ١٩١/٥
- ٤٥ قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح، د محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص ٢١٤. ١٩٢
- ٤٦ ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر، تح: د محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط ٥، ١٩٨١، ١٢٤/١.
- ٤٧ ابن الأثير: المثل الثائر، قدم له وعلق عليه، د أحمد الحوفي، د بدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٦٣/١
- ٤٨ المرجع السابق: ص ٦٢
- ٤٩ أخبار أبي تمام: ص ٧٤
- ٥٠ المرجع السابق: ص ٧٢
- ٥١ التّهكّة: أثر الضعف والمرض والهزال، وحقلّد: البخيل، فيريّد الشاعر أن يمدح ممدوحه بأنه عادل وليس بطامع، فهو لا يقل ما ليس له، ولا يظلم أحدا مقدار ذرة خردل، فهو ليس بهاضم حق الأقارب، وليس ببخيل.



- ٥٢ أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، تحقيق د أحمد بدوي، د حامد عبد المجيد، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، مصر، ١٩٦٠ ص ٢٩٧
- ٥٣ المرجع السابق: ص ٢٩٠
- ٥٤ المرجع السابق: ص ١٦
- ٥٥ د يوسف حسين بكار: بناء القصيدة في النقد العربي القديم، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٢، ص ١٤٢.
- ٥٦ أوستن وارين ورونيه ويليك: نظرية الأدب، ترجمة د عادل سلامة، دار المريخ، الرياض، السعودية، ١٩٩٢، ص ١٠٩
- ٥٧ د محمد مندور: النقد والنقاد المعاصرون، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٧ ص ٥٠، وانظر دراسات في الشعر العربي لعبد الرحمن شكري، مقالات جمعها د محمد رجب بيومي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٩٩٤، ص ١٤
- ٥٨ أخبار أبي تمام: ص ١٦.
- ٥٩ المرجع السابق: ص ١٧
- ٦٠ أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص ٢٩٦
- ٦١ د عثمان موافي: الخصومة بين القدماء والمحدثين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٣، ٢٠٠٠، ص ١٦٧.
- ٦٢ الآمدي: الموازنة، ص ١٢٨-١٢٩
- ٦٣ أخبار أبي تمام: ص ٥٣
- ٦٤ د محمد زكي العشماوي: أعلام الأدب العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٧، ص ٣٩٢
- ٦٥ يوسف البديعي: الصبح المنبي عن حثية المتنبى، تح: د مصطفى السقا وآخرين، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ص ١٧٣
- ٦٦ الآمدي الموازنة: ص ١٥٥
- ٦٧ د ميجان الرويلي، د سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص ٢٧٣، وفي هذا الإطار طُرحت قضية النص المفتوح بأنه نص مغلق غير أن قيمة الإنغلاق هذه قيمة إيجابية... إذ إن هذا النص المغلق هو نص منفتح على أية قراءة، وهكذا فالنص المغلق، هو النص الذي يفتح على كل احتمالات التفسير.. ويقبل كل تأويل محتمل.. ومن هذا المنطلق يلعب القارئ دورا حاسما في تحديد نوع النص وتنظيمه.
- ٦٨ د عبد الرحمن محمد القعود: الإبهام في شعر الحدائق، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٢، ص ٢٢٢.

- ٦٩ د جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، تقديم د شوقي ضيف، دار الهلال، القاهرة، ١٦/٢
- ٧٠ د محمد زغلول سلام: تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، ص ٦٦
- ٧١ الديوان: شرح التبريزي، ٣٨٧/١. البيتان من قصيدة يمدح فيها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد. انظر أخبار أبي تمام ص ١٨٦، يقصد أبو تمام هنا قول ليبد:
- إلى الحَوْلِ ثم اسم السلام عليكما  
ومن يلكِ حَوْلًا كاملاً فقد اعتذر
- ٧٢ الديوان: شرح التبريزي، ٢٤٢/٢. ثاني بيت من قصيدة يمدح فيها أحمد بن المعتصم بالله، مطلعها:
- ما في وقوفك ساعة من باسٍ  
نقضي ذمام الأربُع الأدراس
- ٧٣ الديوان: شرح التبريزي، ٣٢/٣، ثاني بيت من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب، ومطلعها هو:
- ليس الوقوف بكفاء شوقك فانزل  
تَبْلُلُ غليلاً بالدموع فتَبَلِّل
- ٧٤ أخبار أبي تمام: ص ١٠١
- ٧٥ المرجع السابق: ص ١٢٧
- ٧٦ التبريزي: شرح الديوان، ٢٩١/٣-٢٩٣ في مدح محمد بن الهيثم بن شبانة:
- لِمُحَمَّدِ بْنِ الْهَيْثَمِ بْنِ شَبَانَةَ  
مَجْدًا إِلَى جَنْبِ السَّمَاءِ مَقِيمٌ  
ومطلعها: اسْقَى طُلُوتَهُمْ أَجْشَ هَزِيمٌ  
وَعَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةً وَنَعِيمٌ
- ٧٧ الوضوح: الضوء والبياض من كل شيء - البهيم: الأسود، يقال: ليل بهيم
- ٧٨ يلوم هنا بمعنى يلوم، وهو يراوح بين حال الغيث من العطاء والمنع.
- ٧٩ يهذي: أي أصابه الهذيان فلا يدري ما يقول - المحموم: الذي أصابته الحمى من شدة المرض وسخونة الجسد.
- ٨٠ المسهوم: هو المغلوب الذي نفذ فيه سهم المقارعة.
- ٨١ ابن سنان الخفاجي (٤٢٣ - ٤٦٦ هـ - ١٠٣٢ - ١٠٧٣ م) عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، أبو محمد الخفاجي الحلبي: شاعر. أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره. له «ديوان شعر - ط» و«سر الفصاحة - ط» انظر الأعلام للزركلي.
- ٨٢ ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢، ص ٨٥
- ٨٣ لم يوضح الجرجاني المقصود بالمعنى البارد في هذا السياق. هل يقصد به المعنى الضعيف أو غير المستاغ أو غير المناسب للموقف. أعتقد أنه كان يحتاج إلى توضيح أكثر.
- ٨٤ القاضي الجرجاني: الوساطة. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد الجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٦، ص ٢٥٩
- ٨٥ الرشاء: حبل الدلو - القلب: هو البئر

- ٨٦ عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح: د محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، السعودية، ط١، ١٩٩١، ص١٠٨
- ٨٧ ابن الأثير: المثل الثائر: ١٨٥/٣
- ٨٨ أخبار أبي تمام: ص٣٢-٣٣
- ٨٩ ابن رشيق: العمدة، ١١٤-١١٥/٢
- ٩٠ د محمد عبد المطلب: هكذا تكلم النص (استنطاق الخطاب الشعري لرفعت سلام)، هيئة الكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٢
- ٩١ عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك بن علي بن أصمغ الباهلي، كان صاحب لغة ونحو وإماما في الأخبار والمُلح والنوادر والغرائب وهو من أهل البصرة قدم إبي بغداد في عهد هارون الرشيد راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. كانت ولادته سنة اثنين، وقيل ثلاث وعشرين ومائة، وتوفي سنة ست عشرة، وقيل أربع عشرة، وقيل خمس عشرة، وقيل سبع عشرة ومائتين. انظر وفيات الأعيان: ابن خَلِّكان، ١٧٠/٣-١٧٥
- ٩٢ ديوان أبي نواس: شرحه: محمود أفندي واصف، المطبعة العمومية، مصر، ط١، ١٨٩٨، ص٢٧٣
- ٩٣ أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين التميمي المازني البصري، أحد القراء السبعة، كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر، وهو في النحو في الطبقة الرابعة من علي بن أبي طالب، رضي الله عنه. قال الأصمعي: قال أبو عمرو بن العلاء: لقد علمت من النحو ما لم يعلمه الأعمش وما لو كتب لما استطاع أن يحمله. وقال أيضاً: سألت أبا عمرو عن ألف مسألة، فأجابني فيها بألف حجة، وكانت ولادته سنة سبعين، وقيل ثمان وستين، وقيل خمس وستين للهجرة بمكة. وتوفي سنة أربع وخمسين، وقيل تسع وخمسين، وقيل ست وخمسين ومائة بالكوفة، انظر وفيات الأعيان: ابن خَلِّكان، ٤٦٦/٣-٤٦٨
- ٩٤ المرزباني: الموشح، ص٧١
- ٩٥ أخبار أبي تمام: ص١٧٢
- ٩٦ ومما ذكره الصولي أنه سمع من أحد الطاعين على أبي تمام أنه قال: دخلت على أبي تمام وهو يعمل شعرا وبين يديه شعْرُ أبي نواس ومسلم، فقلت: ما هذا؟ قال: اللات والعزى، وأنا أعبدهما من دون الله مذ ثلاثون سنة" وكان تحليل الصولي منطقيا إلى حد بعيد، إذ قال مدافعا عن شاعره: وهذا إذا كان حقا فهو قبيح الظاهر، رديء اللفظ والمعنى، لأنه كلامٌ ماجنٌ مشعوف بالشعر. والمعنى أنهما قد شغلاني عن عبادة الشعر عز وجل. انظر أخبار أبي تمام ص ١٧٣



٩٧ الأصمعي: فحولة الشعراء، تحقيق، ش. توزي، تقديم د صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط ١، ١٩٧١، ص ٢٣

٩٨ انظر عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص ٢٣٦، والآمدي: الموازنة، ص ٣٩٥

٩٩ انظر ابن طباطبا: عيار الشعر. تحقيق، د/ محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٠، ص ٢٢؛ إذ ربط ابن طباطبا بين الصدق والحق من ناحية والشعر اللطيف المعنى، الحلو اللفظ، التام البيان، وبين الملازمة للمعنى من ناحية أخرى: كالممدح في حال المفاخرة وكالتهجاء في حال مباراة المهاجي، كالغزل والنسيب عند شكوى العاشق فإذا وافقت هذه الحالات تضاعف حسن موقعها عند مستمعها، بما يجذب القلوب من الصدق عن ذات النفس بكشف المعاني المختلجة فيها، والتصريح بما كان يكتم منها، والاعتراف بالحق في جميعها " وأشار قدامة إلى القضية ذاتها في نقد الشعر: تحقيق د محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية بيروت، ص ٦٨ بقوله " الشاعر ليس يوصف بأن يكون صادقا، بل إنما يراد منه إذا أخذ في معنى من المعاني كان ما كان أن يجيده في وقته الحاضر" وقد تحدث د محمد مندور عن الفرق بين المثالية والواقعية مفرقا بين شخصيتين من الناس وهما: المثالي رجل لا يحب أن يغمس في الواقع عن قرب ويحب أن يحلق بالخيال وأن يتحدث عن أمانيه، ولقد يخيل له فرط حماسه لتلك المعاني أنها حقائق ... والواقعيون شديدي الفطنة إلى ما يحيط بهم، وهم أميل إلى التشاؤم والحذر وسوء الظن " انظر د محمد مندور، في الأدب والنقد، نهضة مصر، القاهرة، ص ١٠٨. وقد نادى كثير من النقاد بضرورة الفصل بين الصفات العامة والصفات الخاصة للممدوح، وأن يكون الشاعر متحررا للصدق، ولا يعاقل في الكلام. وهذا ما دفع عمر بن الخطاب إلى تفضيله شعر زهير بن أبي سلمى وجعله أشعر الشعراء، لأنه لم يكن يمدح الرجل إلا بما فيه ويتعد عن حوشي الكلام. انظر د محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٢١٤.

١٠٠ أبو حاتم سهل بن عثمان بن يزيد السجستاني، النحوي اللغوي المقرئ<sup>٣</sup> نزيل البصرة وعالمها، كان كثير الرواية عن أبي زيد الأنصاري، وأبي عبيدة، والأصمعي، عالما باللغة والشعر، حسن العلم والعروض، له من الصنمفات: إعراب القرآن وما يحلن فيه العامة، والطيور وغيرها، كانت وفاته في سنة ثمان وأربعين ومائتين وقيل خمسين وقيل أربع وخمسين وقيل خمس وخمسين ومائتين بالبصرة. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان، ٢/ ٤٣٠-٤٣٣.

١٠١ الأصمعي: فحولة الشعراء، ص ٥

١٠٢ المرجع السابق: الصفحة نفسها.

١٠٣ المرجع السابق: ص ١٣



١٠٤ د محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص ٢١٢. وقد دلل د غنيمي هلال على ذلك الرأي بتصنيف ابن رشيق في العمدة بأن الشعر منه ما هو "خير كله كالزهدي والمواعظ الحسنة، وشعر هو ظرف كله، وذلك القول في الأوصاف والنعوت والتشبيه، وشعر هو شر كله، كالهجاء وما تسرع به الشاعر إلى أعراض الناس، وشعر يُكسب به"

١٠٥ أخبار أبي تمام: ص ١٧٣

١٠٦ هناك من الشعراء من شدَّ عن الطريق، وأمعن في هجاء بعض الأفراد، سواء كانوا أشخاصاً عاديين، أو أمراء، أو سلاطين، وقام بمناصرة فرق وتيارات معادية لبعض الخلفاء وأصحاب النفوذ؛ حتى قاده شعره ولسانه إلى الموت؛ فصار صريعاً لشعره، وقتله لسانه ومن هؤلاء: أبو الطيب المتنبّي هجا امرأة؛ فقتله أخوها. - بشار بن برد هجا المهدي؛ فأمر بضربه بالسوط حتى مات. قصيدة أبي نُخَيْلة أضاعت ولاية العهد من عيسى بن موسى، وعقدتها للمهدي؛ فقتل الشاعر بسببها! وَضَّاح اليمَن تَعَزَّلَ بقصائده في أم البنين، زوجة الوليد بن عبد الملك؛ فقتله. طَرْقَة بن العبد هجا عمرو بن هند، ملك الحيرة؛ فأمر بقتله. انظر كتاب (شعراء قتلهم شعرهم) للباحث - سمير فراج، مكتبة مدبولي القاهرة، ط ١، ١٩٩٧.

١٠٧ أخبار أبي تمام: ص ١٧٤

١٠٨ أخبار أبي تمام: ص ٢٤١

١٠٩ ابن المُعَدَّل (٠٠٠ - نحو ٢٤٠ هـ - ٠٠٠ - نحو ٨٥٤ م) عبْد الصَّمَد بن المُعَدَّل بن غيلان بن الحكم العبدي، من بني عبد القيس، أبو القاسم: من شعراء الدولة العباسية. ولد ونشأ في البصرة. كان هجاءً، شديد المعارضة سَكِّيراً خميراً. انظر الأعلام للزركلي، ١١/٤.

١١٠ أخبار أبي تمام: ص ٢٤٢، وذكره المرزباني في معجم الشعراء بقوله: عليّ بن الوليد أو الوليد، ولم يذكر أكثر من ذلك.

١١١ أخبار أبي تمام: ص ٢٤٣

١١٢ المرجع السابق: ٢٣٥-٢٣٨

١١٣ قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص ٦٥-٦٦

١١٤ المرجع السابق: الصفحة نفسها.

١١٥ القاضي الجرجاني: الوساطة بين المتنبّي وخصومه، تحقيق د محمد أبو الفضل إبراهيم - د علي محمد الجاوي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط ١، ٢٠٠٦، ص ٦٢

١١٦ هو أبو محمد عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب، المولود في حمص ١٦٦ هـ التقى أبا نواس الذي قال عنه "قد فتنت أهل العراق بشعرك" وقال عنه دعبل الخزاعي "ما له يستر وهو أشعر"

- الجن والإنس " وقد أخرج لأبي تمام من درجه كتابا وقال له " يا فتى تكسب من هذا أو استعن به على شعرك" مات في سنة ٢٣٥ وقيل في سنة ٢٣٦ في خلافة المتوكل . انظر ديك الجن: ديوانه، تحقيق، د أحمد مطلوب، د عبد الله الجبوري، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص ٥-١٥
- ١١٧ القاضي الجرجاني: الوساطة: ص ٦٢-٦٣، وقد صحح محققا الكتاب البيت الأول من كتاب الموشح للمرزياني ص ٢٧٦، وقد ذكر البيت في الهامش مصححا على النحو التالي:
- يا ناظراً في الدين ما الأمرُ لا قدرَ صحَّ ولا جبرُ
- ١١٨ المرجع السابق: ص ٦٣
- ١١٩ د محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٧٦
- ١٢٠ السابق: ص ٨١
- ١٢١ الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي، ت ٢٥٠ هـ أبو علي: كاتب، من الشعراء. كان معاصراً لأبي تمام، وله معه أخبار، استكتبه الخلفاء، ومدحه أبو تمام. وهو أخو سليمان (وزير المعتز والمهتدي) مات في آخر أيام المتوكل بالشام، وكان مولده سنة ست وثمانين ومائة، ولما مات رثاه الباحثي. انظر معجم الأدباء ياقوت الحموي، ١٠١٦/٣، والأعلام للزركلي، ٢/٢٢٦.
- ١٢٢ أخبار أبي تمام: ص ٢١٠
- ١٢٣ أ.أ. ريتشاردز: مبادئ النقد الأدبي، ترجمة د: محمد مصطفى بدوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٥، ص ١١٢
- ١٢٤ ابن طباطبا: عيار الشعر، ص ٢٥
- ١٢٥ الموازنة: ص ١١
- ١٢٦ ابن الأثير: المثل السائر، ٤/ ٦-٧
- ١٢٧ روبرت هولب: نظرية التلقي، ترجمة د عز الدين إسماعيل، كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة، ط - ١، ١٩٩٤، ص ٩٧. يعرف أفق التوقعات بأنه نظام العلاقات أو جهاز عقلي يستطيع فرد افتراضي أن يواجه به أي نص، ص - ١٦.
- ١٢٨ أ عبد القادر القط: مقالة الغموض في الشعر، مجلة الآداب ع ٥، مايو ١٩٦٤ ص ٧٨.
- ١٢٩ د محمد زكي العشماوي: أعلام الأدب العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص ٣٩١.
- ١٣٠ د جابر عصفور: الخيال، الأسلوب، الحداثة ( مقالات مترجمة) المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٥، ص ٢٢٠
- ١٣١ أخبار أبي تمام: ص ٥٠
- ١٣٢ وفي الشأن ذاته فقد حاول د نصر حامد أبو زيد أن يبحث في قضية الغموض عند النحاة وعده من الحقول التي أثاروا فيها فضول المتلقي للبحث والتنقيب. يقول: " لقد أجهد النحاة النصوص

بالتأويل، لأنهم خالطوا بين أمرين من الحق أن يفرق بينهما: وهما (المعنى الشكلي) و(المعنى الفلسفي).. ومما يتصل بهذه النبرة الاستعلالية في نظر المحدثين للتراث اللغوي، الحديث عن (التعقيد) الذي تسبب فيه النحاة. وكثيرا ما يستندون إلى ما رواه الجاحظ عن أبي الحسن الأخفش (ت- ٢١١ هـ) من أنه تعمد الغموض والعسر في كتبه حتى يلتبس من الناس تفسيرها رغبة في التكسب بها. انظر د نصر حامد أبو زيد: إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي، ط- ٢، شتبر ١٩٩٢، ص- ٩٢. ومن ثم فإن الغموض وفقا للرأي السابق صار هدفا في ذاته لمجلبة نفع وخير للشاعر ولكن لا يتأتى له هذا الأمر إلا من خلال معرفته بدقائق اللغة وتفصيلاتها لتغيب القاريء.

١٣٣ د مدحت الجيار: الغموض المستساغ (رؤية للنص الشعري) مجلة الشعر، القاهرة، العدد ١٢٣، خريف ٢٠٠٦، ص ٣٤

١٣٤ القاضي عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتبني وخصومه، تحقيق د محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد الجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٦، ص ٣٤٥.

١٣٥ د جابر عصفور: الخيال، الأسلوب، الحداثة، ص ٢٢٠

١٣٦ سالم عباس خدادة: مقالة عن التجريد، مجلة العربي، العدد ٣٥١، فبراير، ١٩٨٨، ص ١٥٠

١٣٧ د عبد الرحمن محمد القعود: الإبهام في شعر الحداثة، ص ١٩٣

١٣٨ إيمانويل فريس- برنار موراليس: قضايا أدبية عامة: ترجمة د لطيف زيتوني، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٤، ص ١٧

١٣٩ د جابر عصفور: الخيال، الأسلوب، الحداثة، ص ٢٢١-٢٢٢

١٤٠ أخبار أبي تمام: ص ٢٤٤

١٤١ هو خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني، كان واليا على أرمينية في أيام الواثق، مات سنة ٢٣٠ هـ، انظر الأغاني: ١٥/١٠٤

١٤٢ التبريزي: الديوان، ٤٠٥/١، قال الصولي في شرحه لهذا البيت: يقول شدة رزئي: أي وجدي ومصيبي، تدل على أنك عفوت من حمد مني لك، وقال المرزوقي: إنما استشهد أبو تمام على رزئه بحال الطلل، ولم يعرف المراد، وأخذه عليه الآمدي في الموازنة بقوله: "فلأن يكون الحاضر شاهدا على الغائب أولى من أن يكون الغائب شاهدا على الحاضر" ويرى الباحث أن الغائب عند أبي تمام - كما يرى الآمدي- هو حال الطلل، والحاضر هو حال أبي تمام وما عليه من رزء، وما يدربنا إن كان هناك قلب في الترتيب بين الحاضر والغائب، ولكن لا ضير من أن يكون ذلك الغائب هو السبب في



حال التفجع، وقد يكون قد أخذ أبو تمام هذه الحال مما اعتاده القدماء من حال الطلل البالي وأثره فيمن يتأذى من الفراق. والتقدير في البيت السابق: يا طَلَلُ الجميع.

١٤٣ أخبار أبي تمام: ص ٢٤٥

١٤٤ التبريزي: الديوان، ٣٦٠/١، (الأخفلي): أن يدعى القوم كلهم؛ و (الثقفي): أن يختص بعضهم، و(الوحداد): كأنه جمع وحيد مثل: كريم وكرام، يقول: كان عرفك نضرا في العموم والآحاد، وكأنه قابل بين (الأخفلي) و(الثقفي).

١٤٥ ابن المعتز: رسالة في محاسن شعر أبي تمام ومساوئه، تح د عبد الكريم الحبيب، جامعة البعث، حمص، ع ٨٥، من أبحاث مجمع اللغة العربية الأردني، ص ١٢

١٤٦ التبريزي: الديوان، ٣٥٧/١

١٤٧ ابن المعتز: رسالة في محاسن أبي تمام ومساوئه، تح د عبد الكريم الحبيب، ص ١٣

١٤٨ د باسم محمد إبراهيم: المنظور البلاغي للغموض في شعر أبي تمام، مجلة الفتح، ع ٣١، كلية التربية، جامعة ديالى، ٢٠٠٧

١٤٩ سورة يوسف: الآيات ٨٤-٨٦

١٥٠ هو أبو عبد الله أحمد بن حرب أبو هفان المهزبي الشاعر، كان من أهل البصرة وسكن بغداد، كان له محل كبير في الأدب، وحدث عن الأصمعي، وروى عنه أحمد بن طاهر، انظر الفهرست لابن النديم/١/٢٤٥.

١٥١ أخبار أبي تمام: ص ٢٤٥

١٥٢ الآمدي: الموازنة: ص ١١

١٥٣ المرجع السابق: الصفحة نفسها

١٥٤ أخبار أبي تمام: ص ٤

١٥٥ أخبار أبي تمام: ص ١٧٤

١٥٦ أخبار أبي تمام: ص ١٤

١٥٧ هذا كتاب للدكتور عبد الرحمن محمد القعود وقد تناول فيه النظريات الغربية الحديثة ونظرتها إلى الشعر الحديث وعناصر الغموض والإبهام فيه، وقد حدد مظاهر الإبهام فيه بعدة عناصر منها: الغياب الدلالي متضمنا غياب الموضوع والتجريد والشعر الصافي ( الذي عرض له د محمد مندور في كتابه: في الميزان الجديد) والشعر الصامت، وكذلك التشتت الدلالي المؤدي إلى غياب الوحدة داخل النص الشعري، ناهيك بما يقوم به عامل الخوف من السلطة مثل قول أحد الشعراء:

لقد خفت حتى لو تمر حمامة

لقلت: عدو أوطيعة معشر

فإن قيل: أمن، قلت: هذي خديعة

وإن قيل: خوف، قلت: حقا فشمّر



١٥٨ التبريزي: الديوان، ٣/٣٢٨-٣٣٠

١٥٩ تلك المواضع حددها أبو محمد بن العلاء السجستاني - صاحب البحري - في الشواهد التالية، أولها في مدح الحسن بن وهب، ويصف فرسا له:

تَأْتِي عَلَى التَّصْرِيدِ إِلَّا نَانِلًا      إِلَّا يَكُنْ مَاءَ قَرَاخَا يُمْدَقِ  
نَزْرًا كَمَا اسْتَكْرَهَتْ عَائِرَ نَفْحَةٍ      مِنْ فَاةِ الْمِسْكَ الَّتِي لَمْ تُفْتَقِ

ثانيها قوله:

بَنِي مَالِكٍ قَدْ نَبَّهْتُ خَامِلَ الشَّرِيِّ      قَبِيْرٌ لَكُمْ مُسْتَشْرِفَاتِ الْمَعَالِمِ  
رَوَاكِدُ قَيْسِ الْكَفِّ مِنْ مُتَنَاوِلٍ      وَفِيهَا عَلِيٌّ لَا تُرْتَقَى بِالسَّلَالِمِ

وثالثها قوله:

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ      طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسِيْدٍ  
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ      مَا كَانَ يُعْرَفُ طَيْبُ عَزْفِ الْعُوْدِ

البيتان الأخيران في مدح أبي عبد الله أحمد بن أبي دؤاد، ويعتذر إليه. وعلى الرغم مما قاله السجستاني عن أبي تمام ومعانيه إلا أن صاحب الموازنة أقر بكثرة معاني أبي تمام وأن له "مخترعات كثيرة وبدائع مشهورة" انظر الموازنة ص ١٢٣-١٢٤

١٦٠ المرزوقي: ديوان أبي تمام، تحقيق غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١، ٢٠٠٣، ص ١٢.

١٦١ التبريزي: مقدمة محقق الديوان، ص ٢٣

١٦٢ المرجع السابق، ٩٧/١، "عجماء لا ينطق فيها ناطق، لكن البلى والتغير ينطق فيها مُعْرَبٌ عن ذهابها، وطابق بين العجماء والمُعْرَب" يرى الباحث ان البلى هنا قد يتسق بعدم قدرة النقاد فهم بعض شعره، ولكنه يأمل أن يكون البلى بعدم الفهم طريقة للفهم الجيد مستقبلا بعد التوسع الثقافي في بلد العجم الذين لا يفهمون شعره البين في نظره.

١٦٣ المرجع السابق: ١٠٧/١، القصيدة نفسها، أي شاعر يأتي بغريب المعاني في رجل غريب المكارم والأخلاق.

١٦٤ المرجع السابق: ٢١٣/١، فهو يريد أن يقول: إن الفكر هو الذي عمل هذه المعاني التي سيقَت إليك.

١٦٥ المرجع السابق: ٢١٤/١. يقول: إن هذه المعاني الغريبة لم يفهمها غيرك، فلما بلغتك علمت أنها وقعت موقعها.

١٦٦ المرجع السابق: ١٢١/١ يقول: إن تلك المعاني الغريبة ليست بغريبة في عيني ممدوحه لأنه الأقدر على فهمها والعلم بها.

١٦٧ أخيار أبي تمام: ٢١٩-٢٢٠

١٦٨ د جابر عصفور: الخيال، الأسلوب، الحدائث، ص ٢٥٦

## المصادر والمراجع

## أولاً: المصادر:

- أ- ١- القرآن الكريم.
- ب- مصادر مطبوعة:
- الآمدي ( أبو القاسم الحسن ابن بشر، ت: ٣٧٠هـ):
- ٢- الموازنة بين أبي تمام والبحري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٤٤.
- ابن الأثير ( ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد - ت ٦٣٧ هـ ):
- ٣- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدّم له وعلّق عليه، د/ أحمد الحوفي ود/ بدوى طبانة، نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٦٢م.
- أسامة بن منقذ (بن مُرشد على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى - ت ٥٨٤ هـ):
- ٤- البديع فى نقد الشعر، تحقيق: الدكتور أحمد بدوى، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠م.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت: ٣٥٦هـ):
- ٥- كتاب الأغاني، تحقيق: د/ إحسان عباس، د/ إبراهيم السّعافين، أ/ بكر عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- الأصمعي (عبد الملك بن قريّب، ت: ٢١٦هـ):
- ٦- فحولة الشعراء: تحقيق، ش. توري، تقديم د صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط: ١، ١٩٧١.
- ابن الأنباري (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، ت: ٥٧٧هـ):
- ٧- زهة الأبياء في طبقات الأدباء، تحقيق: د إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقا، الأردن، ط: ٣، ١٩٨٥.

- أبو بكر الصولي، محمد بن يحيى، ت. ٣٣٥ هـ) :
- ٨- أدب الكُتّاب، تحقيق: محمد بهجة الأثري، المكتبة السلفية، مصر، ١٣٤١ هـ.
- ٩- أخيار أبي تمام، حققه: د محمد عبده عزام وآخرون، قدم له د أحمد أمين، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٠ م.
- التبريزي ( أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب-ت ٥١٢ هـ)
- ١٠- شرح ديوان أبي تمام، تحقيق، د محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٨٧ م.
- الجاحظ ( أبو عثمان عمرو بن بحر - ت ٢٥٥ هـ) :
- ١١- البيان والتبيين، تحقيق: د/ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:٧، ١٩٩٨.
- ١٢- الحيوان، تحقيق د/ عبد السلام هارون، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٤.
- ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي، ت: ٨٥٢ هـ):
- ١٣- لسان الميزان، تحقيق، دائرة المعرفة النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت، ط:٣، ١٩٨٦.
- ابن خلّكان ( أبي شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر- ت ٦٨١ هـ):
- ١٤- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م.
- ديك الجن(أبو محمد عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام ت٢٣٥ هـ)
- ١٥- الديوان، تحقيق، د/ أحمد مطلوب، د/ عبد الله الجبوري، دار الثقافة، بيروت، لبنان. د.ت
- الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر-ت ٦٦٦ هـ):
- ١٦- مختار الصحاح، مكتبة لبنان، ١٩٨٦.
- ابن رشيقي ( أبي علي الحسن بن رشيقي القيرواني الأزدي - ت ٤٥٦) :
- ١٧- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.
- الزُّركلي، (خير الدين بن علي بن فارس، ت: ١٩٧٦ م):



- ١٨- الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة، الخامسة عشرة، ٢٠٠٢.
- ابن سنان الخفاجي (أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي - ت ٤٦٦هـ):
- ١٩- سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- ابن طباطبا العلوي (محمد بن أحمد - ت ٣٢٢هـ):
- ٢٠- عيار الشعر، تحقيق، د محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٠.
- ابن عبد ربه (الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ت: ٣٢٨هـ):
- ٢١- العقد الفريد، تحقيق: د/ مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.
- الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب - ت: ٨١٧هـ):
- ٢٢- القاموس المحيط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط: ٤، ٢٠٠٩.
- القاضي الجرجاني (علي بن عبد العزيز بن الحسن - ت: ٣٩٢هـ):
- ٢٣- الوساطة بين المتبني وخصومه، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٦.
- عبد القاهر الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن - ت ٤٧١هـ):
- ٢٤- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم - ت ٢٧٦هـ):
- ٢٥- الشعر والشعراء، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٨٢.
- قدامة بن جعفر (ت: ٣٣٧هـ):
- ٢٦- نقد الشعر، تحقيق: د/ محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- لجنة من العلماء:
- ٢٧- معجم الألفاظ القرآنية، إصدار مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٨٩.

- لجنة من العلماء:
- ٢٨- المعجم الوسيط، مادة، مكتبة الشروق، القاهرة، ط٤، ٤٤، ٢٠٠٤.
- المرزباني، أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت: ٣٨٤هـ):
- ٢٩ - معجم الشعراء، تحقيق عبد الساتر أحمد، القاهرة، ١٩٦٠.
- ٣٠- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، نشرته: جمعية نشر الكتب العربية، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٣هـ.
- المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، ت: ٤٣١ هـ):
- ٣١- ديوان أبي تمام، تحقيق غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.
- ابن المعتز (عبد الله بن المعتز بن المتوكل - ت ٢٩٦هـ):
- ٣٢- كتاب البديع، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس (اغناطيوس كراتشكوفسكي) دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢ م.
- ٣٣- رسالة في محاسن شعر أبي تمام ومساوئه، تحقيق: د/ عبد الكريم الحبيب، جامعة البعث، حمص، ع: ٨٥، مجمع اللغة العربية الأردني.
- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور المصري- ت: ٧١١هـ):
- ٣٤- لسان العرب، دار المعارف، ١٩٨٥.
- ابن النديم (محمد بن أبي يعقوب، ت: ٣٨٠هـ):
- ٣٥- الفهرست، تحقيق / رضا تجدد بن علي الحائري، طهران، ١٩٧١.
- أبو نواس (الحسن بن هاني، ت: ١٩٨هـ):
- ٣٦- الديوان، شرحه: محمود أفندي واصف، المطبعة العمومية، مصر، ط: ١، ١٨٩٨.
- أبو هلال العسكري (أبو أحمد الحسن بن عبد الله - ت ٣٨٢ هـ):
- ٣٧- كتاب الصناعتين، تحقيق: علي محمد الجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٧١.
- الياضي (أبو محمد عبد الله بن أسعد- ت ٧٦٨هـ):

- ٣٨- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٩٩٧.
- ياقوت الحموي (ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ت: ٦٢٦هـ):
- ٣٩- معجم الأدباء (إرشاد الأريب في معرفة الأديب) ت: د إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: ١، ١٩٩٣.
- يوسف البديعي: (الدمشقي-ت ١٠٧٣هـ)
- ٤٠- الصبح المنبي عن حثية المتنبئ، تحقيق: د/ مصطفى السقا وآخرين، ط: ٣، دار المعارف، القاهرة.
- ثانياً: المراجع:
- أ- المراجع العربية:
- أدونيس:
- ٤١- مقدمة للشعر العربي، دار الساقي، بيروت، ١٩٧١
- د/ جابر عصفور:
- ٤٢- الخيال، الأسلوب، الحداثة (مقالات مترجمة) المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٥
- د/ جرجي زيدان:
- ٤٣- تاريخ آداب اللغة العربية، راجعه وعلق عليه: د/ شوقي ضيف، مؤسسة دار الهلال.
- د/ عبد الرحمن بدوي:
- ٤٤- موسوعة المستشرقين: دار العلم للملايين، بيروت، ط: ٣، ١٩٩٣م.
- عبد الرحمن شكري:
- ٤٥- دراسات في الشعر العربي، مقالات جمعها د/ محمد رجب بيومي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط: ١، ١٩٩٤.
- د/ عبد الرحمن محمد القعود:
- ٤٦- الإبهام في شعر الحداثة، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٢.

- د/ سامي خشبة:  
٤٧- مصطلحات فكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.
- د/ سمير فراج:  
٤٨- شعراء قتلهم شعرهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط: ١، ١٩٩٧.
- د/ عثمان موافي:  
٤٩- الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٠.
- د/ عبد العزيز عتيق:  
٥٠- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣.
- د/ محمد زغلول سلام:  
٥١- تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٢.
- د/ محمد زكي العشماوي:  
٥٢- أعلام الأدب العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٧.
- د/ محمد غنيمي هلال:  
٥٣- النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٧.
- د/ محمد عبد المطلب:  
٥٤- هكذا تكلم النص (استطاق الخطاب الشعري لرفعت سلام)، هيئة الكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.
- د/ محمد مندور:  
٥٥- في الأدب والنقد، نهضة مصر، القاهرة.
- د/ محمد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٢.
- د/ محمد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٧.
- د/ ميجان الرويلي، د/ سعد البازعي:



- ٥٨- دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: ٥، ٢٠٠٧.
- د/ نصر حامد أبو زيد:
- ٥٩- إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي، ط: ٢، شتبر ١٩٩٢.
- د/ وحيد كتيّبة:
- ٦٠- معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان، ط: ١، ٢٠١٢.
- د/ يوسف حسين بكار:
- ٦١- بناء القصيدة في النقد العربي القديم، دار الأندلس، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٢.
- ب- المراجع المترجمة:
- أ.أ. ريتشاردز:
- ٦٢- مباهي: نقد الأدبي، ترجمة: د/ محمد مصطفى بدوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٥.
- أوستن وارن وارينه ويليك:
- ٦٣- نظرية الأدب، ترجمة: د/ عادل سلامة، دار المريخ، الرياض، السعودية، ١٩٩٢.
- إيمانويل فريس - برنار مورالس:
- ٦٤- قضايا أدبية عامة: ترجمة د/ لطيف زيتوني، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٤.
- روبرت هولب:
- ٦٥- نظرية التلقي، ترجمة: د/ عز الدين إسماعيل، كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة، ط: ١، ١٩٩٤.
- ثالثاً: الدُّوريات:
- د باسم محمد إبراهيم:
- ٦٦- المنظور البلاغي للغموض في شعر أبي تمام، مجلة الفتح، عدد: ٣١، كلية التربية، جامعة ديالى، ٢٠٠٧.

- ٦٥ - د سالم عباس خدادة:
- ٦٧ - مقالة عن التجريد، مجلة العربي، عدد: ٣٥١، فبراير، ١٩٨٨.
- ٦٥ - أ/ عبد القادر القط:
- ٦٨ - مقالة الغموض في الشعر، مجلة الآداب، عدد: ٥، مايو ١٩٦٤.
- ٦٧ - د/ مدحت الجيار:
- ٦٩ - الغموض المستساغ (رؤية للنص الشعري) مجلة الشعر، القاهرة، عدد: ١٢٣، خريف ٢٠٠٦.

حَيَاةُ السَّرْدُ فِي «سِيرَةِ حَيَاتِي» لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ

بَدَوِي

(دراسةٌ في الموضوع وفي الفنّ)

محمد شمس عُقاب

باحثٌ بمركز المخطوطات

مكتبة الإسكندرية

في ضوء التراث الأدبي العربي

بمقدّم

د. محمد عبد الحليم

بالتفصيل في

تاريخها الأدبي

في القرنين



من شُرُفات متعددة، يُطلُّ علينا عبدُ الرحمن بدوي<sup>(١)</sup>. وها هي شرفة أخرى جديدة، من شرفاته العديدة، نراه منها، شرفة السيرة.

في «سيرة حياتي»<sup>(٢)</sup> غرابة وامتياز، وفيها أخبارٌ لم يذكرها إلا هنا. وفيها قَعَقَعَةٌ وجَلْبَةٌ وهدير. وفيها حماسةٌ ملتبهة، وأحاسيس ملتبهة. وفيها أشياء غير ذلك.

ولماذا ندرسها؟ لأن هذه السيرة تفاصيلُ حياة عَلم بين أعلام الثقافة العربية الشاهقة. يُهمنا أن نرقب منها ابتداءها واكتمالها، وتفصيلَ عناصرها. إن "السيرة الذاتية ليست سيرة الأعمال والأحداث نفسها، ولكنها سيرة إنسانٍ يعمل. وعلى ذلك تكون الشخصية قبل

(١) عبد الرحمن بدوي (١٩١٧ - ٢٠٠٢م) ولد في قرية شَرْباص التابعة لمركز فارسكور بدمياط لوالدٍ هو عمدةُ قريته، وكان الخامس عشر من بين ٢١ شقيقًا وشقيقة، نال شهادة البكالوريا من المدرسة السعيدية بالجيزة سنة ١٩٣٤، ثم تخرج في قسم الفلسفة بكلية الآداب، جامعة فؤاد الأول (القاهرة فيما بعد) سنة ١٩٣٨، حصل على الدكتوراه في موضوع (الزمان الوجودي) سنة ١٩٤٤ ناقشه فيها الدكتور طه حسين. انتقل من جامعة فؤاد الأول بعد أن بلغ درجة أستاذ مساعد إلى جامعة إبراهيم باشا (عين شمس فيما بعد) ليؤسس قسم الفلسفة بكلية الآداب سنة ١٩٥٠. في يناير ١٩٥٩ عُيِّن أستاذ كرسي. شغل منصب أستاذ الفلسفة في جامعات طرابلس، وطهران، والكويت، والسوربون، واختير أستاذًا بالكوليج دي فرانس، وكان ذلك مصدر فخرٍ له. عمل مستشارًا ثقافيًا ومدير البعثة التعليمية في بيرن في سويسرا منذ مارس ١٩٥٦ حتى نوفمبر ١٩٥٨. اختير عضوًا في لجنة الخمسين التي كتبت دستور مصر سنة ١٩٥٤. له عشرات التأليف في الأدب والفلسفة والأخلاق وتاريخ الفكر اليوناني، فقد ألف عن نيتشه وأفلاطون وأرسطو واشنجلر وشوبنهاور، وألف عن المنطق الصوري، والتصوف في الإسلام، ومذاهب الإسلاميين، وضع كتابًا عن الأدب الألماني في نصف قرن، وجمع موسوعةً عن المستشرقين، وكتب كتابين آخر حياته بالفرنسية في الدفاع عن محمد صلى الله عليه وسلم، والدفاع عن القرآن. وله علاوةً على ذلك ديوانا شعر. حقق كتاب أرسطو في المنطق، وكتاب الخطابة له بالترجمة العربية القديمة. كما أن له عشرات الترجمات عن اللغات التي كان يجيدها كالفرنسية والإسبانية والألمانية والإنجليزية والإيطالية واليونانية واللاتينية، وكان حريصًا على ترجمة عيون الأدب العالمي كاللصوص لشيلر، ودون كيخوته، وفاوست لجنته، وتراجيديات سوفوكليس وإسخيلوس. كما ترجم دراساتٍ للمستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ودراساتٍ أخرى في النقد التاريخي. نال جائزة الدولة التشجيعية في الفلسفة الإسلامية سنة ١٩٦١، وجائزة مبارك في العلوم الاجتماعية سنة ١٩٩٩. (انظر في ترجمته الكتاب موضوع هذه الدراسة: سيرة حياتي، للدكتور عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١/ ٢٠٠٠م، وانظر أيضًا: عبد الرحمن بدوي: فيلسوف الوجودية الهارب إلى الإسلام، لسعيد اللاوندي (مركز الحضارة العربية بالقاهرة ٢٠٠١م)؛ وعبد الرحمن بدوي: دراسات مهداة في عيد ميلاده الثمانين، بإشراف الدكتور أحمد عبد الحلیم عطية، (الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٢م).

(٢) سيرة حياتي، للدكتور عبد الرحمن بدوي (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١/ ٢٠٠٠م).

الحدث، الشخصية في تطورها، وأثر الحدث الخارجي في تحريكها، فالأحداث رموزاً على مسار الشخصية، رموزاً توحي إichاء، ورموزاً تتجمّع لفتح لنا مغالبي الشخصية، وتُشير إلى منعطفاتها"<sup>(١)</sup>. إنَّ سيرة عبد الرحمن بدوي أدبٌ دقّاق حيّ، وفرعٌ متجدّدٌ نما من بين أحضان السير الذاتية العربية.

وهذه الدراسة هي الأولى التي تتناول سيرة عبد الرحمن بدوي في علمي القاصر، فمغفراً إن اعترأها ما يعترئ أمثالها من عيب ونقص. وكيف لا يكون! والسيرة الذاتية في الدراسة الأدبية لا تزال تحتاج إلى مزيدٍ من التنظير والاستقصاء والبحث<sup>(٢)</sup>، سواء أكان ذلك في أدبنا العربي القديم أم الحديث<sup>(٣)</sup>.

(١) السيرة تاريخٌ وفن، للدكتور ماهر فهمي حسن ص ٢٢٤ (مكتبة النهضة المصرية، ط ١/ ١٩٧٠م).  
 (٢) انظر: في طفولتي: دراسة في السيرة الذاتية العربية، لتيتز رووكي ص ٥٧ (ترجمة طلعت الشايب، المجلس الأعلى للثقافة، ط ٢/ ٢٠٠٢م).  
 (٣) السيرة الذاتية نوعٌ سرديٌّ قديم الظهور عند العرب، فقد نقلت إلينا نصوصٌ منه منذ القرن الأول للهجرة، منذ أن حكى سلمان الفارسي قصة إسلامه، مروراً بنصيب الشاعر، وإبراهيم الموصلي، وابن الهيثم، وابن سينا، وعبد اللطيف البغدادي وغيرهم؛ ولكنَّ هؤلاء لم يكتبوا سوى قطع متفرقة من السيرة لذواتهم، لا تبلغ إحداها أن تكون سيرةً مكتملة. ولم يقتصر الأمر على هذه القطع، بل ظهرت رسائل فيها حديثٌ عن النفس عند محمد بن زكريا الرازي في بعض رسائله، وأبي حيّان التوحدي في "الصدّاقة والصدّيق"، وابن الجوزي في "لُفحة الكبد". وظهرت كتبٌ تذكر سيراً لأصحابها، ك"طوق الحمامة" لابن حزم الذي خصّه بجانب الحب من حياته. ومن الكتب التي عرضت جانباً واحداً من الحياة أيضاً كتاب المؤيد في الدين داعي الدعاة الفاطمي الذي أصفاه للجانب السياسي، ومثله في هذا الجانب سيرة الأمير عبد الله بن بلقين من ملوك الطوائف في كتابه "التبيان". ونمضي قليلاً فنجد الغزالي قد وضع كتابه "المُنقذ من الضلال" ليعرض فيه تجربته الصوفية، ويضع عمارةً اليمني كتابه "الثّكت العصريّة" ليعرض فيه تجربته السياسية. ثم يأتي أسامة بن مُنقذ ليكتب لنا سيرة حياته في كتابه "الاعتبار" مازجاً إياها بالتاريخ والفوائد والأخبار التي يُستنبط منه العبرة والعظة. ولعل آخر بذور السيرة العربية التي وصلت إلينا كتاب "التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً" التي كتبها بنفسه وجعلها ذليلاً على تاريخه. أما في العصر الحديث فلعل السيرة العربية قد تأثرت بالغرب بأكثر ما كانت امتداداً للتراث القصصي الذاتي العربي القديم، ويُعدُّ إحسان عباس سيرة أحمد فارس الشدياق "الساق على الساق" أول السير الذاتية في العصر الحديث، حتى إن كانت الغاية من الكتاب لغوية كما قال صاحبه في المقدمة. أما "تلخيص الإبريز" لرفاعة فُعدُّ إرهاساً للسيرة الذاتية؛ لأن ذاته كانت محتجبة، وكان يُغفل العناصر الروائيّة إغفالاً تاماً. أما في القرن العشرين فنجد سيراً من السير الذاتية ينفجر في مصر والعالم العربي، من أشهر أصحابها محمد كُرد علي في آخر الجزء السادس من كتابه "خطط الشام"، وطه حسين في "الأيام" التي صهّأها في قالبٍ روائي، وبضمير الغائب. وقد نالت سيرته من الشهرة والعناية ما لم ينلّه غيرها من السيرة. أما أحمد أمين فقد سلك المذهب التقريريّ الوصفي في سيرته "حياتي"،

لقد حرصتُ أن لا تكون الدراسة عشواء، شأنٌ بعض من تناول السير الذاتية، يخرج القارئ منها بخفي حنين، حينئذ درستُ ما ظننته جديرًا بالعناية، وخاصة جانب الأسلوب الذي طالما أهمل. وإنَّ مما أزعجني جديدًا في هذه الدراسة، هو دراسة ما خلّفته السيرة وراءها من أثر.

وجعلتها في ثلاثة أجزاء: أولها في مضمون السيرة، رأيت أن أخلصه لمسائل هي: مكن السيرة وخلصتها المميّزة لها. وأسهب في الحديث عن قضية الإسهاب عند بدوي. ثم أخذت أنظر إلى ذات الدكتور من خلال السرد. وأبنتُ بعد ذلك عن الحب الذي حيّاه بدوي. ثم عن غاية السيرة. ثم عن ذوقه وثقافته، وتأثراته في السيرة. وفي الجزء الثاني كان للأسلوب مكان. إذ شرحتُ لغة بدوي، وأظهرت عناصرها البارزة من سخرية وتعجب وفكاهة... وفنون أخرى. ورصدت ما ورد من جمل تسويق فعللت لها. ثم عرضت لاستخدام الدكتور علامات التقييم. أما الجزء الأخير فشمل الآراء التي بزغت بعد تداول الكتاب، على اختلاف توجهاتها. ثم حديثًا كان لا بد منه في المصادر التي استقى منها بدوي في كتابه. وليس ما مرّ نهاية البحث، ولكنه رأيي من آراء كثيرة يمكن أن تقال فيه.

## أولاً: رُوحُ السيرة (دراسة في المضمون):

### ١- مكن السيرة:

بين الفلسفة واللغة يكمن هذا الروح الوثأب، «بالصدفة أتيتُ إلى هذا العالم»: بدايةً فلسفيةً في افتتاح سيرة حياة بدوي، أستاذ الفلسفة المرموق. ثم تفارقنا السيرة بهذه الأبيات:

---

فلم تظهر شخصيته في الأحداث ظهور شخصية طه حسين. وكتب العقاد سيرته في كتابين "أنا"، و"حياة قلم"، متبعاً فيهما أسلوباً ثالثاً هو الأسلوب التحليلي، المعتمد على التفسير والتعليل والاحتجاج العقلي. (انظر الفصل الأول من كتاب: السيرة الذاتية في الأدب العربي، لتهاني عبد الفتاح شاكر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١/٢٠٠٢م. وفي السيرة، للدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١/١٩٩٦م.)



شكوتُ إليك يا خيًّا  
 أتيتُ لدرسٍ مخطُوطٍ  
 فصاعَ اليومَ في المخطُوطِ  
 فلا «شيرين» تبسُّمُ لي،  
 ولا مالٌ لأبذُلُهُ،  
 ط من خالي بطهرانٍ  
 وطبِّي غصْبُهُ داني  
 ط دونَ الظَّبِّي والبَّانِ  
 ولا «زهرًا» تمنُّاني  
 ولا سِنُّ (الجوانان)

وفسر (الجوانان) في آخر حاشية هذا التفسير: «جمع: جوان = شاب، فتى - بالفارسية» [٣٨٣/٢] (١).

وبين الفلسفة واللغة عاش بدوي، فقد أكلا منه ربيع حياته، وخريفها. وقد وجد فيهما العزاء من كل فقد: زوجة، أو منصبٍ أو اعترافٍ. ووجد فيهما التفرُّد والامتياز عن كل أبناء جيله، فألقى بروحه بين تلك الغياهب.

### ٢- الإسهاب والاستطراد:

إن مما سيدركه القارئ هذه السيرة الإسهاب، والاستقصاء الشديد الذي سوّد صفحات كثيرة من الكتاب. والاستقصاء عند بدوي ألوان:

فتمَّ استقصاءً في (الوصف)، ولنستمع إليه وهو يرسم لوحةً لبلدته شرباص:

«والمنظر الطبيعي في شرباص رائع الجمال: في الصيف أو في الشتاء.

فما أجمل حقول الأرز إبان الصيف طوال النهار، وما أبدع نقيق الضفادع فيها إبان الليل... كذلك يؤنسك في الليل صوت النواير بنغماته الحادة، وكأنه لحن الأنشؤ في أوبرات فجر...

ونبات الأذرة، وما أدراك ما نبات الأذرة! أوراق عريضة طويلة خضراء تتفرع على طول

(١) أشير إلى مواضع ما أنقله من السيرة بين المعقوفين. وقد حرصتُ عند الاقتباس من هذه السيرة على نقل كلام بدوي كما ورد فيها ضبطاً وكتابة.



ساقى القصبه...

أما في الشتاء فحقول البرسيم الأخضر الغامق، وحقول القمح الخضراء في الشتاء، المصفاة في أوائل الربيع، الذهبية في أيار، فلها سحرها هي الأخرى، وإن يكن أقل فتنة من سحر مزروعات الصيف.

ذلك هو النجم ل - النبات بغير سيقان - أما الأشجار فتتناثر في كل موضع: أشجار التوت في الأجران، وحول السواقي. أشجار النخيل في صفوف طويلة...

وأصناف الطير لا حصر لها: من العصافير، والزرزير، والحمام، حتى الهداهد والحدأة والصقور...

والوفرة الهائلة من الحشرات الطائرة والزاحفة والماشية تجعل المرء يعجب من خصوبة البيئة...

ناهيك بالنيل وانحناءاته الرشيقة عند شرباص، وما يتفرع عنه من ترع وقتوات... « [١٢-١١/١]

واستقصاء (تاريخي) يملأ أرجاء السيرة، نقرأ له - مؤرخاً فترة من فترات قسم الفلسفة - هذه الفقرة:

«وأعود إلى الدراسة في قسم الفلسفة، فأقول: إن القسم كان آنذاك وقبل ذاك يحظى بعدد من أئمة الأساتذة الفرنسيين الذين تولوا فيه منذ نشأته في سنة ١٩٢٥، أذكر منهم على التوالي: أندريه لا لاند، La lande، واميل برييه Bréhier، وابل ريه Rey، ولوي روجيه Rougier، والكساندر كويريه Koyré، وبرلو Burloud».

وحضر بعض هؤلاء أكثر من فترة: إذ حضر لا لاند في العام الدراسي ١٩٢٦ - ١٩٢٧، و١٩٢٧ - ١٩٢٨، و١٩٢٩ - ١٩٣٠، ثم في الفترة من أكتوبر سنة ١٩٣٧ حتى مارس سنة ١٩٤٠. وحضر كويريه في الفترة من ١٩٣٢ إلى ١٩٣٤... حتى مارس سنة ١٩٤١. وكان من عظيم حظي أن تتلمذت على كليهما: لا لاند في الفترة من أكتوبر سنة ١٩٣٧ إلى مارس ١٩٤٠ وكويريه في الفترتين: أكتوبر سنة ١٩٣٦ إلى مايو ١٩٣٨،

وأكتوبر سنة ١٩٤٠ إلى مارس سنة ١٩٤١. درست عليهما في مرحلة الليسانس، وأشرفا على تحضيرى للماجستير» [٦٢/١].

وهذان المثالان. (الصغيران!) اللذان سقتهما الآن لك، لا يغدوان أن يكونا أثرين لأعيان تفيضُ بها (سيرة حياتي). ولولا خشية الإطالة لمثلتُ بغيرهما، ولكنني إكمالاً للوحة سأذكر مثلاً آخر طريفاً، وكأنه لمسة أخيرة في صورة الإسهاب التي ما فتى يُعنى بها صاحبنا. إنه الاستقصاء (الفني)، وكان له في تذوق الفن باع:

«فلاهي عجب أن تكون فيرنته [إيطاليا] كعبة الفن في العالم!؟»

والكنائس فيها هي بدورها متاحف عظيمة وتحفٌ رائعة، وأقدمها معمودية القديس يوحنا **Batistero S. Giovanna** التي يقال: إنها بنيت في سنة ١٠٠٠: وهي مشمئة الشكل، ذات ثلاث طوابق، وسقفها يشبه الخيمة... ولها ثلاثة أبواب من البرونز المشغول بالنحت... والباب الشرقي فيه صورة محفورة لمشاهد من «العهد القديم» من الكتاب المقدس، وقد قال عنه ميكالنجلو أنه «جدير بالفردوس».

ويتلوها في الأهمية كاتدرائية سانتا ماريا دي فيورة... وهي من الطراز القوطي، لكنه قوطي من نوع خاص لا يحتفل بالصعود إلى أعلى، بل بالاتساع والضوء...

وثم كنائس عديدة أخرى نقتصر على ذكر أسماء أهمها: **S. Miniata al Monte** وهي على الطراز الروماني (قرن ١١ - ١٣)؛ - **S. Trinita**، وطرازها قوطي (قرن ١٣ - ١٤)؛ - **Ss. Annuziata**، وفيها سلسلة من الفرسكانات من القرن ١٦» [١٠٣/١].

والمدهشُ أن هذا البسطَ عملٌ متكرر، ونمطٌ مطرَّدٌ في سرد بدوي عن (المدن) التي قُدِّرَ له زيارتها. فتراه لا يكاد ينزل بلدةً إلا كتب لها تاريخاً سريعاً سلساً رقيقاً، وأرجو أن لا تضجر حين أنقل لك شيئاً من ذلك، ذلك أن هذه السيرة قد لا أكون مغالياً إن زعمت أنها: (سيرةٌ للمدن!) أو لا يكفيك بعد هذا الزعم أن آتيك بمثل؛ سأنيك عن نبهه بعد حين:

«وليدن»<sup>(١)</sup> **Laiden** من أقدم مدن هولندا، وكانت في سنة ١٥٧٢ «قلعة» الكفاح ضد الأسبان، وتقع في مقاطعة جنوبي هولندا على مرتفع رملي في أرض من البولدر **Pulder**، في الشمال الشرقي من مدينة دن هاج (لاهاي). وعدد سكانها في سنة ١٩٧٧ هو ١٠١,٥٠٠ نسمة. وتحترقها قنوات عديدة، وتبعد عن البحر بعشرة كيلو مترات، وتقع على نهر الراين القديم. وفيها أبنية جميلة أهمها كنيسة القديس بطرس. وهي على الطراز القوطي، ثم مبنى البلدية، وقصر عتيق.

وجامعتها من أعرق جامعات أوروبا، وقد أنشئت سنة ١٥٧٥، وقام بالتدريس فيها كبار العلماء، نذكر منهم يوستوس لبيوس **Juste Lipse**، واسكاليجه **Scaliger**... وكانت فيها صناعات عظيمة: الجوخ والصوف، ودبغ الجلود ومصانع الحديد والصلب، ومصانع...

واشتهرت منذ القرن السادس عشر بطباعة الكتب النفيسة. فقد قامت أسرة تدعى **Elzevier** بإنشاء دار للطباعة عظيمة. وأقدم أفراد هذه الأسرة هو لويس (١٥٤٠ - ١٦١٧) المولود في لوفان (بلجيكا) ثم صارت لها فروع في...

وفي ليدن قامت ثاني مطبعة عربية في العالم، أنشأها فرايسيسكوس رافلنجيوس... والشعب الهولندي كان في الأصل مزيجاً من الفريزيين والسكسون والفرنجة، وفي عهد الإمبراطورية الرومانية تدفقت عناصر جرمانية...

وكان عدد سكان هولندا بحسب إحصاء سنة ١٩٦٠ هو ١١,٤٦٢,٠٠٠، وصاروا بحسب إحصاء سنة...

والمساحة الكلية لهولندا هي ٤١,١٦٠ كم<sup>٢</sup>، وكلها مستوية. وتتميز بالكثبان والسدود **Dikes** التي لولاها لغمر البحر ٣٨% منها، وقد تم تحصيل هذا المقدار من الأرض بفضل تحفييف...

(١) التزمت بضبط الدكتور للألفاظ كما جاءت في السيرة.



والنباتات في هولندا هي نباتات الكنبان...

ومن حيث الدين تتميز هولندا بالانفصال الحاد بين البروتستنت (بما فيهم أتباع كلّفان) من ناحية، والكاثوليك... أما اليهود... وهاك جدولاً بإحصاء الأديان والمذاهب... « [٢٨٣/١-٣٠٣].

وذلك غيَضٌ من فيض. ومثل ذلك فعل في حديثه عن مدن أخرى كثيرة: كباريس، وروما، والمدن الإيطالية، ومدن ألمانيا، وسويسرة، وطهران، وبنغازي...

فما هذا الذي يرتكبه الدكتور؟! وماذا يستطيع القارئ جناءه من كل تلك الحشود؟! وأيُّ رابطةٍ بين كل هذا الإسهاب بأنواعه: التاريخي، والوصفي، والفني؛ وبين سيرة حياته هو؟! أسئلة مجلجلة، متلهّفة جواباً.

أحسنُ الدكتور -رحمه الله- الوُخْدَةُ والمللُ آخرَ حياته، وهو الذي أنهى السرد سنة ١٩٨٨، وقد جاوز السبعين من عمره؛ فراح يناجي أوراقه، مناجاةً لا يُحب لها أن تنتهي؟ أم أنه كان يفعل ذلك إبّان زيارة مدينة، ليحقق غايتين: أن يعيش في أعماق تاريخ البلدة، حيث لا يُشبع نهمه هذه الأشكالُ السطحيةُ المؤقتة، حينئذ تدركه نشوةٌ ليست تدرك غيره من السائحين: إنه سائح غير عادي؟! ومن هنا -تَبَعاً- ينفخ في رُوح (أنا) التي عرِبتْ في ثنايا هذه السيرة: فأنا الذي يعلم ما لا تعلمون من شأن هذه البلدة أيها المترقبون، وأنا الذي أسعدُ من حيث لا تشعرون؟

أم أن رُوح العلم -وكان للرجل رُوحان- أدركه وهو يكتب لنفسه، فأبى إلا أن ينفخ هؤلاء الذين ينتظرون أن يعمّمهم الأستاذ بسابغ علمه وأطلاعه، فمضى لا يخيب لهم ظناً؟ ولربما رام أن يسرد سرداً لا كأيّ سرد، مهما كانت النتائج، فليس يعنيه أن «يسهر القوم جرّاهاً ويختصم»!

أسئلة أخرى حائرة، لن تَضَلَّ، أو يضلَّ واحدُها أن يجيب عن الأسئلة الأولى.

٣- «أنا» وآثارها:



ومادام الحديث قد جرّنا إلى سبيل (أنا)، فلن نغادره دون أن نسلك فيه قليلاً.  
 إنّ رائحة العُجب بالنفس، والثناء عليها في كل مناسبة، لتفوح من ثنايا السيرة.  
 والتصريح بهذا المعنى، أو الإلماع به؛ لوسمٍ مميّز في جبينها.  
 فهو يرى أن السرّ في رواج كتابه «نيتشه» هو: «الحرارة والجمال في أسلوبه،  
 والحماسة في عرض آراء نيتشه» [١٥١/١].

وعن خطبة له في لبنان يقول: «ونشرت الصحف خطبتي هذه كاملة، بوصفها قطعة  
 أدبية رائعة، مشبوبة بالمشاعر الجميلة نحو لبنان، وصار كل من يلقاني في الطريق -ممن  
 أعرف ولا أعرف- يهنئني عليها» [١٧٧/١].

وعن الدكتوراه: «ونشرت جريدة الأهرام في اليوم التالي... نياً المناقشة، وأوردت  
 بالنص بعض ما قاله د. طه حسين أثناء المناقشة، وهو: «لأول مرة نشاهد فيلسوفاً مصرياً»،  
 وكان الدكتور طه قد أفاض في تقرّظي... كما أن پاول كراوس قال: إن الرسالة تجتاز  
 القرون...» [١٧٩/١]. وهي طريقة ذكية غير صريحة في مدح الذات.

وهو يذكر تحقيقه «منطق أرسطو»، ويذكر أن العديد من المستشرقين الأوربيين  
 «تهيبّ» دون تحقيقه. وأنه «أمام هذا العمل العملاق الجبار جنّ جنون العاجزين الحاقدين  
 من هؤلاء المستشرقين الأوفياء، وتلاميذهم الأوفياء، فحاولوا نقده، فكان نقدهم المزعوم  
 هذا:

كطاح صخرة يوماً ليوهتها فلم يضرّها، وأوهى قرنه الوعل

وهيهات هيهات أن يؤثّر طنين هؤلاء الذباب في جبل شامخ!» [١٨١/١].

وكان بعضهم يُرعي سمعه بانتباه بالغ لمحاضراته، فظن الدكتور أنه «ربما كان لفصاحة  
 عابرتي العربية دورٌ بارز في هذا الاهتمام الشديد» [٢٦٢/٢].

هذا فضلاً عن ضمير الجمع الذي يستخدمه الدكتور: ذهبنا، سمعنا، حضرنا...  
 خصوصاً في الجزء الثاني من السيرة، بعد أن صارت له مكانة علمية مرموقة.

على أن من النقاد من اعتذر لكُتّاب السيرة، «فهم غالبًا ما يسلطون على أنفسهم أحسن ضوء ممكن، طامسين بعض الحقائق... وتستحق هذه العيوب الدراسة، ولكنها ليست مقومات الشكل المُعرّفة، ونحن جميعًا نبدي التحيز نفسه لأنفسنا في الكتابة والمحادثة. إن الجدير باهتمام أكبر هو عناصر السيرة الذاتية التي تبعث من حالات خلقها...»<sup>(١)</sup>.

ويؤكد آخر الفكرة ذاتها فيقول: «لا نستطيع الكتابة عن الذات دون حدّ أدنى من التقدير الذي نوليه لأنفسنا، والذي يجعل منا شخصية / مركزًا للعالم، ولو كان هذا العالم خلية عائلية»<sup>(٢)</sup>.

ولكن، هل أخطأ الدكتور عبد الرحمن المنهج حين جاوز إلى عيب الآخرين وتقريعيهم من أجل أن يبقى هو نقيًا في أذهاننا نحن قُرّاء سيرته؟ أم أنه قرّعهم وعابهم، لأمر كانت فيهم بحق وعميت علينا؟

لسنا ندري. ولكننا ندري مع ذلك أن أناسًا هم رموزٌ في ثقافتنا قد مسّهم ما مسّهم. ولن يثنينا هذا عن تنزيل كلّ منزله اللاتق به، وعلينا من بعد أن نقرأ هذه الأحداث التي رواها الدكتور بحذر بالغ، لا ننكر إلا ما نتيقن نُكرانه، ولا نقبل إلا ما اطمأننا لصحته...

وإذا رغبتَ إلى أن تعرفَ خطَرَ مَنْ نالهم قلمُ عبد الرحمن بدوي فهذه قائمة مختصرة لبعضهم:

علي باشا مبارك [٧/١]، العقاد [٢٨/١، ١٣٣]، سعد زغلول [٤١/١]، النحاس باشا [٤١/١]، محمد عبده [٥١/١]، أحمد أمين [١٥٣/١]، نليبو [١١٠/١]، طه حسين [١٢٣/١]، النقراشي باشا [١٢٨/١]، علي إبراهيم باشا [١٣٥/١]، عبد الرحمن عزام [١٥٩/١]، رياض الصلح [١٧٠/١]، سارتر [١٨٣/١]، توفيق الحكيم [٢٠١/١]، زكي نجيب محمود [٢٢٧/١]، الشرقاوي [٣٧١/١]، بابا الفاتيكان

(١) نظريات السرد الحديثة، لوالاس مارتن ص ٩٦ (ترجمة حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٨م).

(٢) الكتابة والوجود: السيرة الذاتية في المغرب، لعبد القادر الشاوي ص ١٣ (دار أفريقيا الشرق، المغرب ٢٠٠٠م) نقلًا عن: كوسدورف.

[٢٠٢/٢].

بل لقد نال أشياء معنوية وأخرى حسيةً بالنقد القاسي اللاذع:

فهو ينقد دائرة المعارف [٥٠/١]، ومعهد الآداب الشرقية بلبنان [١٦٤/١]، وناشري لبنان [١٥١/١]، والبحر بحر الشمال [٣٢٢/١]، وجامعة كمبردج [٣٦٤/١]، وبريطانيا [٢١٢/٢]، وعلماء النفس [١٢/٢]، وأساتذة الحقوق [٢٢٦/٢]، ٢٤٤، ٢٤٥...

وليس كل هذا الجرح ذاتياً بحثاً، لا بل إن فيه ما مثيره الوطنية، وفيه ما دافعه قومي، أو ما كان غيراً على الإسلام، فهو يسمو في مواطن كثيرة تستحق الإعجاب والتحية. وهو جرحٌ في ثنايا علله وأسبابه، والقارئ الحصيف سيميز ما كان وجيهاً، مما اعتراه شيء من تحامل.

وهذه الحصيلة المثيرة -لا جرم- تهدينا إلى الحكم بجرأة كاتبها. وقوته، واعتزازه بنفسه وقد صرح بذلك مراراً، متخذاً إياه ديدن حياة وتهدينا في تصوري إلى المدى الذي عاناه بدوي -رحمه الله- في حياته الاجتماعية. أيدناه أو خالفناه. لكن هذه السيرة ستبقى فرداً بين كل السير العربية الأخرى في صراحتها، ومحاولة تعريتها المبالغة لما كان مستوراً، أو مُحَرَّمًا، أو مستخى منه.

وحتى يلحق الكلام آخره بأوله لا محيص من ذكر الجانب الآخر في هذه القضية، وهو: التواضع، والإنصاف، والاعتراف بالفضل، حتى لبعض من عابهم ممن ذُكر أنفاً: لنألاً يُظن أن الرجل لم يَغْدُ أن يكون آلة ازدراء وتقليل لمن وما حوله.

فهو يعترف بالفضل للمفلوطي على أسلوبه [٢٨/١]، ويأنس لكتابات طه حسين وهيكل [٢٨/١]، ويثني على أستاذه حسن جوهر الذي درّسه في الثانوية [٣٣/١]، ويسجّل إعجابه بجبران [٣٥/١]، ويدافع عن طه حسين في مشهد مؤثّر [٤٢/١-٤٣]، ويمتدح أستاذه طه إبراهيم [٥٨/١]، ويذكر -للتاريخ- موقفاً لركي نجيب محمود [٢٢٨/١]، ويدبج الثناء لأسلوب هيكل [٣٢٧/١]، ويكتب أثيرة لعبد الناصر، على أنه



شديد البغض له [٣٧٧/١]، ويشي ممتناً على زملائه في قسم الفلسفة [٣٨١/١]، ويشكر ريناتو ترابي المسؤول في «مؤسسة كيتاني» [١٩٩/٢]، ويعترف بفضل السادات [٢٤٩/١]...

وإذن فلم يكن صاحب السيرة جاحداً، ولم تكن الدنيا - كلُّ الدنيا - بشعةً في عينيه كما يحاول قوم أن يقنعونا، وهو ما يظهر من هذه الأمثلة.

ولكن الذهن العربي في القرن العشرين لم يتعوّد أن يُنصتَ إلى مقدارٍ هائلٍ من النقد كالذي أفرغ في السيرة. ولعل تهويل هذا المقدار يعود إلى المبالغة في تلميح شخوص بعينهم، ثم يتقادم الزمن على ذلك، وتتعاظم معه قيمة أولئك حتى تصل إلى منزلة قريب من القداسة. وقل لي بربك، كيف سيكون وقعُ نقدٍ شديد، أو سخريةٍ بمن يضعهم الناس أمثلة يحتذون حذوها. العيب لا يلحق الناسَ حتى بعض المثقفين منهم؛ إنه مازق حضاري.

#### ٤ - حُبُّهُ:

هذا التجريد الذي نهجه بدوي في سرده ظهرت آثاره في علاقته بالمرأة، ورؤيته لقصيتها. والمرأة تشغل ولا بُدَّ مساحة ما على خريطة كل رجل. بيد أن الذي يلقانا عند بدوي شيءٌ عجيب؛ لأن المرأة غابت عن حياته، بل قل - بالأحرى - عن (سيرته) إلا في بعض المغامرات الجريئة التي لا يرى بأساً من سردها:

فهو يتحسر على حُبِّ قصيرٍ كان قبله - قبل التحشر - «عناق حارٌّ، وتقييم طويل، ومزيد من الوعود، لكنني لم أرها بعد ذلك أبداً» [٨١/١].

وفي إحدى الحانات - ولا يشرب الكحوليات - كان يكفي بأكل الدجاج المشوي، وأن يكون جلوسه بين فتاتين جميلتين إن أمكن [٨٥/١].

ويقول: «ولحصري على تعهد لغتي الألمانية... فكنت أقضي معظم أوقات فراغي مع طالبات ألمانيات أو نمساويات، وكُنَّ جميعاً بين الثامنة عشرة، والخامسة والعشرين» [٩٩/١].

ثم يذكر قصة تذكّرنا بمشهد في قصة من قصص الياfeين مع إحدى الفتيات التي



يتسلى بها في سفره ورحلاته [٩٩/١، وما بعدها].

ومرّة تعرّف إلى هولنديّة في متحف اللوفر، وبعد جولته معها في حديقة اللوكسمبو، أخذ يطارحها الغرام بالقرب من النافورة وأمام روضة الأزهار المرفوفة الألوان البديعة التنسيق... [٣٢١/١]. ويلخص متعته بقاء هذه الفتاة: «وكان اللقاء معها متعةً للحس والذوق الفني معاً» [٣٢٢/١].

جزء ضئيل هو نصيب المرأة في فيافي هذا الإنسان المترامي على ما فيه من اعترافٍ وجرأة غريبة في الجوّ العربيّ. جزء لا يجاوز الشهوة والانتفاع، وكلتاها تنقضيان في برهة، ويبقى الرجلُ. وفي أوج حالات الغرام، كان ينشغل عنهن بالأزهار<sup>(١)</sup>!

الرجل الذي لم يتزوج، وكأنه اكتفى بهذه الرشقات العاجلة من خمر الحياة، ولم يذق قطّ الماء العذب الذي يروي الظمّأين: ظمأ الروح، وظمأ الجسد. وها هو يتحسر على ذلك، وينتأججاً موجعاً في مقطعٍ معبرٍ يقطرُ حزناً، أسمعت بكاء الشيخ على عمّره؟! .

«وكم قضيتُ ساعاتٍ في هذا الموضوع مع فتياتٍ من السويد، أو النرويج، أو النمسا، أو هولندا؛ نتناول الأحاديث العذبة الرقيقة! لقد كنت آنذاك شاباً أدور حوالي الثلاثين من العمر، وللشباب سحرُهُ الذي لا يعوّض عنه شيء.

فوا حسرتاه اليوم على نفسي وأنا أرتاد هذا الموضوع دون صاحبة ولا رفيقة!، وإني لأناجيهنّ في الذكرى وأقول:

أين أنتنّ الآن، أيُّتها الصواحب!

وماذا حلّ بكنّ، وماذا فعل المصيرُ بكنّ!

(١) يذهب أندريه موروا إلى أن هناك نوعاً من الرقابة يفرضه كاتب السيرة على نفسه داعيه الحياء من الحديث عن الحياة الجنسية، فقليل من الناس هم من لديه الشجاعة في الحديث عن ذلك. وهو يرى أن من المستحسن في مثل هذه الأحوال الإيحاء لا الوصف، لا كما فعل روسو في اعترافاته الجريئة التي لم تخل من الاستعراض (انظر: فن التراجم والسيرة الذاتية، لأندريه موروا ص ١٠٣-١٠٤، ترجمة وتقديم وتعليق الدكتور أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٩م).

كان الوصال إمًا قصيرًا، وإمًا طويلًا؛ وفي كلا الحالين كان الفراق نهائيًا.

وكان الوصال كهذه الأزهار المائلة أمام عيني:

بُرُغْمٌ، ثم يتفتح مَلاوَةٌ من الزمان، ثم تذبل الزهرة، وتموت بلا بَعْثٍ ولا رجعة.

كانت العلاقة على دَخل: استمتاعٌ بالشهوة من جانبي، وطمعٌ في الزواج من جانبيهن.

فكان لا بد للعلاقة أن تنقطع، مهما طالَّت المناورةُ بيني وبينهن» [١٨٧/١].

أين هذا النسيجُ البائس، من تلك الأناشيد التي غَمَرنا بها في (الخور والتور) أيام

البهجة والطرب، أيام الشباب:

«من الجبل إلى البحيرة، ومن البحيرة إلى الجبل، همسٌ أرقٌ من الغزل، يسري على

مَهَلٍ، وسحابٌ يغدو بين الأعالي على عجل.

والنفس حائرةٌ بين اليأس والأمل.

فهذان عاشقان يقتلان الشوق بالقبَل، وهناك فَلَاحٌ، ومَلَأَحٌ في زحمة العمل.

وعلى طول الشيطان غانباتٍ يخطرون في ذلٍّ وغزلٍ، وفي خُدودهن إغراءٌ تعلوه حُمرة

الخجل.

وها أنذا وحدي، أهيم بين مفاتن الصور»<sup>(١)</sup>.

«وحدي» منذ الشباب إذن، إلى الشيخوخة. «وحدي» في كل شيء، «وحدي».

ولا تحسبن أن صاحب السيرة لم تُشَقِّه غيرُ الصور، ولم يُولَعِ إلا بالجسد فقط. لقد

أحبَّ يومًا ما حبًّا صادقًا، غير أنه -على صدقه- حبٌّ عَجَلٍ، ولكنه لم يذكره لنا في

«السيرة». أترقبُ أن يقال: لم يوفق الدكتور؟ أم أنفةٌ أن يخضع لأنثى، وهو الذي طالما رفع

صوته بأنه يعرف خباياهن.

هذا الحب العذري يشرحه لنا في قصيدة عنوانها: «لَمَّا سافَرتُ»<sup>(١)</sup> من ديوانه البكر:

(١) الحور والنور ص ٢١٦ (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥١ م).

(مرآة نفسي)، وكان في سنينه العشرين أو دون ذلك:

« ولقد سافرتُ عني بعد حين قليل إلى الثغر، فاستشعرتُ ألم الفراق  
معها لأول مرة عنيقًا قاسيًا، وتبين لي منه إلى أيّ مدى أولعت بها  
غرامًا، وكنت في غرامي مخلصًا، إخلاصًا  
ها أنذا أقدم - نادماً - عنه أبشع الكفارة،  
ويا ويلتاه! .... »

سَحَ هَوَانَا وَالْمُنَى، تَحْتِ الْمَظْلَمَةَ  
سَوَى عَلَى الْبُعْدِ وَإِنْ كَانَ أَقْلَمَةَ  
غَيْرَ تَخْنَانِ ذُئُوعِ مُسْتَهْلَمَةَ  
سَمِي كَقَرَّافٍ تُمْنِيهِ الْأَدْلَمَةَ  
رِ مَطْبُوعًا عَلَى أَسْنَى الْأَهْلَمَةَ  
سُحْلَمِ وَالْأَشْوَاقِ فِي أَخْفَى مَضْلَمَةَ  
غَلَبَ الْوَجْدُ عَلَى كُلِّ تَعْلَمَةَ

سافرتُ تحملُ للبحرِ تباريـ  
سألتي قبلَ أنْ ترحلَ هلْ تُفـ  
فتحيّرتُ ومَا كانَ جـوابي  
أنشأتُ تنظرُ في البـلورِ مِنْ ذمـ  
رَفَعَتْ حاجِبَها المرسومَ بالغد  
وَعَدَتْ سَاهِمَةً تَسَابُ بَيْنَ الْـ  
جَادَبَتْ عَيْرَتَها الإخْفَاءَ، لَكِنْ

(١) مرآة نفسي: ديوان شعر، لعبد الرحمن بدوي ص ٣٢، ١٩٤٦م.

صَفْوَةُ الصَّبِّ إِذَا العِشْقُ أَذَلَّهُ  
إِنَّهَا لِلْحُبِّ وَالْعُشَاقِ مِلَّةٌ

فَطَّرَةٌ بِالرَّوْحِ تُفَدَى، إِنَّهَا  
هَذِهِ الأَذْمَعُ مَا أَعْلَى لُغَاهَا

بِالهُوَى فِي الذِّكْرِ مِنْ كُلِّ الشُّجُونِ  
مِنْ ضُلُوعٍ، يَتَلَوَّى، كَالسَّجِينِ  
إِنَّمَا أَنْتَ لَنَا الشُّطَاءُ الأَمِينِ  
نَيْشٍ» مَشْبُوبِ الجَوَى وَقَتِ الأَصِيلِ

أَيْهَا الرَّاحِلِ لِلْمَرْفَأِ سَبِّحْ  
أَذْكَرِي فِي المَوْجِ قَلْبِي خَافِقًا بَيْنَ  
يَنْطُخُ الصَّخْرَةَ مِنْ غَيْرِ غَنَاءِ  
أَذْكَرِي إِنْ سَرَى التَّنَمُّ عَلَى «الكر

سِ الهَوَى التَّانِي، وَيَا نَعْمَ الدَّلِيلِ  
خَلَّ بِالنَّفْسِ، وَمَا هَذَا الدُّهُولُ  
شَقِي فِي الدُّنْيَا سَوَى وَجْهِ الخَلِيلِ \*  
زَنْ بِالمَحْبُوبِ يَعْلُو وَيَثِيلُ  
كَيْفَ! والعِشْقُ لَنَا الأَصْلُ الأَصِيلِ  
مِنْهُ نَحْيَا، فِيهِ نَفْنَى وَنَزُولُ!

بَيْنَمَا أَنْتِ تَبِيرِينَ عَلَيَّ هُنَا  
... سَاهِمًا وَجْهَكَ يَسْأَلُنكِ: مَاذَا  
فَأَجِيبِي - إِنْ تُجِيبِي : لَيْسَ لِلعَا  
كُلُّ مَا فِي الكَوْنِ مِنْ بَحْرِ إِذَا وَو  
كَيْفَ تَسْلِينَ عَنِ العَاشِقِ، لِأَنَّ  
مِنْهُ نَفْذُو، مِنْهُ نَنَمُو، فِيهِ نَسْعِي

هل علمت الآن، أي منزل كان ينزله الحب من نفسه؟ كان الحب كل شيء، ليس له  
فحسب، بل لجميع الخلق، في نظرية كان يؤمن بها، كان يرى أنه الأصل الأصيل، منه نغذو.  
منه ننمو، فيه نسعي، منه نحيا، فيه نفنى ونزول! وهكذا نعيش بالحب، وله، وفيه نموت.

ولكن الأستاذ - على ما بلغنا - لم يحب في حياته قط، ولسنا نسمي تلك المغامرات  
المتعجلة حباً، باعتزافه هو. ولكن السؤال الطاعني: ولماذا لم يحب؟

هل افتقد ذلك الشعور الذي كان يتمناه، فعاش حياة الحرمان؟ أم أحب ولم نكن  
ندري؟

أم شغله العلم؟ وما شغل العلم عن شغل سواه بالمستهجن، واقرأ - إذا شئت - كتاب:



«العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج»<sup>(١)</sup>، ففيه خبرٌ جَمٌّ من أخبار هؤلاء<sup>(٢)</sup>.

لست أعلم، لكنني أعلم أن للعلم شهوةً، فَوَارةً، صَحَابَةً، تدفع بصاحبها إلى ما يشبه الجنون، الجنون بالعلم. وهي تفارق شهوة الجسد، وغيرها من الشهوات، بمزية الدوام؛ لذا تأخذ بتلابيب صاحبها، ولا تفارقه إلا بُرْهة، لا تليث أن تعود فتأخذ بها أخرى. ولقد أخذ العلم بجماع عبد الرحمن بدوي. وليس ما نفثه في القصيدة السالفة إلا ريشةً ضاعت في مهبِّ ريح العلم. ريحُ العلم التي لمَّا تكذُ تخفَّتْ أبداً مدى عُمره.

وفي هذا تفسيرٌ للعناية التي أولاهها بدوي لكتبه في «السيرة»، يذكرها في تضاعيف حياته، كما يذكر المرء أمه وأباه، وزوجه وابنه؛ يؤرِّخ لها، ويحكى ما جرى جَرَآءَهَا، كتبه بُنيَّاتُه اللاتي كان يحنو عليهنَّ، ويدفَعُ عنهنَّ، ويغضبُ لهنَّ:

«وكان أول إنتاج لي هو كتاب «نيتشة» الذي ظهر في أكتوبر سنة ١٩٣٩ عند الناشر: مكتبة النهضة المصرية (١٥ شارع المدايق آنذاك)» [١٥٠/١].

«وبعد ظهور كتابي «نيتشة» بستة أشهر، صدر كتابي الثاني وهو: «التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية» ويحتوي على جملة من الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع، والتي كتبها من كبار المستشرقين، وهم...» [١٥٢/١].

«... لكن كانت هناك محاضرات عامة، ألقى منها ثلاثاً في العام الأول بعنوانات: «شهيدة العشق الإلهي: رابعة العدوية»، و «شطحات الصوفية»، و «هل يمكن قيام أخلاق وجودية» - والمحاضرتان الأوليان كانتا الأساس للكتابين أصدرتهما بنفس العنوان، أما المحاضرة الثالثة فطبعت على حدة في مجلة كلية الآداب عين شمس وعنوانها: «حوليات كلية الآداب» ثم حررتها في رسالة صغيرة أحدثت آنذاك ضجة لا مبرر لها في الصحف، وفي الجهات الرسمية» [١٦٣/١].

«ولما كنت قد وصفتُ مشاعري أمام المواقع الجميلة في سويسرة في كتابي (الحوار

(١) العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج، لعبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢/١٤٠٣هـ.

والنور) فإني أجتزئ بالإحالة إليه» [٢٠٨/١].

«ومن هنا اقتصر إنتاجي العلمي، طوال السنوات الثلاث التي أمضيتها في بزن علي الترجمة وتحقيق النصوص:

١. ترجمة «دون كيخوته» لثريانتس، وكنت قد أحضرت معي شرح رودجث مارين عليها وقد طبعته في القاهرة في جزأين سنة ١٩٦٤، وسنة ١٩٦٦.

٢. ترجمة بحث يوليوس فلهوزن...» [٢٧٣/١].

لقد أراحنا الأستاذ كثيراً - وكان ينبغي أن يريح قوماً آخرين همهم أمرُ عزوبته - أراحنا حين ردَّ سؤال الضابط الليبي الذي كان يستجوبه:

«س ٢: لماذا لم تتزوج (وأشفع ذلك بقوله: إن في وسعي أن أمتنع عن الجواب، لأنه أمر شخصي)؟»

ج: لأنني آثرت التفرغ للعلم وحده، ولم أرد أن يشغلني عن العلم والبحث شيء، وأنت تعلم مشاغل الأسرة والأولاد» [٢٤٩/٢].

٥- غاية السيرة:

لماذا كتب الدكتور عبد الرحمن بدوي سيرته؟

إن تاريخ كتابة السيرة الذاتية قد يساعد على فهم الغايات التي تُكتب السيرة من أجلها<sup>(١)</sup>.

كتب بدوي سيرته بين عامي ١٩٨٥ و١٩٨٨، وكان يذكر حيناً بعد حين اليوم الذي يكتب فيه، وهاك تلك الأيام والتواريخ:

أ - ١٩٨٥ [١٦٩/١].

(١) انظر: فن السيرة، للدكتور إحسان عباس ص ٩٤ (دار صادر، بيروت، ط ١/١٩٩٦م).

ب - ١٩٨٦ [٣٢٨/١].

ج - ٢٠ ديسمبر ١٩٨٧ [١٩٢/٢].

د - ٣٠/١٢/١٩٨٧ [٢١٣/٢].

هـ - ١٩ يناير ١٩٨٨ [٢٥٤/٢].

و - ٩ فبراير ١٩٨٨ [٣٢٣/٢].

ز - ٥ مارس ١٩٨٨ [٣٧٨/٢].

سبعة عقود من الأيام والليالي عركها بدوي وعركته، ثم استراحا معاً استراحة محارب،  
يجتران الذكريات.

إن هؤلاء الذين يروون سيرهم للناس، ليشعرون من طُرفٍ خفيٍّ أو ظاهر، أن لهم قيمةً  
ما في هذه الحياة، وأن أثرهم تعمق في أرض مَشَوْا عليها. ولا ريب أن بدوي كان من أولئك  
الذين أحسوا بقدر أنفسهم، فروى سيرته.

إن ما مضى من صفحات قاطعٍ بذلك، وإنَّ بَدُلَ رجل حريص على أيامه أن تضيع دون  
كتاب أو بحث أو ترجمة؛ بذلَه ثلاث سنوات من حياته دليلٌ ساطعٌ على هذا الإحساس.

ولماذا يكتبها الآن، وهو الشيخ الهرم؟

أفعل ذلك لأن العظماء فعلوه؟ أم فعله مدكراً قومَه نفسه بعد ما نسيه قومُه أو تناسوه؟  
أم فعله كي يثير كما كان يثيرُ غباراً من حوله، وهو الذي سكن غباره منذ حين؟ أهو الحنين  
إلى مشاكسات الصبا؟

لعله خلد إلى حبه القديم، وحبّه الدائم: إلى الأوراق، نغمَ الرفيق في الرحلة، يحكي  
لها، ويذكرُ لها، يُفأكهاها، ويُسرُّ إليها، ويقلقُ أن يفارقها، فيكتب كلاماً: هو إسهاب، هو  
استطراد، هو حشو، هو تعلقُ المحبِّ بشئى العبارات.

٦- الذوق والثقافة:

وفي السيرة ذوق، وفيها رهافة ورقّة، وفيها ثقافة عالية. وقد سبق أن مثلنا للمزاج الفني عند بدوي. بقي أن نشير إلى شيء من ذكائه النقدي في تشريح الأمور، وهو الذي غني بدواخل الأشياء؛ ألم يخض غمار الفلسفة؟

لقد نفّخت دقة الملاحظة نفساً عميقاً في روح «السيرة»:

«وكان التعامل مع الفلاحين مزيجاً من الألفة... والاحتياط... إن الفلاح المصري - وربما كل فلاح في العالم - مزاج من طيب النفس والخبث... من البساطة والتواء الحيلة...» [٢٣/١].

«وما أكثر الأوهام التي تدور في أذهان الطلبة المصريين الذين يتلقون العلم خارج مصر» [٩٢/١].

«والمصري بطبعه لا يتمتع في أي شيء يقرؤه أو يسمعه، بل يصدق أي شيء مادام الأمر لا يتعلق بمصلحته الشخصية...» [١٨٤/١].

«وهنا لا بد أن أشير إلى ظاهرة أليمة عند الموظفين المصريين، وهي الولوع بالمزيد من الظلم» [٣٧٩/١].

«إنه شعبٌ مولعٌ بالسير في الجنازات منذ فجر التاريخ ولا يزال حتى اليوم يحتفل كثيراً للاشتراك في الجنازات على نحو لا أعرف له مثيلاً في أي بلد...» [٢٣٨/٢].

«إن هذا الطالب يظن بكذبه أنه يستدر عطفك، وأنت مسيحي، ليحصل على الدكتوراه دون عناء ولا اجتهاد. وهذا الأسلوب معروف جداً ومألوف لدى الطلاب الأقباط الذين يدرسون في جامعات أوروبية أو أمريكية» [٢٨٠/١].

واسمع له وهو يهيج بالأصوات، أو مشتمتٌ قلبه منها، في رقّة ولطف طبع أخفاه طويلاً أسلوبه اللاذع:

«... بفضل المحاضرة التي ألقاها الدكتور طه حسين... وأذكر أنه حين ألقى في



وسط المحاضرة بيتًا من الشعر بصوته الساحر اهتزت أرجاء القاعة بالتصفيق» [١٧١/١].

«كذلك أتيج لي أن أحضر ثلاث محاضرات للفيلسوف الوجودي الألماني كارل يسبرز... وكان صوته خفيًا مملًا يبعث على النوم» [٢٦٩/١].

ولو أردتُ إلى استقصاء هذه الحاسة المقارنة لديه، لطال بنا المقام ههنا.

ولكن شيئًا لا يمكن تجاوزه -ولو بإشارة- لمن يدرس حياة بدوي، ذلك هو: مهرجان اللغات، الذي كان يرفل فيه. وقد أدت به اللغات إلى ثقافات، وحضارات مختلفة، أحدثت تميُّزًا في تكوينه، وأودت به إلى الانبهار أحيانًا بالفكر والحياة في أوروبا، وحسبنا هذا المثال الذي يختصر هذه القضية لديه:

«والمقبرة جديدة، فسيحة جدًّا، غرست فيها أشجار الصنوبر والشربين والزيزفون، وعلا ثراها العشب الأخضر، فرحنا نقارن بين هذه المقبرة الوافرة الخضرة الناضرة بالعشب والأشجار، وبين مقابرنا الكئيبة في مصر!» [٩١/١].

سوى أن انبهاره هذا ما كان بغير وعي، كلا، بل كان بوعي كامل، من أجل ذلك نجده في غير ما موضع ينتقد كثيرًا من ثوابت الحضارة الغربية، ويجادل نفرًا مرموقًا من رجالهم. ويُهمننا في هذه اللحظة خاطرٌ: هل تأثر بدوي في كتابة سيرته بأحدٍ من الكتاب الأوربيين؟

ثمَّ موقف يُدكرنا بمشهد العقاب الذي تعرَّض له روسو في كتابه (الاعترافات)<sup>(١)</sup>. وكانت النتيجة -تقريبًا- واحدة، يقول بدوي بعد رواية ما جرى له مع المناظر:

«وكان لهذا الحادث أثر عميق في نفسي. وصرت أتذكرُه بعد ذلك كلما حلَّ بي ظلم دون أي ذنبٍ ارتكبه... أقتعني بسفالة الإنسان، وحمافة تصرفاته، وولعه الشديد بالقسوة على الأبرياء والخوف من الأقوياء. وأيدت الأحداث بعد ذلك... صدق هذا التصور» [٤٤/١].

وكان موقفيهما كانا في مطلع العمر. بيد أنه لا يمكن الجزم بذلك التأثير.

(١) اعترافات جان جاك روسو ٥/٢ (المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ط ٢، مطبوعات كتابي).

على أن بدوي - لا نكران - كان يقرأ السير الذاتية، استنباطاً من دأبه على التزوّد من الأدب، وكان عالمًا بكتب الأفيذاذ، يقول عن دي برون:

«وله سيرة ذاتية بعنوان «البلد الأصلي» سنة ١٩٣٥، يروي فيها حياته في شبابه في جاوة، ثم حياته في باريس؛ حيث يذكر أحاديثه الحارة مع أصدقائه، ويكشف عن جانب من الحياة الفنية والأدبية في باريس في الثلاثينات من هذا القرن» [٣١٤/١].

وهذه بالفعل طريقة الأستاذ في السيرة. فهل كان لبرون أثر في منحى كتابة بدوي لسيرة حياته؟ لم لا.

### ثانياً: هَيْكَلُ السِّيَرَةِ (دراسة في الفن):

#### ١ - ألفاظ اللُّغة:

تَسْمُ اللغة في «سيرة حياتي» بالبلاغة والبيان الناصع، دونما تلعثم، أو تلجلج، فهي مناسبة مثل انسياب النهر الرائق، لا التواءات، لا عقبات، ولا سدود. لغة قويّة في غير ما جفوة، طيّعة للرجل، سهلة منقادة.

مكونات هذه اللغة، ألفاظٌ فصيحّة، لا صعوبة في نطقها، ولا تفيهُق لدى صاحبها، على أن بدوي كان حريصاً على أن لا يُسَفَّ فينزلَ إلى ألفاظ العامة وتعاييرهم؛ لذلك نراه ما إن يأتي بلفظة عاميّة أو تعبير شعبيّ - وما أقلهما - وضع ذلك بين هلالين مزدوجين:

«كنت أكتب على «التخنة» خطبًا باللاتينية» [١١٦/١].

«وأحدثت هذه «العلاقة» أثرها الحاسم» [١٣٣/١].

«تطبيقاً للمثل العامي الشائع في مصر، والذي يقول: «القط ما يحبش إلا ختاقه» (القط لا يحب إلا من يعدّبه ويواصل ختقه)» [٦٢/٢].

وهكذا يشرح لنا معنى المثل العامي، كأنه يترجم - على عادته - من لغة إلى لغة. ثم إن الذي ملأ السيرة بالضجيج، وطنّ الآذان جمعجعةً، هي ألفاظ التقريع التي تُعد

سمة مميزة للغة بدوي، فهي تمثل معجمًا فريدًا في بابه، وسأذكر قدرًا صالحًا من هذه الألفاظ لتبين لنا النتيجة التي تركتها براعة الأستاذ وثقافته في استدراج اللغة، واليكم هذه القائمة:

- «وهذه الضيعة الواسعة لا نعرف متى اشتراها أو نهبها» [٨/١].
- «لقد حل محل مديح النبي والأعيان مديح الطاغوت والأشرار» [٢١/٢].
- «وكتب عباس محمود العقاد كتيبًا صغيرًا تافهًا عن جيته» [٣٦/١].
- «لأنني وجدت كتاب بريية تافهًا. سيء التأليف، فقير المادة» [٦٥/١].
- «وشعر بمرارة شديدة لتصرف هذا العميد الحقود أحمد أمين» [٦٥/١].
- «كان بذيء اللسان أحقق الطبع» [٦٨/١].
- «النقراشي المعروف بشراسته وحمقه وضيق فكره» [١٢٨/١].
- «كان جبانًا، هيابًا... كان انتهازيًا... وكان مهرجًا» [١٣٥/١].
- «كان يتبجح» [١٣٧/١].
- «كان الجو في كلية الآداب... مسمومًا خانقًا، تكثر فيه الحزازات، واللوشيات، والمهاترات، والمؤامرات» [١٥٧/١].
- «كشفت عن سخائمه» [١٥٨/١].
- «وهو مسخّ مزيف» [١٦٤/١].
- «فؤاد أفرام البستاني - هذا الأفعوان، العرم، النحيث» [١٧١/١].
- «العاجزين الحاقدين... الذباب» [١٨١/١].
- «فما بالك إذا انضاف إلى هذا الجهل المركب العنيد، الحقد الأزرق المدمر» [١٨٤/١].

- «وأنا أعجب لهذا الرجل... كيف تصدر عنه هذه التصرفات الصيانية» [٢٠٢/١].
- «تقف بين زوجها الأبله المعتوه وبين السفير البريطاني» [٢١٤/١].
- «النحاس - الرمز المتجسد للخيانة العظمى» [٢٢٠/١].
- «تلخيص بسيط ساذج» [٢٢٧/١].
- «كتاب تافه جدًا، سطحي جدًا» [٢٢٧/١].
- «تصرفات حمقاء طائشة» [٢٣٨/١].
- «الدوي الأجوف العقيم» [٢٣٨/١].
- «صوته الذي كان يموء به مواء القط المخنوق» [٢٤٠/١].
- «متبلد الإحساس» [٢٤٢/١].
- «الجهل، والتفاهة، والتملق هي المؤهلات الأساسية عندهم جميعًا» [٢٤٩/١].
- «أساليب خسيصة» [٢٧٩/١].
- «وعبروا عن هذه المزاعم بالرطانة المألوفة» [١٢/٢].
- «الفقايح» [٢٥/٢].
- «يقول بكل صفاقة واستخفاف» [٦٨/٢].
- «واليساريون الذين لا يزالون حتى اليوم يهئون - أو يعوون وينبحون -» [٩٤/٢].
- «وكان غليظًا جبانًا غيبًا معًا» [١٨٩/٢].
- «الوصوليون المتطلعون» [٢٤٥/٢].
- «ألاعيب ناشئة جهلة عابثين» [٢٥٧/٢].
- «ألقي بحثًا قصيرًا تافهًا مبتذلًا» [٢٥٨/٢].
- تؤنَّ هجائيَّ هائل طُعمت به السيرة، أحاطها بهالة قاتمة، ومثيرة، ومُرّة.



٢- السُّخرية:

ولكنَّ الاقتدار الأسلوبي لم يكن ليقف عند حدِّ الألفاظ؛ لأن الدكتور ألحق بسيرته ظاهرتين بارزتين جداً. إحداهما: السُّخرية، وما يحوم حولها من أنواع. وكانت له سبلٌ في إيرادها.

من ذلك التلاعب اللفظي:

«وكان ما أطلق عليه آنذاك: «تأميم (= تعميم) الفقر» [١٦٦/١].

ومنه التقليل الشديد:

«وبعضهم لم يحصل إلا على ربع ليسانس» [١٥٦/١].

«عَيَّنوا معيدين في الدرجة السادسة» [١٥٦/١].

وأحياناً يصرِّح بها:

«يا أجهل من أقلتهم الأرض» [١٦٦/١].

ويقول عن صحيفة كان يُصدرها عربيٌّ في فرنسا:

«ولست أدري مَنْ كان يقرؤها، وأغلب الظن أنه لم يكن يقرؤها أحدٌ غيره»

[٢٣١/١].

ويصف رجال السلك السياسي المصري، ويسخر من بعضهم بهذه الجملة:

«وأهم ما يتباهى به الواحدُ منهم هو ملبسه، وكيف يراعي البروتوكول: في الوقوف

والجلوس والسلام وترتيب الجلوس على موائد الطعام... إلى آخر هذه التفاهات، وكان المثل

الأعلى عند الواحد منهم أن يكون رئيس جرسونات!» [٢٤٩/١].

وربما استعمل أسلوب «ذُق إنَّك أنتَ العزيزُ الكريمُ»:

«وكان مصير نص المحاضرة، هو مصير نص المحاضرة السالفة الذكر: لقد ضاع

نصها هي الأخرى في نفس «الغارة الطافرة» [٥٥/٢].

ويَهْزَأُ بجمهور محاضرة:

«قام له الحاضرون وقوفاً وصفقوا له في حركة لم تخل من التهريج المسرحي»

[٢٢٧/٢].

لقد كان هذا الصوت الساخر، صوت بدوي، مسموعاً بين الفينة والفينة، يهدئ من حركة السرد الدفّاقة، ويُظهر عن جانبٍ جديدٍ من جوانب هذه النفس المفعمة.

٣- التعجب:

وأفانينُ التعجب أخرى الظاهرتين. لقد جاءت هذه الأفانينُ حدّاً من حدود الفصل بين سياق السرد المجرد، وإقحام الآراء الذاتية. وهو إقحامٌ أدبي بديع، لا مباشرةً فيه، ويعبر بوضوح وجراحة عن مكونات الضمير. ولقد صَدَرَ فيه عن مشارب:

فَمَرَّةً يصرح بلفظ التعجب:

«فبعث بمقالات هزيلة سمجة تدل على جهله التام بباريس، وأنا أعجب لهذا

الرجل... كيف تصدر عنه هذه التصرفات الصبانية» [٢٠٢/١].

وهذا كثير، منتشر في أرجاء السيرة.

ومرّةً يستلهم الأساليب العربية العريقة، فيستخدم (عباراتٍ سماعية) كما يسميها

البلاغيون:

«كان يتبجح... بأنه يمثل أصحاب الجلابيب الزرقاء، ويا لهذا من كذب وقح»

[١٣٧/١].

أو يستخدم ذلك الأسلوب القياسي، أسلوب: ما أفعله:

«وما أكثر الخشب المسندة» [١٥٤/١].

أو يستخدمه مبالغاً مهولاً:

«أما الشعبُ، فما أدراك ما الشعب!» [٩٦/٢].

ويلجأ - أحياناً - إلى إجابة إنكار القارئ هكذا:

«وكانت وشايتهم تقول: إنني أدعو في محاضراتي إلى النزعة الفينيقية!! إي والله الفينيقية» [١٦٦/١].

ومرة يسأل سؤال المتعجب المنكر:

«فأيُّ مكابر - مهما بلغ من العناد يستطيع أن يجادل في هذا؟!» [٢١٣/١].

ولو بذلنا الجهد لتتبع (تعجبات) بدوي في السيرة لأرهقنا التبع، فما أكثرها!

ولعله كان يدرك غائر أثر هذا الأسلوب في إقناع القراء واستمالتهم، فبالغ فيه شدّد عليه.

٤- الفُكاهة:

وكان من توابع ظاهرتي السخرية والتعجب هاتين، إضافةً جو الفكاهة والدعابة وخفة الظل. وحسي من ذلك أن أذكر أمثلة قليلة:

«إن طلاب الليسانس مزعجون كالجراء الصغيرة على حد تعبير نيتشه...» [٥٣/٢].

وبعد أن نشرت «الأهرام» خبراً عن مناقشة أطروحته التي كتبها عن (مشكلة الموت) حدّث الآتي:

«جاءتني رسائلٌ عديدة من قراء كلهم في سنّ كبيرة، إذ صارت مشكلة «الموت» تشغلهم كل الشغل؛ وفيها يسألونني: هل وجدت حلاً لهذه المشكلة؟!» [١٥٥/١].

ويصنف أعضاء المؤتمرات تصنيفاً هزلياً مسرحياً:

«... ومنهم صنف يظل يغط في نومه طوال إلقاء البحث، ثم يفيق على ما يتلوه من تصفيق تقليدي، ولا يتورع عن إبداء ملاحظة أو أكثر على بحثٍ لم يسمع منه كلمة واحدة! وهو طبعاً يقول كلاماً لا معنى له، ولا صلة له بالبحث.

وقد يستظرف بعضهم نفسه - مع أن ظله أثقل من جبال الهملايا - فيتخذ من الوقت

المخصص للتعليقات فرصة لقول نكتة باردة ممجوجة لا يضحك منها أحد غير نفسه -  
ويكون هذا هو كل ما يسهم به في هذا المؤتمر...» [٢٥٩/٢].

أرأيت الآن إلى هذه النُسمة المنعشة التي تسري في روح بدوي؟ كنت حريصاً على أن  
تراها.

### ٥- فنونٌ أخرى:

بقي أن أبحرَك -أيها القارئ العزيز- أن الرجل لم يُخلص لغته لما مضى من السخرية  
والتعجب والفكاهة فقط، بل لقد ظهرت آياتٌ أخرى للبلاغة والبيان في سرده، جعلته سرداً  
قويّاً سلساً في آن ومنحته مزيداً من الروتق والبهاء، ومزيداً من الرضى والقبول عند المتلقي،  
في تحكم بديع بأسرار اللغة.

فهو لم يُخل السيرة من تشبيه الاستعارة:

«إنشاء كورنيس الإسكندرية بعد أن كانت هذه المدينة تُدير ظهرها للبحر المتوسط  
الرائع المنظر» [٤٧/١].

وعن روما يكتب في شاعريّة:

«إن هذا الفيض الوافر من الانطباعات قد هزّ كياني كله هزّاً عميقاً حتى كدت أنهار  
تحت وطأته» [٧٦/١].

وله في الوصف شأؤٌ لا يُلحق، وكم تردد كثيراً بين جنبات السيرة:

«جبال الألب في إقليم التيرول وقد كستها غابات شاسعة من الصنوبر والشوح  
والشربين، والقمم والأودية تستعد لاستقبال أشعة الشمس في لهفة وقشعريرة، وقطرات الندى  
تتلاها على الأوراق الإبرية... كأنها عقود متوالية من اللآلي الصافية» [٧٧/١].

وفي التحسر يتفنّن، يقول:

«فواحسرتاه على لبنان الجميل الفاتن الذي عرفته...» [١٧٧/١].



«وليت شعري، ماذا كانت حال هذا الميدان أيام ديكرت» [٢٩٤/١] عن ميدان بأمستردام.

«لك الله يا مصر، فأنت لم تعرفي في كل تاريخك مثل هذا الذلّ والهوان» [٩٠/٢].

«فوارحمتاه على الدكتوراهات التي حصل عليها أمثال ماسينيون...» [٢٠٤/١].

٦- جَمَلُ التَّنْوِيفِ:

وتَلَفْتُ في سرد بدوي طريقةً (الجمل التي تُعَجَّلُ بالسرد)، يقول:

«وإمضاء هذا الوقت في الحقول وممارسة بعض شؤون الزراعة قد ولدا في نفسي

حب الأرض الزراعية، وسيكون لهذا أثره في توجيه تصرفاتي...» [٢٢/١].

«انعقدت بين الدكتور طه حسين وبينى أوامر... على النحو الذي سأفصّله في

حينه...» [٥٨/١].

«... وسأسمع في هذه الباحة حفلة موسيقية...» [٧٣/١].

وليس غريباً أن يذهب ذاهب إلى أن أمثال هذه الجمل عيبٌ في السرد؛ لأنها تقطع

على القارئ، وتفسد المفاجئات. ولكنه قد يصحّ القول: إن هذه الجمل تزيد من الفضول

والإثارة، وتحث على المواصلة في القراءة، وهذا ما أرجحه هنا من أسلوب بدوي.

٧- علامات الترقيم:

أما علامات الترقيم فبالغة الأهمية في الكتابة الحديثة، وقد استغل ذلك بدوي أيّما

استغلال، وما الأمثلة الكثيرة الواردة في هذه البحث إلا شواهد واضحة على توظيف بدوي

لها.

فهو يستخدمها لإيضاح ما ينكره قلبه دون التصريح به بلسانه:

«حتى إذا كانوا على بُعد مئة متر من المقبرة هرولوا بالنعش، فيقول عامة الناس: إن

النعش «طار» به وكان هذا دليلاً على صدق ولايته!»

إن الأهلّة التي تحيط كلمة: طار، لتعني أنه ينكر ذلك، ويهزأ به، ولا تنس أن تلمح علامة التعجب [!] آخر الفقرة.

وكثيرًا ما تُعينه هذه العلامات في التوضيح والتفسير، استغناءً عن الكتابة:

«أيها البارثون (= في اليونانية: غرفة الفتيات) !...» [٧٢/١].

وعلامات التعجب -وبه يتميز- أكثر من أن تُحصى. وهي في مواضعها تجلو المعنى، وتُرسّخه، وتقود إلى إقناع المتلقي واستمالته. وفي السخرية يجلب الهلالين، ويكتفي:

«هكذا كتبها والله هذا الكاتب «الكبير»» [٢٠٢/١].

ولم يُغفل كذلك الإفادة من العلامات الأخرى كالنقط، والفواصل بنوعيتها، وعلامة الاستفهام، وعلامة المعنى [=]... ما يدل على ثقافة الكتابة المحدّثة، في كُتب بدوي.

ثالثًا: سيرةٌ وانْفَتَحَتْ (دراسة في ما بعد السيرة):

١- الآراء في السيرة:

ما إن صدرت سيرة عبد الرحمن بدوي حتى اختلف الناس حولها بين رافضٍ، ومغتبطٍ، وبينهما.

الرافضون كانوا الفريق الأكثر، ومثّلوا رفضهم هذا في مقالاتٍ وكتبٍ، وآراءٍ شفهية. مثالٌ من ذلك ما نشرته صحيفة (الشرق الأوسط)<sup>(١)</sup> للكاتب بدوية البشر، تحت عنوان: سيرة وانفتحت، ومنه استعرتُ عنوان هذا الفصل.

تُبدّي الكاتبة في مطلع المقال عن خيبة أملها: «فقد ظننتُ أنه بعمله [تعني بدوي] الطويل في الفلسفة سيكتب عن بحور الفلسفة العالمية وأسرارها...».

(١) صحيفة الشرق الأوسط: عدد ٩٨٢٣، الخميس ١٨ رمضان ١٤٢٦.

ثم تمضي ذاكراً فقد بدوي للوفد ولسعد، فتوافقته في ذلك، لكنها تلمح من طرف خفي عدم موافقة لما كتب عن محمد عبده. ثم تقول: «فقط هتلر والحزب النازي حظي بمديح الدكتور بدوي الذي يصعب إرضاءه... أما طه حسين فكل ما سخر بدوي منه هو صوته، لكنه أصيب بخيبة أمل كبيرة عندما حضر دروسه في الجامعة، ووصفها بأنها فقيرة وبائسة، وكل مؤلفاته انطباعية متناثرة، ولمحات قصيرة... وقد انتقد كثيراً خوف طه حسين... المدهش أن بدوي وهو الذي درس الفلسفة ومَرَّ بدروس علم النفس لم يعرف شيئاً عن ما يسمى (الرُّهاب) ... وما حملني على طوي [كذا] سجادة صبري، والجزم بأن الدكتور عبد الرحمن بدوي اتخذ مواقف متشددة وضيقة الرؤية هو أن مذكراته لم تترك خصومة مع أحد إلا وأدرجها... وعلى الرغم من ذلك فإن كتابة الدكتور عن سيرته يتجلى في معظمها وهو حاقداً [كذا]، غاضباً [كذا]، حانقاً [كذا]، لم ير في الدنيا ما يسر... فليست هذه أخلاق الفلاسفة، جلها خصام، وتحزب للنازية حتى بعد أن تحررت مصر».

هذا المقال مثالٌ معبر عن تيارٍ جارٍ كتب عن سيرة بدوي. وهو مثال جيدٌ للذي تحويه كثير من هذه الكتابات من اعتراض ونقد.

تحدثت الكاتبة غير مرة عن توقعها أن سيكتب الدكتور عن الفلسفة وبحورها ... ثم أنهت مقالها بأن ما سرده يخالف أخلاق الفلاسفة. وغني عن القول أن من يكتب سيرته لا يرتجي منه التفصيل في شؤون العلم، وإلا لما كانت سيرةً (ذاتية)، وهذا أمرٌ لا مراء فيه.

ثم، ما هي أخلاق الفلاسفة التي أشارت إليها الكاتبة!؟

أما أن هتلر وحزبه هم فقط من حظي بمديح الدكتور، فهذا غير صحيح ولا تقوله السيرة قط. إن قراءة سريعة للفصل الأول من هذا البحث تؤكد نقيض ذلك.

والأمر نفسه في موقف الدكتور من أستاذه طه حسين، حيث تذكر الكاتبة أن ما سحره منه هو صوته، ثم كال له الدم. وهذا اجتزاءٌ لبعض الكلم. فإن مجموع موقف بدوي من طه حسين في السيرة يدل على احترام، وتبجيل، ومعرفة بالجميل. وفي مقام النقد كان بدوي يغلف عباراته بأسلوب رقيق، لم يتبعه مع غيره.



أن يكون الضجر بالسيره سببه تنوع الخصومات، فهذه علةٌ مدهشة؛ لأن لكل امرئ حياته، وأحداثه، ومشكلاته. ولا ضير أن يكون رجل كبدوي ذا علاقات معقدة...

هكذا جاء نقد «سيرة حياتي» في هذا المقال: ضبابياً، يخلط شيئاً بشيء، أو يضع يده على البقع السوداء دون غيرها، مع أن النقد من شروطه سعة الأفق، والأناة، والتجرد، أو قل: العدل.

تمثل الاتجاه الثاني مقالةً لحسونة الصباحي، نشرها في الجريدة عينها، لكن قبل ذلك بخمس سنين، هذه فقرأ منها<sup>(١)</sup>:

«... وقد وجد المهرجون والغوغائيون الذين تكاثروا خلال السنوات القليلة الماضية بسبب الخراب الثقافي... في سيرة د. عبد الرحمن بدوي ما يرضي نزعاتهم السادية والتدميرية والتخريبية فراحوا يملؤون الأرض زعيقاً، ناعتين صاحبها بأقبح النعوت... محاولين الحط من شأنه هو الذي أمضى قرابة الستين عاماً في خدمة الثقافة العربية... والذي يقرأ مقالات وردود هؤلاء... يتبين له أن الهدف الأساسي للدكتور عبد الرحمن بدوي من خلال سيرة حياته هو الحط من شأن الآخرين... مقابل ذلك هو لم يفعل حسب رأيهم غير تعظيم شأنه... والحقيقة أن هذه الاستنتاجات التي توصل إليها أصحابنا سخيفة وسطحية وخالية تماماً من الصحة... بل يمكن القول: إن هذه الاستنتاجات تعطي الدليل القاطع على أن أصحابها لا يُحسنون القراءة... إن سيرة الدكتور عبد الرحمن بدوي وثيقة نادرة عن أحوال الثقافة والسياسة في العالم العربي خلال القرن العشرين».

ولكن هذا الاتجاه - على ما فيه من غلو - قليلٌ ضمن مَنْ يكتب عن سيرة بدوي. وتجدد الإشارة إلى أن هذه المقالة لم تخلُ كذلك من تعميم: فبدوي كما سبق الدرس حقراً من شأن قوم، لا شك في ذلك. وكان كذلك مفحماً شأن نفسه.

المقالة الثالثة الممثلة للاتجاه الذي يزعم التوازن عنوانها: ظاهرة عبد الرحمن بدوي:

(١) جريدة الشرق الأوسط: عدد ٨٠٩٣، الأربعاء ٢٩ شوال ١٤٢١هـ.



آلة الفلسفة، الادعاء والاهتمام بالكم على حساب الإبداع الحقيقي، لسعيد توفيق<sup>(١)</sup>، يقول فيها: «في حياتنا الثقافية رموزٌ فكرية، تحولت إلى أصنام نقدسها، ولا يجرؤ أحد على المساس بها؛ لأنها اكتسبت سلطة فكرية يسلم الناس بها دون وعي... ولا شك أن عبد الرحمن بدوي... من هذا النوع... والحقيقة أن الكلام عن عبد الرحمن بدوي... محفوظ بالمخاطر؛ لأنه يمكن أن ينزلق - كما يحدث عادة - إلى الحديث عن الشخص... ويدو أن الاهتمام بالكم مسألة متأصلة في تكوينه الفكري، وفي نظرته إلى نفسه، وتقييمه الذاتي لما أنتجه... فهو في سيرته الذاتية يؤكد على قيمة كتابه عن «إمانويل كانط» المؤلف من أربعة أجزاء... وهو على سبيل المثال يتحدث عن بلدته «شرباص» كما لو كانت مركز الكون...».

وفي هذه المقالة نزعاً إلى النقد العلمي الذي ليس الحديث بصدده بذاته، ولم يتطرق كثيراً إلى النوازع النفسية والشخصية. لكن من صفاته أنه نقدٌ قائم على التعليل أيًا كانت النتائج التي يصل إليها.

ونجد كاتباً آخر يُثني على روح الاعتراف والفضح التي انتهجها بدوي، ويرى أننا بحاجة إلى عبد الرحمن بدوي آخر<sup>(٢)</sup>. وهذا نوع جديد من الكتاب يطمئن إلى الإثارة والمتعة، ويحفل بالتشهير.

لقد رغبتُ من خلال هذا العرض إلى رسم صورة، ولو صغيرة عن الدوي الذي تركته هذه السيرة في الأوساط الثقافية التي تمثلها الصحافة إلى حدٍّ ما. ورغبتُ أيضاً إلى عرض شيء من المحتوى الذي سرى خلال هذه الآراء.

## ٢- مسألة المصّادر:

- (١) نشرت بمجلة نزوى، العدد السابع والثلاثون ٢٦/٧/٢٠٠٩، مسقط.  
 (٢) انظر: مقالة «أدباؤنا لا يعترفون» لعلي سعيد القحطاني (مجلة الثقافية، ملحق بجريدة الجزيرة السعودية: عدد ٦٨، الاثنين ٢ جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ).

لابد من وقفة مع طريقة صاحب السيرة في التعامل مع المصادر في هذه السيرة:

فقد لوحظ أن الدكتور لم يُحل في الجزء الأول إلى أي مصدر، وهذا نهج لا عيب فيه إذا كانت المعلومات المنقولة عفوَ الخاطر، خاصة في سرد السيرة. لكن الأمر ليس كذلك في كثير مما جاء في الجزء الأول منها؛ فهو يسوق تفاصيل غاية في الدقة لا يتصور أن يحتفظ بها ذهنه، من أرقام أو جداول. وارجع مثلاً إلى حديثه عن هولندا [٢٨٤/١] لتعلم أنه لابد ناقلٌ عن كتابِ معلومات وأرقامًا تربو على عشرين صفحة، لكنه لم يذكر مصدرًا.

إن أول ذكر لمصدر نلقاه في الجزء الثاني، يقول:

«لكن الإنصاف يقتضينا أن نعرض وجهة نظر الاتحاد السوفيتي على لسانه هو كما جاء في كتاب «تاريخ السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي... سنة ١٩٧٤» [٧٣/٢].

الملحوظة الثانية أن جُلَّ النقل الذي لم يُحل إليه في الجزء الأول نقلٌ عن مصادر أجنبية لا يعرفها القارئ العربي، فهل وثق الدكتور من عجزه أن يحيط بها فلم يُحل، بينما أحال في الجزء الثاني أحياناً إلى ما يمكن للقارئ أن يخبره، كدائرة المعارف الإسلامية [١١٨/٢]، وتاريخ ابن خلدون [١١٧/٢]. وكتاب «الإمام الحاكم» تأليف أحمد الحسيني أشكوازي سنة ١٩٦٤ [٣٠٧/٢ - ٣٠٨]...؟

لا ريب في أن تلك ثغرةٌ من ثغرات السيرة.

على أن طريقة الدكتور في سائر كتبه تقيّد المصادر التي يصدر عنها سواء في ترجماته، كترجمته لتراجيديات سوفقليس<sup>(١)</sup>، أو فاوست<sup>(٢)</sup>، أو دون كيخوته<sup>(٣)</sup>. أو كتبه:

(١) انظر: ترجمة تراجيديات سوفقليس ص: ٥، ١٢، ١٨، ١٦... (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١٩٩٦م).

(٢) انظر: ترجمة فاوست ص: ٨، ٩، ١٠... (سلسلة المسرح العالمي، وزارة الإعلام، الكويت، يناير ١٩٨٩م).

(٣) انظر: ترجمة دون كيخوته ص: ٦، ٨، ١١، ١٢، ١٣... (دار المدى، أبو ظبي ١٩٩٨).

كالإنسانية والوجودية<sup>(١)</sup>، أو دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب<sup>(٢)</sup>، على سبيل المثال.

غير أن الدكتور لم يُلحَق بكتبه هذه كلها تَبَيَّنًا بالمصادر.

### خاتمة:

حاولتُ أن ينتهي هذا البحث إلى ثمرة ناضجة، لذيدة وإن لم تُشبع؛ لأنني سئمت حين قرأت دراسات كثيرة لم أبرحها بغلة. وحسبي أن كشفت في هذه الدراسة عن شيئين: أنفاسٍ مختلفات من روح بدوي، كان سيخلي إليها الجمع لا الاجتزاء، والصبر ولو فزت بالقليل، لكنني فزت، وأتمنى أن تكون أنت كذلك. وكشفتُ عن أسرار لمعان الأسلوب، وجاذبيته، على أنني لم أقفُ ذلك اللمعان كله. ثم إنني أضفتُ أثر ما بعد السيرة.

لقد طُفنا مع عبد الرحمن بدوي في أرجاء سيرته التي قصت لنا تاريخ هذا الأدب المتفلسف، أو الفيلسوف المتأدب، فوقفنا على مضامين السيرة، التي جرتنا إلى الحديث عن الإسهاب لديه، وعن الذاتية البادية، وعن حُبِّه، وغايته من السرد، وتحديثنا عن سمات الذوق العالي والثقافة العالية التي نُطالع آثارها في كل صحائف السيرة. ثم عرَّجنا على هيكل السيرة ومفاصل بنائها الأسلوبية، فنظرنا في ألفاظ اللغة، واستقرنا أسلوب السخرية التي ميَّز كتابته، وانتقلنا منه إلى التعجب، وروح الفكاهة، وبعض الفنون الأخرى. ولفتنا استعمال بدوي المقيّد لجمل التسويق، وحُسْنُ توظيفه لعلامات الترقيم، وفي آخر الأمر تناولنا الآراء في هذه السيرة ما بين منافع ومشنع، ثم ختمنا هذا البحث بكلام لا بد منه عن المصادر.

لقد انتفعت من هذه الحياة السردية الهائلة بمنافع كثيرة، فكان أن كتبتُ متأثرًا بعد الفراغ منها: «لقد هيَّجت هذه السيرة العظيمة في نفسي مشاعر شتى، نقلتني -لا جرم- من طور إلى طور. ولسوف أحفظ للدكتور بدوي -رحمه الله- هذه الأثرية ما حييت».

(١) انظر: الإنسانية والوجودية في الفكر العربي ص: ١٧، ١٨ (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٤٧م).

(٢) انظر: دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب ص: ٤٢، ٥٥، ٨٤ (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١/١٩٨١م).

هذا وقد تم في هذا البحث استعراض بعض النماذج التي وردت في النصوص العربية القديمة والحديثة، وذلك من أجل إبراز دورها في إثراء اللغة العربية وتنوعها.

المصادر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ع).  
البيروني، كتاب التاريخ، مادة (ع).

المراجع

ابن منظور، لسان العرب، مادة (ع).  
البيروني، كتاب التاريخ، مادة (ع).  
أبو الفدا، كتاب تاريخه، مادة (ع).  
أبو حنيفة، كتاب المغازي، مادة (ع).  
أبو جهم، كتاب المغازي، مادة (ع).

أبو حنيفة، كتاب المغازي، مادة (ع).  
أبو جهم، كتاب المغازي، مادة (ع).  
أبو حنيفة، كتاب المغازي، مادة (ع).  
أبو جهم، كتاب المغازي، مادة (ع).  
أبو حنيفة، كتاب المغازي، مادة (ع).  
أبو جهم، كتاب المغازي، مادة (ع).  
أبو حنيفة، كتاب المغازي، مادة (ع).  
أبو جهم، كتاب المغازي، مادة (ع).

أبو حنيفة، كتاب المغازي، مادة (ع).  
أبو جهم، كتاب المغازي، مادة (ع).  
أبو حنيفة، كتاب المغازي، مادة (ع).  
أبو جهم، كتاب المغازي، مادة (ع).  
أبو حنيفة، كتاب المغازي، مادة (ع).  
أبو جهم، كتاب المغازي، مادة (ع).  
أبو حنيفة، كتاب المغازي، مادة (ع).  
أبو جهم، كتاب المغازي، مادة (ع).



## المراجع

مجلة ما

## المراجع

أولاً: كُتُب الدكتور عبد الرحمن بدوي وترجماته:

- الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٤٧م.
- الحور والنور، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥١م
- دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١/١٩٨١م.
- سيرة حياتي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت، ط١/٢٠٠٠م.
- مرآة نفسي ديوان شعر، ١٩٤٦م
- ترجمة: تراجمديات سوفقليس. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١/١٩٩٦م.
- ترجمة: دون كيخوته، دار المدى، أبو ظبي ١٩٩٨م.
- ترجمة: فاوست، سلسلة المسرح العالمي، وزارة الإعلام، الكويت، يناير ١٩٨٩م
- ثانياً: الكُتُب الأخرى:
- اعترافات جان جاك روسو، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة (مطبوعات كتابي)
- السيرة تاريخ وفن، للدكتور ماهر فهمي حسن، مكتبة النهضة المصرية، ط١/١٩٧٠م.
- السيرة الذاتية في الأدب العربي، لتهاني عبد الفتاح شاکر. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١/٢٠٠٢م.
- عبد الرحمن بدوي. فيلسوف الوجودية الهارب إلى الإسلام، لسعيد اللاوندي (مركز الحضارة العربية بالقاهرة ٢٠٠١م).

- عبد الرحمن بدوي: دراسات مهداة في عيد ميلاده الثمانين، بإشراف الدكتور أحمد عبد الحلیم عطية، (الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٢م).
  - العلماء العزّاب الذين آثروا العلم على الزواج، لعبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢/٣/١٤٠٣هـ.
  - فن السيرة، للدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١/١٩٩٦م.
  - فن التراجم والسّير الذاتية، لأندریه موروا (ترجمة وتقديم وتعليق الدكتور أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٩م).
  - في طفولتي: دراسة في السيرة الذاتية العربية، لتيتز رووكي (ترجمة طلعت الشايب، المجلس الأعلى للثقافة، ط١/٢٠٠٢م).
  - الكتابة والوجود: السيرة الذاتية في المغرب، لعبد القادر الشاوي، دار إفريقيا الشرق، المغرب ٢٠٠٠م.
  - نظريات السرد الحديثة، والاس مارتن، ترجمة حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٨م.
- ثالثاً: الدّوريات:
- صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، عدد ٨٠٩٣، ٢٩ شوال ١٤٢١هـ.
  - مجلة الثقافة: ملحق صحيفة الجزيرة السعودية، عدد ٦٨، ٢ جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ.
  - مجلة نزوى، العدد السابع والثلاثون ٢٦/٧/٢٠٠٩، مسقط.



## سياسة التهجير في الأراضي البيزنطية

دكتور / سهام محمد عبد العظيم

مدرس تاريخ العصور الوسطى - كلية الآداب

جامعة حلوان

مركز بحوث التاريخ والدراسات الإنسانية

صحة جيدة للجميع

كل شيء في الحياة له ثمنه

يا أبا عبد الله

## سياسة التهجير في الأراضي البيزنطية:

لم يكن الأسر البابلي حدثاً فريداً في تاريخ البشرية وإن كان الأشهر، فظاهرة نقل السكان من مدنهم لمدن جديدة تطالعنا على مدار التاريخ الوسيط وهي ما تعرف أحياناً بعملية التوطين **Colonisation** وإعادة التعمير لملء الفراغ في المناطق المهجورة وقد يتم ذلك بصورة إجبارية في الغالب عقب حرب أو ثورة واختيارياً أحياناً نتيجة للظروف الاقتصادية مما استلزم معه دراسة هذه الظاهرة وتتبع وتوضيح أسبابها ونتائجها، ومن هنا كانت أهمية البحث حول ظاهرة تهجير السكان في الأراضي البيزنطية.

وعليه كانت خطة الدراسة تقوم على توضيح أسباب التهجير<sup>(١)</sup>، وقد تنوعت ما بين أسباب عسكرية وسياسية ودينية واقتصادية وان تداخلت الأسباب في بعض الأحيان مما صعب معه فصلها وتحديدها وقد حاولت الباحثة تفنيدها قدر المستطاع، وتتبع سياسة التهجير ضد شعوب مختلفة منها الأرمن والسلاف واليهود وغيرهم، لوحظ أن التهجير كان سياسة ممنهجة في العصور الوسطى اتبعتها القوى الكبرى وقتها وحاولت الباحثة تجميع نتائج تلك الظاهرة من خلال البحث الذي يتناول دراستها في الفترة من القرن الرابع حتى القرن السابع الميلادي.

## الأسباب السياسية للتهجير:

ما قام به الإمبراطور قسطنطين الكبير (٣٢٤-٣٣٧م) فور إتمامه بناء مدينته الجديدة المنسوبة إليه على ضفاف البسفور من رغبة في جمع السكان إليها من جميع أرجاء الإمبراطورية يدخل في نطاق هذه الظاهرة، فقد حث النبلاء على الانتقال إليها ومنحوا قصوراً مماثلة لقصورهم في روما وأطلق على مدينته اسم (روما الجديدة) ومنح الفقراء امتياز الخبز المجاني أو الخبز العام **panes publici** والبيد والزيت والألعاب المجانية (الملاهي) منذ عام ٣٣٠م، كما كان يحدث في روما القديمة<sup>(٢)</sup>.

يتضح من ذلك أن فكرة نقل السكان حتى لو كانوا من نفس الجنس والديانة من مدينة لأخرى ظهرت مبكرة في التاريخ البيزنطي ومع تأسيس القسطنطينية ورغبة الأباطرة في الانتقال إليها وجعلها عاصمة للدولة، ورغم اختلاف الوضع هنا عن غيره من الحالات التي تم

فيها نقل السكان بهدف معاقبتهم على تمرد أو ثورة أو رغبة في إرجاعهم عن مذهب ديني أو ديانة تختلف عن دين ملوكهم إلا أنها تدخل ضمن سياسة إعادة التوطين.

وقد يتسبب الدمار الذي يلحق بإحدى الولايات الحدودية على يد الأعداء إلى هجرة السكان لولاية أخرى فتضطر الدولة لتعويض نقص السكان في هذه الولاية المهجورة بتهجير سكان آخرين إليها.

### الأسباب الاجتماعية للتهجير:

وعند التعرض لأسباب التهجير نجد الأوبئة والأمراض التي تلحق الدمار والفراغ السكاني بالولايات ضمن الأسباب التي تستدعي تهجير السكان مثلما حدث في عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس كوبرونيموس Constantine V (٧٤١-٧٧٥م) عندما تسبب الطاعون في نقص عدد سكان العاصمة فسارع الإمبراطور لملء الفجوة العددية بين السكان بأن وطن إجبارياً حشداً كبيراً من سكان ولايات البلوبونيز<sup>(٣)</sup> في القسطنطينية وذلك في أعوام ٧٤٦م و٧٤٧م<sup>(٤)</sup>.

واستخدمت سياسة تحرير العبيد لخدمة إعادة التوطين بأن يشترط على المحررين الإقامة في الأقاليم المهجورة وكانت سياسة الاستيطان وإعادة التوطين تشمل كل أنحاء الإمبراطورية وإن كنا نستشعر نتائجها بقوة في شبه جزيرة البلقان وفي آسيا الصغرى<sup>(٥)</sup>.

### الأسباب الدينية للتهجير

لجأت الدولة لنقل المنشقين عليها دينياً مثل المانويين<sup>(٦)</sup> واليعقوبيين<sup>(٧)</sup> وغيرهم لأماكن أخرى أو لولايات يرغب في إعادة إعمارها، لأنهم إن تركوا في أوطانهم أصبحوا مشكلة وأثاروا الفتن فتم تهجيرهم رغبة في التخلص منهم واعتقاداً من الحومة البيزنطية أنهم سيذوبون في المجتمعات الجديدة التي ينقلون إليها فيتخلون عن معتقداتهم ولكن كثيراً ما حدث العكس ووجدنا المهجرين يتمسكون أكثر بما يعتقدون بل ويجذبون آخرين في المدن المنقولين إليها إلى معتقداتهم<sup>(٨)</sup>. ويتحدث بروكوبوس عن اضطهاد جستنيان للمؤمنين بمعتقدات مخالفة للدولة وإن أغلبهم ذهبوا وتركوا أوطانهم إلى أرض المنفى<sup>(٩)</sup>.

محاولة تنصير السلاف، التي حدثت في عهد نقفور الأول (٨٠٢-٨١١م) الذي قام بإعادة بناء مدينة باتراس وأسكن فيها عناصر جلبهم من كلابريا وأعاد بناء وتسكين مدينة لاكدمون وأسكنها جماعات جلبها من آسيا الصغرى ومن بينهم عناصر من الأرمن المسيحيين الأرثوذكس يتحدثون اليونانية وهدف من وراء ذلك تنصير السلاف<sup>(١٠)</sup>.



## الأسباب الاقتصادية للتهجير:

كما أن الأوضاع الاقتصادية لبعض الأقاليم الفقيرة تضطر أهلها أحياناً لهجرتها فاتبعت سياسة تهجير العناصر الأجنبية مثل السلاف والآفار والبلغار والترک من خارج حدود الدولة إلى داخلها و سمحت لهم الدولة البيزنطية بالنزول في مناطق هجرها سكانها بسبب الغزو أو الضرائب التي تقدر بموازن فاسدة وبلا رحمة حسب قول بروكوبيوس ورغبة من الدولة في تعويض النقص في الأيدي العاملة خاصة بين الفلاحين لزراعة الأراضي المهجورة<sup>(١١)</sup>، فاعتادت الدولة نقل العناصر الأجنبية من مناطق نزلوا بها لأخرى تحتاج وجودهم بها كما فعل الإمبراطور جستيان (٥٢٧-٥٦٥ م) إذ وطن الوندال في آسيا الصغرى وبعض البلغار في تراقيا وجزء من القوط في بثينا<sup>(١٢)</sup>.

كما اتبعت سياسة التهجير ضد السلاف وإعادة توطينهم كي تستفيد من مهاراتهم الزراعية وبالفعل ستجنى الدولة البيزنطية نتائج إيجابية من خلال ذلك.

## سياسة تهجير الأرمن:

ويعتبر شعب الأرمن من أكثر الشعوب التي عانت من التهجير الإجباري على يد البيزنطيين فكثيراً ما اضطروا للهجرة الإجبارية وأبعدوا عن أوطانهم هذا بخلاف الهجرة الاختيارية من قبل أشخاص أرادوا الابتعاد والفرار من اضطهاد الحكام<sup>(١٣)</sup>.

ومن الممكن أن نجمل أسباب سياسة التهجير تجاه الأرمن بشكل خاص في عدة أسباب هي:

- الخلاف الديني فالأرمن رفضوا مجمع خلقدونية وظلوا منوفيزيتيين مؤمنين بطبيعة واحدة للمسيح عكس حكامهم البيزنطيين وظل لهم كنيسة ذات نظام خاص ورئيسها يدعى الجاثليق والأرمن شعب شديد التمسك بعقيدته، قاوموا جهود الكنيسة البيزنطية ولم يزدحم هذا إلا ثباتاً<sup>(١٤)</sup>.

- خضوع جزء من أرمينية لحكم الفرس شكك البيزنطيين في ولاء الأرمن بوجه عام فاشتد العداء بين الأرمن والبيزنطيين وتحول لكرهية على مدى فترات طويلة<sup>(١٥)</sup>. أضف إلى ذلك ارتباط الأرمن بالدولة الفارسية إذ كانت الأسرة الحاكمة الأرمينية الأولى (الارشكية) فرع من الأسرة المالكة البارثية<sup>(١٦)</sup> الفارسية.

- النزعة القومية القوية لدى الأرمن جعلتهم كارهين لكل ما هو بيزنطي أو ذي تأثير يوناني مما سبب اضطهاد البيزنطيين للأرمن وتشددهم حيالهم واتباع سياسية التهجير معهم.<sup>(١٧)</sup>

لم يقف حد تهجير الأرمن على الدولة البيزنطية بل اتبعته الدولة الفارسية أيضاً كسياسة تخدم مصالحها في المنطقة وإن اختلفت أسباب التهجير الخاصة بها عن أسباب التهجير لدى البيزنطيين، فقد هجر الفرس السكان سواء في الأراضي البيزنطية أم في الأراضي الأرمنية<sup>(١٨)</sup> الخاضعة لهم، إلى مدن بنيت خصيصاً لهم داخل أراضي الدولة الفارسية وتم إحلال سكان آخرين من الفرس أو من جنسيات أخرى مكانهم.

فمن أمثلة تهجير الأرمن على يد الفرس حصار سابور الأول Sapor I (٢٤٢-٢٧٢م)<sup>(١٩)</sup> لمدينة نصيبين<sup>(٢٠)</sup> وقتل كثيراً من أهلها وسبى الباقين وأسكن الأسرى في مدينة جند يسابور<sup>(٢١)</sup>. ومعهم طائفة من جنده وسماها خيرًا من إنطاكية<sup>(٢٢)</sup> كما أطلق عليها (بيت لافاط) ومعناها بالسريانية (دار الأحزان) وذلك لأن أهلها اقتلعوا من أرضهم وبلادهم وجاءوا إلى بلاد غربية عنهم في مناطق فارسية كالأهواز<sup>(٢٣)</sup> و ميشان ونتيجة لتهجيرهم تم انتقال صناعات وحرف من مكان لآخر فعندما نقل سابور سكان بلاد الجزيرة وأمد وغيرها وأسكنهم السوس وتستر وغيرها من مدن الأهواز أصبحت صناعة الحرير والديباج التستري تصنع في تستر والسوس<sup>(٢٤)</sup>.

وفي عهد سابور الثاني Sapor II (٣١٠-٣٨١م)<sup>(٢٥)</sup> تحديداً في عام ٣٣٥م أساء الفرس معاملة الأرمن فأسروا ملكهم وذويه ونقلوهم لفراس وعندما استجد النبلاء الأرمن بالبيزنطيين هاجم الملك الفارسي أرمنية، لكن الإمبراطور قسطنطين الكبير استطاع إعادة الأمير "أرسغ" ابن الملك الأرمني "تيران" لحكم أرمنية عام ٣٣٩م خلفاً لوالده الذي سمل الملك سابور عينيه<sup>(٢٦)</sup>. واحتل الفرس نصيبين في العام التالي وهاجر عنها أساتذة مدرستها وبعض الأشراف إلى آمد ثم إلى الرها<sup>(٢٧)</sup>.

طلب سابور الثاني عقب حربه ضد الروم والتي قتل فيها الإمبراطور جوليان المرتد Julian the Apostate (٣٦١-٣٦٣م) أن يعرض عن الأضرار التي لحقت ببلاده بأن يعطى مدينة نصيبين وكانت قديماً للفرس فدفعوها إليه فتحول أهلها عنها، ضنا بالمسيحية، وكراهية لملك الفرس<sup>(٢٨)</sup>. هذا عن نقل السكان من مدنهم. أما المدن التي هجر منها سكانها فلم تترك خاوية ولكن تمت عملية إحلال بسكان جدد مثلما فعل سابور الثاني عندما نقل اثني عشر ألفاً من أهل بيت من اصطخر<sup>(٢٩)</sup>، وأسكنهم نصيبين وأضاف الطبري



أن سابور كان يخالف ملة أهل نصيبين فنقل سكان من مدن بلاده مثل أهل اصطخر وأصبهان وكور أخرى وأسكنهم نصيبين<sup>(٣٠)</sup>، كما فعل عندما دخل مدينة سنجان<sup>(٣١)</sup> حيث نقل سكانها إلى فارس<sup>(٣٢)</sup> «وسبى سبايا أسكنهم مدينة بناها بناحية السوس سماها أيرا شهر سابور»<sup>(٣٣)</sup>، وبني مدينة نيسابور بخراسان<sup>(٣٤)</sup>، ويذكر الطبري أن هؤلاء المهاجرين عندما دخلوا من باب المدينة المعروفة في اللغة الرومية باسم "على صورة أنطاكية" والمقصود بها "جنديسابور"<sup>(٣٥)</sup> وجدوا البيوت تشبه بيوتهم وكأنهم لم يخرجوا منها<sup>(٣٦)</sup>.

أما الملك الفارسي يزدجرد الثاني (٤٠٩-٤٥٧م) فقد حاول إجبار الأرمن على ترك دينهم بتأثير من رجال الدين الزرادشت<sup>(٣٧)</sup> الذين فرضوا على الأرمن إقامة بيوت للنار في أرمينية، وحرصوا الملك ضد المسيحيين واليهود وجرت معركة أفاير Avarair عام ٤٥١م بين الفرس والأرمن، هزم فيها الأرمن، ففر عدد منهم من أرمينية ولجؤوا للبيزنطيين<sup>(٣٨)</sup>.

واسترق الملك الفارسي كفاد (Khawad) (٤٤٨-٥٣١م)<sup>(٣٩)</sup> جميع الأحياء من أهالي مدينة آمد (ديار بكر) بعد أن استولى عليها وقام بمذبحة رهية ورغم توسلات قس المدينة له أن يكف عن قتل أسراها لكنه لم يفعل، وان كف يده عن كنائس المدينة فلم يخربها، وأسر جميع الأحياء من سكان المدينة واختار منهم ذوي الكفاءات ليحملهم معه لفارس و بعد فترة سمح لجميع الأسرى بالعودة لأوطانهم<sup>(٤٠)</sup>.

وعندما تولى كسري أنوشروان (٥٣١-٥٧٩م) Khusro Anosarwan<sup>(٤١)</sup> الحكم كانت أرمينية وأذربيجان بعضها للروم وبعضها للخزر<sup>(٤٢)</sup> فأسكن المدن التي استولى عليها في أرمينية قوماً سماهم السياسجين<sup>(٤٣)</sup> وظلت هذه المدن الأرمينية بيد الفرس وإن ترك كثير من السياسجين حصونهم ومدنهم بعد فترة حتى خربت واستولى عليها الروم والخزر<sup>(٤٤)</sup>.

وقد نقل الإمبراطور البيزنطي جستنيان الأرمن من بلادهم لآماكن أخرى في الإمبراطورية ولكن بأعداد قليلة ويبدو انه تشكك في ولائهم<sup>(٤٥)</sup>.

في عهد الإمبراطور جستين الثاني (٥٦٥-٥٧٨م) توجه عدد كبير من الأرمن- بسبب الدمار الذي لحق ببلادهم- للعاصمة البيزنطية وأحسن جستين لهم ومنحهم الهدايا والأموال وعقاهم من دفع الجزية لمدة ثلاث سنوات من عام ٥٦٨م إلى عام ٥٧٠م وعندما أرسل إليه الملك الفارسي طالبا استرداد الأرمن على اعتبار أنهم من عبيده وخاضعين لحكمه رفض الإمبراطور جستين ردهم لأنهم مسيحيون استجاروا به.<sup>(٤٦)</sup>

ويبدو أن هؤلاء الأرمن استقروا في العاصمة البيزنطية ونعموا بتوفير مأوا لهم بل وأحسن إليهم الإمبراطور بالهدايا والأموال مما يدل على تحسن حالتهم المعيشية في القسطنطينية.

في عام ٥٧٢ م ثار الأرمن ضد الحاكم الفارسي للمنطقة وقتلوه وعقب فشل ثورتهم، هاجر عدد من نبلائهم وأساقفتهم و بعض الجورجيين واستوطنوا Pergamum بروجاموم<sup>(٤٧)</sup>، بينما ذهب زعماء الثورة إلى القسطنطينية فقبولوا بحفاوة وحرارة<sup>(٤٨)</sup>.

ويأتي تهجير البيزنطيين للأرمن في عام ٥٧٨ م ضمن الدوافع الاقتصادية والعسكرية للتهجير، إذ أمر الملك طياريوس Tiberius (٥٧٨-٥٨٢ م) بنقل عشرة آلاف أرمني إلى جزيرة قبرص<sup>(٤٩)</sup> ويعلق مؤرخ محدث على هذا الأمر بأن من نتائجه استصلاح أراضي زراعية وانخفاض أسعار شراء العبيد وتشكيل جيش قوى لمقاتلة الأمم الأخرى<sup>(٥٠)</sup>.

وجه الإمبراطور طياريوس جيشه إلى مدينة ارزون<sup>(٥١)</sup> وتقع في أرمينية الفارسية) كي ينتقم من الفرس على ما فعلوه بأرض الروم وسيهم للآلاف ونقلهم لأرض فارس<sup>(٥٢)</sup>. فحرق المدينة وهدمها وسبى أهلها وقادهم لأراضي الروم وأثناء ذلك خرج عليه مسيحيو هذه المدينة يحملون الصليب وطلبوا الأمان فأمرهم الجنود البيزنطيين بأن يحملوا متاعهم وماشيتهم إلى أرض الروم، ثم أرسلوا بأمر الملك لجزيرة قبرص فوزعوا على مدنها وقراها<sup>(٥٣)</sup>.

كما قام الإمبراطور موريس Maurice (٥٨٢-٦٠٢ م) بتهجير الأرمن على الرغم من أصوله الأرمينية<sup>(٥٤)</sup>، إلا أنه توجس من الأرمن لأنه شعب يقع على الحدود بين دولته ودولة الفرس واعتبره مصدراً للمتعاب وقرر أن يرسل للملك الفارسي طالباً منه التعاون معه في مهمة تهجير الأرمن حيث أن أرمينية في هذا الوقت كانت مقسمة بين الروم والفرس فأرسل إليه يخبره أنه سيقوم بجمع الأرمن وإرسالهم إلى تراقيا وقال له "ابعث من لديك منهم إلى الشرق فإنهم إن بقوا في وطنهم فلن يكون في ذلك راحة لنا"<sup>(٥٥)</sup>. وإن كان الدافع الرئيسي وراء تهجير الإمبراطور موريس للأرمن حاجته لجنود في تراقيا، ويتضح هذا من كونه أمر بتكوين جيش قوي من الأرمن يجمع نبلاءهم والمهرة منهم في فن الحرب فجهزهم بالأسلحة والعتاد ونقلهم إلى تراقيا ونفذ التهجير جزئياً<sup>(٥٦)</sup>.

ورغم موافقة ملك فارس على خطة موريس إلا أنه لم ينفذها وعندما شرع موريس في التنفيذ فر كثير من الأرمن إلى الفرس ورحب بهم الملك الفارسي كسري الثاني ابرويز



Chosro II Abharvez (٥٩٠-٦٢٨م)<sup>(٥٧)</sup> وقدم لهم الهدايا لأنه أراد أن يكونوا في خدمته<sup>(٥٨)</sup>.

وعندما غزا كسرى ابرويز مدينة سنجار أرسل إليها مائة رجل من الفرس كانوا معاقبين على معصية فأمر كسرى أن يوجهوا إلى سنجار وأقاموا بها وتنازلوا<sup>(٥٩)</sup>. وفي ذلك إشارة هامة لاستيطان جماعات من الفرس كانوا معاقبين بالسجن في مدينة سنجار خلفاً لأهلها.

أصدر موريث مرسوماً في عام ٦٠٢م يقضي بتجنيد ثلاثين ألف من الفرسان الأرمن على شكل جزية ومعهم أسرهم، أرسلوا جميعاً إلى تراقيا وبيدوا أن نقل الأسر مع الجنود كان لزراعة الأراضي التي تمنح للجنود فتزرعها الأسر للإنفاق على معيشتها ولتجهيز الجنود وهو ما يعرف بنظام الإقطاع العسكري<sup>(٦٠)</sup>.

وهدف الإمبراطور من عملية النقل كان التصدي للأعداء في تراقيا وتنظيم هؤلاء الأرمن في ألوية الجيش، وأرسل موريث أحد قادته لتنفيذ أمر التهجير ولكن الأمر لم ينفذ بسبب الثورة ضد موريث والإطاحة به<sup>(٦١)</sup>.

ومن الملاحظ أنه بعد الفتوحات الإسلامية لأرمينية هاجر كثير من أهلها وانتقلوا لبلاد الروم<sup>(٦٢)</sup>. وبعث إليها معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ / ٦٦١-٦٨٠م) ألفي رجل أسكنهم أرمينية وقلقلا<sup>(٦٣)</sup> وأقطعهم القطائع وجعلهم مرابطين بها مما يمثل توطين للعناصر العربية في أرمينية وآسيا الصغرى<sup>(٦٤)</sup>.

هاجر الأرمن من أرمينية مع زوجاتهم وأطفالهم وخيولهم، ورحب بهم الإمبراطور البيزنطي وإن لم تحدد المصادر الأرض التي أعطيت لهم<sup>(٦٥)</sup>.

لم تقتصر سياسة التهجير ضد الأرمن على الفترة موضوع البحث بل تعدتها إلى القرون التالية مما يشير لاستمرار تلك السياسة، حيث قام الإمبراطور قسطنطين الخامس (٧٤١-٧٧٥م) بتهجير السكان من مناطق مثل مرعش وأرضروم وملتين ونقل سكانها من أرمن وسريان إلى تراقيا وقدر عدد الأرمن الذين تركوا وطنهم مع زوجاتهم وأطفالهم وخيولهم<sup>(٦٦)</sup> بحوالي ١٥٠ ألف شخص وهدف الإمبراطور من هذا التهجير حماية تراقيا من البلغار والسلاف فبني للمهجرين مدينة في تراقيا<sup>(٦٧)</sup>.

كانت الدوافع الدينية في عهد الإمبراطور ليو الرابع (٧٧٥-٧٨٠م) سبباً في تهجير الأرمن والسريان لأنهم يعاقبة، مخالفين للحكام البيزنطيين في المذهب وتم أسر أعداد كبيرة منهم أثناء الحملات البيزنطية على سوريا وقليقيا وتم نقلهم إلى تراقيا<sup>(٦٨)</sup>.

وفي عام ٧٩٢م تم نقل خمسة آلاف جندي أرمني من تيم الأرمينيا بعد التمرد الذي نشب في صفوف فرقة منه هي إحدى فرق الجيش البيزنطي معظمها من الأرمن تم تهجيرهم إلى صقلية وجزر أخرى<sup>(٦٩)</sup>.

وتخلص الباحثة إلى أن الإمبراطورية البيزنطية خسرت كثيراً من اتباع سياسة التهجير والتشتيت مع الأرمن لأن منهم عقولاً اشتغلت بالتجارة والأعمال واستفادت منهم الإمبراطورية وظهر من بينهم من حكم الإمبراطورية نفسها ومع ذلك لم يحدث أن هجر شعب على نطاق واسع كما حدث مع الأرمن<sup>(٧٠)</sup>.

سياسة تهجير السلاف:

ويأتي شعب السلاف (الصقالبة)<sup>(٧١)</sup> في المرتبة الثانية من بين الشعوب التي تعرضت لسياسة التهجير وإعادة التوطين وكانوا يقطنون حول نهر الدانوب تحديداً في شمال شبه جزيرة البلقان ويعمل أغلبهم في فلاحة الأرض لأنهم عناصر زراعية جيدة تعمّر الأرض التي تستقر بها مما جعلهم مورداً بشرياً هاماً<sup>(٧٢)</sup>، ويضاف لأسباب تهجير السلاف حرص الإدارة البيزنطية على ترويضهم وإغرائهم لاعتماد المسيحية الأرثوذكسية واستيعابهم في كيان الإمبراطورية<sup>(٧٣)</sup>.

سمحت الإدارة البيزنطية للسلاف بالالتحاق بالجيش والسكن داخل الإمبراطورية حوالي منتصف القرن السادس فاستقروا في البلقان وحكموا تراقيا وسكنوا اليونان وغرب البلوبونيز، وسعوا للاستيلاء على تسالونيك<sup>(٧٤)</sup>، وذلك في صيف ٥٥٠م / ٥٥١م وقد أرسل جستنيان الجيش لمحاربتهم<sup>(٧٥)</sup>، في محاولة منه لوقف تدفقهم داخل الأراضي البيزنطية، ولكنهم استمروا في مهاجمة ولايات شبه جزيرة البلقان وتوغلوا جنوباً فأصبح عدد السلاف المقيمين في الولايات البيزنطية كبير مما أدى لتهديد الوجود اليوناني في تلك المناطق و أدى لتغير التركيب العرقي لشبه جزيرة البلقان التي سكنها المستوطنون السلاف<sup>(٧٦)</sup>.

أدى غزو السلاف للبلقان لهجرة السكان الأصليين من أقاليم اليونان والبلوبونيز في أواخر القرن السادس إلى جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا وكذلك اضطّر أهالي ايلريا وتراقيا الأصليين<sup>(٧٧)</sup> إلى هجرتها فلبجوا إلى الجبال بعد أن أخذ السلاف مناطقهم وسمحت الحكومة البيزنطية ببقاء السلاف أحياناً في المناطق التي نزلوا بها حتى لا تخلف مناطق خالية من السكان مما يغري شعوب أخرى مثل البلغار باحتلالها<sup>(٧٨)</sup>.

وقد قام الإمبراطور البيزنطي موريس بتهجير أعداد كبيرة من السلاف إلى آسيا الصغرى<sup>(٧٩)</sup>. في محاولة منه للاستفادة من السلاف في آسيا الصغرى وتعمير مناطقها التي هجرها سكانها وتخفيف ضغط السلاف على البلقان، ففي عهده نهب السلاف الكنائس



والقبور وأقام ملكهم في كنيسة كورنثوس، فقام موريس بتجنيد رجال الكنيسة وجمع الإتاوات من كل الأقاليم للانتقام من السلاف بسبب الفظائع التي ارتكبوها، وأستأجر شعب الانطاي (الانطونيين) Antes<sup>(٨١)</sup> وهم قبيلة صديقة للسلاف، فنزلوا بأرض السلاف واحتلوها ونهبوها وعندما علم السلاف بما حدث بأراضيهم قرروا محاربة البيزنطيين وتوجهوا لمدينة انخيلوس<sup>(٨١)</sup> وقتلوا معظم حاميتها<sup>(٨٢)</sup>.

وفي أثناء انشغال الإمبراطور طياريوس بحرب الفرس اجتاح السلاف اليونان وتراقيا فاحتلوا المدن والقرى واستقروا فيها وقتلوا سكانها وذلك في عام ٥٨٠م<sup>(٨٣)</sup>. ويعلق أسد رستم على هذا بأن مائة ألف رجل من السلاف عبروا الدانوب واجتاحوا البلقان وأن هذه الموجة الكبرى عدلت تاريخ المنطقة لأنها أبقت في البلقان عدداً كبيراً من الصقالبة (السلاف) فصبغته بطابع الصقالبة منذ ذلك الحين<sup>(٨٤)</sup>.

وفي عام ٦٥٧م أخذ الإمبراطور قنسطانز الثاني Constans II (٦٤١-٦٦٨م) أسرى من السلاف أثناء حملته على سالونيك وضمهم لجيشه وجاء بهم لمحاربة المسلمين الذين غزوا آسيا الصغرى ولكن هؤلاء السلاف انضموا للمسلمين وخانوا الإمبراطور البيزنطي إذ تحول خمسة آلاف منهم في عام ٦٦٥م إلى المسلمين الذين سمحوا لهم بالإقامة في سوريا وبيدوا أن قنسطانز أجبر السلاف الأسرى على الحرب معه مما دفعهم للانقلاب عليه والفرار منه إلى أعدائه<sup>(٨٥)</sup>.

تتابعت حملات تهجير السلاف في القرن السابع والثامن ففي عهد الإمبراطور جستينان الثاني Justinian II (٦٨٨-٦٩٥م) (٧٠٥-٧١١م) تم تهجير أعداد كبيرة من السلاف من مقدونيا بعد أن قاد حملة ضدهم عام ٦٨٨م على سكالافيا وبلغاريا وتسالونيك وهجرهم ووطنهم في آسيا الصغرى بالتحديد في تيم الاوسيق Opsikion في إقليم بثينا Bithynia حيث أن تلك المناطق كانت فقيرة في عدد سكانها وهي كذلك من الأقاليم التي تتعرض للخطر الدائم من قبل أعداء الدولة<sup>(٨٦)</sup>، فأنشأ لهم مستعمرة (عسكرية) عرفت بالمستوطنة السلافية وأراد بهذا تعويض النقص في سكان بثينا وزيادة منعتها العسكرية، فقاد ثلاثين الفا منهم ونقل معهم عدداً من الأسر السلافية و قام بتسلحهم وضمهم للجيش كحلفاء وفي عام ٦٩٢م دخل جستينان الثاني حرباً ضد المسلمين وفي

صحبة جيشه الفرقة السلافية ولكن قائد السلاف ويدعى نيولوس **Neboulus** تم رشوته فانضم هو وعشرين ألفاً من بني جلده إلى المسلمين مما أدى لهزيمة البيزنطيين<sup>(٨٧)</sup>.

كان وراء انحياز السلاف للمسلمين في هذه المعركة السخط والاستياء من حملات جستنيان الثاني ضدهم وتهجيرهم لهم لأراض جديدة<sup>(٨٨)</sup>.

غضب جستنيان لما حدث فأنزل غضبه على بقايا السلاف الموجودين معه إذ أمر بقتلهم جميعاً مع نسايتهم وأطفالهم في مكان يدعى ليوكاتا **Leucata** قرب خليج نيكومديا انتقاماً لما فعله أبناء شعبهم من خيانة له وربما تكون هناك مبالغة في المصادر في أعداد السلاف سوء المنسحجين أو الذين نزل بهم عقاب جستنيان ولكن في النهاية تم تصفية المستوطنة التي أقيمت للسلاف بعد فرارهم ولجوتهم للمسلمين<sup>(٨٩)</sup>.

ولقد فسر البعض سياسة جستنيان الثاني تجاه السلاف أنه كان يغذي الإمبراطورية بدماء جديدة عن طريق نقل جماعات من منطقة لأخرى وأنه حاول إقرار نوعاً من السيادة في ربوع البلقان واستغلال الصقالة كقوة بشرية وتجنيدهم في جند الثيمات ، وتوطينهم كطبقة ملاك عسكريين صغار في آسيا الصغرى.<sup>(٩٠)</sup> وخلاصة الفكرة لدى المؤرخة هسي إن قنسطانز وسلفه جستنيان الثاني اقروا نوعاً من السيادة الجزئية في البلقان واستغلوا هذا الفيض البشري بان وطنوا السلاف كطبقة ملاك عسكريين صغار في آسيا الصغرى وبهذا حولت الإمبراطورية هذا الغزو لمصلحتها<sup>(٩١)</sup>.

أما في عهد قسطنطين الخامس فقد هجرت كتلة سلافية لآسيا الصغرى إذ نقلوا من شبه جزيرة البلقان وكان عددهم ٢٠٨ ألف شخص استقروا قرب نهر ارتناس **Artanas** وهو نهر صغير يصب في البحر الأسود غرب سنجاريوس **Sangarius** قرب البسفور<sup>(٩٢)</sup>.

وفي القرن الثامن والتاسع كانت سياسة تهجير أصحاب الأراضي الزراعية من ثيمات آسيا الصغرى إلى شبه جزيرة البلقان وإحلال السلاف بدلاً منهم ظاهرة ملحوظة وهو ما قام به الإمبراطور نقفور الأول (٨٠٢-٨١١ م) عام ٨١٠ م، ويذكر ثيوفانيس أن تطبيق الفكرة على السلاف تم في جزء من الإمبراطورية<sup>(٩٣)</sup>. وتم نقل عدد كبير من سكان آسيا الصغرى إلى إقليم سالونيك وبقية أقاليم اليونان والبلوبونيز<sup>(٩٤)</sup>.

ويرسم لنا ثيوفانيس صورة دقيقة تظهر جلياً حالة المهجر النفسية عند ترحيله، فيقول أن التهجير القصري للسلاف كان أسوأ من السجن وأن المهجرين عندما كانوا يجبروا على ترك ديارهم كانوا يكون بحرارة على قبور أجدادهم وإبائهم واعتبروهم أفضل



حظا لأنهم عاشوا وماتوا في أوطانهم بل وصل الأمر أن البعض شنق نفسه وكان الموت عنده أفضل من مغادرة وطنه<sup>(٩٥)</sup>.

حدث دمار لمدن شبه جزيرة البلقان بسبب الغزو السلافي، واختفت الأسماء اليونانية والرومانية واستبدلت بأسماء سلافية وحرفت أسماء المدن وتغيرت الخريطة اللغوية للبلقان وسادت فيها اللغات السلافية<sup>(٩٦)</sup>.

حاولت الدولة البيزنطية إنقاذ البلقان من السلاف فنقلتهم لآسيا الصغرى فتغيرت التركيبة العرقية في آسيا الصغرى وأصبحت أكثر تعقيدا وقللت التجانس النسبي الموجود بين السكان لوجود عناصر أجنبية غير متأثرة بالثقافة اليونانية وهذا من أهم النتائج الاجتماعية لسياسة التهجير<sup>(٩٧)</sup>.

ويضاف لنتائج تهجير السلاف الاجتماعية والاقتصادية ما ظهر من جماعات مكونة من ثلاث قرى والتي ميزت خصائص التركيب الريفي في الإمبراطورية البيزنطية والتي بدأت من القرن السابع وهي فكرة سلافية النشأة تبنتها بيزنطة من وقت إنشائها للمستوطنات السلافية في أوروبا<sup>(٩٨)</sup>.

#### سياسة تهجير اليهود:

اتبعت سياسة التهجير مع اليهود بصورة متكررة وكانت تحدث عادة كعقاب على ثورة أو تمرد وهو ما حدث مع اليهود السامريين Samaritans<sup>(٩٩)</sup> اللذين ثاروا عام ٥٢٩م و عام ٥٥٥م في زمن الإمبراطور جستنيان في قيسارية بفلسطين، رغبة في الانفصال عن بيزنطة فقد اشتهروا بالزرعة الاستقلالية ومقاومة الحكم البيزنطي وتكررت ثوراتهم، واستولوا على نابلس وعينوا عليهم قائداً توجهوا إمبراطوراً، ومن أسباب ثورتهم أيضاً محاولة جستنيان إجبارهم على اعتناق المسيحية وإن وصف البعض هذا بالإغراء بدل الإكراه<sup>(١٠٠)</sup> وكان عددهم خمسين ألفاً، قاموا بقتل عدد من المسيحيين وحرق الكنائس وتدميرها وقام قائدهم جوليان بتنظيم سباق للعربات وعندما فاز أحد المسيحيين بالسباق قام جوليان بقطع رأسه<sup>(١٠١)</sup> وحاول زعماء الثورة الاتصال بالفرس وعرضوا عليهم أن يسلموا لهم مدنتهم ومن جانبه طمع الملك الفارسي كسرى أنوشروان في الاستيلاء على بيت المقدس ولكن المؤامرة كشفت ونجح جستنيان في القضاء عليها، ودمرت أملاك السامريين وتم حرقها ومعاقبة اليهود في كل الولايات وقتلهم وصلبهم، وبيع عشرون ألف أسير كعبيد في فارس والهند بواسطة الغساسنة حلفاء الروم وعملائهم وقتل في هذه الثورة حسب قول بروكوبيوس مائة ألف جليلهم من اليهود السامريين وتركت الأرض دون زراعة وأمر الإمبراطور بترحيل السامريين لأماكن جديدة كما هاجر عدد منهم للجبال، وقد أدت تلك السياسة لتحول كثير منهم للمسيحية<sup>(١٠٢)</sup>.

دخل الفرس مدينة بيت المقدس عام ٦١٤ م واحتلوها وأسروا خمسة وثلاثين ألفاً من النصارى واليهود، وأحرقوا الكنائس واستولوا على الصليب المقدس وأرسلوه لفارس ونفوا جميع اليهود من المدينة المقدسة ثم أذنوا بترميم الكنائس<sup>(١٠٣)</sup>.

سياسة تهجير المردة:

وكذلك تعرض المردة **Mardaites**<sup>(١٠٤)</sup> الحراجمة للتهجير من جبل لبنان (جبل اللكام)، وكانوا تابعين لبطريق أنطاكية لانهم على المذهب المونوثيلتي **MONOTHELETIS**<sup>(١٠٥)</sup> مما أثار شكوك البيزنطيين فيهم أحياناً ولما فتح أبو عبيدة بن الجراح المنطقة هم المردة للحاق بالروم، ثم غزاهم حبيب الفهري فصالحوه على ألا يدفعوا جزية ويكونوا أعواناً للمسلمين وغيونا في جبل لبنان وكانوا يستقيمون للمسلمين تارة ويكاتبون الروم تارة أخرى وصالحهم معاوية على أن يؤدي إليهم مالاً وأخذ منهم رهائن ووضعهم في بعلبك<sup>(١٠٦)</sup>.

ثم تم الاتفاق بين المسلمين والبيزنطيين تحديداً في عهد الإمبراطور جستنيان الثاني والخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦/٦٨٥-٧٠٥ م) في معاهدة عام ٦٨٩ م/٧٠ هـ على سحبهم من جبل لبنان وإنهاء غاراتهم وتم إدراج اثني عشر ألفاً منهم في الجيش البيزنطي، وذلك مقابل دفع جزية مقدارها ألف دينار للبيزنطيين، وتم نقلهم لآسيا الصغرى وتراقيا، وعلق العديد على هذا الحدث بأن الإمبراطور جانبه التوفيق بنقل المردة فقد انكشفت الحدود الشرقية للدولة، بمعنى أن الحدود بين القوتين أصبحت بلا قوى حاجزة، وأدى هذا لإضعاف الثغور التي تقابل المسلمين، إذ أصبحت خالية من الحاميات البيزنطية كما هجرها سكانها بسبب هجمات المردة والحق العرب الدمار بأرض الروم حسب توصيف الإمبراطور قسطنطين السابع<sup>(١٠٧)</sup>.

على الرغم مما سبق ذكره من خسائر البيزنطيين في تهجير المردة إلا أن هناك من يذكر مكاسب تحققت من خلال تهجيرهم وهو الاستفادة منهم كبحارة مهرة في البلوبونيز، ومؤاني أخرى<sup>(١٠٨)</sup>.

### الخاتمة

مما سبق يتضح تنوع أسباب التهجير وإعادة التوطين من أسباب عسكرية وسياسية إلى أخرى اقتصادية أو دينية واجتماعية.

وقد أدى تهجير الأرمن الطويل المدى إلى خسائر عديدة لحقت بالدولة البيزنطية من أهمها شدة العداة والكراهة للبيزنطيين من جانب الأرمن.

واتبع الفرس سياسة التهجير وإعادة التوطين وإن اختلفت أهدافهم عن الأهداف البيزنطية.

أما تهجير السلاف إلى آسيا الصغرى فقد أدى لتطوير النظام الزراعي والقروي نتيجة لمهارتهم الزراعية فاستفادت منهم الدولة البيزنطية بصورة أفضل من كونهم مستوطنين عسكريين في البلقان.

فقد أدت سياسة التهجير لانتقال حرف وصناعات ومهارات من منطقة لأخرى.

غيرت سياسة التهجير التركيبية العرقية للعديد من المناطق في الدولة البيزنطية.



(١) ستيفن رنسيمن: الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز جاويد، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٢٣، وسام فرج: بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، دار عين، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٢٤، حاشية ٦٠، حامد زيان: تاريخ مصر وحضارتها في العصر البيزنطي (الحقبة القبطية)، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠١٠م، ص٣١.

(٢) بروكوبوس: التاريخ السري لبروكوبوس، ترجمة صبري ابو الخير، دار عين، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٤٤ حاشية ٧، أيضاً: ستيفن رنسيمن: الحضارة البيزنطية، ص٢٣، وسام فرج: بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٢٤ حاشية ٦٠، حامد زيان: تاريخ مصر، ص٣١.

وسبق أن قام الإمبراطور دقلديانوس بسبب حبه لإقليم دالماشيا أن أحضر عدداً من العائلات الرومانية ليستقروا في هذا الإقليم جاء بهم من روما وأسس مدينة سبالاتو وداقيا Dacia (داشيا) ويذكر أ.د. وسام فرج أن هذه الولاية اضطرت الحكومة الرومانية لإخلائها في عام ٢٧٤م في عهد الإمبراطور أورليان.

قسطنطين السابع، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، عرض وتحليل وتعليق. محمود سعيد عمران، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م، ص١١٧، أيضاً، وسام فرج: قراءة في التاريخ المبكر لكروتيا والصرب في العصور الوسطى، مجلة الجمعية الأثرية بالإسكندرية، عدد ٨، ١٩٩٣م، ص١٥٨.

(٣) البلونيز شبه جزيرة المورة حالياً وهي تسمية يونانية قديمة للمنطقة وكانت مركزاً للحضارة الهلينية وتدفق إليها الصقالبة ورغم ذلك حافظت على سماتها الحضارية.  
بروكوبوس القيصري: الحروب القوطية، ج١، ص٨٨، حاشية ٥.

(٤) Theophanes, the chronicle of Theophanes, tr: Cyril Mango, Roger Scott, Oxford, 1997, p. 593-594, also; Baynes & Moss, Byzantium an introduction to East Roman civilization, Oxford, 1961. p. 52, 301, Peter Charanis, "the transfer of population as A policy in the Byzantin empire" in studies in society and history, V.3, N. 2, (jan1961), p. 144.

Baynes & Moss, Byzantium, p. 52 - 54. (٥)

(٦) المانويون نسبة إلى ماني بن بابك وهو رجل فارسي ولد حوالي عام ٢١٥م/ ٢١٦م، اعترف بصحة الأنجيل الأربعة وقيل أن المانوية تفرعت عن المسيحية والزرادشتية، وانتشرت تعاليمه في أفريقيا وسوريا وفلسطين وكان أكثر أتباعه من الطبقات الشعبية، وقد حارب رجال الدين القديم مذهب ماني فاضطر لمغادرة فارس وارتحل إلى كشمير والصين، انظر:



يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة، ص ٣٧٧، الطبري: تاريخ الطبري، مج ٢، ص ٥٠، ابن النديم: الفهرست، مكتبة خياط، بيروت، ١٩٦٤م، ص ٣٢٨، أيضاً: أسد رستم: الروم، ج ١، ص ٣٥، ٤٧-٤٨.

(٧) اليعقوبيون نسبة ليعقوب البرادعي **Jacobus Baradarus** وهو أسقف سوري ولد في تلا عام ٤٩٠م وتوفي عام ٥٧٨م واعتبره أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة مؤسس كنيستهم بفعل تأثيره الكبير فأصبحوا يعرفون باليعاقبة. وقد ظهر هذا المذهب بعد مؤتمر خلقدونية عام ٤٥١م، ورفض الشرقيون مذهب الطبيعيتين الذي أقره المؤتمر، وانتشر المذهب اليعقوبي في مصر وأثيوبيا وغرب سوريا. انظر:

ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ٧٧، أيضاً ثيودور نولدكه: أمراء غسان، ترجمة: بندلي جوزي وقسطنطين زريق، دار الوراق للنشر، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ٤٣، هنري س. عبودي: معجم الحضارات السامية، ص ٩١٧، عبد العزيز صالح: محاضرات في تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ص ١٨١، محمود سعيد عمران: تاريخ الدولة البيزنطية، ط دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٣م، ص ٩٠، أيضاً:

**C.M.H., V. I, p. 519.**

**Peter Charanis, "the transfer", p. 151-152. also:**

(٨)

بروكوبيوس: التاريخ السري، ص ١١٢-١١٣.  
عجاجة بروكوبيوس " أن الرجل كان يسعد أن يبدل أرض وطنه حتى يتحاشى القبض عليه كما لوأن وطنه سقط في أيدي الأعداء" تعبر عن واطاة التهجير.

(٩) بروكوبيوس: التاريخ السري، ص ١١٢.

**Theophanes, the chronicle, p. 624, 667; Peter Charanis, "the transfer of population", p.144-145**

(١٠)

وعن حملات التبشير بالمسيحية بين الأفار والسلاف التي أدت للتبعية لكنيسة القسطنطينية وبالتالي للإمبراطورية لأن التبعية الروحية لبطريرق القسطنطينية تتضمن تبعية سياسية للإمبراطورية البيزنطية.  
انظر: وسام فرج: قراءة في التاريخ المبكر، ص ١٦٨-١٧١.

(١١) بروكوبيوس: التاريخ السري، ص ١١٣، أيضاً: وسام فرج: بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري،

دار عين، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١.

**Peter Charanis, "the transfer, p.140-154; Baynes & Moss, Byzantium, p. 54.**

(١٢) Peter Charanis, "the transfer, p. 141; J.W.C. Wand, A history of early church to a.d 500, Great Britain, 1965, p. 179-180; J.E. Haldon, Byzantium in the seventh century, Cambridge, 1980, p. 72.

(١٣) ستيفن رنسيومان: الحضارة البيزنطية، ص ٢١٥.

وكان على المهاجر الأرمني إذا التحق بخدمة الإمبراطور البيزنطي أن يتراجع عن مذهبه الديني ويتقبل مذهب مجمع خلقدونيا، ورغم هذا الاضطهاد إلا أن كثيراً من الأرمن نجحوا في تحقيق مناصب عليا في الدولة بل ووصلوا لمنصة الحكم ذاته. انظر:

ستيفن رنسيومان: الحضارة البيزنطية، ص ٢١٥-٢١٦، وسام فرج: بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي، ص ١٤٦، أيضاً:

Peter Charanis, "ethnic changes in the byzantine empire in the seventh century", in D.O.P, V.13, 1959, p. 28.

(١٤) Seboes history, tr: Robert Bedrosian, New York, 1985, p. 52; also: Peter Charanis, "ethnic changes P; 28. Peter Charanis, "the transfer, p. 153.

(١٥) وعن الحقد والعداء بين الأرمن والبيزنطيين وقدمه نجد الأقوال الماثورة عند الجانبيين تؤكد ذلك فالبيزنطيون يقولون عن الأرمن "إن الصديق الأرمني هو أسوأ الأعداء فالأرمني كاذب وخائن ومحتال" والأرمن يقولون إن البيزنطيين يتميزون بالخداع والضعف وأنهم أسوأ الأسياد، كما اتهم عدد من الأرمن بالخيانة والتخابر مع الفرس. انظر:

ميخائيل السرياني: حولية ميخائيل السرياني، ج ٢، ترجمة: مارغريوس صليبا شمعون، دار ماردين، حلب، ١٩٩٦م، ص ١٣٤-١٣٧، بروكويوس القيصري: الحروب القوطية، ج ٢، ترجمة عفاف صبره، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، د.ت، ص ٢١٠. أيضاً: فايز إسكندر: البيزنطيون والأتراك السلاجقة في معركة ملاذكرد في مصنف نفقور برينوس، نها، ١٩٨٤م، ص ٥٦، حاشية ٥٦. أيضاً:

Peter Charanis, "the transfer". p. 153.

(١٦) الأسرة البارثية أو البارسية اسرة حكمت فارس في العهود القديمة ، وكلمة بارسي باللغة العربية تعني فارسي. انظر:

ابن البلخي: فارس نامه، ترجمة يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٢٤، أيضاً: ستيفن رنسيومان: الحضارة البيزنطية، ص ٣٥٢، أيضاً:

Richard G. Hovannisian (ed), The Armenian People from Ancient to Modern Times, New York, 1997, V.1, p.91-93.

(١٧) ستيفن رنسيومان: الحضارة البيزنطية، ص ٣٥١-٣٥٢.

(١٨) أرمينية تقسم إلى أربع أرمينيات كل إقليم يشمل مدن عديدة منها بلاد الران ثودسيوبوليس وأمد وملطية وسميساط والرها ومرعش، وقبدوقيا وميفارقين ودريند وتفليس وطرايزون وبها مقر جاثليق الأرمن وخلاط ومينزيكرت وارجيش وارزن وقالقيا ومدن أخرى عديدة حاولنا عرض بعضها هنا توضيحاً للغزو الفارسي أو البيزنطي وتحديدأ للمدن الأرمينية منعا للخلط بينها وبين غيرها من مدن بيزنطية أو فارسية. انظر:

فايز إسكندر: بلاد الكرج بين المسلمين والبيزنطيين، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية ١٩٨٨م، ص ٩-١٥.

(١٩) الملك سابور الأول ابن أردشير الأول، وكان حازما تلقى تعليماً طيباً وورث عن أبيه قوته ونشأ على حب العلم وكان أقدر ملوك الساسانيين في الشؤون الإدارية وأنشأ عاصمة جديدة في شاه بور وانتصر على الروم، ويذكر المسعودي أنه حاصر القسطنطينية واشترط على الروم بناء بيت للنار وعمارته، ووسع على الناس من أموال الخزانة. انظر:

الطبري: تاريخ الطبري، مج ٢، ص ٤٤-٤٧، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج ١، دار الكتب العالمية، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٤٠، المسعودي: مروج الذهب، ومعادن الجواهر، ج ٢، شرحه وقدم له مفيد محمد تميمة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص ٢٧١، أيضاً:

ول. ديورانت: قصة الحضارة قيصر والمسيح، مج ٦، ترجمة: محمد بدران، ط (الهيئة المصرية العامة للكتاب) القاهرة ٢٠٠٠م، ج ١٢، ص ٢٨٧، أسد رستم: الروم، ج ١، ص ٤٧.

(٢٠) نصيبين Nisibis تقع قبالة مدينة دارا في العراق وبينهما خمسة فراسخ وهي من مدن الجزيرة الفراتية في تركيا الحالية مقابل بلدة القامشلي السورية ويذكر يوحنا الأسيوي أنها عرفت باسم صوبا أي نهاية الحدود بالسريرية.

البلاذري: فتوح البلدان. القسم ٣، ص ٧٨٦، يوحنا الأسيوي: تاريخ الكنيسة، الكتاب ٣، ص ١٤٠، حاشية ٢، ابن خرداذبه: المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص ٩٥، أيضاً:

**Procopius, The Persian war, p. 431, also:**

أسد رستم: الروم، ج ١، ص ١٩٢.

(٢١) يكمل ابن الأثير الحديث عن حملة الملك الفارسي فيقول: "وتجاوزها للشام وفتح كثيراً من مدنها وحاصر ملك الروم في أنطاكية وأسرته وحمله هو وجماعة كثيرة معه " وعن أسر الإمبراطور البيزنطي فربما المقصود هنا حاكم أنطاكية وليس الإمبراطور ذاته إذ لم يرد أسر إمبراطور بيزنطي في هذه الفترة. للمزيد انظر:

ابن الأثير: الكامل، مج ١، ص ٢٢٤.

(٢٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٢، ص ١٧٠.



- (٢٣) الأهواز كورة عظيمة تضم سبع كور بين فارس والبصرة وهي خوستان (في إيران الحالية) وما تزال مدينة الأهواز قائمة على نهر كارون الذي يمد شط العرب في إيران .  
ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٣، ص ٦٩٠-٦٩١ .
- (٢٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٢، ص ١٧٠، الطبري: تاريخ، مج ٢، ص ١٠٢ / ١٤٩، المسعودي: مروج، مج ١، ص ٢٦٨ .
- (٢٥) سابور الثاني هو سابور بن هرمز ولقبه العرب بذي الأكتاف لأنه كان يخلع أكتاف العرب الغساسنة وهو الذي بنى جسرين على نهر دجلة وهناك رواية في المصادر أنه ذهب لبلاد الروم متكرراً فقبض عليه الإمبراطور وسجنه وأن لم يتحقق صدق هذه الرواية وقد أوردها الكرديزي في كتابه.  
أبو سليمان البناكتي، روضة أولى الألباب في معرفة الأنساب المشهور بتاريخ البناكتي، ترجمة وتقديم محمود عبد الكريم علي، (المركز القومي للترجمة)، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٦٨، أبو سعيد عبد الحي الضحاك الكرديزي: زين الأخبار، ترجمة عفاف السيد زيدان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٦م، ص ٧٤ .

(٢٦) Norman H .Baynes,"Rome and Armenia in the fourth century "in the english historical review, v.25. No.100, Oct. 1910, p. 627, Armenian People, V.I.1, p.91; also:

- أسد رستم: الروم، ج ١، ص ٧٥ .
- (٢٧) سد رستم: الروم، ج ١، ص ١٦٢ .
- (٢٨) ابن الأثير: الكامل، مج ١، ص ٢٣٠، أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٥٠، اميانوس ماركلينوس: مصر في القرن الرابع، ترجمة: وهيب كامل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت، ص ٨-٩ .
- (٢٩) اصطخر بلدة من أجل مدن إيران في الشمال شرقي شيراز.  
البلاذري: فتوح البلدان، قسم ٣، ص ٦٨٧ .
- (٣٠) الطبري: تاريخ، مج ٢، ص ٦٠. ايضاً :

Richard G. Hovannisian (ed), The Armenian People, V.I., p. 90.

- (٣١) سنجار بلدة قديمة في العراق بمحافظة نينوي وهي من كور ربيعة كما يذكر ابن خردادبه، هاجمها سابور الساساني واحتلها ونقل سكانها إلى فارس وبيدوا أن الأمر تكرر في عهد كسرى ابرويز بمعنى احتلال الفرس لسنجار وتهجير أهلها وإحلال فرس مكانهم .  
ابن خردادبه: المسالك والممالك، ص ٩٥، أيضاً: هنري عبودي: معجم الحضارات السامية، ص ٤٩٥، عرفان شهيد: روما والعرب، ص ٣٠٢، ايضاً :



**Clement R. Markham. C.B., A General sketch of the history of Persia, London, 1874.**

- (٣٢) هنري س عبودي: معجم الحضارات السامية، ط٢، طرابلس لبنان، ١٩٩١م، ص٤٩٥، أسد رستم: الروم، ج١، ص٧٥
- (٣٣) الطبري: تاريخ الطبري، مج٢، ص٦١
- (٣٤) ابن الأثير: الكامل، مج١، ص٢٣١
- (٣٥) جند يسابور مدينة بناها سابور بن أردشير فنسبت إليه واسكنها سبي الروم وطائفة من جنده ومعنى اسمها خيزًا من أنطاكية. ولكن الأرجح ان الاسم منسوب إلى بانيها أي الملك سابور. وهي تقع في خوزستان بإيران
- ياقوت الحموي معجم البلدان، مج٢، ص١٧٠. البلاذري فتوح البلدان، قسم ٣، ص٧٠٨
- (٣٦) الطبري: تاريخ الطبري، مج٢، ص٤٧، ١٠٢. أيضا عبد القادر أحمد يوسف الإمبراطورية البيزنطية، المكتبة المصرية، بيروت، ١٩٦٦م، ص٦٣
- (٣٧) زرادشت يعتبره الفرس بمثابة نبي، أتى ملك الفرس بكتاب هو الأستا. ودان الملك بدينه وحمل أهل مملكته عليه فأجابوه طوعًا وكرهًا، وأمر بكتاية الأستا على جلد البقر وزينوها بالذهب ووضعوها في قلعة اصطخر في خزائن ملوك العجم.
- أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر. ط وزارة الثقافة، ١٩٥٩م، ص٢٥. الكرديزي: زين الأخبار، ص٦٠، أحمد حسين بكر أشهر الأساطير الفارسية، دار مشارق، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص١٠
- (٣٨) J.P. Asmussen, 'christians in Irain' in the cambridge histioey of Irain, Cambridge, 1993, vol. 3, part 2, p. 942; also: Theophanes, the chronicle, p. 480; Kenneth Scott Latourette, A History of Christianity .U.S.A. ,1955, p. 103.
- أسد رستم: الروم، ج١، ص٧٥
- (٣٩) كفاد أو قباد (قباد) بن فيروز كان في الخامسة عشرة من عمره عند توليه الحكم. واستمر ملكه ثلاثة وأربعين عامًا. بدأ حكمه بالعدل لكنه تغير. وظهر مزدك في عهده فاعتنق المزدكية، فوثب مزدك وأصحابه على الناس وسلبوهم أموالهم ونساءهم. توفي في ٥٣١م، وتولى بعده ابنه كسرى أنوشروان.
- الكرديزي: زين الأخبار، ص٨٠، ابن قتيبة: المعارف، حققه ثروت عكاشة، ط٤ (دار المعارف)، القاهرة، ١٩٨١م، ص٦٦، ابن البلخي: فارس نامه، ص٨٢-٨٤. البناتكي: روضة أولى الألباب، ص٧٤-٧٦، أبي حنيفة الدينوري: الأخبار، ص٦٤، الطبري: تاريخ الطبري، ج٣، ص٩١-٩٤ أيضًا:

Diell, History of Byzantine Empire, tr: George B. Ives, New York, 1969, p. 26, 1997, p. 274, Stein, Histoire du Bas-Empire, Amsterdam, 1949 T. II, p. 294.

(٤٠) آرثر كريستنسن: إيران، ص، ٣٣٢، عفاف صبره: الجزيرة، ص ٩٩، أيضاً:

Procopius, the Persian War p. 59-61.

(٤١) كسرى أنوشروان من أعظم ملوك الفرس الساسانيين وكان طموحاً عمل على رفع شأن دولته وسعى لمد حدود الدولة، وسبب تسميته أنوشروان "العاقل" أنه سن سنًا طيبة، واستراح الخلق في عهده وترفهاوا. ولد الرسول -عليه الصلاة والسلام- في عهده وقال، "وُلدت في زمن الملك العادل وهو أنوشروان". الكرديزي، زين الأخبار، ص ٨٤، البناتكي، روضة، ص ٧٦، الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٩٨-١٠٤، ابن قتيبة، المعارف، ص ٦٦٣-٦٦٤؛ أيضاً، نبيه عقيل، الإمبراطورية البيزنطية، ط. دمشق، ١٩٦٩م، ص ٦٦. أيضاً،

C.M.H, v. II, p. 29; Evans, J.A.S, The Age of Justinian, New York, 2000, p.118; Guy Gauthier, Justinien, le rêve impérial, Paris, 1999m, p. 244.

(٤٢) الخزر شعب غير سامي سكن إقليم الخزر بين المجرى الأدنى لنهر الفولجا والمنحدرات الشمالية للقوقاز، وكانت أرمنية الأولى والثانية أي بلاد الكرج تابعتين لمملكة الخزر، اعتنق الملك والطبقة العليا اليهودية وحاولت الدولة البيزنطية تحويلهم للمسيحية خاصة في عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس.

محمد الشيخ: الخزر وعلاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية، مجلة العلوم الاجتماعية، الرياض، السعودية، العدد ٤، ١٩٨٠م، ص ٣٤٩-٣٥٠، فايز إسكندر، بلاد الكرج، ص ٩٤. أيضاً:

Nikephoros patriarch of Constantinople, short history, tr: Cyril Mango, Washington, 1996, p.89; Also:

Dimitri Obolensky, Byzantium and the Slavs, London, 1971, pp. 484 - 487.

(٤٣) السيجان اسم شعب بالإضافة لمنطقة بأرمنية الأولى شمال أرمنية، يطلق عليها السيجان.

البلاذري: فتوح البلدان، قسم ٣، ص ٧٣٨، ابن خردادبه: المسالك والممالك، ص ٢٤٦.

(٤٤) ابن الأثير: الكامل، مج ١، ص ٢٥٩-٢٦٠، أيضاً:

Richard N. Frye, The Heritage of Persia, London, 1965, p. 234-240.

Peter Charanis, "the transfer of population", p. 141.

(٤٥)

ومن الأمور الجديرة بالذكر أن في عهد جستينان تناقص عدد السكان مما أدى لتناقص الطاقة البشرية المتوفرة للخدمة العسكرية وجرى استخدام الحلفاء والبربر والمرزقة في الجيش لتعويض النقص وبعضهم شق طريقه لأعلى القيادات حيث أصبح في مقدوره التأثير على السياسة الإمبراطورية جلاتفيل داوني القسطنطينية في عهد جستينان. ترجمة فاروق أنيس جرار. وزارة الثقافة والشباب. عمان. ١٩٨٢م. ص ٥٥

(٤٦) يشير ميخائيل السرياني أن الفرس شددوا الخناق على الأرمن كي يسجدوا للنار كالمجوس وان جستينان رد علي طلب كسرى بان الأرمن شعباً مسيحياً هرب من عبادة الشيطان مما يشير لسبب هجرة الأرمن صنا بدينهم  
يوحنا الآسيوي تاريخ الكنيسة. الكتاب ٣. ص ١٠٢. ميخائيل السرياني حولة ميخائيل السرياني. ج ٢. ص ١٧١

(٤٧) برجاموم تقع في آسيا الصغرى كات من أملاك السلوقيين وتقع على طريق رئيسي هام من طرق آسيا الصغرى وتنسب إلي برجموس ملك البرحميين حكام سوريا الذين استولوا على أملاك السلوقيين

**W. M. Ramsay, the historical geography of Asia Minor, London, 1890, p.44.**

(٤٨) أسدرستم الروم ج ١. ص ١٩٩ أيضاً

**Peter Charanis, "ethnic changes", p. 29.**

**Peter Charanis, "the transfer of population", p. 141, 150, (٤٩)**  
also:

يوحنا الآسيوي تاريخ الكنيسة. ص ٢٣٦

عائشة أبو الجدايل الامبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي (الأول الهجري). الفردان للنشر والتوزيع. ١٤١٥هـ. ص ٣٢٩

**Evagrius, History of the church, p. 444.** (٥٠)

(٥١) مدينة أرزون **Arzanana** قرب حلاط في أرمينية وهي اليوم في تركيا وهي غير ارزن الروم (أرض الروم) وتقع في ارمينية العظمى وكانت تحت حكم الفرس ويذكر قسطنطين السابع أن ارزن وخالط ومدن أرمينية أخرى أهميتها إنها تقع بين بلاد الرومان و ارمينية فهي حط دفاع أمامي يعرقل الجيوش ويمنعها

البلادري فتوح البلدان. قسم ٣. ص ٦٨٤ قسطنطين السابع إدارة الإمبراطورية البيزنطية.

ص ١٦٥. أيضاً دائرة المعارف الإسلامية. مج ٤. ص ٥٣١

(٥٢) يوحنا الآسيوي تاريخ الكنيسة. ص ١١٦-١٢١. أيضاً

**Seboes, history, p. 51.**



(٥٣) وقد كان للفرس حصون في الجزيرة كما للروم فتهادونا وتبادلوا السلع والتجارة على الجزيرة.  
يوحنا الآسيوي: تاريخ الكنيسة، ص ١٠٥-١٠٦، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، دار الآفاق  
العربية، ٢٠٠١م، ص ٨٩.

Peter Charanis, "the transfer of population", p. 142. (٥٤)

(٥٥) ورد نص الرسالة في :

Seboes, History, pp. 44-47; also: Peter Charanis, "the transfer of population", p. 142; also:

عائشة أبو الجدايل: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٢٩.

Seboes, History, pp. 47-50. , also: (٥٦)

عائشة أبو الجدايل: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٣٠، ستيفن رنسيان: الحضارة البيزنطية، ص ٢١٦.  
(٥٧) كسري الثاني ابرويز الذي تذكره بعض المصادر و المراجع باسم "خسرو" معنى اسمه الروح الخالدة،  
وكلمة ابرويز تعرب بمعنى المظفر، وقد حكم لمدة نصف قرن، وتولى بناء على وصية والده رغم أنه  
كان ثالث أبنائه وليس الأكبر، وتم إيوان الفرس في عهده .

الأصفهاني: سنى ملوك الأرض والأنبياء، تراجم مكتبة الإسكندرية رقم ٩٢٣.١، ص ٤٥-٤٧، ابن  
قتيبة: المعارف لابن قتيبة، تحقيق ثروت عكاشة، ط. دار المعارف ١٩٨١م، ص ٦٦٣-٦٦٤،  
اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج ١ ط. بيروت، د. ت، ص ١٦٩، ابن البلخي: فارس نامه، ص ٨٥-٩٥،  
البناتكي: روضة، ص ٧٨-٧٩..

Seboes, History, pp. 47; also: Peter Charanis, "the transfer of population", p. 142. (٥٨)

عائشة أبو الجدايل: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٢٩-٣٣٠.

(٥٩) البلاذري: فتوح البلدان، قسم الأول، ص ٢١٠.

Seboes, History, pp. 80.,also: Peter Charanis, "the transfer of population", p. 142; also: (٦٠)

عائشة أبو الجدايل: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٣٠.

وكانت الدولة تمنح الأراضي خاصة الحدودية كملكية وراثية بشرط أن يدافع الملاك عن الحدود  
وينقلوا هذا الالتزام لأبنائهم وعن نظام الإقطاع العسكري وقطع الأرض الممنوحة للجنود وكيفية زراعتها  
انظر :

وسام فرج: بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص ٥٢-٧٥/٥٤، حاشية  
٤٨ ج.م.هسي: العالم البيزنطي. ترجمة: رأفت عبد الحميد، دار عين، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١٠٢.



Seboes, History, pp. 81; Peter Charanis, "the transfer of population", (٦١) p.143; also:

فايز إسكندر: البيزنطيون والأتراك، ص ٥١. حاشية ٥٤

(٦٢) البلاذري: فتوح البلدان، قسم ١، ص ٢٤٢-٢٤٤

(٦٣) وتكتب قليقية وتقع في أرمينية وسميت نسبة لامرأة اسمها قالي خلفت زوجها على حكم أرمينية فينت المدينة وأسمتها قاليقا أي إحسان قالي وقاليقلا في المصادر الإسلامية وثيودوسيوبوليس في المصادر البيزنطية وكارين في المصادر الأرمينية.

البلاذري: فتوح البلدان، قسم ١، ص ٢٣٤، أيضاً: فايز إسكندر: البيزنطيون والأتراك، ص ٥١، حاشية ٥٤.

(٦٤) البلاذري: فتوح البلدان، قسم ١، ص ٢٤٢-٢٤٤، أيضاً:

Peter Charanis, "ethnic changes", p. 29.

Theophanes, the chronicle, p. 469, also: Peter Charanis, (٦٥) "ethnic changes", p. 29.

Theophanes, the chronicle, p. 593-594, also: Peter (٦٦) Charanis, "the transfer of population, p.144 Charanis, "ethnic changes, p. 29

Nikephoros Patriarch of Constantinople, Short history, (٦٧) Eng.trans. Cyril Mango, C.F.H. B, Vol. XIII, (Washington, 1990), p.145, also; Peter Charanis, "the transfer of population", p.144.

Peter Charanis, "the transfer of population", p.144. (٦٨)

عن ثيم الارمنياق والفرق العسكرية الأرمينية وبعض قادته من الأرمن. فقد سبق وثار قائد هذا الثيم ضد الإمبراطور في ٦٦٧م. للمزيد انظر

طارق منصور. قطوف الفكر البيزنطي، الفصل الخامس "الأقاليم البيزنطية في ضوء كتاب قسطنطين بورفيروجنيتوس عن الأقاليم البيزنطية". ج ١. مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٢م.

Peter Charanis, "the transfer of population", p.144. (٦٩)

عن ثيم الارمنياق والفرق العسكرية الأرمينية وبعض قادته من الأرمن. فقد سبق وثار قائد هذا الثيم ضد الإمبراطور في ٦٦٧م. للمزيد انظر:

طارق منصور: قطوف الفكر البيزنطي، الفصل الخامس "الأقاليم البيزنطية في ضوء كتاب قسطنطين بورفيروجنيتوس عن الأقاليم البيزنطية". ج ١، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٢م.

(٧٠) عن نظام المرتزقة وارتباط ولائهم بالمال، انظر: ستيفن رنسيمان: الحضارة البيزنطية، ص ١٧٤ / ٢١٦، أيضاً:

Norman H .Baynes, "Rome and Armenia", p. 626, Michael Angold, "the byzantine empire", London, 1984, p. 9.

(٧١) الصقالبة أول قبيلة عرفتها الإمبراطورية الرومانية من السلاف وكانت بدايتهم في قلاع في غرب روسيا ثم استوطنوا المنطقة من جبال الألب حتى شبه جزيرة البلقان وذلك في مطلع القرن السادس الميلادي ويذكرهم بروكوبوس باسم الاسكلافين أو السكلافيني.

بروكوبوس القيصري: الحروب القوطية، ج١، ص ١٤٠، حاشية ١١٦، ج٢، ص ٦٤، حاشية ٤٠. يوحنا الأسيوي: تاريخ الكنيسة، الكتاب الثالث، ترجمة صلاح عبد العزيز محجوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٣٥، حاشية ٤٣، وسام فرج: بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي، ص ١٦.

(٧٢) يوحنا الأسيوي: تاريخ الكنيسة، الكتاب الثالث، ترجمة صلاح عبد العزيز محجوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٣٥، حاشية ٤٣، وسام فرج: بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي، ص ١٦، أسد رستم: الروم، ج١، ص ١٣٥.

(٧٣) أول من تحدث عن الغزوات السلافية المبكرة على الدانوب هو المؤرخ بروكوبوس في عام ٥١٨م. كما وصفهم كاتب حولية معجزات القديس ديمتري بانهم شعب أكثر شراسة من غيره. انظر بروكوبوس القيصري: الحروب القوطية، ج١، ص ١٤٠، يوحنا الأسيوي: تاريخ الكنيسة، ص ١١٤. أيضاً:

Anastasins the Librarian; 'the passion and Miracles (BHL2123) of St. Demetrius col. 717; also: PL. 29.

Florin Gurta, the making of the Slavs, Cambridge, p.75, also:

وسام فرج: "السلاف في شبه جزيرة البلقان وجهود الامبراطورية البيزنطية لاسترداد سيادتها (٥٩١-

٧٠٨م)" المجلة التاريخية المصرية، مجلدان ٣٠-٣١، ١٩٨٣-١٩٨٤م، ص ١٤٧. أيضاً

George Ostrogorsky, "the Byzantium empire in the world of the seventh century", D.O.P; N. 30; 1959, p.18.

(٧٤) تسالونيك أكبر مدن البلقان وكانت هدفا لغارات السلاف وفشلت حملاتهم ضدها أكثر من مرة وسام فرج: بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي، ص ٩٣، وسام فرج: "السلاف في شبه جزيرة البلقان وجهود الإمبراطورية البيزنطية لاسترداد سيادتها"، المجلة التاريخية المصرية، مج ٣٠-٣١، ١٩٨٣-١٩٨٤م، ص ١٤٥.

Miracles of St. Demetrius, col. 720, Theophanes, the (٧٥) chronicle, p. 41

سبق وأن أحدث جستنيان وقيعة بين السلاف وشعب الانطاي وحدث بينهم قتال انتصر فيه السلاف عام ٥٣٩/٥٤٠ م.

Ostrogorsky, "the Byzantium empire, p;66, Peter Charanis, "the transfer of population", p. 141-142.

John. L.Teall; Barbarians in Justinian armies, Speculum, V.40, Apr. 1965, p.311. Florin Gurta, the making of the Slavs, p.75-78.

P. Empire, Ostrogorky, "the Byzantium 18; C.M.H.V.II, (٧٦) 1967, p. 31.

استولى السلاف على دالماشيا فطردوا الأهالي الأصليين وفر الأهالي إلى مناطق ومدن ساحلية مثل راجوزة وغيرها وبعض المدن أصبحت خالية من سكانها.

قسطنطين السابع: إدارة، ص ١٠٥ - ١٠٨، ١١٧، أيضاً:

A.A. Vasiliev, history of the Byzantine empire, v.1, U.S.A, 1970, p.171. Peter Charanis, "the transfer of population", p. 142.

Illyrians & Thracians (٧٧) الاليريون والتراقيون عناصر عرقية رئيسة استقرت في شمال البلقان

في العصر الروماني ويذكر ميخائيل السرياني أن التراقيين الأصليين كانوا متمسكين بمجمع خلقدونيا.

يوحنا الأسيوي: تاريخ الكنيسة، ص ١١٤، ميخائيل السرياني: حويلة ميخائيل السرياني، ج ١، ص ٤٩٢، أيضاً: وسام فرج: قراءة في التاريخ المبكر لكرواتيا، ص ١٥٣، أيضاً:

Procopius, History of the Wars, the Persian War, Books I-III, Eng. trans. H.B. Dewin L.C.L. London, p. 441.

Theophanes, the chronicle, p. 391. Also: Peter Charanis, "the transfer of population", p.142.

(٧٨) ويذكر بروكويوس أن جيوش جستنيان التي حاربت ضد الفرس في الشرق كانت تضم جنوداً من تراقيا

غير معتادين على الحرارة الشديدة وأنهم مرضوا بسبب هذا وكانوا شغوفين للعودة لبلادهم وربما المقصود بهم فرق السلاف .

Procopius, the Persian War, p.427; also:

وسام فرج: "السلاف في شبه جزيرة"، ص ١٥٥، أيضاً:

Peter Charanis, "the transfer", p. 143.

Theophanes, the chronicle, p. 394-395, not2; also (٧٩)

وسام فرج: "السلاف في شبه جزيرة، ص ١٥١، حاشية ٢٤ - ١٥٣، ج.م. هسي: العالم البيزنطي،

ص ١٠٥، أيضاً: قسطنطين السابع: إدارة، ص ١١٧، أيضاً:

Peter Charanis, "the transfer of population", p. 142.



(٨٠) ظهر هذا الشعب في المصادر كحلفاء للرومان وحاربوا في إيطاليا ضد القوط الشرقيين وحرصهم الرومان للهجوم على مستعمرات السلاف وهم من نفس جنس السلاف وكانوا في الماضي يطلق عليهم اسم واحد هو **Spori** وكانوا يحتلون جزء من الضفة الشمالية لنهر الدانوب .  
بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، ج٢، ص١٣٥، حاشية ٥٨، يوحنا الآسيوي: تاريخ الكنيسة، ص ١٤٢ : ١٤٤ حاشية ٧٧، أيضاً:

**John. L. Teall, the Barbarians, p. 299; Florin Gurta, the making of the Slavs, pp.78-81.**

(٨١) انجيلوس إحدى مدن تراقيا تقع على الساحل الغربي للبحر الأسود شمال ابولونيا وتكتب أحياناً انجليوس على سبيل الخطأ .

(٨٢) يوحنا الآسيوي: تاريخ الكنيسة، ص١١٤/١٢٤، أيضاً: ستيفن رنسيمان: الحضارة البيزنطية، ص٣٣٨. أيضاً:

**Theophanes, the chronicle, p.376; also; Florin Gurta, the making of the Slavs, p. 80.**

(٨٣) يوحنا الآسيوي: تاريخ الكنيسة، ص١١٤، وسام فرج: بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي، ص١٦

(٨٤). أسد رستم: الروم، ج١، ص٢٠٧

**Theophanes, the chronicle, p. 484-487;also: Peter Charanis,"the transfer of population,p;143; Peter Charanis, "the Slavic element in the thirteenth century", Byz., t. X VIII, 1946-48, p.70. Haldon, Byzantium, p. 55-56.**

(٨٦) نيم الأوسيق في المنطقة الشمالية من آسيا الصغرى وهو من المناطق المعرضة للخطر دائماً بسبب الفرس الذين أرادوا أن يكون لهم موضع قدم على شواطئ البسفور وبحر مرمرة ولهذا كان أفقر الأقاليم في السكان وكان في حاجة لمستوطنين جدد.

وسام فرج: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١، ص٤٦ حاشية ١، طارق منصور: قطوف، ص ١٥٧ : ١٦٢، أيضاً:

**Theophanes, the chronicle, p. 508, not2\ 511;also: Peter Charanis,"the transfer, p. 143, Peter Charanis, "the Slavic element, p.71-73, Haldon, Byzantium, p. 71-72.**

**Theophanes, the chronicle, p.415, not12\ 508-511 Joannis (٨٧) Zonaras, Epitomae Historium, P.G., t. 135, p. 228-230; also:**



وسام فرج: "السلاف في شبه جزيرة، ص ١٥٥، وسام فرج: العلاقات، ص ٤٩-٥١، وفسر أ.د. وسام فرج، أسباب الحرب بين البيزنطيين والمسلمين في هذه المعركة بالتفصيل أيضاً:

Peter Charanis, "the transfer, p. 143; Peter Charanis, "the Slavic element, p. -73; Haldon, Byzantium, pp. 71-72.

Joannis Zonaras, Epitomae Historium, p. 230; also: (٨٨)

وسام فرج: العلاقات، ص ٤٩-٥١.

Theophanes, the chronicle, p.511-512, not3; Joannis (٨٩)  
Zonaras, Epitomae Historium, p.230, also; Peter Charanis,  
"the Slavic element, p.73-75.

(٩٠) ج.م.هسي: العالم البيزنطي، ص ١٠٥-١٠٦، وسام فرج: السلاف في شبه جزيرة البلقان، ص ١٥٥

Peter Charanis; "the transfer", p. 143; Dimitri Obolensky,  
Byzantium and the Slavs collected studies, London, 1971, pp.  
485-489.

اعترف الصقالبة بسيادة الإمبراطور هرقل عليهم منذ بداية القرن السابع بمعنى ان استقرارهم لم يصبح  
نهائي إلا في حوالي هذا الوقت.

ستيفن رنسيومان: الحضارة البيزنطية، ص ٣٤١، وسام فرج: بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي ،  
Dimitri Obolensky, Byzantium, p.482 ص١٨، ايضاً:

(٩١) هسي: العالم البيزنطي، ص ١٠٥.

Nikephoros E., Short history, p.149; Also Peter Charanis, (٩٢)  
"the transfer of population, p.144; Peter Charanis, "the  
Slavic element, p. 71.

(٩٣) وسام فرج: بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي، ص ٨٨، أيضاً:

Theophanes, the chronicle, pp. 663-667; also: Baynes & Moss,  
Byzantiu, p. 52.

(٩٤) يتحدث الإمبراطور قسطنطين السابع في كتابه عن ضعف النفوذ البيزنطي في إقليم دالماتيا في عهد  
بازيل الأول في القرن التاسع بسبب غزو السلاف حتى أن الأهالي أصبحوا يدفعون الجزية لهم وعن  
التحديد الجغرافي لإقليم دالماتيا يقول أنها تبدأ من حدود ديراتوم أو انتياري إلى جبال استريا ونهر  
الدانوب.

قسطنطين السابع: إدارة، ص ١١٧، ١٢١، أيضاً: وسام فرج: السلاف في شبه جزيرة، ص ١٦١.

also: Theophanes, the chronicle, p. 667.

Theophanes, the chronicle, p. 667. (٩٥)

وصف ثيوفانس تلك الصورة في عهد الإمبراطور نقفور الأول وقد استغرق تنفيذ أمر التهجير ستة أشهر وذلك عام ٨١٠ م .

**Peter Charanis, "the transfer of population", p. 144-145.**

(٩٦) وسام فرج: قراءة في التاريخ المبكر لكرواتيا والصرب في العصور الوسطى، ص ١٦٥، أيضاً:

**A.A.Vasiliev, History of the Byzantine Empire, V.1, U.S.A, 1970, p. 172. Dimitri Obolensky, the Byzantine commonwealth, London, 1971**

**Peter Charanis, "the transfer of population, p.141. (٩٧)**

**Peter Charanis, "the Slavic element, p. 70.**

يذكر وسام فرج أن الأراضي التي هجر أصحابها إلى آسيا الصغرى تملكها الدولة وإن هذا كان من وراء أهداف نقفور في التهجير الاستيلاء على هذه الأراضي الزراعية الهامة .  
سام فرج: بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي، ص ٨٨.

**Peter Charanis, the Slavic element, p. 71. (٩٨)**

(٩٩) اليهود السامريون هم من بقايا مملكة شمال إسرائيل ولم يكونوا محبوبين من المسحيين ولا من اليهود أنفسهم ومركزهم العاصمة الدينية القديمة في المنطقة الممتدة من قيسارية على ساحل البحر وحتى طبرية وتميزوا بالنزعة الاستقلالية ، سبق لهم الثورة على البيزنطيين والاتصال بالفرس وتشير اليهم المصادر بشكل منفصل عن اليهود فتقول اليهود والسامرة.

**Theophanes, The Chronicle, pp. 271\ 337\ 355. J.P.A. Evans, the age of Justinian, ew York, 2000, pp. 116-117, also :**

يوحنا الاسوي: تاريخ الكنيسة، ص ٥٤، ايضاً: وسام فرج: بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي، ص ٣٩ حاشية ٥٩.

ويذكر عرفان شهيد أن اليهود لم يفقدوا هويتهم فعندما تكون الهوية مرتبطة بمذهب أو معتقد ديني فإنها تبقى لارتباطها الشديد بالدين .

عرفان شهيد: روما والعرب، ص ٤٨-٤٩ .

(١٠٠) تمثل هذا الإجراء في أن جستنيان منحهم في قانون رقم ١٢٩ م لعام ٥٥١ م بعض الحقوق المدنية والتي حرّموا منها ذي قبل ومنها حق الميراث وكتابة الوصايا وحرمان المخالفين دينياً من توريث ممتلكاتهم لذويهم إحدى العقوبات التي استخدمها جستنيان في زمنه وقد أشار إليها المؤرخ المعاصر بروكويوس انه تم تنفيذها ضد أصحاب العقائد غير الأرثوذكسية والتي عرفت بالهرطقات .

ميخائيل السرياني: تاريخ، ج ٢ ص ٧٨، ايضاً: وسام فرج: بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي، ص ٣٩

حاشية ٥٩، ايضاً: بروكويوس: التاريخ السري، ص ١١١. ايضاً :

**J.A.S. Evans, the age, pp. 116-117.**

(١٠١) فيما يخص أعداد السامريين أورد ملالاس وبروكوبيوس أعداد ضخمة فيما يخص القتل والأسرى في نهاية الثورة مما يدل على تجاوزهم للعدد المذكور في النص وربما بأربع أضعاف.

يوحنا الآسيوي: تاريخ الكنيسة، ص ١٠٥ ، بروكوبيوس: التاريخ السري، ص ١١٣، أيضاً:

**Theophanes, The Chronicle, p. 137. Malalas, the chronicle of John Malalas, tr: Elizapeth Jeffreys & Michael Jeffreys & Roger Scott, Mellourne, 1986, p.260-261.**

**Theophanes, the chronicle, p. 271-273\ 323\ 337, (١٠٢) Malalas, the chronicle, pp260-261.**

ويلاحظ التضارب في تواريخ ثيوفانيس إذ ذكر الأحداث في غير موضع من الكتاب وخلط بين التواريخ، وسبب تلك الثورة أن جستيان أصدر تشريعات صارمة ضدهم، فقد ثار السامريون في تاريخ سابق في عام ٤٨٤م.

يوحنا الآسيوي: تاريخ الكنيسة، ص ١٠٥/١٥، بروكوبيوس: التاريخ السري، ص ١١٣.

أيضاً: وسام فرج: بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي، ص ٣٩، حاشية ٥٩، يوحنا الآسيوي: تاريخ الكنيسة، ص ١٣٥، حاشية ٤٦. أيضاً:

**J.P.A.Evans, the age, pp. 115-117.**

(١٠٣) أسد رستم: الروم، ج ١، ص ٤٤٢. أيضاً:

**A. D. lee, the role of hostages in Romian diplomacy with sasanian Persia, historia zeitachrift für altr geschichtr Bd.400.3, 1991, p. 86.**

(١٠٤) المردة هم الجراجمة وذلك نسبة الي مدينتهم جرجومة في جبل اللكام ، بين بانياس وبوقا وهم جماعات مسيحية سكنت الجبال واتخذتهم بيزنطة حائطا فولاذيا لحماية حدودها من غارات المسلمين ،

قسطنطين السابع: ادارة ، ص ٢١، حاشية ٢، البلاذري: فتوح البلدان، القسم الأول، ص ١٨٩.

(١٠٥) مونوثليت معناه مذهب المشيئة الواحدة القائل بان للمسيح مشيئة واحدة .

وسام فرج: العلاقات، ص ٣٩، ٤٣.

(١٠٦) البلاذري: فتوح البلدان، القسم الأول، ص ١٨٩، أيضاً :

**Theophanes, the chronicle, pp. 506-507; also;**

وديع فتحي: العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص ٧٢، وسام فرج: العلاقات، ص ٤٣.

**Joannis Zonaras, Epitomae Historium, p. 228 - 230, also: (١٠٧)**



قسطنطين السابع: إدارة، ص ٨٥. أيضاً: وديع فتحي: العلاقات السياسية، ص ٧٣، وسام فرج: العلاقات، ص ٤٤.

Also: , p.143; Peter Charanis,"the transfer  
Ostrogorsky, History of the Byzantine state, tr: Hussey, (١٠٨)  
Oxford, 1956, p. 117-118.



التاريخ يكتبه المنهزمون  
موقعة الحرة ٦٣ هـ \ ٦٨٣ م نموذجا  
"دراسة تحليلية"

دكتور / عبد الهادي العجمي



## الملخص باللغة العربية

## التاريخ يكتبه المنهزمون

موقعة الحرة ٦٣ هـ \ ٦٨٣ م نموذجاً

## "دراسة تحليلية"

تأتي هذه الدراسة لتحاول إعادة فهم تشكيل النص التاريخي لحدث من أهم الأحداث التاريخية في عهد الدولة الأموية ٤٠ - ١٣٢ هـ = ٦٦١ - ٧٥٠ م وهي وقعة الحرة ٦٣ هـ \ ٦٨٣ م ، فهذه الوقعة ، التي استطاع من خلالها المؤرخون والرواة إخضاع الخطاب والنص التاريخي لسيطرتهم ، وأثبوا وقوعها بالفعل ، إلا أنهم أخفقوا في تقديم صورة متكاملة تعكس الجوانب المتعددة للحدث .

لذا سعت الدراسة تحديداً لإخضاع الوقعة وإعادة قراءتها قراءة نقدية وتحليلية ، من خلال تفكيك النصوص والروايات، طارحة إشكالياتها وتساؤلاتها، هل أعاد المؤرخون إنتاج الوقعة وتشكيلها في نايا النص الروائي والتاريخي طبقاً لشروط تختلف عن شروط تكونها ؟ وهل نجح المؤرخون في الملاءمة بين النص من جهة ، وعدم التحيز لمكانة المدينة المنورة ورمزيتها وأهلها من جهة أخرى؟ أم جاءت استجابتهم لما أحاط بالوقعة من روايات غيبية ونصوص تخيلية وهمية ، ليشكل فيما بعد نوعاً من تعصب المؤرخين لطبقتهم؟

كما حاولت الدراسة كذلك كشف المعالجة التاريخية، التي دعت المؤرخين حين اشتدت المتناقضات في موقف أهل المدينة لاستخدام النص والرواية لترجيح موقف المدنيين على الشاميين ، وهو ما سمح فيما بعد بتعدد مستويات التأويل والاسترسال للحدث، انطلاقاً من هذه النصوص والروايات المدونة ، في سياق بعضه عاطفي، والأخر غيبي متخيل، بما جعله في النهاية يرتقي ليكون ملحمة مأساوية طرفيها (الديني والسياسي).

## Summary

History is written by the losers  
Signed free 63 e | 683 AD model  
"Analytical study"

*This study revisits one of the most important historical events in the Umayyad state (40-132 A.H./661-750 C.E.) the battle of al-Ḥarra (63 A.H./683 C.E.). Although the historians and narrators have long proven the historicity of the battle they have done so by controlling the narrative and suppressing the many reasons behind the battle.*

*This study through the analysis of the various narratives tries to answer the following: Did the historians reproduce this event according to a different set of criteria than those governing the actual event? And were the historians successful in producing a cohesive narrative that kept close to the actual events while maintaining a neutral stance with regards to the people and the city of Medina? Or was their response to, i.e. their narratives of, the battle of al-Ḥarra a kind of intolerance by the Historians Class that required the use of imaginary and false narratives?*

*This study has uncovered the historical treatment of this incident, which has the historians, when dealing with the contradictory narratives, add weight in favor of the Medinans over that of the Syrians. Thus allowing the multiple levels of interpretations of these narratives some passionate others imaginary that shaped this incident into a tragic epic; politicaly and religiously.*

تأتي دراستنا هذه لتحاول إعادة إنتاج وتشكيل النص التاريخي لوقعة من أهم الوقعات التاريخية التي حدثت في عهد الدولة الاموية ٤٠ - ١٣٢هـ = ٦٦١ - ٧٥٠م وهي وقعة الحرة ٦٣هـ \ ٦٨٣م ، والتي تم إنتاجها وتشكيل نصوصها من قبل المؤرخين والرواة بما جعلها ( الملحمة ' المأساوية الفادحة في تاريخ المدينة وأهلها ) ، تلك المدينة التي انصبت فيها كل طاقة العرب ورموزها كما يرى البعض ٢ ، حيث سعت الدراسة لإخضاع الوقعة وإعادة قراءتها قراءة نقدية وتحليلية ، وتناولها من جانب مغاير لطبيعتها المرصودة والمدونه عبر الفاعلية التاريخية للمدينة ورمزيتها الدينية والروحية.

وتطرح الدراسة إشكالياتها وتساؤلها ، هل أعاد المؤرخون انتاج الوقعة وتشكيلها في ثنايا النص الروائي والتاريخي طبقاً لشروط تختلف عن شروط تكونها؟

وهل نجح المؤرخون في الملاءمة بين النص من جهة ، وعدم التمييز لمكانة المدينة ورمزيتها وأهلها من جهة أخرى؟ أم جاءت استجابتهم لما أحاط بالوقعة من روايات غيبية ونصوص تخيلية ووهمية ليشكل فيما نوعاً من تعصب المؤرخين لطبقتهم ؟

الأمر الذي جعل الوقعة في النهاية تعبر عن حدث مأساوي كتب بدوافع ما ، بعيداً عن شروط وقواعد المسار التاريخي الحقيقي.

<sup>١</sup> - الوقعة العظيمة القتل. وقيل موضع القتال. وألحمت القوم إذا قتلهم حتى صاروا لحمًا. والملحمة الحرب ذات القتل الشديد .. والوقعة العظيمة في الفتنة - انظر لسان العرب، ج ١٢ ص ٢٥٤

<sup>٢</sup> - انظر هشام جعيط الفتنة الكبرى ، ص ٧٨



لقد اعتبرت الحرة رداً قاسياً على ثورة المدينة تجاه الخليفة الاموي يزيد بن معاوية "٦٠-٦٤هـ / ٦٨٠-٦٨٣ م ٣ ، بل أن عنف المجابهة التي تم استخدامها من قبل السلطة والتي وصلت لحد الاستباحة والاهانة كما تذكر بعض المصادر جعلتها تمثل حدثاً إستثنائياً في المشهد التاريخي لثاني أهم الأماكن الاسلامية المقدسة بعد مكة.

ومهما يكن من نتائج هذه الواقعة فإنها وبلاشك أفرزت وضعاً جديداً للمدينة غير بشكل جذري ما يُعرف بالجغرافية المقدسة للمدينة المنورة ، وعمل على تغيير قواعد اللعبة السياسية والتاريخية ، وتركها تعاني تبعات ما التصق بها جراء هذه المأساة

## مدخل

توظيف المادة في الرواية التاريخية للعصور الاسلامية المتقدمة لم يكن وفق طريقة موحدة وإنما تباينت طرقه تبعاً لطبيعة الرؤيا والسؤال الذي يطرحه المؤرخ<sup>٤</sup> ، والذي تعود له الأولوية المنطقية في التحقيق التاريخي فيما يرصده بالتدوين والكتابة<sup>٥</sup>

ويتفق الكثيرون من المؤرخين أن كتابة التاريخ الأموي "٤٠ - ١٣٢هـ = ٦٦١ - ٧٥٠م". تمت في أحواء غير منصفه وربما (معادية لهم) . فهو العصر الذي شهد أزمات كبرى في التاريخ الإسلامي . منها مقتل الحسين<sup>٦</sup> . وابس الزبير . وضرب الكعبة

<sup>٤</sup> - لأسباب مختلفة سياسية ودينية واجتماعية

<sup>١</sup> - على حد تعبير بول ريكور (Paul Ricoeur) ص ٩٣

<sup>٥</sup> - فيما يرى البعض أن الخطاب التاريخي "يقبل الخضوع للتقييم والحقائق . بينما يقبل الخطاب الروائي للتقييم الأيديولوجي . وذلك بسبب خضوع الأول لثنائية (الصدق والكذب) قياساً إلى ما يفترض أنه واقعي . وعدم خضوع الثاني لهذه الثنائية بالضرورة- انظر عبد اللطيف محفوظ الرواية التاريخية وتمثل الواقع . مجلة الموقف الأدبي . اتحاد الكتاب العرب . دمشق - سوريا . العدد ٤٣٨ . السنة السابعة والثلاثون - تشرين الأول ٢٠٠٧ . ص ١٤

<sup>٦</sup> - في كربلاء سنة ٦١

بالمنجنيق، وانتهاك حرمة المدينة المنورة<sup>٧</sup>، وظلم الموالي، وغيرها من الأمور ، كما يصور لنا التاريخ.

لذا كان القبول بما يُعرض علينا اليوم عن الأمويين وعلى أيدي رجال تعددت مذاهبهم واتجاهاتهم الفكرية وولاءاتهم السياسية... يضعنا أمام تساؤلات ملحة تفرضها تناقضات حادة، فنحن أمام دولة تركت آثارًا ضخمة في ميادين السياسة والحرب والإدارة، واستمرت تقود المسلمين - آنذاك - على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأديانهم وطموحاتهم أكثر من تسعين عامًا (٤١-١٣٢) هـ.

المدينة المنورة<sup>(٨)</sup> وقسمات المعارضة في عهد يزيد بن معاوية " ٦٠-٦٤ هـ / ٦٨٠-٦٨٣ م.

يخضع الفكر الديني في كثير من الأحيان لمحددات (الرمزي) في تحديده وفي فصله بين المكان المقدس، والمكان العادي<sup>٩</sup> ، حيث أشار ياقوت الحموي مقاربا المعنى اللغوي للمقدس

<sup>٧</sup> - يثرب تقع على بعد ثلاثمائة ميل إلى الشمال من مكة، كما تبعد ينبع عن مينائها على البحر الأحمر مائة وثلاثين ميلاً. وهي في أرض بركانية بين حرتين، وقد اشتهرت بالخصب والنماء، وفي شمالها جبل أحد. ومن أدينتها وادي العقيق- للمزيد انظر احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربي ، ص ٢٥

<sup>٨</sup> - كانت تسمى قبل الإسلام يثرب ، وتروي المصادر التاريخية أنها سُكنت من قبل جماعة من العماليق يقال لهم عايل ، ثم توالى بعد ذلك الهجرات إلى هذا الموضع والمواضع القريبة ، وبدأ ينشأ مجتمع سكاني من عديد من القبائل والعشائر هناك. حتى جاء الإسلام في سنة ٦٢٢ م ووحدها في مدينة واحدة هي المدينة المنورة - محمد بن يوسف الصالحى الشامى الصالحى سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد تحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٣ م ، كذلك مكى ، محمد شوقي بن إبراهيم، أطلس المدينة المنورة، ص ٣٠

<sup>٩</sup> - حيث تضرب فكرة قداسة المكان في جذورها إلى التاريخ البشري القديم، ولعلها صاحبت يقظة الإنسان الحضارية في المجتمعات القديمة

قائلاً: "المقدس في اللغة المتزّه... المطهر"<sup>(١٠)</sup> لذا لو انتقلنا إلى معاينة التصور الديني للجغرافية الروحية للمدينة المنورة نجد أنها مثلت للدولة الإسلامية الكيان الواضح والمنظم، حيث شهدت المدينة المنورة (يثرب)<sup>١١</sup> منذ تأسيسها وحتى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليها صراعاً عنيفاً بين القبيلتين الكبيرتين آنذاك؛ الأوس والخزرج<sup>(١٢)</sup> لكن وعقب الهجرة والاستقرار والايذان يبدأ قيام المجتمع، والدولة، وظهور العاصمة السياسية للدولة الإسلامية الجديدة، التي انبثقت عنها السلطة الدينية، بدأ المسلمون يتخذون شكلاً منظماً ويكتسبون الصفات الأساسية للسلطة، ومع دخولهم في حروب وصراعات مسلحة مع قوى معارضة لهم، أدى هذا الصراع المسلح المنطلق من عاصمة الدولة الإسلامية وبقية القوي التي كانت تحارب دعوة الرسول إلى أن استنفذت هذه القوي المعارضة للنبي كافة إمكانياتها الحربية والسياسية، وأصبحت المدينة المنورة هي القوة الجديدة والتي استطاعت أن تصمد لخصومها، وأن توقع بهم الهزائم وتحول الموقف إلى جانبها، أما المرحلة الأكثر وضوحاً فهي مرحلة ما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، خصوصاً إبان حروب الردة<sup>١٣</sup> حيث استطاعت المدينة المنورة في ذلك الوقت كونها عاصمة الخلافة

<sup>(١٠)</sup> ياقوت الحموي. ص ٣٧٩. ٣٨٠.

١١ - إذا كان اسم يثرب قد ورد في الكتابات المعينة القديمة فلا بد أنها كانت من الموضع التي سكنها جاليات من معين، ثم صارت إلى السنين بعد زوال مملكة معين، وقد ذكرها بطليموس في جغرافيته باسم **Lathripp1** وهي أيضاً **Lathrippa polis** التي ذكرها اصطيفانوس البيزنطي<sup>٢</sup> وعرفت كذلك باسم المدينة من كلمة مدينتنا **Medinta** التي تعني الحمى - للمزيد راجع **Oloary, P. 137** جواد علي ١/٤ ١٨١.

<sup>١٢</sup> - جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤/١٣٤ - ١٤٠ و ٦/٥١٣ - ٥٣٧.

<sup>١٣</sup> - هناك مصادر عديدة تذكر الردة قد بدأت بعد وفاة الرسول وخاصة بعد انتشار خبر وفاته، للمزيد راجع الواقدي، الردة، 48، ص، البلاذري، فوح البلدان ص 110 - كذلك دراسة وجدان جميل علي جابر - الردة/دراسة تاريخية في مرويات محمد بن اسحاق 151هـ / 768 م (وسيف بن عمر 180 هـ) / 796 م (ومحمد بن عمر الواقدي 207 هـ) / 822م) جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠١٣.



أن تثبت أنها قادرة على تدمير أي انشقاق بالقوة وتفرض سلطتها السياسية على الأرض وتوطئها ، فبعد أن أمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها بقية حياته<sup>(١٤)</sup> ومن بعده بقية الخلفاء (أبو بكر ١١- ١٣هـ / ٦٣٢-٦٣٤م - عمر (١٣- ٢٣هـ / ٦٣٤-٦٤٤م) - عثمان بن عفان (٢٣- ٣٥هـ / ٦٤٤-٦٥٥م) الذين عكس وجودهم في المدينة وضعا فريداً ومتميزاً اختصت به ، هنا تحديداً يمكن القول أن المدينة اعتبرت منذ ذلك الوقت صانعة السياسة والحرب ، بجانب رمزياتها وقديستها الدينية.

ومع انفجار الصراع على السلطة بين علي ومعاوية- انتقلت الخلافة إلى الكوفة ودمشق، حيث كانت الأخيرة تعبيراً عن الدولة بشكلها الجديد ، بفضل ماتنطوي عليه بلاد الشام من محرز حضاري، ومن تقدم في مجالات مختلفة لا سيما دمشق ، التي عبرت في هذا الوقت تحديداً عن خط التقدم التاريخي للدولة الإسلامية الجديدة ، أما المدينة فكانت تمثل خط التاريخ والرمزية الدينية التقليدية بقدمها وسابقتها.

وفي هذا الإطار يقول الدكتور الجابري اذا نظرنا إلى الدولة بوصفها ظاهرة سياسية فإننا سنجد أن " ملك " معاوية بن أبي سفيان " ٦٦١- ٦٨٠م كان " دولة السياسة" في الاسلام، حيث أوجد معاوية بالفعل من خلال سلوكه الشخصي ، وبفعل التطورات الاجتماعية " المجال السياسي للدولة باعتبارها تعبيراً سياسياً يشمل السلطة والمعارضة في آن معاً، ويشمل كذلك سائر التيارات السياسية والاتجاهات الفكرية التي تغذيها، والحقيقة أن المدينة المنورة على الرغم مما لحقها في عهد معاوية من تهميش وابتعاد عن المشاركة في

<sup>١٤</sup> - السيرة النبوية ٤/٢، ٤٩٤، والبداية والنهاية ٣/١٨٤ .



صناعة القرار السياسي إلا انها كانت لاتزال تحتفظ بجزء كبير من مكانتها .

عموماً أصبح المجال السياسي بالنسبة للمدينة بعد خسارتها بالانفراد بمكان العاصمة منحسراً في رمزيتها المقدسة ، حيث ظل التصور الديني للجغرافية الروحية لها، هو الطابع الأبرز الذي يغلفها بعيداً عما كان في دمشق عاصمة الخلافة وقتها.

وفي تجاوزنا لفترة الصراع بين الإمامين علي ( ٣٥ هـ - ٦٥٥ م / ٤٠ هـ - ٦٤١ م ) ومعاوية ( ٤١ هـ - ٦٦١ م / ٦٠ هـ - ٦٨١ م ) ، ومن ثم الاستقرار الملحوظ الذي أصبحت عليه الدولة في ظل انفراد معاوية بالحكم وموت الامام علي أواخر العام ٤٠ هـ، نلاحظ أن الخليفة يزيد بن معاوية استلم الحكم بعد أبيه في ظل معارضة قوية ، كانت المدينة المنورة هي الأشد وضوحاً فيها بالنسبة للمشهد السياسي بجانب مكة المكرمة .

ومع تأزم الموقف وازدياد قوى المعارضة بالحجاز<sup>١٥</sup> عموماً ومكة والمدينة المنورة خصوصاً ، تأتي زيارة عارضة لوفد من وجهائها وأصحاب الرأي فيها على رأسهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، والمنذر بن الزبير ، للخليفة يزيد في دمشق ، فهذه الزيارة والتي ستعلن المدينة لاحقاً بعدها عصياناً مفاجئاً على واليها الأموي وابن عم الخليفة يزيد (عثمان بن محمد بن أبي سفيان)<sup>١٦</sup> يعقبه خلع الخليفة نفسه والدعوة لابن الزبير المعارض الأقوي بمكة ، لذا تعتبر هذه الزيارة وما تلاها من

<sup>١٥</sup> - الحجاز هو الجبال الحاجزة بين الأرض العالية نجد وبين الساحل الواطي تهامة- للمزيد انظر مكة والمدينة في

الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، أحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربي ، ص ٢٠

<sup>١٦</sup> - ابن عم يزيد، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨، ص ٢٣٨

صدام عسكري السبب الرئيس في حدوث معركة الحرة.

### المدينة المنورة ومقدمات أزمة الحرة مع الخليفة يزيد بن معاوية

يبدو أن يزيد كان يراقب وبأهمية تطورات الأوضاع في المدينة حيث موالاته أهلها لعبد الله بن الزبير في دعوته بالخلافة مع علمه المسبق بمعارضة توليه هو شخصياً أمر الخلافة والصراع مع أبيه من قبل ، فجاء تحركة السريع محاولاً احتواء هذا الانشقاق ، مقابلاً الوفد المدني الذي جاء بترتيبات خاصة قام بها والي المدينة محمد بن عثمان ، حيث اغدق يزيد عليهم الأموال والهدايا والعطايا ، فيذكر خليفة بن خياط ( ٥٥٠ - ٢٤٠ هـ = ٥٥٠ - ٨٥٤ م ) " وفد على يزيد عبد الله بن حنظلة معه ثمانية بدين ، فأعطاه مائة ألف وأعطى بنيه كل رجل عشرة آلاف درهم ١٧ ، وهو ما أكدته الطبري ( ٢٢٤ - ٣١٠ هـ ، ٨٣٩ - ٩٢٣ م ) حيث ذكر أن وفد أهل المدينة كان مكون من عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي ، والمنذر بن الزبير ، ورجالا كثيرا من أشرف أهل المدينة ، فأكرمهم ، وأحسن إليهم ، وأعظم جوائزهم ثم انصرفوا من عنده ١٨

غير أن ابن اعثم الكوفي ( ٥٥٠ - نحو ٣١٤ هـ = ٥٥٠ - نحو ٩٢٦ م ) يضعنا في لبس تاريخي حين يذكر أن معاوية فعل نفس الفعل أيضا مع عبدالله بن حنظلة وأن المائة الف التي منحت له لم تكن من قبل يزيد بل آية حيث يذكر في سياق حديث مسلم لعبدالله بن حنظلة " أنك قدمت على معاوية فأجلسك معه على سريره ورد عليك صدقة أبيك ثم قضى حوائجه وأمر لك بمائة ألف درهم ، ثم إنك

١٧ - تاريخ خليفة ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٣٧

١٨ - الطبري ، ص ٤٨٠

قصدت ابنه يزيد فأجلسك أيضا على سريريه وأكرمك ١٩.

وربما تبدو رواية ابن الأثير (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ = ١١٦٠ - ١٢٣٣ م) أقرب لرواية الطبري من أن الزيارة حدثت في عهد يزيد وليس معاوية حيث يقول ابن الأثير " أَعْطَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَنْظَلَةَ، مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَيَقْصِدُ يَزِيدَ ، وَكَانَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ ثَمَانِيَةَ بَيْتَيْنِ، َوَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ عَشْرَةَ أَلْفِ ٢٠ ، كَذَلِكَ أَشَارَ الذَّهَبِيُّ بِالْقَوْلِ أَكْرَمَهُمْ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَعَظَمَ جَوَائِزَهُمْ، ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ ٢١ .

هنا نقف على حيز خاص في هذه الروايات ، حيث من الملاحظ أنها جميعا تتفق على أن يزيد عامل الوفد بكرم ، في المقابل لم تتناول أيأ من الروايات أن وفد المدينة خرج عن المألوف في لقائه بيزيد أو ناقش وتناول معه أيأ من الأمور السياسية وهذا من المستغرب، لاسيما وأن زيارة الوفد كانت في وقت حرج ، والمعارضة بقيادة ابن الزبير بدأت تتخذ مساراً تصادماً ينتهي عند المواجهة العسكرية وفي كل الأحوال ستكون المدينة طرفاً رئيساً فيها.

أيضاً يبيح لنا التعقيد والغموض الذي اكتنف مدار بين الوفد وبين يزيد بن معاوية ، أن نتساءل لماذا لم تفصح أيأ من المصادر التاريخية عن ملابساته وما جرى فيه ، حيث لم يكن هناك أي متون أو روايات أو نصوص تتحدث عما جرى في لقاء الوفد بمعاوية ، وهو الأمر الذي يدفعنا إلى قناعة مفادها أن الزيارة لم تكن تحت مرمى الرصد في المشهد التاريخي وأنها وظفت لاحقاً لاستكمال أسباب

<sup>١٩</sup> - الفتح لابن اعثم الكوفي ، ج ٥ ، ص ١٦٠

<sup>٢٠</sup> - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٩٩٧ مج ٣ ، ص ٢٠٣

<sup>٢١</sup> - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٢٣٦



ودوافع مقدمات العصيان بالمدينة المنورة ، وأحد التبريرات على ضعف المعالجة التاريخية من قبل المؤرخين لأسباب موقف وفد المدينة.

وقد تصدى الطبري محاولاً معالجة سبب موقف أهل المدينة فذكر أن عبد الله بن حنظلة " عندما عاد من لقاء يزيد قيل له ما وراءك؟ قال: جئتم من عند رجل لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم، وحضض الناس فبايعوه"<sup>٢٢</sup> فهذه الجملة تحديداً هي نفس الجملة الفاعلة في النص الروائي التي تتفق عليها أغلب المصادر التاريخية دون استثناء.

والحقيقة أن توظيف المادة التاريخية لهذا النص المعمم في مختلف الروايات والمتون لم يكن وفق طريقة موحدة ، وإنما تباينت طرق التوظيف له تبعاً لطبيعة الرؤيا، التي اتفقت جميعها في الحكم بالفساد على الخليفة يزيد بن معاوية.

حيث يشير ابن سعد ٢٣٠هـ - ٩٢٣ م أن الوفد حينما سأل برر موقفه بالقول " يَنْكُحُ الْأُمَّهَاتِ وَالْبَنَاتِ وَالْأَخَوَاتِ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيَدْعُ الصَّلَاةَ ٢٣، ويذكر الطبري أيضاً " قدم الوفد للمدينة فشم يزيد ، وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين، وإنا نشهدكم أنا قد خلعناه، فتابعهم الناس ٢٤

ويقول ابن الأثير " يَسْمُرُ عِنْدَهُ الْخُرَابُ، ويشرب الخمر ٢٥ " في حين يذكر ابن كثير (٧٠٠ - ٧٧٤هـ) " رَجُلٍ لَيْسَ لَهُ دِينٌ تَعْرِفُ

٢٢ - الطبري ، ج ٥، ص ٤٩٥

٢٣ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ج ٥، ص ٤٩

٢٤ - الطبري ، ج ٥، ص ٤٨٠

٢٥ - ابن الأثير ، ج ٣، ص ٢٠٣



## عِنْدَهُ الْقَيْنَاتُ بِالْمَعَارِفِ" ٢٦

ويأتي البلاذري (٢٧٩ - ٠٠٠ هـ = ٨٩٢ - ٠٠٠ م) سارداً أمر الزيارة وتحول أهل المدينة لموقفهم المعادي ليزيد فيذكر " كان يزيد بن مُعَاوِيَةَ أول من أظهر شرب الشراب والاستهتار بالغناء والصيد واتخاذ القيان والغلمان والتفكه بما يضحك منه المترفون من القروذ والمعاقرة بالكلاب والديكة ثم جرى على يده قتل الحسين وقتل أهل الحرة ورمي البيت وإحراقه ٢٧، ومن ثم تمم البلاذري روايته فقال "كان مع هذا ( ويقصد يزيد) ، صحيح العقيدة فيما يرى، ماضي العزيمة لا يهم بشيء إلا ركبه"

ومع مجمل المعطيات والعناصر والنصوص التي تتفق على أن الخليفة يزيد كان متهكاً للحرمة، نلاحظ كذلك أن الدلالة في النص كانت حاسمة لا خفاء فيها تؤمى وتوحي بالمضمون المشار له .

لكن جاء التناقض الرئيسي الغائب في النص والرواية التاريخية أيضاً.... أنه تجاهل وغيب.... أسباب عدم رصد أيأ من مشاهد هذا الفساد الذي ينسب ليزيد، سواء شربه الخمر أو منادمته ومصاحبة للقيان والكلاب ، وإيوانه اللصوص وغيرها ، كما ذكر وكما يتفق مع ما جاء من نصوص متقدمة كالبلاذري والطبري وابن سعد وابن أعثم ، كما رصدها أيضاً ابن الأثير والذهبي و ابن الجوزي (٥٠٨ هـ - ٥٩٧، ١١١٦ - ١٢٠١ م؟) وابن عساکر (٤٩٩ - ٥٧١ هـ = ١١٠٥ - ١١٧٦ م) والسيوطي ٢٨ وغيرهما، فهذه الرواية الموظفة تاريخياً - على أهميتها - جعلت يزيد في النهاية تعبيراً لنمط سلبي من

٢٦ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٣، ص ٢٨٦

٢٧ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٥، ص ٢٨٦

٢٨ - جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء،، ص ١٥٩- كذلك المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي

ص ١٩- ابن عساکر ، تاريخ دمشق، ص ٤٢٩

التحرر الديني السيئ ، التصق بمؤسسة الخلافة وارتبطت بالبيت الأموي (٢٩) .

### ابن عمر ومشهد تاريخي معكوس

في ظل التوجه الواضح من قبل النصوص والروايات للميل تجاه نصرة أهل المدينة وتبرير موقفهم ، و تغيب وتجاهل ذكر أنه لم يكن جميع أهل المدينة راضون بما يحدث ، بل وتجاهل أن هناك من رفض و اعترض على خلع يزيد والخروج عليه مثل " محمد بن الحنفية ، علي بن الحسين بن علي ، سعيد بن المسيب يأتي ابن عمر لكي يزيع عن أهل المدينة غطاء التبرير ويضعهم في موقع المواجهة والتساؤل ، حيث تأتي علي استحياء رواية مسلم في كتاب الإمارة من صحيحه والتي يكاد يكون ابن عمر المتفرد بسماعها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أن عبد الله بن عمر جاء إلى عبد الله بن مطيح أحد رموز وقادة المدينة إبان عملية العصيان ليقول له : أَتَيْتَكَ لِأَحَدَتِكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ: مَنْ خَلَعَ بَدَا مِنْ طَاعَةِ، لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً ٣٠، فالغريب أن هذا الحديث الذي حدث به ابن عمر ٣١ وعلق عليه الذهبي ت ٧٤٨هـ بالقول " أن من لم يكن مطيعاً لولادة

٢٩ - شمس الدين الكيلاني. من العود الأدبي إلى الوعي التاريخي. الكوز الأدبية. بيروت. ١٩٩٨. ص ١٨. ١٩.

٣٠ - صحيح مسلم ١٨٥١

٣١ - قال القاضي محمد بن عبد الله المالكي "قال ابن عمر حين بوع يزيد " إن كان خيرًا رضينا، وإن كان شرًا صيرنا- للمزيد راجع - العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) وعلق عليه: محب الدين الخطيب ، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ،

الأمر أو خرج عليهم بالسيف مات مئة جاهلية"<sup>٣٢</sup>، وربما لو تم تسليط الضوء عليه من قبل المؤرخين والرواة فسيف كامل حجج أهل المدينة ويجعلهم عرضة للانتقاص، بل لما هو أبعد من ذلك كما ورد في الحديث، لكن لأسباب ما لم يتم تصعيد هذا الحديث ولم يتكأ النص على أي من معانية بل ترك للتجاهل، ليمت الاستعانة به فقهاً فيما بعد للدلالة على عدم جواز خلع الحاكم أو الخروج عليه - لكن - بعيداً عن وقعة الحرة!!!

### المؤرخون في مواجهة (التفسير والحديث)

أيضا يشير البلاذري والطبري، أن مسلم بن عقبة المري<sup>٣٣</sup> لما قدم المدينة قال إن دخلتم فيما دخل الناس فيه انصرفت عنكم وأتيت الملحد الذي بمكة<sup>٣٤</sup> وهي رواية البلاذري، في حين يقول الطبري "أن مسلم بن عقبة أنذر أهل المدينة حيث قال لهم من راجع الحق قبلنا منه، وانصرفت عنكم، إلى هذا الملحد الذي بمكة<sup>٣٥</sup>."

إننا لو تناولنا بالتحليل، الصورة التاريخية لموقف أهل المدينة مما سوف يحدث لاحقاً لأهل مكة من القتل والتكيل بعد الحرة والتي قدموها لنا في هذين النصين السابقين سنجد أن المشهد التاريخي مهتز ومبتور، فحين يتم تصعيد ووضع هذه الرواية المستحضرة من

<sup>٣٢</sup> - المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ت ٧٤٨هـ تحقيق، محب الدين الخطيب، ص ٢٨

<sup>٣٣</sup> - مسلم بن عقبة بن رياح بن أسعد بن ربيعة بن عامر بن مالك ابن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان أبو عقبة المري المعروف بمسرف أدرك النبي (صلى الله عليه وسلم) ولم يحفظ أنه رآه وشهد صفين مع معاوية وهو صاحب وقعة الحرة وكانت داره بدمشق - للمزيد انظر ابن عساكر تاريخ دمشق، ج ٥٨، ص ١٠٢

<sup>٣٤</sup> - انساب الاشراف، ج ٥، ص ٣٢٤

<sup>٣٥</sup> - الطبري، ج ٥، ص ٤٨٧



نص قرآني " وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ<sup>٣٦</sup> بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ<sup>٣٧</sup> " لوصف ابن الزبير في مكة ، على الرغم من أن ما يقو به أهل المدينة يأتي في نفس إطار الصراع الدائر على السلطة ، فهنا ليس أمامنا للوصول إلى مقارنة للحقيقة التاريخية إلا أن تتساءل.... عن أسباب ضعف توفير غطاء تاريخي مماثل لابن الزبير كما تم تقديمه لأهل المدينة التي تجري فيها الأحداث مترافقة ومتزامنة مع ما يجري في مكة ، بل الغريب أن يكون جواب أهل المدينة على مسلم ، والذي ذكره الطبري " نحن ندعكم تأتوا بيت الله الحرام، وتخيفوا أهله، وتلحدوا فيه ، وتستحلوا حرمة! لا والله لا نفعل<sup>٣٨</sup> .

فهنا وبهذا النص ألقى المؤرخون والرواة والاختاريون صفة الالحاد عن أهل المدينة ، بل تم قلب المشهد التاريخي ، واتهام مسلم نفسه بأنه من يريد الالحاد واستحلال حرمة المدينة المحرمة مكة<sup>٣٩</sup> ، وربما تبدو أهمية هذه العبارة بذاتها "سوف اذهب للملحد الذي بمكه" والمستمدة من النص القرآني على لسان مسلم بن عقيل أنها تأتي في سياق الدعاية الأموية المتسربة ، التي احتفظت بها النصوص والروايات هنا ضده .

<sup>٣٦</sup> - جاء في تفسير مجاهد بِعَمَلٍ سَيِّئٍ، وَيُقَالُ أَيْضًا: بِالشَّرْكِ- تفسير مجاهد ، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي ، ت ٥١٠٤هـ ، تحقيق ، محمد عبد السلام أبو النيل ، ط١ ، الناشر ، دار الفكر الإسلامي الحديثة ، ١٩٨٩ م

<sup>٣٧</sup> - الحج ٣٥

<sup>٣٨</sup> - الطبري ، ج ٥ ، ص ٤٨٧

<sup>٣٩</sup> - ربما وصف مسلم لابن الزبير بالالحاد لم يكن يقصد به الالحاد الديني أو الخروج من الملة ، لكن هل ما يقوم به ابن الزبير يختلف عما يقوم به أهل المدينة ؟



والمفارقة أنه بالإمكان أن نتبع هنا استمرار تصاعد النصوص الحادة تجاه ابن الزبير - بقصد أو بغير قصد، حيث يبدو واضحاً في هذا السياق النصي الذي جاء على لسان مسلم والمستمد من الآية الكريمة "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمِ نَفْسَهُ مِن عَذَابِ أَلِيمٍ" أنه يتم بقراءة معينة للمدينة المنورة ، في حين يقراء لابن الزبير بظروف ورؤية استباقية مختلفة توحى ببداية المواجهة الشخصية ، على الرغم من أن الحدث وقع في فاصل زمني متالي لا يمكن من خلاله تجاوز الابعاد أو حتى التماثل المكاني والدلالات التاريخية لتراثبية حدوثه.

على أية حال ، ومع التصاعد السريع للأحداث ، وإعلان أهل المدينة خلع الخليفة والعصيان ، أرسل يزيد رسوله الثُّغَمَانُ بْنُ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ للمدينة في محاولة لاحتواء الأزمة ، ورد أهلها عن قرارهم ، فتذكر الروايات أن النعمان اجتمع بأهل المدينة وخوفهم الفتنة وأمرهم بِأُزُومِ الطَّاعَةِ ، ومغبة الوقوف بوجه السلطة ، لكن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ الْعَدَوِيُّ، لم يكن موافقاً رأي النعمان قائلاً " مَا يَحْمِلُكَ عَلَيَّ فَسَادِ مَا أَصْلَحَ اللَّهُ مِن أَمْرِنَا وَتَفْرِيقِ جَمَاعَتِنَا؟ هنا تحديداً تذكر الروايات التاريخية بأن النعمان قال لأهل المدينة " الخروج على السلطة سيكون مكلف للمدينة وأهلها مخاطبا عبد الله بن مطيع : لَكَأَنِّي بِكَ لَوْ ذَارَتْ رَحَا الْمَوْتِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ قَدْ رَكِبْتَ بَغْلَتَكَ إِلَى مَكَّةَ وَخَلَفْتَ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينَ ٤٠

١٠ - الطبري ، ج ٥ ، ص ٤٨١ كذلك الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٠٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص

وربما بعد هذا التهديد المباشر لمس أهل المدينة جديدة يزيد في الانتقام منهم حتى أن السرد التاريخي يبين أن زيارة النعمان وما فيها من التهديد والوعيد لربما زادت من وتيرة تآزيم الموقف ، فتحرك أهل المدينة وقاموا بإخراج عمرو بن سعيد بن العاص و من كان معه من بني أمية ، في نفس الوقت الذي اعلنوا فيه مبايعة ابن الزبير ٤١ ، حيث تنقل الروايات اجتماعهم بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم واعلانهم منه خلع الخليفة يزيد بن ابي سفيان وواليه عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ٤٢ ، فيكشف ابن الجوزي (٥٠٨هـ - ٥٩٧هـ ، ١١١٦ - ١٢٠١م) أن " أهل المدينة أتوا المنبر، فخلعوا يزيد، ثم ولوا على قريش عبد الله بن مطيع، وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة، وحاصروا من كان بالمدينة من بني أمية ومواليهم ومن يرى رأيهم ٤٣ ، كما يذكر ابن كثير " أهل المدينة اتفقوا على إجلاء بني أمية ، فَاجْتَمَعَتْ بَنُو أُمَيَّةٍ فِي دَارِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، الَّتِي تَمَّ حَصَارُهَا ، عِنْدَ ذَلِكَ كَتَبَ مَرْوَانَ إِلَى يَزِيدَ: بِمَا هُمْ فِيهِ مِنْ ، َوَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ وَالْمَحَاصِرِ، وَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَنْعَثْ إِلَيْهِمْ مَنْ يُنْقِذُهُمْ اسْتَوْصَلُوا عَن آخِرِهِمْ. ٤٤ ودفع بالكتاب إلى عبد الملك ابنه والذي دفعه كما يشير الطبري الى حبيب بن كره لإيصاله إلى يزيد بعاصمة الخلافة دمشق<sup>٤٥</sup>

والحقيقة أن المقاربة النقدية والتحليلية لهذه المعطيات تؤكد أن أهل المدينة كانوا بالفعل الطرف الذي يدفع نحو الصدام العسكري العنيف والسريع مع السلطة وهذا هو المشهد الأبرز الذي ظل غائباً

<sup>٤١</sup> - بن أعمش الكوفي ، ج ٥ ، ص ١٥٦

<sup>٤٢</sup> - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٢٣٨

<sup>٤٣</sup> - ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، ج ٦ ، ص ١٢

<sup>٤٤</sup> - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٢٣٨

<sup>٤٥</sup> - حبيب بن كره ، قال: كنت مع مروان، فكتب معي هو وجماعة من بني أمية كتابا إلى يزيد بن معاوية، فأخذ الكتاب عبد الملك بن مروان حتى خرج معي إلى ثنية الوداع، فدفع إلي الكتاب - الطبري ، ج ٥ ، ص ٤٨٢

وربما متجاهلاً ، بل أنه وبرغم الملامح المشتركة بين المدينة ومكة إلا أن ما جرى في المدينة كان هو الأكثر إبرازاً ورصداً على الرغم من أن مكة كانت تعاني من نفس الظروف والدوافع ، والعجب أنهم امروا عليهم أميرين ، مما يدل على أن هدفهم لم يكن واضحاً منذ البداية.

كما أن المفارقة تبدو أكثر وضوحاً في أنه حتى هذه اللحظات لم تقدم لنا الروايات والنصوص معطيات واضحة عن أسباب هذا التسارع الرهيب للأحداث في المدينة المنورة ( انقلاب مفاجئ بعد العودة ، عصيان ، خلع الخليفة، محاصرة أهله ، بيعة ابن الزبير ، استعدادات للمواجهة العسكرية ) دون مكة ، فهذا التابع السريع لما يجري لم يكن مبرراً أو حاضراً في أيأ من المتون التي قدمتها لنا الروايات.

فهل كانت الرمزية والقداسة الدينية للمدينة وأهلها سبباً غيب عن النص التفاعل مع الحدث بالنقد أو التحليل ، فجاء رصده متقوصاً حيث طغى الجانب القداسي في الدعاية والتأثير على الجانب الروائي بما جعل هوية الرواية وأن كانت بيد روائيين ومؤرخين ليسوا مدنيين إلا أنها اتخذت منحى التأرجح بين الانتصار لأهل المدينة الذين سيواجهوا لاحقاً مأساة وبين الحقيقة التي كان رصدها ربما يعني الوقوف مع الطرف الأخر.

فلا شك أن هناك غياب تاريخي شبه تام عن حقائق ثابتة ، منها المعارضة السابقة من قبل أهل المدينة لتولية يزيد ، القهر السياسي الذي عانى منه الحجاز عامة والمدينة ومكة خاصة ، حيث حظرت على زعمائهما تجاوز الاهتمامات الاجتماعية والثقافية بعد انتقال الخلافة إلى الشام، ضرب يزيد الرموز الإسلامية بمنتهى العنف ، خصوصاً ثورة الحسين والنهائية المأساوية له ، وجود الوالي عثمان بن



محمد بن أبي سفيان والذي وصف بأنه غرّ قليل التجربة حديث السن واخفاقه في التعاطي مع المستجدات التي كانت تفرض نفسها في ذلك الوقت ، تولي عبد الله بن حنظلة (من الأوس) ربما يكون كذلك إشارة على التوجه الأنصاري لأهل المدينة؟ إن كل هذه التساؤلات المطروحة تظل غائبة في النص والرواية لمقدمات الحرة وأسبابها الحقيقية دون دواعٍ ومبررات مقنعة في ظل تمحور الروايات والنصوص والمتون على زيارة وفد أهل المدينة ليزيد والذي لم تتعد الروايات فيه عن أنه أغداق الاموال والهدايا عليهم .

### الحرة... قراءة تاريخية للنصوص والروايات

وقعة الحرة أحد أهم المحطات المأساوية الكبرى في تاريخ المدينة المنورة من حيث حجم الدمار والانكسار التي تركت عليها أهلها ، فهذه الوقعة مع ما يحيط بها من غموض تاريخي بالنسبة للروايات التي تناقلتها و اتخذها البعض تسويغاً للهجوم على الأمويين أو حتى محاولات التبرير من قبل مؤرخين آخرين ، لا يمكن أن نستثني أن قراءة المؤرخين للوقعة شاركت في رسم هذا الواقع ، التي فقدت فيه المدينة جزءاً كبيراً من قدسيّتها ورمزيّتها، فهذه الوقعة وإن صح ما رافقها من أعمال قتل واستباحة يجب أن تخضع لأدوات تفكيك وتحليل دقيق لمعطياتها ودوافعها وحقيقة ماجرى فيها<sup>(٤٦)</sup>. والتي ادت في النهاية لتشكيل هذه الصورة المأساوية لها.

الحرة : المقصود بها حرة واقم التي تحدد المدينة من الشرق فحين هاجر النبي - صلى الله عليه وسلم- إلى يثرب في العام ٦٢٢

٣٩- وقد يكون استنادنا على عدم ذكر عملية الاستباحة من قبل المؤرخ خليفة بن خياط على الرغم من قربه من تأريخ الحدث والاستفاضة في أخبارها والاعتناء ببيان من قُتل فيها أحد الأدلة التي نسوقها لهذا الزعم



م كانت حرة واقم مسكونة بأهم قبائل اليهود من بني النضير وقريظة، وعدد من العشائر اليهودية الأخرى، كما كانت تسكنها أهم البطون الأوسية<sup>٤٧</sup>، وفي منازل بني عبد الأشهل كان يقوم حصنهم واقم الذي سميت الحرة باسمه<sup>٤٨</sup>.

ولا عجب، فقد كانت الحرة ميداناً حرب منذ استقر الإسلام بالمدينة؛ فقد حاصر فيها النبي - صلى الله عليه وسلم - اليهود من بني النضير، وفيها قاتل بني قريظة.

وسنبداً بعرض الروايات بشكل متتابع خلال عدة مؤلفات تاريخية جمعت وعرضت الحادثة لنحاول أن نستعرض من خلالها كيف تم تناول الحادثة من حيث تناول الجيش - قوامه - قاداته - الاستعدادات العسكرية - المواجهات - هزيمة المدينة - استباحتها ما وقع فيها من تجاوزت - رموز المدينة وأهلها - الاسهاب في المأساه المدينة - وأخيراً نحاول رصد المشهد على الطرف الأخر.

<sup>٤٧</sup> - بنو عبد الأشهل، وبنو ظفر، وبنو حارثة، وبنو معاوية.

<sup>٤٨</sup> - للمزيد راجع مكة والمدينة في عهد الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ص ٢٤٠

• يذكر نعيم بن حماد المتوفي ٢٢٩هـ، في كتابه الفتن " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ تَكُونُ بِالْمَدِينَةِ وَقَعَةٌ تَفْرَقُ فِيهَا أَحْجَارُ الزَّيْتِ، مَا الْحَرَّةُ عِنْدَهَا إِلَّا كَضَرْبَةِ سَوْطٍ<sup>٤٩</sup>، والغريب أن أبا هريرة توفي في ٥٧ هـ، والحررة حدثت بعده بسنوات، لذا ربما يفهم من الرواية التي أوردها ابن حماد أن الواقعة كانت أمراً غيبياً مقدراً لأهل المدينة، وأن الاشارات لهذه المأساة كانت مرصودة قبلاً، فتحول النص (المملوء بالغموض و الغيبية) إلى نص يبرر لاحقاً ما حدث لأهل المدينة ويفرض على المتلقي تقبل ماجاء من أحداث دون تقليل من القيمة والمكانة لهذه الأرض المقدسة لأنها قدر السماء.

• ابن خياط ت ٢٤٠هـ، يذكر ابن خياط أن " الحررة وقعت عام ثلاث وسبعمائة ساردا أمر الوفد المدني الذي ارسله عثمان بن محمد والي المدينة إلى يزيد بن معاوية<sup>٥٠</sup>، دون ذكر أسباب خروج الوفد لملاقاة يزيد هل للتشاور وتجديد البيعة أم لأسباب أخرى؟ في المقابل يرصد لنا نص ابن خياط رد فعل يزيد على علمه بعدها بما قام به أهل المدينة بالتفصيل حيث يشير أمر (ويقصد يزيد) بقبة فضربت له خارجاً من قصره وقطع البُعوث على أهل الشام مع مسلم بن عقبة فلم تمض ثالثة حتى فرغ ثم أصبح في اليوم الثالث عرض عليه الكتائب ٥١، متمثلاً بيت شعر... أبلغ أبا بكر إذا الجيوش انبرى إذا أتى الجيوش على وادي القرى... أجمع نسوان من القوم ترى ٥٢، هنا وفي مشهد مستغرب يقحم خليفة ابن خياط على المتلقي رواية مفادها"

<sup>٤٩</sup> - الفتن أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي (ت: ٢٢٨هـ)، ج ١، ص ٣٢٦

<sup>٥٠</sup> - تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٣٦

<sup>٥١</sup> - تاريخ خليفة، ص ٢٣٧

<sup>٥٢</sup> - تاريخ خليفة، ص ٢٣٨

أن معاوية لما حضرته الوفاة دعا ابنه يزيد فقال له إن لك من أهل المدينة يوماً فإن فعلوها فأزهمهم بمسلم بن عقبة ٥٣ ، وتقديرنا أن هذه الرواية ذات الخبر الغيبي عن معاوية وان ذكرها كذلك ابن عبد ربه الأندلسي ت ٣٢٨ هـ<sup>٥٤</sup> ، غاب عنها الحبك التاريخي ، فلم يحاول النص اخفاء أو تبرير محاولة جر معاوية وتحمله جزء من مسئولية ماسيجري لاحقاً في الحرة

عموماً يصف ابن خياط استعدادات أهل المدينة للقتال ٥٥ ، حيث نلاحظ أن الاستعدادات العسكرية التي يقوم بها أهل المدينة تطفئ على وصف أي استعدادات في الجانب الشامي المقابل من رصده " فيذكر بحث أهل المدينة إلى كل ماء بينهم وبين أهل الشام فصبوا فيه زقا من قطران و عوروه ، وتتدخل الرواية هنا أيضاً بنص غيبي يوحي بوقوف السماء مع أهل المدينة حيث يذكر " فأرسل الله عليهم السماء فلم يستقوا ويقصد جيش الشام<sup>٥٦</sup> " ، وفي قفزة تاريخية سريعة يأتي مشهد المواجهة العسكرية عند ابن خياط فيقول " خرج أهل المدينة بجموع كثيرة وبهيئة لم ير مثلها ٥٧ لتوالي بعدها أغلب المشاهد المرصودة في معسكر المدينة مثل " عبد الله بن حنظلة متساند إلى بعض بنيه<sup>٥٨</sup> ، كسر جفن سيف عبد الله بن حنظلة " ٥٩ .

<sup>٥٣</sup> - تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٣٨

<sup>٥٤</sup> - حيث يذكر " لما حضرت معاوية الوفاة دعا يزيد ، فقال: إن لك من أهل المدينة يوماً ، فإذا فعلوا فارهم بمسلم بن عقبة ، فإنه رجل قد عرفنا نصيحته" للزيد راجع ، أبو عمر ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه المعروف بابن عبد ربه الأندلسي ، ت ٣٢٨ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ . ص ١٣٦

<sup>٥٥</sup> - تاريخ خليفة ، ص ٢٣٨

<sup>٥٦</sup> - تاريخ خليفة ، ص ٢٣٨

<sup>٥٧</sup> - تاريخ خليفة ، ص ٢٣٨

<sup>٥٨</sup> - وان قابلها مشهد لمسلم بن عقيل مشابه

<sup>٥٩</sup> - تاريخ خليفة ، ص ٢٣٨



ومن ثم ينتقل ابن خياط لمشاهد التجاوزات التي جرت على أهل المدينة حيث تتوالى النصوص فيذكر مشهد مقتل عبد الله بن زَمْعَةَ<sup>٦٠</sup>، وابتا زينب بنت أم سلمة ربيبة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)<sup>٦١</sup>، ومشهد دخول أبو سعيد الخُدْرِي الغار<sup>٦٢</sup> ويبدو ان هذه المشاهد الثلاثة كانت هي الأقرب حضوراً للوصف التفصيلي لما حدث في الحرة في معظم الروايات باستثناء ابن عساكر والبلاذري، حيث تنقطع الروايات بعدها ليدخل خليفة بن خياط في تسجيل دقيق لمن قتل من الجانب المدني بشكل مفصل<sup>٦٣</sup> عبر حوالي عشر صفحات، واضعاً رقماً محدداً لمن قتل وهو " من الأَنْصَار مائة وثلاثة وَسَبْعُونَ رجلاً، وَجَمِيع من أُصِيب من قُرَيْشِ وَالْأَنْصَارِ ثَلَاث مائة رجل وَسِتَّة رجال"<sup>٦٤</sup>، ومن الملاحظ أن النصوص التي تناولت الجانب المدني عند خليفة بن خياط انعكست وظهرت تبايناتها في الطريقة التي كان يرصد بها الحدث، حيث ظلت سلطة القدس الدينية هي الممسكة بالنص ولها موقع السيادة فيما يتم تناولة خصوصاً مايتعلق بالأشخاص.

ولعل مؤلف المعرفة والتاريخ<sup>٦٥</sup> لصاحبة يعقوب بن سفيان أبو يوسف (ت٢٧٧هـ)، يشكل جزء من الانجذاب الواضح للنص والرواية لأهل المدينة، فيذكر "كانت الحرة سنة ثلاث وستين، وقتل من حملة القرآن سبعمائة نفس، آتياً برواية مفادها أن الرسول صلى الله عليه وسلم تنبأ بالوقعة حث يذكر في سياق حديث الرسول صلى الله

<sup>٦٠</sup> - تاريخ خليفة، ص ٢٣٩

<sup>٦١</sup> - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٨، ص ١٠٧

<sup>٦٢</sup> - تاريخ خليفة، ص ٢٣٠

<sup>٦٣</sup> - تاريخ خليفة، ص ٢٤٠

<sup>٦٤</sup> - تاريخ خليفة، ص ٢٥٠

<sup>٦٥</sup> - المعرفة والتاريخ، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي القسوي، أبو يوسف (ت: ٢٧٧هـ)، ج ٣، ص ٢٧٣



عليه وسلم قوله " يقتل بهذه الحررة خيار أمتي بعد أصحابي ٦٦، هنا وإن لم يصل النص والرواية في مؤلف أبي يوسف إلى المتن التاريخي الشامل إلا أنه يبين مدى الانجذاب للقدسية والروحية للمكان، خاصة أنه لم يكن هناك أي تعليق أو وصف تفصيلي للوقعة بسثناء هذين النصين، بما عكس أيضا تمازجا بين أطراف الجغرافية المقدسة للمدينة، وما جاورها من قدسية رمزية لأهلها وساكنيها من الصحابة وحملة القرآن كما يذكر.

• أما البلاذري ت ٢٧٩هـ الذي يتصدر مؤلفه أنساب الأشراف المشهد هنا في هذه الحادثة تحديداً نجد أن نصوصه ورواياته رافقها التقديس الوجداني للأشخاص وليس المكان (المدينة المنورة)<sup>٦٧</sup>، فبدأ واضحاً أن نصوصه وروايات تهتم بالجانب الروحي والديني في تاريخ المدينة، والحقيقة أن البلاذري وهو يضع لنا ما جاء عن الحررة كان على وعي تام بما يرصد من روايات ومتون حتى عن من سبقه من المؤرخين والرواة " فيذكر بالقول " يزيد بن معاوية فكان يكنى أبا خالد، حَدَّثَنِي الْعَمْرِيُّ عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِي عَنِ ابْنِ عِيَّاشٍ وَعَوَانَةَ وَعَنْ هِشَامِ بْنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ وَأَبِي مَخْنَفٍ وَغَيْرِهِمَا، " قَالَ الْوَاقِدِيُّ (١٣٠ - ٢٠٧ هـ = ٧٤٧ - ٨٢٣ م) وغيره في روايتهم: يزيد بن معاوية الخمرور، الفجور، الفهود، القرود، ..... اجتمع أهل الحجاز على أمر ابن الزبير وطاعته، وأخذ البيعة له على أهل المدينة عبد الله بن مطيع العدوي، ٦٨

وفي نصوص متعاقبة يصف البلاذري التسابكات التي رافقت الحررة فيذكر "عبد الله بن حنظلة الغسيل ابن أبي عامر الأنصاري و

<sup>٦٦</sup> - المعرفة والتاريخ، ج ٣، ص ٢٣٧

<sup>٦٧</sup> - وربما لهذا أسبابه ومبرراته حيث يتناول كتابة الأنساب والأشراف عموماً.

<sup>٦٨</sup> انساب الاشراف، ج ٥، ص ٣١٩

آخرين من الأشراف ، قدموا على يزيد فأكرمهم ووصل كل واحد بخمسين ألف درهم، ووصل المنذر بمائة ألف درهم، ثم انصرفوا ، فلما وردوا المدينة قالوا: قدمنا من عند رجل فاسق يشرب الخمر ويلعب بالكلاب ٦٩.

هنا نلاحظ كذلك أن البلاذري حرص على عدم توهم القارئ بأي رواية تفهم بأنها موضوعه من قبل البلاذري فكان حريصاً على إرجاع كل نص لصاحبه حتى المجهول نراه يقول "قالو و حدثني و سمعت" عموماً يستمر البلاذري في تناول الوقعة فيذكر في السياق بعث يزيد النعمان بن بشير لأهل المدينة حيث قال له " إن عدد الناس بالمدينة الأنصار وهم قومك، فأنتم فأنهم عما يريدون، كما أشار لحوار النعمان مع ابن العدوي والذي قال له النعمان "كأني بك على بغلتك تضرب جنبها ثم تلحق بمكة، وتترك هؤلاء المساكين من الأنصار يقتلون في سكرهم ومساجدهم، ٧٠، كما حرص البلاذري وفي سابقة تاريخية مهمة على إيراد كتاب يزيد لأهل المدينة، والذي جاء فيه " من عبد الله يزيد أمير المؤمنين إلى أهل المدينة، أما بعد فقد أنظرتكم حتى لا نظرة، ورفقت بكم حتى عجزت عنكم، وحملتكم على رأسي ثم على عيني ثم على نحري، وأيم الله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أجعلكم بها أحاديث تؤثر مع أحاديث عاد و ثمود ٧١ ، وهي نفس الرواية التي يتفق مع البلاذري فيها ابن عبد ربه الاندلسي ، بما فيها من تهديد ووعيد شديد لأهل المدينة

وفي عرض سريع لنصوص البلاذري سنلاحظ أنها عكست الاهتمام بإبراز الأشخاص دون المكان :

٦٩ - أنساب الأشراف ، ج ٥، ص ٣٢٠

٧٠ - أنساب الأشراف ، ج ٥، ص ٣٢١

٧١ - أنساب الأشراف ، ج ٥، ص ٣٢١

ارتحل مسلم فلما قدم المدينة مضى في الحرة حتى أتى المدنيين فقدم من قبل المشرق، وكان عبد الملك بن مروان أشار عليه بذلك، ثم أجلهم ثلاثاً وقال: إن دخلتم فيما دخل الناس فيه انصرفت عنكم وأتيت الملحد الذي بمكة، وإن أبيت قاتلتكم بعد الإغذار إليكم ٧٢

لما انقضت الأيام الثلاثة التي ضربها مسلم بن عقبة لهم أجلاً قال لهم: يا قوم إن أمير المؤمنين يكره إراقة دمائكم، ولقد استدامكم منذ زمان لأنكم أصله، فاتقوا الله في أنفسكم، فثتموه وشتموا يزيد وفجروه، وقالوا: بل نحارب ثم نحارب، فأمر مسلم بفسطاط فضرب له ثم زحف إلى أهل المدينة وصمد بمن معه صمد ابن الغسيل، فحمل ابن الغسيل بالرجال حتى كشف الخيل، فانتهدت الخيل إلى فسطاط مسلم، ٧٣

يقال أن مسلماً كان مريضاً يوم القتال، فأمر بسريره أو كرسي فوضع له بين الصفين، ثم حض أهيل الشام وحرصهم على القتال فقاتلوا، فقتل الفضل بن العباس ومن كان معه بعد قتال شديد انثنت فيه السيوف وانقصت الرماح، فحمل الفضل في جماعة من وجوه الناس وفرسانهم يريد مسلماً وهو على سريره أو كرسيه فقَالَ: احمِلوني فحمل فجعل أمام فسطاطه، وكان الفضل رجلاً أحمر، فصاح بهم: إن العبد الأحمر قاتلي فأين أنتم يا بني الحرائر، اشجروه برماحكم، فطعنوه حتى

مقدمات قبل وقوع الحرة

الاشتباك بين الجيشين  
المدني والشامي بالحرة

مشاهد من القتال

٧٢ - انساب الأشراف، ج ٥، ص ٣٢٤

٧٣ - انساب الأشراف، ج ٥، ص ٣٢٥

## مقط. ٧٤

أباح مسلم المدينة ثلاثة أيام يقتلون ويأخذون المتاع  
 ويعشون بالإماء ويفعلون ما لا يحبه الله. وخرج أبو سعيد  
 الخدري فاقتحم مغارة ٧٥، لما فرغ مُنْزِلِمِ بْنِ عَقْبَةَ  
 المري من أمر الحرة أَخَذَ النَّاسَ بِأَن يَبَايَعُوا لِيَزِيدَ بْنِ  
 مُعَاوِيَةَ عَلَى أَنَّهُمْ عِيِيدُ قَن ٧٦

هزيمة المدينة واستباحتها

قال عوانة بن الحكم: دخلوا من قبل بني حارثة إلى  
 المدينة فلم يبق دار إلا انتهت، إلا دار أسامة بن زَيْدِ بْنِ  
 حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنِ كَلَبَا  
 حمتها، ودار امرأة من حمير فإن حمير حمتها. وكان  
 أهل الشام يقاتلون أهل المدينة ويقولون يا يهود ٧٧

مشاهد من الاستباحة

أول من أتاه يزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود وأتته  
 زينب بنت أبي سلمة وجدته أم سلمة زوج رسول الله  
 صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: بايع لأمر المؤمنين على أنك  
 عبد قن يحكم في مالك ودمك، قَالَ: أبايحك له «٣»  
 عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسنة نبيّه وعلى أني ابن عمه فقدمه  
 ففرض عنقه ٧٨

التكيل بأهل المدينة

أتى بمعقل بن سنان الأشجعي فَقَالَ له: مرجأ بأبي  
 محمد، فأخذ بيده فأقعده معه على طفسته، ودعا معقل

التكيل بأهل المدينة

٧٤ - انساب الاشراف ، ج ٥، ص ٣٢٥

٧٥ - انساب الاشراف ، ج ٥، ص ٣٢٧

٧٦ - انساب الاشراف ، ج ٤، ص ٧٩

٧٧ - انساب الاشراف ، ج ٥، ص ٣٢٧

٧٨ - انساب الاشراف ، ج ٥، ص ٣٢٨، كذلك الاندلسي ، ص ١٣٨



بماء فَقَالَ مسلم: اتوه بشربة عسل وخوضوها بثلج مما حمل معنا ففعلوا، فلما شربها قَالَ: سقى الله الأمير من شراب الجنة فَقَالَ: والله لا شربت بعدها شرابًا إلا من جهنم حين تسقى من حميمها فضربت عنقه ٧٩

ودعا بعمر بن عثمان بن عفان وكان ممن رجع وقد كان سأله عن خبر أهل المدينة فلم يخبره به فأغظ له وقال: لولا أنك ابن أمير المؤمنين لقتلتك فإنك الخبيث ابن الطيب، إذا ظهر أهل المدينة قلت: أنا رجل منكم و «٥» إذا ظهر أهل الشام قلت: أنا ابن أمير المؤمنين عثمان، يا غلام انتف لحيته، فنتفت حتى ما تركت فيها طاقة ٨٠

التكيل بأهل المدينة

جيش الشام يترك المدينة  
بعد نهاها  
شخص مسلم بالجيش بعد أخذه البيعة على ما أراد وبعد  
إنهابه المدينة ٨١

أقبلت أم ولد ليزيد بن عبد الله بن زمعة وكانت بخارية في غلمة لها، فلما انتهت إلى قبر مسلم قالت بالفارسية: يا مسرف خربت البيوت وأحرقت القلوب، ثم نبشته وصلبته على نخلة- ويقال على جذع- ثم أحرقته. ويقال: إن امرأة من قريش قتل ابنين لها نبشته وأحرقته ٨٢

٧٩ - انساب الاشراف ، ج ٥، ص ٣٢٩ - ٣٢٨

٨٠ - انساب الاشراف ، ج ٥، ص ٣٢٩ - ٣٢٨

٨١ - انساب الاشراف ، ج ٥، ص ٣٣٠

٨٢ - انساب الاشراف ، ج ٥، ص ٣٣٠

قتلى الحرّة من الأشراف

وكان ممن قتل بالحرّة من الأشراف ٨٣

قتلى الحرّة من الأشراف

وقال الهيثم بن عدي: قتل يوم الحرّة من أخلاط الناس نحو من ستة آلاف وخمسمائة وذلك في سنة اثنتين وستين.

٨٦٠- قالوا: وقال يزيد بن معاوية حين بلغه خبر وقعة

الحرّة: ٨٤

ربما نتوقف أمام نص مهم من نصوص البلاذري حيث نعاين فيه موقف المرأة التي أخرجت جسد مسلم فأحرقتة ، فهذه الرواية بشكل أو بآخر والتي ربما يكون البلاذري هو الوحيد الذي انفرد بها تعطي لنا تصوراً عن مدى ما وصل له المشهد التاريخي لرصد المأساة حيث كانت ذروتها أن حملت بعضهم على إخراج جسد قائد الموقعة مسلم بن عقبة من قبره وصلبة وإحراقه ، فهذا النص على ما فيه من مشاهد مرتفعة البشاعة والدموية مر في السياق الدعائي لمأساة المدينة ، وربما ماسقة من شحن نصي مبالغ فيه للروايات خاصة ما قام به مسلم من تجاوزات ، جعل تمرير هذا النص بشكله الحالي يلقي قبول من المتلقي .

إنّ المتصفح لهذه الرواية يدرك أن النص يريد أن يُرسخ دلالة المأساة التي جعلت الطرف المعتدى عليه يستخرج جثة ميت ويتم الانتقام منها .

ويأتي الطبري الذي استطاع جمع روايات ربما تبدو أكثر موازنة، فاثبت في البداية تاريخ الحرّة سنة ٦٣هـ ٨٥، وأن مسلم بن عقبة أنذر

٨٣ - انساب الاشراف ، ج ٥ ، ص ٣٣٢

٨٤ - انساب الاشراف ، ج ٥ ، ص ٣٣٣

أهل المدينة حيث قال لهم على لسان مسلم بن عقبة " يزيد بن معاوية يزعم أنكم الأصل، وأني أكره هراقة دمائكم، وأني أؤجلكم ثلاثاً، فمن ارعوى وراجع الحق قبلنا منه، وانصرفت عنكم، إلی هَذَا الملحد الَّذِي بمكة ويقصد ابن الزبير، وإن أبيتم كنا قَدْ أعذرنا إليكم ٨٦.

لكن أهل المدينة يبدو أنهم كانوا قد حسمو أمرهم على القتال فلم يجيو مسلم حتى أنه وبعد انقضاء الثلاثة أيام قالوا: له نحارب ٨٧، ليمضي بعدها الطبري في وصف تجهيزات أهل المدينة استعداد لدخول المعركة حيث يذكر " كان أهل المدينة يتخذون خندقاً في جانب المدينة، نزله جمع منهم عظيم ٨٨، وفي موضع آخر " عبد الله بن مطيع على ربع في جانب المدينة، و معقل بن سنان الأشجعي على ربع آخر في جانب المدينة ٨٩، عبد الله بن حنظلة، في أعظم تلك الأرباع وأكثرها عدداً ٩٠، وفي ظل غياب وصف المشاهد الأولى لبداية الحرب بين أهل المدينة و أهل الشام عند ابن خياط ويعقوب بن سفيان أبو يوسف والبلاذري نجد ان الطبري تجاوزها أيضاً فيذكر بعد أن غلبت الهزيمة أهل المدينة أباحها مسلم لجنوده "ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون الأموال، فأفزع ذلك من كان بها من الصحابة" ٩١.

ومن ثم كانت رواية أبو سعيد الخدري الصحابي المشهور حاضرة عنده كما هي عند ابن خياط وابن عبد ربه الأندلسي وابن

٨٥ - الطبري، ج ٥، ص ٤٨٧

٨٦ - الطبري، ج ٥، ص ٤٨٧

٨٧ - الطبري، ج ٥، ص ٤٨٧

٨٨ - الطبري، ج ٥، ص ٤٨٧

٨٩ - الطبري، ج ٥، ص ٤٨٧

٩٠ - الطبري، ج ٥، ص ٤٨٧

٩١ - الطبري، ج ٥، ص ٤٩١



عساكر وغيرهما ، وربما تظهر اقوى أوصاف وسمت بها الحرة عند الطبري حينما يورد كتاب المعتضد الخليفة العباسي والذي جاء فيه ٩٢ " فواقع باهل الحرة الوقيعه التي لم يكن في الاسلام اشنع منها ولا افحش، مما ارتكب من الصالحين فيها، وشفى بذلك عبد نفسه وغليله، وظن ان قد انتقم من أولياء الله، وبلغ النوى لأعداء الله" ٩٣ .

ومن المؤكد أن الطبري عمل على زوال التضاد بين الرويات والنصوص لما ذكره في وقعة الحرة ، إلا أن نصوصه ورواياته يلحظ فيها أنها تنتهي في الغالب تجاه المعطيات التي يمكن من خلالها تمييز مشاعر الإجلال والتقديس للمدينة وأهلها ، وما يصاحبها من عاطفة ومشاعر تؤكد على القداسة الروحية للمكان وأهله ، وربما يتجلى هذا في رصدنا لنص من نصوص الطبري الذي جاء فيه ردهم على مسلم حين حاول استمالتهم على أهل مكة فقالو " يا أعداء الله، والله لو أردتم أن تجوزوا إليهم ما تركناكم حتى نقاتلكم، نحن ندعكم أن تأتوا بيت الله الحرام، وتخيفوا أهله، وتلحدوا فيه ، وتستحلوا حرمة! لا والله لا نفعل ٩٤، كذلك كان الطبري حريصاً على القول "ولقد ذكر من أمر وقعة الحرة ومقتل ابن الغسيل أمر غير الذي روي عن أبي مخنف عن الذين روي ذلك عنهم ربما ليخفف عن نفسه تبعات تحمل ماجاء من مشاهد مأساوية غير متحقق منها في الوقعة.

أما المقدسي ت ٣٥٥ هـ ، والذي اقتصر حديثه عن الحرة بالقول "مسلم بن عقبة أوقع بالمدينة وقتل أربع آلاف رجل من أفناء

٩٢ - الطبري، ج ١٠، ص ٥٥

٩٣ - الطبري، ج ١٠، ص ٦٠

٩٤ - الطبري ، ج ٥، ص ٤٨٧



الناس وسبعين رجلاً من الأنصار وبقر بطون النساء وأباح الحرم وأنهب المدينة ثلاثة أيام وجعل يفعل فيهم ما شاء ٩٥،

فعلى الرغم من قصر نصوص المقدسي إلا أنها تكشف لنا جانباً أساسياً من تحامل النص والرواية على الوصف التاريخي ، فبالإضافة للمعاني والالفاظ المنتقاه بعناية من المقدسي لوصف الوقعه ، يجيء عقب توصيف ما حدث لاهل المدينة من عمليات قتل ونهب واستباحة وبقر بطون النساء لاستكمال المشهد المأساوي برواية موت مسلم والذي ارجعه لدعوة اهل المدينة عليه حيث يذكر "فطعن بقديد لدعوة أهل المدينة" ٩٦

وحيثما تلقى نظرة على ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ الذي نلاحظ انه اكثر من النصوص والمرويات التي تناول مشاهد المأساة والقتل والترويع لوقعة الحرة التي أشار لحدوثها في ذي الحجة سنة ثلاث وستين ٩٧، نرى أنه استطاع بشكل أو بآخر القاء نظرة تاريخية واضحة على المعسكر الشامي في البدايات الاولى للازمة بعد اعلان المدينة خلع يزيد حيث يذكر

قبل المعركة  
اخرج أهل المدينة بني أمية عنها، وأظهروا عيب  
يزيد، وأجمعوا على عبد الله بن حنظلة ، فأسندوا  
أمرهم إليه فبايعهم وقال: يا قوم، اتقوا الله وحده،  
فو الله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى  
بالحجارة من السماء، إن رجلاً ينكح الأمهات

٩٥ - البدء والتاريخ ، المقدسي ، ج ٦ ، ص ١٤

٩٦ - المقدسي ج ٦ ، ص ١٤

٩٧ - ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، ج ٦ ، ص ١٦

والبنات والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة،  
والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه  
بلاء حسنا<sup>٩٨</sup>

قبل المعركة  
الاستعدادات في المعسكر الشامي وما جرى من  
عبد الملك واسبائه النصيحة للجيش الشامي  
"فدخل عليه عبد الملك، فقال: هات ما عندك،  
أخبرني خير الناس، وكيف ترى؟ فقال له: أرى أن  
تسير بمن معك حتى تأتيهم من قبل الحرة"<sup>٩٩</sup>

قبل المعركة  
امهال مسلم لهم ثلاثة ايام "فلما مضت الأيام  
الثلاثة قال: يا أهل المدينة ما تصنعون؟  
قالوا: نحارب"<sup>١٠٠</sup>

الاشتباك  
"قاتلوا قتالا شديدا"<sup>١٠١</sup>

تغلب المعسكر  
الشامي واستباحة  
المدينة  
أباح مسلم المدينة ثلاثا، يقتلون ويأخذون  
الأموال<sup>١٠٢</sup>،

مشاهد ماساوية  
للحرة  
" أرسلت سعدى بنت عوف المريفة إلى مسلم،  
تقول بنت عمك مر أصحابك لا يعترضوا الإبل لنا  
بمكان كذا، فقال: لا تبدءوا إلا بها<sup>١٠٣</sup>،

<sup>٩٨</sup> - ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، ج٦ ، ص ١٩

<sup>٩٩</sup> - ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، ج٦ ، ص ١٤

<sup>١٠٠</sup> ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، ج٦ ، ص ١٤

<sup>١٠١</sup> - ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، ج٦ ، ص ١٤

<sup>١٠٢</sup> - ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، ج٦ ، ص ١٤

<sup>١٠٣</sup> - ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، ج٦ ، ص ١٤

مشاهد ماساوية  
للحرة  
جاءت امرأة إلى مسلم وقالت: أنا مولاتك وابني  
في الأسرى، فقال: عجلوه لمكانها، فضربت عنقه  
وقال: اعطوها رأسه ١٠٤،

مشاهد ماساوية  
للحرة  
ووقعوا على النساء" ١٠٥

مشاهد ماساوية  
للحرة  
" قتل عبد الله بن مطيع هو وسبعة من ابنائه وبعث  
برأسه إلى يزيد ١٠٦،

مشاهد ماساوية  
للحرة  
امرأة من قریش كانت تطوف، فعرض لها أسود،  
فعاثقه وقبلته، و قالت: هو ابني وقع علي أبوه يوم  
الحره، فولدت هذا " ١٠٧

مشاهد للحرة  
أبو سعيد الخدري في الغار<sup>١٠٨</sup>

مشاهد ماساوية  
للحرة  
ولدت ألف امرأة بعد الحره من غير زوج<sup>١٠٩</sup>

مشاهد تنكيل  
وقتل للحرة  
دعى مسلم بالناس إلى البيعة ليزيد، وقال: بايعوا  
على أنكم خول له، وأموا لكم له، فقال يزيد بن عبد  
الله بن ربيعة: نبايع على كتاب الله، فأمر به فضربت  
عنقه، وبدأ بعمرو بن عثمان، فقال: هذا الخبيث

١٠٤ - ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، ج ٦ ، ص ١٥

١٠٥ - ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، ج ٦ ، ص ١٥

١٠٦ - ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، ج ٦ ، ص ١٥

١٠٧ - ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، ج ٦ ، ص ١٥

١٠٨ - ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، ج ٦ ، ص ١٥

١٠٩ - ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، ج ٦ ، ص ١٥



ابن الطيب، فأمر به ففتفت لحيته.<sup>١١٠</sup>

أسر مسلم أسراء فحبسهم ثلاثة أيام لم يطعموا فجاءوا بسعيد بن المسيب إلى مسلم، فقالوا: بايع، فقال: أبايع على سيرة أبي بكر وعمر، فأمر بضرب عنقه، فشهد له رجل أنه مجنون فخلى عنه.<sup>١١١</sup>

شيخ من أهل المدينة، قال: سألت الزهري: كم كانت القتلى يوم الحرة؟ قال: سبعمائة من وجوه الناس من قریش والأنصار والمهاجرين ووجوه الموالي، وممن لا يعرف من عبد وحر وامرأة عشرة آلاف، وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين، وانتهوا المدينة ثلاثة أيام.<sup>١١٢</sup>

الأمير قد أمرنا بالتهب<sup>١١٣</sup>

مروان بن الحكم يحرض مسلم بن عقبة على أهل المدينة، " حتى ظفر بأهل المدينة، فانتهبها ثلاثاً، وقدم على يزيد فشكر له ذلك"<sup>١١٤</sup>

ويظهر حصر روايات ابن الجوزي المشهد التاريخي في صراع ديني بين أهل المدينة و معسكر أهل الشام خاصة وهو يذكر " شرب مسلم بن عقبة دواء بعد ما انهب المدينة، ودعا بالغداء، فقال له الطيب: لا تعجل فإني أخاف عليك إن أكلت قبل أن يعمل الدواء،

<sup>١١٠</sup> - ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، ج٦ ، ص ١٤

<sup>١١١</sup> - ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، ج٦ ، ص ١٦

<sup>١١٢</sup> - ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، ج٦ ، ص ١٦

<sup>١١٣</sup> ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، ج٦ ، ص ١٦

<sup>١١٤</sup> - ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، ج٦ ، ص ٤٨



قال: ويحك، إنما أحب البقاء حتى أشفي قلبي- أو قال: نفسي- من قتل عثمان، فقد أدركت ما أردت فليس شيء أحب إلي من الموت على طهارتي، فإني لا أشك أن الله قد طهرني من ذنوبي بقتلي هؤلاء الأرجاس ١١٥

وفي نظرة على تناول ابن الأثير ت ٦٣٠ هـ للوقعة

ثلاث وسبعمائة ١١٦

سنة الوقوع

أَخْرَجَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ عُثْمَانَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ غَامِلَ يَزِيدَ وَحَصَرُوا بَيْتَ أُمِّئَةَ بَعْدَ بَيْعَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ ١١٧- نلاحظ أنه هنا لم يتم ذكر وفد المدينة ليزيد

بدايات الازمة

فَاجْتَمَعَ بَنُو أُمِّئَةَ وَمَوَالِيَهُمْ وَمَنْ يَرَى رَأَيْتَهُمْ فِي أَلْفِ رَجُلٍ حَتَّى نَزَلُوا دَارَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ، فَكَتَبُوا إِلَى يَزِيدَ يَسْتَفِيئُونَ بِهِ، فَقَدِمَ الرَّسُولُ إِلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ وَقَدْ وَضَعَ قَدَمَيْهِ فِي طَشْتٍ فِيهِ مَاءٌ لِنَقْرَسٍ كَانَ بِهِمَا، فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ تَمَثَّلَ: لَقَدْ بَدَلُوا الْحِلْمَ الَّذِي فِي سَجِيَّتِي ... فَبَدَلْتُ قَوْمِي غِلْظَةَ بِلْيَانٍ- ثُمَّ قَالَ: أَمَا يَكُونُ بَنُو أُمِّئَةَ أَلْفَ رَجُلٍ؟ فَقَالَ الرَّسُولُ: بَلَى وَاللَّهِ وَأَكْثَرُ. قَالَ: فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يُقَاتِلُوا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ ١١٨ ويلحظ ان البيت المشار

خبر محاصرة

بنو امية في

المدينة

١١٥ - ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، ج٦ ، ص ١٦

١١٦ - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص ٢١١

١١٧ - ابن الاثير الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص ٢١١

١١٨ - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص ٢١١

له خلاف البيت الذي ذكره ابن خياط فيما  
سبق

معاوية بن ابي  
سفيان  
قِيلَ: إِنَّ مُعَاوِيَةَ قَالَ لِيَزِيدَ: إِنَّ لَكَ مِنْ  
أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَوْمًا، فَإِنْ فَعَلُوا فَارْمِهِمْ بِمُسْلِمِ بْنِ  
عُقَيْبَةَ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ قَدْ عَرَفْتُ نَصِيحَتَهُ. ١١٩

يزيد يستعرض  
الجيش  
الشامي  
أَتْنَا عَشْرَ أَلْفًا، وَخَرَجَ يَزِيدُ يَغْرِضُهُمْ وَهُوَ  
مُتَقَلِّدٌ سَيْفًا مُتَتَكِّبٌ قَوْسًا عَرَبِيَّةً. ١٢٠

وصية يزيد  
للجيش  
يَزِيدُ: لِمَسْلَمِ بْنِ عَقِيلٍ إِنْ حَدَّثَ بِكَ  
حَدَّثٌ فَاسْتَخْلِفِ الْخُصَيْنَ بْنَ نَمِيرِ السُّكُونِيِّ،  
وَقَالَ لَهُ: ادْعُ الْقَوْمَ ثَلَاثًا، فَإِنْ أَجَابُوكَ وَإِلَّا  
فَقَاتِلْهُمْ، فَإِذَا ظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ فَأَنْهَبْهَا ثَلَاثًا، فَكُلْ  
مَا فِيهَا مِنْ مَالٍ أَوْ ذَابَةِ أَوْ سِلَاحٍ أَوْ طَعَامٍ فَهُوَ  
لِلْجُنْدِ، فَإِذَا مَضَتِ الثَّلَاثُ فَانْكُفْ عَنِ  
النَّاسِ ١٢١

تعليق ابن  
الاثير على  
قول عبد  
سَمِعَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَنَّ يَزِيدَ قَدْ  
سَيَّرَ الْجُنُودَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: لَيْتَ السَّمَاءُ  
وَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ، إِعْظَامًا لِذَلِكَ.

١١٩ - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢١٢

١٢٠ - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢١٢

١٢١ - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢١٢

ثُمَّ إِنَّهُ ابْتُلِيَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَنْ وَجَّهَ الْحَجَّاجُ  
فَحَصَرَ مَكَّةَ وَرَمَى الْكَعْبَةَ بِالْمَنْجَبِقِ وَقَتَلَ ابْنَ  
الرُّبَيْرِ ١٢٢.

الملك بن  
مروان حينما  
سمع خروج  
الجيش  
الشامي لقتا  
اهل المدينة

مُسْلِمٍ فَإِنَّهُ أَقْبَلَ بِالْجَيْشِ فَبَلَغَ أَهْلَ  
الْمَدِينَةِ جَعَلُوا جَعَلُوا فِي كُلِّ مَنْهَلٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ  
الشَّامِ زِقًا مِنْ قَطْرَانٍ وَعُورٍ ١٢٣

الاستعداد  
للقتال

دخل عبد الملك فقال: ، أرى أن تسير  
بمن معك، حتى تأتيهم من قبل الحرة ١٢٤

عبد الملك  
بن مروان  
ومسلم بن  
عقبة

مضت الثلاث فقال مسلم يا أهل  
المدينة ما تصنعون، أتسالمون أم  
تحاربون؟ فقالوا: بل نحارب ١٢٥.

انتهاء المهلة  
الممنوحة  
لاهل المدينة

قاتلوا قتالا شديدا ١٢٦ الفضل بن  
عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب  
جاء إلى ابن الغسيل فقاتل معه في نحو من

وصف  
الاشتبك-  
يعتبر ابن

١٢٢ - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢١٣

١٢٣ - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢١٣

١٢٤ - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢١٣

١٢٥ - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢١٤

١٢٦ - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢١٤

عشرين فارسا قتالا حسنا، ثم قال لابن الغسيل:  
من كان معك فارسا فليأتني فليقف معي، فإذا  
حملت فليحملوا، فوالله لا أنتهي حتى أبلغ  
مسلمًا فأقتله أو أقتل دونه.

ففعل ذلك وجمع الخيل إليه، فحمل  
بهم الفضل على أهل الشام فانكشفوا ١٢٧،  
حمل وحمل أصحابه، فانفرجت خيل الشام عن  
مسلم بن عقبة ومعه نحو خمسمائة راجل جثاة  
على الركب مشرعي الأسنة نحو القوم، ومضى  
الفضل كما هو نحو راية مسلم فضرب رأس  
صاحبها، فقط المغفر وقلق هامته وخر ميتا،  
وقال: خذها مني وأنا ابن عبد المطلب! وظن  
أنه مسلم ١٢٨، أقبلت خيل مسلم ورجاله  
نحو ابن الغسيل، وهو يحرض أصحابه ويذم  
أهل المدينة ١٢٩

الاثير اكثر  
من وضع  
نصوص  
تصف بشكل  
واضح عملية  
الاشتباك بين  
الطرفين

بينما القتال إذ سمعوا تكبيرا من خلفهم  
في جوف المدينة، وكان سببه أن بني حارثة  
أدخلوا أهل الشام المدينة فانهمز الناس ١٣٠،

انفراد ابن  
الاثير بسبب  
هزيمة أهل  
المدينة

دعا مسلم الناس إلى البيعة ليزيد على  
أنهم خول له يحكم في دمائهم وأموالهم

مشاهد  
مساوية بعد

- ١٢٧ - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢١٥  
١٢٨ - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢١٥  
١٢٩ - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢١٥  
١٣٠ - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢١٧



الهزيمة لاهل  
المدينة  
وأهلهم من شاء، فمن امتنع من ذلك  
قتله ١٣١

طلب الأمان ليزيد بن عبد الله بن ربيعة  
بن الأسود، ولمحمد بن أبي الجهم بن حذيفة،  
ولمعقل بن سنان الأشجعي، فأتي بهم بعد  
الوقعة بيوم، فقال: بايعوا على الشرط. فقال  
القرشيان: نبايعك على كتاب الله وسنة رسوله.  
فضرب أعناقهما ١٣٢.

جاء معقل بن سنان فجلس مع القوم  
فدعا بشارب ليسقى، فقال له مسلم: أي  
الشراب أحب إليك؟ قال: العسل.

قال: اسقوه، فشرب حتى ارتوى، فقال  
له: أرويت؟ قال: نعم.

قال: والله لا تشرب بعدها شربة إلا في  
نار جهنم ثم أمر به فقتل ١٣٣

أتي بيزيد بن وهب، فقال له: بايع، قال:  
أبايعك على الكتاب والسنة.

قال: اقتلوه. ١٣٤

١٣١ - ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢١٧  
١٣٢ - ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢١٧  
١٣٣ - ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢١٧  
١٣٤ - ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢١٧

أما ابن كثير في مؤلفة البداية والنهاية فيذكر عن الحررة و بشي من التفصيل ما دار من نقاش بين يزيد وبين قواده حينما علم بخلع اهل المدينة له ، حيث يجي في مشهد عاطفي بين يزيد والنعمان بعد ان قال الاول للثاني " والله لأقتلنهم بعد إحساني إليهم وعفوي عنهم مرة بعد مرة، فيرد الاخير يا أمير المؤمنين أنشدك الله في عشيرتك وأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٣٥ مرجعا سنة الوقعة الي سنة ثنتين وستين ١٣٦ ، وأن سببها خلع يزيد بن معاوية، ١٣٧ بعد أن زار وفداهم يزيد فأكرمهم وأجازهم ١٣٨ بجوائز سنية، ثم عادوا من عنده بالجوائز فخلعوه، مشيرا الي الحوار الذي كان بين مسلم ويزيد بعد أن عزم على القتال " ادع القوم ثلاثا فان راجعوا إلى الطاعة فاقبل منهم وكف عنهم، وإلا فاستعن بالله وقتلهم، وإذا ظهرت عليهم فأبح المدينة ثلاثا ثم أكف عن الناس ١٣٩ ، ويترسل ابن كثير في وصف مسير الجيش الشامي حيث يذكر سار مسلم بمن معه إلى المدينة، فلما اقترب منها تلقاهم بنو أمية فجعل مسلم يسألهم عن الأخبار فلا يخبره أحد بعد أن أعطى بنو أمية العهد أن لا يدلوا عليهم أحدا من الشاميين، فأعطوهم العهد بذلك، فلما وصل الجيش ، وجاءه عبد الملك بن مروان فقال له: إن كنت تريد النصر فانزل الحررة ١٤٠ ، وبالفعل نزلها وامهل اهل المدينة ثلاثة ايام ولما مضت قال لهم "إن أمير المؤمنين قال لي: إنكم أصله وعشيرته، وإنه أمرني أن أوجلكم ثلاثا فقد مضت، فماذا أنتم صانعون؟ أتسالمون أم تحاربون؟

١٣٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٢١٥

١٣٦ - البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٨ ، ص ٢١٥

١٣٧ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٢١٨

١٣٨ - البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٨ ، ص ٢١٥

١٣٩ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٢١٩

١٤٠ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٢١٩

فقالوا: نحارب ١٤١، وربما يكون ابن كثير من أوائل المؤرخين الذين ذكرو قتلى الشاميين حيث يقول " انهزم أهل المدينة وقد قتل من الفريقين خلق من السادات والأعيان" ١٤٢ مشيراً الي عملية الاستباحة بالقول " أباح مسلم قبحه الله من شيخ سوء ما أجهله- المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد، لا جزاه الله خيراً، وقتل خلقاً من أشرفها وقرائها ١٤٣ معددا كذلك بعض الصور المأساوية التي حدثت لاهلها بدأ من معقل بن سنان، و علي بن الحسين و سعدى بنت عوف المريّة، والمرأة التي جاءت لمسلم فقالت أنا مولاتك وابني في الأسارى، فضربت عنقه، وقال: أعطوه رأسه ، وموقف أبي سعيد الخدري ، وامر سعيد بن المسيب ، وما قيل من أن الجيش الشامي ووقعوا على النساء حتى قيل إنه حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج ١٤٤- عموماً لم يصف ابن كثير جديد في ما تم تناوله من روايات ونصوص سابقة له الا من قولة قتل من الفريقين خلق من السادات والأعيان .

ويعلق ابن كثير على وقعة الحرة بالقول :

لما خرج أهل المدينة عن طاعة يزيد وخلعوه لم يذكروا عنه- وهم أشد الناس عداوة له- إلا شرب الخمر وإتيانه بعض القاذورات، لم يتهموه بزندقة ، بل كان فاسقاً كما أنه بعث إليهم من يردهم إلى الطاعة وأنظرهم ثلاثة أيام، فلما رجعوا قاتلهم ، وقد كان في قتال أهل الحرة كفاية، ولكن تجاوز الحد بإباحة المدينة ثلاثة أيام، فوقع بسبب ذلك شر عظيم ١٤٥

١٤١ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٢١٩

١٤٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٢٢٠

١٤٣ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٢٢٠

١٤٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ص ٢٢١

١٤٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ص ٢٣٢



أما ابن عساكر<sup>١٤٦</sup> ٥٧١ هـ فيتناول في مقاطع غير مرتبه او منتظمة الواقعة من خلال الشخصيات حيث يقوم بذكر بعض التفاصيل المرتبطة بكل شخصية يتناول خبرها ويكون لها تعلق بوقعة الحرة بطريق مباشر او غير مباشر ، حيث يذكر وقعت الحرة سنة ثلاث وستين ١٤٧ ، ثم يذكر ثب أهل المدينة ليالي الحرة فأخرجو بني أمية عن المدينة وأظهروا عيب يزيد واجمعوا على عبد الله بن حنظلة فأسندوا امرهم إليه ١٤٨ ، متناولا أيضا ما جاء من أقوال في يزيد " خرجنا على يزيد حتى خفنا ان نرمى بالحجارة من السماء ان رجلا ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة ١٤٩ ، ويتناول القتال بالقول وصيح القوم بالمدينة فقاتل أهل المدينة قتالا شديدا حتى كثرهم أهل الشام ودخلت المدينة من النواحي كلها ١٥٠ ويكثر ابن عساكر من المشاهد الوصفية التي تركز على الحدث من جهة الاشخاص وليس الواقعة التاريخية التي نلاحظ انها لم تكن منتظمة السرد ولا التابع ، بل لربما نلاحظ التراجع التاريخي للنصوص بين الطرفين فما بين روايات ونصوص هنا وهناك لاتستطيع الرواية التاريخية عند ابن عساكر ان تعطينا مشهدا حاسما في ملابسات الواقعة وصحة ماجاء فيها من أنباء مؤكدة على الرغم من استطاعة ابن عساكر المتأخر نوعا ما كمؤرخ على جمع كافة مايتعلق بالمادة التاريخية للوقعة وبشكل موسع وفك التشابك بين الوقائع الخيالية المشتبكة بها والحقيقية.

١٤٦ - ابن عساكر ، تاريخ دمشق .

١٤٧ - ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٢٧ ، ص ٤٢٣

١٤٨ - ابن عساكر ، ج٢٧ ، ص ٤٢٩

١٤٩ - ابن عساكر ، ج٢٧ ، ص ٤٢٩

١٥٠ - ابن عساكر ، ج٢٧ ، ص ٤٢٩



<p>مر مروان بعبد الله بن حنظلة فرآه مشيراً بإصبعه قد يست فقال لئن اشرت بها ميتا لطال ما دعوت وتضرعت بها إلى الله عز وجل فقال رجل من أهل الشام لئن كان هؤلاء كما تقول ما دعوتمونا إلا لنقتل أهل الجنة قال مروان لأنهم خالفوا ونكثوا</p>	<p>وقعة الحرة وتعامل ابن عساكر مع بعض النصوص والروايات فيها</p>
<p>عن أبي الحسن عن سليمان بن أبي سليمان عن أبي سفيان قال رأيت في المنام عبد الله بن حنظلة في هيئة حسنة فقلت ألم تقتل يوم الحرة قال بلى وقد أدخلني ربي الجنة ١٥١</p>	<p>وقعة الحرة والجانب الغيبي في أنصاف أهلها</p>
<p>أبا سعيد الخدري: ممعط اللحية فقلت تعبت بلحيتك فقال لا هذا ما لقيت من ظلمة أهل الشام دخلوا علي زمن الحرة فأخذوا ما كان في البيت من متاع ثم دخلت علي طائفة أخرى فلم يجدوا في البيت شيئاً فأسفوا أن يخرجوا بغير شيء فقالوا اضجعوا الشيخ فأضجعوني فجعل كل واحد منهم يأخذ من لحيتي خصلة ١٥٢</p>	<p>ابن عساكر ورواية ابو سعيد الخدري</p>
<p>قتل ابنا زينب بنت أم سلمة وهي ربيبة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ١٥٣</p>	<p>مقتل مقرين من الرسول صلى الله عليه وسلم</p>
<p>زيد الذي أوقع بأهل المدينة بعث إليهم مسلمة بن عقبة أحد بني مرة بن عوف بن سعد ابن ذبيان فأصابهم بالحرة بموضع يقال له واقم من مسجد رسول الله (صلى</p>	<p>وقعة الحرة وثبوت النهب عند ابن عساكر</p>

١٥١ - ابن عساكر ، ج ٢٧ ، ص ٤٣٢

١٥٢ - ابن عساكر ، ج ٥٨ ، ص ١٠٩

١٥٣ - ابن عساكر ، ج ٥٨ ، ص ١٠٩

<p>الله عليه وسلم) على ميل فقتل أهل المدينة مقتلة عظيمة فسمي ذلك اليوم يوم الحرة وأنهب المدينة ثلاثة أيام وهو الذي يسميه أهل المدينة مسرفاً</p>	
<p>يزيد أوقع بأهل المدينة بعث إليهم مسلمة بن عقبة أحد بني مرة فأصابهم بالحرة فقتل أهل المدينة مقتلة عظيمة وأنهب المدينة ثلاثة أيام ١٥٤</p>	<p>الحرة وأعمال القتل والنهب</p>

## النتائج

## وقعة الحرة... الانتصار للعصبة التاريخية للمؤرخين والرواة

كانت لوقعة الحرة الكثير من المقدمات المهمة والخطيرة، فهذه الواقعة تجسد بجلاء الخلاف السياسي والاجتماعي بين الحجازيين والأمويين. حيث تعود جذور الخلاف بينهما إلى عدة أسباب، لعل أهمها ما أحدثه معاوية من تغيير في منهجية الحكم، فإن الكثيرين من الصحابة والتابعين في المدينتين المقدستين، مكة والمدينة كانت نقيمتهم على نظام معاوية الوراثي ذات دلالة خاصة، حيث اعتبروا عمل معاوية في تحويل نظام الخلافة عن طابعه الراشدي، بدعة تناقض نهج الراشدين وطبيعة الخلافة، كما اعتبر سكان المدينتين المقدستين أن صلتهم بالإسلام هي صلة أهل القضية الذين ارتبطت بحياتهم منذ ظهور الإسلام.

١- كانت وقعة الحرة ذات خصوصية وحساسية تعامل معها المؤرخون اتكاءً على الرمزية الدينية والمكانة المقدسة لمدينة رسول الله وصحابته و التابعين وعائلاتهم، حيث كان النص والرواية يميل الي الجانب المدني في التفصيل والاسترسال وبناء الحدث متجاوزاً القاعدة التاريخية ( التاريخ يكتبه المنتصرون )، فهنا تحديدا كتب تاريخ الوقعة النص والرواية المهزومة وليست المنتصرة.

٢- انشغلت النصوص والروايات بمحددتين : واقعي ومتخيل، وهو ما كان له الأثر الكبير في تشكيل الاحداث أولاً، وإعادة ترتيبها لصالح المدينة ثانية

٣- لقد انتهت موقعة الحرة بهزيمة أهل المدينة هزيمة ساحقة قُتِلَ فيها كثير من الطرفين، ولا شك أن المبالغات التي وردت في



تقدير عدد القتلى والتجاوز في القتل والنهب وانتهاك الحرمات تم إحتسابه لأهل المدينة فقط دون الطرف الأخر ، خصوصاً أن المؤرخين تغاضوا عن ذكر بعض الأمور التي من شأنها التقليل من المأساة أو التشكيك في مشاهدتها الدموية ، فمثلاً ابن عمر لم تنتهب داره، أو علي بن الحسين، أو غيره من الذين لم يقفوا بجانب المعارضين، و دار أسامة بن زيد بن حارثة مؤلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودار امرأة من حمير كما يذكر البلاذري ١٥٥، وإنما كان الانتهاب في الأماكن التي يدور فيها القتال، وتُعرف بالمعارضة للحكم الأموي تحديداً مع ضرورة ما يرافقها من أعمال وتجاوزات مثل دخول البيوت وتفتيشها وغيرها مما يقوم به الجنود ، كما نلاحظ أن روايات انتهاك أعراض نساء المدينة ١٥٦ والتجاوزات التي تم بناء عليها رسم المأساة بشكل أكثر وضوحاً ، ربما تكون جاءت بشكل متأخر في الرواية والنص التاريخي ، بما يحمل على القول أن الدافع فيما بعد ربما يكون إظهار جيش الشام - الذي يمثل الجيش الأموي- جيشاً لا يستند لأسس دينية أو أخلاقية.

٤- حين اشتدت المتناقضات في موقف أهل المدينة لم يكن للنص أو الرواية أي موقف واضح ، خاصة في تحقيق اسبابها ، لكن وأمام صعود وتسارع الأحداث تجاه أهل المدينة من قبل الطرف الأقوى يزيد والذي يمتلك رصيد تاريخي سلمي عند أغلب المؤرخين بدا واضحاً أن المكان والرمزية القدسية للمدينة المنورة من أهم المكونات الأساسية في العمل السرد او الرواية التاريخية الذي يشكله

١٥٥ -- انساب الاشراف ، ج ٥، ص ٣٢٧

١٥٦ - ذهب بعض الباحثين المعاصرين إلى إنكار ذلك مثل د. نبيه عاقل، ود. العرينان، ود. العقيلي، وكذلك فلهوزن



النص والمتن والرواية المرصودة ، فكان إسقاط الحالة المأساوية وما جرى من عمليات قتل وترويع ومشاهد الدماء يجعل للمكان وهو مدينة رسول الله دلالة تفوق الحدث ذاته فتعامل المؤرخون مع الحدث بشكل ثانوي وجعلوا للمكان والأشخاص الأهمية المطلقة في الرصد والتدوين ، فجاءت وقعة الحرة فيما بعد لتمثل الحدث المأساه في تاريخ المدينة حيث انتصر فيه الرمز المقدس على التاريخ العادي.

ولاشك أن كربلاء التي حدثت في العام (٦١) من الهجرة كانت حدثاً كبيراً ومهماً في التاريخ الاسلامي هذا الحدث التاريخي الذي تمتد جذوره إلى ما بعد وفاة الرسول (ص) وما جرى من خلاف حول تولي الخلافة كان من الملاحظ أنه لم يكن لها اي ارتباط او ذكر في جميع المشاهد التاريخية والنصوص التي تناولت وقعة الحرة ، وربما يدل ذلك على انتفاء اي ارتباط او مسوغات لاحقة حاولت الدفع بتجاهه أن ثورة اهل المدينة على يزيد كانت بسبب مقتل الحسين رضی الله عنه وهو ما لا تدعمه الوقائع ولا النصوص ولا الشواهد التاريخية والتحليلية السابقة.

٥- كان من المفترض تقبل الرواية التاريخية الاسلامية بوجود كل النصوص والمتون على اختلاف مشاربها الفكرية والعقدية بل والدينية ، وان تتعامل معها من منطلق متوازن (سواءً اسهمت المدينة وأهلها التسريع بالمواجهة العسكرية ، أو كانت هذه المأساة ردة فعل من قبل السلطة المركزية على الخروج على الحاكم كما يراها ابن عمر الذي تم تجاهل روايته في هذا السياق بشكل يجبرنا على التساؤل عن الأسباب والدوافع التي أجبرت المؤرخين والرواة على أسباب ذلك؟).

٦- كان القبول بوجود النصوص والمتون التي تشكل توجهها مختلفاً لدى المؤرخين مشروطاً بالألا يكون خروجاً عن إطار أن للمدينة

مكانتها ورمزياتها وقد استهت بها وأن أشخاصها ورموزها يمثلون ذاتاً لا يمكن الخروج عليهم ، لا في النص، ولا في الرواية، وعلى الرغم من اتهام بعض المؤرخين لميلهم لبني أمية كابن عساكر ، وابن عبد البر الاندلسي الذي كان بعيداً فيما يدون عن قبضة العباسيين (بل كان يكتب في ظل حكم الامويين في الاندلس) إلا أنهم في هذا الوقعه تحديداً لم يستطيعوا الانفكاك من دائرة الشحن والتحامل على الامويين.

٧- أثبت المؤرخون بنصوصهم ومتونهم وقوع الحادثة بالفعل إلا أنهم أخفقوا في تقديم المبررات التاريخية المقنعة لها ، وتركوها تعاني ما التصق بها من مشاهد مأساوية بعضها حقيقي والآخر مزيف ومفترض .

٨- تثبت وقعة الحرة أن المؤرخون والرواة نجحوا في إخضاع الخطاب والنص التاريخي لسيطرتهم (تعصب العلماء والفقهاء لقضية معينة) ، فقد تم تقديم الوقعة هنا بطريقة خدمت رؤيتهم وميلهم ، وهو ما سمح بتعدد مستويات التأويل فيما بعد انطلاقاً من النص المدون في سياق عاطفي وجعله في النهاية يرتقي ليكون ملحمة مأساوية طرفيها (الديني والسياسي).

## المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري (ت ١٢٣٢هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق مكتب التراث، الطبعة الرابعة، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م
٢. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
٣. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة النشر، ١٩٩٨.
٤. ابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله، (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق عمر بن غرامة العمري، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، (١٤١٥هـ).
٥. ابن كثير، السيرة النبوية تحقيق مصطفى عبد الواحد، د. ط، أربعة أجزاء، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧١ م.
٦. ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م)، البداية والنهاية، الطبعة الثامنة، دار المعرفة، بيروت، سنة النشر، ٢٠٠٣.
٧. ابن هشام (ت ٢١٨ هجري)، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، د. ط، دار الكنوز الأدبية، بيروت، د. ت.
٨. أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، ت ٣٢٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤ هـ.



٩. أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، ت ٣٢٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤ هـ.
١٠. أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دون تاريخ للطبعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧ م.
١١. احمد ابراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربي د.ن.
١٢. البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي (ت: نحو ٣٥٥هـ): مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.ن.
١٣. البلاذري، أحمد بن يحيى، (ت ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، تحقيق وشرح عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، الطبعة الأولى، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧ م.
١٤. تاريخ الخلفاء: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق، حمدي الدمرداش الناشر، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ١، ٢٠٠٤ م.
١٥. تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر (٢٤٠هـ) الكتاب طبع بتحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط ٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ م.
١٦. جمل من أنساب الأشراف، المؤلف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.



١٧. جمل من أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦ م
١٨. الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد الجاوي، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١٩. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تذكرة الحفاظ، وضع حواشيه الشيخ زكريا عميرات، أربعة أجزاء، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٢٠. شمس الدين الكيلاني. من العود الأدبي إلى الوعي التاريخي. الكنوز الأدبية. بيروت. ١٩٩٨.
٢١. عبد اللطيف محفوظ، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد ٤٣٨، السنة السابعة والثلاثون - ٢٠٠٧
٢٢. الفتن أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي (المتوفى: ٢٢٨هـ) المحقق: سمير أمين الزهيري الناشر: مكتبة التوحيد - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ
٢٣. الفتوح، أحمد بن محمد بن علي بن أعثم الكوفي، أبو محمد (المتوفى: نحو ٣١٤هـ)، تحقيق، علي شيري، الناشر: دار الأضواء، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م
٢٤. الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري (ت بعد ٣٥٥هـ) الولاة وكتاب القضاة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م

٢٥. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري [ ٢٢٤ - ٣١٠ هـ ] ، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، قوبلت هذه الطبعة على النسخة المطبوعة بمطبعة " بريل " بمدينة ليدن في سنة ١٨٧٩ م، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ م
٢٦. محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري (ت ٧١١)، لسان العرب ، تحقيق عبد الله على الكبير ، ومحمد احمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلي ، دار د. ط ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ للنشر .
٢٧. محمد بن يوسف الصالحي الشامي الصالحي سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض الناشر ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٣ م
٢٨. مسلم بن الحسين القشيري (ت ٢٦١ هجري) ، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٨ .
٢٩. معجم البلدان ، تحقيق فريد عبد العزيز ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ .
٣٠. المعرفة والتاريخ ، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف (ت: ٢٧٧هـ)، تحقيق أكرم ضياء العمري، الناشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨١ .
٣١. المغازي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي ، المدني، أبو عبد الله، الواقدي ، تحقيق: مارسدن جونس ، الناشر: دار الأعلمي - بيروت الطبعة: الثالثة .
٣٢. المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي ت ٧٤٨هـ تحقيق ، محب الدين الخطيب ،

٣٣. هشام جميعط، جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٨

٣٤. وجدان جميل علي جابر- الردة/ دراسة تاريخية في مرويات محمد بن اسحاق 151هـ / 768 م (وسيف بن عمر 180 هـ / 796 م) (ومحمد بن عمر الواقدي 207 هـ / 822 م) جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠١٣

٣٥. ياقوت الحموي الرومي (ت ٦٢٦هـ)، معجم الأديباء، د. ط، مطبعة دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠م

٣٦. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤ أو ٢٩٢هـ / ٨٩٧، ٩٠٥م)، تاريخ اليعقوبي، د. ط، المجلد الثاني، دار بيروت للطباعة، بيروت، ١٩٧٠

الكتاب: ...  
 رقم الكتاب: ...

...  
 رقم الكتاب: ...

...  
 رقم الكتاب: ...

...  
 رقم الكتاب: ...

...  
 رقم الكتاب: ...



دخول مصر حرب فلسطين  
عام ١٩٤٨ بين الرفض والقبول  
(دراسة وثائقية)

دكتورة/ مرفت أسعد عطا الله  
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد  
كلية التربية - جامعة الإسكندرية

دراسة في تاريخ مصر القديمة

أ. د. محمد عبد الحليم

(تقديم: د. محمد)

الطبعة الأولى: ١٩٨٥

عدد الصفحات: ١٠٠

عدد النسخ: ١٠٠٠

كان دخول الجيش المصري حرب فلسطين ( ١٥ مايو ١٩٤٨ - ٢٤ فبراير ١٩٤٩ )، أكثر الأمور غير العادية، غير عادي ليس بسبب الصعوبات التي واجهت القوات المحاربة إنما بسبب الخلفية الفريدة لقرار الحرب. فعلى خلاف اشتراك الجيوش العربية الأخرى، عكس اشتراك الجيش المصري في الحرب تغيير مفاجئ وغير متوقع في سياسة مصر نحو النزاع القائم في فلسطين. فكما يذكر الدكتور محمد حسين هيكل باشا رئيس مجلس الشيوخ المصري (١٩٤٥ - ١٩٥٠): إن البلاد العربية والإسلامية كانت " تعطف على عرب فلسطين، لكن حكومات هذه البلاد كانت تقف من هذه المشكلة موقفا سلبيا بحثا، وكان ساسة مصر على اختلاف أحزابهم يرون في هذا الموقف السلبى حكمة غاية الحكمة "، فالرأي لدى هيكل باشا أن " مشكلة العلاقات المصرية البريطانية وتنظيمها كانت تحتاج إلى كل جهد تستطيع مصر بذله، فإذا وجهت الجهود إلى فلسطين أو غيرها أضعف ذلك نشاطها في السعي لاستقلالها وسيادتها ".

أدت التطورات السياسية والعسكرية في الأيام الأخيرة من عام ١٩٤٧ وأوائل عام ١٩٤٨ إلى حشد الرأي العام العربي، فقد أدى قرار الأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين إلى حالة من الهياج بين كل الزعماء العرب، حتى أن إسحاق رابين **Yitzhak Rabin** - رئيس وزراء إسرائيل (١٩٧٤ - ١٩٧٧، ١٩٩٢ - ١٩٩٥) - أحد الضباط المشاركين في حرب ١٩٤٨ قد ذكر في مذكراته أن الحرب لم تبدأ في يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ " عندما غزت الجيوش العربية المنظمة حدودنا " إنما في الحقيقة أن الحرب " بدأت قبل ذلك بستة أشهر، في اليوم الذي تم فيه التصويت في الأمم المتحدة لصالح تقسيم فلسطين، منذ أن بدأ العرب هجومهم لمنعنا من جني ثمار هذا القرار ".

وخلال شهري أبريل ومايو ١٩٤٨، كانت هناك باستمرار مشاورات، بشكل رئيسي في القاهرة، ودمشق، وعمان بين الملوك والرؤساء ورؤساء الوزارات والقادة العسكريين. حتى أن أليك كيركبرايد **Alek Kirkbride** - السفير البريطاني في عمان ( ١٩٤٦ - ١٩٥١ ) - قد وصف تلك الأيام الأخيرة قبل الحرب " بمستشفى المجانين "

لكثرة ما يسودها من هرج ومرج. وبدأ الإجماع في الرأي على إرسال الجيوش العربية إلى فلسطين بالتبليغ في الاجتماع الذي عُقد في العاشر من أبريل ١٩٤٨ بالقاهرة ورغم الضغوط على مصر لترسل جيشها، كان رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي باشا (١٩٤٦ - ١٩٤٨) يصر على أن مصر " لا تستطيع أن تشارك لأن الجيش البريطاني، في قواعده على طول قناة السويس"، وكان أحمد محمد خشبة باشا - وزير خارجية مصر (١٩٤٧ - ١٩٤٨) - يقول: أنه بالرغم من أن مصر لا تستطيع أن تمنع المتطوعين من الانضمام إلى المعركة، فهي " لم تنو، ولن، ترسل قوات نظامية إلى فلسطين".

وقد تم اتخاذ القرار أخيراً بدخول الجيوش العربية الحرب في ٢٩ - ٣٠ أبريل ١٩٤٨، في اجتماعات زعماء الدول العربية في عمّان. وظلت مصر رغم ذلك كله على موقفها من الرفض. ولذا أخذ قرار مصر بدخول الحرب على حين غرة دهشة عدد كبير من السياسيين المصريين أنفسهم، فقد اندهش عبد الرحمن عزام - أمين عام جامعة الدول العربية (١٩٤٥ - ١٩٥٢) - للقرار المصري بدخول الحرب، فحتى يوم ١٣ مايو ١٩٤٨، كان عزام يخبر شكري القوتلي - الرئيس السوري (١٩٤٣ - ١٩٤٩) - بأن مصر لن تدخل حرب فلسطين، وقد علم عزام نفسه بقرار مصر دخول الحرب فقط في اليوم التالي عندما أخبره بذلك عبد الله بن الحسين - ملك الأردن (١٩٤٦ - ١٩٥١).

كذلك كانت الدهشة من نصيب مصادر المخابرات الأجنبية التي تبعت السياسة المصرية عن كثب وظنت أنها على علم كامل بكل ما يجري في ساحة السياسة المصرية، فحتى يوم ١٣ مايو ١٩٤٨، كان ياكوف شيموني Ya'akov Shim'oni - نائب مدير القسم العربي في القسم السياسي للوكالة اليهودية - يشك في دخول الجيش المصري حرب فلسطين وكانت انطباعاته الخاصة أن " الجيشان العربي (الأردني) والعراقي سيدخلان فلسطين، أما بالنسبة للمصريين، فيبدو أن دورهم يقتصر على التمويل والنصيحة، بينما تتركز قواتهم على الحدود. ومن المحتمل - ولكن ليس هناك تأكيد - أن المصريين قد يدخلون الحرب أيضاً".



فالسبب لهذه المفاجأة وعدم التصديق الواسع الانتشار بخصوص دخول الجيش المصري حرب فلسطين يكمن في الاعتراضات الشهيرة والطويلة المدى التي أبدتها الحكومة المصرية إزاء مثل هذا التحرك منذ أن كان مجرد اقتراح من قبل الزعماء العرب.

## عوامل رفض مصر دخول حرب فلسطين

كان أول اقتراح بإرسال جيش عربي إلى فلسطين تحت إشراف جامعة الدول العربية، من الملك عبد العزيز بن سعود ( ١٩٠٢ - ١٩٥٣ ) في سبتمبر ١٩٤٥. في ذلك الوقت، اعتبر عبد الرحمن عزام - وهو أحد أقوى مؤيدي مصر لعرب فلسطين - اقتراح ابن سعود مبالغ فيه<sup>(١)</sup>. وفي أحد تقارير عزام للنقراشي في سبتمبر ١٩٤٥ حذر بأن " تدمير اليهود بالقوة ليس حل لمشكلة فلسطين "، ولم يكن يرى أن تبني جامعة الدول العربية مثل هذه " الإجراءات الشديدة "، لأن العرب يعتمدون على الدول الكبرى في تجهيزاتهم العسكرية، وتلك الدول لن توافق على أن يشن العرب حرباً ضد اليهود<sup>(٢)</sup>. وبعد بضعة أسابيع كتب عزام من لندن إلى عبد الحميد البدوي - الوزير المصري للشؤون الخارجية ( ١٩٤٥ - ١٩٤٦ ) - وحذر عزام مرة أخرى من تبني " رد متطرف " ضد اليهود<sup>(٣)</sup>.

خلال العامين والنصف التاليين تصرف صناع السياسة في مصر وفق نصيحة عزام حيث تبنا خطأ حذراً في كل اجتماعات جامعة الدول العربية المتعلقة بمسألة فلسطين<sup>(٤)</sup>. وقد أبدى الوفد المصري في الجلسة الخاصة التي عقدتها جامعة الدول العربية في بلودان بسوريا في يونيو ١٩٤٦، مشاركة ضئيلة في النقاش الساخن بين المندوبين العراقيين والسوريين والسعوديين بخصوص الإجراءات التي ستؤخذ لدعم الفلسطينيين<sup>(٥)</sup>. وقد ترك النقراشي بلودان بعد يومين من وصوله. وأثناء زيارته القصيرة تلك عارض فكرة تدخل عسكري عربي في فلسطين، وصرح بأن الجيش المصري غير مستعد<sup>(٦)</sup>.

وهناك من ذهب إلى أن الحكومة المصرية قد وضعت عقبات كبيرة في طريق الجهود المبذولة لتعبئة، وتدريب، وإرسال المتطوعين إلى " حرب التحرير " في فلسطين. ونتيجة لذلك كان عدد المتطوعين المصريين صغيراً للغاية، ففي تقرير رسمي بتاريخ فبراير ١٩٤٨ للجنة العسكرية لجامعة الدول العربية قدر عددهم فقط بخمسين ( من إجمالي

خمسة آلاف) متطوع مصري. وحتى مارس ١٩٤٨ لم تسمح الحكومة المصرية بفتح معسكرات التدريب للمتطوعين في مصر<sup>(٧)</sup>.

وجاء بتقرير لصمويل كي. سي. كوبر Samuel K.C. Kopper - بقسم الشرق الأدنى والشؤون الأفريقية بوزارة الخارجية الأمريكية - بتاريخ مارس ١٩٤٨، أن " هناك الكثير من الدلائل التي تشير إلى تلهف العناصر المعتدلة في العالم العربي ( ابن سعود، وعزام، والنقراشي) للوصول إلى حل معتدل بخصوص مشكلة فلسطين وإقصاء المفتي<sup>(٨)</sup> والعناصر المتطرفة في فلسطين"<sup>(٩)</sup>. وفي الشهر التالي كرر مبعوثو مصر لدى اللجنة السياسية بجامعة الدول العربية معارضة مصر لاستخدام الجيوش العربية المنظمة، وبدلا من ذلك دعموا فكرة مد الانتداب البريطاني على فلسطين<sup>(١٠)</sup>. وقد وجه خشبة باشا نداءات شخصية إلى الممثلين البريطانيين بخصوص هذه المسألة<sup>(١١)</sup>، وطمان محدثيه مرارا وتكرارا بأن مصر لا تنو إرسال جيشها النظامي إلى الجبهة الفلسطينية<sup>(١٢)</sup>. وقد عززت جهود خشبة باشا بجهود النقراشي في محاولة للوصول إلى وقف إطلاق النار في فلسطين قبل نهاية الانتداب، ومن ذلك ترحيب النقراشي باقتراح أمريكي للوصاية على فلسطين<sup>(١٣)</sup>.

وعلى الرغم من شجهم العام للصهيونية، اجتمع السياسيون المصريون مع المسئولين الصهيونيين، وأبدوا تفهما بل وحتى تعاطفا مع وجهات نظرهم. وقد شجع على تلك الاتصالات عدد من الدبلوماسيين المصريين خصوصا أولئك الذين يخدمون في القدس وواشنطن، الذين أقاموا علاقات صداقة مع المسئولين الصهيونيين بالرغم من أنهم لم يشغلوا الرتب العليا في الخارجية المصرية، مثل توفيق حنا نائب القنصل في القدس، ومحمود فوزي مستشار المفوضية المصرية في واشنطن، وقد لعبا دورا فعالا في التوسط بين المسئولين الصهيونيين والقيادات السياسية والدبلوماسية في مصر<sup>(١٤)</sup>.

كان إياهو ساسون Elias Sasson - مسئولًا كبيرًا في السم العربي للقسم السياسي من الوكالة اليهودية (١٩٣٣ - ١٩٤٨) - من أوائل المسئولين الصهيونيين الذين أجروا محادثات مع السياسيين المصريين. ففي ديسمبر ١٩٤٥ اجتمع ساسون في القاهرة مع السياسي المصري علي ماهر باشا (١٨٨١ - ١٩٦٠)، وهو مدافع متحمس عن

القضية الفلسطينية، وجرى بين الاثنين حديث ودي دام حوالي ساعتين. وطبقا لساسون، أبدى ماهر فزعه من إبادة خمسة ملايين يهودي على يد النظام النازي، ومدح ماهر المهارات اليهودية البناء، ورحب بفكرة العلاقات اليهودية العربية بل وحتى اقترح انضمام اليهود لجامعة الدول العربية<sup>(١٥)</sup>. وعندما قابل ساسون ماهر ثانية، في أغسطس ١٩٤٦، اتهم الأخير بريطانيا بعرقلة العلاقات العربية اليهودية. وأثناء وجوده بالقاهرة أجرى ساسون محادثات مع عزام، وإسماعيل صدقي باشا - رئيس وزراء مصر آنذاك ( فبراير ١٩٤٦ - ديسمبر ١٩٤٦)، وحسن رفعت نائب وزير الداخلية، و أحمد لطفي السيد - الوزير المصري للشؤون الخارجية (١٩٤٦). وقد أخبر عزام ساسون دعمه لتقسيم فلسطين، رغم أنه لا يستطيع أن يرفع هذا الاقتراح. وقد وعد عزام بدعمه الشخصي للتقسيم إذا ما تقدمت دولة عربية بهذه المبادرة في جلسات الجامعة أو طلبه البريطانيون. أما صدقي فقد كان يرى أن القوات البريطانية ستبقى في مصر طالما أن مسألة فلسطين بقيت دون حل. لهذا السبب لاحظ ساسون أن صدقي كان مهياً لدعم أي حل، مثل التقسيم أو دولة فيدرالية في فلسطين. وفي المقابل طلب صدقي المساعدة اليهودية في الترويج للقضية المصرية في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية أثناء المفاوضات الإنجليزية المصرية. حيث آمن صدقي بقدرة اليهود في التأثير على دوائر اتخاذ القرار في لندن وواشنطن. وقد أخبر صدقي ساسون أنه ليس يهودي الولاء و لا هو مؤيد للعرب ( الفلسطينيين)، لكنه كرجل أعمال يعمل لرفاهية مصر وحدها، عرض التوسط في حل النزاع<sup>(١٦)</sup>.

ويحدثنا الدكتور حسين حسني - السكرتير الخاص للملك فاروق ( ١٩٣٦ - ١٩٥٢) في الفترة (١٩٣٧ - ١٩٥٢)، أنه إثر قراءته في بعض الصحف عن وجود حركة بين يهود فلسطين المقيمين هناك منذ زمن طويل ويعز عليهم أن يروا تلك البلاد تمزقها روح التعصب وتهدها أحداث العنف التي تستنكرها جميع الأديان، ولذلك فإنهم يدعون إلى إيجاد الوسيلة الكفيلة بسيادة السلام في فلسطين بإقامة حكم ذاتي لكل من العرب واليهود في المنطقة التي تكون الأغلبية فيها لهم، مع جواز تبادل الأقليات من السكان بين الطرفين على أن يجتمعا معا في حكومة مركزية فيدرالية. وهنا اقترح الدكتور حسني على الملك فاروق أنه في حالة موافقته يقوم بالاتصال بالزعيم اليهودي الكبير الموجود في مصر وهو



حاييم ناحوم أفندي - الحاخام الأكبر ( ١٨٧٢ - ١٩٦٠ ) - فوافق الملك على قيام الدكتور حسني بهذا المسعى، ولكن بشرط عدم ذكر اسمه أو الإشارة إلى أنه يعلم أي شيء عنه أو الوعد بشيء من ناحيته على الإطلاق، وإذا ما وصل هذا المسعى إلى نتيجة تبشر بالنجاح في حصول موافقة الزعماء العرب عليها، فإنه حينها يمكن إعادة النظر في موقف الملك منها ومدى إمكانية تأييده لها أو البعد عنها تماما<sup>(١٧)</sup>.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، ماهي الأسباب التي دفعت بمصر لاتخاذ هذا الموقف الراض لدخول حرب فلسطين؟ يمكن إجمال هذه الأسباب فيما يلي:

### أولاً: موقف بريطانيا

خلال عامين ( ١٩٤٥ - ١٩٤٦ ) من عقد مؤتمرات القمة العربية، ومع التلميح من حين لآخر بإمكانية التدخل المباشر في فلسطين، تلقى الزعماء العرب تحذيرات من قبل بريطانيا، وقد رأى المراقبون البريطانيون أن " الدول العربية ستجد بعض المفاجئات السيئة إذا ما غزوا فلسطين ". وكان ألن كاننجهام **Alan Cunningham** - آخر مندوب سام بريطاني في فلسطين ( ١٩٤٥ - ١٩٤٨ ) - يرى أن " هذه الجيوش لا تملك على الإطلاق التدريب، ولا الأجهزة، ولا احتياطات الذخيرة. .. لإبقاء جيش في الميدان بعيداً عن قواعده لوقت طويل " <sup>(١٨)</sup>.

وجاء في تقرير للسفارة البريطانية بالقاهرة، بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٩٤٥ أن " حكومة جلالة الملك ( جورج السادس **George VI** ) ( ١٩٣٦ - ١٩٥٢ ) .. لترغب في أن توضح أن مشكلة فلسطين ليست مما يمكن حله بالقوة وأن أية محاولة في هذا السبيل من قبل أي طرف ستؤخذ بالحزم الواجب. .. وليس هناك مجال لفرض حل يقوم على النزاع العنيف " <sup>(١٩)</sup>. وفي ١١ مايو ١٩٤٨، تحدث النقراشي باشا في الجلسة السرية التي عقدها مجلس الشيوخ المصري برئاسة هيكل باشا<sup>(٢٠)</sup> عن موقف بريطانيا قائلاً: " الحكومة البريطانية كانت تبلغ الدول العربية أنها مسئولة حتى ١٥ مايو عن حفظ الأمن في البلاد، ولا تسمح للقوات الأجنبية أن تتدخل. .. معالي وزير الدفاع وصلته أول أمس رسالة من الملحق العسكري بالسفارة البريطانية يقول فيها ما معناه إن الحكومة البريطانية ما زالت متمسكة بالأمر



تدخل فلسطين أي جيوش، وأنها لديها العدة والطائرات الكافية لمنع هذا التدخل"<sup>(٢١)</sup>. ولذا فقد كان من الطبيعي أن يعلن النقراشي تحفظه عندما عُقد اجتماع لرؤساء الحكومات العربية بلبنان في أكتوبر ١٩٤٧، عندما طُرح موضوع اشتراك الدول العربية بقواتها وقال: " إن مصر في نزاعها مع بريطانيا العظمى - وجنود بريطانيا مازالت مقيمة في أراضيها - فلا يمكنها أن ترتبط في أي اشتباك عسكري مادام الحال كذلك"<sup>(٢٢)</sup>.

وخلال لقاء النقراشي باشا بالملك فاروق، في ١٤ مارس ١٩٤٨، ذكر الأول أن " أثناء جولات المفاوضات مع الإنجليز ومطالبتهم بالجلء كان الإنجليز يرفضون طلبه بحجة أن ضرورات الدفاع عن الشرق الأوسط لا تسمح بوجود فراغ على قناة السويس بتركها دون حماية عسكرية وكان يرد عليهم دائما بأن الجيش المصري يملك القدرة والقوة لملء الفراغ على قناة السويس " وخلص رئيس الوزراء من ذلك إلى أن " تدخل الجيش المصري إذا نجح في فلسطين سوف يشغله عن مسئولية ملء الفراغ على قناة السويس، وإذا لم ينجح فإنه يُسقط حجة المفاوضات المصري تماما"<sup>(٢٣)</sup>. وفي ذلك اللقاء تحدث الملك عما يواجهه الجيش المصري من عقبات من قبل بريطانيا في حال اشتراكه في الحرب، حيث قال: " هل تظن يا باشا أننا نستطيع إرسال قواتنا عبر حدودنا إلى فلسطين ببساطة؟ إن القوات الإنجليزية سوف تتصدى لمنعنا من ذلك على قناة السويس، وإذا تركونا نمر من كوبري الفردان على قناة السويس عندما نقول لهم إننا نريد فقط تعزيز القوات في سيناء، فإنهم لن يتركونا عند رفح ولن يسمحوا بتجاوز خط الحدود وعساكرهم موجودة ناحيتنا في سيناء وعلى باب رفح إلى فلسطين ولهم مطار كبير بجوار منطقة العوجة وهو مازال عاملا"<sup>(٢٤)</sup>.

### ثانيا: الأوضاع في الجيش المصري، وفي الجانب اليهودي

إبان الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) كانت في مصر مدرستين بشأن الموقف الذي ينبغي لها أن تتخذه إزاء الحرب. كان رأي السياسي المصري أحمد ماهر باشا (١٨٨٨ - ١٩٤٥) أن مصلحة مصر أن تدخل الحرب، فدخل الحرب كفيل بأن يعطي الجيش المصري فرصة للتعلم من تجربة النار. لكن الملك - متأثرا بعلي ماهر والشيخ محمد مصطفى المراغي - شيخ الأزهر (١٩٢٨ - ١٩٣٠، ١٩٣٥ - ١٩٤٥) - كان يعتقد

بسياسة أخرى اشتهرت "بسياسة تجنيب مصر ويلات الحروب"، وهكذا ظل الجيش المصري طوال التجربة الهائلة للحرب العالمية الثانية بعيدا عن ميادينها<sup>(٢٥)</sup>، بينما دخل يهود فلسطين الحرب إلى جانب الحلفاء، فكسبوا بذلك خبرة كبيرة أهلتهم لخوض الحرب ضد القوات العربية. ومن ثم عندما جاءت حرب فلسطين لم يكن الجيش المصري مستعدا لخوضها من كافة الجوانب، وكان رجال الحكومة المصرية على علم تام بذلك، فخلال جلسة مجلس الشيوخ السرية التي عُقدت في ١١ مايو ١٩٤٨، كان صدقي باشا معارضا في دخول الجيش المصري أرض فلسطين، وكانت حجته أنه يعلم - وقد كان رئيسا للوزراء إلى أواخر ١٩٤٦ - أن الجيش المصري تنقصه أسلحة كثيرة، وينقصه العتاد اللازم إذا خاض الحرب<sup>(٢٦)</sup>.

وفي حديث اللواء أحمد علي المواوي - قائد عام حملة فلسطين - للأستاذ هيكل حول مدى كفاية الجيش المصري قال: " في سبتمبر ١٩٤٧ أنشئ معسكر تدريب في العريش.. وسافرت إلى العريش ولكني لما وصلت إلى المعسكرات المخصصة للتدريب وجدت أن ليس فيها معدات للتدريب. فليس هناك أسلحة كاملة ولا سيارات ولا معدات ولا ذخائر ولا ضباط ولا صف ضباط.. وفي ذلك الوقت جاءتني الكتيبة التاسعة، أول كتيبة كان عليّ تدريبها ولم تقض الكتيبة في التدريب إلا ثلاثة شهور ثم قفلت عائدة إلى مصر.. علمت بعد ذلك أنها أصبحت كتيبة أمن عام وأنها وُضعت لمقاومة مظاهرات الطلبة. ثم جاءتني الكتيبة السادسة وكانت عائدة من السودان وكانت مهلهلة في ملابسها ومهماتهما وذخائرها وبينما عملية التدريب مستمرة تلقينا إشارة من مدير العمليات اللواء موسى لطفي برجوع الكتيبة إلى مصر لمواجهة إضراب البوليس " ويواصل اللواء المواوي حديثه: " وجاء يوم ١٠ مايو ١٩٤٨، كنت في العريش وتلقيت رسالة تطلب حضوري بسرعة إلى القاهرة. ودُعيت لمقابلة الفريق محمد حيدر باشا ( وزير الحربية ١٩٤٧ - ١٩٥٢ ) الذي سألتني: إيه الحالة عندك؟، قلت: سيئة للغاية، قال: سوف نضطر لدخول حرب في فلسطين، قلت: إن الوحدات غير مدربة.. وأنا أعلم أننا غير مستعدين إطلاقا. وبعد ذلك جاء النقراشي ليحضر اجتماع في رياضة الجيش، فذهبت للاجتماع ورويت له معلوماتي بصراحة فقال:.. أنه يعتقد أن المسألة ستسوى سياسيا بسرعة وأن الأمم المتحدة سوف تتدخل. وأن الاشتباكات

ستكون مجرد مظاهر سياسية وليست عملا حربيا" (٢٧). وذكر تقرير مقدم لوزارة الحربية البريطانية أن: " يبذل العرب جهودا جبارة. .. ولكن هناك ثغرة سيجدون من الصعوبة سدها، وهي النقص في الضباط والمدربين في جميع الجبهات. وأما عن الضباط أركان الحرب في جميع الجبهات العربية فهم خدام الدولة ومثلهم كمثل جميع الموظفين المدنيين يخشون التعقيد ويتلمسون أقل قدر من المسؤولية" (٢٨).

وفي الوقت الذي كان فيه رجال الحكومة المصرية يعلمون تماما بعدم كفاية واستعداد الجيش المصري، نجحت الدعاية الصهيونية في " إيهام بريطانيا والعرب بعظم قواتها المسلحة في فلسطين. .. وأصبح الرأي العام البريطاني يظن أن الجيوش اليهودية المسلحة بإمكانها أن تهدد القواعد البريطانية في الشرق الأوسط كما أصبح السواد اليهودي يؤمن بوجود قوة كامنة لديه بإمكانها مقاومة العرب والبريطان معا. .. أما المحيط العربي. .. أصبح يرى في اليهود قوة لا طاقة له بها وان بعض هذه القوة تستطيع احتلال المدن الفلسطينية في ٢٤ ساعة" (٢٩).

كما توالى تقارير المخابرات الحربية تصف مدى استعداد وكفاءة القوات اليهودية، فقد تحدث أحدها عن " قوة اليهود وإتقان أنظمتهم، وستزداد قوتهم بالأسلحة التي سُرسل إليهم من أمريكا في الأشهر القادمة" (٣٠). وذكر تقرير ثان. " علمنا عن النشاط الصهيوني فيما يختص بالطيران الآتي: .. أن الصهيونيين قاموا بشراء طائرات من طراز هاليفاكس وهي قاذفات قنابل ثقيلة يبلغ عددها حوالي ٤٥ طائرة من مخلفات الجيش البريطاني بانجلترا. .. قامت شركة **Jewish Palestine Navigation Service** بشراء عشرون طائرة من طراز أوستر ( طائرات تعليم واستكشاف) من مخلفات الجيش البريطاني بفلسطين" ويواصل التقرير أن " اليهود قاموا بشراء مطار عكبر. .. تعتبر محطة عكبر الجوية من أحسن وأكبر المحطات الجوية في الشرق الأوسط إذ أنها مجهزة بأربع ( بأربعة) ممرات للنزول يتراوح طولها ما بين ١١٠٠ و ٢٠٠٠ ياردة وعرضها ٥٠ ياردة وهي تُستعمل في جميع الأحوال الجوية ومجهزة بالتسهيلات اللازمة للطيران الليلي وكذلك مجهزة بمحطة لاسلكي كاملة. أما بخصوص المباني فهي تحتوي على أماكن للسكن لعدد ٣٠٠٠ شخص وبها ثمانية حظائر للطائرات الكبيرة" وطبقا لنفس التقرير فإن اليهود أعدوا مطارا في تل أبيب "



ومما هو جدير بالذكر أن الطائرات التي تهبط فيه تختفي بعد هبوطها مباشرة أي أن المحلق في الجو يخاله مطارا مهجورا. مما هو موضح عليه أرى أن الصهيونيين دائمي السعي لتكوين أكبر قوة جوية ممكنة حتى يحرزوا على التفوق الجوي في معركة فلسطين حتى يتاح لهم كسب المعركة واني أرى أن تعمل الجهات المسؤولة على تلافي هذا التطور الخطير<sup>(٣١)</sup>.

وجاء في تقرير ثالث: " اليهود .. بدأوا طيرانهم فوق أراضي سوريا عامة وفلسطين خاصة وسوف يكون دور الأراضي المصرية في الأيام القليلة المقبلة ويقصد الصهيونيون من ذلك إضعاف الروح المعنوية في البلاد العربية بإظهار قوة طائراتهم. .. وبالرغم من الإنذار بجعل منطقة العريش منطقة محرم الطيران عليها فإنه مازالت تقوم طائرات مجهولة بعمل استكشاف بانتظام فوق المواقع المصرية. .. ولكن لعدم وجود نظام المراقبة الجوية أو غرفة للعمليات كان ذلك سببا في عدم تمكن الطائرات المصرية من الصعود في الوقت المناسب للتصدي لهذه الطائرات. .. وعموما لا توجد وسيلة للإنذار المبكر. أما المدفعية والأنوار الكاشفة فلم تتمكن من الضرب للتدخل في أسلاك التليفون وعدم قيام المهندسين بعمل مصاطب المدافع"<sup>(٣٢)</sup>.

وذكر تقرير رابع: " عزز الصهيونيون مستعمراتهم الجنوبية بالرجال فأصبحت كل مستعمرة تحوي حوالي ٤٠٠ نسمة. .. كما نشطت أعمال التحصينات بجميع المستعمرات اليهودية. .. فأحيطت بالأسلاك الشائكة المزدوجة وحقول من الألغام وأنشئ داخل هذا السياج دشمين من الخرسانة المسلحة بها مزاول للضرب منها بالرشاشات كما أنه شوهد بأحد المستعمرات الجنوبية باعثن أنوار كاشفة يستعملها الصهيونيون للكشف ليلا. وعلى مسافة حوالي كيلو متر من الأسلاك الشائكة توجد خنادق منعزلة تحيط بالمستعمرة لتكون مركزا للنقط الخارجية وللإنذار وهذه متصلة بخنادق مواصلات إلى داخل المستعمرة للانسحاب منها في حالة هجوم العرب. كما لوحظ وجود أرض ممتدة لنزول الطائرات بجوار مستعمرة الدنجور القريبة من الحدود المصرية وتُستعمل هذه الأرض لهبوط الطائرات الصهيونية في حالة حصار المستعمرة ومنع المؤن عنها. فضلا عن اتصال جميع المستعمرات اليهودية ببعضها بواسطة اللاسلكي"<sup>(٣٣)</sup>.



وجاء في تقرير خامس: "كل يهودي يحتفظ في منزله بكمامة واقية. .. وقام اليهود في الشهور الأخيرة الماضية بعمل دروع من الصلب لجميع سيارات النقل التي تسير على الطرق العامة بفلسطين. .. والدروع على أجنابها بارتفاع رأس الجالس بها كما وضع أما السائق ألواح سميكة من الزجاج الغير قابل للكسر يحيط به شبكة من الأسلاك السميكة وقد صُنعت هذه الدروع بتل أبيب"<sup>(٣٤)</sup>.

فالرأي انه مما لا شك فيه أن تلك التقارير سواء عن أحوال الجيش المصري، أو عن مدى الاستعداد العسكري للجانب اليهودي، كان لها أثر في إحجام رجال السياسة في مصر عن المجازفة بإرسال الجيش النظامي للاشتراك في حرب فلسطين.

ثالثا: انعدام ثقة الحكومة المصرية في الحاج أمين الحسيني

تولت تقارير إدارة المخابرات الحربية تصف الحالة في فلسطين على مستوى الزعماء والأهالي، مما كان له أثره السيئ لدى رجال السياسة في مصر، وانعكس ذلك في قرارهم بعدم الاشتراك بالجيش النظامي في حرب فلسطين. بالنسبة للحاج أمين الحسيني زعيم عرب فلسطين، كان "كثير من المتعلمين من رجال فلسطين يعارضون سياسته التي ينتونها بأنها سياسة ترمي إلى مساعدة أعوانه فقط دون اعتبارات أخرى. ويقولون بأن الحكومة المصرية قد سلمته ١٥٠٠ بندقية وزعها على أنصاره دون تفكير في مصلحة البلاد العليا بتوزيعها على المناطق التي يهددها الصهيونيون كحيفا ويافا مثلا"<sup>(٣٥)</sup>. وجاء في شهادة للفريق العراقي طه الهاشمي باشا (١٨٨٨ - ١٩٦١) أنه عندما اتفقت مصر مع الجامعة العربية على إرسال ألفي بندقية وخمسين طلقة ذخيرة لكل بندقية، فإنه وصل من هذه الأسلحة ألف ومائتان بندقية فقط وكانت غير صالحة للاستعمال نظرا لاستهلاكها وكثرة استعمالها السابق قبل إرسالها. ثم تبين أن مصر قد قامت بتسليم العدد المذكور بحالة جيدة إلى المفتي وتصادف أن قام أعوانه بفلسطين بجمع الأموال من الأهالي لغرض شراء أسلحة لهم ولما أحضرت هؤلاء الأعوان الأسلحة للأهالي وجد الأخيرون أن الأسلحة المشتراة غير صالحة للاستعمال وطلبوا هؤلاء الأعوان إما بتغييرها أو بإعادة المبالغ السابق جمعها. ولما علم المفتي بذلك سلمهم الأسلحة السابق إرسالها من مصر واستعاد الأسلحة السابق

مشتراها منه واحتفظ بها. ولما طالبت الهيئة العسكرية بسوريا نصيها مما تبرعت به مصر من الأسلحة لتسليمها إلى القوات التي أتمت تدريبها قدم إليها الأسلحة غير الصالحة للاستعمال على أنها هي التي أرسلتها مصر. وهكذا انتشرت دعاية سيئة لمصر والمصريين بأن ما تطوعت به مصر من الأسلحة لإنقاذ فلسطين لم يستعمل لعدم صلاحيته تماما<sup>(٣٦)</sup>.

وكان المفتي يرى " أن أهل فلسطين أحق من غيرهم بمعونة الجامعة لأن عليهم يقع العبء الأول للدفاع عن البلاد فهم أقدر من غيرهم على ذلك وأكثر حماسة وأقل مؤونة"<sup>(٣٧)</sup>. إلا أن الشهادات كانت على خلاف ذلك فقد وصف القائد السوري فوزي القاوقجي باشا (١٨٩٠ - ١٩٧٧) بأنهم أغلبية مستكينة كان الحرب لا تعنيهم وأقلية تتعاون مع اليهود :

أ - إما بالتجسس لحسابهم حتى وإن أدى الأمر إلى طعن إخوانهم العرب من الخلف، فعلى سبيل المثال " أمر رئيس بلدية غزة المدعو الشوا. .. الأهالي قبل دخول القوات المصرية بعدم إطلاق أي رصاصة على اليهود إذا ما هاجموا غزة"<sup>(٣٨)</sup>.

ب - وإما ببيع الأسلحة إلى اليهود .

ج - لازال فريق منهم يبيع أراضيهم لليهود .

د - يقوم كثير من عرب فلسطين بتهريب الأغذية إلى اليهود وهذه تجارة رابحة لديهم .

لهذا يحذر القاوقجي القوات المصرية من الاعتماد على هؤلاء العرب، ويعزو القاوقجي انحلال الروح العربية في فلسطين إلى عدة أسباب منها: افتقار الفلسطينيين إلى شخصية محترمة قوية تتولى زعامتها، وانقسام زعماء فلسطين فيما بينهم وتغلب العوامل الشخصية في تصرفاتهم<sup>(٣٩)</sup>.

فكان لذلك كله أثره في أن يتهم النقراشي الحاج أمين الحسيني " باللامبالاة ". بل وصرح خشبة باشا بأن الحسيني " لا يستحق دعم مصر"<sup>(٤٠)</sup>. إلا أن ذلك لم يمنع مصر من تقديم المساعدات المالية للفلسطينيين، فقد ذكر النقراشي في كلمته خلال الجلسة

السرية لمجلس الشيوخ التي عُقدت في ١١ مايو ١٩٤٨: " تعلمون حضراتكم أن نصيب مصر في أموال الجامعة العربية يُقدر بـ ٤٢ ٪ وقد قررتم حضراتكم اعتمادا بمبلغ ٤٢٠.٠٠٠ ج في ميزانية وزارة الخارجية لهذا الغرض. .. وقد اعترف المجاهدون الفلسطينيون بأنهم انتفعوا كل الانتفاع بالتسهيلات وبالموارد التي تلقوها من البلاد المصرية. إن المقاومة التي بُذلت إلى الآن يرجع جزء كبير منها إلى ما حصل عليه الفلسطينيون من المصريين" (٤١).

كان ذلك هو موقف الحكومة المصرية الراض لاشتراك الجيش المصري النظامي في حرب فلسطين. إلا أنه ودون مقدمات وقف النقراشي باشا يوم ١١ مايو ١٩٤٨ في الجلسة السرية التي عقدها مجلس الشيوخ المصري ليقول: " لقد أحسست - وأنا الذي لم أشجع مطلقا اشتباك القوات العسكرية لعدة اعتبارات كثيرة - أن واجبي أن أقف أمام حضراتكم بصفتمكم ممثلي الأمة وأن أطلعكم. .. أنه لا مناص من أن تتقدم الجيوش المصرية لإحلال الأمن في فلسطين"، وبعد أن كان النقراشي مرحبا بمشروع الوصاية على فلسطين الذي تقدمت به الولايات المتحدة الأمريكية راح يقول: " إن مشروع الوصاية بشكله الذي عُرض كان خطره لا يقل عن خطر التقسيم" (٤٢).

والسؤال هنا، ما هو سبب ذلك التغيير الذي طرأ على موقف الحكومة المصرية من الرفض إلى قبول اشتراك الجيش المصري في حرب فلسطين؟

## عوامل قبول مصر دخول حرب فلسطين

### أولا: السلطة المطلقة للملك فاروق

يذكر هيكل باشا: " لو أن الأمر في مصر كان للنقراشي وحده، لبقى على إصراره. .. لكن الأمر في الواقع لم يكن كذلك" (٤٣).

بدأ الملك فاروق بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية يعمل على توطيد سلطانه المطلق، وقد شجعه على ذلك أن الخلاف بين الأحزاب المصرية قد بلغ مبلغا استعصى معه جمع كلمة الأمة حين كان الخطر الذي يقتضي اتقاؤه جمع الكلمة ماثلا أمام كل عين. ذلك



أن المفاوضات بين النقراشي وخشبة مع انجلترا لم تكن قد انتهت إلى نتيجة، واجمع الرأي على الاحتكام إلى مجلس الأمن وبالفعل عُرض الخلاف في صيف ١٩٤٧، وهنا قدّر هيكل باشا أن وحدة الأمة لن تكون إلا في وزارة قومية، وكان الملك يرحب بهذا الرأي، ولكن رفض حزب الوفد الدعوة فمن وجهة نظره أن الوزارة القومية إذا تألفت وحققت جلاء القوات البريطانية عن مصر ووحدت مصر والسودان فستقال هذه الوزارة وسيقضي الملك الوفديين عن الحكم إلى غير عودة، فهنا آمن الملك بأن الأحزاب التي تأتي أن تجتمع لمصلحة وطنية عليا لا سبيل إلى اجتماع كلمتها ضد ما يكسبه لنفسه من سلطان مطلق<sup>(٤٤)</sup>.

وقد جاء في تقرير السفير الأمريكي في مصر أن "الملك فاروق هو العنصر الفاعل الوحيد في صنع السياسة المصرية الآن"<sup>(٤٥)</sup>. وفي الثامن عشر من نوفمبر ١٩٤٨ كتب رونالد كامبل **Ronald Campbell** - السفير البريطاني في القاهرة (١٩٤٦ - ١٩٥٠)، إلى إرنست بيفن **Ernest Bevin** - وزير خارجية بريطانيا (١٩٤٥ - ١٩٥١) - برفية سرية جاء فيها، إن الملك فاروق رأس اجتماعا حضره إبراهيم عبد الهادي باشا - رئيس الديوان (١٩٤٧ - ١٩٤٨)، وعبد الفتاح عمرو باشا - سفير مصر في لندن (١٩٤٥ - ١٩٥٢)، وكريم ثابت بك - المستشار الصحفي للملك (١٩٤٢ - ١٩٥٢)، وقد أخطر الملك الكل بأنه قرر على نحو حاسم أن يتوصل إلى ترتيب عسكري للدفاع عن الشرق الأوسط مع بريطانيا، وهنا سأله عبد الهادي باشا عما يمكن أن تجنيه مصر من مثل هذا الترتيب مع أخذ أمانها الوطنية في الاعتبار، ورد الملك بأن عبد الهادي يثير سؤالاً مزعجاً وأنه - أي الملك - تعب كثيرا من رجال السياسة وغيرهم ممن يثيرون ويلحون عليه، وقال الملك للجميع أن هذا قراره وانتهى الأمر<sup>(٤٦)</sup>. ومن ثم أصدر الملك أمراً مباشراً لحيدر باشا، فأمر الأخير فرق الجيش المصري باجتياز الحدود إلى أرض فلسطين دون علم رئيس الوزراء ومن غير أن ينتظر قرار البرلمان أو قرار مجلس الوزراء. وكان حيدر باشا بصفته وزيرا للحربية عليه إطاعة أمر الملك القائد الأعلى للقوات المسلحة طبقاً لنص الدستور متجاهلاً أن سلطة الملك و أوامره يجب أن تنفذ عن طريق وزرائه. حتى لقد عبر البعض عن ذلك الموقف بأن في مصر سلطتين إحداهما سياسية هي سلطة القصر، والأخرى إدارية هي سلطة الوزراء، وأن السلطة الإدارية تنفذ أوامر السلطة السياسية من غير مناقشة



جديّة ومن غير اعتراض. ويعلق هيكل باشا على هذا الموقف بأن: " اجتياز القوات المصرية للحدود إلى أرض فلسطين على هذا النحو عملاً مخالفاً للدستور، وأقل ما يُجزى به أن يستقيل وزير الحربية، وأن ترتد القوات المصرية إلى أرض مصر حتى ينظر البرلمان الأمر ويصدر قراره بشأنه<sup>(٤٧)</sup> .

كما أن الملك فاروق قد انتابه إحساس الزعامة العربية، وقد وضح ذلك في أمور عدة منها: كلمته التي ألقاها لأعضاء الوفود العربية الذين دعاهم إلى مأدبة ملكية بقصر عابدين في ٤ مارس ١٩٤٥ بمناسبة انتهاء وزارة الخارجية من وضع نظام عمل الجامعة العربية، وقد بين في حديثه حب مصر لأخواتها، وركز على وجوب أن يحمي القوي مصلحة الضعيف<sup>(٤٨)</sup>. ومنها أيضاً: دعوة الملك فاروق إلى أول مؤتمر قمة عربي في مزرعته الخاصة في أنشاص واستجابت للدعوة عدة دول عربية هي المملكة العربية السعودية و اليمن والعراق وسوريا ولبنان والأردن، وفي الثامن والعشرين من مايو ١٩٤٦ صدر عن الاجتماع " إعلان من ملوك العرب ورؤسائهم بأنهم متمسكون باستقلال فلسطين والحفاظ على هويتها العربية"<sup>(٤٩)</sup>. والواقع أن ظروف القضية الفلسطينية وتأزمها مع بداية عام ١٩٤٨ والمصالح التي لعبت بالعراق والأردن خدمت الملك فاروق وأعطته المجال لينفذ سياسة الاحتواء العربي<sup>(٥٠)</sup>.

كما أن هناك نقطة جديرة بالقاء الضوء عليها، وهي أن المغزى الحقيقي لمؤتمر أنشاص أن مصر بدأت تتجه نحو المشرق. فلم يعد شاغلها هو البحر المتوسط وما وراءه، ولم يعد همها مجرد إلحاق السودان بها تحت التاج المصري، وإنما تحول اهتمامها بطريقة واضحة إلى فلسطين، معبرها من سيناء، إلى محيط أوسع ترتبط به وهي تستشعر عمق هذا الارتباط وجذوره التاريخية وآفاقه المستقبلية<sup>(٥١)</sup>. وكان ذلك رأي العسكريين المصريين أيضاً فقد جاء في تقرير سري للقائم مقام حسين سري عامر - أركان حرب سلاح الحدود الملكي - عن القطاع الجنوبي من فلسطين: " إذا جاز لي أن أقول بصفتي ضابطاً عسكرياً فإن هذا القسم لازم لمصر عسكرياً لزوماً تاماً لأن الدفاع عن مصر لا يمكن أن يكون من الشرق إلا بعد وادي غزة وهذا طالما تطلع إليه رجال العسكرية"<sup>(٥٢)</sup>، أي أن العمق العسكري لمصر من ناحية الشرق هي أرض فلسطين.

وقد أدركت كل مراكز التفكير في إسرائيل، وأولها الجامعة العبرية، حقيقة انتماء مصر بالتاريخ إلى آسيا - حتى وإن وقع معظم أراضيها جغرافيا في أفريقيا - ثم رتبت على ذلك أن مصر سوف تكتشف هويتها الأصلية، هكذا فإنه من قبل أن تجيء سنة ١٩٤٨، ومن قبل القرار المصري بالتدخل في حرب فلسطين - كان دافيد بن جوريون - **David Ben-Gurion** - أول رئيس وزراء لدولة إسرائيل (١٩٤٨ - ١٩٦٣) - ومعها كل قادة إسرائيل على قناعة كاملة بأن العدو الذي يُحسب حسابه هو مصر<sup>(٥٣)</sup>.

### ثانيا: الضغوط التي تعرض لها الملك فاروق والحكومة المصرية

تعرض الملك فاروق لإلحاح شديد بضرورة اشتراك الجيش المصري في حرب فلسطين، سواء من قبل مستشاريه أو من قبل الزعماء العرب، أو من قبل الرأي العام العربي عامة والمصري خاصة، فضلا عن المشكلات التي واجهت الحكومة المصرية والتي نتجت عن سوء الأوضاع في فلسطين. وتفصيل ذلك:

كان من بين مستشاري الملك فاروق المقربين إليه من زاد إلحاحهم عليه بمخاطر عزلة مصر عن العالم العربي إذا هي ترددت في حمل مسئوليتها إزاء جوارها العربي المباشر في فلسطين، وكان عزام باشا هو الأصرح في رسم صورة الخطر الذي يمكن أن يواجه مصر إذا قام جدار إسرائيلي عازل بينها وبين المشرق العربي، ثم إذا وقع التعاون - وهو واقع لا محالة في نهاية المطاف - بين السيطرة الإسرائيلية على فلسطين وبين الوجود العسكري البريطاني على قناة السويس<sup>(٥٤)</sup>، ماذا سيكون الوضع في مصر؟

وفي نوفمبر ١٩٤٧ كتب اللواء العراقي إسماعيل صفوت - رئيس اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية: "النصر على اليهود المدربين والمجهزين جيدا، بالقوات غير النظامية... وحده ليس عمليا، لذلك يجب أن ندفع بقوات نظامية إلى المعركة، مدرية ومجهزة بأفضل الأسلحة... فقد أثبتت الشهور الماضية أن الفلسطينيين رغم إمدادهم بفرق المتطوعين عاجزون عن هزيمة اليهود"<sup>(٥٥)</sup>.

وجاء في تقرير لقنصل مصر العام في القدس أن الجامعة العربية وعدت " عرب فلسطين بأكثر مما تستطيع أن تفي به، ويظهر أن بعض موجهي السياسة العربية كانوا يعتقدون أن الحالة لن تصل إلى ما وصلت إليه اليوم، وإزاء الأمر الواقع أصبحت البلاد العربية مطالبة بتقديم المساعدات التي وعدت بها " ويرى القنصل أن المساعدات المجدية التي تنقذ الموقف هي " إرسال الدول العربية قوات من جيوشها النظامية لمساعدة عرب فلسطين " ويستطرد أن عرب فلسطين يقولون: " إن الذين يعطفون على قضية فلسطين بالخطب والصور في المجالات يجب أن يحضروا إليها ليساهموا في الجهاد فقد ملوا هذه الخطب والمقالات"<sup>(٥٦)</sup>. وجاء في تقرير آخر: " إن جميع عرب فلسطين... رغبهم... الصادقة في الحكومة المصرية فقط، بل وأنهم ينادون دائما في كل وقت بمولانا الملك فاروق ويرغبون أن يكونون ( يكونوا) تبع للتاج المصري والحكم المصري دون سواه ولا يرغبون في أي حكومة أخرى عربية من الحكومات الأخرى"<sup>(٥٧)</sup>، وإزاء ذلك كله ذكر الملك فاروق: " لا يسعني كملك لأكبر دولة عربية أن أسد أذني عن سماع أصوات الاستغاثة والوقوف جامدا دون التحرك لنجدة من يطلبون العون والمساعدة، وأن ضميري لا يطاوعني مطلقا على ذلك، ولا أستطيع أبدا أن أتخلف عن صفوف المطالبين بسرعة الذهاب إلى فلسطين"<sup>(٥٨)</sup>.

والحقيقة أن تلك النداءات لم تتوقف حتى بعد اشتراك الجيش المصري في الحرب، ففي الثاني من يونيو ١٩٤٨ جاء في أحد التقارير أنه: " يدين أهالي غزة برأي اتحد أغلبهم فيه وهو ضرورة بقاء مصر في الأراضي التي حضرت إليها وضمها نهائيا لمصر"<sup>(٥٩)</sup>. وذكر تقرير آخر أنه في غزة " يوم الجمعة ١ / ١٠ / ١٩٤٨... اكتظت... الشوارع حينما مر موكب الضباط ( المصريين) ورئيس البلدية في طريقهم إلى مقابر الشهداء وكانوا يهتفون بحياة الفاروق منقذ فلسطين وحياة الجيش المصري"<sup>(٦٠)</sup>.

كذلك كان الملك فاروق تحت ضغط آخر حينما شارك في حرب فلسطين. وهو ضغط منافسته للملك عبد الله ملك الأردن حيث بعث الملك فاروق بجيشه إلى فلسطين لمنع الهاشميين من أن يصبحوا القوة الملكية الأكبر في الشرق. وكان الملك فاروق في ذلك على لقاء مع الملك عبد العزيز بن سعود، فقد أرسل ابن سعود برسالة للملك فاروق - في أواخر أبريل - أوائل مايو ١٩٤٨، جاء فيها: " صاحبنا في شرق الأردن تأبط الشر، يبغي



يفاجئنا بالمحذور، ملكه لا يصير توسيعه على حساب القضية وهو يلعب مع الانجليز والانجليز يلعبون به، وقفه عند حده لازم، وثوقنا بعد الله في حكمتكم وإلا المصائب تقع علينا. .. والبركة في شبابكم وبلادكم"<sup>(٦١)</sup>. وقد حرص الملك فاروق على ألا يسبقه الملك عبد الله بخطوة واحدة، ففي اليوم الثامن والعشرين من مايو ١٩٤٨ تم إبلاغ الأميرالاي سعد الدين صبور بفلسطين: " إذا أقيمت صلاة بالمسجد الأقصى وحضرها جلالة الملك عبد الله، عليك أن تؤدي الصلاة بصفتك مندوبا عن جلالة الملك فاروق"<sup>(٦٢)</sup>.

كما أنه كان هناك عامل هام - يتعلق بالأردن - ساهم في تغيير رأي الملك فاروق بخصوص اشتراك الجيش المصري في حرب فلسطين، ذلك أن الملك فاروق وعددا من مستشاريه فضلا عن بعض الساسة اللبنانيين والسوريين لاسيما رياض الصلح - رئيس وزراء لبنان ( ١٩٤٣ - ١٩٤٥، ١٩٤٦ - ١٩٥١)، وجميل مردم - رئيس وزراء سوريا ( ١٩٣٦ - ١٩٣٨، ١٩٤٦ - ١٩٤٨)، قد تولدت لديهم قناعة بأن الجزء الأكبر من واجبات القتال عندما يحدث التدخل في فلسطين سوف يقع على عاتق الجيش الأردني، وكان المنطق وراء هذا الرأي: إنه في حالة نشوب معارك فإن القوات اليهودية سوف يكون همها الرئيسي أن تدافع عن المثلث الحيوي الذي تمتد خطوطه من القدس الجديدة إلى تل أبيب ومن القدس الجديدة إلى حيفا، ومن حيفا إلى تل أبيب. فهذا المثلث هو قاعدة الارتكاز التي لا بديل لها لأية دولة يهودية تقوم في فلسطين ففي داخل خطوط هذا المثلث تقع كل مراكز الكثافة السكانية اليهودية وكل المستوطنات الزراعية والصناعية، وكل المطارات والطرق والموانئ التي تمثل عصب دولة. وفي حالة نشوب حرب فإن القوات اليهودية سوف تجد إن واجبها الأساسي هو المحافظة على سلامة وأمن هذا المثلث. وهنا فإن الجيش الأردني هو الأقرب لهذا المثلث، بل إنه محيط بأطرافه فعلا خصوصا في وسط فلسطين ( القدس - اللد والرملة - صفد)<sup>(٦٣)</sup>. وفي هذا الصدد توالى التقارير تحث على ضرورة الاعتماد على الجيش الأردني، ففي تقرير لقنصل مصر العام بالقدس حول " المساعدات المجدية التي تنقذ الموقف " كان من بينها " الاعتماد على الجيش العربي الأردني في حماية البلاد العربية الفلسطينية التي أصبحت داخلة في القسم اليهودي حسب التقسيم ولو مقابل ضم البلاد العربية الفلسطينية إلى شرق الأردن، فخير أن تُضم فلسطين إلى شرق الأردن من أن يصبح



أكثر من ٤٠٠.٠٠٠ عربي فلسطيني تحت رحمة اليهود<sup>(٦٤)</sup>. وجاء تقرير آخر يحث على " وجوب الاستفادة من قوة حدود شرق الأردن فهم رجال أشداء البأس مدرين أحسن تدريب ويخشى الصهيونيون بأسهم ويتجنبون دائما الاحتكاك بهم"<sup>(٦٥)</sup>.

أيضا وقعت الملكية والحكومة المصرية تحت ضغط الشارع العربي عامة والشارع المصري خاصة، ففي أعقاب قرار تقسيم فلسطين وحتى أهلت السنة الحاسمة التي ينتهي فيها الانتداب البريطاني، كان العالم العربي على مستوى الشارع يموج بالحركات الشعبية الهادرة، منادية ومستصرخة لإنقاذ فلسطين، فقد ذكر الجنرال البريطاني جون باجوت جلوب **John Bagot Glubb** - قائد الجيش العربي الأردني ( ١٩٣٩ - ١٩٥٦ ) - أن " رجال الدولة العرب لم ينووا الحرب.. لكن في النهاية دخلوا ( فلسطين). .. كنتيجة لضغط الرأي العام ورغبة في استرضاء الشارع " حيث أعتبر كل من يرفض الحرب خائن فلا يمكن أن يقابل الزعماء العرب، خصوصا في مصر - بلا مبالاة - نداء المؤسسة الإسلامية الدينية بأن " تحرير فلسطين واجب ديني لكل المسلمين بدون استثناء، عظماء وصغار. .. فيجب - وبدون تأخير - أن تتخذ الحكومات الإسلامية والعربية إجراءات فعالة وجذرية، عسكريا أو غير ذلك " وهو ما أعلنه علماء. .. الأزهر في ٢٦ أبريل ١٩٤٨<sup>(٦٦)</sup>.

وقد جاء في شهادة عزام باشا " أذكر أنني سألت النقراشي عن سر هذا التحول فقال بالحرف "والله يا عبد الرحمن، إنني وجدت أنه لا حالتنا الداخلية، ولا حالة الأمن عندنا، ولا كرامتنا تسمح لنا أن ننتظر"<sup>(٦٧)</sup>. فقد اجتاحت مصر في أعقاب الحرب العالمية الثانية موجة من القتل والإرهاب والإجرام بدأت بمقتل أحمد ماهر في فبراير ١٩٤٥، ثم أخذت تتطور وتتنوع مظاهرها حتى أوائل عام ١٩٤٩، وكان منها مقتل النقراشي في ديسمبر ١٩٤٨<sup>(٦٨)</sup>. ولأول مرة في مصر أضرب رجال البوليس وعلى رأسهم ضباطه عن العمل في شهر أبريل ١٩٤٨ وأعقب انتهاء إضراب البوليس إضراب الممرضين بمستشفى قصر العيني، وكلاهما يطالب بزيادة الرواتب وتحسين أحوالهم<sup>(٦٩)</sup>. وقد قام أحد الضباط البريطانيين بزيارة لأنحاء مصر والعراق وسوريا ولبنان وكتب تقريرا عن الإضراب العام والشغب الشامل قائلا: " تكتسب فكرة الإضراب العام يوميا مشايعين جدد لها وأصبحت هذه الفكرة في نفوس الطلبة مرغوب فيها مثل ما كانت عليه الحال في مختلف الكليات في العام

الماضي.. وأن فكرة الإضرابات السياسية التي كانت مقتصرة على الضواحي قد انتشرت إلى جميع أنحاء القاهرة وصارت إضرابا سياسيا عاما.. إن النقراشي باشا سيصدر بلاغا عاما ينذر فيه الطلبة والعمال الذين لا يعودون إلى أعمالهم بإرسالهم إلى الميدان.. السراي مهمة بالموقف وتري أنه يمكن تهدئة الموقف وأن حيدر باشا قد أفهم السراي بأن الحالة تقتضي شدة وأن من الواجب صدور الأوامر مشددة بوقف الأعمال الثورية بأي طريقة لحفظ هيبة الحكومة" (٧٠).

هذا وقد وقعت الحكومة المصرية تحت ضغط الهجرات الفلسطينية إلى مصر وما ترتب عليها من مشكلات اقتصادية وأمنية وصحية واجهتها مصر وقد فندها النقراشي خلال خطابه بالجلسة السرية التي عقدها مجلس الشيوخ المصري يوم ١١ مايو ١٩٤٨ قائلا: " فحينما بدأت هذه الهجرة، فتحنا اعتمادا بمبلغ ١٠.٠٠٠ جنيها من المصروفات غير المنظورة، ولكن سرعان ما رأينا أن مئات من المصريين في القدس يريدون أن يعودوا فيجب إعداد العدة لذلك. وفي يافا نحو ٤٠٠٠ مصري (مصريا) يريدون العودة أيضا، فيجب أن يحضروا بمراكب، ولذلك اضطررنا لاعتماد مبلغ ١٠٠.٠٠٠ جنيها.. وبطبيعة الحال، فإن مشكلة الهجرة ليست بالمشكلة الهينة.. كلفت إدارة الأمن العام أن تعني بحفظ الأمن، لأن حضراتكم تعلمون أن الجواسيس والمهريين يدخلون في زمرة هؤلاء المهاجرين" (٧١).

وقد توالى على الحكومة المصرية العديد من التقارير التي تناولت موضوع التهريب والمهريين، فذكر أحدها: " من يوم أن قامت حركة فلسطين أصبحت مسألة دخول القطر المصري مسألة سهلة جدا من القنطرة شرق ومن الإسماعيلية حيث أن هناك مسألة رافة من المختصين عند المعديات بمعنى إن كل من يطلب دخول القطر يدخل بدون قيد ولا شرط على حساب أنهم مهاجرين من عرب فلسطين نساء ورجال.. لكن يشاع أن اليهود الذين بشرتهم مثل العرب وأصلهم من فلسطين وكلامهم ولونهم قريب من عرب فلسطين دخلوا القطر بهذا السبب وأصبح من السهل على من يريد منهم دخول القطر أن يدخل بصفته عربي مهاجر أو حاضر ليقضي أمر لمصلحة عرب فلسطين بمعنى إن هذا الأمر أوجد خلل في النظام وسهل تهريب المواد المحرمة وغيرها وسهل تهريب الأشخاص.. وفي نفس

الوقت .. أوجد متسولين نساء ورجال كثيرين أكثرهم نصايين يترددون على المصريين في كل وقت .. بحجة أنهم فقدوا أهليهم بفلسطين ويرجون المعونة" (٧٢)، كما ذكر التقرير أيضا: " علمت أن المدعو عبد الرحمن محمد السجاعي كنتراتو بالجيش البريطاني والمدعو السيد البيك من أهالي الإسماعيلية ومن جنس عرايشي أحضروا ( أحضرا) منذ حوالي أسبوع تقريبا عدد ستة عشر صندوق ذخيرة بنادق في عربة نقل من مصر ضمن شتلة أشجار .. ويقال أن ليست أول مرة إحضار الذخيرة من مصر بل إنهم متعودين واني علمت من ثقة أن هذه الذخيرة هي ملك الجيش المصري ومن الموجودة بالقلعة .. وكل صندوق يحتوي على عدد ١٢٤٨ طلقة .. وأن هذه الذخيرة على سبيل التجارة للمحاربين في فلسطين يهود أو عرب" (٧٣).

ويواصل النقراشي تفنيده للمشاكل المترتبة على الهجرات قائلا: " وأهم شئ عند وجود المهاجرين هو واجب المحافظة على الصحة العامة ولذلك كلفت مدير الحجر الصحي أن يعنى بهذا الأمر .. وبالأمس جاءني وكيل وزارة الصحة المساعد وقال لي: "إنك كلفتني بمسألة العناية بالصحة العامة وقد بلغ عدد المهاجرين الآن نحو ١٤.٠٠٠ مهاجر، وقد علمت أن ١٦.٠٠٠ مهاجر على وشك الوصول، فإذا احتملت البلاد وجود ١٤.٠٠٠ فقد يصعب عليها المحافظة على الصحة العامة إذا جاءها ١٦.٠٠٠ مهاجر آخر"، وختم النقراشي حديثه في هذه المسألة بذكر الحل اللازم اتخاذه قائلا: " فنحن أمام هذه المشكلة، إخواننا عرب فلسطين يخرجون من ديارهم ويلجأون إلينا، فيجب أن يطمئن هؤلاء حتى يستطيعوا العودة إلى بلادهم" (٧٤).

### ثالثا: دور بريطانيا

لعبت بريطانيا دورا أساسيا في تغيير موقف مصر إزاء حرب فلسطين، و يشرح آفي شلايم (٧٥) Avi Slaim السياسة البريطانية تجاه الشرق الأوسط عام ١٩٤٨ فيقول: " كان الهدف الأساسي للسياسة البريطانية هو كيف تحد من الأضرار التي ستلحق بمصالحها الإمبراطورية والتي ستتجج بالتأكيد من ترك السيطرة المباشرة على فلسطين. فهناك إستراتيجية حيوية ومصالح مهددة بالضياغ، كما بين ارنست بيغن في تقاريره العديدة لمجلس



الوزراء: "في السلم والحرب، الشرق الأوسط هو أكثر المناطق أهمية للمملكة المتحدة... فهو بؤرة الاتصالات، ومصدر النفط، ودرع أفريقيا والمحيط الهندي، وقاعدة هجومية لا بديل لها"، واحتفاظ بريطانيا بمكانتها وتأثيرها في الشرق الأوسط أحد الدعائم الحيوية في البناء الدفاعي الإمبراطوري، وكانت فلسطين أهم جزء في المخطط العام للدفاع الإمبراطوري، حيث لها أهمية كبرى كحاجز للدفاع عن مصر، التي تعتبر موقع بريطانيا الرئيسي في الشرق الأوسط وقت الحرب. أما وقت السلم، منذ أن تعهدت بريطانيا بالانسحاب من مصر، سيكون من الضروري استخدام فلسطين كقاعدة للقوات المعدة لمواجهة حالات الطوارئ في كافة أنحاء الشرق الأوسط"<sup>(٧٦)</sup>. ورغم تحليل شلايم إلا أن الرأي السائد عام ١٩٤٨ لدى رؤساء هيئات الأركان في بريطانيا، وبدرجة أكبر من ذي قبل أنه "ليس هناك أدنى احتمال لإخفاء حقيقة أن مصر هي القاعدة الإستراتيجية الكفيلة بالدفاع عن الشرق الأوسط"<sup>(٧٧)</sup>.

ومن هنا كان التفكير الإستراتيجي البريطاني مشغولا بمنطق أنه إذا كان الانسحاب الإمبراطوري من الشرق الأوسط ضروريا، فالأفضل أن تترك الإمبراطورية وراءها نزاعات محلية وإقليمية تستنزف جهد الأطراف، وربما تجعلها أشد حاجة إلى الإمبراطورية الأم. ولما كانت بريطانيا تعرف عن حقائق القوة لدى أطراف النزاع الكثير فقد كانت تقدر أن الجيوش العربية قادرة على سفح بعض الدم اليهودي في فلسطين، ولكن القوات الصهيونية قادرة على سلخ وطن بأكمله فيها. ومعنى ذلك أن دولا عربية - وبالتحديد مصر - سوف تشعر بعد التجربة بالتهديد مباشرة عليها، وسوف تكتشف أنها لا تستطيع الدفاع عن نفسها وبالتالي تتواضع في طلب جلاء القوات البريطانية عن قناة السويس<sup>(٧٨)</sup>. وبالفعل ففي صباح اليوم الثلاثين من ديسمبر ١٩٤٨، استطاعت قوة من الجيش الإسرائيلي الزحف إلى الحدود المصرية، وخلال لقاء بين رئيس الوزراء المصري بالسفير البريطاني أفلتت أعصاب رئيس الوزراء فقال للسفير بعصية: "لا بد أن تساعدونا"، وإذا بالسفير يقول له: "هل أفهم من ذلك أنكم تريدون إحياء نصوص الدفاع المشترك بمقتضى معاهدة ١٩٣٦؟"، ومع أن رئيس الوزراء لم يرد على هذا التساؤل فإن السفير وجد فرصة متاحة فكتب إلى حكومته وبيّن أن "مصر تلقت درسا عبرته أنها لا تستطيع الدفاع عن نفسها"، وكتب كليمنت آتلي Clement Attlee - رئيس الوزراء البريطاني (١٩٤٥ - ١٩٥١) - رسالة إلى هاري



ترومان **Harry S. Truman** - الرئيس الأمريكي ( ١٩٤٥ - ١٩٥٣ ) - يبلغه بتقرير سفيره في القاهرة، ويشير له إلى " الفرصة المفتوحة التي يمكن استغلالها لتطويع الحركة الوطنية المصرية"<sup>(٧٩)</sup>. ومن ثم بدأت بريطانيا تعمل على توريث مصر في حرب فلسطين فاتبعت سياسة مؤداها :

( أ ) التحريض، ذلك أنه قد ظهرت نظرية وراجت مؤداها إن الغرب بصفة عامة ) وخصوصا الولايات المتحدة وبريطانيا) تنبه قبل فوات الأوان إلى أن الحركة الصهيونية في أساسها حركة شيوعية، ولذا عارض بيفن تقسيم فلسطين لأنه " مال إلى افتراض أن دولة يهودية في هذا الجزء من العالم يكون ضد المصالح البريطانية لأنها في النهاية ستصبح كيان شيوعي وتربة لانتشار الشيوعية في المنطقة، وأداة لتحقيق مشاريع موسكو الهدامة. ورأى أنه إذا قُسمت فلسطين فلا يمكن أن تُترك المنطقة العربية وحيدة بل يجب أن تنضم إلى شرق الأردن. ومقاومة فكرة قيام دولة مستقلة تحت قيادة زعيم عرب فلسطين الحاج أمين الحسيني. .. وقد فند أي بي بوروز **A. B. Burrows** - رئيس القسم الشرقي بوزارة الخارجية البريطانية أثناء حرب ١٩٤٨ - أسباب تلك العداوة البريطانية لأمين الحسيني ورفض قيام دولة عربية تحت زعامته، لأن ذلك سيكون مصدر لتعصب عربي سيؤدي لاضطراب علاقاتنا بهم، مما سيؤدي في النهاية لسقوطهم تحت التأثير اليهودي وذبذبوا في الدولة اليهودية، مما يزيد من منطقة التأثير الروسي المحتمل، ويقلل من إمكانية حصولنا على أي مكاسب إستراتيجية في أي جزء من فلسطين"<sup>(٨٠)</sup>.

أي أن " كل الأطراف المعنية بحرب ١٩٤٨ كانت تحت التأثير البريطاني او الغربي، والحرب برمتها كانت مؤامرة إمبريالية للاحتفاظ بالهيمنة الأجنبية في الشرق الأوسط"<sup>(٨١)</sup>. وقد ذكر بن جوربون في الحادي عشر من مارس ١٩٤٨ أن " انكلترا تضغط على الدول العربية بالخطر الشيوعي اليهودي"<sup>(٨٢)</sup>.

وقد لاقت تلك النظرية رواجاً في الأوساط السياسية والدبلوماسية المصرية، فنجد أن النقراشي كان لديه اعتقاد بأن " أي دولة صهيونية من شأنها أن تكون ذات طبيعة شيوعية قوية إن لم تكن طبيعة شيوعية كاملة"<sup>(٨٣)</sup>. وفي حوار للسفير المصري في واشنطن مع جورج

مارشال **George Marshall** - وزير الخارجية الأمريكي ( ١٩٤٧ - ١٩٤٩ ) - ذكر السفير: " لدى العرب أدلة كثيرة عن مساعدات السوفيت للإسرائيليين لدرجة أنهم أنشئوا لهم قواعد جوية في بعض دول أوروبا الوسطى والبلقان كانت توجه منها الغارات الجوية على الدول العربية. .. فأكد مارشال: أن الولايات المتحدة متيقظة لهذا الأمر أكثر من أي حكومة أخرى، وأنها تراقب باهتمام هذا الخطر الداهم وتحاول اتخاذ كل الاحتياطات لتفاديه. .. ذلك أن الحكومة الأمريكية كانت لديها مخاوف من علاقات اليهود بالسوفيت والدول التابعة لهم" (٨٤).

وبناء عليه فلاشك أن من أسباب قرار الملك فاروق بدخول حرب فلسطين قلقه من قيام دولة صهيونية مدعومة من قبل روسيا، ولمنع خلق كيان صهيوني شيوعي الدعم على الحدود المصرية.

ثم توالى المناسبات التي كان فيها التحريض صريحا لمصر لدخول الحرب، كما حدث في مقابلة جرت بين عزام باشا وبين البريجادير إيلتيد كلايتون **Brigadier Eltd Clayton** - مسئول المخابرات العسكرية البريطانية للشرق الأوسط - حيث قال الأخير: " إن الإنجليز نفذ صبرهم من اليهود وسوف يكونون سعداء إذا قام أحد بتأديهم لإعادة بعض العقل إلى رؤوسهم" (٨٥). كما صرح " ضابط بريطاني عظيم في محل عام بأن الإنجليز لا يمانعون بل يشجعون دخول الجيش المصري فلسطين بعد انسحابهم مباشرة وأنه من المستحسن تجهيز مطار العريش بأسراب من قاذفات القنابل وبالإغارة على تل أبيب بواسطتها على أن تكون الغارات مركزة حتى يكون لها تأثيرها المعنوي" (٨٦). وفي أحد نوادي لندن التي يتردد عليها ضباط وطيارو قاذفات القنابل الثقيلة عرض طيارون سابقون على مراسل جريدة المصري أن يقوموا بنقل جميع العتاد الحربي بطريق الجو إلى أي بلد عربي يرغب في الاستعانة بهم وذلك رغم وجود الحظر على تصدير الأسلحة. وقد صرح أحد هؤلاء الطيارين أنه قام بدراسة أساليب الصهيونيين لنقل العتاد من أوروبا إلى فلسطين وهو على استعداد لعمل ترتيبات مناسبة لخدمة العرب إذا بذلت له المعاونة اللازمة، واستطرد الطيار المذكور قائلا: " أنه يوجد عدد كبير من الطيارين البريطانيين رفضوا عروض اليهود رغم ما

عرضوه عليهم من المرتبات المغرية وهم على استعداد ليضعوا خدماتهم تحت تصرف العرب إذا تأكدوا أن العرب يريدون إتباع نظم مثمرة وأن يشتركوا في تحمل المسؤولية" (٨٧).

(ب) إثارة الفتن بين اليهود والعرب في فلسطين، ذكر بن جوريون في كلمته أمام اللجنة التنفيذية الصهيونية يوم السابع من أبريل ١٩٤٨: "كل واحد منا يعلم بأن لانجلترا يدا في حرب العرب ضدنا" (٨٨). وجاء في احد تقارير المخابرات الحربية: "ترمي السياسة البريطانية القائمة داخل البلاد إلى إزكاء نار الثورة بين العرب والصهيونيين. .. ومن الحوادث المشهورة التي تدل على رغبة البريطانيين في إزكاء نار الحرب بين العرب واليهود أن دخل جنديان بريطانيان إلى أحد المنازل المهجورة والتي تقع بين مستعمرة يهودية وأخرى عربية وأطلقا رصاص مدافع البرن على المستعمرة اليهودية تارة وتارة أخرى على المستعمرة العربية فاعتقد كل من العرب واليهود باعتداء الآخر وفعلا قامت المعركة بينهما"، ومما يجدر ذكره أن بين جنود الجيش البريطاني عدد كبير جدا يعطف على العرب وعدد منهم يمدونهم بالمساعدة والإرشاد بحكم نقيمتهم على الصهيونيين لما أصابهم منهم "فقد حدث أن شاهد أحد الضباط البريطانيين عرييين يحمل كل منهما مدفع تومي يضربون به على مستعمرة يهودية وكانا متلاصقين فأفهمهما بأنه يجب أن ينتشرا حتى لا يكونا هدفا ظاهرا لليهود. .. كما يشاع بأن البريطانيين قد سلموا إلى أهالي الخليل ثلاثمائة بندقية. .. ويقال بأن نسف الجريدة اليهودية **Palestine Post** قد دُبر بمساعدة البريطانيين. .. هذا النسف الذي يعتبر ضربة قاصمة وجهت نحو الصهيونيين" (٨٩).

وهكذا فطالما أن الحالة مشتتة في فلسطين، فإن الضغوط - التي سبق ذكرها - ستزداد على مصر.

(ج) تزويد مصر بالسلاح، في حديث للملك فاروق - حول اشتراك مصر في حرب فلسطين - مع سكرتيره الخاص الدكتور حسين حسني قال: "أما من ناحية السلاح والعتاد فأحب أن تطمئن إلى أن لدينا وعودا لا مجال للشك فيها وتأكيدات بأننا في وسعنا الحصول على ما نحتاج إليه في يسر وسهولة"، ويعلق الدكتور حسني قائلا: "وكان ذلك إشارة إلى



وعد الانجليز بالتغاضي عما يمكن سحبه للجيش المصري من مخازن الجيش البريطاني في منطقة القنال" (٩٠).

وأثناء محاكمة محمد فؤاد سراج الدين أمام محكمة الثورة يوم الخامس والعشرين من يناير ١٩٥٤ تعرض لحرب فلسطين فقال: " أنا قلت للنقراشي أخشى إن دي تكون مؤامرة من الانجليز، لدفعنا إلى حرب فلسطين و الإضرار بنا، قال لي أنا عندي وعد من الانجليز بمدنا بكل ذخيرة وأسلحة نحتاج إليها. وهما متحمسين لدخولنا الحرب" (٩١).

فقد كانت هناك صفقة عقدتها بريطانيا مع الملك فاروق مباشرة، وكان مؤداها أن يُسمح لمصر بأن " تأخذ " ما تحتاج إليه من الأسلحة والذخائر من مخازن ومعسكرات الجيش البريطاني في قاعدة قناة السويس. ولما كان من الصعب أن يكون السماح باتفاق سياسي فإن " الأخذ " جرى ترتيبه بنوع من " التوافق الأمني " أي أن طرفا مصر يمد يده ويأخذ وفي مقابل ذلك فإن طرفا بريطانيا يغمض عينه ويسكت. وتبتدى تلك السرقة في برقية من السفارة البريطانية في القاهرة - يبدو أن كاتبها لم يكن يعرف بصفقة " سرقة الأسلحة " - إلى وزارة الحربية في لندن نصها: " عرانا شئ من الذهول ونحن نرى من التقارير الأسبوعية الخاصة بالموقف الواردة من القائد العام للقوات البرية في الشرق الأوسط أن هناك كميات كبيرة من المواد العسكرية من أنواع شتى تُسرق من مستودعات الجيش في منطقة القناة في مصر. والواقع أن التقارير الخاصة بالأسابيع الماضية تدل على أن هناك زيادة في هذه السرقات. وإذا كانت أشياء مثل سيارات وزنها ثلاثة أطنان وقنابل وزنها ٥٠٠ رطل وقذائف بحرية قد سُرقت، فهذا يدل على قدر مدهش من التنظيم من جانب اللصوص " (٩٢).

(د) السماح للجيش المصري بعبور الحدود، سبق وتم الحديث عن مخاوف الملك فاروق من موقف القوات البريطانية من الجيش المصري إذا هو حاول عبور الحدود إلى فلسطين، وذلك خلال حديثه مع سكرتيره الخاص، وقد جاء الرد - في اليوم الثاني عشر من مايو ١٩٤٨ - ليقضي على تلك المخاوف ويشجع الجيش المصري على التقدم. ففي صباح هذا اليوم وعند بوابة في خط الأسلاك الشائكة بين رفح المصرية ورفح الفلسطينية أوقفت نقطة بريطانية عسكرية سيارة يركبها اللواء المواوي وعدد من ضباطه، حيث كان يريد



إلقاء نظرة استكشافية على الناحية الأخرى من خط الحدود. ولمدة اثنتي عشر دقيقة كانت الاتصالات دائرة بين النقطة البريطانية في رفح وقيادة لها لم يعرف أحد على أي مستوى هي؟ ولا أين بالضبط مقرها؟ ثم عاد جاويش النقطة يشير لسيارة القائد العام بأن الطريق مفتوح للمرور. وكان ذلك اختباراً أولياً، ثم تلاه اختبار ثانٍ وهو أن القطار المقل للكتيبة الأولى الذاهبة إلى ميدان القتال في فلسطين وصل إلى كوبري الفردان مساء اليوم الثالث عشر من مايو، وقامت مجموعة من الجنود البريطانيين بالمرور بأنوارهم الكاشفة من حول القطار، ثم أعطيت الإشارة لضباط اتصال من السكك الحديدية المصرية بأن القطار يستطيع أن يعبر كوبري الفردان إلى رفح دون اعتراض<sup>(٩٣)</sup>.

(هـ) التغاضي عن أخطاء القوات المصرية، فطبقاً ليوميات الحرب أنه جاءت إشارة في اليوم الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ أن " قائد القوات البريطانية عند الحدود أخطر القوات المصرية أن طائرة سبيت فاير ألقت قنبلتين في الساعة ٦٥٠ على معسكر بريتش Breech وقد جرح تسعة عساكر انجليز أحدهم جراحه خطيرة وكان يوجد طائرتان أوستن Austen بأرض المطار المجاور فأطلق عليها الرصاص وقد طلب القائد البريطاني عدم تكرار ذلك حتى لا يضطر لإحضار قوات من طائراته. وقد قدر الظرف وحسن النية وأنها كانت بطريقة غير مقصودة"<sup>(٩٤)</sup>، ويعلق الأستاذ هيكل على تلك الإشارة: بأن كل ما يترتب على تلك الحادثة مجرد "عتاب" فذلك بالنسبة لقوات عسكرية لدولة إمبراطورية " أمر غير مألوف في أبسط تعبير "، ومن الغريب أن هذه الحادثة تكررت بعد ذلك مرات<sup>(٩٥)</sup>.

والسؤال هنا، إذا كانت تلك هي سياسة بريطانيا لتوريط مصر في دخول حرب فلسطين، فما هو موقف الملكية والحكومة المصرية من تلك السياسة؟. يجب على هذا التساؤل تقرير وضعه السفير البريطاني في القاهرة تحت عنوان " الاتجاهات العامة المصرية " **General Egyptian Disposition**، جاء فيه: " المصريون يريدون مفاوضة، وهي أمنية عامة وغير مقصورة فقط على القصر، فهم غير سعداء بما هم فيه من تخبط، كما أنهم في حاجة لمن يتكئون عليه. .. كمبدأ عام هم يحبون الوجه الذي يعرفوه، وبشكل خاص بينما يعتبرون أنهم عانوا على أيدينا، فهم يثقون بنا. فالتجربة المصرية في مجلس الأمن بخصوص المسألة المصرية، وفي الجمعية العامة بخصوص مشكلة فلسطين، حطمت إيمان

المصريين في كفاءة الأمم المتحدة وموضوعيتها. لذلك هم يتربون الحماية من قوة عظمى بدلا من جماعة أمم. فهم يدركون خطر روسيا خارجيا وداخليا وهم غاضبون من الأمريكيين بسبب اشتراكهم في قرار تقسيم فلسطين، كل هذا يؤدي إلى رغبة شديدة في أن يقيموا تحالف معنا، ومن ثم فتحت قنوات اتصال معنا من قبل القصر ووزير الخارجية<sup>(٩٦)</sup>. وفي تقرير لرئيس هيئة أركان الحرب الإمبراطورية عن لقاء له مع الملك فاروق، قال إن الملك: " يدرك إدراكا كاملا مزايا بقاء القوات البريطانية في مصر، وإنه يعرف ما نريده ويدرك الحاجة إليه، ولكن الصعوبات كبيرة من الناحية السياسية وبصورة خاصة (صعوبة) أي إعلان علني وسيبذل قصارى جهده حتى يحصل لنا على ما نطلب"<sup>(٩٧)</sup>.

وإذا كان ذلك هو موقف الملكية، فلم يكن نفسه هو موقف الحكومة، ففي حوار لهيكل باشا مع النقراشي حول قرار دخول الجيش المصري حرب فلسطين قال الأول: " وما عسى أن يكون موقف إنجلترا من هذا الأمر؟ وهل اتفقتم معها على خطة؟ فأجاب النقراشي: إنجلترا لا تعارض، وأنا مطمئن لها، وإن كنت لا أخفي عليك أنها قادرة إذا رأت، أن تقف منا مثل موقفها في نفاين"<sup>(٩٨)</sup>. فمما لاشك فيه أن رئيس الوزراء في موقفه من بريطانيا كان واقعا تحت ضغط السلطة المطلقة للملك فاروق، فخلال الجلسة السرية التي عقدها مجلس الشيوخ المصري في ٣٠ نوفمبر ١٩٤٨ لمناقشة تطورات حرب فلسطين، سأل فؤاد سراج الدين النقراشي " عما إذا لم يسبق أن أخبر لجنة الشؤون الخارجية في نهاية مايو الماضي بان بريطانيا العظمى لم تصدق فقط على الإجراءات التي أتخذت من قبل الجيوش العربية لإعادة النظام في فلسطين، لكنها في الحقيقة شجعتهم؟ أجاب النقراشي: بأنه لا يستطيع أن يتذكر ما قال ورفض أن ينساق في الحوار لأبعد من ذلك"<sup>(٩٩)</sup>، وعلق السفير البريطاني على ذلك قائلا: " بأن النقراشي باشا غير مسموح له بالقاء اللوم علينا فيما يتعلق بمغامرة فلسطين"<sup>(١٠٠)</sup>.

## خاتمة

وعلى أية حال، تم لبريطانيا ما أرادت وسارت مصر وفق سياستها وتقدم الجيش المصري إلى حرب فلسطين مشاركا بقية الجيوش العربية، وطبقا للتقارير المتعددة حققت الجيوش العربية نجاحا كبيرا وتأزم موقف القوات اليهودية " ليس لدى اليهود بالقدس احتياطات كافية ضد الغارات الجوية ( العربية) وهم متخوفون جدا منهم نظرا لقلّة المخابئ وخصوصا بعد تدمير مطار رحافيا " كما أن " استمرار الغارات الجوية على القدس ودكها بالمدفعية الثقيلة يحطم روحهم المعنوية نهائيا مما قد يضطرهم للتسليم " أيضا " الروح المعنوية بين اليهود في القدس سيئة جدا نظرا لسوء التغذية وقتلتها ويعيش أكثرهم على المأكولات المحفوظة لعدم توافر الخضروات واللحوم الطازجة وتموين الفرد الواحد لا يزيد عن جالون و ٢٠٠ جرام خبزا مجفف ( مجففا) ولا تُصرف لهم سجنائر ولا يُسمح لأحد بغسل ملابسه أو استعمال الحمامات " ثم أنه " كان لضرب القدس بالمدفعية العربية تأثير سيئ في روحهم المعنوية وقد تهدمت عدة منازل وقتل عدد كبير من اليهود كما انقطع التيار الكهربائي عن الأحياء اليهودية"<sup>(١٠١)</sup> ويعلق اسحق رايبين في مذكراته قائلا: "كان هناك أكثر من تسعين ألف يهوديا في القدس مما يجعلهم ليسوا فقط الأغلبية الساحقة من سكان المدينة، بل القسم الأكبر من الشعب اليهودي في البلاد ككل ( الذي بلغ حوالي ستمائة ألف شخص)، فبشكل استراتيجي كانت الحالة مثالية للقوات العربية.. كانت الخطة العربية تهدف لخنق يهود القدس.. ودفعهم للاستسلام على أساس أنه إذا سقطت القدس، فالضربة النفسية للدولة اليهودية الناشئة ستكون أكثر ضررا من أي نصر تحرزه القوات العسكرية"<sup>(١٠٢)</sup>.

على أية حال، فإن بريطانيا سرعان ما كشفت عن سوء نواياها تجاه مصر، وبدأت التقارير تتوالى توضح ذلك ففي الثلاثين من مايو ١٩٤٨ جاءت إشارة " بأن القوات البريطانية ستقوم بعمل ترتيب للدفاع الجوي عن المعسكرات والقوات البريطانية الموجودة بمنطقة القتال ( الإسماعيلية - فايد - كبريت)"، وكان السبب الظاهر هو التعلل بان غارات الطائرات المصرية تكررت بالخطأ على مطارات بريطانية. ولكن كل هذه المطارات كانت بعيدة عن منطقة قناة السويس. إذن فالهدف الواضح هو أن " الوقت قد حان الآن " لوقف المحاولات المصرية للحصول على سلاح بريطاني " سرقتة بالتراضي " من المعسكرات



البريطانية. فلقد حققت بريطانيا سياستها، فالجيش المصري يعمل داخل فلسطين، والأسلحة والذخائر البريطانية المسروقة (سماحا) من (المعسكرات) البريطانية أصبحت جزءا مهما في فاعلية القوات. والآن وفجأة تقوم بتشديد الحراسة و يتوقف خط الإمداد الخفي للجيش المصري، فيكون ذلك كله استعدادا للخطة التي تتحرج فيها الأمور على الجبهة وتستعجل مصر طلباتها من بريطانيا، ويكون الرد عليها هو التساؤل عما " إذا كانت تطلب المساعدة الآن على أساس بنود معاهدة ١٩٣٦ ؟ ". فقد كانت قضية ملء الفراغ العسكري على قناة السويس هي سؤال اللحظة المطروح، فالحكومة المصرية تقول إن الجيش المصري يقدر، والحكومة البريطانية تنكر عليه قدرته<sup>(١٠٣)</sup>. وفي يوليو ١٩٤٨ جاء تقرير يؤكد أن " الطائرات أو الطائرة التي أغارت.. على القاهرة وكان هدفها قصر عابدين.. إنها من فايد وهي طائرة انجليزية، أما ركابها ضباط يهود مرسلين من قبل الانجليز لضرب قصر عابدين على سبيل المكيدة.. يتردد ويشاع على السنة الجميع أن مولانا هو المقصود بالذات " وراحت الدعاية تعمل ضد الملك فاروق فمن "كلام الضباط والجاويشية الانجليز لبعض العمال أو السعاة بالمعسكرات أن الملك فاروق مش كويس عاوز يموت الناس وعاوز يَدْخُل كل المصريين في الحرب"<sup>(١٠٤)</sup>.

بل وغيرت بريطانيا سياستها من النقيض للنقيض فبعد أن حرضت مصر لتدخل بجيشها حرب فلسطين ونجحت في مسعاها ذلك، نجد وزارة الخارجية البريطانية تقترح في ديسمبر ١٩٤٨ " أن تنظر الحكومات العربية إلى الأمر على الوجه الأتي: إن هناك دولة يهودية قائمة فعلا لها مطالب ومطامع مختلفة يسهل مدها إذا ما استمرت الاضطرابات الحالية ويمكن وضع حد لهذه الحالة ووضع حدود نهائية إما بواسطة الأمم المتحدة أو بواسطة المفاوضات أو بواسطتهما معا وليست هناك طريقة أخرى عملية في الظروف الحالية"<sup>(١٠٥)</sup>.

وأخيرا نستطيع أن نقول أن تغير موقف مصر من الرفض إلى القبول فيما يتعلق بدخولها حرب فلسطين إنما يرجع أساسا للملكية المصرية التي وقعت تحت ضغوط بريطانية، في وقت زادت فيه رغبة الملك فاروق في ممارسة سلطاته المطلقة، وتقابل كل ذلك مع الظروف الداخلية في مصر لاسيما الضغط الشعبي الهائل، ليتبلور كل ذلك في أن يقف رئيس وزراء مصر في مجلس الشيوخ - مغيرا سياسته - معلنا وجوب اشتراك الجيش المصري في حرب فلسطين .

الهوامش

\* إن كل التقارير - تقريباً - التي وردت بالبحث قام بكتابتها ضباط من القوات المسلحة لم يراعوا فيها قواعد اللغة العربية، فوردت فيها الكثير من الأخطاء. وقد حرصت على كتابتها كما هي.

1. Mayer , Thomas , " Egypt's 1948 Invasion of Palestine " , Middle Eastern Studies , vol. 22, no. 1,( Jan. , 1986) , p. 21
2. Kimche , Jon David , Seven Fallen Pillars , (London , 1950) , p. 51
3. Ibid , p. 52
4. Mayer , op cit , p. 21
5. Kimche , Jon David , Both Sides of the Hill , ( London , 1960) , pp. 48-52
٦. محمود فايز القصري، حرب فلسطين عام ١٩٤٨، سلسلة الدراسات العسكرية، رقم ١٦، الجزء الأول، ( القاهرة، يوليو ١٩٦١)، ص ١٥٤
7. Mayer , op cit , p.22
٨. الحاج أمين الحسيني مفتي القدس ( ١٩٢١ - ١٩٤٨)
9. Mayer , op cit , p.23
10. Public Record Office , FO. 816 / 117/ 134 , 139 , Cairo to Amman , 16 , 19 April 1948
11. P.R.O., FO. 371 / 68371 , E5603 , Campbell (Cairo) to London , 2 May 1948
12. FO. 371 / 68370 , E5298 , E5299 , Campbell to London , 26 , 27 April 1948
13. FO. 816 / 119 / 111 , Cairo to Amman , 10 , 11 May 1948



14. Mayer , op cit , p.23

15. Sasson's Private Papers (T.A) , Sasson's Report on " Attempts for Agreement with Arabs " ( Jerusalem) , 5 March 1946

16. Sasson , Eliyahu , Baderech El Ha – Shalom , ( Tel Aviv , 1978) , pp. 364 – 365

١٧. الدكتور حسين حسني ( السكرتير الخاص للملك فاروق)، سنوات مع الملك فاروق، شهادة للحقيقة والتاريخ، ط ١، ( دار الشروق، ٢٠٠١)، ص ص ٢٤٤ - ٢٤٥

18. Morris , Benny , A History of the First Arab – Israeli War , ( New Haven and London: Yale University Press , 2008) , p. 180

١٩. دار الوثائق القومية بالقاهرة، الوحدة الأرشيفية: وثائق مجلس النظار والوزراء، موضوع الملف: ملف خاص بحوادث فلسطين والمقترحات البريطانية الخاصة بهذه المسألة واحتجاج علي تقرير اللجنة الملكية لفلسطين، الكود الأرشيفي: ٥٥٠٢٧٠ - ٥٥٠٧٥، محفظة رقم ( ١٠٦٣ ) مجموعة فلسطين، التاريخ: ١٩٣٦/٩/٨ - ١٩٤٧/٦/١١، تقرير من السفارة البريطانية بالقاهرة عن بيان سيلقيه وزير الخارجية البريطاني في البرلمان عن فلسطين - اليوم ١٣ نوفمبر ١٩٤٥ - مقدم إلى رئيس الوزراء المصري.

٢٠. مما يجدر ذكره أن هيكل باشا قد ذكر أن النقراشي باشا قد طلب منه صباح يوم ١٢ مايو ١٩٤٨ عقد جلسة سرية لمجلس الشيوخ لتعرض الحكومة على المجلس قرارها بدخول القوات المصرية إلى فلسطين، وانعقد مجلس الشيوخ في مساء اليوم التالي حيث طلب رئيس الوزراء عقد جلسة سرية في الغد لمناقشة الموقف في فلسطين أي يوم ١٤ مايو ١٩٤٨. انظر: محمد حسين هيكل، مذكرات في السياسة المصرية، ج ٣: القضية الفلسطينية، النزاع المصري الانجليزي في مجلس الأمن، أزمة مجلس الشيوخ في يونيه ١٩٥٠، ط ٢، ( دار المعارف، ١٩٩٠)، ص ص ٤١ - ٤٢. إلا أن ذلك غير صحيح، فبالرجوع لمضابط مجلس الشيوخ المصري، نجد أنه قد جاء في مضبطة الجلسة الحادية والثلاثين المعقودة يوم الثلاثاء ٢ رجب ١٣٦٧ هـ الموافق ١١ مايو ١٩٤٨، أن المجلس



اجتمع برئاسة هيكل باشا حيث ذكر: " سبق أن قررتم حضراتكم بجلسة الأمس أن تُعقد اليوم جلسة سرية للنظر في مسألة فلسطين"، كما أنه لم تُعقد جلسات لمجلس الشيوخ من يوم ١٣ مايو حتى يوم ١٦ مايو. انظر: الدولة المصرية، مجلس الشيوخ، مجموعة مضابط دور الانعقاد العادي الثالث والعشرين ( ١٢ نوفمبر ١٩٤٧ - ٦ يوليه ١٩٤٨)، ( القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٤٩)، ص ص ٩٢٧ - ٩٢٩ .

٢١. النص الكامل للجلسة السرية، انظر:

<http://egyptianroyaltyandglory.blogspot.com/2011/12/194809.html>

تم الاطلاع على الموقع يوم ٢٢ ديسمبر ٢٠١٢، الساعة العاشرة مساءً .

٢٢. نفسه .

٢٣. محمد حسنين هيكل، العروش والجيوش: كذلك انفجر الصراع في فلسطين، قراءة في يوميات الحرب، ج ١، ط ٨، ( دار الشروق، ٢٠٠٧)، ص ص ٤٧ - ٤٨ .

٢٤. نفسه، ص ٤٨

٢٥. نفسه، ص ص ٥٠ - ٥١

٢٦. هيكل، مذكرات، ج ٣، ص ٤٣

٢٧. هيكل، العروش، ج ١، ص ص ٤٥٣ - ٤٥٨

٢٨. دار الوثائق القومية، الوحدة الأرشيفية: وزارة الحربية قبل ثورة يوليو ١٩٥٢، موضوع الملف: تقارير ومذكرات مخابرات مدة حملة فلسطين وما قبلها: المستعمرات الصهيونية، منطقة النقب، موقف الدول العربية حيال قضية فلسطين، معلومات من مندوب المخابرات بعمان، معلومات من السفارات: الأمريكية، الفرنسية، البلجيكية، البريطانية. .. الخ من ١١/١٠/١٩٤٦ إلى ٢٦/١/١٩٤٩، مجموعة وزارة الدفاع الوطني، الكود الأرشيفي: ٠٠٦٧ - ٠٠٠٠٢٠، محفظة رقم ٥ ملف ١، ( تقرير عن برنادوت والدول

- العربية مقدم من الجنرال سير هيرالد ماكميلان قائد القوات البريطانية إلى وزارة الحرية البريطانية)، أرسلت منه صورة للسفارة البريطانية في ١٥/٦/١٩٤٨.
٢٩. المصدر السابق، نفس ( الوحدة الأرشيفية - موضوع الملف - المجموعة - الكود الأرشيفي - المحفظة والملف)، (ملاحظات ومطالعات في الحركات الصهيونية المسلحة)، تقرير بتاريخ ١١/١٠/١٩٤٦.
٣٠. المصدر السابق، نفس ( الوحدة الأرشيفية - موضوع الملف - المجموعة - الكود الأرشيفي - المحفظة والملف)، ( مذكرة عن ثلاثة تقارير لقنصل مصر العام في القدس، ١٩٤٧/١٢/٢٧. التقرير الأول تاريخه: ٤ ديسمبر ١٩٤٧، التقرير الثاني تاريخه: ٨ ديسمبر ١٩٤٧، التقرير الثالث تاريخه: ٩ ديسمبر ١٩٤٧).
٣١. المصدر السابق، نفس ( الوحدة الأرشيفية - موضوع الملف - المجموعة - الكود الأرشيفي - المحفظة والملف)، ( تقرير عن النشاط الجوي الصهيوني بفلسطين مقدم من مدير إدارة المخابرات الجوية، في ٢٤ مارس ١٩٤٨).
٣٢. المصدر السابق، نفس ( الوحدة الأرشيفية - موضوع الملف - المجموعة - الكود الأرشيفي - المحفظة والملف)، ( وزارة الدفاع الوطني، إدارة المخابرات الحربية، قسم الأمن، ( مذكرة تضم معلومات من مندوبي المخابرات في القتال، والعريش، قبل منتصف ديسمبر ١٩٤٧، ١٠ / ١ / ١٩٤٨).
٣٣. نفس المصدر السابق.
٣٤. المصدر السابق، نفس ( الوحدة الأرشيفية - موضوع الملف - المجموعة - الكود الأرشيفي - المحفظة والملف)، ( وزارة الدفاع الوطني، إدارة المخابرات الحربية، سري جدا، ( مذكرة مرفوعة إلى حضرة صاحب المعالي وزير الدفاع الوطني من أميرالاي أ. ح. مدير المخابرات الحربية بشأن تقرير عن فلسطين مقدم من: البكباشي أ. ح. محمد نوح أفندي من إدارة المخابرات الحربية، اليوزباشي عصام حلمي المصري أفندي قائد قوة الحراسة بقنصليتي القدس وحيفا، ٢٣/٢/١٩٤٨ - مايو ١٩٤٨).

٣٥. نفس المصدر السابق.

٣٦. المصدر السابق، نفس ( الوحدة الأرشيفية - موضوع الملف - المجموعة - الكود الأرشيفي - المحفوظة والملف )، ( تقرير نتيجة مقابلة حضرة صاحب السعادة الفريق طه الهاشمي باشا نائب القائد العام لجيش تحرير فلسطين بدمشق، يوم الثلاثاء ١٩٤٨/٣/٩ ) .

٣٧. المصدر السابق، نفس ( الوحدة الأرشيفية - موضوع الملف - المجموعة - الكود الأرشيفي - المحفوظة والملف )، وزارة الحربية، مكتب وكيل الوزارة.

٣٨. المصدر السابق، نفس ( الوحدة الأرشيفية - موضوع الملف - المجموعة - الكود الأرشيفي - المحفوظة والملف )، وزارة الحربية والبحرية، إدارة المخابرات الحربية، سري للغاية، ٧ نوفمبر ١٩٤٨، ( مذكرة مرفوعة لحضرة صاحب المعالي وزير الحربية والبحرية ) .

٣٩. المصدر السابق، نفس ( الوحدة الأرشيفية - موضوع الملف - المجموعة - الكود الأرشيفي - المحفوظة والملف )، المفوضية الملكية المصرية بدمشق، ( حديث مصطفى السعدني ملحق المفوضية مع القائد العربي فوزي باشا القواقجي، ٢٦ مايو ١٩٤٨ )، سري جدا.

#### 40. FO. 371 / 68371 , E5604 , Campbell to London , 2 May 1948

٤١. النص الكامل للجلسة السرية، انظر: الموقع الإلكتروني السابق.

٤٢. نفسه.

٤٣. محمد حسين هيكل، مذكرات في السياسة المصرية، ج ٢ ( من ٢٩ يولييه ١٩٣٧ إلى ٢٦ يولييه ١٩٥٢ [عهد فاروق] )، ط ٢، ( دار المعارف، ١٩٩٠ )، ص ٢٧٥.

٤٤. نفسه، ص ص ٢٧٥ - ٢٧٦.



٤٥. برقية رقم ٩٤٨ - ١١ / ب ب ٥٠١، ( تقرير السفير الأمريكي في مصر)، بتاريخ ٩ نوفمبر ١٩٤٨، نقلًا عن: محمد حسنين هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، الكتاب الأول: الأسطورة الإمبراطورية والدولة اليهودية، ط ١٢، ( دار الشروق، ٢٠٠٨)، ص ٢٩١.
٤٦. محمد حسنين هيكل، العروش والجيوش ٢، أزمة العروش صدمة الجيوش، قراءة متصلة في يوميات الحرب ( فلسطين ١٩٤٨)، ط ٥، ( دار الشروق، ٢٠٠٧)، ص ص ١٦٢ - ١٦٣.
٤٧. هيكل، مذكرات، ج ٢، ص ص ٢٨٠ - ٢٨١.
٤٨. لطيفة محمد سالم، فاروق وسقوط الملكية في مصر ( ١٩٣٦ - ١٩٥٢)، صفحات من تاريخ مصر: ٣٢، ط ٢، ( القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٦)، ص ٧٩٠.
٤٩. هيكل، المفاوضات، ج ١، ص ٢١٣.
٥٠. لطيفة سالم، المرجع السابق، ص ٨١٤.
٥١. هيكل، المفاوضات، ج ١، ص ٢١٤.
٥٢. دار الوثائق القومية، المصدر السابق، نفس ( الوحدة الأرشيفية - موضوع الملف - المجموعة - الكود الأرشيفي - المحفوظة والملف)، سلاح الحدود الملكي، مكتب المخابرات السرية، رقم القيد م س / ٢١٤ / ١ / ٥، كبري القبة في ٣ أكتوبر ١٩٤٨، سري وشخصي، ( تقرير إلى حضرة صاحب المعالي وزير الحربية والبحرية من القائم مقام حسين سري عامر أركان حرب سلاح الحدود الملكي.
٥٣. هيكل، العروش، ج ٢، ص ١٠٩.
٥٤. نفسه، ج ١، ص ٤٥.

55. Morris , op cit. , p. 180

٥٦. دار الوثائق القومية، المصدر السابق، نفس ( الوحدة الأرشيفية - موضوع الملف - المجموعة - الكود الأرشيفي - المحفوظة والملف )، ( مذكرة عن ثلاثة تقارير لقنصل مصر العام في القدس، ١٩٤٧/١٢/٢٧. التقرير الأول تاريخه: ٤ ديسمبر ١٩٤٧، التقرير الثاني تاريخه: ٨ ديسمبر ١٩٤٧، التقرير الثالث تاريخه: ٩ ديسمبر ١٩٤٧ ).
٥٧. دار الوثائق القومية، الوحدة الأرشيفية: وثائق عابدين، عنوان الملف: تقرير حرب فلسطين من ١٩٤٨/٣/٢ إلى ١٩٥١/٥/٢٧، الكود الأرشيفي: ٠١٢٨١٥ - ٠٠٦٩، محفظة رقم ٥٩٤، ( من قاسم عبد العزيز حمد أبو سلطان من قبيلة عربان الهنادي بأبو صوير شرقية إلى حضرة صاحب المعالي رئيس الديوان الملكي العامر بسراي عابدين العامرة، بتاريخ ٢ مارس ١٩٤٨، تقرير سري ).
٥٨. حسين حسني، مرجع سابق، ص ٢٤٤.
٥٩. دار الوثائق القومية، الوحدة الأرشيفية: وزارة الحربية قبل ثورة يوليو ١٩٥٢، موضوع الملف: تقارير ومذكرات مخبرات مدة حملة فلسطين وما قبلها: المستعمرات الصهيونية، منطقة النقب، موقف الدول العربية حيال قضية فلسطين، معلومات من مندوب المخبرات بعمان، معلومات من السفارات: الأمريكية، الفرنسية، البلجيكية، البريطانية. الخ من ١٩٤٦/١٠/١١ إلى ١٩٤٩/١/٢٦، مجموعة وزارة الدفاع الوطني، الكود الأرشيفي: ٠٠٦٧ - ٠٠٠٠٢٠، محفظة رقم ٥ ملف ١، ( تقرير مرفوع من لواء الحاكم الإداري إلى وزير الدفاع الوطني، في ٢ يونيو ١٩٤٨ )، سري جدا.
٦٠. المصدر السابق، نفس ( الوحدة الأرشيفية - موضوع الملف - المجموعة - الكود الأرشيفي - المحفوظة والملف )، سلاح الحدود الملكي، مكتب المخبرات السرية، رقم القيد م س / ٢١٤ / ١ / ٥، كبري القبة في ٣ أكتوبر ١٩٤٨، سري وشخصي، ( تقرير إلى حضرة صاحب المعالي وزير الحربية والبحرية من القائم مقام حسين سري عامر أركان حرب سلاح الحدود الملكي ).
٦١. هيكل، العروش، ج ١، ص ٧٥.

٦٢. يوميات حرب فلسطين، ٢٨ مايو ١٩٤٨، من رئيس أركان حرب إلى أميرالاي سعد الدين صبور. نقلا عن: هيكل، العروش، ج ١، ص ١٩٩.
٦٣. نفسه، ص ٨٧ - ٨٨.
٦٤. دار الوثائق القومية، المصدر السابق، نفس (الوحدة الأرشيفية - موضوع الملف - المجموعة - الكود الأرشيفي - المحفظة والملف)، (مذكرة عن ثلاثة تقارير لقنصل مصر العام في القدس، ١٩٤٧/١٢/٢٧. التقرير الأول تاريخه: ٤ ديسمبر ١٩٤٧، التقرير الثاني تاريخه: ٨ ديسمبر ١٩٤٧، التقرير الثالث تاريخه: ٩ ديسمبر ١٩٤٧).
٦٥. المصدر السابق، نفس (الوحدة الأرشيفية - موضوع الملف - المجموعة - الكود الأرشيفي - المحفظة والملف)، وزارة الدفاع الوطني، إدارة المخابرات الحربية، سري جدا، (مذكرة مرفوعة إلى حضرة صاحب المعالي وزير الدفاع الوطني من أميرالاي أ. ح. مدير المخابرات الحربية بشأن تقرير عن فلسطين مقدم من: البكاشي أ. ح. محمد نوح أفندي من إدارة المخابرات الحربية، اليوزباشي عصام حلمي المصري أفندي قائد قوة الحراسة بقنصليتي القدس وحيفا، ١٩٤٨/٢/٢٣ - مايو ١٩٤٨).

### 66. Morris , op cit. , p. 180 , 182

٦٧. هيكل، العروش، ج ١، ص ٤٥.
٦٨. عبد الرحمن الرافي، في أعقاب الثورة المصرية: ثورة ١٩١٩، ج ٣ (يشتمل على تاريخ مصر القومي من ارتقاء الملك فاروق عرش مصر في ٦ مايو سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٥١)، ط ٢، (دار المعارف، ١٩٨٩)، ص ص ٢٧٠، ٢٧٩.
٦٩. نفسه، ص ٢٥٩.
٧٠. دار الوثائق القومية، المصدر السابق، نفس (الوحدة الأرشيفية - موضوع الملف - المجموعة - الكود الأرشيفي - المحفظة والملف)، وزارة الحربية والبحرية، إدارة المخابرات الحربية، (مذكرة: القيادة البريطانية).
٧١. النص الكامل للجلسة السرية، انظر: الموقع الإلكتروني السابق.



٧٢. دار الوثائق القومية، الوحدة الأرشيفية: وثائق عابدين، عنوان الملف: تقرير حرب فلسطين من ١٩٤٨/٣/٢ إلى ١٩٥١/٥/٢٧، الكود الأرشيفي: ٠١٢٨١٥ - ٠٠٦٩، محفظة رقم ٥٩٤، ( من قاسم عبد العزيز حمد أبو سلطان من قبيلة عربان الهنادي بأبو صوير شرقية إلى حضرة صاحب المعالي رئيس الديوان الملكي العامر بسراي عابدين العامرة، بتاريخ ٢ مارس ١٩٤٨، تقرير سري).

٧٣. نفسه.

٧٤. النص الكامل للجلسة السرية، انظر: الموقع الإلكتروني السابق .

٧٥. هو المؤرخ المعتمد لمرحلة إنشاء الدولة اليهودية، والأستاذ بجامعة أوكسفورد، وقد أتيح له أن يقرأ كل الوثائق الإسرائيلية قبل وبعد إقامة الدولة بما في ذلك ما حُجب منها عن النشر لأكثر من مائة عام. انظر: هيكل، العروش، ج ١، ص ٣١.

76. Shlaim , Avi , " Britain and the Arab – Israeli War of 1948 " , Journal of Palestine Studies , vol. 16 , no. 4 , ( Summer , 1987) , pp. 52 -53 .

77. P.R.O. , FO. 371 / 69244 – 86000 , 12 March 1948

٧٨. هيكل، العروش، ج ١، ص ١٠٣

٧٩. هيكل، المفاوضات، ج ١، ص ٣٠٠

80. Shlaim , op cit. , pp. 53-54

81. Mayer , op cit. , p. 27

٨٢. دافيد بن جوربون، يوميات الحرب ١٩٤٧ - ١٩٤٨، تحرير: جيرشون ريفلين و إيجانان أورت، ترجمة عن العبرية: سمير جبور، مراجعة وتقديم: صبري جريس، ط ١، ( بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٣)، ص ١٨٠.

٨٣. مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية، برقية من السفير البريطاني في مصر السير ر. كامبل إلى وزير الخارجية البريطاني، رقم ٦٦٠، ١٩ مايو ١٩٤٨. نقلًا عن: هيكل، العروش، ج ١، ص ٩٩ - ١٠٠ .

٨٤. دار الوثائق القومية، الوحدة الأرشيفية: وزارة الخارجية، موضوع الملف: وفد مصر لدى الجمعية العامة للأمم المتحدة باريس (سبتمبر - ديسمبر ١٩٤٨)، الكود الأرشيفي: ٠٠٧٨ - ٠٤١٤٦٦، رقم المحفظة ٧٠٩، وفد مصر لدى الأمم المتحدة، برقية من واشنطن وردت يوم ١٨/٩/١٩٤٨.

٨٥. هيكل، العروش، ج ١، ص ٧٥.

٨٦. دار الوثائق القومية، الوحدة الأرشيفية: وزارة الحربية قبل ثورة يوليو ١٩٥٢، موضوع الملف: تقارير ومذكرات مخابرات مدة حملة فلسطين وما قبلها: المستعمرات الصهيونية، منطقة النقب، موقف الدول العربية حيال قضية فلسطين، معلومات من مندوب المخابرات بعمان، معلومات من السفارات: الأمريكية، الفرنسية، البلجيكية، البريطانية. .. الخ من ١١/١٠/١٩٤٦ إلى ٢٦/١/١٩٤٩، مجموعة وزارة الدفاع الوطني، الكود الأرشيفي: ٠٠٦٧ - ٠٠٠٠٢٠، محفظة رقم ٥ ملف ١، وزارة الدفاع الوطني، إدارة المخابرات الحربية، قسم المعلومات، (مذكرة عن المعلومات الواردة من مندوب المخابرات بالقنال، ٢٥/٤/١٩٤٨).

٨٧. المصدر السابق، نفس (الوحدة الأرشيفية - موضوع الملف - المجموعة - الكود الأرشيفي - المحفظة والملف)، (صادر من لندن إلى جريدة المصري)، سري جدا.

٨٨. بن جوريون، مصدر سابق، ص ٢٦٠.

٨٩. دار الوثائق القومية، المصدر السابق، نفس (الوحدة الأرشيفية - موضوع الملف - المجموعة - الكود الأرشيفي - المحفظة والملف)، وزارة الدفاع الوطني، إدارة المخابرات الحربية، سري جدا، (مذكرة مرفوعة إلى حضرة صاحب المعالي وزير الدفاع الوطني من أميرالاي أ. ح. مدير المخابرات الحربية بشأن تقرير عن فلسطين مقدم من: البكباشي أ. ح. محمد نوح أفندي من إدارة المخابرات الحربية، اليوزباشي عصام حلمي المصري أفندي قائد قوة الحراسة بقنصليتي القدس وحيفا، ٢٣/٢/١٩٤٨ - مايو ١٩٤٨).

- ٩٠ . حسين حسني، مرجع سابق، ص ٢٤٤ .
- ٩١ . جريدة الأهرام، عدد ٢٦ يناير ١٩٥٤، ص ٨ .
- ٩٢ . مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية، ج. غ. أ.، ١٥ نوفمبر ١٩٤٨، سري. نقلا عن: هيكل، العروش، ج ١، ص ص ٩٥ - ٩٨ .
- ٩٣ . نفسه، ص ص ١٠٦ - ١٠٧ .
- ٩٤ . يوميات حرب فلسطين: ١٥ مايو ١٩٤٨، من العمليات الحربية إلى رئاسة هيئة أركان حرب الجيش والوزارة. نقلا عن: هيكل، المرجع السابق، ص ١٢٧ .
- ٩٥ . نفسه، ص ١٢٨ .

**96. FO. 371 / 69192 , ( General Egyptian Disposition ) , Secret , from Ronald Campbell , 6/1/1948 .**

- ٩٧ . برقية من السفارة البريطانية في القاهرة، ٤ نوفمبر ١٩٤٩، تقرير المارشال سليم Marshal Sleem ( رئيس هيئة أركان الحرب الإمبراطورية)، نقلا عن: هيكل، العروش، ج ٢، ص ١٨٧ .
- ٩٨ . هيكل، مذكرات، ج ٣، ص ٤٢ .

**99. FO. 371 / 69195 , no.598 , ( 1/1608 /48 ) , British Embassy – Cairo –December 8, 1948 , Secret , from Ronald Campbell to The Right Honorable Ernest Bevin , M. P. , Foreign Office , London ,S. W. I.**

**100. FO. 371 / 69195 , no. 1571 , November 15, 1948 , from Ronald Campbell to The Right Honorable Ernest Bevin .**

- ١٠١ . دار الوثائق القومية، المصدر السابق، نفس ( الوحدة الأرشيفية - موضوع الملف - المجموعة - الكود الأرشيفي - المحفوظة والملف). سري جدا، ( تقرير عن الحالة في



القدس من أميرالاي أ. ح. مدير المخبرات الحربية إلى مدير العمليات الحربية، بتاريخ  
١٩٤٨ / ٦ / ٣٠.

102. Rabin , Yitzhak , The Rabin Memoirs , translated by  
Dov Goldstein , expanded edition with new photographs  
, speeches and an afterward by Yoram Peri , translated  
by Maxine Kaufman Nunn , ( University of California  
Press , 1996) , p. 23

١٠٣. يوميات حرب فلسطين، من إدارة منطقة القنال وشرق الدلتا إلى العمليات الحربية،  
بتاريخ ٣٠ مايو ١٩٤٨. نقلا عن: هيكل، العروش، ج ١، ص ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

١٠٤. دار الوثائق القومية، الوحدة الأرشيفية: وثائق عابدين، عنوان الملف: تقرير حرب  
فلسطين من ١٩٤٨/٣/٢ إلى ١٩٥١/٥/٢٧، الكود الأرشيفي: ٠١٢٨١٥ -  
٠٠٦٩، محفظة رقم ٥٩٤، ( تقرير سري مرفق به الأوراق السرية والعسكرية والإدارية  
من عمال قادة الطيران البريطاني للشرق الأوسط مقدم إلى حضرة صاحب المعالي كبير  
أمتنا مولانا جلالة الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان وقائد الجيش الأعلى. حفظه  
الله)، من قاسم عبد العزيز. حمد أبو سلطان من عرب قبيلة الهنادي بأبو صوير شرقية،  
بتاريخ ٢٤ يوليو ١٩٤٨.

١٠٥. دار الوثائق القومية، الوحدة الأرشيفية: وزارة الخارجية، موضوع الملف: وفد مصر  
لدى الجمعية العامة للأمم المتحدة باريس ( سبتمبر - ديسمبر ١٩٤٨)، الكود  
الأرشيفي: ٠٠٧٨ - ٠٤١٤٦٦، رقم المحفظة ٧٠٩، ترجمة برقية رقم ٥١ / ٧١ ( ٥٠  
من القاهرة، صدرت في ١٢ / ٦ / ١٩٤٨ ووردت في ١٢ / ٧ / ١٩٤٨، من  
النقراشي باشا.

## العقاب الإلهي في الفكر المصري القديم

دكتورة/ وفاء احمد السيد بدار

استاذ مساعد تاريخ مصر والشرق الادنى القديم

كلية الاداب جامعة الاسكندرية

مؤلف: د. محمد عبد الحليم عبد الله

الموضوع: التاريخ الحديث في مصر

العدد: 15

الطبعة: الأولى



الدين ظاهرة قديمة قدم وجود الانسان نفسه، وقد ارتبط المصري القديم بالدين ارتباطاً جوهرياً فأثر على فكرة و ممارساته ، وكان يشكل حجر الزاوية في معتقداته وعليه تأتي أهمية دراسة الدين في مجال الدراسات الحضارية و التاريخية للشعوب القديمة .

وقد لعب الدين دوراً هاماً في التاريخ والحضارة المصرية القديمة و انعكس صدى هذا الدور في كافة مجالات الحضارة المصرية ، إذ يبدو أثر الدين واضحاً في مجال العمارة والفن والعلوم و الاداب ، والنظم السياسية وفي الفكر المصري القديم كافة.

ويعكس الفكر الديني عند المصري القديم ماهية معتقداته وفلسفته تجاه القوى الدينية التي ارتبطت بحياته الدنيا وحياته الاخرة ارتباطاً وثيقاً.

وتعد مسألة العقاب الإلهي إحدى المسائل الدينية المتعلقة بالالهة ورضائها او غضبها وكذلك بالانتقام الذي يتحول لعقاب لتهدئة سخط الآلهة ، لذا سعى المصري القديم سعياً حثيثاً للفوز برضاء الآلهة؛ درأً لغضبها فكان يحتفل بالاعياد الدينية ويقدم القرابين ويقوم بتشييد المعابد وتأدية الطقوس الدينية وما تتطلبه شعائر عبادة تلك الالهة ونظراً لاهمية هذا الموضوع الذي يلقي بالضوء على الفكر الديني عند المصري القديم فسوف نحاول تناوله وذلك من خلال البحث فيما يلي:

١- مفهوم العقاب عند المصري القديم.

٢- العقاب الالهى للبشر.

٣- عقاب الالهة بعضها لبعض.

٤- العقاب الالهى للملك

## مفهوم العقاب عند المصري القديم:

تؤكد الأدلة الأثرية والنصية على وجود العقوبات وتطبيقها عند المصري القديم (١) وبشكل عام فإن العقوبات كانت تقسم إلى نوعين:

١- عقوبات مدنية .

٢- عقوبات إلهية.

أما العقوبات المدنية ، فهي تلك العقوبات التي تطبق على المجرمين أو الخارجين على سلطان الدولة ، فهؤلاء تطبق عليهم العقوبات البدنية المختلفة (٢) ، وقد تنوعت تلك العقوبات فشملت عقوبة الضرب ، عقوبة السجن ، عقوبة التشويه ، عقوبة الاشغال الشاقة و عقوبة الوضع على قطعة خشبية (٣).

وكان لكل جريمة من الجرائم ما يقابلها من العقوبة التي تتناسب مع الجريمة إذ تدل الأدلة النصية على ان المصري القديم كان يدرك جيداً مفهوم الجريمة والعقاب ، وتداعياتها على الفرد ، لذا نجده يحذر من ارتكاب الاخطاء التي تستوجب تطبيق العقوبات ، إذ يحذر الحكيم (اني) ولده من ارتكاب الفاحشة فيقول ( كن على حذر من المرأة المجهولة لا تطل النظر اليها عندما تمر بك ، ولا تقضي منها وطراً ، فقد تراودك عن نفسها ، لا تستجب لها حتى في غفلة من الناس ، انها جريمة يستحق من ارتكبتها الموت (٤).

ويستدل من النص السابق أن الموت كان عقوبة لمن يرتكب الفاحشة فالعقوبة الدينية تطبق وفقاً للقانون وتهدف إلى حفظ الأمن والنظام حفاظاً على تماسك المجتمع واستقراره .

أما العقوبة الالهية ، فتتعلق بالالهة وتمثل في القصص الذي تلحقه الالهة بالمذنبين ممن يقومون بأعمال تخالف اوامر الالهة وارادتها فالعقاب يحل بالمذنب الذي اقترف ذنباً في حقها.

وهذا العقاب لا يقتصر على الحياة الدنيا للشخص المذنب بل يلازمه كذلك في العالم الآخرة (٥).

وكان المصري القديم يؤمن تماماً بقضية العقاب الإلهي ، إذ حاول المصري القديم ان يقرب إلى ذهنه صورة الآلهة فجسدها في هيئات بشرية وحيوانية وأضفى عليها صفات البشر ، وإذا كانت الدولة ممثلة في القائمين على شئونها ، تعاقب البشر إذا خالفوا الانظمة والقوانين ، فمن حق الآلهة ممثلة في (مجمع الآلهة) أن تعاقب المذنبين من البشر وهكذا استوحى المصري القديم واقع الدولة التي يعيش فيها لينقل صورتها إلى مجمع الآلهة ، لذا عندما كانت تحل به محنة ما او مرض أوتنزل به كارثة فإنه ينسب الأمر كله إلى غضب الآلهة ومن ثم عقابها.

وكان العقاب الإلهي للبشر ، يحل على من يرتكب مخالفة دينية أو مخالفة أخلاقية في حق الآلهة ، ويتمثل هذا العقاب في عدم التوثيق في أمرها ، الإصابة بالفقر ، إلحاق المرض بالشخص المعاقب وخاصة بالعمى والصم ، وكذلك عقوبة الموت (٦).

### العقاب الإلهي للبشر:

كان المصري القديم يدرك أن الخطيئة تستوجب العقاب الإلهي ، وبشكل عام فالخطيئة ضد الآلهة نوعان : خطيئة فردية وخطيئة جماعية .

أما الخطيئة الفردية فهي تلك التي تصدر من بعض الاشخاص في حق بعض الآلهة ولذا يأتي العقاب من قبل الإله ضد المذنب .

ووفقا للفكر المصري القديم في إطار العقاب الإلهي ، فيلاحظ وجود ترابط بين كلاً من الخطأ وغضب الآلهة ثم العقاب إذ أن الخطأ أو الإثم يتبعه غضب الآلهة ثم يأتي العقاب .

ومن الأخطاء التي تعاقب عليها الآلهة القسم كذباً باسم الإله (٧) ، فكان المعبود "بتاح" يعاقب من يشهد زوراً بالعمى (٨) ، إذ نقرأ على لوحة من دير المدينة لشخص يدعى "نفر أبو" محفوظة في المتحف البريطاني تحت رقم ٥٨٩ وتؤرخ بعصر



الفرعون "رع ميسس الثاني" قائلاً "لقد كنت أحد شهود الزور لدى بتاح سيد الحقيقة لذا جعلني ارى الظلمة ..... وجعلني ككلب ضال" (٩).

وكان المصري القديم يخشى عقوبة العمى فهي من أقسى العقوبات التي يخشاها المذنب ، وكان يخاف من تأثيرها عليه في العالم الاخر وقد ورد ذكر العمى في النصوص الدينية (١٠) لذا كان من أمنيات المتوفي في العالم الاخر أن يتمكن من الرؤية (١١).

كما كانت المعبودة "حاتحور" تعاقب من يرتكب الخطيئة، فهذا احد الموظفين بالجبانة يعلن انه قد ارتكب اثماً في حق حاتحور فعاقبه وكان في قبضة يدها ليل، نهار، وحين وعد الآلهة انه سوف يعلن عظمتها أمام الجميع ، فغفت عنه ومستة برحمتها حتى نسي علته لانها تمد يدها نحو من يحيها (١٢).

كما كان المعبود "امون" يعاقب من يقترب اثمًا، فهذا هو رجل يدعى "نب رع" ارتكب ابنه خطأ في حق بقرة من أبقار آمون ، فألحق به المعبود آمون المرض ، لذا إتجه الأب بالدعاء إلى آمون قائلاً " سأضع لأمون اغنيات بأسمه وسأمدحه بقدر ما ترتفع السماء ، بل بأبعد ما تمتد إليه الأرض ، سأقص قوته لمن ينزل أو يصعد النهر ، واستجاب المعبود آمون لدعاء الاب ، فأتى على هيئة ربح الشمال ونسيم عليل ومر من امامه وانقذ ابنه" (١٣).

أما الخطيئة الجماعية في حق الالهة ، فهي اشد خطورة وعقوبتها الموت إذ تحدثنا اسطورة "هلاك البشر" ان البشر قد اخطأوا في حق ابو الالهة "المعبود رع" الذي خلق كل ما يدب على الارض. إذ جاء بالنص ما يلي:

"لقد حدث في وقت ان جلاله الاله رع الذي اوجد نفسه بعد ان ظل ملكاً على البشر و الالهة الذين كانوا يومئذ شيئاً واحداً إذ بالبشر يدبرون المؤامرات ضد رع ، حيث أن جلالته له الحياة والفلاح والصحة قد تقدمت به السن ، واصبحت عظامه من فضة واعضاؤه من ذهب وعلم جلالته بالمؤامرات التي تحاك ضده بمعرفة البشر ، فقال رع للالهة "انتم يا معشر الالهة إن البشر الذين خرجوا من عيني يتآمرون ضدي . اخبروني ماذا ستفعلون لمواجهة الامر ، فأني ابحت عن حل ولكني لا اريد قتلهم ، ما لم

استمع الى ما يمكن أن تخبروني به في هذا الموضوع . وأشارت الآلهة على المعبود رع بأن يهبط على البشر في صورة حاتحور لتدميرهم ، وذهبت حاتحور إلى الصحراء وأبادت البشر" ، ولكن "رع" ينظر بعين الرحمة لمن تبقى من البشر فيتدخل لإنقاذهم(١٤).

ووفقاً للفكر الديني عند المصري القديم ، كانت الخطايا الجماعية التي يرتكبها البشر من أكثر الاسباب التي تثير غضب الآلهة وحنقهم مما يدعفوها إلى الحاق اقصى أقسى العقاب بهم وابدانهم وانهاء وجودهم على الارض .

ويمكن القول بأن المصري القديم لجأ إلى سبل شتى لدرء الخطيئة ومن ثم تجنب عقاب الآلهة ومن ذلك ما يتعلق بإسداء النصح من خلال الحكم والنصائح باتباع السلوك الصحيح تجاه الالهة والتمسك بالمثل الخلقية السامية، والواقع أن من يتأمل في باب الحكم والنصائح والتعاليم في الادب المصري القديم ، ليجدها في مجملها حكم اخلاقية ودينية تهدف الى رسم الطريق القويم للإنسان وتحث على العمل على ارضاء الآلهة لتجنب عقابها .

فهذا الحكيم "بتاح حوتب" يقول في نصائحه لولده "لا تحاول ان تنشر الرعب بين الناس ، فهذا امر يعاقب عليه الإله ولا تحاول أن تخدع الناس، فذلك امر لا جدوى منه، فما أراد الاله سيكون".

كما يقول " اذا كنت رئيساً فعامل الناس بالحسنى ما أعظم العدالة (الحق) ولم ينل منها احداً منذ ايام اوزير من يخالف القوانين يجب سعاقب"(١٥).

وقد ظل المصري القديم حريصاً على التمسك بهذه الحكم والنصائح .

كما لجأ المصري القديم إلى الرقى والتعاويد لتجنب عقاب الآلهة وغضبها ومنها رقية لدرء غضب المعبودة "سختمت" التي عرفت بحبها للدماء والعنف، كما كانت تنشر الأمراض من خلال رسلها(١٦) ومن هذه الرقى رقية وردت ببردية (ادوين سميث) جاء فيها رقية اخرى لطرد الهواء الموبوء ، استباح الموتى ، الارواح الشريرة و رسل سختمت .

رقية ضد هذا العام ، إذا ما ذهب ربح سى يلى يا حورس كن حول لحمي طول حياتي رغم سخمت" (١٧).

كما تذكر رقية اخرى قدرة "حورس" على درء الموت وحفظ الحياة وقد وردت هذه الرقية على كسره تؤرخ بالعصر المتأخر "قول حورس يدرء الموت ويحفظ الحياة كلمات حورس وتعويذته تشفي من يؤيده سحر حورس يدرء العجز عن المرء" (١٨).

وكان التضرع إلى الالهة وسيلة اخرى من الوسائل التي لجأ إليها المصري القديم لدرء عقاب الالهة، فها هو الرسام "نبري" يكرس لوحة للمعبود آمون لشفاء ابنه الرسام "نخت" اذ يقول "ان التضرع والعبادة لآمون لقوته العظيمة اتوسل اليك ان تتطلع الى ابني الرسام "نخت آمون" الذي يرقد مريضاً مرضاً شديداً ، انه تحت قوة آمون بسبب عمله الخاطى ، اني اتق في رحمة سيدي آمون، وسوف أكرس هذه اللوحة باسمك" (١٩).

هذا ويمثل التهديد بالعقاب الالهى صورة اخرى من صور العقوبات الالهية ، اذ لجأ البعض الى التهديد بالعقاب الالهى لمن يرتكب جريمة سرقة المقابر ومحتوياتها ويتمثل العقاب الالهى هنا في الحرمان من الدفن والحرق وعدم تقبل القرابين المقدمة من المذنب وهذا ما يؤكد نص كتب على عضادة باب في المقبرة رقم ٣ بأسيوط .

يقول النص " فيما يتعلق بأي حاكم للإقليم ، اي سيد اي مواطن يفشل في حماية هذه المقبرة ومحتوياتها فالالهة لن يقبل قربانه وسوف لا يدفن في الغرب وسيحرق لحمه مع هؤلاء المذنبين" (٢٠).

كما تضمنت لوحات الهبة المكرسة للالهة المحلية تهديداً بالعقاب الالهى لكل من يتعدى كل ممتلكات الالهة (٢١).

وهذا ما تؤكدته لوحة (اثنين) للملك "نف نخت" اذ تضمنت ما يشير الى الارض التي منحها الملك للمعبودة نيت وان استغلال هذه الارض كان قاصراً على كاهن معبد "نيت" الذي يسمى "إرث عا نيت" . اذ يقول النص:



"..... سيقى هذا الشئ (مرسوم هبة الارض) سيحل ابنه محله من ابن لابن ولن يمحو اسمه ابداً، اما اذا نقص ذلك الشئ ، فإن نيت ستظهر قوتها ضده دائماً وابدأ فلن يحل ابنه محله، سيغتصبه الحمار زوجته واولاده ، سيدفع الى لهيب فم سخمت، سيعلن سيد الالهة قاطبةً ان من يتعدى على هذه الهبة الخاصة بالالهة "نيت" سينقص لحظاته (عمره) وسيزج به الى السعير" (٢٢).

ولم يقتصر عقاب الآلهة للبشر على الحياة الدنيا ، بل انه يمتد كذلك لعقاب المذنبين في العالم الآخر، حيث كانت الآلهة تعاقب هؤلاء بصنوف شتى من العقاب ويتم القضاء عليهم بغليهم في الناب (٢٣).

وقد ورد ذكر عقاب المذنبين في العالم الآخر في كتاب الكهوف الذي يصور رحله اله الشمس في العالم الاخر ونزوله لكهوف مظلمة كي يولد من جديد مع ابراز الثواب والعقاب للمذنبين من البشر (٢٤).

ووفقاً لما ورد في ( بردية تشستر بيتي) المتعلقة بالصراع بين حور وست نجد المعبود اوزير يهدد باحضار كل من يفعل الشر الى العالم السفلى اذ يقول "إن الارض التي اعيش فيها مليئة برسل ذو شكل همجي ممن لا يخافون اله او الهه، فاذا ما ارسلتهم فسوف يحضرون لي كل فاعل شر وسيكون هنا معي" (٢٥).

وحتى يبرأ المتوفي ساحته من ارتكاب الذنوب فكان يدلى عندما يخرج من قاعة "ماعتي المزدوجة".

"التحية لكم ايها الذين يقطنون في قاعة الحق والعدل ، الذين لا يفعلون الشر باجسادهم ، ويعيشون على الحق والعدل ويتغذون على الحق والعدل في وجود "حورس" الذي يسكن في قرصه المقدس ..... لم اتهم انساناً زيفاً، لاجل هذا لا تدعوا شراً يلحق بي اني اعيش في العدل والحق واطعم قلبي على العدل والحق وما صدر كأمر للبشر فعلته وقيمت بالاشياء التي ترضي قلوب الالهة، لقد ارضيت الاله لانني قد نفذت مشيئته ، اعطيت الخبز للجوعى والماء للعطشى والكساء للعرايا ..... لذلك

خلصوني ومنحوني عنايتكم ولا ترفعوا ضدي اتهاماً امام الاله العظيم اني نقي الفم طاهر اليدين" (٢٦).

### عقاب الالهة لبعضها:

كانت الالهة وفقاً للفكر الديني عند المصري القديم ، تقوم بعقاب بعضها، فحتى الالهة ترتكب الاخطاء ومنها من هو مذنب يستحق العقاب واحياناً يأكل الحسد والغيرة قلب بعض الالهة تجاه بعضها الاخر فتغضب وتدبر المؤامرات وتقوم بالعقاب الذي قد يصل إلى حد ارتكاب جريمة القتل ، وتحدثنا أسطورة الصراع بين "اوزير و ست" عن احدى صور العلاقات في مجمع الالهة حيث تجسد الاسطورة صورة عن الحقد والتنافس بين اخوين من الالهة هما الاله "اوزير" والاله "ست" إذ حقد الاله "ست" على اخيه الاله "اوزير" الذي كان ملكاً فاضلاً محبوباً علم البشر الزراعة و الفنون واحبه الناس، فأثار ذلك حفيظة "ست" وغضب من مكانة اخيه وقرر الانتقام بأن عقاب اخيه بقتله ولقى بجثته في الماء (٢٧).

ويرتبط بهذه الاسطورة، قصة اخرى تتعلق بالصراع بين "حور" ابن اوزير و "ست" عمه وقاتل ابيه ؟، إذ قرر حور الانتقام لابييه وساعدته المعبودة ايزه، واستمر هذا الصراع مدة طويلة تخللها استخدام كل منهما لوسائل مختلفة في محاولة التغلب على الاخر، ويرفع الامر الى محكمة الالهة في "أون" وتختلف اراء الالهة بصدد هذه القضية، واخيراً كان الحكم لصالح "اوزير" حيث يؤول اليه حكم العالم السفلى ، بينما اصبح ابنه "حور" خليفته على دنيا الاحياء وصار حاكماً لارض مصر (٢٨).

وبمقتضى هذا الحكم كان على "اوزير" ان ينزل للعالم السفلى فيصبح ملكاً على مملكة العالم السفلى ويصبح "حور" ملكاً كما اصبح عضواً في مجمع الآلهة (٢٩).

وتحدثنا اسطورة الصراع بين "حور و ست" عن صوره اخرى من صور العقاب بين الالهة، فعندما أمرت "ازيس" الشص بأن يخرج من جسد اخيها "ست" فغضب "حور" وامسك بسكين وقطع رأس امه. فغضب الاله (رع) وقرر معاقبة حور (٣٠).

وهكذا كان ما يحدث في مجمع الالهة صورة مما يحدث في مجتمع البشر بكل ما فيه من ايجابيات وسلبيات.

### العقاب الالهي للملك:

كان الملك وفقا للمعتقدات الدينية عند المصري القديم ، هو ممثل للاله على الارض وعليه ان يحقق "ماعت" و ان يحمي حدود مصر و يذود عن اراضيها ضد الاعداء وهو اله ابن اله يحكم ارض مصر (٣١).

هذا وقد ارتبطت الملكية بالالهة في مصر الفرعونية منذ اقدم العصور فالعلاقة بين الملك والالهة علاقة تضرب بجذورها الى مرحلة عصر ما قبل الاسرات (٣٢)، اذ تؤكد الادلة الاثرية على ارتباط الحاكم بالمعبود "حور" حيث يظهر الصقر للمرة الاولى في عصر الاسرة (صفر) (٣٣) اذ ظهر على اثار تحمل اسم الملك العقرب عثر عليها في منشية عمر وتراخان (٣٤)، كما استمر ظهور الصقر على قطع اثرية تؤرخ بعصر الاسرة الاولى حيث يظهر الصقر فوق السرخ (٣٥).

وقد استمرت العلاقة بين الملكية والالهة على مدار التاريخ المصري القديم، ويمكن القول بأن العلاقة بين الملكية والالهة ، هي علاقة نفعية متبادلة بين كلا الجانبين، فالملك المؤله يحتاج لمؤازرة الالهة له ودعمها لسياسته الداخلية والخارجية حتى تستقر الامور ويستقيم له وضع البلاد، اما الالهة (ممثلة في معابدها وكبار الكهنة) تحتاج بدورها لتأييد الملك لتقديم القرابين وتشيد المعابد ، واقامة طقوسها وشعائرها حتى يستمر وجودها وتنتعش معابدها وينمو اقتصادها .

وفي ضوء هذه العلاقة النفعية المتبادلة بين كلا الجانبين ، كانت الصلات والروابط بين الملك والالهة ان تحقق له ما يصبو اليه في حياته الدنيا وحياته في الآخرة ويحدثنا نص للفرعون "رع ميسس الرابع" كتب على لوحة محفوظة بالمتحف المصري تحت رقم (٤٨٨٧٦) عن امنيات ذلك الملك وما يرجوه من المعبود "اوزير" اذ يقول :



(.....) وانت سوف تمنحني الصحة والحياة والعمر الطويل ، ومدته حكم طويلة والقوة في اعضائي والرؤية لعيني والسمع لاذني والسرور لقلبي يوميا وانت تسمح لي بالطعام حتى اشبع، والشراب حتى الثمالة، وانت سوف تعين ذريتي كملوك في هذه الارض الى ابد الابدين، وسوف تمنحني السعادة يومياً، وسوف تسمع صوتي في كل حديث اتحدثه اليك، وسوف تهني فيضان النيل العظيم عن طيب خاطر وسأزودك بالقرايين المقدسة، وسأزود القرايين المخصصة لكل الالهة والالهات ، واحافظ على الثيران المقدسة ، واحافظ على كل الناس في ارضك لانك حقاً خلقتهم جميعاً ، انت لم تتخلى عنهم كي تنفذ خطتك لان ذلك لن يكون حقاً، وانت سوف تصبح راضياً عن ارض مصر في عهدي وانت سوف تضاعف عمري وتمنحني عمرا طويلا مثل حكم الملك "وسر ماع- رع سب ان رع" رعمسيس الثاني الاله العظيم ، لان الاعمال العظيمة والهبات التي اقدمها لمعبدك لامداده بالقرايين وللبحث عن كل شئ طيب وعملا حسن كي اقدمه الي محرابك يوميا " (٣٦).

تلك هي امنيات "رعمسيس الرابع" التي يأمل ان يحققها لو المعبود اوزير ، وفي اطار تلك العلاقة بين الملك والالهة ، كان على الملك بدوره العمل على تحقيق رغبات الالهة ورعاية معابدها وتقديم الهبات والقيام بالاعمال الطيبة التي تدخل السرور على قلب الاله .

فها هو المعبود (آمون) يمدح ابنه الفرعون "تحتمس الثالث" على ما قدمه له فيقول في نص نقش على لوحة للفرعون تحتمس الثالث بمعبد الكرنك ما يلي:

" اني امدك بحمايتي يا ابني .يا ايها الثور الذي يسطع في طيبة ، الذي انجبته من اعضائي الالهية تحتمس المخلد ابدا ، الذي عمل لي كل ما تنوق اليه نفسي فأقمت لي بيتا وهو عمل سيبقى ابدا وجعلته اطول واعرض مما كان عليه من قبل ، ان اثارك اعظم من اثار كل ملك سلف ، انتي راض عنك ، لقد ثبتك على عرش مصر لملايين السنين حتى ترى الاحياء الى ابد الابدين" (٣٧).

وكان الملك يهرع الى الاله متضرعا اذا ما الم به مكروه ما ، او عدم التوفيق في امر هام فيها هو الفرعون "رع ميسس الثاني" يخاطب المعبود آمون متضرعا ايه عندما كاد الا يوفق في احراز الانتصار على اعداءه الحثيين في موقعة قادش فيقول مخاطبا الاله آمون " ماذا حدث يا والدي آمون. هل يهمل الوالد ابنه هل مشيت او وقفت الا وفقا لقولك هل تعديت الخطط التي امرت بها فأين هم من قلبك اولئك الاسياويين التعساء الذين يكرون الاله. وقد ناديتك يا والدي امون عندما كنت وسط الاعداء وعندما دعوت وجدت امون اكثر نفعا من ملايين الجنود" (٣٨).

وتدل الادلة النصية ان الملك بدوره كان يتعرض للعقاب الالهي اذا ما اخطى في حق الالهة ، وهو امر يبدو منطقي في ضوء ما سلف ذكره عن عقاب الالهة لبعضها ، فلماذا ما اصفنا الى ذلك بأن الملك كان واحدا من الالهة وفقا للفكر الديسني عند المصري القديم لذا كان من المنطقي ان يتعرض هة الاخر لعقاب الالهة. وقد يبدو ان للامر وجهاً اخر فالعقاب الالهي للملك لم يكن مسألة دينية فقط ، بل هو مسألة سياسية ترتبط كل الارتباط بلوضع السياسي والتداعيات السياسية الناجمة عنه ، وهذا ما تؤكد هذه الدراسة.

وكان انتهاك حرمة الاماكن المقدسة من اشد الاتام التي يعاقب عليها الملك من الالهة ، إذ تسجل النصوص الادبية المتمثلة في نصائح الى الملك "مريكارع" حادثة تتعلق بانتهاك حرمة المدينة المقدسة (مدينة ابيدوس) خلال الحرب بين طيبة واهناسيا في عصر الاسرتين التاسعة والعاشر اذ يسذكر الملك خيتي الثالث هذا الامر فيقول:

" ان مصر تحارب في الجبانة اني فعلت ذلك وحدث لي ما يحدث لمن يخالف اوامر الاله . انظر لقد حدثت كارثة خلال حكمي . غزي اقليم ثني بسبب ما فعلت ولم اعرف بالأمر الا بعد حدوثه. انظر ان ما فلتته هو السبب فيما لحق بي .

فالضربة ترد بضربة اخرى. مضى جيل من الناس والاله الذي يعلم القلوب لم يختبئ.

تعس هو الرجل الذي ينشد الحرب، فالعدو وسط ارض مصر فنحن نريد جندا  
لاخضاع المحاربين حتى تتحقق النبوءة .

هذه مصر تحارب وسط قبورها لا تؤذ القبور بالحرب لاني فعلت ذلك و لهذا  
استحق ما حل بي من عقاب الاله" (٣٩).

ولم يذكر الملك في النص السالف الذكر نوع هذا العقاب الالهي الذي لحق به  
نتيجة هذا الاثم، ويتضح من خلال كلمته انه كان يعاني الاماً نفسية ويشعر بالمرارة  
والذنب لتدنيس هذه المدينة المقدسة ، إذ كانت مدينة ابيدوس واحدة من اهم المدن  
الدينية عند المصريين القدماء ، ونالت هذه المكانة منذ ان شيد ملوك الاسرة الاولى  
مقابرهم فيها، كما كانت مقراً لمعبد المعبود "ختي امتي" (٤٠) ، وقد اعتقد المصريين  
القدماء ان مدينة ابيدوس مقراً لضريح المعبود "اوزير" اذ نسبوا اليه مقبرة الملك "جر"  
(٤١)، ولهذا صارت مدينة ابيدوس داراً للحج والزياره وكان المصريون القدماء  
يقصدونها لاداء هذه المناسك، وصوروا ذلك على جدران المقابر كما في مقبرة "مري  
روكا" فعلى الجدار الغربي ياحدى غرف هذه المقبرة صور صاحب المقبرة أثناء رحلته  
للحج في مدينة ابيدوس (٤٢):

وعليه شعر الملك "ختي الثالث" بالاسى لما لحق بهذه المدينة ، فصرح بأنه  
استحق عقوبة الاله .

ويبدو ان الملك "ختي الثالث" كان يحاول تبرير سوء الاحوال السياسية في  
عصره بتصريحه بأن الالهة قد غضبت عليه .

ظلت مسألة العقاب الالهي للملك ذات تأثير في الفكر الديني عند المصري  
القديم خلال عصر الانتقال الثالث والعصر المتأخر ، حيث عمل رجال الدين على  
استغلالها للتأثير على العقول والترويج لافكارهم بنشر نبوءات دينية تتضمن بشكل او  
بآخر موضوع العقاب الالهي للملك ، كما استغل الغزاة الاجانب لمصر في العصر  
المتأخر هذه المسألة لتحقيق اهداف سيلية وعسكرية(٤٣).



ويتضح دور الدين والعامل السياسي في موضوع العقاب الالهي للملك "واح كارع" من ملوك الاسرة الرابعة والعشرين والذي كان يسمى كذلك "باك إن رن إف" وقد حكم خلال الفترة من ٧٢٠-٧١٥ ق.م (٤٤).

وكان عام حكمه السادس هو اخر سنوات حكمه كما اشارت الى ذلك احدى لوحات السريوم التي سجلت دفن احد العجول المقدسة في العام السادس من حكمه (٤٥).

وقد ارتبط عهد هذا الملك بالكثير من الروايات التي ظل يتردد صداها حتى العصر اليوناني الروماني ومنها نبوءة الحمل وروايات تتعلق بموته واخرى تتعلق بآتهامه بالكفر وغضب الآلهة عليه، كما كان له دورا في سن تشريع خاص بملكية الاراضي في عهده.

وفيما يتعلق بنبوءة الحمل في عهد هذا الملك ، فقد روح لها كهنة معبد هليوبوليس (٤٦)، حيث تتصل هذه النبوءة بالنبوء بسوء احوال مصر ، كما تنبأت بنهاية حكم هذا الملك الذي حل عليه اللعنات . ومما جاء في نص بردية نبوءة :

"..... افضى حمل باللعنات قال "باسنريس" له ماذا قال الحمل . انذر مصر بالقهر في تسعمائة عام..... انه ادار وجهه الى مصر سيفسح الطريق للغزاة. فعل الكذب وخرق (?) العدالة والقانون . مثلما هو حال مصر ..... سيأخذون مقاصير الالهة المصرية نفسها الى نينوى . والى ارض امور ، انه..... المصريون يذهبون الى ارض سوريا "خارو" يقهرون اقاليمها ، سيجدون مقاصير الالهة المصرية . ..... "وبعد ان استنبأه "الحمل" بسنريس ..... احضر قارباً واسع وبلغ المكان ، حيث كان الملك "بوكخوريس" وقرأ لفافة بردي في حضرة الملك ، اي كل ما هو سي سيصيب مصر ..... قال الملك انظر للحمل ، عسى ان يحضره المرء في مقصورة لعل المرء ان يقده الهأ عسى ان يكون على الارض، فيكون محل اهتمام كما هو مألوف عند الجميع" (٤٧). ومن ناحية اخرى فقد ذكر "مانيثون" ان الملك "باك إن رن

اف" قد احرق حياً من قبل الملك "شيباكا" وهوامر ليس له من دليل يؤيده(٤٨). وقد اتهم الملك "بالك ان رن اف" بالكفر وانه قد اغضب الالهة اذ دفع بالثور المقدس "منيفس" للتناطح مع الثور "باكي" فسقط ضحية لهذا الثور واثار ذلك غضب كهنة آمون وكهنة رع(٤٩).

و كان الملك "باك ان رن اف" مشرعاً اذ اصدر تشريعاً يتعلق بملكية الارض ، حيث كان احتكار ملكية الارض ومنفعتها امتيازاً قاصراً على كبار الكهنة قبل عهده وبمقتضى تشريعه اصبحت ملكية الارض مشاعه واستطاع الملك "باك ان ران اف" بمقتضى ذلك التشريع ان يمحق جذور الامتيازات سواء اكانت دينية ام مدنية وذلك بإثارة نزعة الملكية الفردية وتأكيدھا ويبدو من المرجح ان تشريع الملك "باك ان رع اف" قد اثار حفيظة العناصر الكهنوتية بما فيها الاسرات الطيبة فهذه الافكار التحررية القائمة على العدالة وتجريد القانون من الصفة الدينية التقليدية كان لها دورا في اثاره العناصر الدينية الطيبة .(٥٠)

تلك هي الملابس المتعلقة بعهد الملك "باك ان رن اف" ويمكن ان يكون لها دورا فيما يتعلق بنوأة الحمل خلال عهد هذا الملك ومن ثم كان التنوؤ بسوء احوال البلاد ونهاية حكمه واتهامه بالكفر وغضب الالهة عليه .

واذا اضفنا الى ذلك الاحوال السياسية لمصر حيث كانت مصر على موعد مع حكم جديد يتمثل في عهد الاسرة الكوشية(الخامسة والعشرون)، ومن ثم يبدو دور الكهنة في تشويه عهد هذا الملك والدعاية للعهد الجديد.

وتقدم لنا الحولية الديموطيقية صورة اخرى من صور العقاب الالهي للملك ، وترجع اهمية هذه البردية في انها تمثل مصدرا هاما لدراسة تاريخ مصر السياسي خلال عصر الاسرات من الثامنة والعشرون وحتى الاسرة الثمانون.وهي حقبة لم يقدم لنا المؤرخ "مانتيون" الا القليل عن الحكام وفترات حكمهم(٥١).

وتتكون الحولية الديموطيقية من ثلاثة عشر فصلا وهي تعد نوع من الدعاية الادبية لمرحلة العصر البطلمي(٥٢) .

هذا وقد ورد بالحولية الديموطيقية ما يشير الى العقاب الالهي للملك امون حر الثاني "اميرتايوس" من ملوك الاسرة الثامنة والعشرين ، اذ ذكر بالحولية اعتدائه على احكام القانون ومن ثم عاقبته الالهة بحرمان ابنه من عرش مصر وانزلت عليه اللعنات . ولم تفصح الحولية الديموطيقية عن ماهية المخالفة التي ارتكبها الملك امون حر الثاني واستحق بمقتضاها على العقاب، فربما كان الامر ذات صلة بالمعابد وحرمات الدين او يتعلق بمخالفة سياسية (٥٣).

ومما جاء من نصوص هذه البردية في هذا الصدد ما يلي:

### الفصل السادس

(٢.١) اليوم الأخير من الشهر الذي حدث ، اليوم الأخير من الشهر الذي سيحدث . (تفسير:\_) من خلال الكلام من الاله المذكور أعلاه سوف تتحقق اللعنة التي هو تسبب في جلبها.

(٢.٢) اليوم الأول ، اليوم الثاني ، اليوم الثالث ، اليوم الرابع ، اليوم الخامس ، اليوم السادس من الشهر تم الانتهاء منها .

الفترة الزمنية الاولى انتهت . تفسير :\_ الفرعون اميرديس (اميرتايوس).

### الفصل العاشر: \_

(٣.١٨) الأمس-الذي مر بواسطة

تفسير: \_ الحاكم الأول الذي أتى بعد الأجانب الذين يكونوا الميدين (الفرس) كان الفرعون أميرديس (أميرتايوس). (٣.١٩) هم وجدوا القانون في عهده . لذلك هم سمحوا بمروره بالأمس ، هو لم يعطي الحكم لابنه بعده.

(٣.٢٠) اليوم الحاضر- الذي حدث



تفسير: الحاكم الثاني الذي أتى بعد الميدين ، أي الفرعون "نفي-ورت" (نفرتيس الأول) ، بعد أن فعل (٣.٢١) ما فعله بضمير ، تم السماح لابنه بأن يخلفه . هو فقط أعطى وقت قصير لنفسه بسبب التجاوزات العديدة التي بدأت في عهده.

#### (٣.٢٢) اليوم الحاضر - الذي حدث

تفسير: لأن الأشياء التي قالوها اليوم التي أمروا بها سوف تحدث في المستقبل.

#### (٤.١) الحاكم الأول

تفسير: (هذا الذي يعني) الأول الذي أتى بعد الميدين ، كما امر ؛ القوانين لم تكن سنت؛ الناس رأوا الذي فعلوه له ، هم لم يدعوا ابنه يتبعه (٤.٢) بالاضافة إلى ذلك ، فقد تسبب هكذا أنه نفسه قد فقد العرش اثناء حياته. (٥٤)

ومن ناحية اخرى كانت الالهة تعاقب الحكام الاجانب الذين يرتكبون اثماً في حق هذه الالهة اذ يحدثنا "لوح اسرائيل" من عهد الملك "مرنبتاح" عن حروبه ضد الليبين ، وان ألهة منف قد عاقبت الحاكم الليبي الذي اخطأ في حقها وفعل الشر ضدها ، اذ جاء بالنص ما يلي:

"..... انه (الامير الليبي) في قبضة الالهة سادة منف ..... ان سيد مصر انزل اللعنة على اسمه انه (مري) مكروهاً في منف ، ان التحنو اهلكت في عام واحد لان "ست" ادار ظهره لزعميمهم وضرب مساكنهم . ان عين كل اله تطارد من يتعدى عليها . ان (مري) هو الذي فعل الشر ودمر الاشياء ، ضد كل اله في منف . وقد اعلنوا التاسوع المقدس مذنباً بسبب جرائمه " (٥٥).

هذا وقد ورد بالحولية الديموطيقية اشارة الى ما يتعلق بمراسيم الملك "قمبيز" للمعابد وانه قد فرض الضرائب على معابد منف فغضبت الالهة عليه وتوعدته بالهلاك وانه لن يصبح قادراً على العودة لوطنه (٥٦) .

ومن ناحية اخرى فقد اشار هيرودوت في روايته ان الملك "قمير" ارسل بالقوات الى واحة سيوة لتحطيم معبد امون لان كهنة امون قد تبنوا بسوء المصير "قمير" وفتوحاته فأرسل عليهم المعبود امون غضبه وشتت شمل جيشه(٥٧).

تلك هي صورة عن العقاب الالهي للملك في مصر الفرعونية التي امكن حصرها.

ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد ان مسألة توقيع العقوبة الالهية على الحاكم كانت امراً يختلف في مصر الفرعونية عنه في بلاد العراق القديم . فالعقوبة الالهية على الملك في مصر كانت توقع على شخص الملك اذ يتحمل بمفرده العقاب الالهي له ، في حين ان الامر يبدو مختلفا تماما عن خلك في بلاد الرافدين فالعقوبة الالهية في حال خطأ الملك كانت توقع على الشعب فيصبح ضحية لخطيئة الملك وهو ما اكدته "لعنة اكد" حيث تنسب سقوط ودمار مدينة "اكّد" الى غضب الاله "انليل" على الملك " نارام سن" الذي قام بنهب مدينة "نفر" وانتهك حرمة هذه المدينة المقدسة فدنس اراضيها واطّأ في حق حرم الاله "انليل" فغضب عليه وقرر لانتقام بأن ارسل الغزاة الجوتيين وانزلهم من مواطنهم الجبلية لتدمير مدينة "اكّد" والتأر لمعبده . كما ان مجمع الاله السومري القى باللعنات على مدينة "اكّد" وقدر لها ان تبقى مقفرة الى الابد(٥٨)

وعليه يمكن القول بأن مسألة العقاب الالهي للملك في مصر الفرعونية كانت تتفق وفكر المصري القديم فيما يتعلق بالحاكم ودوره في درء الاخطار عن ارض مصر وحماية شعبها ، لذا فالعقاب الالهي للملك يوقع على شخص الملك فقط وليس على شعبه كما في بلاد العراق القديم. وهذا بدوره يمثل قمة الرقي الفكري للمصري القديم





## النتائج:

تؤكد الدراسة على اهمية العامل الديني عند المصري القديم حيث اثر الدين على معتقدات وافكار المصري القديم منذ ان بدأ يخطو اولى خطواته في مسار الانسانية والحضارة .

كما تؤكد الدراسة على ايمان المصري القديم بمسألة العقاب الالهي فالمصري القديم كان يؤمن بقدرة الالهة على العقاب ودورها المؤثر في حياته الدنيا وحياته في العالم الاخر.

تظهر الدراسة محاولات المصري القديم لتجنب غضب الالهة وعقابها من خلال رسم الطريق المستقيم كما جاء في الحكم والمواعظ الادبية ، وكذا التضرع للالهة لاكتساب رضاها وكذلك التهديد بالعقاب الالهي كمحاولة لدرء الاثام والاعطاء.

تدل الدراسة على تعدد اسباب العقاب الالهي فمنه اسباب دينية واخرى سياسية وثالثة اقتصادية .

توضح الدراسة كيفية استغلال رجال الدين لمسألة العقاب الالهي للمملك للترويج نبوءات سياسية تهدف الى تحقيق اغراضهم .

تؤكد الدراسة ان مسألة العقاب الالهي للملك في العصر الانتقالي الثالث والعصر المتأخر اصبحت مسألة ترتبط كل الارتباط بالناحية السياسية واحوال البلاد.

تظهر الدراسة ان العقاب الالهي للملك في الاسرة الفرعونية كان يحل على شخص المملك وهو امر يختلف تماما عن بلاد العراق القديم ، حيث يحل العقاب الالهي على الشعب.



## المراجع

١. احمد امين سليم ، سوزان عباس عبداللطيف : دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الادنى القديم. حضارة مصر القديمة ، الاسكندرية، ٢٠١١، ص ٢٤٣.
2. Trigger ,G.B., Early civilization . Ancient Egypt in context . The American Univeristy in Cairo Press , 1993,p47.
٣. احمد امين سليم ، سوزان عباس عبد اللطيف ، المرجع السابق ص٢٣٤-٢٥٠.
4. Lichtheim . M.,Ancient Egyptian Literature vol ll:The Newkingdom ,London , 1976 p,137f.
5. Zandi J.,Death As An Enemy according To Ancient Egyptian coneceptions , Leiden , 1960,p.223.
6. Boochs,w.,Strafen, LA , vl , 1986,p69
7. Widson, A.j ., The oath in Ancient Egypt , JNES,3,1948 p.129.
8. Bruner , H, Blindheit, LA,i1975P.828.
9. Galdan,J.M.,seeing Darkness,CDE,74,1999,p.18ff.
10. Brune r,H.,op . CIT,P.828
11. Westendorf, W.,Gesundheit,LA,III,1980,p.885.
١٢. ادولف ارمان، ديانة مصر القديمة و ترجمة ومراجعة، عبد المنعم ابوبكر . محمد انور شكري ، القاهرة ، ١٩٥٢، ص١٦٠.
١٣. ادولف ارمان ، المرجع السابق ص ١٦١.
14. Lichtheim,M.,op.Cit,vol II,P.198-199.



15. Simpson, K. W., *The Literature of Ancient Egypt*, London, Zoo3, p.132-133.  
Lichtheim, M., op. cit, vol I, p61-76
16. Hart, G., *A Dictionary of Egyptian Gods and goddesses*, London, 1986, p.187
17. Breasted, H.J., *The Edwin Smith Surgical Papyrus*, vol.2, Chicago, 1930, p475-476
18. Siegeberg, W., *Horus als Arzt*, ZAS, 57, 1922, p.70-71
19. Kichen, K.A., *Egyptian Hymnology*, London, 1986, T no 20
20. Willens, H., *Crime, Cult and Capital Punishment* Mo, alla imcription, JEA, 76, 1990, p.36.
21. Janssen, J., *The Smaller Dakhla Stela*, JEA, 54, 1968, p.167.
22. Ramadan ELsayed, *Document Relatif A Saïs et ses divinites*, BDE, 69, 1975 p.43.
23. Hornung, E., *Idea into image*. Translate by E. Bredeck, London, 1922, p.99-100.
24. Hornung, E., *The Ancient Egyptian Books of The Afterlife*, translated from Germany by David Lorton London, 1999, p.83ff.
25. Lichtheim, Mm VOL2, p.222.

٢٦. برت ام هرو: كتاب الموتى الفرعوني ز عن بردية آني ترجمة فليب عطية  
، القاهرة، ١٩٨٨، ص ١٢٨-١٢٩.

27. Simpson, K. W., op. cit, p. 91ff.

٢٨. جيمس هنري برستد: فجر الضمير. ترجمة سليم حسن. القاهرة، ١٩٩٩، ص ١١٤-

١١٩.

29. Mojsov, B., Osiris. The Death and ofte life of a god , oxford , 2005, p.26.

30. Simpson , K. W op. cit , p. 91ff

31. Englund , G., "The Border and The Yonderside " oi uchicago , edu, no58, 1999, p.105

32. Frankfort, H., Kingship and The Gods, Chicago, 1948, p.45.

33. Shaw, T., The oxford History of Ancient Egypt , Oxford Universty Press, 2000 p.81

34. Bestock , L., The Devolpment of Royal Funerary Cult at Abydos . two new funerary Enclosures From Thhe Reign of Aha Newgork, 2007 p.15-16.

Logon, J. T., Royal iconography of Dynasty 0 , oi.uchicago.....edu 58, 1999, p. 270.

35. Wilkinson, A. T. Early dynastic Egypt, London, 1999 p.127

36. Peden .A., The Reign of Ramesses Worminster, 1999 p.91-94 .

37. Lichtheim, M., op. cit, vol 2 p. 38.

38. Ibid , p.65-66



39. Simpson, K. W., op. cit, P.153.165  
Lichtheim, M., op. cit, vollp.97-102
40. Bestock, L., op. cit , p.1-5
41. Mojsov , B., op. cit , p.15-16
42. Kanawati, N., Mereruka and The King teti . The Power behind The Thorne. Cairo, 2007, p.61ff
43. Moret, A., De Bocchoris Rege, Parise , 1903, p.84
44. Kitchen, K.A., The Third intermediate Period in Egypt. (1100-650) B.C. , Oxford, 1973, 377.
45. BAR, IV , P.447.
46. Koenen, L., A supplements Note On The Date Of The Oracle of The Ptter , ZPE, 54, 1984, p.  
كُتِبَتْ هَذِهِ الْبُرْدِيَّةُ بِالْخَطِّ الدِّيمُوطِيْقِيِّ وَهِيَ مَحْفُوظَةٌ فِي الْمَتْحَفِ الْقَوْمِيِّ بِفَيْنَا تَحْتَ رَقْمِ  
d10000
47. Zauzich, K., Das lammn des Bokchoris, P. Roiner Cent .3, 1983 p.167-179.
48. Kitchen , K.A, op.cit, p.377
49. Moret, A., op.cit, p.21-22
٥٠. عادل سيد مصطفى - باكرنف ، ملكا وقاضياً ومشرعاً، القاهرة ١٩٩٩ ص  
١٠٢-١٠٨.
51. Jnson J.H., The Demotic as an Historical Source, Enchoria, 4, 1974, p.1
52. Idm , multiple meaning and Ambiculi in The Demotic chronicle. Studes in Egyptology presented to Miriam lichthim , vol I , 1990, p.494.



53. تحفظ الحولية الديموطيقية تحت رقم ٢١٥ في المكتبة الوطنية بباريس .
٥٤. محمد بيومي مهران ز مصر و الشرق الادنى القديم الجزء الثالث الاسكندرية  
٢٠٠٤، ص٦٨٢-٦٨٣.
55. Spiegelberg, w., Die sogonannte Demotische Chronik, Lepizg 1914, p.7-22
56. Wilson, J., Hymon of Victory of Mer , ne ptah. (The isral stela) ANET, P.377
57. Bresciani, D., Demotic chronicle Enesclopedia iranica, vol 7, 1994, p.276-277
٥٨. محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٦٦٦
٥٩. صموئيل نوح كريم ز السومريين تاريخهم وحضارتهم ز ترجمة فيصل الوائلي ، العراق  
١٩٨٥، ص٨٢-٨٣.
- Pittman, H., Ancient Art In Miniature: NearvEastern seals from the collect of Martin and sarah Gherkasky .  
Newyork, 1987 , p.24.



موانئ التعدين في شبه جزيرة سيناء  
"دراسة في جغرافية النقل البحري"

دكتور/ أيمن عبد المطلب التمامي

مدرس بكلية التربية بالعريش - جامعة قناة السويس





## مقدمة

تعد شبه جزيرة سيناء إحدى مناطق التعدين المهمة في مصر ، و تمثل مواردها التعدينية أساسا اقتصاديا باعتبارها أحد محاور التنمية بالاقليم ، حيث كانت مسرحا للتعدين و التججير منذ القدم (معهد التخطيط القومي، ٢٠٠٧، ص١٦٦) ، ويتطلب التعدين توافر وسائل عدة أهمها الموانئ البحرية و التي تنقل منتجاته إلي الداخل و الخارج ، حيث يشكل النقل البحري محورا رئيسيا في دورة العملية الاقتصادية و العلاقات الدولية (Moreby, 1985, p.13) ، فالميناء هي الأسلوب الاقتصادي لاستثمار موقع ساحلي لخدمة التجارة للدولة صاحبة الميناء (Fielding, 1982, p.13) و غيرها من الدول ، كما تمثل الموانئ و تخطيطها مقياسا مهما من مقياس التطور الاقتصادي (محمد رمضان، ٢٠٠٢، ص٦٠) .

و تصنف موانئ التعدين في شبه جزيرة سيناء بأنها ليست موانئ بالمعنى المفهوم، فهي صغيرة الحجم و مجرد مراسي صغيرة غير جيدة التجهيز بوسائل المناولة و الشحن الحديثة مما يزيد من تكلفة نقل المواد المصدرة و يقلل من فرصتها علي المنافسة عالميا ، و يستلزم هذا الأمر تحسين و تطوير هذه الموانئ ، مع ربطها بشبكة الطرق البرية القريبة من مراكز التعدين و نقل الخامات بهدف تشجيع عمليات التصدير (أحمد دردير، ٢٠٠١، ص٨٣) .

أهمية الموضوع : تتضح أهمية موانئ التعدين في سيناء فيما تقدمه لحركة الاستثمار التعدين و الصناعي بها علي النحو الآتي :

١- تسهم في استثمار الخامات التعدينية و منتجاتها بسيناء لتسوق داخل مصر وخارجها .

٢- تؤدي إلي إيجاد علاقة حيوية بينها و بين الداخل " الظهر "

. Hinterland

- ٣- تربط بين التجارة الخارجية المنقولة بحرا و تلك المنقولة برا ، و بالتالي اتساع دائرة السوق أمام منتجات الإقليم التعدينية .
- ٤- تقوم بدور واضح في التخطيط الإقليمي و التنمية الشاملة .
- ٥- تشجع علي إنشاء مراكز استثمار تعديني و صناعي في مناطق جديدة بالإقليم .

مشكلة البحث : تتمثل مشكلة موضوع البحث فيما يلي :

- الإمكانيات المحدودة لموانئ التعدين في سيناء .
  - الاستثمار غير المناسب لموارد سيناء التعدينية .
  - تحديد أساليب النهوض بقطاع التعدين و الموانئ في سيناء .
- الأهداف : يهدف البحث إلي الآتي :
- دراسة موانئ التعدين في سيناء .
  - الوقوف علي كفاءة موانئ التعدين للقيام بمهامها في شحن الخامات والصناعات التعدينية .

- جذب الانتباه إلي أهمية إقطاع التعديني في سيناء باعتباره قاطرة التنمية بها .

مناهج البحث: اعتمدت الدراسة علي المنهج التاريخي عند تتبع نشأة الموانئ التعدينية واستثمار خامات المعادن في سيناء ، والمنهج الموضوعي في دراسة الظاهرة وتوزيعها الجغرافي ، مع تحليل البيانات الخاصة بصادرات الموانئ من الخامات التعدينية وعدد من الصناعات القائمة عليها ، واستخدام عدد من الأساليب الكمية والكارتوجرافية والصور الفوتوغرافية والمرئيات الفضائية .

أسباب اختيار الموضوع: تم اختيار هذا الموضوع لعدم تناوله من قبل جغرافيا بشكل صريح، إضافة إلي أهمية قطاع التعدين و دوره في تنمية إقليم سيناء بالاعتماد علي خامات الوفرة التي يتم تصديرها بالإضافة إلي قيام عدد من الصناعات التعدينية .

الدراسات السابقة : تعرضت دراسات سابقة لقطاع الخامات التعدينية و موانئ التعدين في سيناء ، منها دراسات من قبل جغرافيين تناولت هذا الموضوع ضمن الإقليم ككل أو جزء منه ونذكر منها رسائل ماجستير عن: الجغرافيا الاقتصادية



لمحافظة شمال سيناء "عبد الرحمن إبراهيم، ١٩٩٠"، و الجغرافيا الاقتصادية لشبه جزيرة سيناء "سحر عبد الوهاب، ١٩٩٢"، و مجتمعات التعدين في شبه جزيرة سيناء "أحمد ندا، ٢٠٠٠"، و تطبيق نظم المعلومات الجغرافية لاختيار مواقع التنمية العمرانية بشمال سيناء "سامح عباس، ٢٠٠٠"، و جغرافية التنمية الاقتصادية في محافظة جنوب سيناء "جيهان عبد العزيز، ٢٠٠٣".

ووجدت دراسات قامت بها هيئات متخصصة مثل : دراسة عن الحجر الجيري والطفلة "الهيئة العامة للمساحة الجيولوجية، ١٩٨٥"، و تقرير المعلومات الأساسية عن خامات الثروة المعدنية في سيناء "مركز معلومات مجلس الوزراء، ١٩٩٢"، و تقرير عن المعادن في سيناء "الهيئة العامة للمساحة الجيولوجية، ١٩٩٦"، و دراسة تقييم رواسب الطفلة الكربونية بغرب ووسط سيناء "الهيئة العامة للمساحة الجيولوجية و أكاديمية البحث العلمي، ١٩٩٨"، بالإضافة إلي كتاب موارد الثروة المعدنية و إمكانات التنمية في مصر "أحمد دردير، ٢٠٠١"، و كتاب الموارد المعدنية و آفاق تنميتها حتى عام ٢٠٢٠ "عاطف هلال، ٢٠٠١". إضافة إلي عدد من الدراسات الصادرة، عن إدارتي المحاجر بمحافظة شمال سيناء وجنوب سيناء و عدد من الشركات العاملة في قطاع التعدين بشبه جزيرة سيناء

منطقة الدراسة : تقع سيناء في الركن الشمالي الشرقي لمصر بين دائرتي عرض ١٥ ٢٧ و ٢٠ ٣١ شمالا وخطي طول ١٠ ٣٢ و ٣٠ ٣٤ شرقا وامتدادها الشمالي الجنوبي ضعف امتدادها الشرقي الغربي "٤٠٠ كم مقابل ٢٠٠ كم تقريبا" و تشغل حوالي ٦% من مساحة مصر ، و تحيط المياه بسيناء من جميع الجهات عدا الحد السياسي لمصر مع فلسطين المحتلة بطول ٢١٠ كم ، و تتوزع بها موانئ التعدين علي سواحلها المطلة علي البحر المتوسط و خليج السويس . وتأخذ شبه جزيرة سيناء شكل مثلث قاعدته في الشمال علي البحر المتوسط بطول ٢١٠ كم ، ورأسه في الجنوب عند رأس محمد ، و ضلعه الغربي يمتد مع قناة السويس بطول ١٦٠ كم وخليج السويس بطول ٢٧٥ كم من بورتوفيق إلي شرم الشيخ ، و ضلعه الشرقي بطول ١٨٠ كم علي خليج العقبة من شرم الشيخ إلي طابا و منها إلي رفح كحدود برية .

عناصر البحث - و تتمثل فيما يلي :

أولا : موانئ التعدين "الموقع - التجهيزات" .

ثانيا : التوزيع الجغرافي للخامات التعدينية .

ثالثا : استثمار المعادن و موانئ التعدين في سيناء .

رابعا : العلاقات المكانية لموانئ التعدين في سيناء و حجم الحركة فيها .

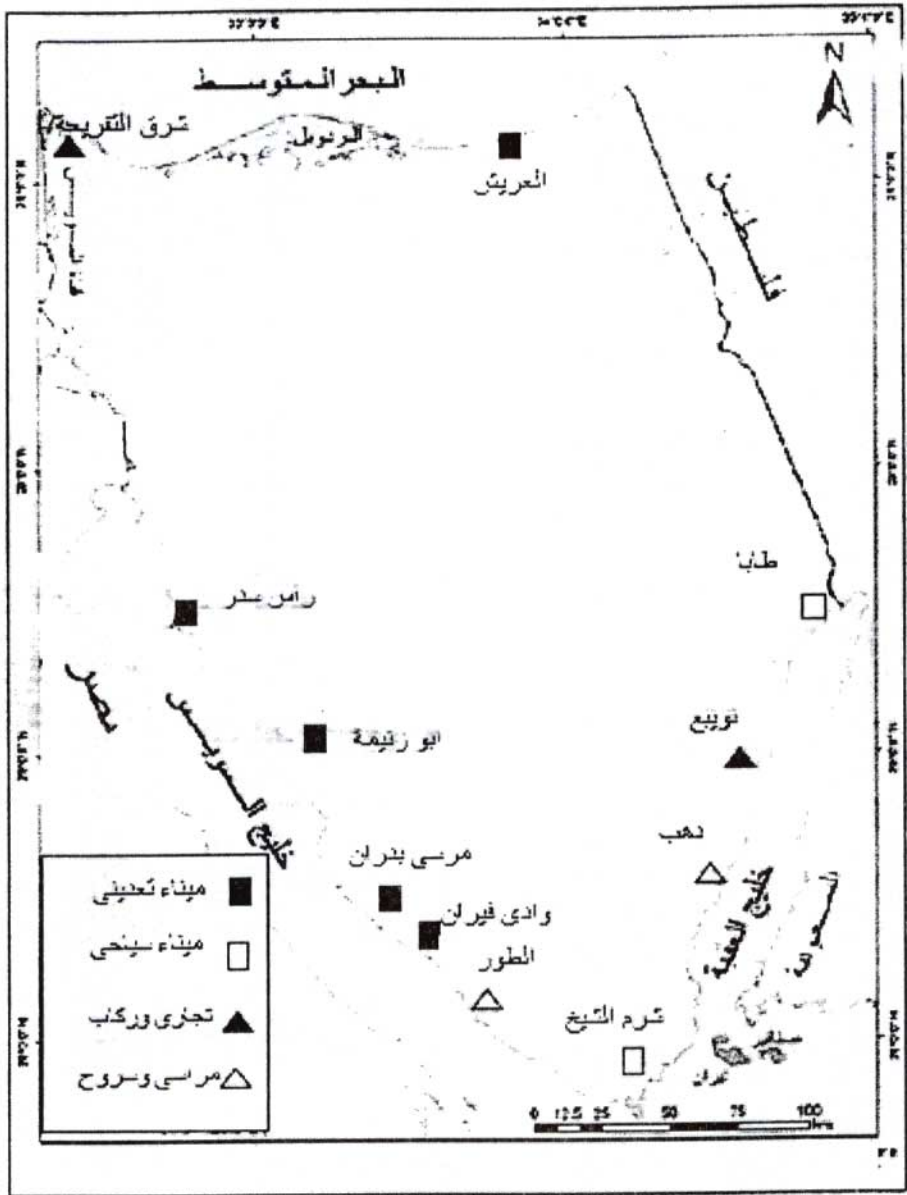
خامسا : مقترح لخريطة الاستثمار التعديني في سيناء .

و فيما يلي دراسة العناصر السابقة بالتفصيل :

أولا : موانئ التعدين "الموقع - التجهيزات" :

تتتمي الموانئ التعدينية في مصر إلي ما يعرف باسم الموانئ التخصصية وهي تلك الإنشاءات المقامة علي السواحل المصرية أو في المناطق الاقتصادية بغرض استقبال سفن الصيد أو ناقلات البترول أو المواد التعدينية أو اليخوت السياحية أي أنها موانئ ذات طبيعة خاصة ، و يأخذ في حكمها أيضا المنصات البحرية والأرصفة التخصصية داخل حدود الموانئ العامة . و يبلغ عدد الموانئ التخصصية في مصر ٤٥ ميناء تتوزع تبعا لوظائفها إلي ١٩ ميناء تعديني و ٥ موانئ سياحية و ٤ موانئ للصيد و ١٧ نقط سروح " أرصفة محدودة الإمكانيات" .

وتتوزع علي سواحل سيناء ١١ ميناء بحري متنوعة الاستخدام منها : ٥ موانئ للتعدين شكل (١) و هي : أبو زنيمة و العريش و رأس سدر و مرسي بدران ووادي فيران و الميناءان الأول و الثاني تعدينيان ، و الثلاثة الأخيرة بترولية ، وميناءان سياحيان في شرم الشيخ و مارينا مرتفعات طابا ، و ميناءان كمركسي ونقط سروح في الطور و دهب، فضلا عن الميناء التجاري بشرق التفريعة ، وميناء نقل الركاب و البضائع "تجاري" بنويبع ، و الجدول (١) يوضح توزيع موانئ التعدين بسيناء .



المصدر: من اعداد الباحث

شكل ( ١ ) الموقع العلم لموانئ سيناء



جدول (١) التوزيع الجغرافي و إحدائيات الموقع لموانئ التعدين بسيناء

الاسم	الوظيفة	المنطقة الإدارية	الموقع الجغرافي	إحدائيات الموقع		الأرصفة		متوسط العمق .م
				خط طول	دائرة عرض	عدد	طول م.	
العريش	متنوع	ش سيناء	البحر المتوسط	٠ ٣١ ٠ ٠٩	٠ ٣٣ ٠ ٤٩	٢	٣٦٦	٦
رأس سدر	بترولي	ج سيناء	خليج السويس	٠ ٢٩ ٠ ٣٤	٠ ٣٢ ٠ ٤٢	٣	٧٩٧	١٠٥
أبو زنيمة	تعديني	ج سيناء	خليج السويس	٠ ٢٩ ٠ ٠٢	٠ ٣٣ ٠ ٠٧	٢	١٠٨	٧
بدران	بترولي	ج سيناء	خليج السويس	٠ ٢٨ ٠ ٥٦	٠ ٣٢ ٠ ٠٧	٢	٩٣٠	١٨٠٥
فيران	بترولي	ج سيناء	خليج السويس	٠ ٢٨ ٠ ٤٤	٠ ٣٣ ٠ ١١	٥	٢٣٩٧	١٣

المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا علي بيانات قطاع النقل البحري بوزارة النقل، ٢٠١٢، و متوسط العمق من حساب الباحث .

- العوامل التي أثرت علي التوزيع الجغرافي لموانئ التعدين بسيناء :

١- الموقع : تتميز سيناء بكونها تأخذ شكل شبه جزيرة بمساحة ٦١ ألف كم<sup>٢</sup>، و بطول سواحل ٨٧٠ كم ، و بالتالي يقابل الكيلو متر الطولي من حدودها البحرية نحو ٧٠ كم<sup>٢</sup> من مساحتها ، بينما تبلغ في مصر كلها ٣٤١ كم<sup>٢</sup> ، و لذلك تعد من أكثر مناطقها قيمة اقتصادية و أهمية عمرانية و إستراتيجية ، مما سمح بإنشاء الموانئ التعدينية علي سواحلها .

٢- شبكة الطرق البرية : تعكس الطرق حجم المجتمعات و كثافتها و تطورها ، و في سيناء كانت الطرق أكثر كثافة في الشمال و الغرب بسبب طبوغرافية السطح و مناخ تلك المناطق في جذب السكان منذ القدم ، و بعد زيادة الحركة السياحية إلي سيناء في العقود الأخيرة خاصة في قسمها الجنوبي ازداد الاهتمام بحركة النقل فيها ، و

قد بلغ مجموع أطوال الطرق بها ١٦٤٣١ كم منها ٢٣% طرق مرصوفة من الدرجة الأولى، و٣٣% طرق مرصوفة من الدرجة الثانية، و تمثل النسبة الباقية ٤٤% الطرق الترابية. و وصلت كثافة الطرق إلي ٠.٢٧ كم/كم<sup>٢</sup>.

و أهم هذه الطرق : الطريق الساحلي الذي يصل بين القنطرة و رفح بطول ٢٠٥ كم ، و طريق الوسط الشمالي الذي يصل بين الاسماعلية و العوجة بطول ٢٣٢ كم، و طريق الوسط الذي يصل بين الشط في شرق مدينة السويس و طابا علي خليج العقبة بطول ٢٢٥ كم ، و طريق العريش - وسط سيناء الذي يتفرع عند بير لحفن إلي طريقين : الأول يتجه شرقا إلي القسيمة بطول ٩٠ كم ، و الثاني يتجه جنوبا إلي نخل بطول ١٥١ كم ، و الطريق العرضي أبو رديس - نوبع الذي يمر بسانت كاترين بالإضافة إلي الطريق الساحلي الجنوبي الذي يبدأ من الشط عند رأس خليج السويس و يتجه جنوبا مارا بعيون موسى و موانئ : رأس سدر و أبو زنيمة و بدران و وادي فيران ثم مدينة الطور و رأس محمد و شرم الشيخ و بعدها يتجه شمالا موازيا لخليج العقبة إلي نبق و ذهب و ينتهي عند طابا (نادين العثمان، ٢٠١١، ص ٢٤١).

و بالتالي تتمتع سيناء بشبكة طرق برية جيدة تربط بين أوصالها لتصل بين مناطق الاستثمار بها و منها التعدين و بين سواحلها خاصة الغربية علي خليج السويس المواجهة للمعمور المصري و التي تقع أيضا في طريق الممر الملاحي لقناة السويس حيث موانئ : رأس سدر و أبو زنيمة و بدران و وادي فيران ، كذلك ساحلها الشمالي حيث ميناء العريش، مما يسهل نقل منتجاتها التعدينية إلي الداخل و الخارج .

٣- الخطوط الملاحية : يخدم حركة النقل البحري في مصر ٣٨ خطا ملاحيا ، حيث تتردد السفن بصورة منتظمة علي موانئها الواقعة علي البحرين المتوسط و الأحمر ، هذا بجانب تلك السفن الجواله التي ترسو بصورة غير منتظمة ؛ و تتسم سواحل سيناء بامتدادها علي طول معظم تلك الخطوط الملاحية و التي تربط موانئ مصر بدول العالم، و ساعد علي ذلك موقعها بالنسبة لقناة السويس التي تعد من الممرات الملاحية المهمة



في العالم ، و لذلك أصبح من اليسير أن تدخل موانئ سيناء التعدينية في منظومة النقل البحري (وزارة النقل، ٢٠١١، ص١١).

٤- توزيع المعادن : تعد سيناء إقليميا منتجا للمواد الأولية المعدنية و التي يجري لبعضها تغيير محدود في شكلها حتى تكون جاهزة للنقل إلي الداخل أو الخارج ، و تتناثر المعادن في جميع أراضيها ، و إن تركزت في الشمال و الوسط و الجنوب الغربي ، و لذلك كان ميناء العريش في الشمال علي البحر المتوسط ، و موانئ : رأس سدر و أبو زنيمة و بدران و وادي فيران في الجنوب الغربي علي ساحل خليج السويس، حيث يتم اختيار مواقع الموانئ بالقرب من مناطق التعدين (كارلين أولين، ١٩٩٦، ص٣٢٩).

### - خصائص الموانئ :

#### ١- ميناء أبو زنيمة :

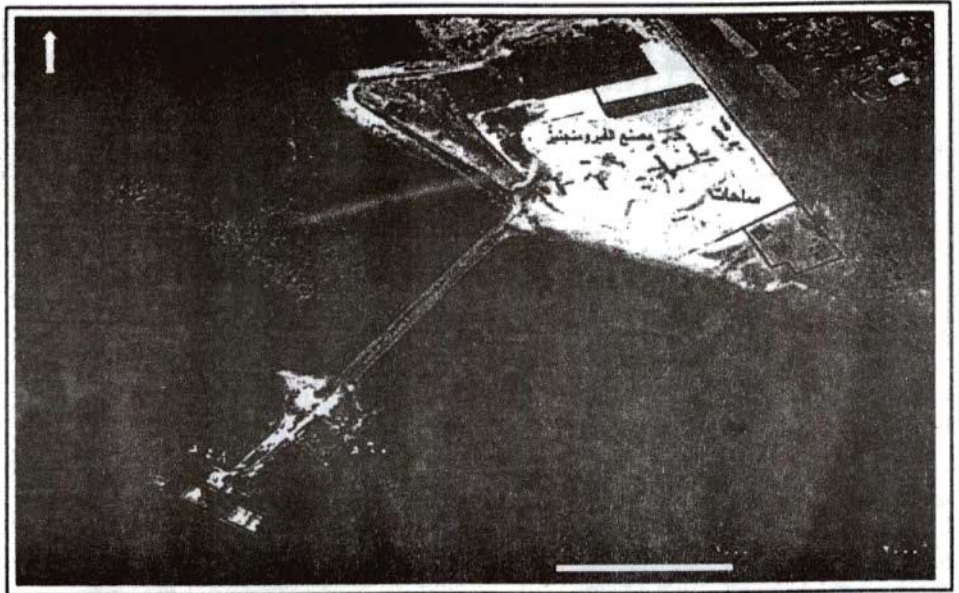
عرفت ميناء أبو زنيمة منذ عهد الفراعنة بأنها ميناء الفيروز والمنجنيز والنحاس والتي كانت تنقل منه إلي طيبة "الأقصر" وباقي أنحاء مصر ، و تم إعادة العمل بالميناء حديثا عام ١٩٦٣، ثم أعيد افتتاحه مرة أخرى عام ١٩٨٤ بعد الانسحاب الاسرائيلي من سيناء حيث يتداول به خامات شركة سيناء للمنجنيز.

الموقع : يقع الميناء علي الساحل الشرقي لخليج السويس بمحافظة جنوب سيناء إلي الجنوب من مدينة رأس سدر بمسافة ٨٠ كم ؛ عند التقاء دائرة عرض ٠٢ ° ٢٩ ° شمالا مع خط طول ٠٧ ° ٣٣ ° شرقا ويتبع الهيئة العامة لمواني البحر الأحمر.

الخصائص : يتكون الميناء من رصيفين من البلوكات الخرسانية سابقة الصب بطول ١٠٨ م ، و يعد الرصيف الذي تم بناؤه عام ١٩٩٢ هو الرصيف الرئيسي بطول ٤٨ م و عرض ١٥ م و عمق ١٠ أمتار ، أما الرصيف القديم فبطول ٦٠ م و عرض ٨ م و ٣٠ م و غاطس ٤ أمتار ، والرصيفان مزودان بحاميات مطاطية وشمندورات رباط. و تبلغ مساحة الميناء البحرية ٢٧٠ ألف متر ٢ ، و قدرته الاستيعابية تتراوح بين ٤٠٠



و ٥٠٠ طن/ساعة ، و يعمل علي مدار اليوم ، وهو محمي من جميع اتجاهات الرياح عدا الرياح الغربية ، و يحتوي علي أبراج و فوانيس تحذيرية لتأمين الدخول ، كما يحتوي علي عدد ٢ سيور ناقلة للشحن ، و كباشات في حالة استخدام أوناش السفن ، وتتوافر المون من السويس عن طريق وكلاء السفن (الهيئة العامة لموانئ البحر الأحمر، ٢٠١٢، ص٨) شكل (٢) .



Resource: Google-Imagery, Digital Globe, Terra Metrics, Map data2013

شكل (٢) ميناء أبو زنينة - أطوال الأرصفة و تجهيزات

٢- ميناء العريش :

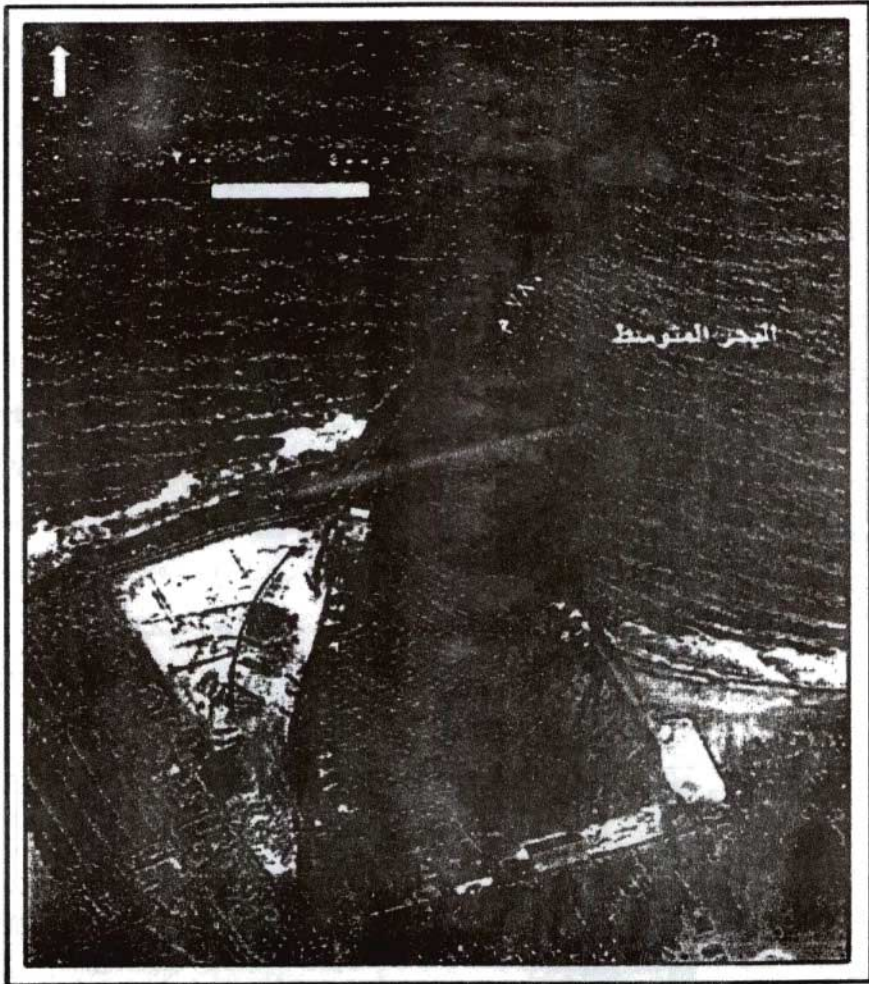
تعد ميناء العريش الوحيدة في شمال سيناء علي البحر المتوسط قبل إنشاء ميناء شرق بورسعيد ، و ظل حتي عام ١٩٨٣ مرسى صغير لسفن الصيد ، و تم الانتهاء من

المرحلة الأولى لتطويره عام ١٩٨٤ وفي عام ١٩٨٧ انتهت المرحلة الثانية ليصبح ميناء صالحا لخدمة أنشطة الصيد تحت إدارة محافظة شمال سيناء ، و ظل كذلك حتي عام ١٩٩٦ حيث أصبح تابعا لهيئة ميناء بورسعيد ، والتي قامت بإعداده لاستقبال السفن التجارية بتنفيذ عدد من الأعمال كتهيئة الساحات وهامات الأرصفة و تجهيز مباني الأجهزة الحكومية و شبكة الإنارة والأسوار وغيرها ... واستقبل الميناء أول سفينة في أغسطس ١٩٩٦ حيث تم شحنها بالفحم إلي تركيا شكل ( ٣ ) .

الموقع : يقع الميناء شمال مدينة العريش في منطقة أبوصقل علي مسافة ٥٠٠ م من الطريق الرئيسي القنطرة شرق - رفح ، و يقع الميناء مع تقاطع خط طول ٤٩ ° ٣٣ شرقا مع دائرة عرض ٠٩ ° ٣١ شمالا . و يتصل الميناء بشبكة طرق مرصوفة تربطه بحدود مصر الدولية مع فلسطين ، وكذا المحافظات المختلفة عن طريق معابر قناة السويس ، بالإضافة إلي مطار العريش الذي يبعد ١٠ كم من الميناء .

الخصائص : - تبلغ مساحة الميناء الأرضية ١٨٠ ألف م<sup>٢</sup> ، و تصل مساحته البحرية ٥٠ ألف م<sup>٢</sup> ، كما تبلغ الكثافة النسبية لمياه الحوض ١.٠٠٣ جم/سم<sup>٣</sup> ، و يتراوح معدل المد و الجزر من ٠.١٥ إلي ٠.٦٥ م علي مدار العام ، و قد صمم الميناء بطاقة تداول ١.٢ مليون طن سنويا ، و متوسط غاطس ٦ م بحمولة تصل إلي ١٥ ألف طن . و منطقة الاقتراب للميناء من جهة البحر عبارة عن خط وهمي يصل بين نهايتي حاجزي الأمواج الشرقي "٢٦٠م" والشمالى الغربي "٧٨٠م" بطول واحد ميل بحري ، و الممر الملاحي عبارة عن بوغاز للدخول والخروج بطول ٥٠٠ م و عرض ١٠٠ م وعمق متوسطه ٩٠ م ، و يحدده ببيكون إضاءة للحاجز الشرقي و آخر للحاجز الشمالى الغربي مع الإرشاد الإبحاري و يتم القطر بقاطرات تابعة لهيئة ميناء بورسعيد بقدره ٢٤٠٠ حصان لتقديم الدعم و الإنقاذ مع وجود فئار بارتفاع ٣٧ م ليرشد السفن لمدي ١٨ ميل بحري، كما يوجد بالميناء محطة أرصاد جوية .





Resource: Google-Imagery, Digital Globe, Terra Metrics, Map data2013.

شكل(٣) ميناء العريش - أطوال الأرصفة و تجهيزات

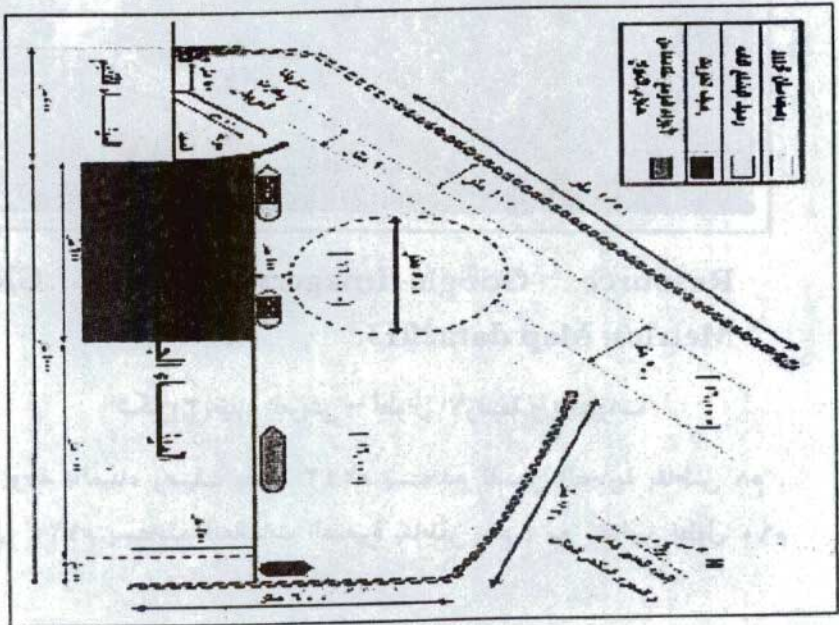
- يوجد بالميناء رصيف بطول ٢٤٢م يستخدم للسفن التجارية بغاطس ٨م ،  
وآخر بطول ١٢٤م يستخدم للعائمات الصغيرة بغاطس ٤م ، مع سقالتين بطول ٦٠م



وعرض ٢م لخدمة نشاط الصيد ، ويتوافر ساحات للتخزين بإجمالي ١٣٠ ألف م<sup>٢</sup> ومغطي منها ألفا متر<sup>٢</sup> ، كما يتوافر وسائل إمداد السفن بالوقود و المياه .

- و تمثل أنشطة الميناء في تصدير خامات سيناء التعدينية من رمال بيضاء وفحم وملح وغيرها... إلي دول العالم خاصة في حوضي البحرين المتوسط والأسود ، و استقبال سفن الصيد الصغيرة وسفن الوارد من البضائع العامة .

- و تتمثل خطة تطوير الميناء في إضافة منطقة تقع إلي الشرق منه بطول ٢ كم وبعرض ١٠٠م بهدف إنشاء أرصفة بأطوال ٢٥٠٠م و عمق ١٥م لتستوعب سفن تصل حمولتها إلي ٥٠ ألف طن ، وتشمل الأرصفة : محطة حاويات و محطة للصب الجاف وأخري للبضائع العامة والرورو ، مع توسيع مساحات التخزين ما بين ٨٠٠ ألف إلي مليون ٢م ، وتحديث وسائل الشحن و التفريغ ، و إقامة مشروعات لوجستية "تجهيزات" للصناعات التكميلية مثل صناعة مواد البناء والصناعات الغذائية . و تحويل الميناء الحالي ليصبح جزءا منه ميناء متخصصا للصيد و الجزء الآخر مارينا لليخوت شكل(٤) (إدارة ميناء العريش، ٢٠١٣، صفحات متعددة) .



المصدر : مركز المعلومات بمحافظة شمال سيناء

شكل(٤) ميناء العريش البحري المقترح إنشائه

## ٣- ميناء رأس سدر :

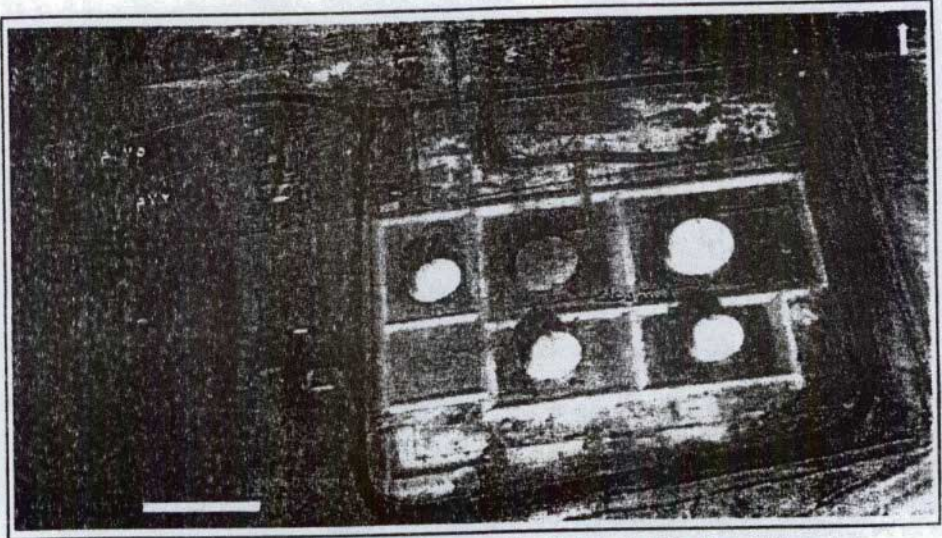
توجد مدينة الميناء جنوب مدينة السويس بمسافة ٦٠ كم علي الساحل الشرقي لخليج السويس بواجهة طولها ٧ كم .

الموقع : يقع الميناء غرب مدينة رأس سدر عند إلتقاء خط طول ٤٢ ° ٣٢ ' شرقا مع دائرة عرض ٣٤ ° ٢٩ ' شمالا ، حيث أنشئ عام ١٩٤٨ ، ثم تم إعادة تشغيله عام ١٩٨٥ بعد انسحاب إسرائيل من سيناء ، و تم تجديده عاما ٢٠٠٢ و ٢٠١٢ بهدف شحن الزيت و تقديم الخدمات البترولية بإشراف الشركة العامة للبترول .

الخصائص : - يوجد بالمرسي عدد ٦ شمندورات رباط تستخدم لربط السفن التي يتراوح حمولتها من ١٧ إلي ٣٠ ألف طن بترول ، حيث يصل خط أنابيب بين الساحل و بينها بطول ١.٥ ميل عن الشاطئ ، و يتم الدخول علي خط التطابق بعد التعرف علي المنطقة بواسطة G.P.S أو بظهور الفئار وعدد ٢ صاري لاسلكي يضئ ليلا مع ظهور التنكات الخمسة للبترول أو حتي ظهور المنطقة السكنية شمال المدينة .

- ويحتوي الميناء علي ثلاثة أرصفة : و هي الرصيف الشمالي بعرض ٣١٤ م وبطول ٧٥ م داخل الخليج ، و السقالة الوسطي ويمكن استخدامها من قبل اللنشآت الصغيرة في حالة المد العالي فقط ، كما يمكن ربط الناقلات البترولية بها للشحن من مستودعات البترول المقامة علي الساحل باستخدام خط أنابيب ، والرصيف عبارة عن سقالة حديدية بعرض ٢ م و بطول ٧٢ م نحو الداخل ، بينما الرصيف الجنوبي بطول ٥٠ م نحو الخليج و متوسط غاطس هذه الأرصفة ١.٥ م . و يعد الميناء صالحا لاستقبال السفن بحمولتها نهارا فقط ويمكن تجهيزه ليلا عند الحاجة، حيث يمكن شحن السفن حتي حمولة ٣٠ ألف طن شكل (٥) .





Resource: Google-Imagery, Digital Globe, Terra Metrics, Map data2013.

شكل (٥) ميناء رأس سدر- أطوال الأرصفة و تجهيزات

٤- ميناء وادي فيران :

أنشئ عام ١٩٧٨ ، و يعمل كمرفي بترولي لشحن البترول و تقديم الخدمات البحرية و يتبع الهيئة العامة للبترول .

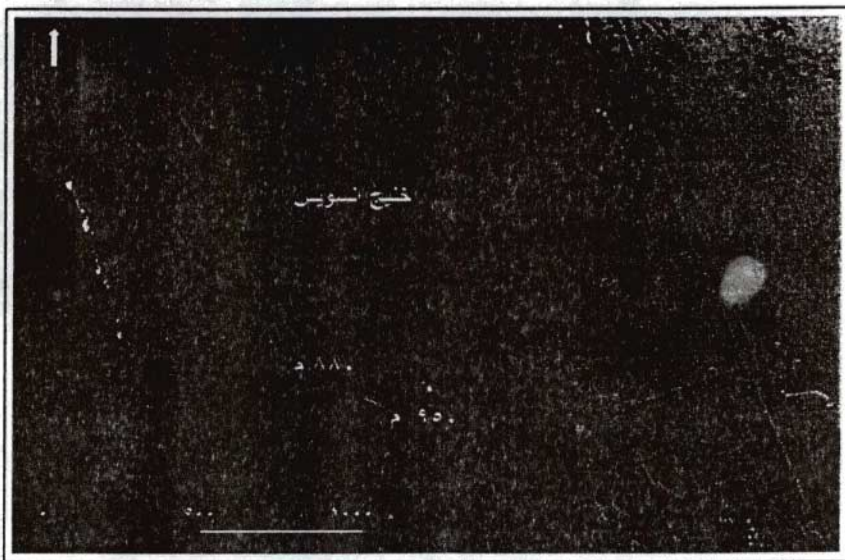
الموقع : يقع الميناء علي الساحل الشرقي لخليج السويس ، جنوب مدينة السويس بنحو ١١٨.٥ كم ، و جنوب مينائي أبوزنيمة و بداران عند إلتقاء دائرة عرض ٢٨ ° ٤٤ ' شمالا مع خط طول ١١ ° ٣٣ ' شرقا .

الخصائص : - تبلغ المساحة البحرية للميناء ١٢ كم٢ بقدره شحن خمسة سفن لكل شهر ، و يوجد علامتي تطابق للدخول و الخروج ، و يتحتم علي السفن الاقتراب من الاتجاه الشمالي الغربي و ليس من الشمال لتفادي المياه الضحلة و الإرساء علي بعد ميلين غرب صهاريج النفط البارزة علي عمق ٣١ م .

- و يتبع الميناء ثلاثة مراسي تقليدية بكل منها خمسة شمندورات : المرفي الأول بطول ٩٥٠ م و عمق ٢٢ م لناقلات الزيت حتي ١٢٤ ألف طن ، و المرفي الثاني بطول ٨٨٠ م و عمق ٢٢ م لشحن الزيت لناقلات حتي ٨٥ ألف طن ، والأخير مرفي



غاز مسال بطول ٢٢٠م و عمق ١٢ م . و يتبع الميناء رصيف بأبو رديس طوله ٦٠م و عمقه ٥.٥م و يستخدم لربط سفن الخدمة البحرية والإمداد ، كما يتبعه رصيف بالنزاعات بطول ٢٨٧م و عرض ٦.٦م و عمق ٣.٦م ليستقبل ناقلات حتى ١٢ طن .  
 - يوجد بالميناء بنية أساسية كاملة من محطات : مياه عذبة و كهرباء و اتصالات و صرف صحي ، و وحدة لمكافحة التلوث و أخرى لاطفاء الحريق ، بالإضافة إلي أجهزة إنقاذ و مساعدات ملاحية شكلية (٦) و (٧) .



Resource: Google-Imagery, Digital Globe, Terra Metrics, Map data2013.

شكل(٦) ميناء وادي فيران- أطوال الأرصفة و تجهيزات



Resource: Google-Imagery, Digital Globe, Terra Metrics, Map data2013.

شكل (٧) مرسى أبو رديس - طول الرصيف و تجهيزات

٥- مرسى بدران :

يعد أحد الموانئ البترولية في سيناء ، و يتخصص في شحن البترول و تقديم الخدمات البحرية ، و أنشئ عام ١٩٧٤ ليتبع شركة السويس للزيت .  
الموقع : يقع الميناء علي الساحل الشرقي لخليج السويس شمال ميناء وادي فيران عند إلتقاء خط طول ٠٧ ٣٣ ٠ شرقا مع دائرة عرض ٥٦ ٢٨ ٠ شمالا ، ويبعد عن السويس جنوبا ١١٠.٤ كم .

الخصائص : - تبلغ المساحة البحرية للميناء ٤ كم بقدره شحن سفينة واحدة أسبوعيا بحمولة أقصاها ٢٥٠ ألف طن ، و يحتوي الميناء علي رصيفين : الأول ممتد داخل البحر بطول ٨٠٠ م و عمق ٣٢ م و محمي من الرياح الشمالية والشمالية الشرقية والغربية و مفتوح للرياح الجنوبية و تتوفر شمندورات الرباط التي تستقبل السفن الكبيرة ، والرصيف الآخر بطول ١٣٠ م و بعمق ٥ م فقط .

- يتم التعرف علي موقع الميناء بالاقتراب من الموقع باستخدام أجهزة G.B.S بالاضافة إلي شمندورة التموين التي تقع شمال الرصيف الرئيسي مع استخدام الإضاءة . وتتوافر بالميناء المساعدات الملاحية للسفن نهارا فقط ، حيث يحتوي علي وحدات معالجة مخلفات السفن ومكافحة التلوث و إطفاء الحريق ، كما تتوافر المياه العذبة ومحطة للوقود والكهرباء وشبكة صرف شكل(٨) ( وزارة النقل،٢٠١١،صفحات متعددة).



Resource: Google-Imagery, Digital Globe, Terra Metrics, Map data2013.

شكل(٨)مرسي بدران - أطوال الأرصفة و تجهيزات



- مكانة موانئ التعدين في سيناء بين الموانئ التعدينية في مصر :

تتوزع موانئ التعدين في مصر على سواحل البحرين المتوسط والأحمر "١٩ ميناء" و هي إلي جانب موانئ سيناء تتمثل في ( أبو غصون- الحمراوين - رأس حجرية -القصر- سفاجا أبو طرطور- سفاجا المصريين - بتروجيت خليج الزيت - اذكو - رأس شقير- رأس غارب - شرق الزيت - بتروجيت المعديية أبو قير -الحمرا - جبل الزيت ) ، و من بينها ٧ موانئ تعدينية و ١٢ ميناء بترولي . و تشمل الموانئ التعدينية في مصر ٣٨ رصيفا بطول ٩٩٢٠ مترا و غاطس يصل في بعضها إلي ٣٢ مترا، و تأخذ موانئ سيناء مكانة متميزة بين هذه الموانئ بسبب تمتعها بعدد من الخصائص ، فهي تحتوي علي ١٤ رصيفا بنسبة ٣٦.٨% من إجمالي عدد الأرصفة بموانئ التعدين ، و تبلغ أطوالها ٤٥٩٨ مترا بنسبة ٤٦.٣% من الإجمالي ، و يصل الغاطس أمام أحد أرصفة موانئها " مرسى بدران" إلي ٣٢ مترا و هو لا يوازيه سوي غاطس رصيف ميناء جبل الزيت .

و تحتوي ميناء وادي فيران بسيناء علي أكبر عدد من الأرصفة (٥) بين الموانئ التعدينية ، و تليه موانئ : رأس سدر و رأس شقير و رأس غارب و المعديية بأبوقير بعدد (٣) أرصفة ، و تحتوي موانئ : العريش و أبو زنيمة و بدران و أبو غصون و القصر و سفاجا المصريين و جبل الزيت علي رصيفان ، بينما تحتوي الموانئ الأخرى علي رصيف واحد فقط ، و تأخذ ميناء اذكو الصدارة بين الموانئ التعدينية في طول الأرصفة (٢٤٠٠م) ، و تليه ميناء وادي فيران (٢٣٩٧م) ، ثم تتناقص أطوال أرصفة الموانئ الأخرى إلي أن تصل إلي ٣٥ مترا فقط في ميناء سفاجا المصريين المخصص لتصدير الفوسفات و الأسمنت (الجهاز المركزي للتعبئة العامة و الإحصاء، بيانات غير منشورة عن الموانئ البحرية، و النسب من حساب الباحث).

ثانيا : التوزيع الجغرافي للخامات التعدينية :

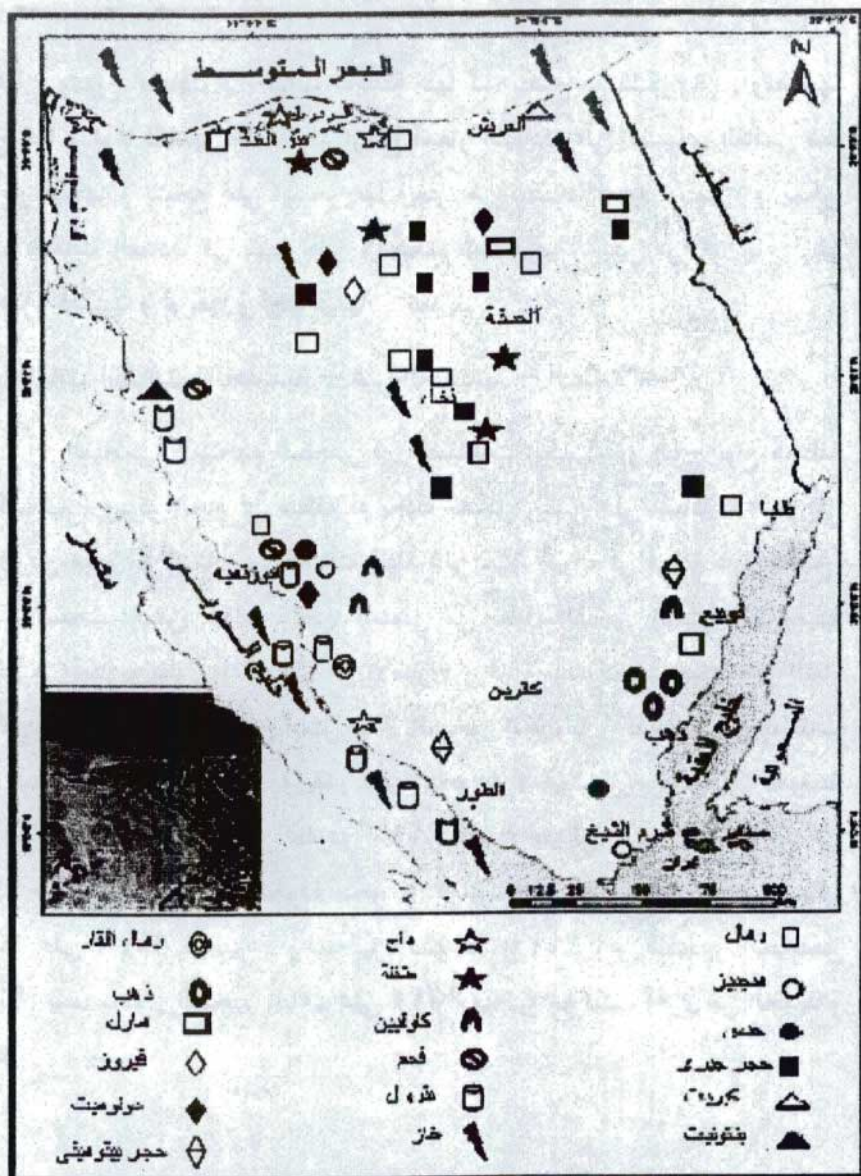
توافر بسيناء العديد من الثروات التعدينية ، و التي جعلت منها إقليما خصبا للاستثمار التعديني ، و أحد دعائم تميمتها اقتصاديا ، و جذب الأنظار إليها منذ عهد

الفراغنة ، وتوزع المعادن في جهات مختلفة منها كما يتضح من شكل (٩) ، ومعظمها يصلح كما و نوعا للتعيين خاصة بعد ارتفاع أسعار المعادن علي المستوى العالمي مما يزيد من قيمتها و يشجع علي استخراجها ويغني من استيراد العديد منها. و يمكن تقسيم خامات المعادن في سيناء إلي ٦ مجموعات نوعية ، نين من خلالها : أهم المعادن و أهميتها و توزيعها و احتياطاتها ، كما يلي :

#### ١- خامات الفلزات "الحديدية - غير الحديدية - النفيسة" :

أ- المنجنيز : يستخدم المنجنيز في الصناعات الكيميائية و إنتاج أنواع مختلفة من الصلب ، و يتركز الخام في منطقة أم بجمة بشكل رئيسي علي مسافة ٢٠ كم إلي الشرق من ميناء أبو زنيمة ، و بكميات قليلة علي هيئة جيوب في منطقة شرم الشيخ. و يوجد المنجنيز ضمن طبقات الجزء السفلي من نطاق الصخور الجيرية الدولوميتية بسمك ٨ أمتار و بطول عدة مئات من الأمتار ، و قد وجدت كميات صغيرة من الخام في الأجزاء العليا للحجر الرملي أسفل نطاق الصخور الكربونية و كذلك ضمن الطبقات العليا لنطاق الصخور الكربونية ، و يقدر كميته بنحو ٤.٥ مليون طن من النوعين المتوسط ثم العالي الجودة الذي يمثل بمفرده ١٠% من الاحتياطي ، كما يقدر الاحتياطي المؤكد من الخام المنخفض الجودة بنحو ٢.٥ مليون طن . و يحتوي المنجنيز عالي الجودة علي ٤٨% منجنيز ، و المنجنيز المتوسط ٤٢% ، و المنجنيز المنخفض ٢٩% ، بينما يحتوي المنجنيز الناعم علي ١٩% منجنيز مع نسب أخرى من الحديد و النيكل .





المصدر: من اعداد الباحث اعتمادا على الخرائط الجيولوجية ١: ١٠٠٠٠٠-١٩٩٤ هيئة المساحة الجيولوجية

شكل (٩) التوزيع الجغرافي للخامات المعدنية في سيناء

ب- النحاس : يستخدم في صناعة السبائك والأسلاك والأجهزة الكهربائية ،  
و يوجد في وادي السمرة والرقطة والرجبة ويران ونسرين وسرايط الخادم



بخطوط التهشيم و مع العروق التي تقطع الصخور المتحولة و الصخور الجرانيتية والديوريتية. و تبلغ نسبة النحاس في الفلز من ٤ إلى ٨.٩%

ج- الذهب : نتج عن عمليات البحث خلال الفترة ١٩٨٤-١٩٩١ من اكتشافه في جنوب سيناء إلى الغرب من خليج العقبة في وديان : الكيد و مدسوس و أم زريق ، وهي تبعد عن مدينة شرم الشيخ بنحو ٥٠ كم و جنوب غرب مدينة دهب بحوالي ٣٥ كم ، و تغطي المنطقة بصخور بركانية متحولة تقطعها صخور الجرانيت الحديث و يوجد الذهب فيها مصاحبا لبعض عروق المرو (مجلس الوزراء، ١٩٩٢، ص ١-٧)

## ٢- خامات المعادن اللافلزية

### أ- خامات الحرارية :

- الفلسبار يتواجد الفلسبار كمكون أساسي لصخور القاعدة و علي هيئة عروق قاطعة في صخورها ، و يتركب أساسا من سيليكات الألومنيوم المانية مع نسب متفاوتة من عناصر القلويات ، و أهمها الصوديوم و البوتاسيوم و الكالسيوم . و يستخدم الفلسبار في العديد من الصناعات و أهمها صناعة الحرارية و الزجاج و طلاء المعادن بالمينا و البويات و تم اكتشاف كتلة كبيرة من خام الفلسبار الصوديومي "الألباتيت" بوادي الطر جنوب سيناء بمنطقة تقع إلى الشمال من مدينة شرم الشيخ بحوالي ٤٠ كم و بالقرب من خليج العقبة و علي مسافة ٥٥٠ كم من القاهرة حيث تقع عند تقاطع خط طول ٣٤ شرقا مع دائرة عرض ٢٨ شمالا .

- الرمال البيضاء : تتكون أساسا من حبيبات الكوارتز و ترتفع قيمتها بعدما عن شوائب أكاسيد الفلزات مثل الحديد و التيتانيوم و الكروم و المواد الطينية . و تستخدم الرمال البيضاء في كثير من الأغراض أهمها : صناعات الزجاج و البلور و الخزف و الصيني و الأسمنت الأبيض و الخلايا الضوئية و رمل المرشحات لتنقية المياه و في التهشيم الهيدروليكي للصخور الحاملة لزيت البترول و الغاز ، و يتوقف استخدامها في أي منها علي المواصفات الكيميائية و الطبيعية للرمال و المنتج النهائي و تتوزع في مناطق : جبل المنشرح و أودية جبل يلق و وادي أم منظور بالمغارة و وادي الحظيرة

بجبل الحلال ، و تصل كمية الاحتياطي منها بمحافظة شمال سيناء إلي ٢٧ مليون طن و تمتاز بنقاوتها العالية و التي تصل إلي ٩٩.٨% في عدد من مناطقها ، كما توجد الرمال البيضاء في شمال شرق و جنوب شرق أبو زنيمة بكميات كبيرة لم يتم تقديرها .

- الكاولين : و يتكون أساسا من معدن الكاولينيت و يطلق عليه أيضا "الطفلة الصينية" China Clay و يتميز الكاولين بلونه الأبيض و ينصهر عند درجة حرارة ١٧٨٥ مئوية ، و يدخل في كثير من الصناعات مثل : الورق و أدوات السيراميك و الطوب الحراري و المواسير و المطاط و العوازل الكهربائية و الكاوتشوك والبويات و النسيج كمادة مقوية للخیوط القطنية ، كما يستخدم بصورة أقل في صناعة أنواع من الصابون و بودرة الأسنان و إعداد مادة البناء للحوائط و الأسمت الأبيض و بعض الأغراض الطبية و مواد التجميل و إنتاج أنواع خاصة من البلاستيك .

وتوجد طفلة الكاولين في منطقة أبو زنيمة ، منها ماهو عالي الجودة و تكون نسبة الألومينا فيه أكثر من ٣٥% و السيليكا ٤٥% و فاقد الحريق ١٥% ، و منها ما هو متوسط الجودة و تكون نسبة الألومينا فيه ٢٥ : ٣٠% و السيليكا ٤٥ : ٥٦% و فاقد الحريق ١٠.٥ : ١٥% ، بينما المنخفض الجودة فنسبة الألومينا فيه ١٥ : ٢٠% والسيليكا أكثر من ٥٦% و فاقد الحريق أقل من ١٠.٥% . و يقدر الاحتياطي بمنطقة أبو زنيمة بنحو ٩.٥ مليون طن ، و اكتشف في غرب هضبة التيه باحتياطيات تقدر بنحو ٨٧.٥ مليون طن ، كما اكتشف غرب نويبع في منطقة جنة و قدرت الاحتياطيات بنحو ١٠٠ مليون طن .

ب- خامات الصناعات الكيميائية :

- الكبريت : يدخل في كثير من الصناعات الكيماوية وصناعة الأدوية ، و تم الكشف عن رواسب ضخمة للخام في منطقة دكلا "حي الكوثر في الشيخ زايد" وأثبتت النتائج الأولية للحفر عن وجود احتياطي مؤكد من الكبريت يقدر بنحو ٢٠ مليون طن علي عمق ٤٠٠ م من سطح الأرض يصلح للاستخراج بطريقة الإسالة.

- الفوسفات : يستخدم في صناعة الأسمدة الفوسفاتية ، و دبغ الجلود ، و الطوب الحراري ، و العديد من الصناعات الكيماوية . و تم التعرف علي طبقة بسمك ٣٠ سم ضمن رواسب عصر الكريتاسي الأعلى في جبل سفريات قرب الساحل الشرقي لخليج السويس ، كما وجد في وادي سدر ، و لم يتم تقدير احتياطيهِ بعد حيث يحتاج لمزيد من الدراسات (محافظة شمال سيناء، ٢٠٠٧، ص ص ١٦٤-١٦٦) .

ج- خامات المتبخرات :

- الجبس : يعد الجبس أحد خامات البناء ، و يتركز بسيناء في رواسب كبيرة متناثرة علي امتداد خليج السويس و ساحل بحيرة البردويل ، و أهم تلك المناطق :

- منطقة رأس ملعب : وتوجد علي بعد ١١٠ كم جنوب مدينة السويس ، و يبلغ الاحتياطي المؤكد فيها ٢١ مليون طن و الاحتياطي المحتمل ٤٠ مليون طن .

- منطقة وادي الريانة : و تقع جنوب شرق عيون موسى و يبلغ الاحتياطي المحتمل فيها ١٦ مليون طن ، كما يوجد في رأس سدر .

- منطقة بحيرة البردويل : و يوجد الجبس في منطقتي مصفوق و الروضة ، و تقدر الاحتياطيات منه بنحو ٢ مليون طن ، و هناك تقديرات أن إجمالي الاحتياطيات المحتملة بسيناء ٥٧.٤ مليون طن .

- كلوريد الصوديوم : تتنوع استخداماته كملح للطعام و في الصناعات الغذائية والكيماوية و في حفر آبار البترول ، و يترسب في السياحات المنتشرة علي امتداد الساحل الشمالي لسيناء في مناطق : بور فؤاد و الروضة و الصافية و القطرات و العجرة و سييكة التي تقع غرب العريش بنحو ٣٠ كم ، كما توجد ملاحات أقامتها شركة بترول بلاعيم علي خليج السويس .

د- خامات أخرى:

- البنتونيت : يستخدم في الحفر و صناعات السيراميك و الطلاء ، و يوجد في منطقة عيون موسى علي الضفة الشرقية لخليج السويس جنوب شرق السويس علي بعد ١٣ كم وتمتد علي طول الطريق الساحلي السويس - أبو زنيمة لمسافة تزيد علي ٣٠ كم، كما يوجد في وادي سدر .



- الباتيت : تعود أهميته إلي استخدامه في صناعة الخزف و الصيني و في تصنيع منتجاتهما ، و يستخرج من شمال شرم الشيخ ، و قد ثبت وجود احتياطي مؤكد ٢٦ مليون طن و احتياطي محتمل ٢٠٠ مليون طن .

٣- خامات مواد البناء و أحجار الزينة :

أ- الحجر الجيري : يدخل الحجر الجيري في صناعة الأسمنت و البناء و إنشاء الطرق و في الصناعات الكيماوية و الأسمدة و البويات . و يتوافر الحجر الجيري بكميات كبيرة و بنوعيات متفاوتة و تصل درجة نقاوة بعضها مثل : المكرايت و الفتاتي و الشميبي إلي ٩٥% ، و تتركز معظم مواقع الأحجار الجيرية بمحافظة شمال سيناء حيث توجد بها الكتل التركيبية الضخمة المحتوية علي الطبقات السميكة من الحجر الجيري مثل جبال : لبني و الحلال و المغارة و منظور و يلق و سحاب و أم خشيب و الطويل و طلعة البدن ، وكذلك في بعض الهضاب المنتشرة في مناطق الجفجافة و الحسنة و القسيمة و نخل ، و أما في محافظة جنوب سيناء فتوافر بالجزء الشمالي منها في هضبي العجمة و التيه ، و تزيد كمية الاحتياطي من الحجر الجيري التي تم تقديرها في سيناء علي ٨٠٠ مليون طن .

ب- الطفلة : تستخدم في صناعة الأسمنت و عمليات حفر الآبار و تكرير الزيوت و الخزف و الصيني و صناعة الطوب الطفلي ، و توجد علي هيئة طبقات منتظمة الشكل واسعة الانتشار في تكوينات الزمن الثاني و النصف الأول من الزمن الثالث ، و يبلغ أقصى سمك لها في منطقة عيون موسى و التي تحتوي علي الطفلة التابعة لعصر الميوسين بسمك يصل إلي ١٣٠م أغلبها في باطن الأرض و لا يتعدى سمك الظاهر فوق السطح علي ٢٠م ، و تتواجد الطفلة أيضا في جبال : المغارة و لبني و الحلال و منطقة البروك باحتياطيات تصل إلي ١٨.٥ مليون طن من الخام عالي الجودة لارتفاع نسبة الألومينا بها (الهيئة العامة للمساحة الجيولوجية، ١٩٨٥، صفحات متعددة).

ج- الرمال الصفراء : تستخدم لأغراض البناء و التشييد ، و توجد باحتياطيات كبيرة بسيناء في الشمال و الوسط في الهضاب و الوديان و في الجنوب في أبو رديس و ذهب (وزارة الإسكان و المجتمعات العمرانية الجديدة، ١٩٨٣، ص ٥) .

د- التربة الزلطية و الزلظ : تدخل في إنشاء الطرق و البناء ، و توجد باحتياطات كبيرة في المناطق المجاورة لأودية وسط سيناء و جبل لبني .

هـ - المارل : يستخدم في صناعة الأسمنت ، و ينتشر بكميات كبيرة أيضا جنوب جبل الحلال و غرب طريق القسيمة (عاطف هلال، ٢٠١١، صفحات متعددة).

و- الدولوميت : يستخدم في أعمال البناء و إنشاء الطرق و حماية أرصفة الموانئ، و يوجد باحتياطات كبيرة بمحافظة شمال سيناء حول حواف جبل المغارة و جبل الحلال وريسان و عنيزة و في محافظة جنوب سيناء في منطقة أبو زنيمة .

س- الرخام : تعدد استخداماته حيث يستعمل في تكسية الحوائط و الأرضيات و أعمال الديكور و التحف ، و يعد الرخام من الصخور الرسوبية المتحولة و له عدة ألوان و تتخلله العروق فمنه الأخضر و البني و أهم أنواعه : فلتوروسو و ترسيثا و جولدن و بريشيا والألباستر ، و يوجد في شمال سيناء بمناطق : جبل يلج و المغارة و أم مفروث ، و يقدر الاحتياطي بنحو ٩.٥ مليون طن ، بينما يوجد في جنوب سيناء قرب رأس سدر و منطقة أبو زنيمة (شركتا جيمكو للجباسات و الرخام و العامة للشروة المعدنية، ١٩٨٣، صفحات متعددة) .

و يتكون معظم المثلث الجنوبي لسيناء من صخور القاعدة حيث تمثل ١٢.٥% تقريبا من مساحة سيناء ، و تشمل هذه الصخور علي نوعيات كثيرة تتميز بالصلابة و جمال الألوان و تنوع نسيج الحبيبات مما يجعلها ملائمة لإنتاج أحجار الزينة و أشهر صخورها : الجرانيت و الديورايت و الجابر و النيس و السربنتين ، و تنتشر محاجر الجرانيت في كثير من المواقع التي تمتد من الشرق إلي الغرب بجنوب سيناء و منه الجرانيت الوردي و البنفسجي و الرمادي و الأسود و أهم مناطقه شرم الشيخ و كاترين (محافظة جنوب سيناء، ٢٠٠٩، ص ١١) .

#### ٤ - خامات الطاقة :

أ- الفحم : يدخل الفحم كعامل مختزل في صناعة الحديد و الصلب بعد تحويله إلي فحم الكوك ، و يتواجد في سيناء بثلاث مناطق هي :



- منطقة عيون موسى : تقع هذه المنطقة علي بعد ١٤ كم إلي الجنوب الغربي من مدينة السويس و تم اكتشاف الفحم بها عام ١٩٦٣ علي هيئة طبقات بشكل عدسات علي أعماق تتراوح بين ٤٢٠ و ٦٢٠م تحت سطح الأرض و بسمك يتراوح بين ٦٠ و ١٧٠سم باحتياطي مؤكد ٢١ مليون طن و محتمل ٤٩ مليون طن ، و الفحم هنا من النوع البتوميني و الذي يصاحبه مياه أرضية ساخنة بدرجة حرارة ٤٤ درجة مئوية. - منطقة بدعة و ثورة : و تبعد ٢٥ كم عن ميناء أبو زنيمة علي خليج السويس ، حيث يوجد الفحم ضمن طبقات الطفلة الكربونية بمجموعة الحجر الرملي لتغطي مساحة تقدر بنحو ٢٠٠ كم ٢ ، و يتراوح السمك بين ٥٥ و ٨٠سم في منطقة ثورة ، و الفحم من النوع البتوميني الرديى باحتياطي مؤكد ١٥ مليون طن و محتمل ٦٠ مليون طن (الهيئة المصرية للمساحة الجيولوجية و أكاديمية البحث العلمي، ١٩٩٨، صفحات متعددة) .

- منطقة المغارة : تقع علي بعد ١١٠ كم شمال شرق الاسماعلية ، و علي بعد ٧٠ كم جنوب غرب العريش ، و تم اكتشاف الفحم بها عام ١٩٥٩ بسمك أقصاه يتراوح بين ١١٠ و ١٩٠سم و أقصى عمق تشغيل يصل إلي ٤٠٠م تحت سطح الأرض حيث يوجد احتياطي مؤكد ٢٧. مليون طن و محتمل ٥٢ مليون طن (إدارة المحاجر، ٢٠٠٦، بدون ترقيم) .

ب- البترول و الغاز الطبيعي : تعدد استخداماتهما و أصبحا يمثلان عصب الحياة الحديثة ، حيث لعبا دورا كبيرا في مسيرة الحياة البشرية باعتبارهما من أهم مصادر الطاقة و يدخلان في العديد من الصناعات في أوقات السلم و الحرب ، و نتج عن أعمال الاستكشاف منذ عام ١٩١٨ العثور علي البترول و الغاز الطبيعي بالساحل الشرقي لخليج السويس و داخل مياهه ، و تقع حقول سيناء في أهم مناطق احتياطي وإنتاج البترول بمصر. و من أهم حقول البترول علي الساحل الشرقي لخليج السويس من الشمال إلي الجنوب ، هي : سدر و مطارمة و غسل و أبو رديس و أكتوبر و فيران و بلاعيم . وفي داخل مياه الخليج : بلاعيم بحري و مرجان و أمل ، و من حقول الغاز الطبيعي : أكتوبر و أبو رديس و بدر و رمضان و مرجان و شعب علي ، و تم اكتشاف الغاز الطبيعي في شمال سيناء كحقول : السادات و مصري و هلال في شمالها الشرقي



وحقل الفيروز في في شمالها الغربي و حقل فاليج غرب منطقة المغارة و حقول : همت و نخل و داراج في الوسط و حقول : مانجو و طينة و سيتي و بورفؤاد في مياه البحر المتوسط قرب الساحل .

ج- رمال البيتوميني : ينتمي إلي الأحجار الزيتية التي تعتبر احتياطي استراتيجي مستقبلي للمنتجات البترولية عن طريق استخلاص الزيت من الصخور و تقطيره إذا كان استغلاله اقتصاديا ، و يوجد بمنطقة جنوب غرب سيناء و شرق هضبة النيه و أثبتت التحاليل ضآلة نسبة الهيدروكربون في جميع العينات فيما عدا منطقة وادي المهشم و التي يبلغ سمك الطبقة فيها حوالي متر واحد يعلوها غطاء يقدر سمكه بحوالي ٣م مما يجعل استغلالها غير اقتصاديا في الوقت الحالي .

د- رمال القار : و تدخل في استخدامات الحجر البيتوميني ، و تتواجد في منطقة أبو دربة علي خليج السويس جنوب أبو رديس بحوالي ٥٠كم حيث تمتد في مساحة ٤كم<sup>٢</sup> بمتوسط سمك ٥٠م ، و يقدر الاحتياطي المحتمل من الخام بحوالي ٢٠٠ مليون طن .

#### ٥- خامات الأحجار الكريمة و شبه الكريمة :

وتمثل في الفيروز : وهو حجر نصف كريم و يوجد في منطقتي المغارة و سرباط الخادم . و يتركب معدن الفيروز من فوسفات الألومنيوم و النحاس ، و يوجد في هيئة عقد في توزيع غير منتظم ضمن رواسب من الحجر الرملي و بالتالي يصعب تحديد مواقعهم وكمياتهم و بالتالي استثماره علي نطاق واسع .

#### ٦- خامات الرواسب الشاطئية :

و تتمثل في الرمال السوداء : و تحتوي علي عدة مكونات أهمها الزيركون ، و تدخل في صناعات : هياكل و محركات الطائرات و تزجيج السيراميك و الأدوات الكهربائية و البويات و أوراق الصنفرة و الصناعات النووية "المشعة" ، و تتوزع في ثلاث مناطق بسيناء علي طول ساحل البحر المتوسط بمناطق : العريش بمساحة ١٨كم<sup>٢</sup> و

رمانة بمساحة ١٠ كم<sup>٢</sup> و في جنوب بحيرة البردويل بئر العبد ، وتقدر الاحتياطات المؤكدة بنحو ٤٤.٦ مليون طن . (ممدوح حسن، ٢٠٠٨، صفحات مختلفة) .

- العمر الزمني للمعادن :

و يوضح الجدول (٢) الأعمار المتوقعة لعدد من المعادن في سيناء علي أساس ثبات كمية الإنتاج و الاحتياطي لها بناء علي أرقام ٢٠١٣ ، حيث تم حسابها كالتالي :

السنة المتوقعة للنفاد = الاحتياطي / الإنتاج + سنة الأساس

جدول (٢) الإنتاج و الاحتياطي لعدد من المعادن في سيناء عام ٢٠١٣

الكمية : مليون طن

المعدن	الإنتاج	الاحتياطي	السنوات الباقية	السنة المتوقعة للنفاد
رمال بيضاء	٠.٠٣	٢٧	٩٠٠	٢٩١٣
منجنيز	٠.٠٤	٧	١٧٥	٢١٨٨
فحم	٠.٤٢	٦٣	١٥٠	٢١٦٣
طفلة	٠.٥	١٨.٥	٣٧	٢٠٥٠
كاولين	٧.٠	٢٠٧	٣٠	٢٠٤٣
جبس	٠.٨	٢٣	٢٩	٢٠٤٢
رخام	٠.٤	٩.٥	٢٤	٢٠٣٧

المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا علي بيانات إدارتي المحاجر بمحافظة شمال و جنوب سيناء ، ٢٠١٣، صفحات متعددة .

و يتبين من الجدول السابق ، ما يلي :

- التفاوت الواضح بين المعادن في سيناء من حيث : الاحتياطي والإنتاج و السنوات المتبقية و بالتالي السنة المتوقعة للنفاد ، و لذلك يمكن ترتيب تلك المعادن من حيث أعمارها المتوقعة للنفاد كالتالي : الرمال البيضاء ، و المنجنيز ، و الفحم ، و الطفلة ، و الكاولين ، و الجبس ، و الرخام .

- إمكانية تغير السنة المتوقعة للنفاد لتلك المعادن بسبب تأثرها بالعديد من العوامل ، و منها : التباين في كمية الاحتياطي و إمكانية زيادته مع استمرار عمليات الاستكشاف ، و التغير في معدل الإنتاج السنوي الناتج عن تذبذب الأسعار العالمية و معدل النمو الاقتصادي المحلي و الأجنبي و عمليات الصيانة الدورية للمناجم و أدوات الإنتاج .

ثالثا : استثمار المعادن و موانئ التعدين في سيناء :

أ- واقع الإنتاج :

تنوع المعادن في سيناء ، حيث يوجد عدد منها باحتياطيات كبيرة تسمح بالاستثمار فيه بشكل اقتصادي ، و مع ذلك لم يتم بعد التوسع في استثمارها بالقدر الملائم ، ويتضح ذلك من خلال دراسة مواقع الاستثمار للخامات المعدنية في سيناء كالتالي :

- الرمال : يستخرج من الرمل الأبيض نحو ٥٥٢ ألف م<sup>٣</sup> سنويا من خلال ٣٠٠ عامل ، و تستأثر شركة كايروفريش المتخصصة في إنتاج و تصدير الخامات التعدينية و المحجرية بإنتاج ٢٥٠ ألف م<sup>٣</sup> سنويا من رمال السيليكا من منطقة أبو زيمة حيث يعاب في أكياس كبيرة تشحن في حاويات حمولتها من ٢٥ إلي ٢٧ طن بنسبة نقاء تتجاوز ٩٩.٣% حيث يصدر إلي قبرص و اليونان و أسبانيا و الهند والامارات و الكويت و مالطة و تركيا وقطر و السنغال و الجزائر و ليبيا و اليابان وسوريا و لبنان و جورجيا و كرواتيا و الفلبين و العراق و عمان (A Cairo fresh Company)



وقد (to Produce and Export of Minerals, 2013, pp.2-7) ، و دخل القطاع الخاص هذا المجال منذ عام ١٩٩٨ و بلغ إجمالي تراخيص محاجر رمل الزجاج ٤٥٠ ترخيصاً بمنطقة أبوزنيمة حتى عام ٢٠١٣ ، و أهمها في : القور و أبوقيش و أم رديم و الجرف و أم عطف ، صورة (١) و (٢) بالملحق ، بينما يقدر الإنتاج السنوي من الرمل الأصفر ٥٧٦ ألف م٣ خاصة من أبورديس .

- خامات صناعة الأسمنت "حجر جيرى - طفلة - جبس" : تعد هذه الخامات مهمة لصناعة الأسمنت ، و يصل معدل إنتاج مصانع سيناء للأسمنت ١.٥ مليون طن سنويا من الأسمنت الرمادي و الأبيض ، و يستهلك منها محليا ٩٠٠ ألف طن و يصدر الفائض ، و توفر ١٢٠٠ فرصة عمل . و أنشأت شركة سيناء للمنجنيز مصنعا للجبس لإنتاج الجبس المكلسن و مواد البناء شمال أبو زنيمة حيث يستخرج ٤٠٠ ألف طن سنويا من منطقة رأس ملعب يدخل منها إلي المصنع ٣٠٠ ألف طن و يصدر ماتبقى خاما إلي اليابان و عدد من الدول الإفريقية ، كما يوجد مصنعين آخرين لكلسنة الجبس في مدينة أبو زنيمة تابعين للقطاع الخاص "الرواد و زهرة سيناء" صورة (٣) و (٤) بالملحق ، و يوجد مصنع آخر في وادي غرندل تابع أيضا للقطاع الخاص ، و بلغ إجمالي تراخيص محاجر الجبس ٥٠ ترخيصاً عام ٢٠١٣ أغلبها للقطاع الخاص . و يستخرج الحجر الجيري من محاجر منطقتي المطلة و غرندل ، و يتبع إحداهما شركة سيناء لتعدين المنجنيز حيث تستخدمه كخام مساعد في صهر الفيرومنجنيز . أما محاجر استخراج الطفلة فتنتشر بمنطقة أبو زنيمة خاصة في : المطلة و وادي أم عطف و الخبوبة .

- المنجنيز : اكتشف في أم بجمة عام ١٨٩٨ ، و تم البدء في استخراجه عام ١٩٠٨ و تأسست شركة سيناء البريطانية للتعدين عام ١٩١٣ و أصبح التعدين اقتصاديا منذ عام ١٩١٨ ، ثم انتقلت ملكيتها عام ١٩٥٦ إلي مصر تحت مسمى شركة منجنيز سيناء و قدرت كمية الخام المستخرجة خلال الفترة ١٩١٨-١٩٦٠ نحو ٤.٢٤ مليون طن و كان الإنتاج يصدر مباشرة للخارج أثناء فترة الاحتلال البريطاني ، و استمرت عمليات التعدين حتى يونيو ١٩٦٧ بسبب ظروف الحرب بالمنطقة بعد احتلال سيناء ، ثم عادت الشركة للاستثمار مرة أخرى عام ١٩٩٠ لتتعدد أنشطتها ، فلم يعد مقتصرًا

علي تعدين المنجنيز فقط بل يتم استخراج الكاولين و رمال السيليكا و البنتونيت والحجس ، و في عام ١٩٩٣ تم بناء مصنع لإنتاج الفيرومنجنيز بأبوزنيمة بطاقة ٣٦ ألف طن سنويا (Sinai Manganese Company, 2013, p.1-3) صورة (٥) بالملحق .

- البترول و الغاز الطبيعي : توصلت عمليات استكشاف البترول في سيناء إلي العثور علي الزيت في حقل أبو درية علي الساحل الشرقي لخليج السويس عام ١٩١٨ من قبل شركة استاندرد مصر ، مما شجع علي الاستمرار في البحث و الاستكشاف شرق خليج السويس إلا أن الوضع السياسي و الحرب بالمنطقة حد من عمليات التنقيب ولم يتم حفر سوي ١٤٠ بئر فقط في سيناء خلال الفترة ١٩١٨-١٩٥٧ بمعدل بئر واحد كل ٤٥ كم<sup>٢</sup> بينما بلغت بئرا واحدا لكل ٣٠ كم<sup>٢</sup> في مياه خليج السويس ، و نتج عن أعمال البحث العثور علي الزيت في سبعة مناطق جميعها علي الساحل الشرقي للخليج ، و في بداية عقد السبعينيات حصلت شركات أجنبية علي حقوق امتياز للبحث عن البترول في مياه الخليج ، و يوجد حاليا عدد من المنصات البحرية لآبار البترول التي تنتج ٦٠% من إجمالي إنتاج مصر من البترول الخام ، و تعد شركة جابكو أهم الشركات المستثمرة للبترول في خليج السويس ، و تتواجد معظم أعمالها في جنوب وغرب خليج السويس خاصة حقل مرجان و أكتوبر ، و تقدم معظم الخدمات لحقول البترول و نقله من خلال رأس شقير بمحافظة البحر الأحمر بالإضافة لمواني الساحل الشرقي للخليج و تتمثل في رأس سدر و أبو رديس و النزازات و بدران .

و تأتي شركة بترول في الترتيب الثاني لإنتاج البترول في منطقة خليج السويس و تستخرجه من حقول بترول بلاعيم البحرية و البرية . و تقديم الخدمات فضلا عن نقل الإنتاج إلي بلاعيم جنوب أبو رديس ، حيث يتم تخزين البترول الخام ثم يصخ من خلال خطوط أنابيب برية إلي السويس لتغذية شركة النصر لتكرير البترول صورة (٦) بالملحق ، و تنتج شركة شمال سيناء للبترول "نوسكو" ١٨٠ مليون قدم<sup>٣</sup> يوميا من الغاز الطبيعي من حقولها قرب ساحل البحر المتوسط و في مياهه المواجهة لشمال سيناء ، و

يتم صيانة خمسة آبار في حقلي تاو و رمانة بالبحر المتوسط ليصل الإنتاج نهاية عام ٢٠١٣ إلي ٢٣٠ مليون قدم<sup>٣</sup> يوميا ، بينما لم يتم استخراجها من حقول الوسط .

- كلوريد الصوديوم : تنتج شركات البترول الملح من خليج السويس من ملاحظات أقامتها كي تستخدمها في بعض عمليات الحفر ، و يقوم الكثير من الأفراد بتجريف ما يتم ترسيبه في السياحات القائمة علي الطريق الساحلي القنطرة - العريش بشمال سيناء ، و يصل عدد الملاحات المهمة عليه ٦ ملاحات كما توجد ٩ مصانع للغسيل والتكرير ، و يصل متوسط الإنتاج السنوي إلي ١.٣ مليون طن ليستهلك منها محليا ٣٨.٥% و يصدر ما تبقي للخارج . و تتحدد أنواع الملح المنتج في أربعة أصناف ، وهي : ملح طعام مكرر عادي ، وملح طعام باليود ، و ملح طعام مكرر للصناعات الغذائية ، و ملح طعام للأغراض الصناعية (إدارة المحاجر و مركز معلومات جنوب سيناء، ٢٠١٢، صفحات متعددة).

و تعد ملاحه منطقة سبيكة أكبر ملاحات سيناء ، و صممت لإنتاج ٥٠٠ ألف طن ملح طعام جيد ، و قد أنشئت هذه الملاحه لتكون نواة لإقامة مجمع كيميائي ينتج كربونات صوديوم و سودا كاوية و زجاج وصابون باستخدام ملح الطعام و الحجر الجيري و رمال الزجاج و زيت الزيتون كخامات أساسية للحصول علي هذه المنتجات، و توفر الملاحات نحو ألف فرصة عمل مباشرة بالإضافة إلي الألاف من الفرص غير المباشرة في مجالات الطحن والتعبئة و صناعة الأجوالة و العبوات البلاستيكية والورقية و وسائل النقل .

- الرخام و أحجار الزيتة : يصل إجمالي إنتاج الرخام من سيناء ٤٦.٦ ألف م<sup>٣</sup> ، تنتج منها شمال سيناء ٢٥ ألف م<sup>٣</sup> و يصدر إلي الصين و إيطاليا (إدارة المحاجر، ٢٠١٢، صفحات متعددة) بينما ينتج من الجنوب ٢١.٦ ألف م<sup>٣</sup> من رأس سدر وأبو زيمة خاصة من جبل أبو جعدة ، حيث تنقل كميات منه إلي منطقة شق الثعبان بالقاهرة حيث ورش تقطيع الرخام لإعداده للاستخدام في أغراضه المتعددة ، بينما تنتج أحجار



الزينة وأهمها الجرانيت بألوانه من منطقة شرم الشيخ بمعدل ٢٤ ألف م٣ سنويا (محافظة جنوب سيناء، ٢٠١٢، صفحات متعددة) .

– مواد البناء والرصف : تتمثل في الزلط و الرمال و الدولوميت و التربة الزلطية و معدل إنتاجها السنوي ٣.٥ مليون متر مكعب تسوق داخليا ، و توفر نحو ألفي فرصة عمل .

– خامات الفلسبار و الكبريت و الذهب و النحاس و الفيروز و الكاولين : يقوم جهاز الخدمة الوطنية التابع لوزارة الدفاع باسمارالفلسبار في منطقة وادي الطر بالتعاون مع هيئة المساحة الجيولوجية في مجال الاستكشاف و التقييم لهذا الخام . و لم يسبق العثور علي الكبريت في سيناء بكميات اقتصادية حتي أوائل عام ١٩٨٧ ، حيث تم الحصول علي البيانات الخاصة بوجوده في شمال سيناء علي ساحل شرق العريش من خلال شركات البحث عن البترول . و لم يستخرج الذهب من سيناء من قبل ، حيث لم يتم العثور علي مناجم قديمة لاستخراجه مثل ما هو بالصحراء الشرقية ، وأيضا لم يتم استخراجها حاليا من المناطق التي تم اكتشافها فيها و استخراج النحاس من سيناء من قبل قدماء المصريين في نطاق المثلث الجنوبي بها ، حيث ارتبط وجود الخام بنظام معين من الشقوق في صخور القاعدة . أما الفيروز فيجري استخراجها حديثا علي نطاق فردي ضيق من خلال عدد من أهالي سيناء سواء من المقيمين في مناطق المناجم أم القريبة منها في منطقتي المغارة و سراييط الخادم . ويتم استخراج الكاولين من منطقة أبوزنيمة و يبلغ إنتاجها السنوي ١٥٠ ألف طن م٣ من خلال شركة سيناء للمنجيز ، و يعد من أفضل الأنواع في الشرق الأوسط ، وتصدر إلي أسبانيا و تركيا و الدول العربية .

ب- دور الموانئ في تنشيط حركة النشاط التعديني :

تقدم الموانئ البحرية التعدينية بسيناء دعامة أساسية للتنمية الشاملة للإقليم و خاصة في مجال الإستثمار التعديني ، فهي تعد منافذ بحرية مهمة لخاماتها المعدنية والتي تصدر في شكلها الأصلي بعد تهيئتها أو بعد إجراء بعض التغيير عليها في صورة صناعات أولية ، و هذا يحدد حتمية احتواء الظهير علي شبكات النقل الداخلي (Gahoda Rayoth, 1996, p.128) ، وتتمتع سيناء بوجود شبكة جيدة من الطرق المرصوفة

و التي تربط قلب سيناء بأطرافها و واجهاتها البحرية علي البحرين المتوسط و الأحمر ،  
وتتحدد أهمية هذه المواني بحجم الظاهر و النشاط الإقتصادي (Garnair and  
Chabot, 1976, p.31) ، و قدرتها علي التبادل التجاري مع المناطق الأخرى عبر  
البحار و المحيطات (Barke, M. P., 1986, p.775) .

- ميناء أبوزنيمة : تصدر العديد من الموارد التعدينية المستخرجة من سيناء  
من خلال ميناء أبوزنيمة و تتمثل في : رمل الزجاج و الجبس و الكاولين و الفيرومنجنيز  
خاصة من خلال شركة منجنيز سيناء إلي العديد من الدول الأوربية و الآسيوية ، حيث يتم  
إنتاج خام رمل الزجاج من المحاجر بعد أعمال التفجير و نقلها بالسيارات إلي الميناء  
للتصدير بعد الغريلة للتخلص من الشوائب . ويتم تصدير المنجنيز في صورتين إحداهما  
خام و الأخرى مصنعة في شكل سبائك صورة (٧) و (٨) بالملحق، كما أن الجبس و  
الكاولين يتم تصديرهما خام ، مع ملاحظة أن كميات من هذه المعادن يتم تصديرها من  
خلال حاويات عن طريق مينائي بورسعيد والإسكندرية، وتتراوح حمولة السفن التي  
تخرج من ميناء أبوزنيمة من ٤٠٠٠ إلي ٢٠٠٠٠ طن ، و تتم عمليات الشحن بصورة  
آلية ، لذلك يصل عدد العاملين بالميناء ١٩ عاملا فقط ما بين إداريين و مرشدين و  
فنيين و عمال لأعمال التراكي و الخدمات البحرية و أعمال صيانة سيور الشحن .

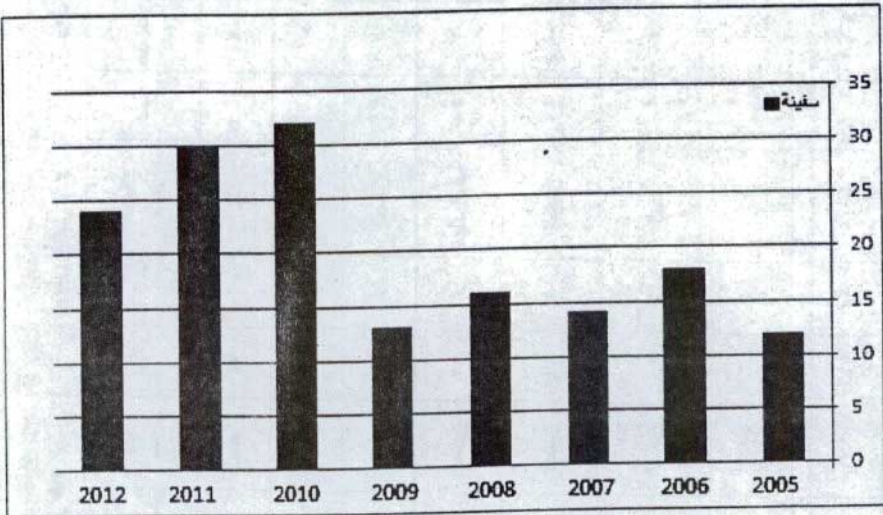
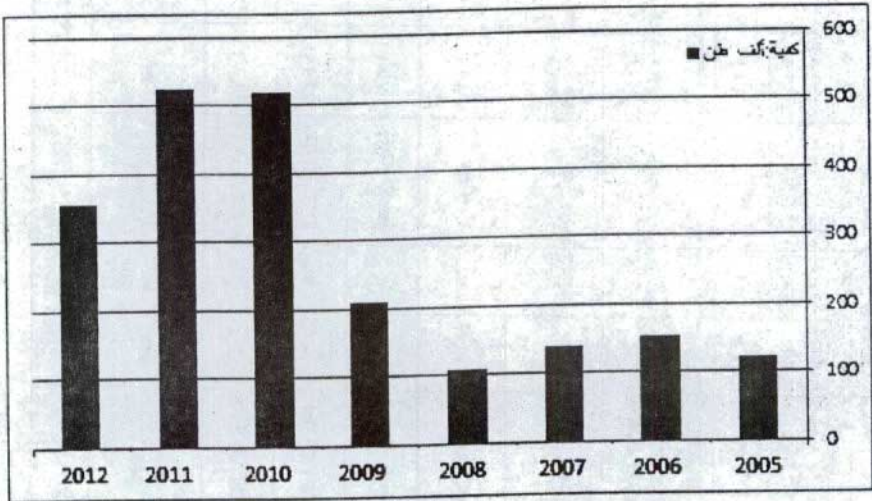
و يتضح من الجدول (٣) و الشكل (١٠) ما يلي :

- وصل إجمالي كميات الخامات و الموارد المعدنية في الفترة ٢٠٠٥-٢٠١٢  
المصدرة من خلال ميناء أبو زنيمة إلي ٢١٣١ ألف طن وبلغ عدد السفن ١٥٩ سفينة  
خلال الفترة نفسها ، و تتمثل الصادرات في : رمل الزجاج و الفيرومنجنيز و المنجنيز  
الخام و الجبس الخام بنسب : ٥١.٥ و ١٩ و ١٨.٩ و ١٠.٦ % من إجمالي  
الصادر ، وكان نصيبها من السفن : ٤٩ و ٢١.٤ و ١٧ و ١٢.٦ % بالترتيب .  
- تذبذب الكميات المصدرة و عدد السفن مع اتجاه عام نحو الزيادة .

- تتجه الصادرات إلي ٧ دول آسيوية و أوربية و تتمثل في : الصين و الهند و  
اليابان و اليونان و الإمارات و إيطاليا و تركيا و تعد الصين هي المستورد الوحيد للمنجنيز  
الخام خلال هذه الفترة.

إجمالي	فيليبينجز		رمال زجاج		جيس خام			منجنيز خام		بيان عام	
	رقم قياسي	كمية	رقم قياسي	كمية	رقم قياسي	كمية	رقم قياسي	كمية			
١٢	١٢١	-	-	-	٩	١٠٢	٢	١٤	١	٥	٢٠٠٥
١٨	١٥٤	الصين الهند	٥		١٠	١٠٠	٣	١٢	-	-	٢٠٠٦
١٤	١٣٨	الصين تركيا	٣	٣٠	٧	٨٤	٤	٢٤	-	-	٢٠٠٧
١٦	١٠٧	تركيا	٨	٦٤	٣	٢١	٣	١٢	٢	١٠	٢٠٠٨
١٣	٢١١	-	-	-	٩	٩٠	١	٩٤	٣	٢٧	٢٠٠٩
٣٢	٥٢٠	-	-	-	٢٠	٣٠٠	٢	٢٠	١٠	٢٠٠	٢٠١٠
٣٠	٥٢٥	تركيا	١٥	٢٢٥	١٠	٢٠٠	-	-	٥	١٠٠	٢٠١١
٢٤	٢٥٥	تركيا	٣	٤٥	١٠	٢٠٠	٥	٥٠	٦	٦٠	٢٠١٢
١٥٩	٢١٣١		٣٤	٤٠٦	٧٨	١٠٩٧	٢٥	٢٦٦	٢٧	٤٠٢	إجمالي





المصدر : من إعداد الباحث اعتمادا علي جدول ( ٣ ) .

شكل (١٠) الصادرات التعدينية لسيناء خلال ميناء أبوزنيمه بين عامي ٢٠١٢ و٢٠٠٥

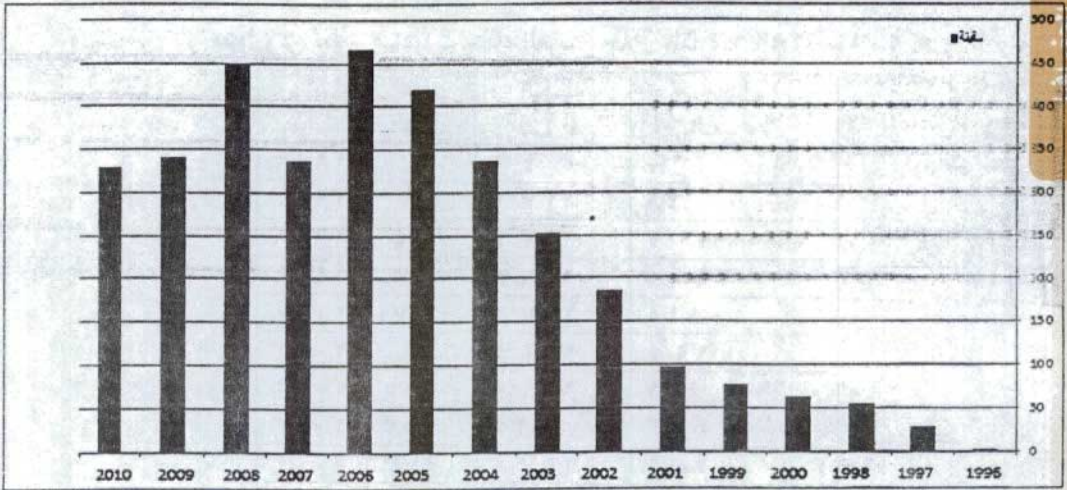
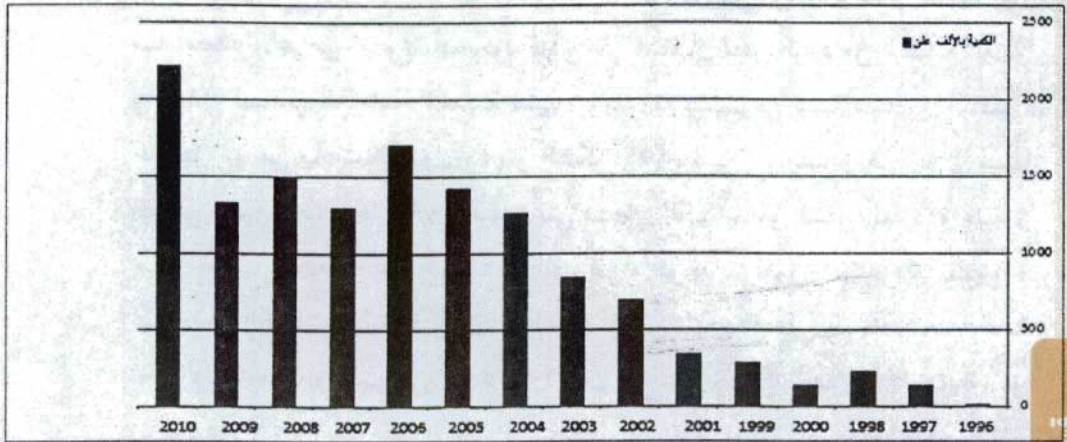
- ميناء العريش : كان الهدف من تطوير ميناء العريش من ميناء صغير للصيد إلي ميناء متعدد الأغراض "متنوع" أن يكون قادرا علي استقبال سفن الوارد من البضائع العامة و منفذا لتصدير الخامات التعدينية لسيناء و هو ما يسهم في تنمية سيناء و استثمار خاماتها . و من بيانات الجدول (٤) و الشكل (١١) يتبين أن الصادر من خلال ميناء العريش محدود جدا عام ١٩٩٦ سواء علي مستوي الكميات أو السفن المترددة عليه ، حيث خرجت سفينة واحدة تحمل ٤.٦ ألف طن و هو بداية العمل بالميناء بعد تطويره ، ثم أخذت الكميات الصادرة و بالتالي أعداد السفن المترددة علي الميناء اتجاها عاما نحو الزيادة حيث وصلت إلي ٢٢١٥.٥ ألف طن عام ٢٠١٠ بعدد ٣٢٩ سفينة ، و إن كان عام ٢٠٠٦ هو أكثر الأعوام في عدد السفن المغادرة للميناء بعدد ٤٦٦ سفينة

جدول(٤) تطور صادرات ميناء العريش خلال الفترة ١٩٩٦-٢٠١٠ .

السنة	عدد السفن	الكمية "ألف طن"	معدل التغير %
١٩٩٦	١	٤.٦	-
١٩٩٧	٢٨	١٣٣.٢	٢٨
١٩٩٨	٥٤	٢٢٧.٤	٧٠.٧
١٩٩٩	٦٣	١٣٦.٨	٣٩.٨-
٢٠٠٠	٧٧	٢٨٧.٣	١١٠
٢٠٠١	٩٦	٣٤٢.٩	١٩.٤
٢٠٠٢	١٨٥	٦٨٩.٣	١٠١
٢٠٠٣	٢٥٢	٨٣٥	٢١.٣
٢٠٠٤	٣٧٣	١٢٥٧.٨	٥٠.٦
٢٠٠٥	٤٢٠	١١٦	١٢.٦
٢٠٠٦	٤٦٦	١٧٠.٤	٢٠.٣
٢٠٠٧	٣٣٨	١٢٨٨.٦	٢٤.٤
٢٠٠٨	٤٤٨	١٤٨٣.٨	١٥.١
٢٠٠٩	٣٤٢	١٣٢٣.٧	١٠.٨-
٢٠١٠	٣٢٩	٢٢١٥.٥	٦٧.٤
إجمالي	٣٤٣٦	١٣٣٤٥.٩	

المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا علي بيانات إدارة ميناء العريش، ٢٠١١، و النسبة من حساب الباحث





المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على جدول (٤).

شكل (١١) إجمالي صادرات ميناء العريش البحري خلال الفترة ١٩٩٦-٢٠١٠



و قد تنوعت صادرات ميناء العريش خلال الفترة ١٩٩٦-٢٠١٠ علي النحو المبين في الجدول (٥) و الشكل (١٢) ، حيث نستنتج منهما تصدير ١١ سلعة تعدينية من سيناء عبر ميناء العريش في الفترة ١٩٩٦-٢٠١٠ ، و هي تمثل ٩٩.٩% من إجمالي السلع المصدرة عبر الميناء ، و بذلك يمكن تصنيفه كميناء تعديني في الغالب ، و يمكن تصنيف هذه السلع كالتالي :

- خامات معدنية : مثل رمل الزجاج و الرمل العادي و الكاولينا و الجبس و الفلسبار والفحم .

- خامات معدنية غير تامة التصنيع : مثل الكلينكر "و هي خليط للمادة الأولية التي تستخدم في صناعة الأسمنت و تتكون من مادتي الكلس و الطين و الحجر الجيري والسيليكات قبل إضافة الجبس" .

- خامات معدنية تامة التصنيع : مثل الملح و الأسمنت العادي و الأسمنت الأبيض والرخام الصناعي " و هو كوارتز طبيعي بنسبة ٩٣% مضافا عليه راتنج و يستخدم في المطابخ بصفة أساسية حيث يقاوم البقع و التلوث الجرثومي" . و خلال الفترة ١٩٩٦-٢٠١٠ جاءت رمال الزجاج في الترتيب الأول بين الصادرات المعدنية عبر ميناء العريش حيث اقتربت من نصف الكمية المصدرة بنسبة ٤٧.٢% ، و جاء الملح في الترتيب الثاني بنحو الثلث بنسبة ٣١.٩% صورة (٩) بالملحق ، بينما مثلت الصادرات التعدينية من الثالث إلي الحادي عشر نحو خمس الصادرات بنسبة ٢٠.٩% وهي بالترتيب : الأسمنت الأبيض و الأسمنت العادي و الفحم و الكلينكر والرمال العادية والفلسبار و الكاولينا والجبس و الكوارتز "رخام صناعي" . و تصدر معظم هذه السلع إلي دول البحرين المتوسط و الأسود .

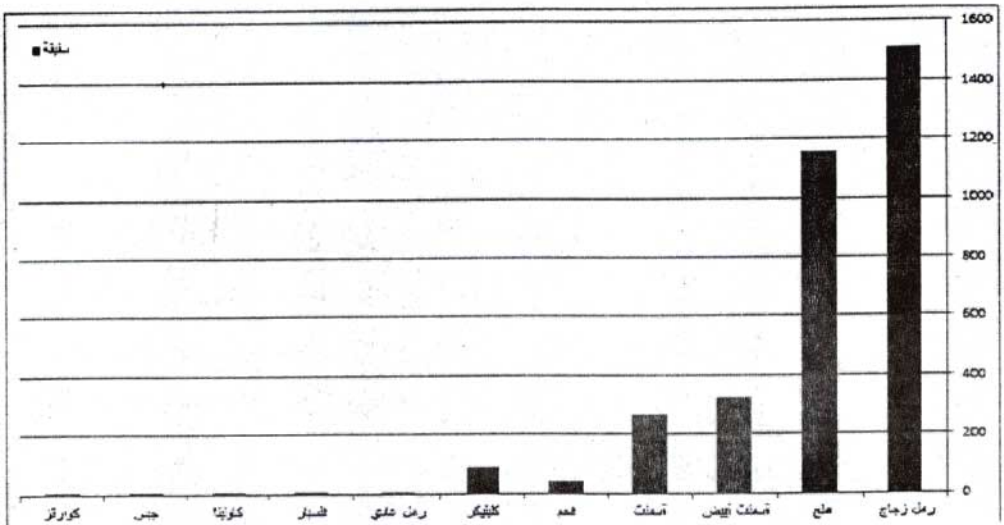
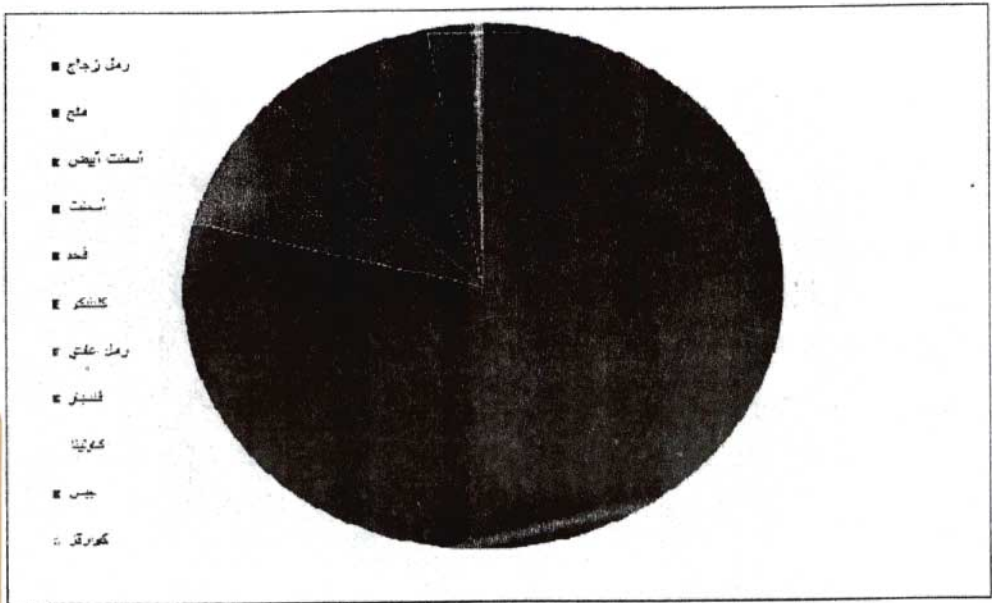
و لا تمثل الواردات عبر ميناء العريش إلا نسبة محدودة من حجم السلع المتداولة خلالها ، بسبب قلة الكثافة السكانية لظهيره ، مع بطء عملية التنمية فيها ، بالإضافة إلي إمكانيتها المتواضعة في استقبال السفن الكبيرة ، و بعدها النسبي عن مناطق الكثافة السكانية بالدلتا و الوادي "١٦٠ كم شرق قناة السويس" . و لذلك

تقتصر الواردات التي تستقبلها الميناء علي منتجات البترول و الأسماك التي يصطادها أهل المنطقة ، و عدد من السلع التي تأتي أحيانا كمساعدات إلي قطاع غزة ، حيث لا تزيد في مجملها علي ٧% من حجم المتداول خلالها سنويا (إدارة ميناء العريش البحري، ٢٠١٣، بيانات غير منشورة عن حركة البضائع).

جدول (٥) إجمالي السلع المصدرة خلال ميناء العريش في الفترة ١٩٩٦-٢٠١٠

عدد السفن	الكمية		الصادرات
	%	ألف طن	
١٥١٢	٤٧.٢	٦٣٠٠.٥	رمل زجاجي
١١٥٤	٣١.٩	٤٢٥٦.٩	ملح
٣٢٣	٨.٨	١١٧٧.٨	أسمنت أبيض
٢٦٤	٦.٣	٨٤٧.٢	أسمنت
٤٢	٢.٨	٣٧٨.٤	فحم
٨٨	٢.٤	٣١٢.٨	كلينيكير
٦	٠.٢	٢٢.٩	رمل عادي
٧	٠.١	١٧.٩	فلسبار
٥	٠.١	١٣.٨	كاولينا
١	٠.١	٩	جبس
٣	٠.١	٧.٩	كوارتز
٣٤٠٥	١٠٠	١٣٣٤٥.١	إجمالي

الجدول: من إعداد الباحث اعتمادا علي بيانات إدارة ميناء العريش، ٢٠١١، والنسبة من حساب الباحث.



المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا علي الجدول (٥).

شكل (١٢) إجمالي السلع المصدرة خلال ميناء العريش في الفترة ١٩٩٦-٢٠١٠.



- مواني : رأس سدر و فيران و بدران :

هي مواني بترولية تخرج منها السفن المحملة بالبترول إلى ميناء الاسكندرية ليوزع علي معامل التكرير في الداخل ، حيث يشحن من ميناء رأس سدر ٦ سفن سنويا بحمولة ٣٠ ألف طن بترول بإجمالي ١٨٠ ألف طن سنويا ، كما يشحن من ميناء وادي فيران "أبوديس و التزازات" ٦٠ سفينة سنويا بحمولة ١٢ ألف طن بترول أي بإجمالي ٧٢٠ ألف طن سنويا ، بينما يخرج من مرسى بدران ٤٨ سفينة سنويا بحمولة متوسطها ١٩٠ ألف طن و بالتالي يصل إجمالي الصادر من خلاله ٩.١٢ مليون طن سنويا ، فضلا عن ما يتم نقله من خلال خطوط الأنابيب من بلاعيم إلي السويس للتكرير أو التصدير .

رابعاً- العلاقات المكانية لموانئ التعدين في سيناء وحجم الحركة فيها :

تعد دراسة العلاقات المكانية للموانئ ( الظهير و النظير ) وحجم الحركة بها من أهم المقاييس التي تشير إلي مدي أهميتها بالنسبة للداخل و الخارج .

١- الظهير : هو المنطقة التي تستلم أو تسلم البضائع المتداولة بالميناء ، و لذلك يمثل المنطقة الخلفية التي يلزمها الارتباط به بشبكات نقل داخلي (Gahoda Rayoth , 1996 , P.128) ، و تأتي أهمية تحديد الظهير في تحقيق وفر في تكلفة النقل عن طريق قرب المسافات ، و معرفة المواقع التي تخدمها الميناء .

و يتبين من التوزيع الجغرافي للخامات المعدنية في سيناء أن موانئها التعدينية تخدم ٢٥ معدن تتوزع في ١٠٧ موقعا تمثل ظهيريها ، و ذلك كما يلي :

- يمتد ظهير ميناء العريش إلي أكثر من نصف مساحة سيناء باعتباره الميناء التعديني الوحيد في شمالها علي البحر المتوسط ، حيث يصل إلي عمق ٢٠٠ كم جنوبا ليستفيد منه ٥٨ موقعا بنسبة ٥٤.٢% من إجمالي مواقع الخامات التعدينية ، حيث

تتوزع فيها إلى ١٧ معدن ، و أهمها : الحجر الجيري ، و الرمال البيضاء ، و ، و الرخام ، و الجبس ، و كلوريد الصوديوم ، و المارل ، و الفحم ، و الكبريت .

- يأتي ميناء أبو زنيمة في الترتيب الثاني بعد ميناء العريش في عدد مواقع الخامات التعدينية التي تستفيد منه . و هي ٣٤ موقعا بنسبة ٣١.٨% من إجمالي المواقع ، حيث تتوزع فيها نحو ١٨ معدن ، و أهمها : المنجنيز ، و الرمال الصفراء ، و الجبس ، و الزلط ، و الكاولين ، و الطفلة ، و الفلسبار .

- يقتصر ظهر موانئ " بدران و فيران و رأس سدر " علي طول السهل الساحلي لخليج السويس الذي يبلغ طوله ٢٧٥ كم و لا يزيد عرضه علي ٣٥ كم بالإضافة إلي مياه الخليج المواجهة له ، حيث يتناثر فيها ١٥ موقعا تمثل حقول للبترو و الغاز الطبيعي بنسبة ١٤% من إجمالي المواقع التعدينية في سيناء

و يأخذ ميناء مرسى بدران الترتيب الثالث بين الموانئ التعدينية في سيناء من حيث عدد المواقع التعدينية بعدد ٧ مواقع بنسبة ٦.٥% . منها ٤ حقول برية علي ساحل خليج السويس ، و هي أبو رديس و سدري و فيران و بلاعيم بري ، و ٣ حقول بحرية و هي بدران و أكتوبر و بلاعيم بحري . و يحتل ميناء وادي فيران الترتيب الرابع بنسبة ٤.٧% في عدد المواقع حيث ينقل إليه إنتاج ٥ حقول تقع جميعا بمياه خليج السويس بمواجهته مباشرة و هي : شعب علي و أمل و مرجان و رمضان و جارة ، و يأتي ميناء رأس سدر في الترتيب الخامس و الأخير بنسبة ٢.٨% حيث ينقل إليه إنتاج ٣ مواقع فقط تمثلها الحقول البرية : سدر و عسل و مطارمة .

٢- النظر : يمثل النظر المجال الخارجي للميناء الذي يتصل به و تحدده حركة التجارة الخارجية عبر البحار و المحيطات (Parke.M.,P.,1986,p.775) ، و يتمثل المجال البحري الخارجي للموانئ التعدينية بسيناء في ٢٢ دولة تتوزع في قارات العالم القديم خلال عام ٢٠١٣ (من تجميع الباحث اعتمادا علي بيانات إدارات الموانئ التعدينية بسيناء ، ٢٠١٣) ، و يأتي ميناء أبو زنيمة في الترتيب الأول بينها في عدد الدول التي يتعامل معها ، حيث تصدر منتجات ظهره إلي هذه الدول جميعا مثل

المسحير الخام و الفيرومنجنيز و الجبس الخام و الجبس المكلسن و الرمل الأبيض الذي يصدر من خلاله مباشرة أو عن طريق حاويات تخرج من ساحاته إلي مينائي بورسعيد و الإسكندرية ، بينما يأتي ميناء العريش في الترتيب الثاني في عدد الدول التي يتعامل معها و أغلبها من دول البحرين المتوسط و الأسود ، حيث يصدر لها الرمل الزجاجي و الملح و الأسمت الأبيض و الأسمت العادي و الفحم و الكلينكر و الرمل العادي و الفلسبار و الكاولين و الجبس و الكوارتز ، و يتمثل نظير الموانئ البترولية "بدران و فيران و رأس سدر" في الداخل المصري نحو مينائي الإسكندرية و السويس سواء للتكرير أم للتصدير .

### ٣- حجم التداول بالموانئ ومعدل التردد :

يتبين من الجدول (٦) التفاوت الواضح بين موانئ التعدين بسيناء في تداول السلع سواء من حيث الكمية و عدد السفن و معدل التردد .

فقد بلغ إجمالي حمولة السلع التي وصلت الموانئ في عام ٢٠١٠ نحو ١٢٦٣٥.٦ ألف طن ، و كان ترتيب الموانئ من حيث حجم التداول كالتالي : مرسى بدران ، و العريش ، و فيران ، و أبو زنيمة ، و رأس سدر ، بينما أخذت الموانئ نفسها الترتيب التالي من حيث عدد السفن المترددة عليها : العريش ، و فيران ، و مرسى بدران ، و أبو زنيمة ، و رأس سدر ، و بالتالي اختلف معدل التردد اليومي للسفن علي الموانئ فقد بلغ أعلاها بميناء العريش "سفينة /١.١يوم" و أدناها بميناء رأس سدر "سفينة/٦٠يوم" بينما بلغت في موانئ : فيران و مرسى بدران و أبو زنيمة سفينة/٦.١ و ٧.١ و ١١.٤ يوم بالترتيب ، و بلغ المتوسط العام لتردد السفن لهذه الموانئ سفينة/٠.٧ يوم

و قد تم حساب معدل تردد السفن علي الميناء كالتالي : عدد أيام العام / عدد السفن المترددة في العام الواحد .



جدول (٦) حجم التداول بموانئ التعدين بسيناء عام ٢٠١٠

الميناء	حمولة ألف طن	%	عدد السفن	%	معدل التردد سفينة/يوم
بدران	٩٠٠٠.١	٧٢.١	٤٨	١٠.١	٧.١
العريش	٢٢١٥.٥	١٧.٥	٣٢٩	٦٩.٣	١.١
فيران	٧٢٠	٥.٧	٦٠	١٢.٦	٦.١
أبوزنيمه	٥٢٠	٤.١	٣٢	٦.٧	١١.٤
رأس سدر	١٨٠	١.٥	٦	١.٣	٦.٠
اجمالي	١٢٦٣٥.٦	١٠٠	٤٧٥	١٠٠	٠.٧

المصدر: من تجميع الباحث اعتمادا علي بيانات وزارة النقل ، بيانات غير منشورة عن حجم الحركة بالموانئ ، ٢٠١١ ، و النسب من حساب الباحث .

#### خامسا- مقترح لخريطة الإستثمار التعدين في سيناء :

تعتمد التنمية الشاملة لسيناء علي استثمار مواردها المتنوعة ، و يعد التركيز علي استثمار الخامات التعدينية التي تزخر بها عاملا مهما لهضتها في وقت قصير لأنه يتطلب أيضا الاتجاه نحو التنمية في قطاعات أخرى خاصة قطاعي الصناعة والخدمات وبالتالي جذب العمالة اللازمة مما يترتب عليه تغيير الخريطة السكانية .

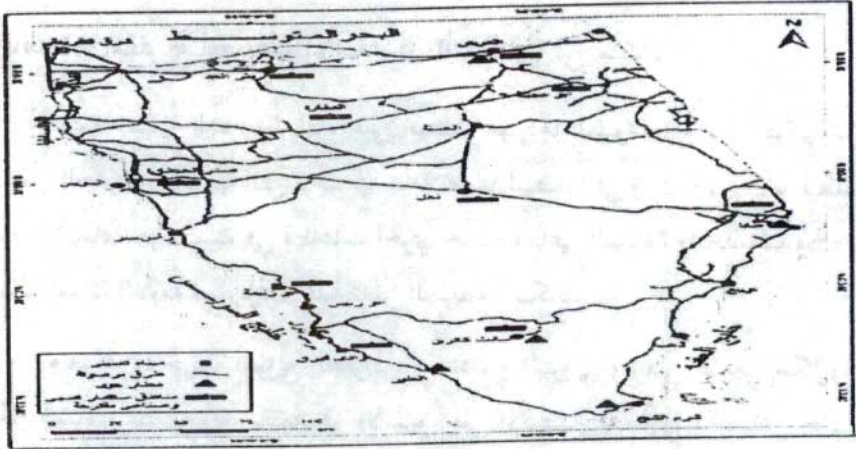
وبعد قراءة خريطة التوزيع الجغرافي للمعادن و البترول و الغاز الطبيعي شكل (٩) يمكن إنشاء مراكز تنمية تعتمد في الأساس علي الإستثمار التعديني والصناعي حسب نوعية الخامات التعدينية القريبة في جهات متفرقة من سيناء مستفيدة من بنيتها الأساسية القائمة ؛ حيث تقع هذه المراكز علي طرقها الرئيسية والتي تمتد من الغرب إلي الشرق شكل (١٣) ، و التوطين هنا في اختيار مواقع الإستثمار التعديني والصناعي عملية

تخطيطية مقصودة لتحقيق أهداف اقتصادية واجتماعية واستراتيجية بصورة أفضل فيما لو تركت الحرية في اختيار مواقع المنشآت بشكل يتفق مع مصالح المستثمرين (David, 1971, p. 88) ، حيث يمكن إقامة مراكز الاستثمار التعدين والصناعي في ثلاثة محاور ، و هي :

١- المحور الشمالي : و يمتد فيّه طريقان ، هما :

- طريق الساحل الشمالي : يمكن إقامة مركزين عليه ؛ الأول عند مدينة بئر العبد في منتصف المحور مستفيدا من تعدين : الطفلة و الملح و الرمال السوداء و الصفراء ، و الآخر في منطقة العريش حيث تعدين : الطفلة و الملح و الكبريت و الغاز الطبيعي و الرمال الصفراء .

- طريق شرق الإسماعيلية - العوجة : يمكن أن يستوعب مركزين ؛ الأول في منطقة جبل المغارة و التي تزخر بالعديد من المعادن و أهمها : الفحم والدولوميت و الطفلة والحجر الجيري و الرمال البيضاء و الصفراء والفيروز، و المركز الآخر قرب منطقة أبوعجيلة حيث تعدين الدولوميت والرمال البيضاء و الحجر الجيري و المارل و الطفلة و الرمال الصفراء .



المصدر : من إعداد الباحث .

شكل (١٣) مراكز الاستثمار التعدين والصناعي المقترحة في سيناء

٢- المحور الأوسط : يمتد علي طريق : الشط - نخل - طابا حيث يقسم سيناء إلي نصفين شمالي و جنوبي و يصل طوله إلي ٢٢٥ كم ، و يمكن إقامة ثلاثة مراكز للاستثمار التعديني عليه ؛ الأول في بدايته من ناحية الغرب بمنطقة صدر الحيطان ، حيث تعدين خامات : الفحم و البنتونيت و رمال الصفراء ، و الثاني في مدينة نخل بمنتصف الطريق في قلب سيناء لتستثمر معادن : الطفلة و الرمال البيضاء و الصفراء و الحجر الجيري و التربة الزلطية فضلا عن استخراج الغاز الطبيعي ، كما يمكن إقامة المركز الأخير عند نهاية الطريق في منطقة طابا حيث تعدين الرمال الصفراء والحجر الجيري .

٣- المحور الجنوبي : يمتد علي طريق : أبوزنيمة - أبورديس - وادي فيران - سانت كاترين - نويبع : ويمكن إنشاء ثلاثة مراكز للاستثمار التعديني و الصناعي في مناطق : أبوزنيمة و وادي فيران و كاترين ، حيث يمكن الاستفادة من التنوع الواضح للمعادن في هذه المنطقة و أهمها : المنجنيز و الجبس والبترول و الغاز الطبيعي و الفحم و الدولوميت و الكاولين و النحاس و رمال القار و الباتيت و الفلسبار و الحجر البيتومي و الذهب .

و قد تتنوع الصناعات المقامة داخل هذه المراكز لتتجمع بين عمليات إعداد و تجهيز الخامات التعدينية للتصدير أو تحويلها إلي سلع نصف مصنعة أو تامة الصنع ، وبالتالي تكون أكثر جذبا للمستثمرين و العمالة بمختلف مستوياتها . ويمكن طرح الأنشطة الإستثمارية في المجالات التعدينية و الصناعات المرتبطة بها علي المستثمرين وفقا لقوانين الإستثمار ، وذلك بعد توفير المرافق و الخدمات والتي يمكن أن تقيمها شركات تتولي إدارتها و تحصل الرسوم مقابل ذلك من الشركات المستفيدة بهذه المراكز لمدة محددة ثم تعود إدارتها للدولة فيما يعرف بنظام البوت BOT . و يمكن أن يستفيد مركزا التعدين و الصناعة بالمحور الشمالي من ميناء العريش بحكم الموقع. بينما تستفيد مراكز المحور الجنوبي من موانئ الساحل الشرقي لخليج السويس التعدينية "رأس سدر - أبوزنيمة - بدران - فيران" . و أما المحور الأوسط فيمكن لمراكزه الاستفادة من كافة هذه الموانئ .



المشاكل التي تواجه حركة النقل البحري عبر موانئ التعدين بسيينا و تشجيع الإستثمار التعديني بها ، وتمثل فيما يلي :

١- قلة عمق المواني : حيث يصل متوسط العمق داخل المواني التعدينية بسيينا ٩.٢م. مما يترتب عليه قلة الغاطس ، و بالتالي لا تزيد حمولة السفن التي تدخلها علي ٢٥٠ ألف طن في مرسي بدران بخليج السويس ، بينما لا يزيد في ميناء العريش علي ١٥ ألف طن .

٢- أطوال الأرصفة : يصل عدد الأرصفة ١٤ رصيف بطول ٣٩٩٨م فقط ، مما يقلل من إمكانية رسو عدد مناسب من السفن عليها و زيادة ساعات الانتظار خارج أحواض المواني ، فضلا عن أن عددا منها هي مراسي ممتدة داخل البحر بمواني الساحل الشرقي لخليج السويس .

٣- صغر المساحات الخاصة بالتخزين ، حيث إن أكبرها يوجد بميناء العريش علي مساحة ٣٠ ألف م<sup>٢</sup> .

٤- عدم وجود محطة حاويات واحدة في أي من هذه المواني مما يترتب عليه شحن كميات من الخامات في حاويات تنقل برا إلي المواني الأخرى ، مما يزيد من تكلفة نقل المعادن ويقلل من قدرتها علي المنافسة .

## التناح

بعد دراسة الموانئ التعدين بشبه جزيرة سيناء و دورها في استثمار خاماتها التعدينية . نعرض التناح الآتية

- وجود خمس موانئ للتعدين في سيناء "العريش - رأس سدر - أبوزنيمة - مرسي بدران - فيران" تسهم في استثمار الخامات التعدينية بها ، وتعد ميناء أبو زنيمة ميناءً تعدينيا بصورة كاملة . بينما تصنف ميناء العريش بأنها ميناء تعديني بصورة شبه كاملة. و تعد موانئ : رأس سدر و رأس بدران و فيران موانئ بترولية .

- الإمكانيات المحدودة لموانئ التعدين في سيناء من حيث مساحتها الأرضية والبحرية و العمق و عدد الأرصفة وأطوالها بالإضافة إلي ضآلة تجهيزات الشحن والتفريغ . و رغم إتصالها بشبكة جيدة من الطرق المرصوفة ، لكن لا تصل إليها شبكة خطوط السكك الحديدية

- تتميز سيناء بوجود العديد من الثروات التعدينية . و التي تتوزع في أرجائها مثل المنجنيز و الرمال و الجبس والحجر الجيري و الطفلة و كلوريد الصوديوم والكبريت و البنتونيت و الدولوميت و المارل و الكاولين و الفحم و الفلسبار و الرخام والغاز الطبيعي... وغيرها ، و يتم الإستثمار في عدد منها ، لكنه ليس بالقدر الملائم

- تصدر الخامات التعدينية لسيناء من خلال مينائي العريش و أبوزنيمة مع ملاحظة التطور العام في أعداد السفن و الكميات المصدرة للخارج و خاصة لدول : الصين وتركيا و اليونان و الإمارات و اليابان و الهند و إيطاليا ، بينما ينقل الزيت من موانئ: رأس سدر و بدران و فيران إلي ميناء الإسكندرية و يضخ الغاز الطبيعي في الشبكة القومية للغازات الطبيعية . و لا يمثل الوارد لهذه الموانئ إلا نسبة ضئيلة من المتداول فيها و يقتصر علي ميناء العريش .

- بناء مراكز للإستثمار في مناطق جديدة وسيلة جيدة لتنميتها .  
التوصيات : لتحقيق أقصى إستفادة من موانئ التعدين بشبه جزيرة سيناء في الإستثمار الجيد للخامات المعدنية بها . و أن يكون هذا القطاع محورا للتنمية الشاملة بالإقليم . يراعي الآتي

- تطوير موانئ التعدين لسيناء بزيادة إمكانياتها من حيث : زيادة المساحة الأرضية و البحرية المخصصة لها و بالتالي زيادة مساحات التخزين المكشوفة والمغطاة مع زيادة أطوال الأرصفة و تعميق الغاطس ، مع توفير الآلات الحديثة للشحن و التفريغ ، فضلا عن أهمية إنشاء محطتي حاويات بمينائي العريش وأبورزيمة .

- ربط الموانئ التعدين بمراكز التعدين الرئيسية بالداخل من خلال خطوط سكك حديدية .

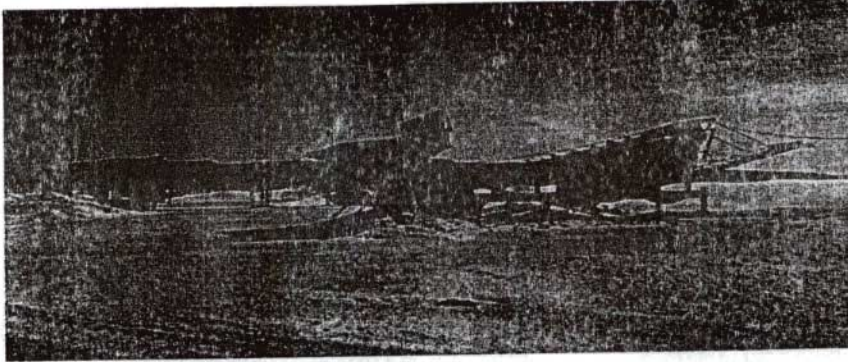
- يمكن إنشاء مراكز متفرقة للإستثمار التعدين و الصناعي علي المحاور الرئيسية الثلاثة بسيناء و التي تقع علي الطرق الرئيسية بها لينتج لدينا خريطة جاذبة للتنمية علي المحور الشمالي مستفيدا من طريقي الساحل و الإسماعيلية - العوجة ، و محور الوسط مستفيدا من طريق الشط - طابا ، و المحور الجنوبي علي طريق شرق خليج السويس و متصلا بسانت كاترين ، علي أن تخصص هذه المراكز في إستثمار الخامات المعدنية القريبة منها مع إنشاء البنية الأساسية الخدمية اللازمة لجذب العاملين بأسرهم لهذه المناطق .

- إنشاء مراكز بحثية متخصصة في مجال التعدين بسيناء للقيام بعمل الأبحاث و وضع الخطط التي تسهم بشكل فعال في التنمية .

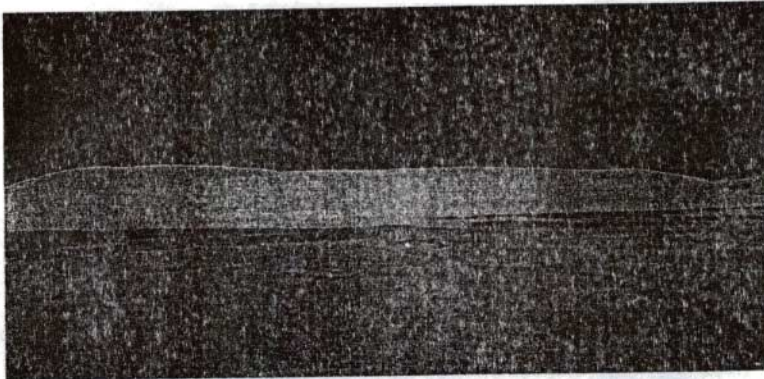
- الإنتهاء من قانون المناجم و المحاجر حيث أن القانون الحالي يعود إلي عام ١٩٥٦ ، و لا يتسق مع المتغيرات التي حدثت في سوق الخامات .



ملحق الصور :



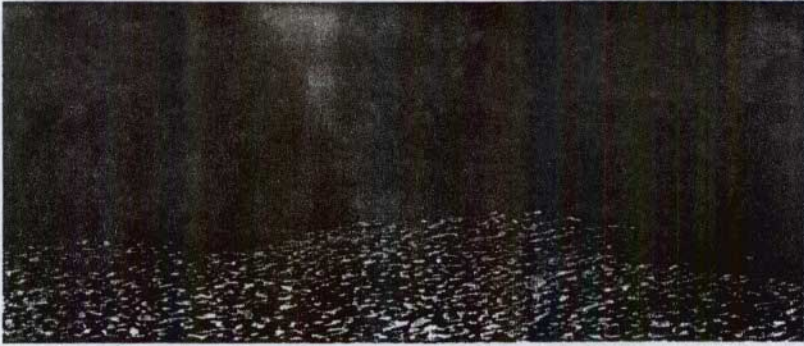
صورة(١) هزازات رمل الزجاج تجهيزا للتصدير عبر ميناء أبو زنيمة



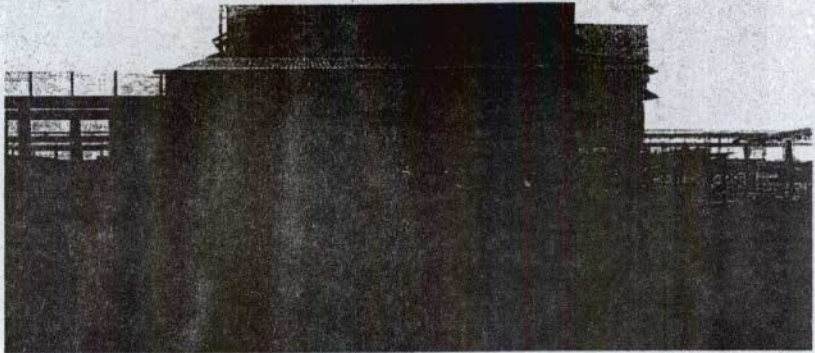
صورة(٢) رمل الزجاج بعد غربلته وجاهز للتصدير عبر ميناء أبو زنيمة



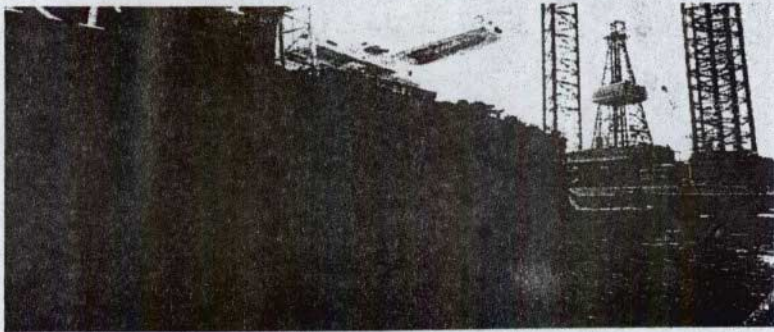
صورة(٣) حجر من الجبس الخام من محاجر منطقة أبو زنيمة



صورة (٤) كميات من الجبس الخام المعدة للتصنيع في مصنع رأس ملعب

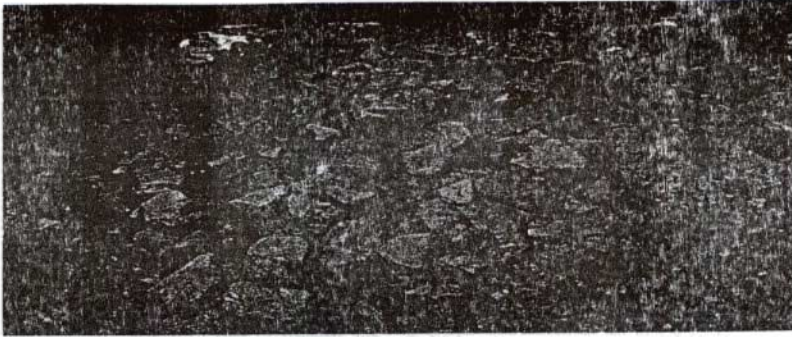


صورة (٥) مصنع الفيرومنجنيز من الخارج بأبو زنيمة

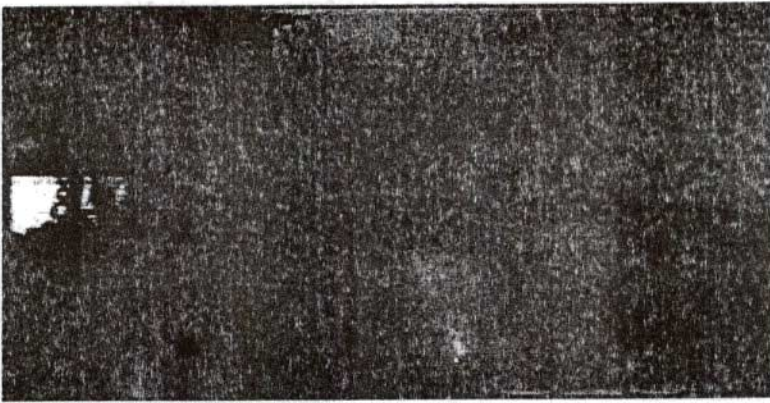


صورة (٦) حفار للتنقيب عن البترول مقابل الساحل الشرقي لخليج السويس

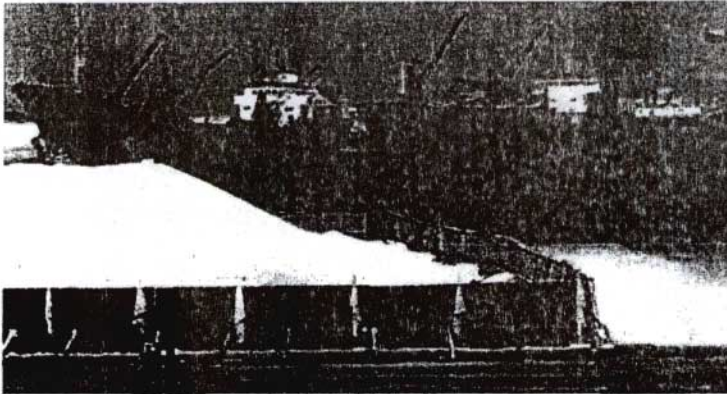




صورة (٧) منجنيز خام في ساحات ميناء أبوزنيمة



صورة (٨) صهير المنجنيز بمصنع أبوزنيمة تمهيدا لصناعة سبيكة الفيرومنجنيز



صورة (٩) صادرات الملح من خلال ميناء العريش



## المصادر و المراجع :

أولا : باللغة العربية :

- ١- الجهاز المركزي للتعبئة العامة و الإحصاء ، ٢٠١٣ ، بيانات غير منشورة عن الموانئ البحرية المصرية ، القاهرة .
- ٢- الهيئة المصرية العامة للمساحة الجيولوجية و أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا، ١٩٩٨ ، التقرير النهائي عن دراسة و تقييم رواسب الطفلة الكربونية بغرب وسط سيناء ، القاهرة .
- ٣- الهيئة المصرية العامة للمساحة الجيولوجية ، ١٩٨٥ ، الحجر الجيري و الطفلة ، بيانات غير منشورة .
- ٤ - \_\_\_\_\_ ، ١٩٩٦ ، تقرير عن المعادن في سيناء، أبريل، القاهرة .
- ٥- الهيئة العامة لموانئ البحر الأحمر ، ٢٠١٢ ، نشرة سنوية ، السويس .
- ٦- أحمد عاطف دردير ، ٢٠٠١ ، موارد الثروة المعدنية و إمكانات التنمية في مصر ، سلسلة بحوث جغرافية ، العدد ٥ ، الجمعية الجغرافية المصرية ، القاهرة .
- ٧- إدارة المحاجر ، ٢٠٠٦ و ٢٠١٢ ، بيانات غير منشورة عن المعادن في محافظة شمال سيناء ، العريش .
- ٨- \_\_\_\_\_ ، ٢٠١٣ ، بيانات غير منشورة عن المحاجر في محافظة جنوب سيناء ، الطور .
- ٩- إدارة ميناء العريش ، ٢٠١١ و ٢٠١٣ ، بيانات غير منشورة عن حركة السلع بالميناء ، العريش .
- ١٠- إدارة ميناء أبوزنيمة ، ٢٠١٣ ، بيانات غير منشورة عن صادرات الميناء .
- ١١- شركتا : جيمكو للجاسات و الرخام و العامة للثروة المعدنية ، ١٩٨٣ ، بيانات غير منشورة عن النشاط التعديني .

- ١٢- عاطف هلال ، ٢٠٠١ ، الموارد المعدنية و آفاق تنميتها حتي عام ٢٠٢٠ ، مكتبة الأكاديمية ، القاهرة .
- ١٣- كارلين أولولين- ترجمة مختار السويفي ، ١٩٩٦ ، اقتصاديات النقل البحري- دراسة تحليلية عن العلاقة بين النقل البحري و التجارة الخارجية ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة .
- ١٤- مجلس الوزراء ، ١٩٩٢ ، مركز المعلومات ، مشروع الموارد الطبيعية ، تقرير المعلومات الأساسية عن خامات الثروة المعدنية في سيناء ، أبريل ، القاهرة .
- ١٥- محافظة جنوب سيناء ، ٢٠١٢ ، مركز المعلومات ، التوصيف البيئي ، الطور .
- ١٦- محافظة شمال سيناء ، ٢٠٠٧ ، مركز المعلومات ، التوصيف البيئي ، العريش .
- ١٧- معهد التخطيط القومي ، ٢٠٠٧ ، مستقبل التنمية في محافظات الحدود "مع التطبيق علي سيناء" ، سلسلة قضايا التخطيط و التنمية رقم ٢٠١ ، أغسطس ، القاهرة .
- ١٨- محمد ابراهيم رمضان ، ٢٠٠١ ، الجغرافية المتغيرة للمواني البحرية السعودية الرئيسية في نهاية القرن العشرين ، مجلة الجغرافية الكويتية ، قسم الجغرافيا بجامعة الكويت و الجمعية الجغرافية الكويتية ، مايو ، الكويت .
- ١٩- ممدوح عبد الغفور حسن ، ٢٠٠٨ ، الجدوي الاقتصادية لاستغلال معادن التيتانيوم في مصر ، الملتقي و المعرض الدولي لاقتصاديات المناجم و المهاجر بالوطن العربي ١-٣ يناير ، القاهرة .
- ٢٠- نادين زياد العثمان ، ٢٠١١ ، أطلس شبه جزيرة سيناء باستخدام نظم المعلومات الجغرافية و الاستشعار عن بعد ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، القاهرة .
- ٢١- وزارة الإسكان و المجتمعات العمرانية الجديدة ، ١٩٨٣ ، المركز القومي لبحوث الإسكان و البناء ، الطوب الرملي - منطقة العريش ، العريش .

- ٢٢- وزارة النقل ، ٢٠١١ ، قطاع النقل البحري ، الإدارة المركزية للمواني ، التقرير السنوي ، القاهرة .
- ٢٣- — ، ٢٠١١ ، قطاع النقل البحري ، إدارة المواني التخصصية والبيئة البحرية ، نشرة سبتمبر ، القاهرة .
- ٢٤- — ، ٢٠١١ ، هيئة مواني البحر الأحمر ، مركز المعلومات ، إدارة الإحصاء ، بيانات غير منشورة عن حجم الحركة بالمواني .
- ثانيا : باللغة الانجليزية :

- 25 - Barke , M., P., 1986 , *Transport and Trade ; Conceptual Frameworks in Geography* , Oliver and Boyd , Hong Kong .
- 26- *Cairo fresh Company To Produce and Export of Minerals*, 2013, *Unpublished Data* , Cairo .
- 27- David Smith , 1971, *Industrial Location an Economic Geography Analysis* , John Wiley and Sons.
- 28-Ernst G. Fankel, 1987, *Port Planning and Development*, New York .
- 29- Gahoda Rayoth , 1996 , *Intermodality , Concept and Praticce*, London .
- 30- Garnier , J. D. , Chabot , G. , 1976 , *Urban Geography* , London .
- 31-Moreby D. H. , 1985 , *The Human Elements in Shipping* , *Sea Trade Publiaticon – London* .
- 32-Fielding , S. , 1982, *Worldwide Guide to Cruises*, New York.
- 33-Sinai Manganese Company, 2013, *Unpublished Data on the history and activities of the company*, Abu-Zenima .



دراسة تحليلية

لبعض مظاهر جغرافية الثروة الحيوانية

في محافظة أسيوط

دكتور/ خالد إبراهيم بدرة

المدرس بقسم الجغرافيا - كلية الآداب

جامعة أسيوط

توزيعات التعداد السكاني  
في العراق عام 2014  
لدى مستوى المحافظات

مؤلف: د. محمد جواد محمد  
مستشار هيئة التدريس في الجغرافيا  
جامعة تكريت

يعد الاحتياج إلى الغذاء هو الاحتياج الأكثر أولوية من أي احتياج آخر<sup>(١)</sup>، وتمثل الثروة الحيوانية مصدرا مهما للمواد الغذائية التي تلبي الحاجات البشرية، وكانت الماشية في مصر القديمة تمثل مكانة اجتماعية وقيمة اقتصادية عالية، وكان الملاك يفخرون باستعراض ماشيتهم<sup>(٢)</sup>، وموضوع الدراسة: دراسة تحليلية لبعض مظاهر جغرافية الثروة الحيوانية في محافظة أسيوط، يهدف إلى رصد تغير الثروة الحيوانية في محافظة أسيوط، وتحليل توزيعها والعوامل المؤثرة في هذا التوزيع، والتعرف على المركب الحيواني وأهم عناصره، والإنتاج الحيواني وعلاقته بالسكان، ومشكلات الثروة الحيوانية بالمحافظة.

فروض الدراسة:

- انتشار تربية الحيوان في كافة مراكز المحافظة.
- تحمل النشاط الزراعي لمسئولية توفير احتياجات الحيوان من الغذاء.
- مدى إسهام الإنتاج الحيواني في توفير احتياجات السكان من المنتجات الحيوانية.

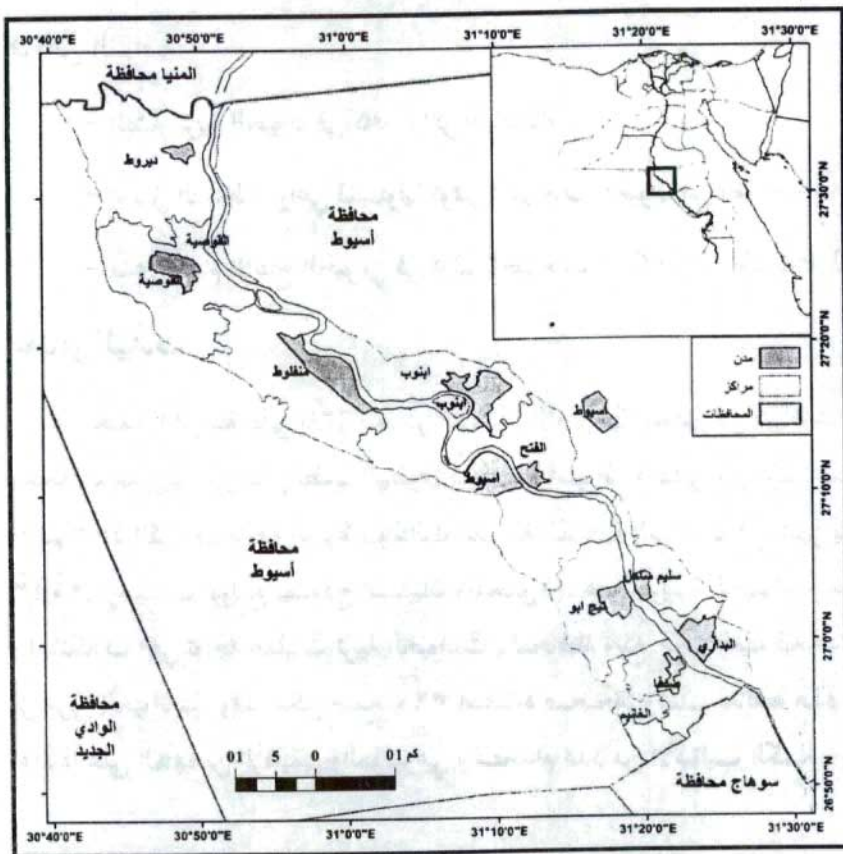
#### مصادر البيانات:

تعتمد الدراسة على ثلاثة مصادر أساسية: الأول منها يتمثل في البيانات المدونة بسجلات مديرتي الزراعة والطب البيطري بمحافظة أسيوط، والثاني من مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمحافظة أسيوط، والثالث الدراسة الميدانية التي تمت في شهر يناير عام ٢٠١٣، وشملت توزيع نموذج استبيان (ملحق ١)، عن بتربية الحيوان واحتياجاته والمشكلات التي تواجه عمليات تربية الحيوانات بالمحافظة وبلغ حجم العينة فيه عدد ٤٠٠ من مربى الحيوانات، وقد أمكن جمع ٣٦٠ استمارة صحيحة، وتمت معالجة هذه الدراسة اعتمادا على المنهجين الإقليمي والموضوعي واستخدام عدد من الأساليب الكمية.



## منطقة الدراسة:

تمثل منطقة الدراسة في محافظة أسيوط التي تقع بين دائرتي عرض ٤٥ و ٢٦ و ٤٣ و ٢٧ شمالاً، وعلى خط طول ٣٠ درجة شرقاً، يحدها محافظات سوهاج جنوباً، والبحر الأحمر شرقاً، والمنيا شمالاً، والوادي الجديد غرباً. تضم المحافظة أحد عشر مركزاً إدارياً وتبلغ مساحتها الإجمالية ٢٥٩٢٦ كيلومتر مربع؛ ومساحة المعمر منها ١٦٠٣.٨ كيلومتر مربع. يشغل الريف الجزء الأكبر من هذه المساحة إذ تبلغ مساحته حوالي ١٤١٤.٨ كيلومتر مربع أي حوالي ٨٨.٢% من مساحة المعمر بالمحافظة.



شكل (١) موقع محافظة أسيوط ومراكزها الإدارية.

وتنظم معالجة الدراسة من خلال دراسة تطور الثروة الحيوانية، والتركيب النوعي لعناصر هذه الثروة الحيوانية، وتوزيعها على مراكز المحافظة؛ والعوامل المؤثرة في التوزيع، وتنتهي الدراسة إلى الإنتاج الحيواني، وأهم المشكلات التي تواجه تربية الحيوان بالمحافظة.

أولاً: تطور الثروة الحيوانية في محافظة أسيوط:

تشير الأدلة الأثرية إلى أن علاقة الإنسان بالحيوان علاقة قديمة<sup>(٣)</sup>، وقد صور على جدران العديد من المقابر في مصر القديمة اهتمام المصريين بثرواتهم الحيوانية<sup>(٤)</sup>، ودراسة الثروة الحيوانية في إطار دراسات الجغرافيا الاقتصادية يأتي في مقدمتها دراسة التطور العددي والمكاني؛ للتعرف على الخلفيات التي قد تحيط بالمشكلة البحثية<sup>(٥)</sup>.

#### جدول (١)

تطور حجم الوحدات الحيوانية المكافئة<sup>(٦)</sup> بمحافظة أسيوط بين عامي ٢٠٠٠ و ٢٠١٠

النوع	٢٠٠٠		٢٠٠٥		٢٠١٠	
	ألف وحدة	%	ألف وحدة	%	ألف وحدة	%
الأبقار	١٣٦.٥	٢٧.٩	١٩٩.٦	٣٢.٠	٢٠٧.١	٣٦.٢
التغير %	١٠٠		١٤٦.٢		١٥١.٧	
الجاموس	١٦٨.٠	٣٤.٤	٢٠٥.٥	٣٢.٩	٢٠٦.٤	٣٦.٠
التغير %	١٠٠		١٢٢.٣		١٢٢.٨	
الدواجن	١٢٧.٧	٢٦.٢	١٢٩.٤	٢٠.٧	٧٨.٦	١٣.٧
التغير %	١٠٠		١٠١.٣		٦١.٥	
دواب الحمل	٢٥.٧	٥.٣	٣٩.٣	٦.٤	٣٥.٠	٦.١
التغير %	١٠٠		١٥٢.٩		١٣٦.٢	
الأغنام	٢٠.٢	٤.١	٣١.٧	٥.١	٢٨.٩	٥.١
التغير %	١٠٠		١٥٦.٩		١٤٣.٠	
الجمال	١٠.٣	٢.١	١٨.٣	٢.٩	١٦.٨	٢.٩
التغير %	١٠٠		١٧٧.٦		١٦٣.١	
الإجمالي	٤٨٨.٤	١٠٠	٦٢٤.٤	١٠٠	٥٧٢.٨	١٠٠
التغير %	١٠٠		١٢٧.٨		١١٧.٢	

المصدر: محافظة أسيوط، مركز المعلومات ودعم القرار، بيانات مطبوعة وغير منشورة.

من خلال تحليل الجدول (١) والشكل (٢) يمكن استنتاج مايلي: -

\*زادت عناصر الثروة الحيوانية بمحافظة أسيوط في أعداد وحداتها الحيوانية المكافئة بشكل عام خلال الفترة قيد الدراسة، ففي عام ٢٠٠٥ تجاوزت نسبة الزيادة ٢٧.٨% من إجمالي عناصر الوحدات الحيوانية بالمحافظة في سنة الأساس (٢٠٠٠)، وبالرغم من تناقص إجمالي الوحدات الحيوانية بالمحافظة عام ٢٠١٠ عن مثيلتها عام ٢٠٠٥ إلا أنه كان هناك زياد يقترب من خمس أعدادها بالمقارنة بسنة الأساس.

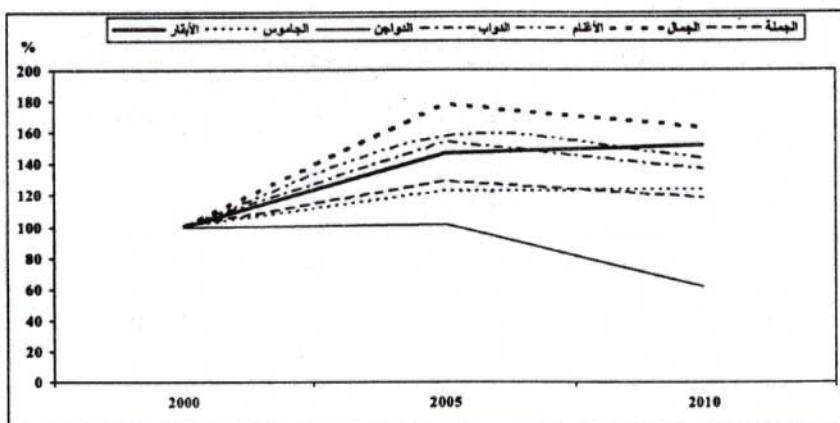
\*تمثل الماشية بعنصرها الأبقار والجاموس العنصر الرئيسي في الثروة الحيوانية بالمحافظة حيث تراوح حجمها النسبي طوال الفترة قيد الدراسة حول ثلثي حجم الثروة الحيوانية بها، وجاء الجاموس في المرتبة الأولى عامي ٢٠٠٠ و ٢٠٠٥، وفي عام ٢٠١٠ احتلت المرتبة الثانية بفارق نسبي صغير، ويأخذ منحني نموها اتجاهها تصاعديا أما الأبقار أخذ منحني نموها اتجاهها تصاعديا أيضا؛ حيث جاءت في المرتبة الثانية عامي ٢٠٠٥ و ٢٠١٠.

\*احتلت الدواجن والطيور الأخرى المرتبة الثالثة من حيث عدد الوحدات الحيوانية، وان اختلف حجمها النسبي خلال الفترة قيد الدراسة، ففي عام ٢٠٠٠ تجاوزت ربع الحجم النسبي للوحدات الحيوانية المكافئة، تناقص هذا الحجم عام ٢٠٠٥ ليقترب من خمس الوحدات الحيوانية المكافئة، وفي عام ٢٠١٠ وصل إلى ١٣.٧% من هذه الوحدات، وينعكس ذلك في منحني النمو الخاص بهذا العنصر في المكون الحيواني بالمحافظة، ففي عام ٢٠٠٥ ازدادت الدواجن بنسبة صغيرة بلغت ١.٣% من أعدادها في سنة الأساس. وفي عام ٢٠١٠ تناقصت بنسبة كبيرة وصلت إلى ٣٨.٥% عما كانت عليه في سنة الأساس، ويرجع ذلك لتعرض تربية الدواجن بشكل عام في مصر إلى أزمة ارتبطت بمرض أنفلونزا الطيور، والأثر المباشر لانتشار ذلك الوباء على الثروة الداجنة من نفوق أعداد منها، وأثار غير مباشرة في التوجه نحو التخلص من كم كبير بالذبح الجائر خشية الإصابة بالوباء وإحجام المستثمرين عن الاستثمار في هذا النشاط.



\* استحوذت دواب الحمل والجر بعناصرها الثلاثة (الحمير والبغال والخيول) على المرتبة الرابعة من حيث الحجم النسبي للوحدات الحيوانية في المحافظة، وتعد الحمير أهم هذه العناصر الثلاث، حيث تمثل النسبة الغالبة من رؤوس دواب الحمل والجر كما سيلي ذلك تفصيلا عند تحليل التركيب النوعي للثروة الحيوانية بالمحافظة، ولقد ازداد حجمها النسبي بشكل عام في الفترة قيد الدراسة، ويشير منحني النمو إلى التزايد الكبير عام ٢٠٠٥ حيث بلغت نسبة التغير ٥٢.٩% وفي عام ٢٠١٠ بلغت هذه النسبة ٣٦.٢% بالمقارنة بسنة الأساس.

\* احتلت الأغنام والماعز المرتبة الخامسة من حيث عدد الوحدات الحيوانية المكافئة، ففي عام ٢٠٠٥ بلغ حجمها النسبي ٤.١%، وبلغ ٥.١% في عامي ٢٠٠٥ و ٢٠١٠ من هذه الوحدات، وصاحب هذا التزايد في الحجم النسبي للوحدات الحيوانية المكافئة من الأغنام والماعز تزييدا ملحوظا في أعداد الوحدات الحيوانية، ففي عام ٢٠٠٥ بلغت نسبة التزايد ٥٦.٩% وفي عام ٢٠١٠ بلغت ٤٣% من وحدات الأغنام والماعز بالمقارنة بسنة الأساس



شكل (٢) التغير النسبي للوحدات الحيوانية بمحافظة أسيوط عامي ٢٠٠٥ و ٢٠١٠.

\* جاءت الجمال في المرتبة الأخيرة من حيث عدد وحداتها الحيوانية المكافئة بالمحافظة حيث تراوح حجمها النسبي بين ٢.١% و ٢.٩% من هذه الوحدات في الفترة

قيد الدراسة، وحقق منحى نمو الجمال أعلى نسبة تغير بين العناصر الحيوانية المختلفة بالمحافظة، ففي عام ٢٠٠٥ بلغت نسبة التغير ٧٧.٦%، وفي عام ٢٠١٠ بلغت هذه النسبة ٦٣.١% من أعداد الوحدات الحيوانية المكافئة من الجمال في سنة الأساس، وبالرغم من ارتفاع نسبة التغير إلا أنها مازالت تمثل العنصر الأقل انتشارا في المحافظة، وقد يرجع ذلك لارتباط تربية الجمال في الصعيد بزراعة وتصنيع القصب، أو قل سرعة نقل وتجميع القصب من الحقول إلى الوحسة<sup>(٧)</sup>، وتصنيع القصب من الصناعات غير المتوتنة بمحافظة أسيوط. ومما سبق يمكن تقسيم العناصر الحيوانية بمحافظة أسيوط تبعا للتغير في اتجاهات منحنيات نموها إلى ثلاث مجموعات على النحو التالي: -

- المجموعة الأولى: تشمل العناصر الحيوانية التي واصلت أعدادها في النمو طوال الفترة قيد الدراسة، وتضم الماشية بعنصريها الجاموس والأبقار.

- المجموعة الثانية: تتمثل في العناصر التي حققت نموا خلال هذه الفترة بشكل عام، إلا أن هذا النمو تناقص عام ٢٠١٠ بالمقارنة بعام ٢٠٠٥، وتشمل الجمال والأغنام والماعز ودواب الحمل والجر.

- المجموعة الثالثة: تنحصر في الدواجن والطيور الأخرى التي تناقصت وحداتها الحيوانية المكافئة بشكل عام خلال فترة الدراسة.

#### جدول (٢)

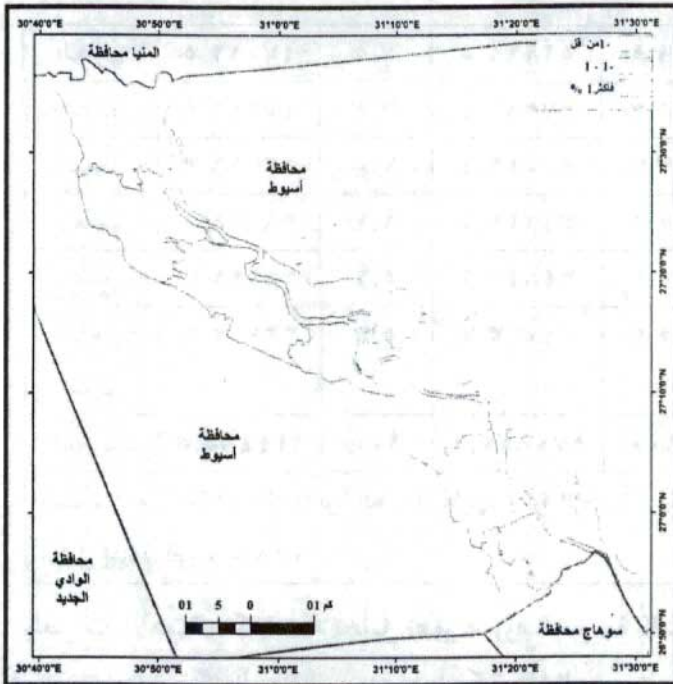
توزيع الوحدات الحيوانية على مراكز محافظة أسيوط بين عامي ٢٠٠٥ و٢٠١٠.

المركز	٢٠٠٥		٢٠١٠		الفارق النسبي
	وحدة حيوانية	%	وحدة حيوانية	%	
منفلوط	٨٨٠٠٣.٢	١٤.١	٨٨٢٣٦.٦	١٥.٤	١.٣ +
ديروط	٨٥١٣٥.١	١٣.٦	٧١٢٧٤.٧	١٢.٤	١.٢ -
القوصية	٧٨٩٥٤.٦	١٢.٨	٧٧٨٣٨.٤	١٣.٦	٠.٨ +
أسيوط	٧٨٩٢٧.٩	١٢.٦	٥٥١٠٣.٨	٩.٦	٣.٠ -
أبوتيج	٥٠٤٨٧.٢	٨.١	٤٠٤٢٩.٣	٧.١	١.٠ -

١.٤ +	٨.٩	٥١١٦١.٥	٧.٥	٤٧٠١٢.٥	البداري
٠.٩ +	٨.٣	٤٧٢٦٢.٤	٧.٤	٤٥٩٤١.٤	أبنوب
٠.٧ +	٧.٧	٤٤٠١٦.٤	٧.٠	٤٣٧١٦.٣	صدفا
٠.٦ -	٥.٥	٣١٦٢٤.٥	٦.١	٣٨٠٩٨.٠	الغنايم
٠.٥ +	٦.١	٣٤٨٤٣.٦	٥.٦	٣٥١٢٦.٧	الفتح
٠.٢ +	٥.٤	٣١٠٧٣.٧	٥.٢	٣٢١٨٢.٦	ساحل سليم
٥.٨	١٠٠	٥٧٢٨٥٧.٩	١٠٠	٦٢٤٤٨٥.٥	المحافظة
المصدر: محافظة أسيوط، مديرية الطب البيطري، إدارة الإحصاء، بيانات غير منشورة. معامل إعادة التوزيع = ٠.٥٨					

ولعل من الأهمية بمكان عند تحليل تطور الثروة الحيوانية بالمحافظة الإشارة إلى التغير في توزيعها على مراكز المحافظة، ومدى ديناميكية هذا التوزيع والموضح بالجدول (٢) والشكل (٣) الموضحان لتوزيع الوحدات الحيوانية على مراكز المحافظة عامي ٢٠٠٥ و٢٠١٠، ومن خلالهما يستنتج أن هناك تغيراً محدوداً أقرب إلى أن تكون حالة من الاستقرار النسبي في توزيع الوحدات الحيوانية على مراكز المحافظة بين عامي ٢٠٠٥ و٢٠١٠، حيث بلغ الحجم المعاد توزيعه ٥.٨% من الحجم النسبي للثروة الحيوانية بالمحافظة، مما انعكس على قيمة معامل إعادة التوزيع التي بلغت ٠.٥٨ أي أنه أقرب إلى الصفر، مما يشير إلى ضعف حركة إعادة التوزيع أو التغير النسبي لتوزيع الوحدات الحيوانية على مراكز المحافظة.





شكل (٣) تصنيف مراكز المحافظة تبعاً للحجم المعاد توزيعه من الوحدات الحيوانية عام ٢٠١٠.

على ذلك يمكن تصنيف مراكز المحافظة تبعاً للتغير النسبي أو الحجم المعاد توزيعه فيها إلى مراكز تقل فيها حركة إعادة التوزيع حيث تراوح الحجم المعاد توزيعه بين (+١ و-١). وشملت العدد الأكبر من مراكز المحافظة حيث ضمت أبنوب وساحل سليم والفتح والقوصية وأبوتيج والغنايم وصدفا، ومراكز بها حركة إعادة توزيع موجبة أي حدث بها زيادة في أنصبتها النسبية من الوحدات الحيوانية وشملت مركزا البداري ومنفلوط ومراكز بها حركة إعادة توزيع سالبة التي قلت أنصبتها النسبية من الوحدات الحيوانية وضمت مركزا أسيوط وذيروط.

ويمكن مما سبق الخلاص إلى أن العقد الأول من القرن الحادي والعشرين قد شهد تغيرات في تطور الثروة الحيوانية بالمحافظة، والتوزيع النسبي للعناصر المكونة لها إلا أن هذه التغيرات لم تؤثر على الترتيب النسبي لعناصر المركب الحيواني بالمحافظة.

## ثانيا: توزيع الثروة الحيوانية بمحافظة أسيوط

يمثل التوزيع النسبي المتعادل أحد أساليب التوزيع المستخدمة في الدراسات الجغرافية، وتهتم الدراسة بتوزيع الوحدات الحيوانية المكافئة بمراكز المحافظة مقترنا بتوزيع أعداد الحيازات الزراعية، ومن خلال الجدول (٣) والشكل (٤) يمكن استنتاج مايلي:

## جدول (٣)

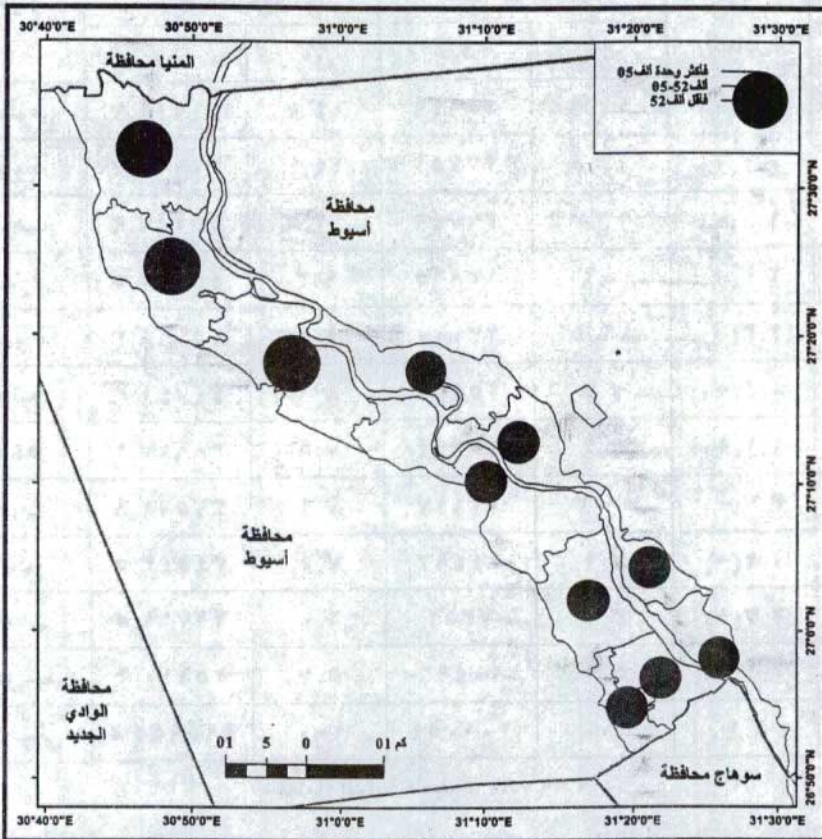
## توزيع الوحدات الحيوانية على مراكز محافظة أسيوط عام ٢٠١٢.

وحدة/حيازة	درجة التعادل	الحيازات الزراعية		الوحدات الحيوانية		المركز
		%	عدد	%	عدد	
٢.٧٧	١.٦(+)	١٢.٩	٢٥٩٤٩	١٤.٥	٧١٩٢٤.٧	منفلوط
٢.٥٣	٠.٣(+)	١٣.٨	٢٧٧٥١	١٤.١	٧٠١٢١.٧	ديروط
١.٩٦	١.٨(-)	١٣.٣	٢٦٧٤٩	١١.٥	٥٧٢٥٧.٩	القوصية
٣.٣١	٢.٣(+)	٦.٩	١٣٨٦٥	٩.٢	٤٥٨٥٧.٥	البداري
١.٩٦	٢.٣(-)	١١.٤	٢٣٠٠٠	٩.١	٤٥٠٦٨.٣	أسيوط
٢.٦٠	٠.٤(+)	٧.٧	١٥٤٣٩	٨.١	٤٠٠٤١.٣	أبوتيج
٢.٩١	١.٢(+)	٦.٦	١٣٣٤٤	٧.٨	٣٨٨١٧.١	صدفا
١.٦٦	٣.٧(-)	١١.٣	٢٢٦١٧	٧.٦	٣٧٥٠١.٨	أبنوب
٢.٣٨	٠.٢(-)	٧.٢	١٤٤٩٢	٧.٠	٣٤٥٤٣.٥	الفتح
٤.٠٤	٢.٣(+)	٣.٧	٧٣٥٢	٦.٠	٢٩٧١١.٥	الغنايم
٢.٣٩	٠.١(-)	٥.٢	١٠٤٩٦	٥.١	٢٥١١٠.٢	ساحل سليم
٢.٤٦	٨.١	١٠٠	٢٠١٠٥٤	١٠٠	٤٩٥٩٥٥.٥	الإجمالي

معامل الترابط الجغرافي (٨) ٠.٩١٩

المصدر: الوحدات الحيوانية تم حسابها اعتمادا على بيانات من محافظة أسيوط، مديرية الطب البيطري، إدارة الإحصاء، بيانات غير منشورة. والحيازات الزراعية تم حسابها اعتمادا على بيانات من محافظة أسيوط، مديرية الزراعة. إدارة الإحصاء، بيانات غير منشورة.

\* بلغ حجم الثروة الحيوانية عام ٢٠١٢ بمحافظة أسيوط ٤٩٥٩٥٥.٥ وحدة حيوانية مكافئة تنتشر في كافة مراكز المحافظة بنسب متفاوتة، يأتي في مقدمتها مركز منفلوط المستحوذ على ما يقرب من ثلاثة أمثال النصيب النسبي لمركز ساحل سليم الذي يحتل المرتبة الحادية عشر، وفي المرتبة الثانية مركز ديروط. وفي الترتيب الثالث مركز القوصية ويضم كلا منهما أيضا أكثر من ضعف ما يحويه مركز ساحل سليم من وحدات حيوانية مكافئة، ويحل مركز البداري رابعا، ويليه مركز أسيوط في الترتيب الخامس، ويضم كلا منهما حوالي عشر الوحدات الحيوانية المكافئة بالمحافظة.



شكل (٤) التوزيع النسبي الوحدات الحيوانية المكافئة بمراكز محافظة أسيوط عام

٢٠١٢



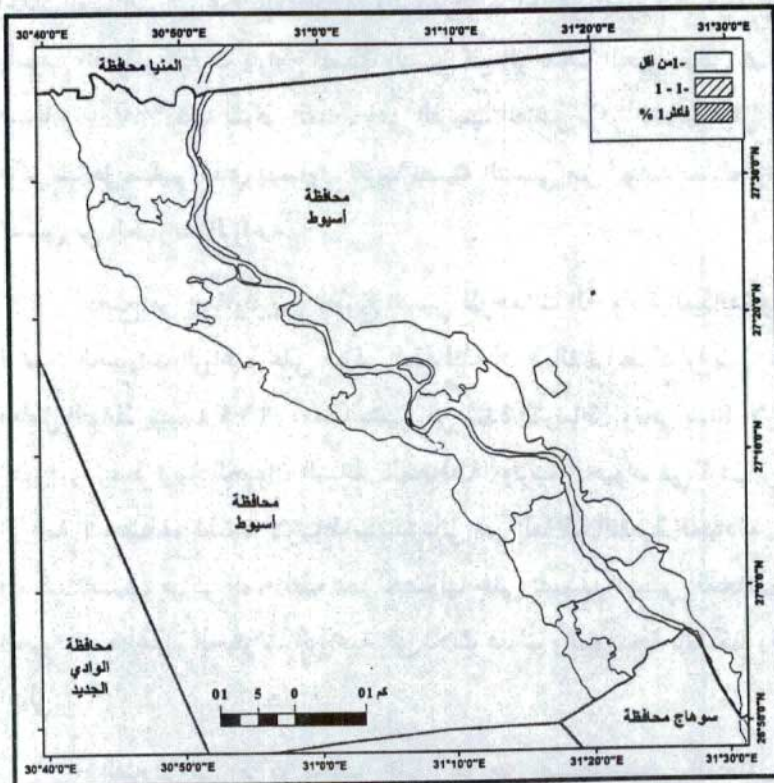
\*ضمت المراكز الخمس السابقة أكثر من نصف حجم الوحدات الحيوانية المكافئة حيث تحوي ٥٨.٤% منها، وباستثناء مركز البداري المحتل للمرتبة الرابعة ويقع في أقصى جنوب المحافظة يلاحظ أن المراكز الأربعة الأخرى التي تحوي حوالي نصف هذه الثروة الحيوانية ٤٩.٢% منها تمثل مكانيا المراكز الشمالية بالمحافظة، ويرجع ذلك لتركز الكم الأكبر من الحيازات الزراعية بها، حيث تستحوذ المراكز الأربعة الشمالية على ٥١.٤% من الحيازات الزراعية بالمحافظة، مما يشير إلى الارتباط الواضح بين تربية الحيوان والنشاط الزراعي، وجاء في الترتيب السادس مركز أبوتيج من حيث عدد الوحدات الحيوانية المكافئة إذ استأثر ب ٥٨.١% من هذه الوحدات، عدد الحيازات الزراعية إذ يحوي ٧.٧% من أعداد الحيازات الزراعية بالمحافظة. ويليه مركز صدفا في المرتبة السابعة، ثم مركزا الفتح وأبنوب والمراكز الثلاث يتراوح نصيبها النسبي من الوحدات الحيوانية بين ٧.٨% في مركز صدفا و ٧.٠% منها بمركز الفتح، وفي الترتيب العاشر مركز الغنايم، وفي المرتبة الأخيرة مركز ساحل سليم الذي يتساوى تقريبا نصيبه النسبي من الوحدات الحيوانية مع نصيبه النسبي من الحيازات الزراعية.

\*يتضح من المقارنة بين التوزيع النسبي للوحدات الحيوانية المكافئة والتوزيع النسبي لأعداد الحيازات الزراعية على مراكز المحافظة أن هناك ارتباطا كبيرا بين التوزيعين فحقوق معامل الترابط بينهما ٠.٩١٩. مما يشير إلى شدة الارتباط. وتأتي شدة الارتباط هذه بين التوزيعين لنمط تربية الحيوان السائد بالمحافظة؛ وتربية الحيوان في كنف تربية النبات في الزراعة المختلطة. فشدة الارتباط بينهما تأتي من العلاقة النفعية المتبادلة بين النشاطين، ويمكن تصنيف مراكز المحافظة تبعا لحصولها على نصيبها النسبي المتعادل من الوحدات الحيوانية مع أعداد الحيازات الزراعية إلى ثلاث فئات والموضحة بالشكل (٥) على النحو التالي:

- الفئة الأولى. مراكز تحصل على أكثر من نصيبها النسبي المتعادل من الوحدات الحيوانية. وهي المراكز التي تجاوز الفارق النسبي بين التوزيعين بها (+) ١. وتضم منفلوط وصدفا والغنايم والبداري التي تحوي ٣٧.٥% من الوحدات الحيوانية و ٣٠.١% من الحيازات الزراعية بالمحافظة.

- الفئة الثانية: مراكز تحصل على نصيبها النسبي المتعادل من الوحدات الحيوانية المكافئة التي يتراوح الفارق النسبي فيها بين التوزيعين بين (-) ١ و (+) ١، وتشمل ديروط وأبوتيج والفتح وساحل سليم، وتضم المراكز الأربعة ٣٤.٣% من الوحدات الحيوانية و ٣٣.٩% من الحيازات الزراعية بالمحافظة.

- الفئة الثالثة: مراكز لا تحصل على نصيبها النسبي المتعادل من الوحدات الحيوانية والتي يقل الفارق النسبي فيها بين توزيع الوحدات الحيوانية وتوزيع الحيازات الزراعية عن (-) ١، وتشمل مراكز أنوب وأسيوط والقوصية، وتضم المراكز الثلاثة ٢٨.٢% من الوحدات الحيوانية المكافئة و ٣٦% من الحيازات الزراعية.



شكل (٥) التعادل النسبي بين توزيع الوحدات الحيوانية والحيازات الزراعية

بمراكز محافظة أسيوط عام ٢٠١٢.

\*بلغ متوسط نصيب الحيازة الزراعية من الوحدات الحيوانية المكافئة بالمحافظة ٢.٤٦ وحدة حيوانية لكل حيازة زراعية، ويختلف هذا المتوسط من مركز لآخر حيث يتراوح بين ٤.٠٤ بمركز الغنايم و ١.٦٦ في مركز أبنوب، فيرتفع هذا المتوسط عن المتوسط العام بالمحافظة في ستة مراكز ويقل عنه في خمسة مراكز، ويمكن تصنيف مراكز المحافظة تبعا لمتوسط نصيب الحيازة الزراعية من الوحدات الحيوانية إلى ثلاث مجموعات على النحو التالي:

- المجموعة الأولى: مراكز يتجاوز متوسط نصيب الحيازة الزراعية بها ثلاثة وحدات حيوانية وتشمل الغنايم والبداري، ويحقق هذا المتوسط أعلى قيمة له في الغنايم ٤.٠٤، وكل من المركزين يحصل على أكثر من نصيبه النسبي المتعادل من الوحدات الحيوانية.

- المجموعة الثانية: مراكز يتراوح قيمة هذا المتوسط فيها بين "٣ - ٢" وحدة حيوانية/حيازة زراعية، وهي الأقرب إلى المتوسط العام بالمحافظة، وتشمل صدفا وأبو تيج ومنفلوط وديروط، وتضم هذه المجموعة أكبر مركزين لتربية الحيوانات بالمحافظة وهما منفلوط وديروط حيث يضمن ما يقرب من ربع الوحدات الحيوانية بالمحافظة.

- المجموعة الثالثة: مراكز يقل متوسط نصيب الحيازة الزراعية بها عن "٢" وحدة حيوانية، وهي المراكز التي يقل متوسطها عن المتوسط العام للمحافظة، وتشمل أسيوط والقوصية وأبنوب والفتح وساحل سليم.

\*أتضح من حساب قرينة لورنز لتوزيع الوحدات الحيوانية المكافئة على مراكز المحافظة والموضحة بالجدول (٣) بالملحق الخاص بالجدول أن هناك انتشارا للثروة الحيوانية على كافة مراكز المحافظة، حيث بلغت قيمة القرينة "٠.٢" أي أنها أقرب إلى الصفر، مما يعطي دلالة بالميل إلى الانتشار غير المنتظم، حيث اقترب التوزيع الفعلي للوحدات الحيوانية المكافئة من التوافق مع التوزيع المنتظم ٩.٠٩% في مركزين فقط هما البداري وأسيوط ٩.٢% و ٩.١% على الترتيب، أما باقي المراكز فتبتعد بالتزايد أو التناقص عن التوزيع المنتظم، ويتحقق أكبر نسبة للتزايد عن التوزيع المنتظم بمركز منفلوط



بفارق ٤١.٥٥%، ويتحقق أقل تناقص عن التوزيع المنتظم بمركز ساحل سليم بفارق نسبي ٣.٩٩% من الوحدات الحيوانية المكافئة.

يتضح مما سبق ذكره أن الثروة الحيوانية بمحافظة أسيوط ينتشر بها نظام الإنتاج شبه المكثف، وهو النظام المنتشر في وادي النيل ودلتاه بمصر<sup>(٩)</sup>، حيث يجمع بين حيازات صغيرة وحجم قطع صغير حوالي من رأس إلى رأسين من الجاموس أو الأبقار؛ مع أعداد قليلة من الحيوانات الصغيرة من الأغنام والماعز بالإضافة إلى الدواجن ودواب الحمل والجر، ويعتمد هذا النظام على إنتاج اللبن من الجاموس أو الأبقار، ويستهلك في صورته أو في صورة منتجات ألبان، أما اللحوم فتأتي من الماشية المستعبدة من إنتاج الألبان أو العجول الصغيرة، وفيما يلي توزيع عناصر الثروة الحيوانية بالمحافظة.

#### ١ - الجاموس:

يعد الجاموس من الحيوانات المرتبطة ببيئات معينة ومن ثم فهي قليلة الانتشار حيث تفضل البيئات الفيضية الرطبة أو المناقع المائية<sup>(١٠)</sup>، ويعد الجاموس العنصر الأكبر في المركب الحيواني بالمحافظة إذ يمثل ٣٨.٦% من إجمالي وحداتها الحيوانية، ومن خلال الجدول (٤) والشكل (٦) يمكن استنتاج مايلي:

#### جدول (٤)

توزيع الجاموس على مراكز محافظة أسيوط عام ٢٠١٢.

المركز	ذكور		إناث		إجمالي		معامل الأهمية النسبية	من (%) من المركز	أنثى/ ذكر
	عدد	%	عدد	%	عدد	%			
مفلوط	٧٥٠٨	١٠.٥	١٩٧١٧	١٦.٤	٢٧٢٢٥	١٤.٢	٠.٩٤	٣٦.٤	١.٩
%	٢٧.٦		٧٢٤		١٠٠				
صدفا	١٢٠٧٥	١٦.٩	١١٨٥٥	٩.٩	٢٣٩٣٠	١٢.٥	١.٦٠	٦١.٦	١.٠
%	٥٠.٤		٤٩٦		١٠٠				
ديروط	٧٣٤٣	١٠.٣	١٦٠٠٣	١٣.٣	٢٣٣٤٦	١٢.٢	٠.٨٦	٣٣.٢	٢.٢
%	٣١.٤		٦٨٦		١٠٠				
الفوسية	١٠٤٥٠	١٤.٦	١٢٦٢٥	١٠.٥	٢٣٠٧٥	١٢.١	١.٠٥	٤٠.٣	١.٢
%	٤٥.٢		٥٤٨		١٠٠				

المركز	ذكور		إناث		إجمالي		معامل الأهمية النسبية	من (%) من المركز	أنثى/ ذكر
	عدد	%	عدد	%	عدد	%			
البيدري %	٧٧٣٥	١٠.٨	٩٤٩٠	٧.٩	١٧٢٢٥	٩.٠	٠.٩٧	٣٧.٥	١.٢
الفتح %	٤٤٣٨	٦.٢	١٢٤٨٠	١٠.٤	١٦٩١٨	٨.٨	١.٢٥	٤٨.٩	٢.٨
أسوط %	٥٦٤٤	٧.٩	١٠٧٥٥	٩.٠	١٦٣٩٩	٨.٦	٠.٩٤	٣٦.٤	١.٩
أبنوب %	٤٣٨٧	٦.١	١٠٠٣٢	٨.٤	١٤٤١٩	٧.٥	٠.٩٨	٣٨.٤	٢.٣
أبوتيج %	٦٨٥٥	٩.٦	٦٦٤٨	٥.٥	١٣٥٠٣	٧.١	٠.٨٧	٣٣.٧	٠.٩
ساحل سليم %	٣٤٤٠	٤.٨	٥٨٢٠	٤.٩	٩٢٦٠	٤.٨	٠.٩٤	٣٦.٨	١.٧
الغنايم %	١٦٠٠	٢.٣	٤٥١٥	٣.٨	٦١١٥	٣.٢	٠.٥٣	٢٠.٦	٢.٨
الإجمالي %	٧١٤٧٥	١٠٠	١١٩٩٤	١٠٠	١٩١٤١	١٠٠	-	٣٨.٦	١.٧

المصدر: محافظة أسوط، مديرية الطب البيطري، بيانات غير منشورة، النسب والمعامل من حساب الباحث.

\* بلغت أعداد الجاموس بمحافظة أسوط ١٩١٤١٥ رأس عام ٢٠١٢ تتوزع على كافة مراكز المحافظة بنسب متفاوتة، يمثل مركز منفلوط أكبر المراكز استحواداً بنسبة ١٤.٢%، وفي الترتيب الأخير مركز الغنايم بنسبة ٣.٨%، أي أن المدى النسبي بينهما يتجاوز ١٠% من إجمالي التوزيع، ويتجاوز هذه النسبة ثلاثة مراكز بالإضافة إلى مركز منفلوط هي مراكز صدفا وديروط والقوصية، فالمراكز الأربعة تحوي أكثر من نصف الجاموس بالمحافظة.

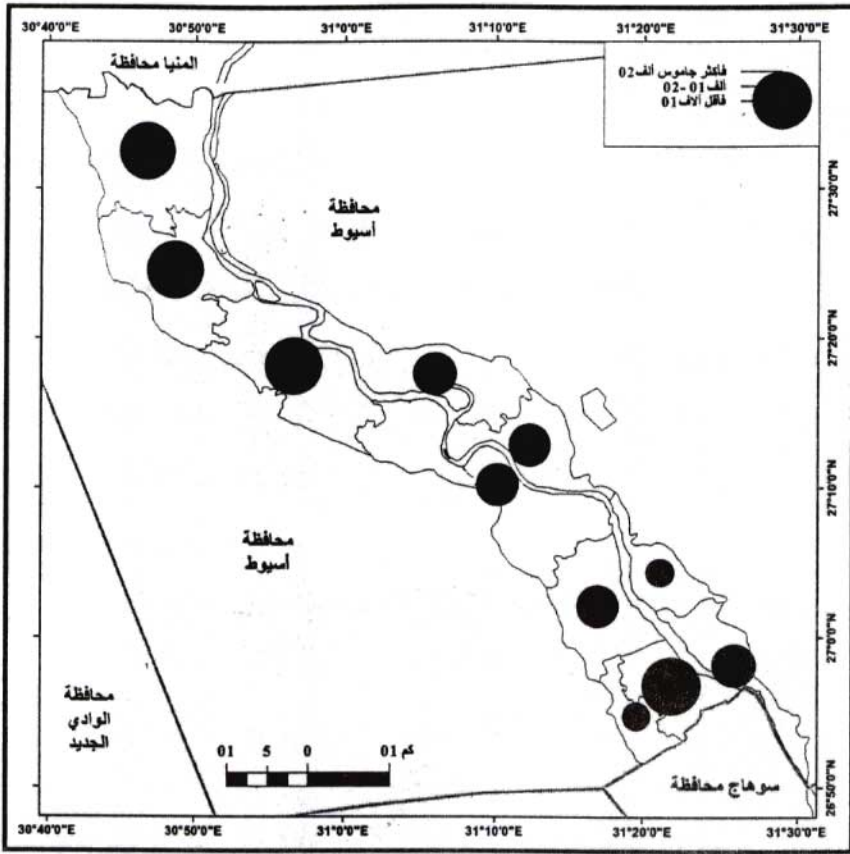
\* حقق معامل الأهمية النسبية<sup>(١١)</sup> قيمة تزيد عن الواحد الصحيح في ثلاثة مراكز هي صدفا والفتح والقوصية، في حين بلغ حد التعادل في خمسة مراكز هي: منفلوط وأبنوب والبيدري وأسوط وساحل سليم، مما يعني أن الأهمية النسبية لتوطن الجاموس في ثمانية

مراكز تتعادل نسبيا في المركب الحيواني لكل مركز مع الأهمية النسبية للجاموس بالمركب الحيواني للمحافظة، وتقل قيمة المعامل عن ٠.٩ في مراكز: أبوتيج وديروط والغنايم.

\* تأتي قيم معامل الأهمية النسبية السابقة انعكاسا لنسب إسهام الجاموس في مركب الوحدات الحيوانية بكل مركز، حيث تبلغ نسبة الإسهام هذه أقصاها في مركز صدفا وبمثل الجاموس به أكثر من ثلاثة أخماس حجم الوحدات الحيوانية بالمركز، مما يشير إلى ميل المركز نحو التخصص في هذا العنصر من عناصر المركب الحيواني، أما مركز الفتح فتقرب نسبة إسهام الجاموس في مركبه الحيواني من النصف، ويليه مركز القوصية الذي يستأثر الجاموس به حوالي خمسي مركبه الحيواني.

\* يتفاوت التوزيع النسبي لذكور الجاموس على مراكز المحافظة حيث يتراوح بين ١٦.٩% من إجمالي ذكور الجاموس بالمحافظة في مركز صدفا و ٢.٣% منها في مركز الغنايم، واستحوذت أربعة مراكز هي: صدفا والقوصية ومنفلوط وديروط على أكثر من نصف ذكور الجاموس بالمحافظة، أما التوزيع النسبي لإناث الجاموس فتراوح بين ١٦.٤% بمركز منفلوط و ٣.٨% من إجمالي إناث الجاموس بالمحافظة بمركز الغنايم، ويتركز أيضا أكثر من نصف إناث الجاموس في أربعة مراكز هي على الترتيب منفلوط وديروط والقوصية والفتح.





شكل (٦) توزيع الوحدات الحيوانية المكافئة للجاموس بمراكز محافظة أسيوط عام ٢٠١٢.

\* بلغت نسبة الإناث من الجاموس ٦٢.٧% من إجمالي الجاموس بالمحافظة، حيث تمثل النسبة الأكبر للحاجة إليها في التكاثر وإنتاج الألبان، أما الذكور فتمثل العنصر الأكثر استغلالاً في عمليات التسمين لإنتاج اللحوم الحمراء، فيبلغ المتوسط العام لنسبة النوع بالمحافظة ١٠.٧ أنثى/ذكر، تختلف هذه النسبة من مركز لآخر ويمكن تصنيف مراكز المحافظة تبعاً لهذه النسبة إلى ثلاث فئات على النحو التالي:

- الفئة الأولى: مراكز تتجاوز النسبة بها عدد (٢) أنثى/ذكر وتشمل: الفتح والغنايم ومنفلوط وأبنوب وديروط، وتتراوح نسبة الذكور في المراكز الخمسة بين ٢٦.١% بمركز الغنايم و ٣١.٤% من إجمالي أعداد الجاموس بمركز ديروط.

- الفئة الثانية: مراكز هذه النسبة فيها بين (٢ - ١.٧) أنثى/ذكر وتضم أسيوط وساحل سليم، وهما المركزان الأقرب إلى النسبة العامة بالمحافظة.

- الفئة الثالثة: مراكز تقل النسبة بها عن (١.٧) ذكر/أنثى، وتضم القوصية والبداري وصدفا وأبوتيج، حيث ترتفع نسبة الذكور لتتراوح بين ٤٤.٩% في البداري و ٥٠.٧% من إجمالي أعداد الجاموس بأبوتيج.

#### ٢ - الأبقار:

تعد الأبقار جزءا مكتملا للنشاط الزراعي فهي أهم مصدر لإنتاج اللحوم والألبان<sup>(١٢)</sup>، ومن خلال الجدول (٥) والشكل (٧) استنتاج مايلي:

\*تنتشر تربية الأبقار في كافة مراكز المحافظة وان كانت تأخذ في توزيعها شكلا غير منتظم، وهناك تفاوت واضح في نسب ما يتوطن من أبقار بكل مركز، فيأتي مركز ديروط في صدارة ترتيب مراكز المحافظة ومركز صدفا في ذيل القائمة، والمدى النسبي بينهما ١٣.٧% من إجمالي أبقار المحافظة، أي أن المدى النسبي بين أكبر المراكز وأصغرها أكبر من نسبة ما يحصل عليه أي مركز منفردا باستثناء مركز منفلوط الذي يأتي في المرتبة الثانية، وقد بلغ الحجم النسبي للأبقار بكل مركز ١٠% فأكثر في أربعة مراكز هي على الترتيب: ديروط ومنفلوط والقوصية وأبوتيج، وتحوي المراكز الأربعة أكثر قليلا من نصف عدد أبقار المحافظة، ويقترّب منهم في الحجم النسبي أسيوط والبداري، بينما يأتي مركز أبنوب في الترتيب السابع، يليه بفارق نسبي صغير الغنايم فمركزي الفتح وساحل سليم وأخيرا مركز صدفا.

\*حقق معامل الأهمية النسبية لتربية الأبقار توطنا في سبعة مراكز: هي الغنايم وأبوتيج وديروط وأبنوب وأسيوط والبداري وساحل سليم، وبلغ حد التعادل في مركزين هما: الفتح و٠.٩٩ ومنفلوط ٠.٩٦، مما يستدل منه على أن الأهمية النسبية للأبقار في التركيب

الحيواني لمعظم مراكز المحافظة تتشابه مع الأهمية النسبية للأبقار في المركب الحيواني للمحافظة التي تمثل ٣٧.٦% من هذا المركب، مما يعني أن المساهمة النسبية للأبقار في المركب الحيواني بتسعة مراكز تتجاوز الثلث من هذا المركب؛ وتقل عن الثلث قليلا في مركز القوصية؛ ولا تنخفض بشكل واضح إلا في مركز صدفا.

## جدول (٥)

توزيع الأبقار على مراكز محافظة أسيوط عام ٢٠١٢.

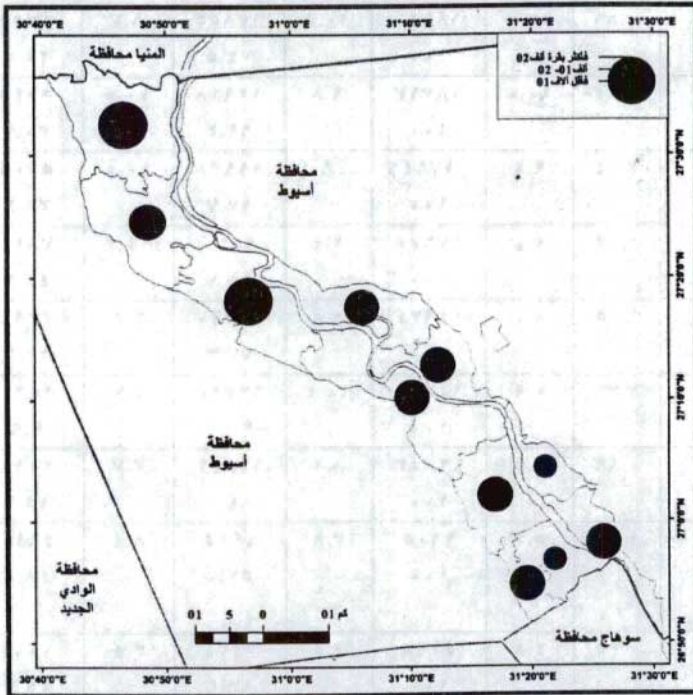
المركز	ذكور		إناث		إجمالي		معامل الأهمية النسبية	(% من المركز)	أنثى/ ذكر
	عدد	%	عدد	%	عدد	%			
ديروط	٧٥٦٦	١٣.٨	٢٣١٢٢	١٧.٥	٣٠٦٨٨	١٦.٥	١.١٦	٤٣.٧	٣.١
%	٢٤.٦		٧٥.٤		١٠٠				
منفلوط	٩٨٤١	١٧.٩	١٦١٠٠	١٢.٢	٢٥٩٤١	١٣.٩	٠.٩٦	٣٦.١	١.٦
%	٣٧.٩		٦٢.١		١٠٠				
القوصية	٤٧٥٥	٨.٧	١٣٨٥٥	١٠.٥	١٨٦١٠	١٠.٠	٠.٨٦	٣٢.٥	٢.٩
%	٢٥.٥		٧٤.٥		١٠٠				
أبوتيج	٥٧٤٥	١٠.٥	١٢٩٦٨	٩.٨	١٨٧١٣	١٠.٠	١.٢٤	٤٦.٧	٢.٣
%	٣٠.٧		٦٩.٣		١٠٠				
أسيوط	٥٧٠٨	١٠.٤	١١٩٣٨	٩.١	١٧٦٤٦	٩.٤	١.٠٤	٣٩.١	٢.١
%	٣٢.٣		٦٧.٧		١٠٠				
البداري	٧٨١٠	١٤.٣	٩٨٣٠	٩.٤	١٧٦٤٠	٩.٤	١.٠٢	٣٨.٤	١.٣
%	٤٤.٣		٥٥.٧		١٠٠				
أبنوب	٣٣٩٤	٦.٢	١١٥٤٠	٨.٨	١٤٩٣٤	٨.٠	١.٠٥	٣٩.٨	٣.٤
%	٢٢.٧		٧٧.٣		١٠٠				
الغنايم	١٤٦٠	٢.٧	١٣٣١٥	١٠.١	١٤٧٧٥	٧.٩	١.٣٢	٤٩.٧	٩.١
%	٩.٩		٩٠.١		١٠٠				
الفتح	٢٠١١	٣.٧	١٠٨٤٢	٨.٢	١٢٨٥٣	٦.٩	٠.٩٩	٣٧.٢	٥.٤
%	١٥.٦		٨٤.٤		١٠٠				
ساحل سليم	٤٦١٠	٨.٤	٤٩٩٥	٣.٨	٩٦٠٥	٥.٢	١.٠١	٣٨.٢	١.١
%	٤٨.٠		٥٢.٠		١٠٠				
صدفا	١٨٩١	٣.٤	٣٢٧٤	٢.٥	٥١٦٥	٢.٨	٠.٣٥	١٣.٣	١.٧
%	٣٦.٣		٦٣.٤		١٠٠				
الإجمالي	٥٤٧٩١	١٠٠	١٣١٧٧٩	١٠٠	١٨٦٥٧٠	١٠٠	-	٣٧.٦	٢.٤
%	٢٩.٤		٧٠.٦		١٠٠				

المصدر: محافظة أسيوط، مديرية الطب البيطري، بيانات غير منشورة، النسب والمعامل من حساب الباحث.



\*ترتفع نسبة الإناث من الأبقار على مستوى المحافظة بالمقارنة بنسبة الإناث من الجاموس حيث تمثل الإناث ٧٠.٦% من الأبقار بالمحافظة، ويرجع ذلك إلى التوجه نحو تربية ذكور الأبقار لإنتاج اللحوم؛ أما ذكور الجاموس فتجمع بين تربيتها لإنتاج اللحوم والعمل الزراعي خاصة في حيازات المساحات الصغيرة<sup>(١٣)</sup>، وتفاوت الأحجام النسبية لتوزيع ذكور وإناث الأبقار على مراكز المحافظة؛ فبالنسبة للذكور يأتي مركز منفلوط في الترتيب الأول والغنايم في الترتيب الأخير بمدى نسبي يصل إلى ١٥.٢%، أما الإناث فيأتي مركز ديروط في المرتبة الأولى ومركز صدفا في المرتبة الأخير بمدى نسبي ١٥% من إجمالي الإناث بالمحافظة.

\*تتجاوز نسبة الأبقار ٧٠.٦% من إجمالي الأبقار بالمركز في خمسة مراكز من مراكز المحافظة تصل إلى أعلى نسبة لها في الغنايم الذي تصل نسبة إناث الأبقار فيه إلى



شكل (٧) توزيع الوحدات الحيوانية المكافئة للأبقار بمراكز محافظة أسيوط عام

.٢٠١٢

٩٠.١% من إجمالي أبقار المركز، بينما تقل هذه النسبة عن النسبة العامة بالمحافظة في ستة مراكز إلا أنها في كافة الأحوال تتجاوز نصف أعداد الأبقار بأي من مراكز المحافظة حيث تبلغ أقل قيمة لها ٥٢% بمركز ساحل سليم، مما يشير إلى ارتفاع نسبة الإناث من الأبقار مقارنة بنسبة الذكور في كافة مراكز المحافظة، حيث يبلغ متوسط نصيب كل ذكر من إناث الأبقار على مستوى المحافظة (٢.٤) أنثى/ذكر، تتفاوت قيم هذا المتوسط عند توزيعها على مراكز المحافظة فتحقق أعلى قيمة لها في الغنايم (٩.١) أنثى/ذكر؛ وأقل قيمة لها في ساحل سليم (١.١) أنثى/ذكر، ويمكن تصنيف مراكز المحافظة تبعاً لمتوسط نصيب الإناث من الذكور إلى ثلاث فئات على النحو التالي:

- الفئة الأولى: مراكز يتجاوز هذا المتوسط بها (٣) أنثى/ذكر، وتشمل أربعة مراكز هي على الترتيب: الغنايم والفتح وأبنوب وديروط.

- الفئة الثانية: مراكز تتراوح قيم هذا المتوسط فيها بين (٢-٣) أنثى/ذكر، تضم ثلاثة مراكز هي على الترتيب: القوصية وأبوتيج وأسيوط.

- الفئة الثالثة: مراكز يقل هذا المتوسط بها (٢) أنثى/ذكر، وتشمل أربعة مراكز هي على الترتيب: صدفا ومنفلوط والبداري وساحل سليم.

ومما سبق ذكره يتضح أن الماشية بعنصرها الجاموس والأبقار تمثل العنصر الرئيسي في المركب الحيواني للمحافظة بشكل عام، وإن اختلفت نسبة إسهام كل من الجاموس والأبقار في المركب الحيواني لكل مركز من مراكز المحافظة، إلا أنها تبقى مجتمعة العنصر الأول في المركب الحيواني لكل مركز.

٣ - الدواجن والطيور الأخرى.

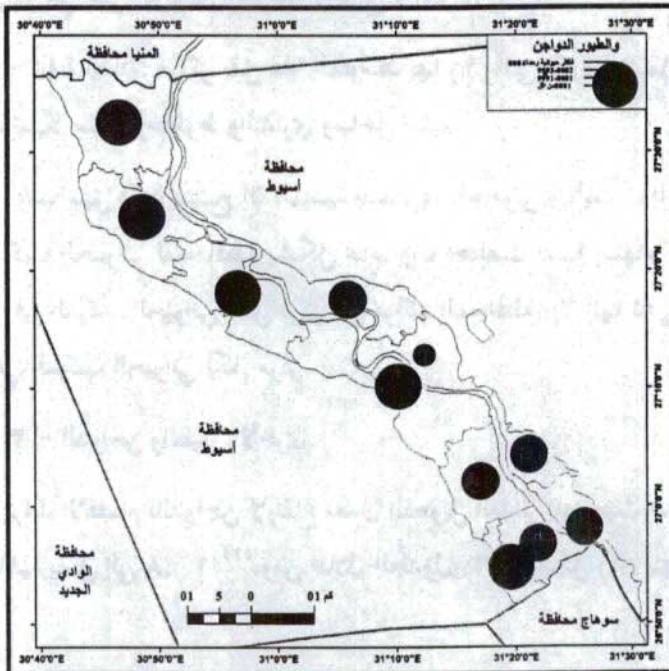
تزايد الاهتمام بالدواجن لارتفاع معدل التحويل الغذائي بها حيث يبلغ ٢.٥ : ١ بينما في الماشية يصل إلى ٨ : ١<sup>(٤١)</sup>، ومن خلال الجدول (٦) والشكل (٨) يتضح مايلي:-

جدول (٦)

توزيع الدواجن والطيور الأخرى رؤوس ووحدات حيوانية مكافئة على مراكز محافظة أسبوط عام ٢٠١٢

المركز	عدد الرؤوس	وحدات حيوانية	%	معامل الأهمية النسبية	% من الوحدات الحيوانية
القوصية	٣٣٢٥٧٠	٦٦٥١.٤	١٥.٩	١.٣٨	١١.٦
الغنايم	٢٧٣٥٥٠	٥٤٧١.٠	١٣.٠	٢.١٦	١٨.٤
ديروط	٢٥٥١٣٨	٥١٠٢.٧	١٢.٢	٠.٨٦	٧.٢
أسبوط	٢٤١٢١٦	٤٨٢٤.٣	١١.٥	١.٢٦	١٠.٧
منفلوط	٢٠٥٣٤٤	٤١٠٦.٩	٩.٨	٠.٦٧	٥.٧
أنبوب	١٩٩١٩٥	٣٩٨٣.٩	٩.٥	١.٢٥	١٠.٦
ساحل سليم	١٦٥٥٨٥	٣٣١١.٧	٧.٩	١.٥٥	١٣.٢
أبو تيج	١٤٩٠٣١	٢٩٨٠.٦	٧.١	٠.٨٧	٧.٤
البداري	١٢٩١٠٠	٢٥٨٢.٠	٦.٢	٠.٦٧	٥.٦
صدفا	١٠٠٧٣٠	٢٠١٤.٦	٤.٨	٠.٦١	٥.٢
الفتح	٤٤٥٣٠	٨٩٠.٦	٢.١	٠.٣٠	٢.٠
الإجمالي	٢٠٩٥٩٨٩	٤١٩١٩.٧	١٠٠	-	٨.٤

المصدر: محافظة أسبوط، مديرية الطب البيطري، بيانات غير منشورة، النسب والمعامل من حساب الباحث.



شكل (٨) توزيع الوحدات الحيوانية المكافئة للدواجن والطيور بمراكز محافظة أسبوط عام ٢٠١٢



\* تأتي الدواجن والطيور الأخرى في المرتبة الثالثة من حيث الحجم النسبي للوحدات الحيوانية بالمحافظة، وتوزع بشكل متفاوت على مراكز المحافظة حيث تتراوح بين ١٥.٨% بالقوصية و ٢.١% من الدواجن والطيور الأخرى بالفتح، وبين المركزين ثلاثة مراكز يتجاوز حجمها النسبي ١٠% من الدواجن هي: الغنائم وديروط وأسيوط، وتضم المراكز الأربعة الأول أكثر قليلا من نصف حجم الثروة الداجنة بالمحافظة، بينما يتراوح الحجم النسبي للمراكز من الخامس إلى التاسع بين ١٠% إلى ٥% وهي على الترتيب: منفوط وأنبوب وساحل سليم وأبوتيج والبداري، أما صدفا والفتح فيقل النصيب النسبي لأي منهما عن ٥% من الوحدات الحيوانية المكافئة للدواجن بالمحافظة.

\* تجاوزت قيم معامل الأهمية النسبية (٢) بمركز الغنائم مما يعطي دلالة بأن الأهمية النسبية للدواجن في مركب الثروة الحيوانية بمركز الغنائم أكبر من ضعف مثلتها على مستوى المحافظة، وتتجاوز قيمة المعامل (١) في مراكز: ساحل سليم والقوصية وأسيوط وأنبوب، وتقل قيمة المعامل عن (١) في باقي المراكز؛ وتحقق أقل قيمة لها بمركز الفتح.

\* بلغ النصيب النسبي للثروة الداجنة ٨.٤% من الوحدات الحيوانية المكافئة بالمحافظة، ويتفاوت هذا النصيب النسبي من مركز لآخر، ويظهر هذا التفاوت واضحا عند التعرض بالتحليل للمركب الحيواني لمركز الغنائم؛ الذي تمثل الثروة الداجنة فيه ١٨.٤% من الوحدات الحيوانية بالمركز، فيقل الاهتمام بمشروعات التربية الحيوانية وأهمها الأبقار والجاموس لصغر أعداد الحيازات الزراعية حيث يأتي المركز في المرتبة الأخيرة بين مراكز المحافظة، ومن ثم يظهر ذلك في الحجم النسبي لتربية الجاموس الأكثر ارتباطا بالعمليات الزراعية الذي يأتي المركز فيه أيضا في الترتيب الأخير بين مراكز المحافظة، وبالإضافة إلى مركز الغنائم هناك أربعة مراكز أخرى يتجاوز الحجم النسبي للدواجن ٨.٤% من إجمالي الوحدات الحيوانية بكل مركز هي ساحل سليم والقوصية وأسيوط وأنبوب، أما باقي المراكز فيقل النصيب النسبي للدواجن فيها عن ٨.٤% من الوحدات الحيوانية بكل مركز.

## ٤ - دواب الحمل والجر

تشمل دواب الحمل والجر بمحافظة أسيوط ثلاثة عناصر حيوانية هي: الحمير والخيول والبغال، وتبلغ أعداد رؤوسها مجتمعه ٨٩٦٦٥ رأس تتوزع نوعيا بشكل غير منتظم تماما حيث تمثل الحمير النسبة الأعظم منها والتي تصل إلى ٩١.٨% تليها الخيول ٤.٧% ثم البغال ٣.٥% من إجمالي دواب الحمل والجر بالمحافظة<sup>(١٥)</sup>، وترجع الأهمية النسبية الكبيرة للحمير بين دواب الحمل والجر في المحافظة إلى ارتباطها بالعمليات الزراعية، بل وبحركة الحياة اليومية في البيئة الريفية؛ فتمثل وسيلة النقل والجر الأكثر استخداما للنقل وكذلك لانتقال الأفراد من مكان لآخر داخل القرية، ومن خلال الجدول (٧) والشكل (٩) يمكن استنتاج التالي: -

جدول (٧)

توزيع دواب الحمل والجر رؤوس ووحدات حيوانية مكافئة على مراكز محافظة أسيوط عام ٢٠١٢.

المركز	عدد الرؤوس	وحدات حيوانية	%	معامل الأهمية النسبية	% من الوحدات الحيوانية
منفلوط	١٢٣٢٠	٦٠٢٠٧	١٨.٨	٢.٩٣	٨.٤
ديروط	١٦٦٣٩	٥٣١٢.٣	١٦.٥	٢.٥٧	٧.٦
القوصية	١٦٥٤٨	٥١٠٣.٠	١٥.٩	٢.٤٨	٨.٩
صدفا	٨٨٢١	٣٤٤٥.٠	١٠.٨	١.٦٨	٨.٨
البداري	٨٤٢٠	٢٨٧٦.٠	٩.٠	١.٤١	٦.٢
أبوتيج	٧٨٢٣	٢٦٣٣.٢	٨.٢	١.٢٨	٦.٥
أسيوط	٤٦٢٩	١٦٥٨.٩	٥.٢	٠.٨١	٣.٩
الغنايم	٤٤٧٥	١٦٠٥.٠	٥.٠	٠.٧٨	٥.٤
الفتح	٣٥٣٧	١٢٠٦.٠	٣.٨	٠.٥٩	٣.٥
أبواب	٣٢١٩	١١٩٧.٤	٣.٧	٠.٥٧	٣.٢
ساحل سليم	٣٢٣٤	٩٩٤.٠	٣.١	٠.٤٨	٤.٠
الإجمالي	٨٩٦٦٥	٣٢٠٥١	١٠٠	-	٦.٤

المصدر: محافظة أسيوط، مديرية الطب البيطري، بيانات غير منشورة، النسب والمعامل من حساب الباحث

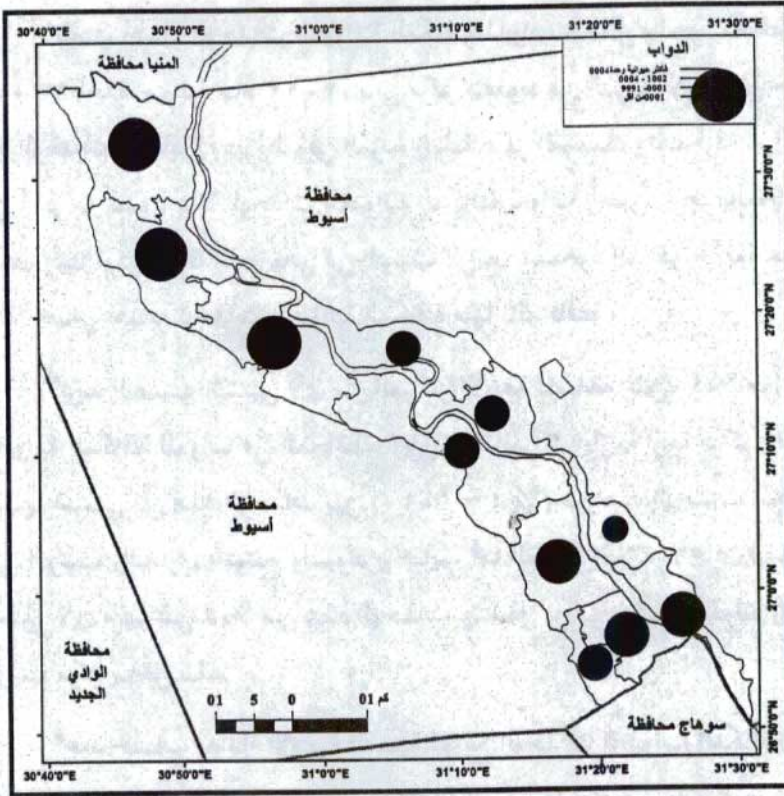
\*بلغت أعداد الوحدات الحيوانية المكافئة لدواب الحمل والجر بمحافظة أسيوط ٣٢٠٥١ وحدة حيوانية عام ٢٠١٢، يأتي مركز منفلوط في المرتبة الأولى من حيث عدد هذه الوحدات، يليه مركز ديروط وفي المرتبة الثالثة مركز القوصية، وتستحوذ المراكز الثلاثة على أكثر من نصف عدد الوحدات الحيوانية المكافئة لدواب الحمل والجر بالمحافظة؛ وإذا أضيف إليها مركز صدفا الذي يأتي في الترتيب الرابع؛ تستحوذ المراكز الأربعة على حوالي ثلاثة أخماس أعداد الوحدات الحيوانية المكافئة منها بالمحافظة.

\*يزيد النصيب النسبي لأي من المراكز الأربعة السابقة على ١٠% من الوحدات الحيوانية المكافئة للدواب في المحافظة، ويلي هذه المراكز الأربعة مراكز أخرى يتراوح نصيبها النسبي من هذه الوحدات بين (١٠% - ٥%) من هذه الوحدات الحيوانية هي على الترتيب: البداري وأبوتيج وأسيوط والغنايم، أما المراكز الثلاثة الأخرى فيقل النصيب النسبي لأي منها عن ٥% من هذه الوحدات وتشمل مراكز: الفتح وأبنوب وفي مؤخرة الترتيب مركز ساحل سليم.

\*عند حساب معامل الأهمية النسبية لتوزيع الوحدات الحيوانية المكافئة من دواب الحمل والجر حقق المعامل بالمراكز الثلاثة الرئيسة منفلوط وديروط والقوصية أكثر من ضعف قيمة أهميته النسبية على مستوى المحافظة، بينما تجاوزت قيمة المعامل الواحد الصحيح في ثلاثة مراكز أخرى هي: صدفا والبداري وأبوتيج، لتصبح المراكز التي تزداد قيمة معامل الأهمية النسبية للدواب فيها عن مثلتها على مستوى المحافظة ستة مراكز، أما المراكز الخمسة الأخرى فتتراوح قيم المعامل فيها بين ٠.٨٤ بأسيوط و ٠.٤٨ في ساحل سليم.

\*يقل النصيب النسبي للدواب من المركب الحيواني لكل مركز بشكل عام عن ١٠% منه؛ فيتراوح بين ٨.٩% من الوحدات الحيوانية المكافئة بالمركز في القوصية و ٣.٢% بأبنوب، بينما بلغت نسبة الدواب على مستوى المحافظة ٦.٤% من الوحدات الحيوانية المكافئة بالمحافظة، وعلى ذلك يمكن تصنيف مراكز المحافظة تبعاً للأنصبة النسبية للدواب من مركبها الحيواني إلى:





شكل (٩) توزيع الوحدات الحيوانية المكافئة للدواب بمراكز محافظة أسيوط عام ٢٠١٢

- مراكز يتجاوز النصيب النسبي للدواب فيها ٦.٤% من الوحدات الحيوانية بالمركز وتضم خمسة مراكز هي: القوسية وصدفا ومنفلوط وديروط وأبوتيج.

- مراكز يقل النصيب النسبي للدواب فيها عن ٦.٤% من الوحدات الحيوانية بالمركز وتضم ستة مراكز هي: البداري والغنايم وساحل سليم وأسيوط والفتح وأبنوب.

٥ - الأغنام والماعز.

ينتشر بمحافظة أسيوط تربية الأغنام من نوع الأغنام الصعيدية التي يتراوح وزنها بين ٣٥ إلى ٥٠ كيلوجرام، ويتميز بارتفاع متوسط الخصوبة الذي يصل إلى ٩٢%؛ وارتفاع نسبة التوائم إلى ٣٥%<sup>(١٦)</sup>، أما الماعز فتأتي أهميتها بالنسبة لحائزها لأنها أقل ترفاً<sup>(١٧)</sup>.

وتعتمد في تغذيتها على المنتجات الجانبية للمحاصيل<sup>(٨)</sup>، ويتضح من الجدول (٨) والشكل (١٠) مايلي: -

جدول (٨)

توزيع الأغنام والماعز على مراكز محافظة أسيوط عام ٢٠١٢.

المركز	عدد الرؤوس	وحدات حيوانية	%	معامل الأهمية النسبية	% من الوحدات الحيوانية
البداري	٤٠٠٩٠	٤٠٠٩٠	١٤.٥	١.٥٥	٨.٧
القوصية	٣٥٤٢٥	٣٥٤٢٥	١٢.٨	١.١١	٦.٢
منفلوط	٣٣٧٥٢	٣٣٧٥.٢	١٢.٢	٠.٨٤	٤.٧
ديروط	٣٣٠٢٧	٣٣٠٢.٧	١١.٩	٠.٨٤	٤.٧
أسيوط	٣٠١١٦	٣٠١١.٦	١٠.٩	١.١٩	٦.٧
صدفا	٢٦٩٩٠	٢٦٩٩.٠	٩.٧	١.٢٣	٦.٩
الفتح	١٧٦٦٩	١٧٦٦.٩	٦.٤	٠.٩١	٥.١
أبوتيج	١٦٣٤٠	١٦٣٤.٠	٥.٩	٠.٧٣	٤.١
الغنايم	١٦١٩٥	١٦١٩.٥	٥.٨	٠.٩٦	٥.٤
أبنوب	١٤٤٦٥	١٤٤٦.٥	٥.٢	٠.٦٩	٣.٩
ساحل سليم	١٣١٤٠	١٣١٤.٠	٤.٧	٠.٩٣	٥.٢
الإجمالي	٢٧٧٢٠.٩	٢٧٧٢٠.٩	١٠٠		٥.٦

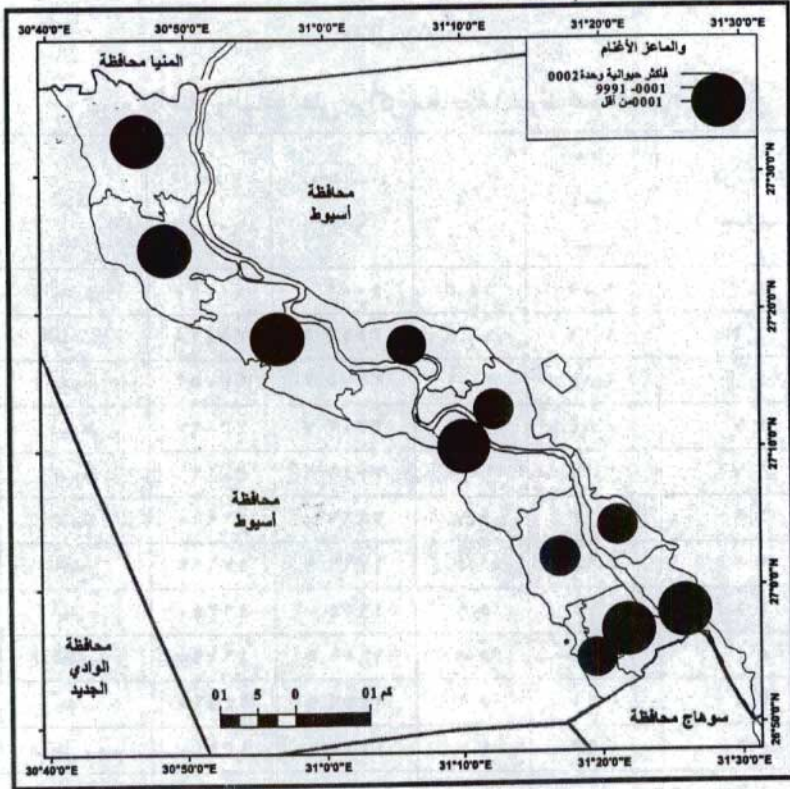
المصدر: محافظة أسيوط، مديرية الطب البيطري، بيانات غير منشورة، النسب والمعامل من حساب الباحث.

\* بلغت أعداد رؤوس الأغنام والماعز بمحافظة أسيوط ٢٧٧٢٠.٩ رأس عام ٢٠١٢، منها ١٥٤٦٥٠ رأس من الأغنام بنسبة ٥٥.٨%؛ وعدد ١٢٢٥٥٩ رأس من الماعز بنسبة ٤٤.٢% من إجمالي الأغنام والماعز بالمحافظة<sup>(٩)</sup>، وتعادل هذه الرؤوس ٢٧٧٢٠.٩ وحدة حيوانية مكافئة تمثل ٥.٦% من إجمالي الوحدات الحيوانية بالمحافظة

\* تتوزع الأغنام والماعز على كافة مراكز المحافظة بنسب مختلفة، ويأتي مركز البداري في المرتبة الأولى بنسبة ١٤.٥% بمدى نسبي عن مركز ساحل سليم أصغر المراكز يبلغ



٩.٨%؛ حيث يستحوذ مركز ساحل سليم على ٤.٧% من الوحدات الحيوانية من الأغنام والماعز في المحافظة.



شكل (١٠) توزيع الوحدات الحيوانية المكافئة للأغنام والماعز بمراكز محافظة أسيوط عام ٢٠١٢

\* يتركز حوالي ثلثا الوحدات الحيوانية المكافئة للأغنام والماعز بالمحافظة في خمسة مراكز هي على الترتيب: البداري والقوصية ومنفلوط وديروط وأسيوط، حيث يزيد النصيب النسبي لأي منها على ١٠% من هذه الوحدات، ويتراوح هذا النصيب النسبي بين ١٠% إلى ٥% في خمسة مراكز أيضا هي: صدفا والفتح وأبوتيج والغنايم وأبنوب، ويأتي في نهاية الترتيب مركز ساحل سليم.

\* تتجاوز قيم معامل الأهمية النسبية الواحد الصحيح في أربعة مراكز مما يعطي دلالة بأن الأهمية النسبية للأغنام والماعز في هذه المراكز الأربعة أكبر من مثيلتها بالمحافظة وهي:



البداري وصدفا وأسيوط والقوصية، وتبلغ حد التعادل في خمسة مراكز هي الغنايم وساحل سليم ومنفلوط وديروط؛ مما يعطي دلالة بأن الأهمية النسبية للأغنام والماعز فيها تتشابه إلى حد ما مع مثيلتها على مستوى المحافظة.

\*ترتبط قيم معامل الأهمية النسبية وما تشير إليه من دلالات بالنصيب النسبي للأغنام والماعز في المركب الحيواني للمحافظة ومراكزها، فيبلغ النصيب النسبي للأغنام والماعز على مستوى المحافظة ٥.٦% من إجمالي وحداتها الحيوانية، ويصل النصيب النسبي إلى أكبر قيمة له بمركز البداري، ويزيد على ٥.٦% بمراكز البداري وصدفا والقوصية وأسيوط، ويقل عن ذلك في باقي مراكز المحافظة؛ ويحقق أقل قيمة له بمركز أبنوب.

وتأتي الجمال في آخر ترتيب البنية النوعية المكونة للمركب الحيواني بمحافظة أسيوط، حيث تمثل ٣.٢% من إجمالي الوحدات الحيوانية المكافئة بالمحافظة، وبالرغم من وجودها في كافة مراكز المحافظة؛ فإن الكم الأكبر منها يتركز في مراكز: منفلوط وديروط وأسيوط والبداري وأبنوب، وتحتوي المراكز الخمسة ثلاثة أرباع جمال المحافظة (٧٥.٨%)، ويضم مركز منفلوط ما يقرب من ثلث عدد الجمال بالمحافظة بينما يقل وجودها النسبي في مركزي القوصية (١.٧%) والغنايم (٠.٨%) من الوحدات الحيوانية المكافئة للجمال بمحافظة أسيوط<sup>(٢٠)</sup>.

### ثالثاً: العوامل المؤثرة في توزيع الثروة الحيوانية:

تتنوع العوامل الجغرافية المؤثرة في توزيع عناصر الثروة الحيوانية، إلا أنه في إقليم ذو صفة زراعية كمنطقة الدراسة بمحافظة أسيوط يمكن القول بأن العوامل الرئيسة المؤثرة في توزيع الثروة الحيوانية تتمثل في الزراعة ودورها في توطن الثروة الحيوانية؛ وتوزيع وحداتها واختلاف عناصرها، ثم يأتي دور الخدمات البيطرية، فمناقشة دور المياه ومدى الحاجة إليها وطرق الحصول عليها، فالأسواق ثم التوجيه الحكومي والعوامل الثانوية الأخرى.

#### ١ - الزراعة:

تمثل الزراعة أكثر الأنشطة الاقتصادية ارتباطاً بتربية الحيوان بمحافظة أسيوط ومعظم المحافظات المصرية لعدم وجود مراعي طبيعية بها أو محدوديتها، والاعتماد المباشر على

الزراعة في تلبية احتياجات الحيوان من الغذاء، ومن خلال الجدول (٩) والشكل (١١) يتضح مايلي:

\* يأتي مركز منفلوط في المرتبة الأولى من حيث المساحة المحصولية وعدد الوحدات الحيوانية المتوطنة به، ويليه على الترتيب مراكز أسيوط والقوصية وديروط وأبنوب، وتضم المراكز الخمسة أكثر من نصف المساحة المحصولية بالمحافظة ٥٩.٧٧% منها، وأكثر من نصف الوحدات الحيوانية: حيث يوجد فيها ٥٦.٤% من الوحدات الحيوانية المكافئة بالمحافظة، مما يشير إلى الارتباط بين توزيع أنشطة تربية الحيوان وأنشطة الزراعة بمراكز المحافظة.

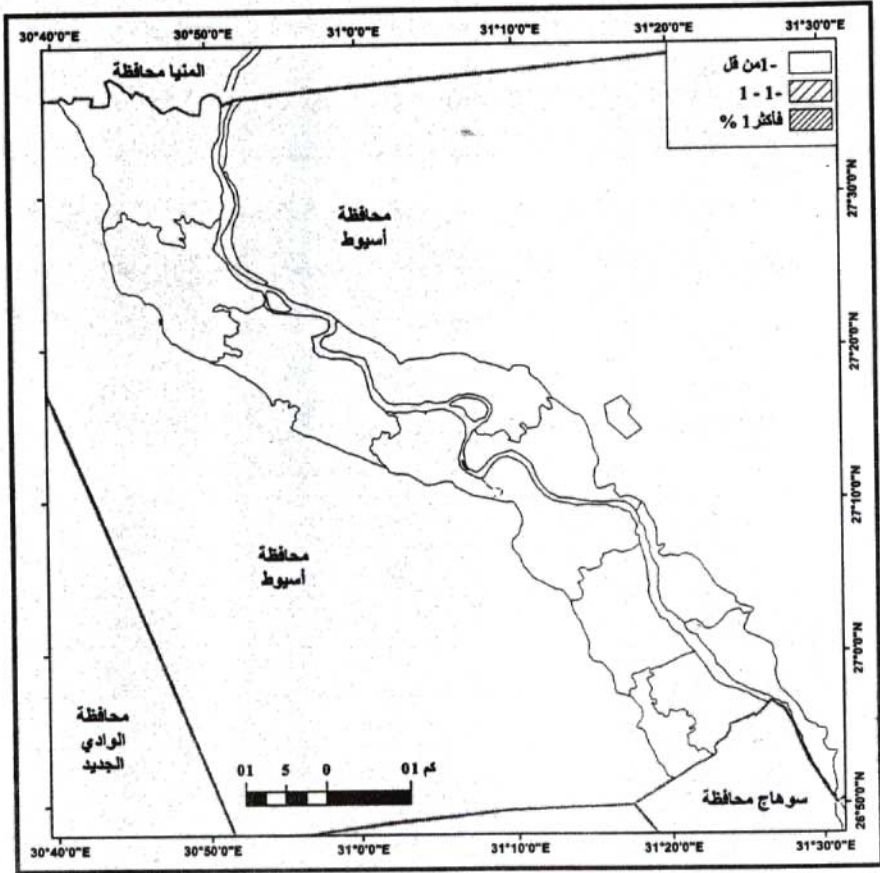
#### جدول (٩)

التوزيع النسبي للوحدات الحيوانية والمساحات المحصولية ودرجة التعادل بينهما على مراكز محافظة أسيوط عام ٢٠١٢

درجة التعادل	وحدات حيوانية %	المساحة المحصولية		المركز
		%	فدان	
٠.٤٩+	١٤.٥٠	١٤.٠١	٩٧٤٩٤	منفلوط
١.٧٢-	١٤.١٠	١٢.٣٨	٨٦١٨٤	ديروط
١.٠٥+	١١.٥٠	١٢.٥٥	٨٧٤٠٤	القوصية
١.٥٢-	٩.٢٠	٧.٦٨	٥٣٤٦٤	البداري
٣.٩٢+	٩.١٠	١٣.٠٢	٩٠٦٥٤	أسيوط
٠.٠١-	٨.١٠	٨.٠٩	٥٦٣٣٢	أبوتيج
٢.٨١-	٧.٨٠	٤.٩٩	٣٤٧٩٠	صدفا
٣.٢١+	٧.٦٠	١٠.٨١	٧٥٢٦٢	أبنوب
٢.٢٦+	٧.٠٠	٩.٢٦	٦٤٤٧٢	الفتح
٣.٤١-	٦.٠٠	٢.٥٩	١٨٠٦٦	الغنايم
٠.٤٨-	٥.١٠	٤.٦٢	٣٢١٥٢	ساحل سليم
١٠.٤٤	١٠٠	١٠٠	٦٩٦٢٧٤	الإجمالي

المصدر: محافظة أسيوط. مديرية الزراعة. إدارة الإحصاء. بيانات غير منشورة.  
معامل الترابط الجغرافي ٠.٨٩٦

\*تقل الأنصبة النسبية لباقي مراكز المحافظة في إسهامها في التركيب المحصولي عن ١٠% من المساحة المحصولية بالمحافظة، وكذلك الحال بالنسبة للأنصبة النسبية لإسهام هذه المراكز في الوحدات الحيوانية المكافئة، ويمثل مركز الغنایم اصغر المراكز من حيث المساحة المحصولية، ويأتي في المرتبة قبل الأخيرة من حيث لنصيبه النسبي من الوحدات الحيوانية، بينما يأتي مركز ساحل سليم في المرتبة قبل الأخيرة من حيث المساحة المحصولية؛ وفي المرتبة الأخيرة من حيث نصيبه من الوحدات الحيوانية.



شكل (١١) التعادل النسبي بين توزيع الوحدات الحيوانية والمساحة المحصولية

بمراكز محافظة أسوط عام ٢٠١٢.



\* عند حساب معامل الترابط بين التوزيع النسبي للمساحات المحصولية؛ والتوزيع النسبي للوحدات الحيوانية حقق ٠.٨٩٦. مما يشير إلى وجود ارتباط قوي بين التوزيعين، وعند حساب درجة التعادل النسبي بينهما اتضح أن هناك ثلاثة مراكز تحصل على نصيبها النسبي المتعادل من الوحدات الحيوانية مع المساحة المحصولية؛ هي منفلوط وأبوتيج وساحل سليم، وأربعة مراكز تحصل على أكثر من نصيبها النسبي المتعادل من الوحدات الحيوانية مع المساحة المحصولية؛ هي أسبوط وأبنوب والفتح والقوصية، وأربعة لا تحصل على نصيبها النسبي المتعادل تشمل ديروط وصدفا والبداري والغنايم.

وعند مناقشة العلاقة بين تربية النبات وتربية الحيوان والمنافع المتبادلة بينهما تجدر الإشارة إلى دور الزراعة وإنتاجها في توفير حاجات الحيوان من الغذاء، ومأوى الحيوان وارتباطه بالمسكن الريفي، والميكنة الزراعية وانتشارها وانعكاس هذا الانتشار على تربية الحيوان وإنتاجه، فكفالة الزراعة لحاجة الحيوان من الغذاء أمر حتمي في منطقة كمنطقة الدراسة، ومن خلال الجدول (١٠) يمكن استنتاج مايلي:-

## جدول ( ١٠ )

درجة التعادل بين التوزيع النسبي لمساحات الذرة بنوعيها والبرسيم وتوزيع الوحدات الحيوانية المكافئة على مراكز محافظة أسبوط عام ٢٠١٢.

درجة التعادل النسبي مع مساحات		المركز
البرسيم	الذرة بنوعيها	
٠.٤ (+)	٠.٣ (+)	منفلوط
٢.٧ (-)	٠.٧ (-)	ديروط
٢.٣ (-)	١.٨ (+)	القوصية
٢.٣ (-)	٣.٦ (-)	البداري
٣.٧ (+)	٤.٨ (+)	أسبوط
١.٩ (-)	٠.٧ (-)	أبوتيج
٢.٨ (-)	٢.٤ (-)	صدفا
٧.٣ (+)	٤.٢ (+)	أبنوب
٢.٥ (+)	٠.٢ (+)	الفتح
٢.٢ (-)	٣.١ (-)	الغنايم

ساحل سليم	٠.٨ (-)	٠.٣ (+)
الإجمالي	١١.٣	١٤.٢
المصدر: تم حساب درجة التعادل النسبي اعتمادا على بيانات الجدول (٤) بالملحق الخاص بالجدول.		
معامل الترابط الجغرافي بين توزيع الوحدات الحيوانية المكافئة و..		
التوزيع النسبي لمساحات الذرة بنوعها ٠.٨٨٧. التوزيع النسبي لمساحات البرسيم ٠.٨٥٨.		

\*تعد محاصيل الذرة بنوعها الرفيعة والشامية والبرسيم من المحاصيل الأساسية في المركب المحصولي لمحافظة أسيوط عام ٢٠١٢، حيث تشغل الذرة الرفيعة ١٩.٤% والشامية ١٣.٢% والبرسيم ١٣% من إجمالي المساحة المحصولية بالمحافظة؛ أي أنها تسهم مجتمعة بنسبة ٤٥.٦% من هذه المساحة المحصولية، مما يشير إلى دور الزراعة المختلطة في تبنيتها توفير احتياجات الحيوان من الأعلاف الخضراء أو المحاصيل التي تخصص لتربية الماشية<sup>(٢١)</sup>. وتتصف الذرة من الوجهة الاقتصادية بأنها من حبوب الغذاء المهمة، فكل جزء من النبات له فائدة الاستعمالية؛ فمن الحبوب يستخلص الدقيق المستخدم في صناعة الحلوى والذي يخلط بدقيق القمح بنسبة ٢٠% في صناعة الخبز، كما تستخدم الحبوب والعيدان والأوراق الخضراء في تغذية الماشية والطيور<sup>(٢٢)</sup>، بالإضافة إلى زراعة الذرة أكثر من مرة في الموسم الصيفي واستخدامها قبل أن يتم نضجها كعلف اخضر يعرف بالدرار وإعادة زراعة الأرض مرة أخرى أو زراعتها برسيم بدري<sup>(٢٣)</sup>. ومن خلال التوزيع النسبي لمساحات زراعة الذرة بنوعها ومقارنتها بالتوزيع النسبي للوحدات الحيوانية المكافئة على مراكز المحافظة يمكن تصنيف نتائج التوزيع النسبي بين التوزيعين إلى ثلاث فئات على النحو التالي:

الفئة الأولى: مراكز تحصل على أكثر من نصيبها النسبي المتعادل من مساحات الذرة بنوعها؛ وتشمل أسيوط وأنبوب والقوصية.

الفئة الثانية: مراكز تحصل على نصيبها النسبي المتعادل من مساحات الذرة بنوعها؛ وتشمل منفلوط وديروط وأبو تيج والفتح وساحل سليم.



الفئة الثالثة: مراكز لا تحصل نصيبها النسبي المتعادل من مساحات الذرة بنوعيتها؛ وتضم البداري وصدفا والغنايم.

ويتضح من هذا التصنيف أن المراكز الرئيسية في توطن الوحدات الحيوانية المكافئة إما تحصل على أكثر من نصيبها النسبي المتعادل مثل: القوصية وأسيوط أو تحصل على نصيبها النسبي المتعادل مثل: منفلوط وديروط، وقد حقق معامل الترابط الجغرافي بين التوزيع النسبي للمساحات المنزرعة بالذرة والتوزيع النسبي للوحدات الحيوانية ارتباطا قويا بلغ ٠.٨٨٧. مما يشير إلى شدة الارتباط بين التوزيع النسبي لمساحات زراعة الذرة والتوزيع النسبي للوحدات الحيوانية على مراكز المحافظة.

\* يعد البرسيم مصدرا مهما للبروتين في أعلاف الحيوانات، ويغطي نحو ٨٥% من البروتين المهضوم في الأعلاف الخضراء بمصر<sup>(٢٤)</sup>، وقد اتضح من مقارنة التوزيع النسبي للمساحات المنزرعة بالبرسيم، والتوزيع النسبي للوحدات الحيوانية على مراكز المحافظة أن هناك ثلاثة مراكز تحصل على أكثر من نصيبها النسبي المتعادل من المساحات المنزرعة بالبرسيم هي أبنوب وأسيوط والفتح، ومركزان يحصلان على نصيبهما النسبي المتعادل من هما منفلوط وساحل سليم، أما باقي المراكز فلا تحصل على نصيبها النسبي المتعادل من المساحات المنزرعة بالبرسيم مع الوحدات الحيوانية، وعند حساب معامل الترابط الجغرافي بين التوزيع النسبي للمساحات المنزرعة بالبرسيم والتوزيع النسبي للوحدات الحيوانية حقق ارتباطا قويا بلغ ٠.٨٥٨. مما يشير إلى وجود ارتباط قوي بين التوزيعين.

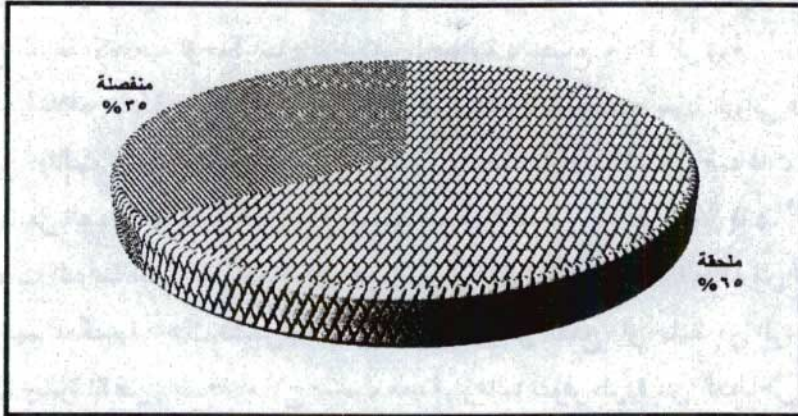
\* أوضحت الدراسة الميدانية المثبت نتائجها بالملحق الخاص بالجداول ارتباط العاملين بالزراعة بتربية الحيوان، فجميع من يقومون بتربية الحيوانات من عينة الدراسة يمارسون العمل الزراعي، سواء أكانوا يمتلكون أرضا زراعية ويمثلون ٨٥% من العينة قيد الدراسة أم يمارسون النشاط الزراعي في أرض مستأجرة، ويضاف إلى الذرة بنوعيتها والبرسيم أعلاف أخرى توفرها الزراعة لتربية الحيوان بالمحافظة بعضها خضراء مثل عروش البطاطس وقلوع القصب (الزعازيع) وهي أعلاف موسمية ترتبط بموسم الحصاد، وأعلاف جافة كسب القمح والفلو<sup>(٢٥)</sup>.



أما عن الأعلاف المصنعة فترتبط صناعة الأعلاف بصناعة الزيوت النباتية؛ بل وتتوطن مصانع الأعلاف كوحدات إنتاجية داخل مصانع الزيوت النباتية<sup>(٢٦)</sup>، ومنذ عام ١٩٨٠ تم إنشاء وحدتين لإنتاج الأعلاف بمصنع الزيوت والمنظفات الصناعية ببني قرة بمركز القوصية، وتبلغ الطاقة الإنتاجية لوحدة إنتاج الأعلاف الحيوانية بالمصنع ٣٠٠ طن/يوم<sup>(٢٧)</sup>، وتنتشر مصانع أعلاف صغيرة ومتوسطة في مراكز أسبوط بقرية درنكة، ومصنع بقرية الزرابي في مركز أبوتيج؛ وثالث بعرب العوامر في مركز أنبوب<sup>(٢٨)</sup>، فصناعة الأعلاف من صناعات السوق لكونها من الصناعات النقية حيث يبلغ متوسط نسبة الفاقد في خاماتها ٢% فقط<sup>(٢٩)</sup>، وقد أوضحت الدراسة الميدانية اعتماد كثير من المربين على توفير أعلافهم الجافة من تصنيعها بخبراتهم المكتسبة، حيث تشمل إما التبن المستخلص من القمح، أو خليط من الردة وقشر الفول وبذرة القطن بإضافة أملاح بنسب معينة، وغالبا تتوفر الردة من المطاحن الأهلية المنتشرة بقرى المحافظة التي بلغ عددها ٢٧٧ مطحنا أهليا تقوم بطحن الغلال كخدمة صناعية مقابل أجر<sup>(٣٠)</sup>، والمشكلة المتكررة عند المربين ارتفاع أسعار الأعلاف الحيوانية.

ويمتد الارتباط بين الزراعة وتربية الحيوان إلى الارتباط بين المسكن الريفي وحظائر الحيوانات، فالمسكن الريفي عبارة عن مجمع يمثل القسم الأكبر منه مخازن المحصول وماوى الحيوانات ومخزن الآلات والأدوات المستخدمة في الزراعة، أما القسم الآخر الأصغر فهو عبارة عن ماوى الأسرة<sup>(٣١)</sup>، وقد أوضحت الدراسة الميدانية ارتباط حظائر الحيوانات بالمسكن الريفي، ويبدو من الشكل (١٢) أن النسبة الأكبر من عينة الدراسة وتشمل نحو ٦٥% منها تمثل حظائر الحيوان جزءا من المسكن الريفي؛ وذلك لدواعي أمنية فعند المربي الصغير لا توجد عماله متخصصة في تربية الحيوان تقوم بعمليات الرعاية التي من بينها الحراسة والأمن فالسائد تقريبا في الحظائر الملحقة بالمسكن الريفي قلة أعداد رؤوس الحيوانات التي غالبا ما تجمع بين رأس من الأبقار وأخرى من الجاموس ورأس من دواب الحمل والجر الغالب فيه الحمار ورأسين أو ثلاثة من الرؤوس الصغيرة، بالإضافة إلى عدد من الدواجن والطيور الأخرى. أما تربية الحيوان في ماوى مستقل فتمثل حوالي ٣٥% من عينة الدراسة، وهذا النمط من الماوى قد يضم أعدادا أكبر من رؤوس الحيوانات في المزرعة الواحدة، وبالرغم من أن نمط التربية الحيوانية هنا قد يكون ذو حجم أكبر من حيث عدد

رؤوس الحيوانات، إلا أن حائزها يرتبطون أيضا بالنشاط الزراعي لتوفير حاجات الحيوانات من الأعلاف الخضراء.



شكل (١٢) حظائر الحيوان الملحقة بالسكن الريفي والمنفصلة بمحافظة أسيوط عام

٢٠١٢

وتختلف أيضا مساحات التي تأوي الحيوانات من مربى لآخر، ويمكن تصنيفهم إلى ثلاثة فئات مساحية الفئة الأولى: هي الأكبر التي تقل مساحة الحظيرة فيها عن ٥٠ متر مربع وتمثل ٤٨.١% من عينة الدراسة الميدانية؛ وهي حظائر صغيرة ملحقة بالمسكن الريفي، ويأتي كبر الحجم النسبي لهذه الفئة لطبيعة الحجم الصغير للحيازات الزراعية والحيوانية بالمحافظة، وتليها الفئة الثانية التي تتراوح مساحاتها بين ٥٠ إلى ١٠٠ متر مربع، وتشمل ٣٦.٦% من عينة الدراسة الميدانية، أما الحظائر الأكبر التي تتجاوز مساحاتها ١٠٠ متر مربع فتمثل ١٥.٣% من عينة الدراسة الميدانية وهي غالبا مستقلة عن المسكن الريفي.

ولعل من الجدير بالذكر في إطار مناقشة دور الزراعة في تربية الحيوان الإشارة إلى الميكنة الزراعية، حيث ترتبط تنمية الثروة الحيوانية وإنتاجها خاصة من اللحوم والألبان بتنمية الزراعة وميكنتها، فالاعتماد على الحيوان في العمل الزراعي يؤدي إلى انخفاض إنتاجيته من اللحوم والألبان؛ فهي حيوانات عمل أساسا وليست حيوانات لإنتاج اللحوم والألبان<sup>(٣٢)</sup>. وقد أوضحت دراسات وزارة الزراعة في محطاتها الآلية أن استخدام الميكنة الزراعية يحقق خفضا كبيرا في تكاليف العمليات الزراعية قد يصل إلى النصف، بالإضافة إلى ما يحققه استخدام



الآلات الزراعية من وفر في وقت إجراء العمليات الزراعية، ثم يأتي تأثيرها على تربية الحيوان فاستخدام القوى المحركة يهيئ الفرصة لاستغلال الثروة الحيوانية؛ وتوجيه تربية الماشية إلى الغرض الأصلي من تربيتها لإنتاج اللحوم والألبان، فقد اتضح أن ساعة تشغيل الحيوان المنتج للألبان في الزراعة تعادل إنتاج واحد كيلوجرام من اللبن<sup>(٣٣)</sup>، ويوضح الجدول (٥) بالملحق الخاص بالجدول توزيع الآلات الزراعية المنتشرة بمراكز المحافظة، ويتضح منه التوجه نحو الاستخدام المكثف للآلات الزراعية بديلاً عن الحيوان كقوى محرّكة في العمليات الزراعية؛ وتشمل الجرارات الزراعية والجرافات وماكينات الدراس والري وموتورات الرش والعزاقات، ويرتبط توزيعها على مراكز المحافظة ارتباطاً واضحاً بالمساحات المنزرعة هذا من جهة ومن جهة أخرى يتضح مدى التنوع في الآلات لتغطية كافة العمليات الزراعية والاستغناء استخدام الحيوان كقوى محرّكة في الزراعة والتوجه نحو استخدامه في الإنتاج الحيواني.

## ٢ - الخدمات البيطرية:

تعد الخدمات البيطرية بما لها من دور فعال في الحفاظ على الثروة الحيوانية وتنميتها أحد العوامل المهمة في توزيع الثروة الحيوانية ومنتجاتها، وللوحدات البيطرية أربعة أدوار أساسية في رعايتها للحيوان بالمحافظة، الدور الأول وقائي من خلال العلاج الوقائي والأمصال، فتم عام ٢٠١٢ تحصين الحيوانات من أمراض الحمى القلاعية وحمى الوادي المتصدع وجذري الأغنام والتفحم العضلي والدور الثاني علاجي، وقد نظمت الوحدات البيطرية دورات للعلاج الجماعي من أمراض مختلفة أهمها الديدان المفلطحة والخطيطة والسستودا<sup>(٣٤)</sup>، والدور الثالث دور تنموي في تحسين السلالات الحيوانية من خلال التلقيح الصناعي، ففي عام ٢٠١٢ بلغت أعداد الحيوانات الملقحة صناعياً ١٢٥٩١ منها ١٠٢٠٥ من الأبقار و٢٣٨٦ من الجاموس<sup>(٣٥)</sup>، والدور الرابع يتمثل في دورها في الإشراف على إنتاج اللحوم من خلال المجازر التي تقع تحت رقابتها.

ويتضح من الجدول (١١) والشكل (١٣) مايلي:

\*تنتشر وحدات الرعاية البيطرية بكافة مراكز المحافظة بنسب متفاوتة، فبلغ أعدادها بالمحافظة ٨٣ وحدة بيطرية يعمل بها ١٠٨٣ عامل مابين أطباء بيطرين تبلغ نسبتهم



٣٧.٨% وإداريين ٤٣.٥% وعمال ١٨.٧% (٣٦)، ويلاحظ أن التركيز الأكبر من أعداد هذه الوحدات والعاملين بها في مركز أسيوط حاضرة المحافظة؛ يليه مراكز دبروط ومنفلوط والقوصية؛ وتضم المراكز الأربعة أكثر من نصف عدد الوحدات البيطرية بالمحافظة (٥٣.١%)؛ وحوالي نصف عدد الأطباء البيطريين (٤٩.٥%)؛ ويتعادل هذا تقريبا مع التوزيع النسبي للوحدات الحيوانية المكافئة حيث تضم المراكز الأربعة حوالي نصفها (٤٩.٢%) من مجموع الوحدات الحيوانية بالمحافظة، وكذلك لكونها المراكز الأكبر في عدد التوابع؛ ولارتباط المراكز الخدمية بحاضرة المحافظة.

## جدول (١١)

توزيع الوحدات البيطرية والعاملين فيها بمراكز محافظة أسيوط عام ٢٠١٢.

المركز	الوحدات البيطرية		العاملون		درجة التعادل	وحدات حيوانية/وحدة بيطرية	وحدة بيطرية/كم
	العدد	%	العدد	%			
أسيوط	١٥	١٨.١	٢٣٢	٢١.٤	٣.٢+	٣٠٠٤.٥	١٤.٢
دبروط	١٢	١٤.٥	١١٠	١٠.٢	٤.٣-	٥٨٤٣.٥	١٩.٢
منفلوط	٩	١٠.٨	٩٣	٨.٦	٢.٢-	٧٩٩١.٦	٢٤.١
القوصية	٨	٩.٧	٩١	٨.٤	١.٣-	٧١٥٧.٢	٢٣.٩
أبوتيج	٧	٨.٤	٩٧	٨.٩	٠.٥+	٥٧٢٠.٢	١٨.٠
أبنوب	٧	٨.٤	٨٦	٧.٩	٠.٥-	٥٣٥٧.٤	٢١.٥
الغنايم	٦	٧.٢	٥٦	٥.٢	٢.٠-	٤٩٥١.٩	٧.٨
الفتح	٦	٧.٢	١٠٧	٩.٩	٢.٧+	٥٧٥٧.٢	٢٤.٧
البداري	٦	٧.٢	٦٣	٥.٨	١.٤-	٧٦٤٢.٩	١٥.٨
ساحل سليم	٤	٤.٩	٦٧	٦.٢	١.٣+	٦٢٧٧.٥	٢٦.٣
صدفا	٣	٣.٦	٨١	٧.٥	٣.٩+	١٢٩٣٩.٠	٢٦.٥
الإجمالي	٨٣	١٠٠	١٠٨٣	١٠٠	١١.٧	٥٩٥٧.٣	١٩.٣

معامل الترابط بين توزيع الوحدات البيطرية والوحدات الحيوانية المكافئة: ٠.٨٨١  
معامل الترابط بين توزيع الوحدات البيطرية والعمالة البيطرية: ٠.٨٨٣  
المصدر: محافظة أسيوط، مديرية الطب البيطري، بيانات غير منشورة.

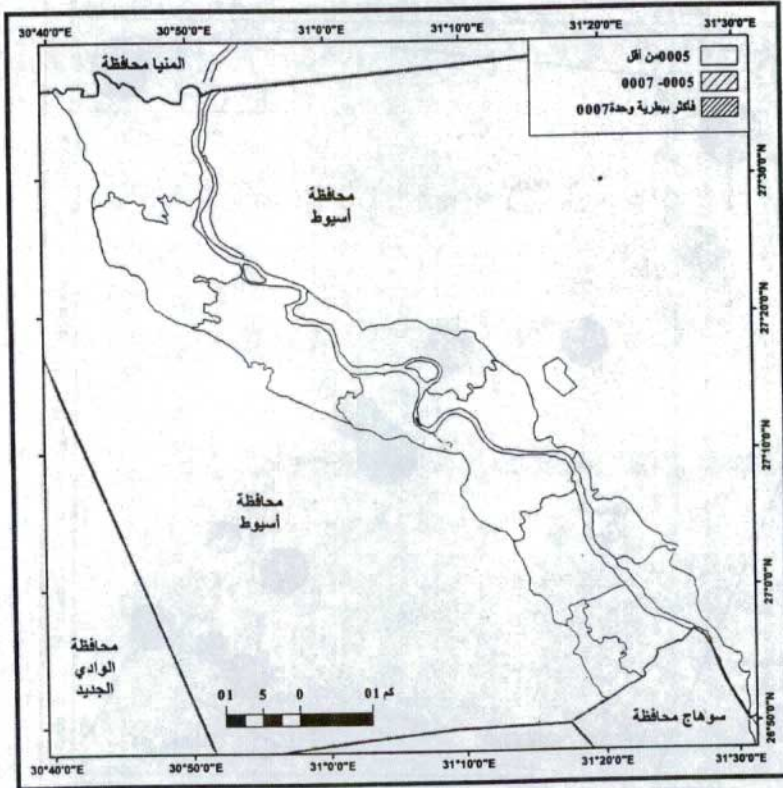
\* يأتي مركزا أبوتيج وأبنوب في المرتبة الخامسة وبكل منهما سبع وحدات بيطرية، ثم مراكز الغنايم والفتح والبداري وبكل منهما ست وحدات بيطرية، فمركز ساحل سليم وفي





## شكل (١٣) توزيع الوحدات البيطرية بمراكز محافظة أسيوط عام ٢٠١٢

\* يتضح من هذا التوزيع أن هناك ثمة خلاف بين توزيع الوحدات البيطرية وتوزيع العاملين بها، فبينما جاء مركز الفتح في المرتبة السادسة من حيث عدد الوحدات البيطرية احتل المركز الثالث من حيث أعداد العاملين بهذه الوحدات، ويرجع ذلك لقربه واتصاله المباشر بمدينة أسيوط؛ وميل العاملين خاصة الأطباء منهم إلى السكنى في مدينة أسيوط حاضرة المحافظة وبالرغم من هذا الاختلاف إلا أن حساب معامل الترابط الجغرافي بين توزيع الوحدات البيطرية وتوزيع الوحدات الحيوانية المكافئة على مراكز المحافظة حقق ٠.٨٨١؛ وعند حساب المعامل ذاته بين توزيع الوحدات البيطرية وتوزيع العاملين بها على مراكز المحافظة حقق ٠.٨٨٣؛ مما يشير إلى وجود ارتباط قوي بين هذه التوزيعات للارتباط الوظيفي بينها.





شكل (١٤) متوسط نصيب الوحدة البيطرية من الوحدات الحيوانية بمراكز محافظة  
أسيوط عام ٢٠١٢

\*يعد متوسط ما تخدمه الوحدة البيطرية من الوحدات الحيوانية المكافئة مؤشرا على  
درجة كفاءة الخدمة؛ فالعلاقة عكسية بين قيم هذا المتوسط ومدى كفاءة الخدمة، وفي عام  
٢٠١٢ بلغ هذا المتوسط على مستوى المحافظة ٥٩٧٥ وحدة حيوانية/وحدة بيطرية  
وتفاوتت قيم هذا المتوسط من مركز لآخر؛ فتبلغ أداها قيمة وأعلىها كفاءة في مركز أسيوط  
في مركز أسيوط ٣٠٠٤.٥ وحدة حيوانية/وحدة بيطرية؛ وأعلىها قيمة وأقلها كفاءة في مركز  
صدفا ١٢٩٣٩ وحدة حيوانية/وحدة بيطرية، ويمكن تقسيم مراكز المحافظة تبعاً لهذا  
المتوسط إلى ثلاث فئات على النحو التالي:

— مراكز يقل متوسط نصيب الوحدة البيطرية فيها عن ٥٠٠٠ وحدة حيوانية مكافئة،  
وتضم أسيوط والغنايم حيث كفاءة الخدمة البيطرية المرتفعة؛ نظراً لانخفاض متوسط نصيب  
الوحدة البيطرية من الوحدات الحيوانية.

— مراكز يتراوح متوسط نصيب الوحدة البيطرية فيها بين ٥٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ وحدة  
حيوانية وتشمل ديروط وأبوتيج وأبنوب والفتح وساحل سليم، وهي المراكز التي تقترب  
متوسطاتها من المتوسط العام للمحافظة.

— مراكز يزداد متوسط نصيب الوحدة البيطرية فيها عن ٧٠٠٠ وحدة حيوانية  
مكافئة، وتضم القوصية ومنفلوط وصدفا والبداري؛ حيث تنخفض كفاءة الخدمة البيطرية بهذه  
المراكز نظراً لضخامة أعداد الحيوانات المنوط بكل وحدة بيطرية رعايتها، فيتجاوز متوسط ما  
تخدمه الوحدة البيطرية بمركز صدفا أربعة أمثال مثلتها بمركز أسيوط، مما يشير إلى أهمية  
إضافة وحدات بيطرية في المواقع التي ترتفع فيها قيم هذا المتوسط.

ويتمدد النقاش حول دور الخدمات البيطرية إلى نفوذها الإقليمي بالمحافظة، فوصل  
متوسط النفوذ الإقليمي لخدمة الوحدة البيطرية بالمحافظة إلى ١٩.٣ كم/وحدة بيطرية،  
ويتراوح بين ٧.٨ كم بمركز الغنايم و ٢٦.٥ كم بمركز صدفا، ويقل هذا المتوسط عن المعدل  
المثالي المقدر بحوالي ٧٨ كم<sup>(٣٧)</sup>؛ على أساس أن كل وحدة بيطرية تخدم دائرة نصف قطرها

خمسة كيلومترات<sup>(٣٨)</sup>، على ذلك فمتوسط مساحة ما تخدمه الوحدة البيطرية بالمحافظة صغير مما يشير إلى ارتفاع كثافة خدمات الوحدات البيطرية بها.

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى مدى التفاعل بين الوحدات البيطرية وأدائها الوظيفي ومربي الحيوانات واحتياجاتهم؛ والسبيل إلى ذلك ما انتهت إليه الدراسة الميدانية والموضحة نتائجها بالملحق الخاص بالجداول حيث أظهرت أن أكثر من نصف عدد مربي الحيوانات قيد الدراسة يلمسون قرب المسافة بين مواقع سكناهم والمرتبطة بمواقع تربية حيواناتهم ومقار الوحدات البيطرية المنتشرة بمراكز المحافظة، وان كانت النسبة الأكبر منهم ٦٢.٥% يرون أن هناك صعوبة في الانتقال بالحيوان المريض إلى هذه الوحدات البيطرية؛ وكذلك يرى ٦٠.٦% منهم أن حيواناتهم لا تحصل على خدمة بيطرية جيدة، ولتلافي صعوبة هذا الانتقال يقترح البعض أهمية تكثيف الدور البشري من خلال زيادة أعداد الأطباء البيطريين خاصة في الريف؛ حتى يسهل انتقالهم إلى الحيوان المريض، ودوام العمل طوال اليوم لتلبية حاجة الحيوان من الرعاية البيطرية، وآلية لنقل الحيوان المريض أو الانتقال إليه.

### ٣ - المياه:

تختلف احتياجات الحيوان من المياه تبعاً للظروف المناخية؛ ونوعية الأعلاف، فتتراوح حاجات الماشية من المياه في مصر بين ٤٠ إلى ١١٠ لتر من المياه يومياً<sup>(٣٩)</sup>، هذا يعني أن حاجات الثروة الحيوانية في المحافظة من المياه تتراوح بين ١٩.٧ مليون لتر سنوياً في حدها الأدنى؛ و ٥٤.٢ مليون لتر سنوياً في حدها الأقصى<sup>(٤٠)</sup>، وقد أوضحت الدراسة الميدانية أن أكثر من نصف العينة قيد الدراسة ٥٨.٩% منها يتوفر بها حوض للسقاية؛ وأن ٤١.١% منها لا يوجد بها حوض سقاية للحيوانات، وهذا يتناسب مع طبيعة نظام تربية الحيوان شبه المكثف السائد بالمحافظة الذي يعتمد على أعداد قليلة من الرؤوس الحيوانية، ويتضح من الجدول (١) بالملحق الخاص بالجداول أن (٥٧.٢%) من عينة الدراسة الميدانية تعتمد على المياه من شبكة المياه العمومية للمحافظة، بينما أكثر من ربع العينة (٢٧.٥%) تحصل على حاجاتها من المياه من مياه جوفية يتم سحبها بواسطة موتور

سحب كهربائي، وحوالي (١٥.٣%) من عينة الدراسة تعتمد على المياه الجارية في توفير حاجات حيواناتها من المياه.



## ٤ - السوق:

يتميز مكان السوق بكونه محصلة لاختيار البائعين والمشتريين "العرض والطلب" لسلعة معينة<sup>(٤١)</sup>، ولقد عنيت الحكومة المصرية بتنظيم أسواق الجملة منذ عام ١٩٣١<sup>(٤٢)</sup>، وعند التعرض لسوق الثروة الحيوانية أوضحت الدراسة الميدانية أن النسبة الأكبر من المشتريين للماشية من المحافظة إذ بلغت ٧٠% من عمليات الشراء، وأن أكثر من نصف عمليات البيع تتم في المزرعة ٥٣.٤% من العينة قيد الدراسة؛ و ٣١.١% من عمليات البيع تتم في الأسواق وجميعها أسواق أسبوعية داخل المحافظة، وأن ١٥% منهم يقومون ببيع ماشيتهم مابين المزرعة والأسواق، ويختلف إقليم السوق تبعاً لعوامل عدة أهمها حجم السكان وعدد المترددين على السوق وتكلفة النقل وإمكانية الوصول<sup>(٤٣)</sup>.

## جدول (١٢)

التوزيع النسبي للوحدات الحيوانية والسكان ودرجة التعادل بينهما في مراكز المحافظة عام ٢٠١٢

المركز	الوحدات الحيوانية %	السكان %	درجة التعادل
منفلوط	١٤.٥	١١.٩	٢.٦ (+)
ديروط	١٤.١	١٣.٢	٠.٩ (+)
القوصية	١١.٥	١٠.٤	١.١ (+)
البداري	٩.٢	٦.٢	٣.٠ (+)
أسيوط	٩.١	٢٣.٠	١٣.٩ (-)
أبوتيج	٨.١	٨.٠	٠.١ (+)
صدفا	٧.٨	٤.٦	٣.٢ (+)
أنبوب	٧.٦	٨.٩	١.٣ (-)
الفتح	٧.٠	٦.٩	٠.١ (+)
الغنايم	٦.٠	٣.٠	٣.٠ (+)
ساحل سليم	٥.١	٣.٩	١.٢ (+)
الإجمالي	١٠٠	١٠٠	١٥.٢

المصدر: نسب الوحدات الحيوانية من الجدول (٢)، ونسب السكان من: محافظة

أسيوط، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، بيانات غير منشورة. معامل الترابط

الجغرافي ٠.٨٤٨

يتضح من الجدول (١٢) أن الكم الأكبر من السكان التي تمثل الوحدات التسويقية تتركز في مركز أسبوط؛ وهو أكثر المراكز التي لا تحصل على نصيبها النسبي المتعادل من الوحدات الحيوانية مقارنة بالسكان؛ لارتفاع نسبة التحضر به وللحجم السكاني الكبير، حيث يضم المركز أقل قليلا من ربع سكان المحافظة، ويلي مركز أسبوط من حيث الحجم السكاني مركز ديروط؛ وهو المركز الثاني أيضا من حيث نصيبه النسبي من الوحدات الحيوانية، ويحصل تقريبا على نصيبه النسبي المتعادل من الوحدات الحيوانية مع نصيبه النسبي من السكان أو الوحدات التسويقية، وكذلك الحال في مركزي أبوتيج والفتح، أما مركز منفلوط أكبر المراكز من حيث نصيبه النسبي من الوحدات الحيوانية فيحصل هو والقوصية وصدفا والبداري والغنايم وساحل سليم على أكثر من نصيبهم النسبي المتعادل من الوحدات الحيوانية مع نصيبهم النسبي المتعادل من السكان، وعلى ذلك يمكن تصنيف مراكز المحافظة تبعا لدرجة التعادل بين التوزيعين على النحو التالي:

- الفئة الأولى: مراكز تحصل على أكثر من نصيبها النسبي المتعادل من الوحدات الحيوانية مع السكان، وتشمل منفلوط القوصية وصدفا والبداري والغنايم وساحل سليم، حيث تضم هذه المراكز الست ٥٤.١% من الوحدات الحيوانية و ٤٠% من حجم السكان.

- الفئة الثانية: مراكز تحصل على نصيبها النسبي المتعادل من الوحدات الحيوانية مع السكان التي تتراوح درجة التعادل فيها بين (+)١ و(-)١، وتشمل ديروط وأبوتيج والفتح، وتضم المراكز الثلاثة ٢٩.٢% من الوحدات الحيوانية و ٢٨.١% من حجم السكان.

- الفئة الثالثة: مراكز لا تحصل على نصيبها النسبي المتعادل من الوحدات الحيوانية مع السكان تشمل أسبوط وأينوب إذ يضمان معا ١٦.٧% من الوحدات الحيوانية و ٣١.٩% من السكان.

وعند حساب معامل الترابط الجغرافي بين التوزيعين حقق ٠.٨٤٨ مما يشير إلى وجود ارتباط قوي بينهما، وتجدر الإشارة إلى أن مركز أسبوط أكبر المراكز من حيث حجم

السوق، وذو موقع متوسط بين مراكز المحافظة، مما يسهم في سهولة الحركة منه واليه خاصة وأن تجارة الرؤوس الحية من الماشية تقتصر على المسافات القصيرة<sup>(٤٤)</sup>.

#### ٥ - التوجيه الحكومي وعوامل أخرى:

يتنوع دور التوجيه الحكومي أو قل الأدوار الحكومية في رعاية وتنمية الثروة الحيوانية، فبالإضافة إلى دور الوحدات البيطرية ورعايتها لصحة الحيوان، يأتي الدور المهم في سن القوانين لحماية الثروة الحيوانية أهمها قانون تنظيم وحماية الثروة الحيوانية؛ الذي ينظم عمليات استيراد وتصدير الحيوانات والدواجن والطيور الأخرى، وحظر ذبح العجول قبل بلوغها سن السنتين؛ وكذلك حظر ذبح إناث الماشية والأغنام قبل تبديل جميع قواطعها، وحظر ذبح الإناث العشار، وإجراءات تراخيص الاتجار في الأعلاف وتسجيل الثروة الحيوانية وصيانة وتطهير الحظائر وما إلى غير ذلك من قوانين تنظم عمليات تربية الحيوان والدواجن<sup>(٤٥)</sup>.

ومن بين العوامل الأخرى التي تؤثر في الثروة الحيوانية العقائد الدينية، حيث تتأثر العادات الغذائية بالعقائد الدينية، ومن قبيل ذلك تحريم أكل لحم الخنزير عند المسلمين واليهود، التي تربي في الدول الإسلامية<sup>(٤٦)</sup>، وقد حاول الباحث في إطار جمعه للمادة العلمية العثور على بيان عن تربية الخنازير بمحافظة أسيوط إلا أنه لم يتوفر له ذلك.

#### ثالثاً: التركيب النوعي للثروة الحيوانية.

يتألف المركب النوعي للثروة الحيوانية بمحافظة أسيوط من ستة عناصر، هي على الترتيب الجاموس والأبقار والدواجن ودواب الحمل والجحر والأغنام والماعز والجمال، ومن خلال الجدول (١٣) والشكل (١٥) يتضح أن:



جدول (١٣)

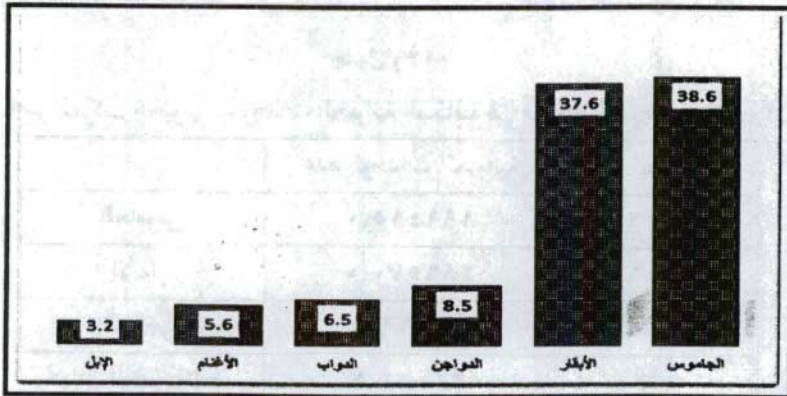
عناصر المركب الحيواني بالوحدات الحيوانية المكافئة في محافظة أسيوط عام ٢٠١٢.

النوع	عدد الوحدات الحيوانية	%
الجاموس	١٩١٤١٥.٠	٣٨.٦
الأبقار	١٨٦٥٧٠.٠	٣٧.٦
الدواجن	٤٢١١٩.٦	٨.٥
دواب الحمل والجر	٣٢٠٥١.٥	٦.٥
الأغنام والماعز	٢٧٧٢٠.٩	٥.٦
الإبل	١٦٠٧٨.٥	٣.٢
الإجمالي	٤٩٥٩٥٥.٥	١٠٠

المصدر: محافظة أسيوط، مديرية الطب البيطري، بيانات غير منشورة.

\* بلغت أعداد الوحدات الحيوانية بالمحافظة ٤٩٥٩٥٥.٥ وحدة حيوانية مكافئة تتوزع بنسب متباينة على ستة عناصر حيوانية، تعد الماشية العنصر الأكبر منها حيث تمثل بعنصرها الجاموس والأبقار أكثر من ثلاثة أرباع الوحدات الحيوانية المكافئة بالمحافظة يأتي الجاموس في المرتبة الأولى وتمثل ٣٨.٦% من هذه الوحدات حيث تبلغ أعداد رؤوسها حوالي ١٩١.٤ ألف رأس، يليها بفارق نسبي صغير الأبقار في المرتبة الثانية التي تبلغ أعداد رؤوسها حوالي ١٨٦.٥ ألف رأس أي حوالي ٣٧.٦% الوحدات الحيوانية المكافئة بالمحافظة.

\* تأتي في المرتبة الثالثة ويفارق نسبي كبير الدواجن والطيور الأخرى التي تمثل ٨.٥% من الوحدات الحيوانية بالمحافظة، ففي عام ٢٠١٢ بلغت أعداد الدواجن والطيور الأخرى ٢١٠٥٩٨٩ رأس<sup>(٤٧)</sup>، وتجمع تربية الدواجن في المحافظة بين تربية الدواجن المنزلية الأكثر انتشارا خاصة في الريف، فقد أوضحت الدراسة الميدانية إن العنصر المشترك في كافة تكرارات عينة الدراسة هو تربية الدواجن<sup>(٤٨)</sup>، وتربية الدواجن في مزارع الدواجن المتخصصة البالغ أعدادها ٢١٨ مزرعة منتشرة بنسب متفاوتة بمراكز المحافظة<sup>(٤٩)</sup>.



شكل (١٥) عناصر الثروة الحيوانية محافظة أسيوط عام ٢٠١٢.

\* تحتل دواب الحمل والجر المرتبة الرابعة من حيث عدد الوحدات الحيوانية بالمحافظة حيث تبلغ نسبتها ٦.٥% من إجمالي هذه الوحدات الحيوانية، ففي عام ٢٠١٢ بلغت أعداد الرؤوس الحيوانية من الدواب ٨٩١٦٥ رأس، النسبة الأكبر منها من الحمير البالغ نسبتها ٩١.٨% من إجمالي رؤوسها، ويرجع ارتفاع هذه النسبة لانتشار استخدامها في النشاط الزراعي بريف المحافظة، وبلي ذلك الخيول ونسبتها ٤.٧% التي تجمع بين رياضة تربية الخيول وحيوانات الجر، ثم تأتي البغال بنسبة ٣.٥% منها<sup>(٥٠)</sup>.

\* تمثل الأغنام والماعز المرتبة الخامسة في عناصر المركب الحيواني بالمحافظة حيث استحوذت على ٥.٦% من الوحدات الحيوانية بالمحافظة عام ٢٠١٢، وتمثل العنصر الأكبر من حيث عدد الرؤوس بعد الدواجن، فبلغت أعداد الأغنام والماعز ٢٨٢٣١٤ رأس<sup>(٥١)</sup>، ولمحافظة أسيوط شهرتها في تصنيع الصوف فتوطن بها في أربعينيات القرن الماضي مصنع أبو الهول لغزل ونسج الصوف وهو أحد المصانع الكبيرة التي تم تأميمها في الستينيات، وتم دمجها في مصنع شركة أسيوط للغزل والنسيج كأحد خطوط الإنتاج المتخصصة بها، وتوقف العمل به منذ عام ١٩٩٦<sup>(٥٢)</sup>، وتشتهر بعض القرى بالمحافظة بالتصنيع اليدوي للصوف خاصة صناعات السجاد والكليم أو ما يعرف بالكليم الأسيوطي أهمها قرى درنكة وبني عدييات والنخيلة<sup>(٥٣)</sup>.

\* تأتي الإبل في المرتبة الأخيرة في عناصر المركب الحيواني بالمحافظة، وتعد أقل هذه العناصر انتشارا حيث تبلغ أعداد رؤوسها ١٠٧١٩ رأس<sup>(٥٤)</sup> تمثل ٣.٢% من الوحدات الحيوانية المكافئة بالمحافظة.

ومما سبق ذكره يتضح أن عناصر المركب الحيواني للمحافظة مرتب ترتيبا تنازليا تبعا للمساهمة النسبية لكل نوع يشمل " الجاموس - الأبقار - الدواجن - الدواب - الأغنام والماعز - الإبل ".

#### رابعاً: المنتجات الحيوانية بمحافظة أسيوط

تشمل المنتجات الحيوانية بمحافظة أسيوط أربعة عناصر رئيسة تتمثل في اللحوم الحمراء واللحوم البيضاء والألبان وبيض المائدة، بالإضافة إلى منتجات ثانوية أهمها الأصواف والجلود وعسل النحل. وقبل مناقشة إنتاج واستهلاك المنتجات الحيوانية بشكل عام واللحوم بشكل خاص يجب أن الإشارة إلى أن البيانات الواردة من الإنتاج ينقصها كثير من الدقة لاقتصارها على ما يتم تسجيله من ذبائح في المجازر التي تشرف عليها الدولة، فلا بد أن يوضع في الاعتبار عند مناقشة هذه المسألة ثلاث نقاط أساسية هي:

الأولى: كثير من حالات الذبح يتم خارج المجازر، فقد بلغت أعداد القرى بالمحافظة ٢٣٥ قرية غير العزب والنجوع من قرى المحافظة؛ منها ٢٠٦ قرية لا يوجد بها مجازر؛ هذا يعني أن القرى التي لا تتوفر بها هذه الخدمة تمثل ٨٧.٦% من قرى المحافظة<sup>(٥٥)</sup>، ومن خلال الملاحظات الميدانية للباحث في قرية الزاوية إحدى قرى مركز أسيوط أتضح وجود عدد (١٦) محال جزارة يتم فيها الذبح يومي الأحد والخميس من كل أسبوع وجميعها تذبح خارج المجزر لعدم وجود مجزر بالقرية ويلاحظ ذلك من خلال مشاهدة اللحوم المعروضة في هذه المحال، وهي غير مختومة بالختم الخاص بالمجازر وعند مناقشة بعض المستهلكين عن أضرار استهلاك لحوم غير خاضعة للرقابة البيطرية أفادوا جميعاً بأن ما يتم ذبحه يعرض حيا على باب محل الجزارة في اليوم السابق من ذبحة وتأكدوا من صحته.



الثانية: لا يوجد حصر لما يتم ذبحة من الثروة الداجنة والطيور الأخرى التي يتم تربيتها منزلياً خاصة في القرى، وكذلك فإن متاجر ذبح وإعداد الدواجن والطيور المنتشرة خاصة في المدن لا تدرج ضمن اهتمامات أي جهة إحصائية يمكن من خلالها معرفة ما يتم ذبحة بها، قد يتوفر بيان بأعداد المنشآت ولكن لا يتوفر أي بيان باستخدام وذبح هذه المنشآت متناهية الصغر.

الثالثة: لا يوجد حصر لما يتم استهلاكه بالمحافظة من اللحوم المحفوظة سواء المجمدة أو سريعة التحضير الواردة من خارج المحافظة بل وقل من خارج الدولة، وما قيل عن اللحوم الحمراء أو البيضاء ينصرف أيضاً عند مناقشة وتحليل وإنتاج واستهلاك بيض الدواجن والألبان ومنتجاتها في المحافظة، ويمكن من خلال الجدول (١٤) والشكل (١٦) استنتاج ما يلي:

\* هناك اتجاهات عامة لزيادة إنتاج اللحوم بمعدل يقترب من النصف في كل عقد من العقود الثلاثة، ففي عام ٢٠٠٠ بلغت نسبة الزيادة في إنتاج اللحوم بنوعيتها ٥٨.٨% من إنتاج اللحوم عام ١٩٩٠، ووصلت إلى ١٠٦.٣% عام ٢٠١٠ بالمقارنة بسنة الأساس، وتأتي هذه الزيادة استجابة للنمو السكاني المستمر بالمحافظة، وأيضاً استجابة لمحاولات ارتفاع مستويات المعيشة.

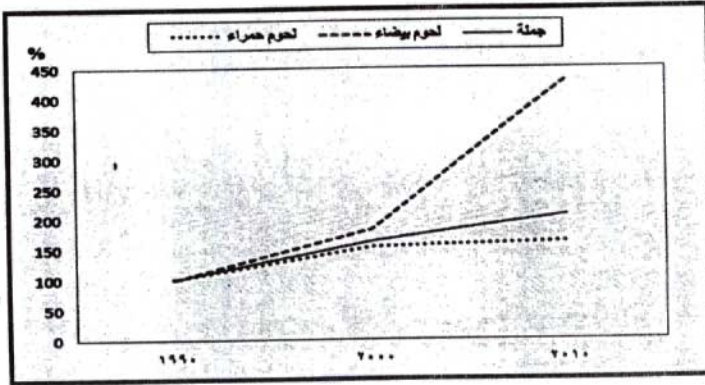
#### جدول (١٤)

تطور إنتاج اللحوم الحمراء والبيضاء بمحافظة أسيوط خلال الفترة من ١٩٩٠ إلى ٢٠١٠.

السنة	لحوم حمراء			لحوم بيضاء			الإجمالي	
	طن	نسبة التغير	متوسط الفرد	طن	نسبة التغير	متوسط الفرد	نسبة التغير	متوسط الفرد
١٩٩٠	١٤٧١٣	١٠٠	٥.٨٩	٢٧٠٧	١٠٠	١.٠٨	١٧١٢٠	٦.٩٧
%	٨٤.٤			١٥.٦			١٠٠	
٢٠٠٠	٢٢٧٤٩	١٥٢.٨	٧.٥٥	٤٩١٧	١٨١.٦	١.٦٣	٢٧٦٦٦	٩.١٨
%	٨٢.٢			١٧.٨			١٠٠	
٢٠١٠	٢٣٧٣١	١٦١.٣	٦.١٢	١١٥٩٠	٤٢٨.١	٢.٩٩	٣٥٣٢١	٩.١١
%	٦٧.٢			٣٢.٨			١٠٠	

المصدر: محافظة أسيوط، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، بيانات غير منشورة.

\* اختلفت نسبة الزيادة في إنتاج اللحوم ما بين اللحوم الحمراء والبيضاء، فالزيادة في الأولى كانت اقل من مثلتها في الأخرى، فبينما تقترب الزيادة في اللحوم الحمراء عام ٢٠١٠ إلى اقل من ثلثي مثلتها عام ١٩٩٠، على الجانب الأخر تتجاوز نسبة الزيادة في اللحوم البيضاء عام ٢٠١٠ أربعة أمثال عام ١٩٩٠، وتعكس هذا الزيادة اهتماما بالثروة الداجنة لان احتياجاتها الغذائية اقل من احتياجات الحيوانات الأخرى<sup>(٥٦)</sup> وما تتميز به من سرعة وكفاءة التحويل الغذائي، فسرعة تحويل العلف إلى اللحوم عند الدواجن أسرع وأكبر عند مقارنتها بسرعة التحويل الغذائي عند الحيوانات بأربعة أمثال، ويلاحظ ذلك من نسبة تناقص المنحنى النسبي لإسهام اللحوم الحمراء وبشكل واضح في العقود الثلاثة قيد الدراسة مع تزايد المنحنى النسبي لإسهام اللحوم البيضاء من إجمالي اللحوم المنتجة في المحافظة.



شكل (١٦) تطور إنتاج اللحوم الحمراء والبيضاء محافظة أسيوط أعوام ١٩٩٠ و٢٠٠٠ و٢٠١٠

\* يلاحظ أن هناك زيادة في متوسط نصيب الفرد من اللحوم بالمحافظة في الفترة قيد الدراسة حيث تزايد هذا المتوسط على ٦.٩٧ كجم/نسمة عام ١٩٩٠ إلى ٩.١١ كجم/نسمة عام ٢٠١٠، ويلاحظ أيضا أن هذه الزيادة محدودة في اللحوم الحمراء وتتضاعف في اللحوم البيضاء، وبالرغم من أن هذه الزيادة فإن متوسط نصيب الفرد من اللحوم المحافظة ما يزال صغيرا بالمقارنة بالمتوسط العالمي (٣٣.٤ كجم/فرد سنوياً)، والمتوسط العربي (١٦.٤ كجم/فرد سنوياً)، والمتوسط المصري (١٣.٧ كجم/فرد)<sup>(٥٧)</sup>، إلا



أنه يجب أن يوضع في الاعتبار ما سبقت الإشارة إليه من عدم دقة البيانات الإحصائية الخاصة بالإنتاج والاستهلاك من المنتجات الحيوانية في المحافظة.

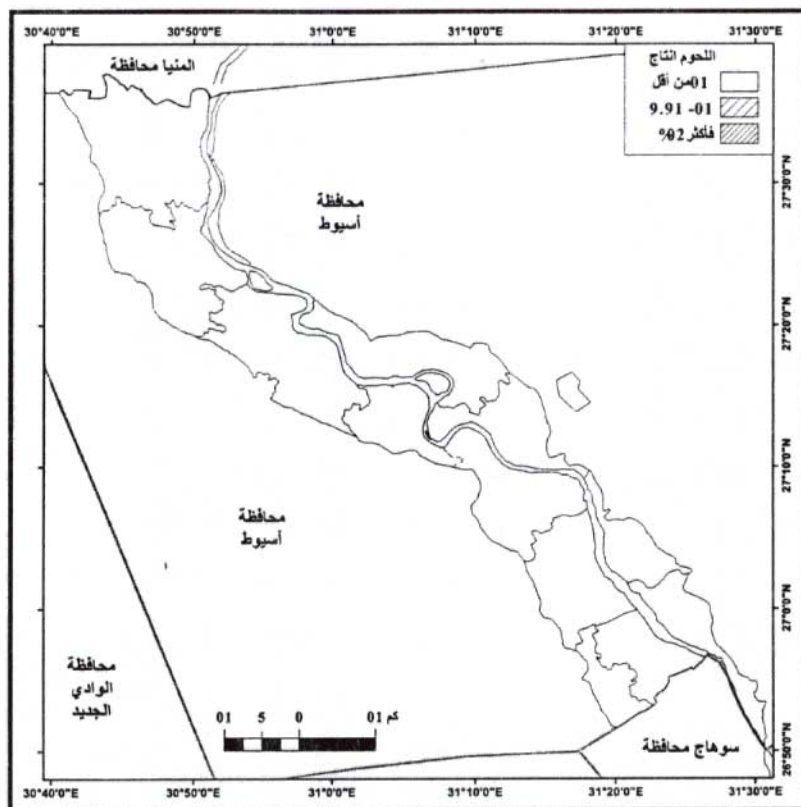
وبوضح الجدول (٦) بملحق الجداول والشكل (١٧) توزيع إنتاج اللحوم الحمراء والبيضاء على مراكز المحافظة عام ٢٠١٢ ومن خلالهما يمكن استنتاج مايلي: -

- تمثل اللحوم الحمراء ٦٥% من إنتاج اللحوم بالمحافظة، ويتباين توزيعها من مركز لآخر فبينما يحصل مركز أسيوط على النصيب الأكبر منها نظرا لكونه السوق الأكبر في المحافظة لما يضم من سكان سواء المدينة أو القرى التابعة للمركز؛ حيث يستحوذ على ٢٣.١% من إنتاج اللحوم الحمراء في المحافظة، ويأتي بذلك في المرتبة الأولى على مستوى مراكز المحافظة، بينما يأتي مركز الغنايم بفارق نسبي كبير في المرتبة الأخيرة حيث بلغت نسبة إنتاجه من اللحوم الحمراء ١.٤% من إنتاج اللحوم الحمراء في المحافظة، وهو اصغر المراكز من حيث الوحدات الحيوانية والسكان وعدد الحيازات الزراعية والمساحة المحصولية، وتمثل مراكز ديروط وأبنوب والقوصية ومنفلوط مع مركز أسيوط المراكز الرئيسة لإنتاج اللحوم الحمراء في المحافظة حيث تضم المراكز الخمسة ٨١.٩% من اللحوم الحمراء بالمحافظة، بينما المراكز الستة الأخرى لا تضم سوى ١٨.١% فقط منها.

\* بلغت كمية اللحوم البيضاء المنتجة في المحافظة ١٢٧٧٣.٥ طن عام ٢٠١٢ تمثل ٣٥% من إنتاج اللحوم بالمحافظة، تتباين تباينا شديداً في توزيعها على مراكز المحافظة، جاء في المرتبة الأولى مركز القوصية بنصيب نسبي بلغ ٣٤.١%، وفي المرتبة الأخيرة مركز صدفا بنسبة ٠.٤% فقط من إنتاج اللحوم البيضاء بالمحافظة، واستحوذت مراكز ديروط ومنفلوط وأسيوط مجتمعة بالإضافة إلى مركز القوصية؛ وهي المراكز الأربعة الأولى ٧٧.٣% من إنتاج اللحوم البيضاء بالمحافظة، أما المراكز السبع الأخرى فلا تضم سوى اقل من ربع هذا الإنتاج، ويرجع هذا التباين الشديد إلى أن هذه المراكز الأربعة كتلة موقعية؛ ويتركز بها الكم الأكبر من السكان ٥٨.٥% من إجمالي سكان المحافظة<sup>(٥٨)</sup> على ذلك فهي السوق الرئيسي، وتضم حوالي نصف عدد مزارع الدواجن بالمحافظة، حيث تحوي ٤٩.٣% من إجمالي مزارع الدواجن بالمحافظة، وتضم المراكز الأربعة أيضا النسبة الأكبر من إجمالي مساحة الأراضي الزراعية (٥١.٩%)؛ وأكثر من نصف المساحة المحصولية



(٥٢.٠%)؛ وأكثر من نصف عدد الحيازات الزراعية فيها ٥١.٤% من إجمالي عدد الحيازات الزراعية.



شكل (١٧) إنتاج اللحوم الحمراء والبيضاء بمراكز محافظة أسيوط عام ٢٠١٢.

\* يختلف توزيع إجمالي إنتاج اللحوم بنوعيتها من مركز لآخر، ففي عام ٢٠١٢ بلغ إنتاج اللحوم ٣٦.٥ ألف طن تتوزع على كافة مراكز المحافظة بنسب مختلفة، ولا يختلف التوزيع النسبي لإنتاج اللحوم الحمراء والبيضاء كثيراً عن توزيع إجمالي اللحوم، حيث يشمل الإجمالي العنصرين، وان كان هناك ثمة اختلاف ففي نسب مشاركة أي من العنصرين في إجمالي إنتاج المركز، فالنسبة العامة بالمحافظة تقترب كثيراً من الثلثين لحوم حمراء والثلث لحوم بيضاء، وتختلف هذه النسبة من مركز لآخر فأعلى نسبة لإسهام اللحوم الحمراء جاءت بمركز صدفا وقلها في مركز القوصية، بينما تتفق هذه النسبة مع المتوسط العام للمحافظة في

مركزي الغنایم والفتح؛ وهما اصغر مراكز المحافظة إنتاجاً حيث يأتي ترتيبها في المرتبة العاشرة والحادية عشر على الترتیب، أما المراكز الرئيسية لإنتاج اللحوم بالمحافظة فهي على الترتیب: ديروط والقوصية وأسبوط والمدى النسبي بينهم صغير لا يتجاوز ٢% من إجمالي الإنتاج بين مركزي ديروط وأسبوط ثم مركزي منفلوط وأنبوب، والمراكز الخمسة يمثل إنتاجها ٨١.٥% من إجمالي إنتاج اللحوم بالمحافظة، أما المراكز الستة الأخرى التي تقل المساهمة النسبية لأي منها عن ٥% من الإنتاج فلا تمثل إلا اقل من خمس هذا الإنتاج.

\* بلغ متوسط استهلاك الفرد من اللحوم بالمحافظة ٩.٤١ كجم سنوياً عام ٢٠١٢، مما يعني أن وصول متوسط نصيب الفرد في محافظة أسبوط إلى المتوسط العام لنصيب الفرد من اللحوم في مصر الذي يعد منخفضاً إذا قورن بمثيله في الدول المجاورة أو مثيله العالمي، يجب زيادة إنتاج اللحوم في المحافظة بنسبة ٤٥.٦% من إنتاج المحافظة عام ٢٠١٢، وتستحوذ اللحوم الحمراء على النصيب الأكبر من متوسط نصيب الفرد السنوي من اللحوم بالمحافظة حيث بلغت ٦.١٢ كجم/فرد سنوياً. أما اللحوم البيضاء فيصل متوسطها إلى ٣.٢٩ كجم/فرد سنوياً، مما يعني أن اللحوم البيضاء تمثل ٣٥% من متوسط نصيب الفرد وهي نسبة مرتفعة إذا ما قورنت بالنسبة العالمية حيث تمثل اللحوم البيضاء ٢٥% من إنتاج اللحوم في العالم<sup>(٥٩)</sup>.

\* تتفاوت قيم متوسط نصيب الفرد من اللحوم من مركز لآخر من مراكز المحافظة، فتتراوح بين ١٨.١٥ كجم/فرد سنوياً بمركز القوصية في حدها الأعلى و ٢.٨ كجم/فرد سنوياً بمركز الفتح في حدها الأدنى، ويزداد هذا التفاوت وضوحاً في توزيع قيم متوسط نصيب الفرد من اللحوم البيضاء حيث بلغ حده الأعلى ١٠.٧٩ كجم/فرد سنوياً في مركز القوصية؛ و ٠.٣١ كجم/فرد سنوياً في حده الأدنى في مركز أبو تيج وصدفا، أما توزيع قيم متوسط الفرد من اللحوم الحمراء فالتفاوت بين قيم هذا المتوسط في المراكز اقل حده إذ يتراوح بين ١٠.٠٦ كجم/فرد سنوياً بمركز أنبوب في حده الأعلى و ٢.١١ كجم/فرد سنوياً في حده الأدنى في مركز أبو تيج. ويمكن تصنيف مراكز المحافظة تبعاً لمتوسط نصيب الفرد من اللحوم سنوياً بكل مركز على النحو التالي:

الفئة الأولى: مراكز حقق المتوسط فيها أكثر من ١٣.٧ كجم/فرد سنوياً من اللحوم وهو متوسط نصيب الفرد من اللحوم في مصر، وتشمل مركزي القوصية ودبيروت، ويمكن تصنيف متوسط نصيب الفرد بهذه الفئة بالمتوسط المرتفع فالمركزان يحتلان المرتبة الأولى والثانية في إنتاج اللحوم وفي عدد الوحدات الحيوانية المتوطن بكل منهما على مستوى المحافظة.

الفئة الثانية: مراكز يتراوح نصيب الفرد من اللحوم فيها بين ١٣.٧ و ٩.٤١ كجم/فرد، وهو متوسط نصيب الفرد من اللحوم بمحافظة أسيوط، وتشمل مراكز ساحل سليم وأبنوب ومنفلوط، وهو متوسط مرتفع إلى حد ما، وإن كان ثمة اختلاف بين المراكز الثلاث في ارتفاع متوسطاتها، فالاختلاف في بنية المتوسط في ساحل سليم ومنفلوط يعزى الارتفاع فيهما لارتفاع متوسط نصيب الفرد السنوي من اللحوم البيضاء، بل وفي ساحل سليم يزيد متوسط نصيب الفرد السنوي من اللحوم البيضاء عن نظيرة من اللحوم الحمراء.

الفئة الثالثة: مراكز سجل متوسط نصيب الفرد من اللحوم فيها ٩.٤١ و ٦.١٢ كجم/فرد سنوياً، وهي المراكز التي يتراوح قيم المتوسط السنوي فيها ما بين متوسط نصيب الفرد من اللحوم ومتوسط نصيب الفرد من اللحوم الحمراء بالمحافظة وتضم أسيوط والبداري.

الفئة الرابعة: مراكز يقل المتوسط السنوي فيها عن ٦.١٢ كجم/فرد سنوياً، وتشمل مراكز صدفا والغنايم وأبوتيج والفتح ويمكن توصيف المتوسط بهذه المراكز بأنه صغير جداً.  
- بيض المائدة: -

يوضح الجدول (١٥) توزيع إنتاج بيض المائدة ومتوسط نصيب الفرد السنوي منها ودرجة التعادل النسبي بين التوزيع النسبي لإنتاج بيض المائدة والتوزيع النسبي للسكان بمراكز المحافظة عام ٢٠١٢، ومن خلال الجدول والشكل (١٨) يمكن استنتاج ما يلي: -

جدول (١٥)

توزيع إنتاج بيض المائدة بمراكز محافظة أسيوط عام ٢٠١٢.

درجة التعادل	نسبة السكان %	متوسط نصيب الفرد	بيض المائدة		المركز
			%	مليون بيضة	
٢.٩ (-)	٢٢.٩	٨٣.٤	٢٠.٠	٧٤.٣٠	أسيوط



ديروط	٤١.٠٨	١١.١	٨٠.٤	١٣.٢	(-) ٢.١
البداري	٣٨.٥٠	١٠.٤	١٦١.١	٦.٢	(+) ٤.٢
أبنوب	٣٥.٨٠	٩.٧	١٠٣.٢	٩.٠	(+) ٠.٧
منفلوط	٣٥.٣٦	٩.٥	٧٦.٥	١١.٩	(-) ٢.٤
القوصية	٣٥.٠٠	٩.٤	٨٦.٤	١٠.٤	(-) ١.٠
أبوتيج	٣١.٦٨	٨.٥	١٠٢.٥	٨.٠	(+) ٠.٥
الفتح	٢٩.٧٢	٨.٠	١١١.٧	٦.٩	(+) ١.١
ساحل سليم	٢٠.٠٠	٥.٤	١٣٢.٤	٣.٩	(+) ١.٥
صدفا	١٨.١٠	٤.٩	١٠١.٧	٤.٦	(+) ٠.٣
الغنايم	١١.٤٠	٣.١	٩٧.٤	٣.٠	(+) ٠.١
الإجمالي	٣٧٠.٩٤	١٠٠	٩٥.٦	١٠٠	٨.٤

معامل الارتباط الجغرافي ٠.٩١٦

المصدر: محافظة أسيوط، مديرية الطب البيطري، بيانات غير منشورة، وبيانات السكان: محافظة أسيوط مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، بيانات غير منشورة، والنسب والمعامل من حساب الباحث.

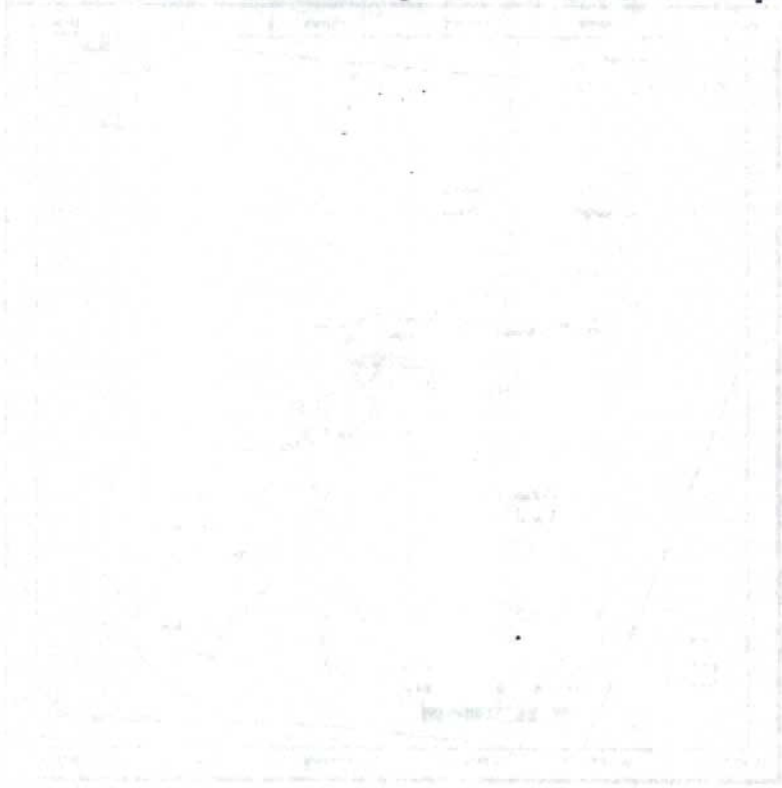
\* بلغ إنتاج المحافظة من بيض المائدة ٣٧٠.٩ مليون بيضة عام ٢٠١٢، ومتوسط نصيب الفرد منها ٩٥.٦ بيضة سنويا، وهو متوسط مرتفع إذا ما قورن بمثيله في مصر الذي بلغ ٥٠ بيضة سنويا<sup>(٦٠)</sup>، ويتركز الكم الأكبر من الإنتاج بمركز أسيوط الذي ينتج خمس عدد بيض المائدة في المحافظة؛ ويضم أكثر من خمس حجم السكان، فبالرغم من أنه المركز الأول في الإنتاج إلا أنه يأتي في المرتبة الأخيرة من حيث درجة التعادل النسبي؛ ويقبل المتوسط العام به عن مثيله بالمحافظة نظرا لكبر حجمه السكاني.

\* يأتي مركزا ديروط والبداري في المرتبة الثانية والثالثة على الترتيب من حيث إنتاج بيض الدجاج حيث يزيد إنتاج كل منهما على ١٠% من إجمالي إنتاج المحافظة، ويتراوح إنتاج باقي المراكز بين ١٠ و ٥% من إجمالي الإنتاج باستثناء مركزي صدفا والغنايم الذي يقل الإنتاج في كل منهما عن ٥% من إنتاج المحافظة.

\* يزيد متوسط نصيب الفرد من بيض المائدة على ٩٥.٦ بيضة/فرد سنويا في سبع مراكز يأتي في مقدمتها مركز البداري الذي يصل إلى ١٦١.١ بيضة/فرد سنويا، ويقبل عن هذا المتوسط في أربعة مراكز هي: القوصية وأسيوط وديروط ومنفلوط؛ بالرغم من أن هذه



البداري وساحل سليم والفتح، وتضم الفئة الثالثة المراكز التي لا يحصل سكانها على نصيبهم النسبي المتعادل من بيض المائدة؛ وتشمل: منفلوط وديروط وأسيوط.





- الألبان ومنتجات أخرى: -

يتصف اللبن كمادة خام لصناعات منتجات الألبان بأنها مادة خام سريعة التلف رجراحة فاقدة لكثير من وزنها عند التصنيع<sup>٦١</sup>، وقد بلغ إنتاج الألبان بمحافظة أسيوط حوالي ٢٥٧٧٠ طن عام ٢٠١٢<sup>٦٢</sup>، مما يعني أن متوسط نصيب الفرد من الألبان سنويا بلغ ٦٦ كيلوجرام. وتقوم عليه كمادة خام صناعات منتجات الألبان المنزلية في الريف التي تعد مصدرا مهما للسيولة النقدية للأسرة الريفية. كما تقوم عليه معامل إنتاج الألبان القرميد المنتشرة في مدن وقرى المحافظة

أما عسل النحل فيعد من الأطعمة الشهيرة في العالم لإمكانية تناوله دون إعداد. وإمكانية تخزينه لفترات طويلة<sup>٦٣</sup>، وقد بلغت أعداد خلايا المناحل بمحافظة أسيوط ١٨٢٠٦٢ خلية عام ٢٠١٢، أنتجت ١٤٣٦ طن من عسل النحل؛ ويتركز الكم الأكبر من إنتاج هذه الخلايا بريف المحافظة الذي بلغت نسبة إنتاجه ٨٨.٥% من إجمالي إنتاج المحافظة، وفي دراسة أعدتها إدارة الإحصاء بمركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بالمحافظة لتنمية هذا النشاط أوصت بالتوسع في استخدام الخلايا الإفرنجية لمقاومتها للإمراض وارتفاع متوسط إنتاج الخلية، وتشجيع الاستثمار في هذا المجال بتوفير قروض ميسرة؛ وخبرات فنية تتوزع على إدارات الإرشاد الزراعي أو الوحدات البيطرية<sup>٦٤</sup>.

خامسا: مشكلات تربية الحيوانات بمحافظة أسيوط

بعد هذا العرض التحليلي لبعض من الملامح الجغرافية للثروة الحيوانية بمحافظة أسيوط، أوضحت الدراسة أن هناك ارتباطا بين الأنصبة النسبية لكل مركز من مراكز المحافظة من الوحدات الحيوانية وعوامل الإنتاج: خاصة إنتاج الأعلاف الخضراء والسوق والخدمات البيطرية، ومن خلال الدراسة الميدانية أمكن التعرف على عدد من المشكلات التي تواجه عمليات تربية الحيوان بالمحافظة يمكن إيجازها في النقاط التالية:

١ - ارتفاع أسعار الأعلاف بمختلف أنواعها الخضراء والجافة والمصنعة. ونقص كميات المعروض منها بما لا يتناسب مع الطلب عليها، مما أدى إلى التوجه في بعض الأحيان إلى الخبز البلدي الحاف وإضافته إلى الأعلاف الجافة.

٢ - انتشار حوادث سرقة الماشية وعدم تأمين الأسواق ضد حوادث السرقة؛ مما يفسر ارتفاع نسبة بيع الماشية في المزارع والإحجام عن الذهاب إلى الأسواق، وكذلك تقع المسؤولية المباشرة لتأمين الحيوانات على المربين لا على سلطات الأمن؛ مما يفسر أيضا ارتفاع نسب إلحاق حظائر الماشية بالمسكن الريفي.

٣ - اتضح من خلال الدراسة الميدانية أن هناك مشكلات تتعلق بالبنية الأساسية التي يجب توفرها خاصة إمداد حظائر تربية الحيوان المنفصلة عن المسكن الريفي بالمياه والكهرباء، مما أدى إلى اتجاه المربين إلى الحصول على المياه الجوفية معتمدين على مواتير لسحب المياه تستخدم السولار، وإنارة الحظائر ليلا وما حولها بمصابيح تستخدم المنتجات البترولية.

٤ - قصور الخدمات البيطرية وصعوبة الانتقال إلى الوحدات البيطرية بالحيوان المريض الذي يكون في حاجة ماسة للرعاية البيطرية، وأن تعمل هذه الوحدات على طوال الأربع والعشرين ساعة؛ أي أن تكون بها خدمة ليلية، فصحة الحيوان كصحة الإنسان قد لا تحتمل التأجيل لساعات، ومما لاشك فيه أن هناك تقدما في الخدمات البيطرية؛ خاصة في ارتيادها لمجالات جديدة كالتلقيح الصناعي، إلا أنها مازالت دون المأمول منها لحاجتها لإمكانات واسعة الانتشار.

٥ - عدم توفر الأدوية والأمصال التي يحتاجها الحيوان بالوحدات البيطرية، وارتفاع أسعارها وتحمل المربين تكلفة علاج حيواناتهم، مما قد يمثل مشكلة خاصة للمربي الصغير الذي قد لا يحوز إلا على رأس أو رأسين فقط من الحيوانات الكبيرة، وعدم تعويضه التعويض المناسب في حالة إصابة الحيوان وموته؛ بل وقد لا يصرف له أي تعويض، لذلك يلجأ كثير من المربين إلى ذبح حيواناتهم المريضة خارج المجازر.

٦ - بالرغم من قلة الاعتماد على القروض من المؤسسات المصرفية في عمليات تنمية الثروة الحيوانية بالمحافظة؛ فإن المستفيدين منها تنصب مشكلاتهم على نظام السداد وعدم مراعاة أن الثروة الحيوانية ذات طبيعة خاصة، وأن هناك موسمية في أسعار بيع الماشية، وأهمية أن يتوافق نظام السداد مع مواسم ارتفاع أسعار البيع التي تتفق مع المناسبات الدينية ابتداء من شهر رمضان الكريم حتى عيد الأضحى<sup>(٦٥)</sup>.

## الخاتمة

تنتشر بمحافظة أسيوط نمط تربية الحيوان شبه المكثف لطبيعة المحافظة الزراعية التي تتصف بالحيازات الزراعية الصغيرة، وبالرغم من التنوع في المركب الحيواني في الثروة الحيوانية بالمحافظة إلا انه تجدر الإشارة إلى أن هناك ثلاثة عناصر رئيسة تشكل هذا المركب هي الجاموس والأبقار والدواجن، حيث تشمل هذه العناصر ٨٤.٧% من حجم الثروة الحيوانية بالمحافظة، ويمكن القول أن هناك محورين يجب أن تركز عليهما عمليات تنمية الثروة الحيوانية بمحافظة أسيوط تتمثل في:

- المحور الأول يركز على الرعاية البيطرية التي ترتاد مجالات مهمة لصحة الحيوان ورعايته وتحسين سلالاته، ويتم هذا من خلال وحدات بيطرية منتشرة في كافة مراكز المحافظة بنسب متفاوتة وتحقق نفوذاً إقليمياً كثيفاً، إلا أن هذه الوحدات البيطرية في حاجة إلى تفعيل دورها من خلال توفير إمكانية سرعة الانتقال إلى مكان الحيوان الذي يحتاج إلى الرعاية البيطرية أو توفير إمكانية لنقل الحيوان إلى الوحدة البيطرية، وقد يكون توفير سيارة مجهزة لنقل الحيوان آلية مناسبة لتحقيق هذا الغرض، وأن آلية العمل في الخدمات البيطرية بشكل عام تحتاج إلى مراجعة خاصة في توقيت العمل؛ وأهمية دوام العمل بهذه الخدمات طوال الأربع وعشرين ساعة، بالإضافة إلى تطوير وتحديث الخدمات البيطرية بما يكفل حماية الثروة الحيوانية من الأمراض المتوطنة والوافدة من خلال تزويد الوحدات البيطرية بالأجهزة الحديثة، وتطوير المجازر الحالية والتوسع في إنشاء مجازر حديثة متكاملة الخدمات. ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى دور الإرشاد البيطري الميداني في عمليات تربية الحيوان من حيث اختبار السلالات المناسبة؛ ونوعية الغذاء، والرعاية الصحية والوقاية من الأمراض تبعاً للمستهدف من عمليات تربية الحيوان.

- المحور الآخر تمثل في الأعلاف بأنواعها المختلفة من الأعلاف الخضراء والجافة والمصنعة الذي تركز عليه عمليات تنمية الثروة الحيوانية، حيث تعد الأعلاف المحدد الأساسي لكم الثروة الحيوانية بالمحافظة، نظراً لعدم توفر مراعي طبيعية واعتماد الحيوان في غذائه على ما يوفره الإنسان الراعي له من غذاء، فالارتباط واضح بين تربية الحيوان أو حجم الثروة الحيوانية وما توفره الزراعة من غذاء؛ سواء أكان أعلاف خضراء وأهمها البرسيم والذرة



بنوعها وقلوع القصب والمجموع الخضري للنباتات الدرنية مثل البطاطس "عروش البطاطس"، أو أعلاف جافة وأهمها تبين القمح، أما الأعلاف المصنعة فبالرغم من وجود وحدتين لإنتاج الأعلاف بمصنع زيوت ومنظفات بني قره بمركز القوصية؛ إحداها لإنتاج الأعلاف الحيوانية والثانية لإنتاج أعلاف الدواجن، بالإضافة لثلاثة مصانع صغيرة لإنتاج الأعلاف بالمحافظة، إلا أنه من الواضح إن هناك مشكلة عامة تتعلق بغذاء الحيوان؛ لأن المعروض منها على اختلاف أنواعه أقل من الطلب عليها، مما أدى إلى ارتفاع واضح في أسعارها؛ ينعكس على إمكانات نمو الثروة الحيوانية بالمحافظة.

## ملحق (١)

جامعة أسيوط

كلية الآداب استمارة استبيان للثروة الحيوانية بمحافظة أسيوط.

قسم الجغرافيا يانات هذه الاستمارة خاصة لأغراض البحث العلمي فقط.

١- الموقع: أسم القرية أو المدينة ( ) - مركز:

٢ - مساحة الحظيرة المخصصة لتربية الحيوانات: ( ) متر مربع.

٣ - هل الحظيرة ملحقة بالسكن الخاص بالأسرة؟ نعم ( ) - لا ( ) .

٤ - هل يتوفر مساحة مربوط بالخلاء؟ نعم ( ) - لا ( ) .

٥ - هل يتوفر بها حوض للسقاية؟ نعم ( ) - لا ( ) .

٦ - مصدر مياه الشرب للحيوانات: حنفية ( ) - مياه جوفية ( ) - مياه جارية ( ) .

٧ - حيوانات المزرعة:

النوع	الجاموس		الأبقار		الماعز	الأغنام	الجمال	الحمير	الغال	الخيول	الدواجن
	ذكور	إناث	ذكور	إناث							
العدد											

٨ - عدد العاملين بتربية الحيوان بالمزرعة: ( ) عامل.

٩ - هل توجد مشكلات في توفر العمالة اللازمة لتربية الحيوانات؟ نعم ( ) - لا ( ) .

١٠ - إن كان نعم أهم هذه المشكلات: توفر العمالة المدربة ( ) - ارتفاع الأجور ( )

- أخرى تذكر

١١ - هل تحصل على قروض بنكيه؟ نعم ( ) - لا ( ) .

١٢ - هل توجد مشكلة في سداد هذه القروض؟ نعم ( ) - لا ( ) .

١٣ - هل توجد لديك أرض زراعية تزرعها أعلاف خضراء لغذاء الحيوانات؟

نعم ( ) - لا ( ) .

١٤- إن كان نعم: مساحة هذه الأرض ( ) فدان. والقيمة الايجارية للفدان: ( ) جنية.

١٥- أنواع مزروعات الأعلاف الخضراء: شتاء: ..... وصيف: .....

١٦- مكونات خلطة الأعلاف الجافة المستخدمة في تغذية الحيوانات: .....

١٧- هل توجد وحدة بيطرية قريبة من محل إقامتك؟ نعم ( ) لا ( ) .

وهل تجد صعوبة في الوصول إليها بالحيوان المريض؟ نعم ( ) لا ( ) .

وهل يتوفر بها رعاية بيطرية جيدة؟ نعم ( ) لا ( ) .

١٨- هل تجد مشكلات في الحصول على الخدمة البيطرية؟ نعم ( ) لا ( ) .

١٩- عناصر الإنتاج الحيواني: دواجن ( ) - بيض ( ) - رؤوس حيوانية ( ) - ألبان ( ) -

أخرى تذكر. ....

٢٠- يتم استهلاك هذه المنتجات في: الأسرة ( ) - الأسرة والبيع المحلي ( ) -

البيع خارج القرية ( ) . ٢١- المشترون للماشية من: المحافظة ( ) - من خارج المحافظة ( )

- من المحافظة وخارجها ( ) :

٢٢- بيع الماشية يتم في: المزرعة ( ) - الأسواق ( ) - المزرعة والأسواق ( ) .

٢٣- إن كان في الأسواق: أقرب الأسواق التي يتم فيها بيع الماشية. ....

٢٤- هل يتغير السعر من فترة لأخرى خلال السنة؟ نعم ( ) لا ( ) .

وان كان يتغير أهم فترات الارتفاع:

٢٥- أهم المشكلات التي تواجه تربية الحيوانات:

وأهم المقترحات لتنمية الثروة الحيوانية من وجهة نظركم

شكرا لحسن تعاونكم



ملحق (٢)  
ملحق الجداول

جدول (١) نتائج الدراسة الميدانية

البيان	التكرارات	%	البيان	التكرارات	%
مساحات حظائر تربية الماشية			لا يقتصر من البنوك	٣٠٥	٨٤.٧
أقل من ٥٠ متر	١٧٣	٤٨.١	الإجمالي	٣٦٠	١٠٠
من ٥٠ إلى ١٠٠ متر	١٣٢	٣٦.٦	امتلاك الأرض الزراعية		
أكثر من ١٠٠ متر	٥٥	١٥.٣	يملك ارض زراعية	٣٠٦	٨٥
الإجمالي	٣٦٠	١٠٠	لا يملك والأرض مؤجرة	٥٤	١٥
نوعية المبنى من حيث إحاقه بالسكن			الإجمالي	٣٦٠	١٠٠
ملحق بالسكن	٢٣٦	٦٥.٥	مساحات الأرض الزراعية		
مبنى مستقل	١٢٤	٣٤.٥	أقل من "٥" فدان	٢٠٥	٥٨.٩
الإجمالي	٣٦٠	١٠٠	من "٥" إلى "١٠" فدان	١٠٣	٢٨.٦
توفر مرطب خارج الحظيرة			أكثر من "١٠" فدان	٥٢	١٤.٥
يوجد مرطب بالخلاء	٢١٨	٦٠.٥	الإجمالي	٣٦٠	١٠٠
لا يوجد مرطب بالخلاء	١٤٢	٣٩.٥	خدمات الوحدات البيطرية		
الإجمالي	٣٦٠	١٠٠	قربية من موقع الحيوان	٢٠٧	٥٧.٥
وجود حوض سقاية			غير قريبة من الموقع	١٥٣	٤٢.٥
يوجد حوض سقاية	٢١٢	٥٨.٩	الإجمالي	٣٦٠	١٠٠
لا يوجد حوض سقاية	١٤٨	٤١.١	إمكانية الوصول بالحيوان المريض		
الإجمالي	٣٦٠	١٠٠	يمكن بسهولة	٢٠٧	٥٧.٥
مصدر مياه الشرب			غير ممكن	١٥٣	٤٢.٥
حنفية من الشبكة العمومية	٢٠٦	٥٧.٢	الإجمالي	٣٦٠	١٠٠
مياه جوفية "موتور"	٩٩	٢٧.٥	جودة الرعاية البيطرية		
مياه جارية	٥٥	١٥.٣	رعاية بيطرية جيدة	١٤٢	٣٩.٤
الإجمالي	٣٦٠	١٠٠	رعاية بيطرية غير جيدة	٢١٨	٦٠.٦
العمالة			الإجمالي	٣٦٠	١٠٠
عمالة متفرغة	٦٧	١٨.٦	مكان بيع الماشية		
غير متفرغة	٢٩٣	٨١.٤	المزرعة	١٩٤	٥٣.٩
الإجمالي	٣٦٠	١٠٠	السوق	١١٢	٣١.١
القروض من البنوك			كلاهما	٥٤	١٥.٠
يقتصر من البنوك	٥٥	١٥.٣	الإجمالي	٣٦٠	١٠٠

جدول (٢)  
توزيع مساحات الأرض المنزرعة والمساحات المحصولية وأعداد الحائزين  
على مراكز محافظة أسيوط عام ٢٠١٢

المركز	المساحة بالفدان	المساحة المحصولية	عدد الحائزين	فدان/حيازة
ديروط	٤٣٠٩٢	٨٦١٨٤	٢٩١٨١	١.٤٧
القوصية	٤٣٧٠٢	٨٧٤٠٤	٣١٠٠٨	١.٤٣
منفلوط	٤٨٧٤٧	٩٧٤٩٤	٣٠٤٨٩	١.٦٩
أسيوط	٤٥٣٢٧	٩٠٦٥٤	٢١٦٩٤	٢.٠٩
أبوتيج	٢٨١٦٦	٥٦٣٣٢	١٨٧٨٥	١.٥٠
صدفا	١٧٣٩٥	٣٤٧٩٠	١٣٥٢٨	١.٢٨
الغنايم	٩٠٢٣	١٨٠٦٦	٦٨٢٨	١.٣٢
أبنوب	٣٧٦٣١	٧٥٢٦٢	١٣١٩١	٢.٨٥
الفتح	٣٢٢٣٦	٦٤٤٧٢	١٤٤٦٣	٢.٢٣
ساحل سليم	١٦٠٧٦	٣٢١٥٢	١٠٧١٣	١.٥٠
البداري	٢٦٧٣٢	٥٣٤٦٤	١٦٢٤٠	١.٦٤
الإجمالي	٣٤٨١٣٧	٦٩٦٢٧٤	٢١٤٣٢٠	١.٦٢

المصدر: محافظة أسيوط، مديرية الزراعة واستصلاح الأراضي، إدارة الإحصاء، بيانات غير منشورة

جدول (٣)  
حساب قرينة لورنز لتوزيع الثروة الحيوانية على مراكز محافظة أسيوط عام ٢٠١٢

المركز	عدد الوحدات	%	تكرار نسبي تراكمي (أ)	توزيع منتظم	توزيع منتظم تراكمي (ب)	توزيع تراكمي (مركز)	توزيع تراكمي (مركز (م))
أسيوط	٤٥٠٦٨.٣	٩.١	٩.١	٩.٠٩	٩.٠٩	١٠٠	١٠٠
ديروط	٧٠١٢١.٧	١٤.١	٢٣.٢	٩.٠٩	١٨.١٨	-	١٠٠
القوصية	٥٧٢٥٧.٩	١١.٥	٣٤.٧	٩.٠٩	٢٧.٢٧	-	١٠٠
منفلوط	٧١٩٢٤.٧	١٤.٥	٤٩.٢	٩.٠٩	٣٦.٣٦	-	١٠٠
أبوتيج	٤٠٠٤١.٣	٨.١	٥٧.٣	٩.٠٩	٤٥.٤٥	-	١٠٠
صدفا	٣٨٨١٧.١	٧.٨	٦٥.١	٩.٠٩	٥٤.٥٤	-	١٠٠
الغنايم	٢٩٧١١.٥	٦.٠	٧١.١	٩.٠٩	٦٣.٦٣	-	١٠٠
أبنوب	٣٧٥٠١.٨	٧.٦	٧٨.٧	٩.٠٩	٧٢.٧٢	-	١٠٠
الفتح	٣٤٥٤٣.٥	٧.٠	٨٥.٧	٩.٠٩	٨١.٨١	-	١٠٠
ساحل سليم	٢٥١١٠.٢	٥.١	٩٠.٨	٩.٠٩	٩٠.٩٠	-	١٠٠
البداري	٤٥٨٥٧.٥	٩.٢	١٠٠	٩.٠٩	٩٩.٩٩	-	١٠٠
الإجمالي	٤٩٥٩٥٥.٥	١٠٠	٦٦٤.٩	-	٥٥٤.٤٩	١٠٠	١١٠٠

قرينة لورنز  $I = (R-M) / (A-R) = ٠.٢$   
المصدر: بيانات الجدول (٢).

## جدول (٤)

توزيع مساحات الذرة بنوعيها والبرسيم على مراكز محافظة أسيوط عام ٢٠١٢.

المركز	البرسيم		الذرة الشامية		الذرة الرفيعة		إجمالي الذرة	
	%	فدان	%	فدان	%	فدان	%	فدان
ديروط	١١.٤	١٠٣٦٣	٢٤.٤	٢٢٣٥٣	٦.٠	٨٠٩٢	١٣.٤	٣٠٤٤٥
القوصية	٩.٢	٨٣٤٧	٧.٢	٦٦٣٩	١٧.٤	٢٣٤٦٥	١٣.٣	٣٠١٠٤
منفلوط	١٤.٩	١٣٤٩٩	١٠.٣	٩٤٥٠	١٧.٩	٢٤١٢٠	١٤.٨	٣٣٥٧٠
أسيوط	١٢.٨	١١٥٨٤	١٩.٩	١٨١٩٢	١٠.٠	١٣٤٦٣	١٣.٩	٣١٦٥٥
أبوتيج	٦.٢	٥٦٣٥	٣.٩	٣٦٠٥	٩.٩	١٣٣٤٧	٧.٤	١٦٩٥٢
صدفا	٥.٠	٤٥٤٤	٨.٢	٧٥٣٩	٣.٤	٤٦٢٨	٥.٤	١٢١٦٧
الغنايم	٣.٨	٣٤٧٦	٣.٠	٢٦٩١	٢.٨	٣٧٧٤	٢.٩	٦٤٦٥
أبنوب	١٤.٩	١٣٥١٤	٢.٩	٢٦٨٢	١٧.٨	٢٣٩٩٤	١١.٨	٢٦٦٧٦
الفتح	٩.٥	٨٥٧١	٩.٢	٨٤٢٣	٥.٨	٧٨١٧	٧.٢	١٦٢٤٠
ساحل سليم	٥.٤	٤٨٧١	٤.٨	٤٤١٤	٣.٩	٥٢٨٤	٤.٣	٩٦٩٨
البيداري	٦.٩	٦٣٠٤	٦.٢	٥٦٧٣	٥.١	٦٩٢٨	٥.٦	١٢٦٠١
الإجمالي	١٠٠	٩٠٧٠٨	١٠٠	٩١٦٦١	١٠٠	١٣٤٩١٢	١٠٠	٢٢٦٥٧٣

المصدر: محافظة أسيوط، مديرية الزراعة واستصلاح الأراضي، إدارة الإحصاء، بيانات غير منشورة.

## جدول (٥)

الميكنة الزراعية في مراكز محافظة أسيوط عام ٢٠١٢.

المركز	جرار	مقطورة	جرافة	ماكينة تريس	ماكينة ري	موتور رش	عزاقة
ديروط	٣١٣	٢٩١	٢٨٠	١٣٣	١٧٤٣	٥١٠	١٤٣
القوصية	٩٥٩	٩٣٣	٩٢٢	٥٣٢	٣٧٢٥	١٥٨	٢٢١
منفلوط	٩٣٢	٩١٤	٩١٢	٧٤١	٣٤٢٢	٤٢٠	٢٢٣
أسيوط	٩٠٧	٧٦٥	٦٢٠	٥٢٠	٢٠٣٠	١٧٧	١٠٩
أبوتيج	٥٧٥	٥٧٥	٥٢٥	٥٦٥	١٧٥٠	٧٤	٧٠
صدفا	٢١٥	٢١١	١٦٢	١٧٢	٥١٣	٨٥	٣٢
الغنايم	٢٤٦	٢٢٧	١٧١	١٩٣	٧٢٤	٨٧	٣٥
أبنوب	٥٠٦	٤١٢	٤٨٦	٤١٩	٢٦٤٢	١٨٦	٣٩
الفتح	٢٩٠	٢٠١	٢٦٧	١٧٠	١٥٦٣	١٣٤	٤٢
ساحل سليم	١٥١	١٣١	٥٦	١٤٣	١٩٤٢	٨٦	٦٩
البيداري	١٨٢	١٨٠	١٧٢	١٨٢	٤١٥٠	١٥٧	١٦٢
الإجمالي	٥٢٧٦	٤٨٤٠	٤٥٧٣	٣٧٧	٢٤١٧٤	٢٠٧٤	١١٤٥

المصدر: محافظة أسيوط، مديرية الزراعة واستصلاح الأراضي، إدارة الإحصاء، بيانات غير منشورة.



جدول (٦)

إنتاج اللحوم الحمراء والبيضاء بمراكز محافظة أسيوط عام ٢٠١٢.

المركز	لحوم حمراء		معدل الفرد	لحوم بيضاء		إجمالي اللحوم		المركز
	%	طن		%	طن	%	طن	
أسيوط	٢٣.١	٥٤٧٥.٠	٦.١٤	٩.٩	١٢٦٤.٥	١٨.٥	٦٧٣٩.٥	٧.٥٦
%		٨١.٢			١٨.٨		١٠٠	
ديروط	٢٠.٤	٤٨٤٧.٠	٩.٤٨	٢٠.٥	٢٦٢٣.٥	٢٠.٥	٧٤٧٠.٥	١٥.٦١
%		٦٤.٩			٣٥.١		١٠٠	
القوصية	١٢.٥	٢٩٨١.٠	٧.٣٦	٣٤.٢	٤٣٧١	٢٠.١	٧٣٥٢.٠	١٨.١٥
%		٤٠.٥			٥٩.٥		١٠٠	
منفلوط	١١.٢	٢٦٤٩.٥	٥.٧٣	١٢.٧	١٦١٥.٥	١١.٧	٤٢٦٥.٠	٩.٧١
%		٦٢.١			٣٧.٩		١٠٠	
أبوتيج	٣.٨	٩٠٢.٥	٢.٩٢	٠.٧	٩٤.٥	٢.٧	٩٩٧.٠	٣.٢٣
%		٩٠.٥			٩.٥		١٠٠	
صدفا	٣.٨	٩١٠.٠	٥.١١	٠.٤	٥٥.٥	٢.٦	٩٦٥.٥	٥.٤٢
%		٩٤.٢			٥.٨		١٠٠	
الغنايم	١.٤	٣٣٠.٠	٢.٨٢	١.٣	١٥٩.٠	١.٣	٤٨٩.٠	٤.١٨
%		٦٧.٥			٣٢.٥		١٠٠	
أبنوب	١٤.٧	٣٤٩١.٥	١٠.٠	٣.٣	٤٢٠.٥	١٠.٧	٣٩١٢.٠	١١.٢٧
%		٨٩.٢	٦		١٠.٨		١٠٠	
الفتح	٢.٤	٥٦٩.٠	٢.١١	٢.٣	٢٩٦.٥	٢.٤	٨٦٥.٥	٢.٨٤
%		٦٥.٧			٣٤.٣		١٠٠	
ساحل سليم	٣.٦	٨٤٩.٠	٥.٦٢	٧.٠	٨٨٧.٥	٤.٨	١٧٣٦.٥	١١.٤٩
%		٤٨.٩			٥١.١		١٠٠	
البداري	٣.١	٧٣٤.٠	٣.٠٧	٧.٧	٩٨٥.٥	٤.٧	١٧١٩.٥	٧.١٩
%		٤٢.٧			٥٧.٣		١٠٠	
الإجمالي	١٠٠	٢٣٧٣٨.٥	٦.١٢	١٠٠	١٢٧٧٣.٥	١٠٠	٣٦٥١٢	٩.٤١
%		٦٥.٠			٣٥.٠		١٠٠	

المصدر: محافظة أسيوط، مديرية الطب البيطري، بيانات غير منشورة، النسب والمعامل من حساب الباحث.

## هوامش البحث

(١) -برنامج الأمم المتحدة للبيئة - ترجمة عبد السلام رضوان. حاجات الإنسان الأساسية في الوطن العربي والجوانب البيئية والتكنولوجيات والسياسات. عالم المعرفة. العدد ١٥٠. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠. ص. ٦٠

(2) -Jamssen, J., Egyptian Hovsenold Animals, Britain, 1989, P.28.

(٣) -محمد محمود محمددين. أصول الجغرافيا الزراعية ومجالاتها. مكتبة الخريجي. الرياض. ١٩٨٦. ص. ٢١٦

(4) -Harlham, P., The Animal World Of The Pharaohs, Cairo, 1991, P. 12.

(5) -James, O., Wheeler @ Petero O. Muller, Economic Geography, Jon Wilay @ Son, New York, 1986, P. 377.

(٦) -حسبت الوحدة الحيوانية على أساس

- الجمل يكافئ ١,٥ وحدة حيوانية - الأبقار والجاموس والخيول والبغال يكافئ ١,٠ وحدة حيوانية - الحمار يكافئ ٠,٣ وحدة حيوانية - الخنازير يكافئ ٠,٢ وحدة حيوانية - الأغنام والماعز يكافئ ٠,١ وحدة حيوانية - الإوز والدجاج الرومي يكافئ ٠,٠٤ وحدة حيوانية - الدجاج والبط والطيور الأخرى يكافئ ٠,٠٢ وحدة حيوانية  
محمد حلمي جعفر، توصيف الحياة الزراعية كعنصر في إطار النمط العام للزراعة المصرية. المجلة الجغرافية العربية، العدد الثالث عشر، القاهرة، ١٩٩١. ص. ٥٩.

(٧) -خالد إبراهيم بدر، تصنيع قصب السكر في محافظة المنيا دراسة في جغرافية الصناعة. مجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط. العدد الرابع والعشرون. أسيوط. ٢٠٠٧. ص ٢٧٩

(٨) -محمد علي عمر الفراء. مناهج البحث في الجغرافيا بالوسائل الكمية. وكالة المطبوعات. الكويت. ١٩٧٥. ص. ١٦٩-١٧٤.

(٩) -برنامج الأمم المتحدة للبيئة - ترجمة عبد السلام رضوان. مرجع سابق. ص. ١٢

(١٠) -جميل حبيب متري. الجاموس حيوان اللبن الأول في مصر. معهد بحوث الإنتاج الحيواني. نشرة رقم ٦٧٨، القاهرة. ٢٠٠١. ص ١

(١١) -محمد علي عمر الفراء. مرجع سابق. ص ص ١٤٦-١٤٩

(١٢) -وفيق محمد جمال الدين إبراهيم. ملامح مس جغرافية الإنتاج الحيواني في سلطنة عمان. المجلة الجغرافية العربية. العدد الثامن والثلاثون. القاهرة. ٢٠٠١. ص. ٣٠٤.

(١٣) -مقابلات شخصية للباحث مع عدد من مربي الماشية أثناء إجراء الدراسة الميدانية في يناير ٢٠١٣.

(١٤) -طلعت حافظ إسماعيل. تدنيه عليه دجاج اللحم ومردودها الاقتصادي. مجلة أسيوط للعلوم الزراعية، المجلد ٣٣. العدد ٤. أسيوط. ٢٠٠٢. ص ١٨٥

(١٥) -محافظة أسيوط. مديرية الطب البيطري. إدارة الإحصاء. بيان غير منشور

(١٦) - هاني محمد يسري، إنتاج ورعاية الأغنام، مركز البحوث الزراعية، نشرة رقم ٨٠٦، القاهرة، ٢٠٠٢، ص.٣.

(١٧) - المتولي السعيد أحمد أحمد، الرعي والثروة الحيوانية في أوغندا دراسة في التفاعل البيئي المؤتمر الثاني للتنمية والبيئة في إفريقيا، معهد الدراسات والبحوث الأفريقية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص.١٩٥.

(١٨) - محمد محمود إبراهيم الديب، الجغرافيا الاقتصادية، مرجع سابق، ص. ٤٥٦.

(١٩) - محافظة أسيوط، مديرية الطب البيطري، إدارة الإحصاء، بيان غير منشور.

(٢٠) - محافظة أسيوط، مديرية الطب البيطري، إدارة الإحصاء، بيان غير منشور.

(٢١) - محمد الفتحي بكير محمد، الجغرافيا الاقتصادية أسس وتطبيقات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١١، ص.٢٢٩.

(٢٢) - السيد محمد أبو زيد وأحمد أبو الفضل علي، دراسة تحليلية مقارنة لأهم أصناف محصول الذرة الشامية الصيفية في مصر، مجلة أسيوط للعلوم الزراعية، المجلد ٣٥، العدد ١، أسيوط، ٢٠٠٤، ص.٨٧.

(٢٣) - مقابلات شخصية للباحث مع عدد من مربي الماشية أثناء إجراء الدراسة الميدانية في يناير ٢٠١٣.

(٢٤) - سعد هجرس، الزراعة المصرية الماضي - الحاضر - المستقبل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ١٩٩٦، ص.٢٢٤.

(٢٥) - مقابلات شخصية للباحث مع عدد من مربي الماشية أثناء إجراء الدراسة الميدانية في يناير ٢٠١٣.

(٢٦) - محمد محمود إبراهيم الديب، الصناعات الغذائية في مصر تحليل في الانتظام المكاني والتركيب والأداء، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٩، ص.٧٧٧.

(٢٧) - خالد إبراهيم بدر، التحليل المكاني للصناعات الضخمة في محافظة أسيوط دراسة في جغرافية الصناعة، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد ٩٦، الإسكندرية، ٢٠١٢، ص.٣٥٩.

(٢٨) - محافظة أسيوط، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، بيانات غير منشورة.

(٢٩) - محمد محمود إبراهيم الديب، مرجع سابق، ص. ٧٨١.

(٣٠) - محافظة أسيوط، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، بيانات غير منشورة.

(٣١) - فتحي محمد أبو عيانة، جغرافية العمران دراسة تحليلية للقريه والمدينة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨، ص.٤٠.

(٣٢) - محمد السيد عبد السلام، الأمن الغذائي للوطن العربي، عالم المعرفة، العدد ٢٣٠، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨، ص.٢٣٠.

(٣٣) - سعد هجرس، مرجع سابق، ص. ٥٧١ - ٥٧٣.

(٣٤) - محافظة أسيوط، مديرية الطب البيطري، إدارة الرعاية والعلاج، بيان غير منشور.

(٣٥) - محافظة أسيوط، مديرية الطب البيطري، إدارة الإحصاء، بيان غير منشور.

(٣٦) - محافظة أسيوط، مديرية الطب البيطري، إدارة الإحصاء، بيان غير منشور.



(٣٧) - وفيق محمد جمال الدين إبراهيم، ملامح من جغرافية الإنتاج الحيواني في سلطنة عمان، المجلة الجغرافية العربية، العدد الثامن والثلاثون، القاهرة، ٢٠٠١، ص. ٣٥٣.

(٣٨) - محمد الفتحي بكير محمد، بعض مظاهر جغرافية الثروة الحيوانية في المملكة العربية السعودية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩١، ص. ٣٢.

(٣٩) - جميل حبيب مري، مرجع سابق، ص. ٥.

(٤٠) - تم حساب هذا المعدل على أساس عدد الوحدات الحيوانية.

(٤١) - فتحي إبراهيم محمد شليبي، سوق بنها الأسبوعي للماشية دراسة في الجغرافيا الاقتصادية، المجلة الجغرافية العربية، العدد السابع والأربعون، الجزء الأول، القاهرة، ٢٠٠٦، ص. ٢٩٥.

(٤٢) - سعد هجرس، مرجع سابق، ص. ٤٣٠.

(43)-Weber, M. Symaski, R., Periodic Market An Economic Location Analysis, economic Geog., Vol. 49, No. 3, July 1973, P.P. 225-226.

(٤٤) - محمد محمود إبراهيم الديب، الجغرافيا الاقتصادية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٦، ص. ٤٦٨.

(٤٥) - سعد هجرس، مرجع سابق، ص. ٤٧٥ - ٤٧٨.

(٤٦) - محمد الفتحي بكير محمد، مرجع سابق، ص. ١٦٧.

(٤٧) - محافظة أسيوط، مديرية الطب البيطري، إدارة الإحصاء، بيان غير منشور.

(٤٨) - من نتائج الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث في يناير ٢٠١٣.

(٤٩) - محافظة أسيوط، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، بيانات غير منشورة.

(٥٠) - محافظة أسيوط، مديرية الطب البيطري، إدارة الإحصاء، بيان غير منشور.

(٥١) - محافظة أسيوط، مديرية الطب البيطري، إدارة الإحصاء، بيان غير منشور.

(٥٢) - خالد إبراهيم بدرة، التحليل المكاني للصناعات الضخمة في محافظة أسيوط دراسة في جغرافية الصناعة، مرجع سابق، ص. ٣٥٣.

(٥٣) - محافظة أسيوط، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، بيانات غير منشورة.

(٥٤) - محافظة أسيوط، مديرية الطب البيطري، إدارة الإحصاء، بيان غير منشور.

(٥٥) - محافظة أسيوط، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، بيانات غير منشورة.

(٥٦) - وفيق محمد جمال الدين، مرجع سابق، ص. ٣١٩.

(٥٧) - محمد السيد عبد السلام، مرجع سابق، ص. ٥٨-٥٩.

(٥٨) - محافظة أسيوط، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، بيانات غير منشورة.

(٥٩) - محمد السيد عبد السلام، مرجع سابق، ص. ٥٩.

(٦٠) - محمد الفتحي بكير محمد، الجغرافيا التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١٢، ص.

.١٩٨

(٦١) - محمد أحمد مرعي، إنتاج الألبان وتصنيعها في محافظة كفر الشيخ دراسة في الجغرافيا الاقتصادية،

المجلة الجغرافية العربية، العدد الأربعون، الجزء الثاني، القاهرة، ٢٠٠٢، ص.ص. ٢٢٨-٢٢٩.

(٦٢) - محافظة أسيوط، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، بيانات غير منشورة.

(63) - Lucille Recht Penner, The Honey Book, Hstings House Publishers, New York, 1980, P.3.

(٦٤) - محافظة أسيوط، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، إدارة الإحصاء، تقرير مطبوع وغير منشور،

أسيوط، ٢٠٠٥، ص.٣٠.

(٦٥) - من نتائج الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث في يناير ٢٠١٣.

بعض التغيرات المورفولوجية المعاصرة  
للساحل الشمالي لسيناء شرق  
بحيرة البردويل

دكتور/ عادل عبدالمنعم أحمد السعدني

أستاذ الجيومورفولوجيا المساعد

بكلية الآداب - جامعة قناة السويس





## مقدمة

تتمتع شبه جزيرة سيناء بموقع جغرافي متميز، فهي محاطة بمسطحات مائية من ثلاث جهات: الأولى في الشمال على امتداد ساحل البحر المتوسط بطول ٢٢١ كم، والثانية في الجنوب الشرقي على امتداد الساحل الغربي لخليج العقبة بطول ١٨٠ كم، والثالثة على امتداد الساحل الشرقي لخليج السويس بطول ٢٧٥ كم، هذا الموقع جعلها محل أنظار واهتمام الجميع مع التركيز على بعض الأخطار الطبيعية التي تتعرض لها وكيفية التغلب عليها، وترويضها لخدمة الإنسان، من هنا أتت فكرة البحث في التركيز على التغيرات المورفولوجية المعاصرة للجزء الممتد إلى الشرق من بحيرة البردويل حتى الحدود المصرية الفلسطينية، إلى الجنوب من البحر المتوسط حتى خط كنتور ٤٠ م فوق مستوى سطح البحر، حيث لوحظ في الفترات الحديثة تعرض هذه المنطقة إلى العديد من التغيرات المورفولوجية، التي أثرت بشكل مباشر على شكل ساحل البحر، الأمر الذي أدى إلى تغير معالمه، فنحت الشواطئ وتآكلها يلتهم مساحات كبيرة من سواحل منطقة الدراسة، وقد استرعى هذا العمل البحري كثيرا من المهتمين بحماية الشواطئ، ولكن للأسف دور البحر في النحت والتآكل كان أسرع من المهتمين بهذه القضية بسبب عمله ليل نهار، مما أدى إلى عدم صمود وسائل الحماية طويلاً، علاوة على أن الإنسان لم يستخدم الوسائل الحديثة في حماية الشواطئ، مما أدى إلى تشويه سواحل، تعد من أجمل السواحل الموجودة في مصر والعالم.

يقصد بالتغيرات المورفولوجية المعاصرة للساحل الشمالي لسيناء شرق بحيرة البردويل، تلك التغيرات التي توضحها الخرائط الطبوغرافية والمرئيات الفضائية، ثم التغيرات التي حدثت بسبب المنشآت التي أقيمت على امتداد الساحل، وذلك من خلال الدراسة الميدانية.

وتهدف الدراسة إلى التعرف على أهم الخصائص الجيومورفولوجية الحديثة للساحل الشمالي شرق بحيرة البردويل، حتى الحدود المصرية مع فلسطين شرقاً، خلال الفترة من ١٩٩٠م حتى ٢٠٠٥م، والظواهر المرتبطة بها مع توضيح العوامل والعمليات المورفولوجية المؤثرة فيها، إلى جانب دور الإنسان في تغيير وتشكيل الساحل.

تتطلب مشكلة نحت وتآكل الساحل تضافر عديد من الجهود العلمية والعملية، بهدف تجديد شباب هذه الشواطئ والحفاظ عليها، لتصبح ثروة اقتصادية تجذب عديدا من رؤوس الأموال ، مع الحفاظ على أشجار النخيل المنتشرة على طول الساحل والتي تتعرض إلى الاندثار عاما بعد الآخر، ولتحقيق هذه الأهداف مرت الدراسة بمرحلتين: الأولى تم من خلالها الرجوع إلى الدراسات السابقة التي تناولت التغيرات المورفولوجية الميدانية ، أما المرحلة الثانية فقد تم من خلالها إجراء الدراسة الميدانية على ساحل منطقة الدراسة شرق بحيرة البردويل حتى مدينة رفح المصرية لمدة عام ( من نوفمبر ٢٠٠٩ حتى أكتوبر ٢٠١٠م) وقد تم زيارة المنطقة أربع مرات خلال الفصول الأربعة حتى يمكن ملاحظة التغيرات المورفولوجية على الساحل بواسطة الأمواج والتيارات البحرية. ويهدف هذا البحث الميداني إلى تحقيق الأهداف التالية:

### أولاً: الخصائص الجيولوجية لمنطقة الدراسة.

تؤثر خصائص رواسب السطح بمنطقة الدراسة على مدى نشاط عمليات النحت والتآكل بالنسبة لخط الشاطئ وتراجعها، حيث يتميز ساحل منطقة الدراسة بأنه ساحل رملي، يتدرج في الارتفاع من الشمال إلى الجنوب، ويتألف معظمه من رواسب هشة، تنتمي لعصرى البليستوسين والهولوسين، إلى جانب رواسب من الحصى والرمال والكنجلوميرايت المختلط بالأصداف البحرية والأملاح، كما ترتفع نسبة الطين كلما اتجهنا غرباً (Ibrahim, Z. Elshamy, 1995, P.173 شكل (١)).





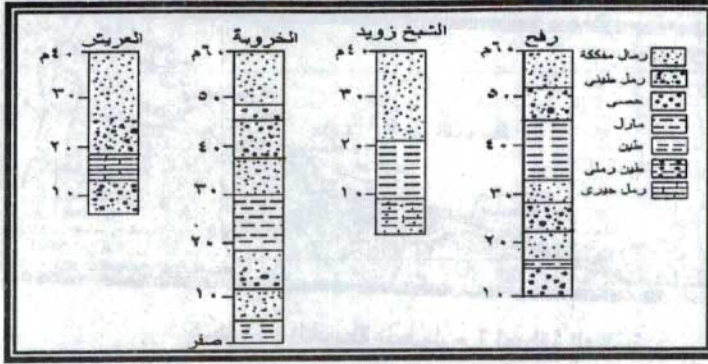
شكل (١) الخريطة الجيولوجية لمنطقة الدراسة

المصدر: الخريطة الجيولوجية لسيناء لوحة رقم ١ مقياس ١ : ٢٥٠٠٠٠

عام ١٩٨٧م

إلى جانب انتشار رواسب السبخات في أجزاء متفرقة كما في محطة الميدان والمزار وسلاف شرق بحيرة البردويل وفي منطقة الشيخ زويد ورفح بالقرب من ساحل البحر المتوسط، ويتناقص انتشارها كلما اتجهنا من الغرب إلى الشرق، وهي عبارة عن فرشات رقيقة من الرمال والطين والطين والتمبخرات المختلط بالمياه والأملاح، وتمتاز قشرتها السطحية بأنها صلبة بسبب جفاف وتبخر المياه من الطبقة السطحية، وعندما تتعرض إلى سقوط الأمطار أو امتداد مياه البحر فإنها تتحول إلى تربة لزجة، يصعب السير فوقها.

تنتشر في المنطقة كذلك رواسب الأودية والفرشات الرملية، الأولى فوق سطح دلتا وادى العريش، وهي عبارة عن رواسب من الطمي والطين والغرين واللوم والرمل المشبع بالأملاح، والتي جلبها وادى العريش من منابعه خلال فترات السيول، التي يتعرض لها على فترات متقاطعة ويتراوح سمك طبقاتها بين ٥ م و ٣٥ م (Ahmed M. Morsy, 1995, P144) (شكل - ٢)، أما الفرشات الرملية والتي تغطي ما يقرب من ٩٦% من مساحة المنطقة في الجزئين الشرقي والأوسط من منطقة الدراسة علاوة على بعض الأجزاء الغربية فهي عبارة عن تجمعات رملية مفككة من الرمال البيضاء، التي تختلط برواسب الحجر الجيري وحبيبات الكوارتز وبقايا الأصداف البحرية والتي تظهر في صورة فرشات ونباك وتجمعات رملية هشة سهلة التآكل أمام الأمواج والتيارات البحرية، مما يزيد من الأخطار الجيومورفولوجية التي تهدد ساحل منطقة الدراسة.



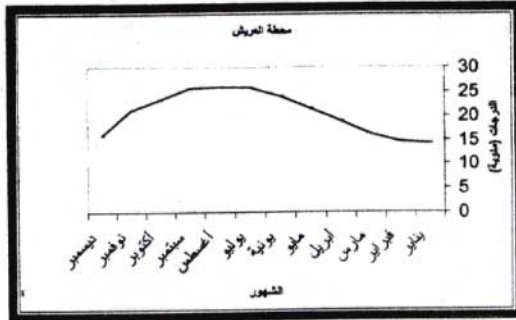
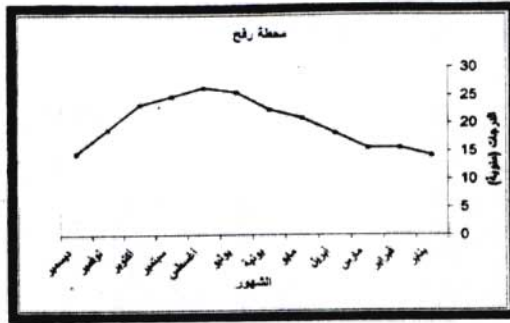
شكل (٢) مقاطع جيولوجية رأسية لمنطقة الدراسة.

المصدر: (Ahmed M, Omar A., and Mohamed I. Ismail ,1995,p145)

### ثانياً: الخصائص المناخية.

ترتبط بعناصر المناخ بعض العمليات الجيومورفولوجية، فهناك علاقة طردية بين درجات الحرارة ومعدلات التبخر، وهذا بدوره يؤدي إلى عدم تماسك الرواسب والمفتتات الصخرية، كما تمتاز منطقة الدراسة بتفاوت درجات الحرارة ما بين الصيف والشتاء والليل والنهار وهو المعروف بالمدى الحرارى كما فى جدول (١) و(شكل ٣)، وهذا كله يساعد على نشاط عمليات التجوية بمنطقة الدراسة.

تؤثر درجات الحرارة كذلك على معدل تسرب المياه من خلال مسام التربة، حيث يرتفع معدل التسرب خلال فصل الصيف وأواخر الربيع نظراً لجفاف التربة عنه خلال فصل الشتاء وأوائل الخريف نتيجة انخفاض درجات الحرارة، التى تؤدى إلى لزوجة الماء المتسرب خلال مسام التربة، خاصة وأن عملية سريان المياه خلال مسام وفراغات التربة يكون سريعاً خطياً (محمد صبرى، محمود دياب، ١٩٨٩، ص ٢٠١).



شكل (٣) درجات الحرارة بمنطقة الدراسة

جدول (١) المعدلات المناخية بمحطتي منطقة الدراسة ما بين (١٩٨٤ - ٢٠٠٦ م)

الشهر	العريش			رفح			
	الحرارة (م)	المطر (مم)	سرعة الرياح (عقدة)	الرطوبة (%)	الحرارة (م)	المطر مم	سرعة الرياح (عقدة)
يناير	١٤.٢	٢٠.٣	٤.٩	٧١	١٤.١	٣١.٣	٥.٢
فبراير	١٤.٥	١٨.٥	٥.٨	٧١	١٥.٥	٢٧.٢	٧.٩
مارس	١٦.١	١٢.٩	٥.٩	٦٧	١٥.٥	١٤.٢	٨
أبريل	١٨.٨	٧.١-	٤.٩	٦٧	١٨.٢	٠.١	٧
مايو	٢١.٥	٤.١-	٤.٨	٦٩	٢٠.٩	٤.٥	٨
يونيو	٢٣.٩	صفر	٤.٥	٦٧	٢٢.٤	صفر	٧
يوليو	٢٥.٨	صفر	٤.٤	٧٥	٢٥.٦	صفر	٧

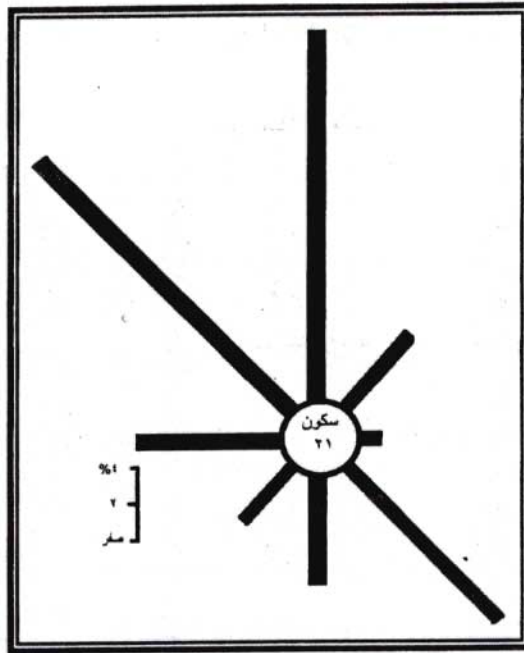


الشهر	العريش				زفح			
	الحرارة (م°)	المطر (مم)	سرعة الرياح (عقدة)	الرطوبة (%)	الحرارة (م°)	المطر مم	سرعة الرياح (عقدة)	الرطوبة (%)
أغسطس	٢٥.٩	٠.٣	٤.٣	٧٥	٢٦.٤	صفر	٧.٢	٧٥
سبتمبر	٢٥.٧	٠.٤	٤.٢	٧٢	٢٤.٨	صفر	٧.١	٧٤
أكتوبر	٢٣.٣	٦.٣	٣.٨	٧٣	٢٣.٢	٢.	٥.١	٧٤
نوفمبر	٢١.١	١٦.٨	٤.٣	٧٢	١٨.٧	٩٤.٥	٣.٢	٧٥
ديسمبر	١٥.٩	٢٤.٤	٤.٨	٦٦	١٤.٥	٩٠	٣.٤	٧٠
المتوسط	٢٠.٤	١١.١	٤.٧	٧٠.٤	٢٠.٠	٣٣	٦.٣	٧٢.١

المصدر: الهيئة العامة للأرصاد الجوية بالقاهرة.

تتباين اتجاهات وسرعة الرياح على ساحل منطقة الدراسة من فصل لآخر جدول (٢)، حيث تسود الرياح الشمالية بنسبة (٢١.٥%) والشمالية الغربية (٢٠.٥%) وهي قادمة من فوق البحر المتوسط، أي أنها تصطدم بمياه البحر قبل الوصول إلى شاطئ منطقة الدراسة، مما يؤدي إلى تحريك الموجة إلى الأمام تجاه خط الشاطئ، فتتأثر بتضاريس القاع حيث تتناقص أطوالها وسرعتها بشكل واضح وعندما تنكسر الأمواج عند اقترابها من الشاطئ فإن ذلك يسبب تحريك الرمال تجاهه عندما تكون الأمواج طويلة وكبيرة. وتصبح في هذه الحالة أمواجاً بنائية، حيث تؤدي قوة الرياح والأمواج إلى نشاط عملية النحت والتدمير وتآكل الشواطئ، نتيجة خلق تيار متجه نحو الشرق من مدينة العريش، حيث تتميز المياه بالضحالة وقصر الأمواج.

يلاحظ من (الشكل ٤) والجدول (٢) أن الرياح السائدة هي رياح شمالية وشمالية غربية، وتغير إلى جنوبية أو غربية من المعتدلة إلى الخفيفة. وقد تصل سرعتها إلى ٥٠.٨ عقدة (كم / ساعة)، وترجع سيادة الرياح الغربية إلى مرور المنخفضات الجوية فوق البحر المتوسط من الغرب إلى الشرق.



شكل (٤) اتجاهات الرياح بمنطقة الدراسة

جدول (٢) النسب المئوية لتكرار هبوب الرياح حسب الاتجاهات المختلفة (١٩٨٤ -

٢٠٠٦ م).

الفصل	سكون	الاتجاهات								المحطة
		شمال غرب	غرب	جنوب غرب	جنوب	جنوب شرق	شرق	شمال شرق	شمال	
الشتاء	٢٥.٣	١٠.٣	١٠.٢	٢١.٢	١٠.٦	٥.٧	١.٤	٥.٣	١٠	العريش
الربيع	٢١.١	٢١.٤	٦.٢	٨.٠-	٤.٣	٤.٥	١.٥	٩.٠-	٢٤	
الصيف	٢٧.٥	٢٣.٠-	٧.٠-	٩.٠-	٢.٥	١.٥	٠.٥	٣.٠-	٢٦	
الخريف	٢٢.٧	٢٤.٠	٤.٢	٩.٥	٥.٠	٤.٠	٠.٥	٥.٠-	٢٥	
	٢٤.٣٣	١٩.٧	٦.٩	١١.٨	٥.٦	٣.٩	٠.٩٧-	٥.٦	٢١.٢	المتوسط
الشتاء	١٦.١	١١.٩	١١.٦	٢٤.٥	١٢.٣	٥.٣	٢.٢	٥.١	١١.٠	رفح
الربيع	١٤.٩	٢٣.٣	٨.١	٨.٩	٤.٧	٥.٦	١.٩	٩.٨	٢٤.١	

الاتجاهات المحطة	شمال	شمال شرق	شرق	جنوب شرق	جنوب	جنوب غرب	غرب	شمال غرب	سكون	الفصل
	٢٥.٥	٣.٣	١.٠-	١.٧	٢.٩	٩.٦	١٠.١	٢٣.٢	٢٢.٠	الصيف
	٢٦.٨	٥.٢	١.١	٥.٢	٦.١	٩.٧	٦.٠	٢٤.٣	١٥.٦	الخريف
المتوسط	٢١.٨٥	٥.٨٥	١.٥	٤.٤	٦.٥	١٣.١	٨.٩	٢١.٤٥	١٧.٥	

المصدر: الهيئة العامة للأرصاد الجوية بالقاهرة.

وتمتاز الرياح الغربية بزيادة سرعتها، كما أنها رطبة ومشبعة ببخار الماء، مما يؤدي إلى استقرار الرمال وقلة حركتها.

تسود الرياح الجنوبية الغربية خلال فصل الشتاء ٢١.٢% في محطة العريش و ٢٤.٥% في محطة رفح، تليها الرياح الجنوبية ١٠.٦% في محطة العريش و ١٢.٣% في محطة رفح، وفي فصل الربيع تسود الرياح الشمالية ٢٤% في محطة العريش و ٢٤.١% في محطة رفح، تليها الرياح الشمالية الغربية ٢١.١% في محطة العريش و ٢٢.٣% في محطة رفح، كما تسود خلال هذا الفصل الرياح الخماسينية وهي رياح شديدة، تسبب عواصف ترابية، تؤثر بشكل واضح في تشكيل سطح الأرض.

تسود خلال فصل الصيف الرياح الشمالية ٢٦% والشمالية الغربية ٢٣% في محطة العريش ٢٥.٥% وفي محطة رفح ٢٣.٢%، وفي فصل الخريف تسود الرياح الشمالية والشمالية الغربية في محطة العريش ٢٥% و ٢٤% وفي محطة رفح تسود الرياح الشمالية ٢٦.٨% والشمالية الغربية ٢٤.٣% من تكرار هبوب الرياح حسب الاتجاهات على منطقة الدراسة.

تؤدي الرياح التي تتعرض لها منطقة الدراسة إلى تعرض سطح البحر لأمواج مصاحبة للأنواء والعواصف البحرية، التي يعقبها عمليات نحت وتآكل للشاطئ في بعض المواضع وزيادة عمليات الإرساب في مواضع أخرى.



تعرض منطقة الدراسة إلى أمطار المنخفضات الجوية الإعصارية التي تتباين تبايناً واضحاً من منخفض لآخر ( طارق زكريا، ١٩٩٣ : ص ٢٣٣ ) وإن كانت أمطار المنطقة أمطار شتوية وربيعية وخريفية، كما أن كمية الأمطار تتباين من سنة إلى أخرى ومن فصل إلى آخر، وتمتاز في بعض الأحيان بالفجائية، مما يسبب سيول في بعض الأحيان.

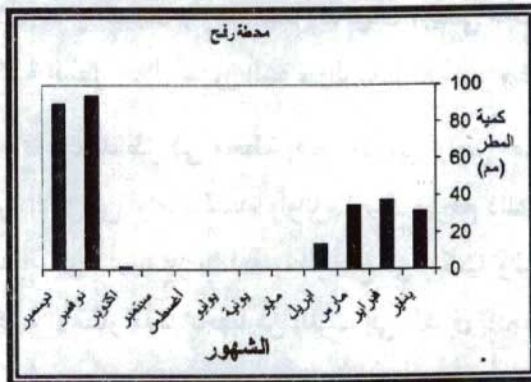
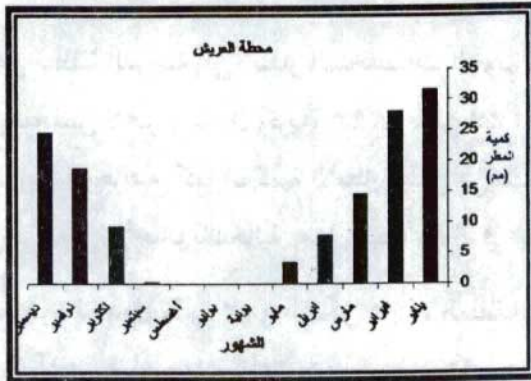
يتضح من الجدول رقم (٣) و(الشكل ٥) أن المنطقة يغلب عليها الجفاف بصفة عامة حيث أن أشهر يونيو ويوليو وأغسطس وسبتمبر تكاد تخلو من المطر، أى يسودها الجفاف خلال فصل الصيف وأوائل فصل الخريف (إيملى محمد حلمى، ٢٠٠٣، ص ٤٩) بينما تزداد كمية المطر خلال شهور الشتاء والربيع (ديسمبر ويناير وفبراير ومارس).

يوجد قمتان للمطر في محطة رفح: الأولى أواخر فصل الخريف وأوائل الشتاء، والأخرى وهى الأقل فى أواخر الشتاء وأوائل الربيع، ويرجع ذلك إلى طبيعة المطر الإعصاري في منطقة الدراسة والذي يمتاز بالتذبذب الواضح فى الكمية والسنة والمكان، وإن كان بصفة عامة تزداد كمية الأمطار كلما اتجهنا من الغرب إلى الشرق باتجاه محطة رفح.

جدول (٣) معدل كميات الأمطار الشهرية بمحطتى منطقة الدراسة (١٩٨٤ - ٢٠٠٦).

المحطة	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المجموع
الغرد	٣١٠	٢٨٠	١٤٠	٨٠	٣٠	صفر	صفر	٠.١	٠.٢	٩.٤	١٨٠	٢٤٠	١٣٩
رفح	٣١٠.٣	٢٧٠.٢	٣٤٠.٦	١٤٠.٢	٠.١	صفر	صفر	صفر	صفر	٢٠.٢	٩٤.٥	٩٠.١	٣٠٤٠

المصدر: الهيئة العامة للأرصاد الجوية بالقاهرة.



شكل (٥) معدل كميات الأمطار الشهرية بمحطتي منطقة الدراسة.

خلاصة القول: إن للأمطار تأثيراً مباشراً وغير مباشر على الشريط الساحلي لمنطقة الدراسة، وذلك لأنها تعمل على انزلاق حبيبات رمال الشاطئ باتجاه البحر حسب الانحدار العام، مما يجعلها فريسة سهلة لنحت وتآكل الأمواج وجرف هذه الرمال، وبالتالي يصبح الشاطئ مستوي، مما يؤدي إلى تغلغ المياه باتجاه الشاطئ.

كما تؤدي الأمطار إلى إذابة الأملاح، التي تتخلل رواسب الحجر الجيري وخاصة من خلال الفواصل والشقوق والمسام، مما يؤدي إلى انفصال الكتل الصخرية وانجرافها بواسطة الأمواج ومياه الأمطار الغزيرة.

## ثالثاً: العمليات الجيومورفولوجية.

تلعب العمليات الجيومورفولوجية دوراً واضحاً في تشكيل ساحل منطقة الدراسة، وقد زاد هذا الدور في السنوات الأخيرة بعد إنشاء ميناء العريش، والنقص الحاد الذي حدث في كمية الرواسب النيلية بعد بناء السد العالي والتي كانت تحدث نوعاً من التوازن مع عمليات النحت البحري من خلال الأمواج والتيارات البحرية (محمد صبرى محسوب، ١٩٩٤م، ص ١٣، ١٤) وفيما يلي دراسة عن دور العمليات الجيومورفولوجية في تشكيل الساحل.

## ١. عمليات بحرية.

## أ. الأمواج Waves.

تُعد الأمواج من العوامل المهمة المؤثرة في الشواطئ، فعندما تزداد سرعة الأمواج وقوتها فإنها تؤدي إلى إزالة الرواسب السائبة، بينما يحدث الترسيب عندما تهدأ الأمواج (فتحي أبوراضى، ١٩٩٠، ص ٣٤)، ويرجع تفاوت سرعة الأمواج إلى الرياح التي تتعرض لها المنطقة، فهي تُعد المولد الرئيسي للأمواج، لذلك فإن الأمواج العاتية تزداد بشكل واضح خلال فصل الشتاء، بينما يسود الهدوء خلال باقي فصول السنة (فتحي أبوراضى، ١٩٩٤، ص ٥٨١).

يتراوح ارتفاع الأمواج أمام سواحل منطقة الدراسة بين ٥ م و ٨ م، ويزداد ارتفاعها كلما تعمقنا في المسطح المائي، كما يلاحظ أن الأمواج وصلت إلى أقصى ارتفاع لها خلال فترات السيول، التي تعرضت لها شبه جزيرة سيناء خلال شهر يناير عام ٢٠١٠م، حيث بلغ ارتفاع الموجة حوالي ٩م، وتبلغ طاقتها نحو ١٥.٠٠٠ كجم/ متر مربع، والاتجاه السائد بالنسبة للأمواج هو الشمالية والشمالية الغربية، وتتكرر عندما تصطدم بالساحل ويزداد تكسرها خلال فصل الشتاء، مما يجعل تأثيرها المدمر أكثر وضوحاً، وتظهر عملية الهدم بشكل واضح في مناطق الجروف والحواجز، كما هو الحال شرق ميناء العريش وشرق محطة الكهرباء، مما أدى إلى تساقط عديد من أشجار النخيل (Abdel-kader, 2005, p34)، يلعب اتجاه خط الشاطئ دوراً بارزاً في مدى تأثير الأمواج وفعاليتها، فعندما تكون الأمواج



متعامدة على خط الشاطئ يشتد النحت بشكل واضح (Abou - Raddy, 1989). وإن كان شكل الساحل وكثرة الرؤوس يساعد على تركيز طاقة الأمواج، بينما تتشتت طاقتها في الأجزاء المقعرة من الساحل وتصبح ضعيفة. ويزداد تأثير الأمواج كلما اتجهنا إلى الشرق فيما بين العريش والسكاسكة حيث تتعامد على خط الشاطئ علاوة على كثرة الرؤوس الحجرية في تلك المنطقة بعد إنشاء الميناء، بينما يقل تأثيرها شرق بئر العميد بسبب كثرة الكثبان الرملية وإلى الغرب من أبو سجال حتى الحدود الغربية للمنطقة حيث يمتاز الشريط الساحلي بالتقعر.

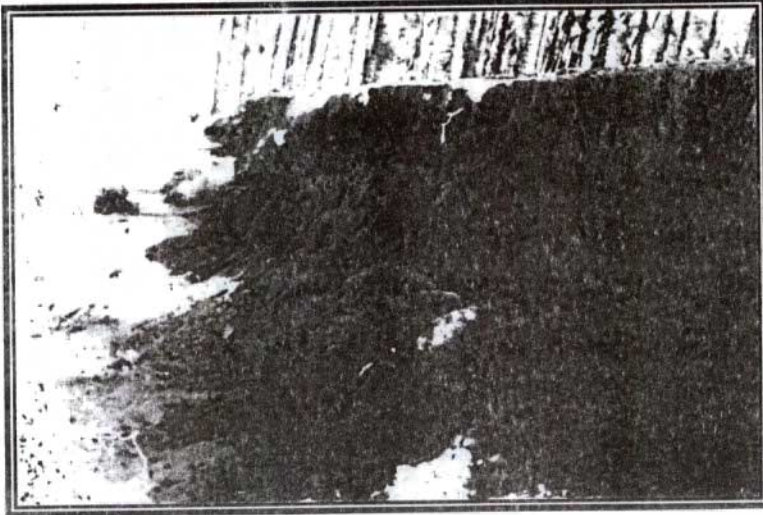
#### ب. التيارات الشاطئية.

تعرض سواحل منطقة الدراسة إلى تيارين بحريين: الأول على عمق ١٠٠ م من الشرق إلى الغرب، والآخر سطحي على عمق ٥٠ م من الغرب إلى الشرق، تبلغ سرعته حوالي ٥٠ سم/ثانية، ويُعد الثاني التيار الرئيسي، ويتأثر بالرياح السائدة، وهو ما يعرف بتيار البحر المتوسط، وتلعب هذه التيارات البحرية دوراً بارزاً في نقل الرواسب من الغرب إلى الشرق، وتزداد سرعة التيار شرق مدينة العريش خاصة بعد عمل الحاجز البحري والرؤوس الحجرية لحماية الميناء في الجانب الشرقي (Nafaa, and EL Ganainy, 1991, P669) ويقوم هذا التيار بنقل كميات من الرواسب تقدر بنحو ٣٥٠٠٠٠٠٠ / سنوياً، وهي عبارة عن رواسب نواتج النحت البحري.

#### ج. تيارات المد والجزر.

تعرض منطقة الدراسة إلى تيارات المد والجزر مثلها مثل باقي المناطق الساحلية حيث تتعرض إلى مدين وجزرين كل يوم قمرى (النصف يومى) (يوسف فايد، محمد صبرى محسوب، ٢٠٠١، ص ١٢٠) ويعتبر المد النصف يومى أكثر أنواع المد تأثيراً على سواحل منطقة الدراسة (Frihy, 1997, p 143)، وهى تعمل على نقل الرواسب من البحر إلى الساحل أو من الساحل إلى البحر، ويتميز الفارق المدى بالضيق بشكل عام (محمد صبرى محسوب، ١٩٩٤، ص ٨٥) والذي يبلغ حوالى ٤٠ سم، وفي حال الجزر ينكشف الساحل الرملى المنخفض، ويصبح عرضة للرياح، وعندما يحدث المد يدفع البحر بالرواسب نحو

الساحل في بعض المناطق خاصة المنخفضة والمستوية السطح، بينما في بعض المناطق عند أقدام الجروف ترتفع المياه، فتقوم بعملية نحت أقدامها، فتتهال خاصة وأنها من رواسب رملية مفككة وهشة سهلة الانهيار صورة ( ١ ).



صورة (١) انهيار الرواسب نتيجة قنوات المد عند أقدام الجروف

٢. عمليات جيومورفولوجية قارية.

أ التجوية.

تُعد التجوية من أهم الأخطار الجيومورفولوجية المؤثرة في منطقة الدراسة وخاصة التجوية الملحية سواء أكانت طبيعية أو بشرية، فهي تحدث نتيجة نمو البلورات الملحية التي تملأ الشقوق والفواصل أو عن طريق تفكك وتحلل التكوينات السطحية وتحولها من الحالة المتماسكة إلى المفتتة والمحللة صورة (٢).

تشرف منطقة الدراسة مباشرة على ساحل البحر المتوسط، وكان لهذا الموقع المميز أثره الواضح في نشاط ونمو البلورات الملحية، خاصة وأن المنطقة تتعرض إلى تفاوت ومدى حرارى كبير، فالمدى الحرارى يعد من أهم الخصائص المناخية تأثيراً فى النمو البلورى (Cook.,et al: 1982) ( Goudi ,1993) كما تُعد التجوية الملحية من أهم الأخطار التي

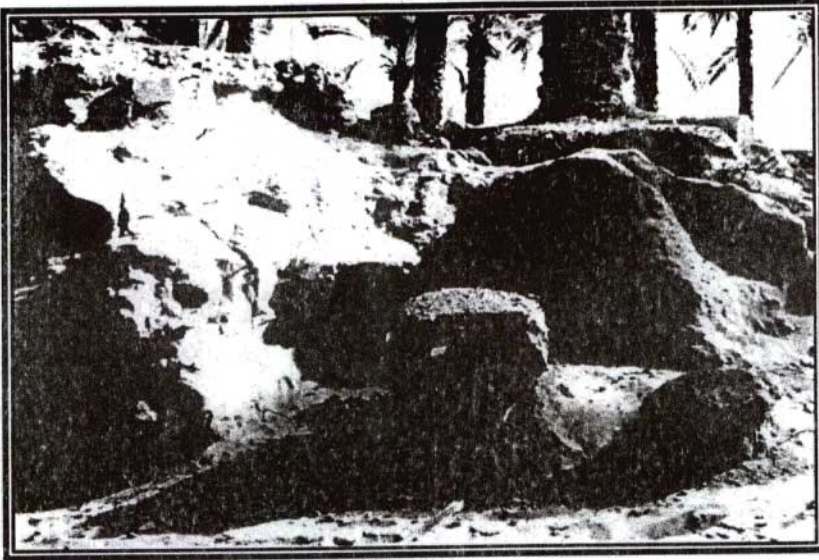


تمارس دورها في تفكك الصخور، حيث تتراكم الأملاح فوق أسطح الصخور والسيخات والشواطئ والسواحل، ثم تقوم الرياح الشمالية والشمالية الغربية السائدة في المنطقة بحمل هذه الأملاح وإرسابها فوق النباك والفرشات والكثبان الرملية والصخور العارية والمباني والمنشآت المنتشرة على طول الساحل مما يؤدي إلى نشاط دور التجوية الملحية من خلال المسام والشقوق والفواصل.

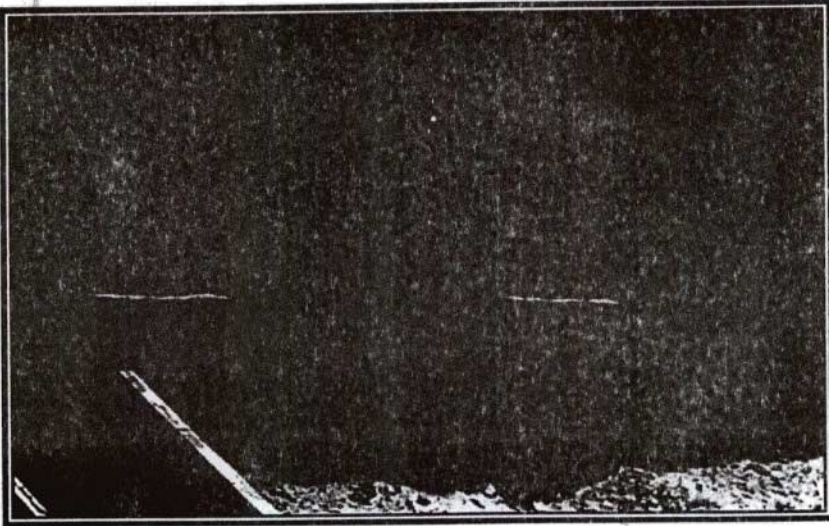
يتبين من خلال الدراسة الميدانية أن الكتل الخرسانية والألسنة الصناعية التي تستخدم لصد الأمواج من أكثر الأشياء التي تتأثر بالتجوية الملحية، أما المباني والمنشآت فإنها تتأثر عن طريق تراكم ذرات ملحية وغبار ملحي على واجهاتها أو تسربها من خلال المسام والفراغات الموجودة بها، فيؤدي ذلك إلى تراكم الأملاح على أسطح الجدران وداخل الفجوات والمسافات البينية، والتي تعمل على انفصال الغطاءات الأسمتية للواجهات وزيادة اتساع الشقوق وتساقط المحارة وتآكل أجزاء من الطوب وتآكل الأسياخ الحديدية، وبالتالي تعرض المباني والمنشآت إلى الانهيار والتدمير صورة (٣).

كما تؤثر التجوية وخاصة الملحية على الطرق، ويتمثل ذلك بواسطة الخاصية الشعرية أو عن طريق قيام الرياح خلال شهور الشتاء بحمل رزاز المياه المشبعة بالأملاح من البحر وسقوطها على الطريق، فيؤدي ذلك إلى تشققات بالطبقة الإسفلتية وتكسرها كما هو الحال في طريق العريش رفح.





صورة (٢) دور التجوية في تفكك الصخر وتحلله شرق مدينة الريسة



صورة (٣) توضح نشاط عمليات التجوية شرق ميناء العريش

ب الرياح.

تلعب الرياح في منطقة الدراسة دورين: الأول تشكيل الأشكال الرملية وحركتها ودفع الحبيبات الرملية الدقيقة، التي تتطاير في الفضاء، فتصطدم بالمباني والمنشآت و تُعد الرياح

الشمالية والشمالية الغربية أهم أنواع الرياح السائدة تأثيراً، فهي تقوم بحمل الحبيبات الرملية التي تلقيها الأمواج على الشاطئ، ثم تعيد تشكيلها ولكنها تترك الشاطئ عرضة لنشاط الأمواج والتيارات البحرية، كما أنها تحرك الأشكال الرملية باتجاه الطريق الساحلي، مما يؤدي إلى غلقه أو تغطية بعض المزارع.

أما الدور الثاني: فيتمثل في اصطدام الرياح بالمباني والمنشآت الممتدة على طول الشريط الساحلي، كما هو الحال في منطقة الريسة والسكاسكة والشيخ زويد ورفع، وتمتاز هذه الرياح بأنها مشبعة ببخار الماء وثنائي أكسيد الكربون، الذي يساعد على نشاط عملية التمثيل ونمو البلورات الملحية والنشاط التجوية الملحية.

### ج المياه تحت الأرضية.

تمثل المياه تحت الأرضية عاملاً من العوامل المهمة في تشكيل سطح الأرض وإذابة بعض أنواع الصخور وخاصة رواسب الحجر الجيري علاوة على تكوين غطاءات ملحية نتيجة ارتفاعها بواسطة الخاصية الشعرية، حيث تشير الدراسات الهيدرولوجية إلى أن معدل التغذية السنوية للخزان الجوفي في منطقة الدراسة، يبلغ حوالي ٣٠.٧ مليون م<sup>٣</sup> / سنة حوالي ١٠% من معدل التساقط السنوي، (السيد عباس زغلول، ١٩٩٥، ص ١٩٠)، ولقد أدى ارتفاع منسوب المياه الأرضية خلال الفترات الأخيرة إلى حدوث أخطار بيئية، ظهرت من خلال غمر الشوارع والطرق، مما تسبب في تصدع المباني والمنشآت والمرافق العامة، ويتضح من خلال الدراسة الميدانية أن معدلات تركيز المياه تحت الأرضية تزداد بشكل واضح كلما اتجهنا من الشرق إلى الغرب، كما أنها تزداد داخل الأحياء والمناطق السكنية على امتداد الشريط الساحلي لمنطقة الدراسة، حيث تظهر في صورة برك ومستنقعات من المياه الراكدة، لاسيما في مدينة العريش القديمة، وهذا بدوره تسبب في اختلاط مياه الصرف الصحي بمياه الشرب، مما أدى إلى أضرار كبيرة بالصحة العامة وخطوط الكهرباء والتليفونات وتدمير التربة السطحية وتشقق الطرق العامة وهبوطها وتصدعات بالمنشآت والمباني وإنتاج التربة ونشاط عمليات التجوية الكيميائية (Sami., 1995, p.113).



## د. العامل البشرى.

يتعرض كوكب الأرض إلى ارتفاع واضح فى درجات الحرارة، مما ينتج عنه ذوبان جليد القطبين الشمالى والجنوبى، وبالتالي ارتفاع مستويات مياه البحار والمحيطات حيث ارتفعت مستويات مياه البحر المتوسط بمعدل يتراوح بين ٦ سم و٧ سم سنوياً، وبالتالي إغراق مساحات كبيرة من سواحل مصر الشمالية (زكى محمد زغلول، ٢٠٠٦، ص ١٤).

كما أن الإنسان تدخل بشكل مباشر عن طريق بناء ميناء العريش ومحطة كهرباء وإقامة حاجز بحرى وعديد من الكتل الخرسانية داخل مياه البحر، التى ساعدت على زيادة عمليات النحت شرق الميناء ومحطة الكهرباء وزيادة معدلات الترسيب غرباً، ( السيد ثابت، ٢٠١٠، ص ٨٨).

## رابعاً: جيومورفولوجية الساحل.

ينتشر على امتداد ساحل البحر المتوسط من شرق بحيرة البردويل حتى مدينة رفح العديد من الأشكال الجيومورفولوجية، ومن خلال الدراسة الميدانية والموزايك الجوية مقياس ١-٥٠٠٠٠ والخرائط الطبوغرافية ١-٥٠٠٠٠ والخرائط الجيولوجية ١-٢٥٠٠٠٠ عام ١٩٩٣ م والمرئيات الفضائية لأعوام ١٩٩٠ م و ٢٠٠٠ م و ٢٠٠٥ م، أمكن تتبع الأشكال الجيومورفولوجية التالية:

١. أشكال ناتجة عن النحت البحرى.

أ. الجروف البحرية Marin Cliffs.

تتكون الجروف نتيجة اختلاف التعاقب الطباقى لرواسب الصخور، حيث تقوم الأمواج والتيارات البحرية بنحت الطبقات السفلى الأقل صلابة وتماسكاً، وتبقى الطبقات الصلبة معلقة، ثم ما تلبث أن تنهار وتتساقط، وهو ما ينتج عنه تكوين الجروف البحرية (سمير سامى، ١٧٧، ٢٠٠٠).

تم قياس عدد ١١ قطاعاً موزعة على امتداد منطقة الدراسة من الغرب إلى الشرق معظمها شرق دلتا وادى العريش جدول (٤) (شكل ٦).

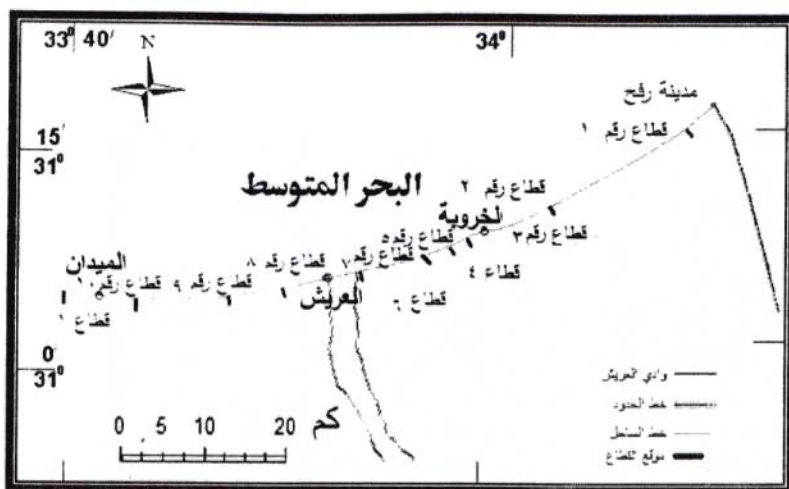


يتضح من الجدول ( ٤ ) أن أطوال قطاعات الجروف تتفاوت من منطقة إلى أخرى حسب مدى تماسك الرواسب السطحية ونشاط عمليات النحت والتآكل المختلفة، كما أن متوسط درجات الانحدار ويتراوح بين ٤٦.٢ درجة و ٦١.٢ درجة بمتوسط عام حوالى ٥٢.٩ درجة صورة (٤ و ٥) (شكل -٧).

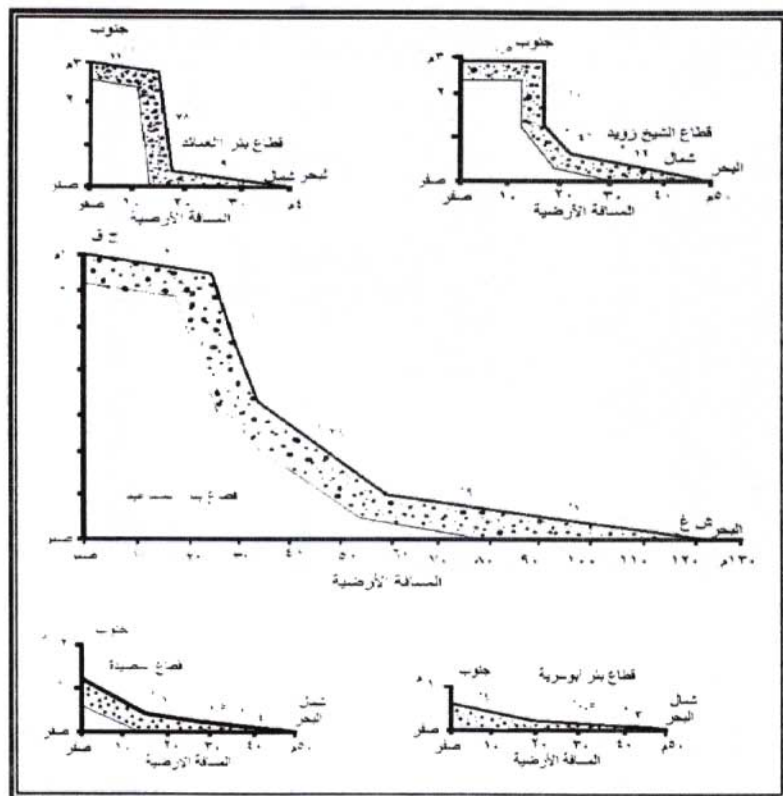
جدول (٤) أبعاد الجروف البحرية ومتوسط انحدارها في منطقة الدراسة

مواقع قطاعات الجروف	عدد القطاعات	أطوال القطاعات (متر)	متوسط ارتفاعها (متر)	متوسط درجة الانحدار
بئر المساعيد	٣	٣١	٩.٥	٤٦.٢
بئر أبو غازى	١	٧	٥.١	٥٢
بئر الخروبة	٢	١١	٥.٥	٥٣
بئر العمائد	١	٦	٤.٢	٥٢.١
بئر أبو سرية	١	٥.٦	٣.٣	٤٩.٧
المصيدة	١	٤.٨	٣.١	٥٤.١
الشيخ زويد	١	٣.٥	٢.٨	٦١.٢
بئر الأحيمر	١	٧.٣	٣.١	٥٥.٦
المجموع	١١	٧٦.٢	٤.٥٧	٥٢.٩

المصدر: الدراسة الميدانية.



شكل (٦) مواقع قطاعات الجروف البحرية بمنطقة الدراسة



المصدر: قياس ميداني



شكل (٧) بعض قطاعات الجروف البحرية بمنطقة الدراسة رواسيها من

الرمل والحصى والرواسب البحرية



صورة (٤) جرف بحري في منطقة الريسة

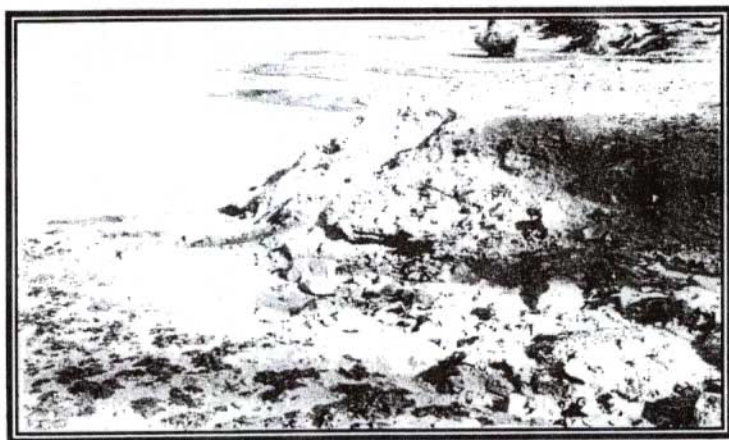


صورة (٥) جرف بحري في منطقة السكاسكة

يتراوح متوسط ارتفاعها بين ٢.٨ م و ٩.٥ م بمتوسط عام ٤.٥٧ م، أى أن السمة العامة لجروف منطقة الدراسة أنها قليلة الارتفاع، حيث أن معظم تكويناتها من الرواسب الرملية عند أقدم الكشبان الرملية، وبعضها من رواسب الحجر الجيري و الرواسب البحرية،



وهي رواسب غير متماسكة في معظمها ضعيفة المقاومة لعمليات النحت، مما يؤثر بشكل واضح في تشكيل الجروف وتراجعها إلى الخلف مع أبسط العمليات البحرية، كما تُعد عناصر المناخ المختلفة كالرطوبة والأمطار من عوامل التشكيل، التي تتآزر مع العمليات البحرية في تشكيلها، فالأمطار عندما تتساقط على أسطح الجروف تقوم بنحتها وتشكيل قنوات مائية تنحدر باتجاه البحر صورة (٦)، كما أنها تساعد على نشاط عمليات التجوية بالمشاركة مع عناصر المناخ الأخرى كالحرارة والرطوبة، وهذه العملية تحدث في جميع الأشكال الجيومورفولوجية المنتشرة على طول الشاطئ.



صورة (٦) قنوات مائية بفعل الأمطار باتجاه البحر

#### ب - الأرصفة الشاطئية Shore Platforms

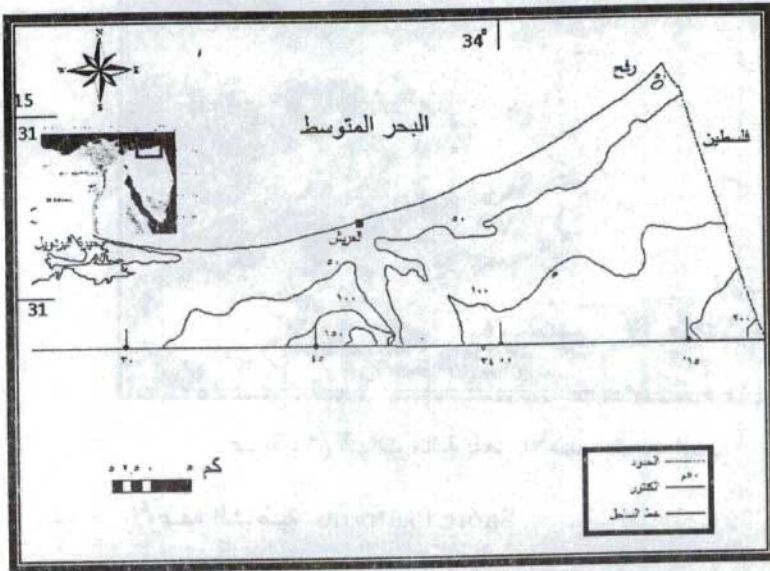
ترتبط الأرصفة الشاطئية بالجروف البحرية في معظم الأحيان نتيجة نشاط عمليات الإذابة والنحت للرواسب الساحلية، (Bird, 1987, P.61). ويتراوح اتساعها في منطقتي الدراسة بين (٥٠ م و ١٥٠ م)، وتنتشر الأرصفة الشاطئية في مناطق متفرقة بمنطقة الدراسة كما في مناطق المساعيد وأبو غازي والخروبه والعمائد وأبوسريه والشيخ زويد والأحمير والريسة. وأهم ما يميزها أنها هيئة الانحدار حيث يتراوح بين (٠.٥° و ٦° درجات)، كما أن

معظم رواسب من الحجر الجيري والرمل المغطي بالرواسب الرملية والجلاميد بالقرب من دلتا العريش.

٢. أشكال ناتجة عن الترسيب البحري.

أ. الشاطئ Shore

يمتد شاطئ منطقة الدراسة من شرق بحيرة البردويل حتى غرب مدينة رفح بطول يبلغ حوالي ٧٩ كم، ويأخذ اتجاهها عاماً جنوب غرب - شمال شرق، ويتميز بانبساطه وتدرج سطحه إلا في بعض المواضع، حيث توجد رؤوس بحرية صغيرة (شكل - ٨) ، ويمكن تقسيم الشاطئ إلى ثلاثة قطاعات :



شكل (٨) الخريطة الكنتورية لمنطقة الدراسة

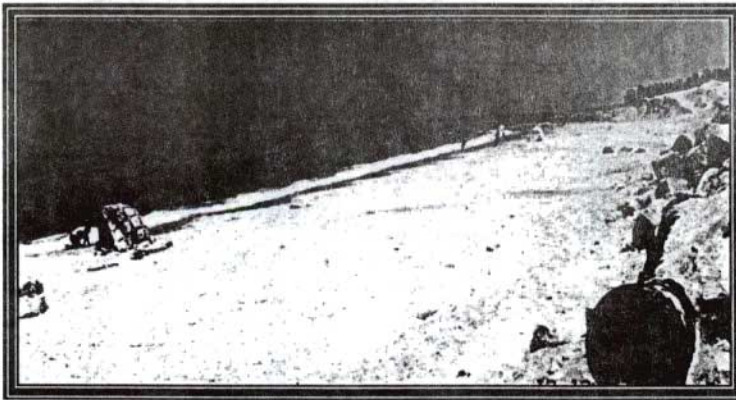
١. قطاع يمتد شرق بحيرة البردويل حتى غرب دلتا وادي العريش.

يمتد هذا القطاع بطول ٢٧,٩ في خط مستقيم و ٢٨,١ كم ( طول خط الساحل المتعرج)، وبذلك يبلغ مؤشر التعرج حوالي ١,٠١، وهو بذلك يمتاز بالاستقامة، كما أنه يضاف سنوياً كميات من الرواسب لهذا القطاع، تساعد على زيادة استقامة الشاطئ عاماً بعد

آخر مع وجود بعض الألسنة الرسوبية وانتشار قنوات المد والجزر والبرك والسبخات، والتي يزداد انتشارها بشكل واضح كلما اتجهنا من الشرق إلى الغرب، بينما تكثر الكثبان والنباك الرملية في الجانب الشرقي منه، ويمتاز سطح هذا القطاع بأنه مغطى بالرواسب الملحية المختلطة بالرمل والطين، وهو متمسك، قليل الانحدار حيث يبلغ اتساعه حوالي ١٣٠٠ م.

## ٢. قطاع دلتا وادي العريش.

يبلغ طوله المستقيم حوالي ٢.٧٥ كم والمتعرج ٢.٨١ كم، وبذلك يبلغ مؤشر التعرج حوالي ١.٠٢. ويأخذ الشكل المستقيم، يمتد داخل مياه البحر المتوسط بسبب الرواسب التي ألقاها وادي العريش عند مصبه خلال فترات تكوينه المختلفة وآخرها ما جلبه من كميات كبيرة من الرواسب والطين والغرين والحصى والجلاميد والنباتات والمخلفات خلال سيل يناير ٢٠١٠ م، مما أدى إلى امتداد الشاطئ واليابس داخل مياه البحر بما يقرب حوالي ٣٥ م، لذلك نجد أن القطاع يأخذ اتجاه جنوب غرب - شمال شرق لمسافة ٧٩٢ م، ثم غربي - شرقي لمسافة ٥٧١ م، ثم شمالي غربي - جنوبي شرقي ١٣٨٧ م، أهم ما يميز هذا القطاع انعدام البرك والمستنقعات والسبخات، كما أن متوسط انحداره يبلغ حوالي ٩ درجات، لأن سطحه الخارجي حديث التكوين لا يتعدى عاماً واحداً صورة (٧).

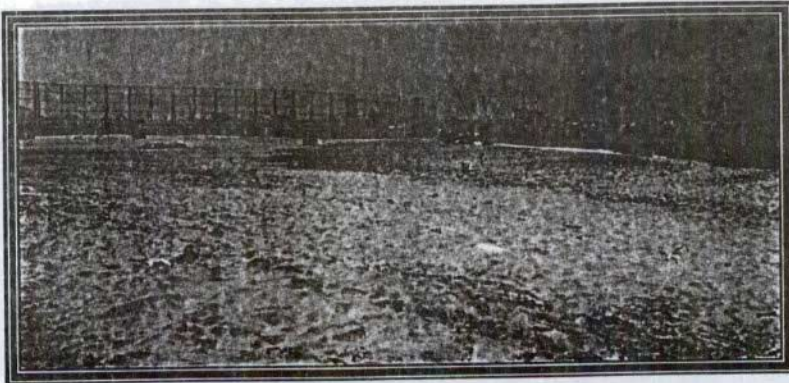


صورة (٧) الشاطئ شرق دلتا وادي العريش

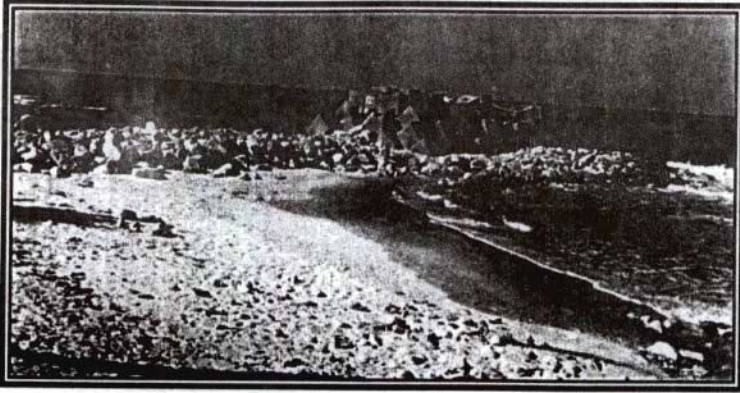


## ٣. قطاع الخروبة الشيخ زويد.

يبلغ طوله المستقيم حوالي ٤٨.٣ كم والمتعرج ٥٠.٤ كم، وبذلك يبلغ مؤشر التعرج حوالي ١.٠٤، وهو يقع شرق دلتا وادي العريش حتى الحدود المصرية الفلسطينية، ويمتاز هذا القطاع بالتعرج الواضح بسبب كثرة الألسنة والحواجز والاستخدامات البشرية، التي أقيمت مع إنشاء ميناء العريش صورة (٨) مما أدى إلى إحداث خلل مورفولوجي للشاطئ من زيادة عمليات النحت والتآكل في بعض المواضع وترسيب في مواضع أخرى. ويأخذ هذا القطاع اتجاهها عاماً جنوب غرب/ شمال شرق، ويمتاز بانتشار الأشكال الرملية، كما يتسع الشاطئ في الغرب صورة (٩)، ويضيق كلما اتجهنا إلى الشرق بسبب انتشار الكثبان الرملية القديمة المتماسكة أسفل الكثبان الحديثة، والتي تظهر في بعض المواضع، وكأنها جروف إلا أن متوسط اتساع الساحل ٩٨٠ م.



صورة (٨) ميناء العريش ودورة في عملية الإطماء



صورة (٩) حاجز صخري شرق ميناء العريش

## ب. السبخات.

تمثل السبخات بمنطقة الدراسة شكلاً جيومورفولوجياً متميزاً، كما أنها تمثل خطراً طبيعياً على الاستخدامات البشرية على امتداد الجانب الغربي من منطقة الدراسة، وينعدم وجودها على الجانب الشرقي إلا في بعض النقاط المحددة، التي تتميز باستواء سطح الأرض وانعدام وجود الكثبان الرملية، ومعظم سبخات المنطقة من النوع الساحلي، ويتميز سطحها بالانحدار الهين، الذي يتراوح بين ٠.٥ و ٣ درجات، وتغطيها في معظم الأحوال قشور ملحية صلبة، يبلغ سمكها حوالي ٨ سم، وتتأثر السبخات في منطقة الدراسة بالأحوال المناخية، فالحرارة الشديدة التي تتسم بها منطقة الدراسة خلال فصل الصيف مع التبخر الشديد تساعد على تركيز الأملاح فوق السطح.

كما تمثل السبخات خطراً جيومورفولوجياً على جميع الاستخدامات البشرية وذلك من خلال نموها باستمرار، مما يؤدي إلى التهام مساحات جديدة من الأراضي واقتربها من المناطق الزراعية والمباني والطرق، كما تتمثل خطورتها في قيام الرياح بتذرية الأملاح بعد جفافها وإرسابها على مظاهر العمران المختلفة.

## ج. الضروس الشاطئية.

تتألف ضروس الشواطئ Beach cusps من الرواسب الشاطئية مثل الرمال الناعمة والخشنة والزلط، وتعتبر الأمواج على الشاطئ الأمامي هي المسئول الأول عن تكوينها



(فتحى أبو راضى، ١٩٩٥م، ص ٥٧١) وتأخذ شكل حرف U، وقد تم رصد بعض الضروس على شاطئ قرية الشلاق غرب الشيخ زويد، والتي تتراوح أطوالها بين ٩٥ سم و١٨٦ سم ومتوسط العرض بين ٥٥ سم و٨٠ سم

صفوة القول: إن سطح منطقتي الدراسة يمتاز بالاستواء وقلّة الانحدار وعدم وجود تلال صخرية على امتداد الشاطئ، فمعظم تكوينات ساحل منطقة الدراسة عبارة عن رمال مفككة ورواسب من الحجر الجيري والرملي، التي ألفتها الأمواج البحرية عبر العصر الحديث، كل هذه الأسباب ساعدت على زيادة التفاعل والتناغم بين الأمواج البحرية والشاطئ ما بين علاقة صراع ونحت في بعض المواضع وترسيب في بعضها الآخر، وزاد من عملية النحت والتراجع بالنسبة للشاطئ انتشار عديد من الاستخدامات البشرية خاصة إنشاء ميناء العريش وإقامة عديد من الحواجز البشرية من الكتل الخرسانية، التي تحمي بعض المناطق من نحت الأمواج وتزيدها في بعضها الآخر بسبب جيومورفولوجية الساحل.

#### خامساً: التغيرات الجيومورفولوجية على الشاطئ.

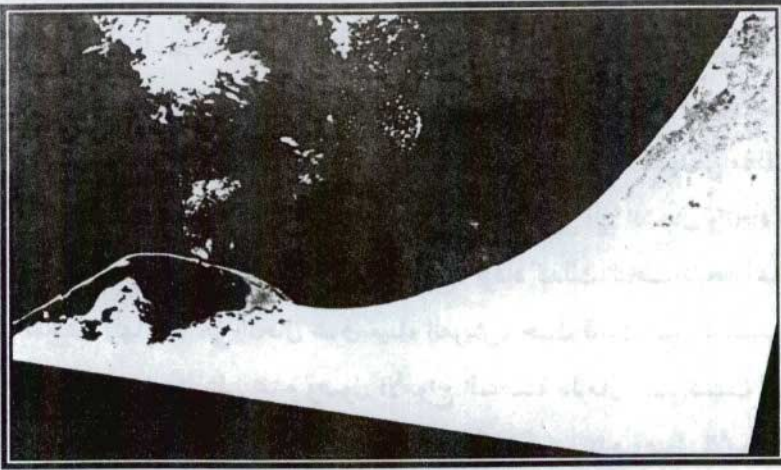
##### أ. تآكل ونحت الشواطئ.

يُعد تآكل ونحت الشواطئ من الأخطار الطبيعية القديمة التي تعاني منها منطقة الدراسة، وزاد معدل تآكل شاطئ منطقة الدراسة بعد بناء السد العالي، الذي منع وصول ملايين الأطنان من الطمي والغرين، التي كانت تضاف إلى الشاطئ، كما زاد من تآكله ونحته طبيعة تكويناته الهشة وانخفاض مستوى سطح الأرض، علاوة على بناء ميناء العريش وتوسيعه وعمل عديد من الحواجز التي منعت الأمواج المحملة بالرمال البناءة بالنسبة للشواطئ. وتشير الأدلة الجيولوجية إلى تعرض شمال سيناء إلى عملية هبوط أرضي نتيجة تراكم رواسب دلتا النيل وانفصالها، والدليل على ذلك وجود بحيرة البردويل والقلاع المدفونة شمال سيناء مثل قلعة العريش وقلعة لحفن وطريق المحمل المقدس وطريق حورس، وهذه شواهد تشير إلى عمليات الهبوط الأرضي، التي تبلغ حوالي ١.٥ متر سنوياً (عمران السيد فريحي، ٢٠٠٦، ص ٦٠).

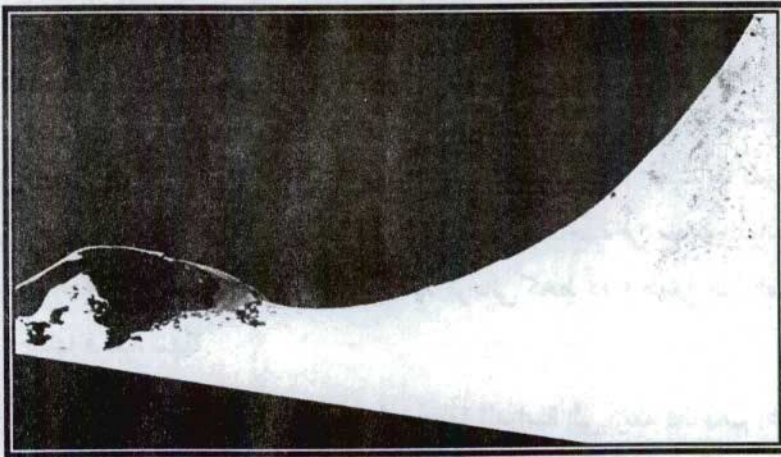


كما أسفرت القياسات الميدانية وتحليل ومعالجة المرئيات الفضائية لفترات زمنية متباعدة، الأولى لعام ١٩٩٠م والثانية عام ٢٠٠٠م والثالثة عام ٢٠٠٥م شكلي (٩ و ١٠) وجود تباين ملحوظ في معدلات النحت والترسيب على امتداد شواطئ منطقة الدراسة، وإن كان هذا التباين يعتمد على انحدار خط الشاطئ الأمامي إلى الشمال واتجاه الأمواج القادمة تجاه الساحل وطبيعة تضاريس وانحدار القاع، يزداد كذلك النحت نتيجة أعمال التنمية غير المخطط لها كما هي الحال شرق ميناء العريش، حيث قامت الشركة المسؤولة عن الميناء ببناء حواجز تعمل على عدم وصول الأمواج المحملة بالرمال، مما تسبب في تآكل ونحت مسافات كبيرة شرق الميناء في منطقة السكاسكة بسبب عدم وصول الأمواج البناءة، وساعد ذلك على زيادة عمق المياه الملاصقة له والتي بلغت ٢م، كما هو الحال في منطقة النخيل، حيث شوهد بعض أشجار النخيل مقطعة، والبعض الآخر ظهرت جذوره على السطح وفي طريقه إلى الاقتلاع صورة (١٠) حيث كان يتمتع شاطئ العريش بالاستقرار والهدوء، وأصبح دور الإنسان واضحاً على شاطئ شمال سيناء، والذي تسبب في مشكلات خطيرة من خلال بناء وتوسيع ميناء العريش مع التوسع العمراني، حيث تم بناء المنشآت بدون دراسة علمية لطبيعة العوامل والعمليات التي تتعرض لها المناطق الساحلية في منطقة الدراسة، وساعد على نشاط عملية التآكل هذه عدم وجود حائط مرجاني كخط دفاع طبيعي ضد فعل الأمواج، مما جعلها فريسة سهلة.

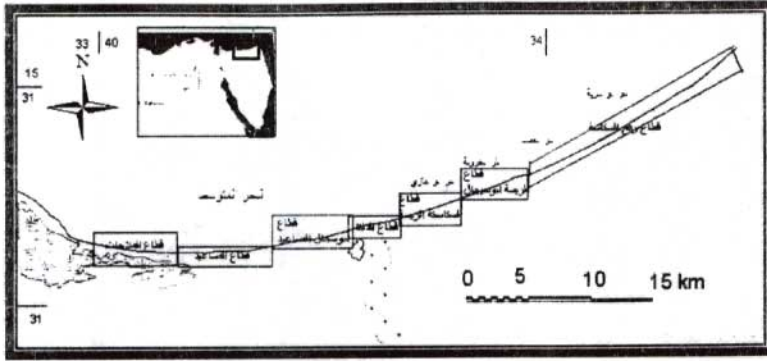
وتبعاً لذلك يمكن تقسيم شاطئ منطقة الدراسة إلى أربعة قطاعات (شكل ١١) منها ما يتعرض إلى النحت أو الترسيب أو النحت والترسيب معاً كما يلي :



شكل ( ٩ ) مرئية فضائي لمنطقة الدراسة عام ١٩٩٠م



شكل ( ١٠ ) مرئية فضائي لمنطقة الدراسة عام ٢٠٠٥م



شكل (١١) مواقع قطاعات النحت والترسيب

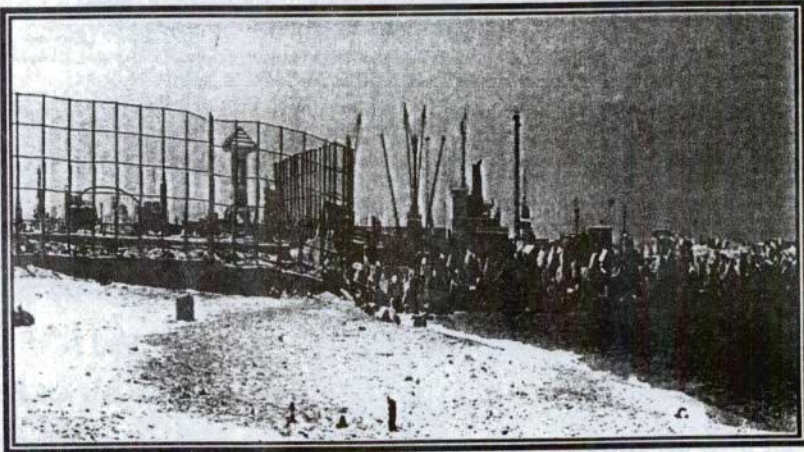
١. قطاع السكاسكة - الرينة شرق ميناء العريش.

يتميز هذا القطاع بزيادة معدلات النحت بشكل واضح خاصة بعد بناء حاجز الأمواج لميناء العريش البحري صورة (٩) مع هشاشة الرواسب الشاطئية، حيث بلغ معدل النحت حوالي ١١.٣ م سنوياً (شكل ١٢) خلال الفترة التي تبلغ ١٥ عاماً. وإن كان يلاحظ أن معدلات النحت تتزايد كلما اتجهنا من الغرب إلى الشرق بسبب زيادة تعامد خط الشاطئ مع اتجاه التيارات البحرية، وينتج عن عمليات النحت هذه تساقط أشجار النخيل وظهور جذورها على السطح وإبادة مساحات كبيرة منها والتي كانت تشتهر بها المنطقة صورة (١٠)، ويبلغ متوسط عرض الشاطئ في تلك المنطقة حوالي ٢٦ متراً حيث تنتشر الكثبان الرملية وأشجار النخيل، وتقوم الأمواج بنقل الرمال من الغرب إلى الشرق، وبذلك يلاحظ أن سطح المنطقة يتأثر بعدد من التيارات البحرية المختلفة (Abd EL-Galil, 2001, PP. 265 - 266).

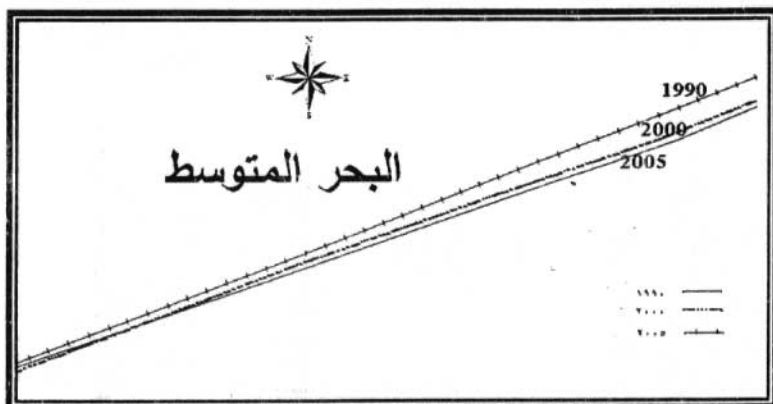




صورة (١٠) دور الأمواج في نحت الشاطئ واقتلاع أشجار النخيل من جذورها



صورة (١١) حاجز الأمواج لميناء العريش



المصدر: مرئيات فضائية لأعوام ١٩٩٠-٢٠٠٠-٢٠٠٥م

شكل (١٢) تآكل ونحت الشاطئ في قطاع السكاسكة كما توضحه

المرئيات الفضائية لأعوام مختلفة



صورة (١٢) تدمير أشجار النخيل بمنطقة الدراسة

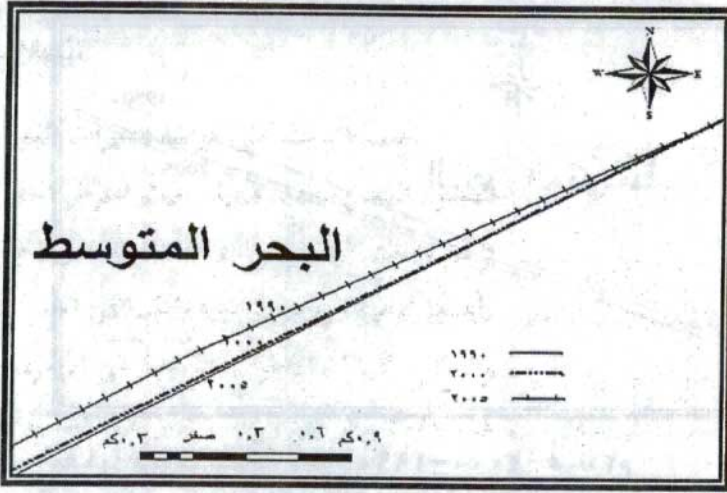
٢. قطاع الريسة - أبوسجال.

يتراجع الشاطئ في هذا القطاع وإن كانت بنسب أقل من القطاع السابق لتبلغ حوالي

٤.٨م سنوياً، وذلك بسبب تعامد حاجز الأمواج على خط الشاطئ، مما يساعد على نشاط

تأثير التيارات البحرية في عمليات النحت (شكل ١٣).





المصدر: مرئيات فضائية لأعوام ١٩٩٠-٢٠٠٠-٢٠٠٥م

شكل (١٣) تآكل ونحت الشاطئ في قطاع الريسة كما توضحه

المرئيات الفضائية لأعوام مختلفة

٣. قطاع أبوسجال - المساعيد غرب مدينة العريش.

يبلغ معدل تآكل الشاطئ حوالي ١.٧م/سنة، مما ينتج عنه تراجع خط الشاطئ وتساقط أشجار النخيل وتآكل سواحل بعض القرى السياحية مثل قرية عثمانون وظلال النخيل وكورنيش العريش.

٤. قطاع المساعيد - شرق محمية الزرانيق.

يزداد معدل النحت والتآكل في هذه القطاع عن القطاع السابق حيث يبلغ حوالي ٦.٥ م / سنة وذلك بسبب وجود حاجز أمواج محطة الكهرباء البخارية، الذي يؤثر على اتجاه التيارات البحرية وزيادة معدلات النحت شرق المحطة، مما كان له عظيم الأثر في نحت وتآكل شاطئ قرية سما العريش السياحية واقترب المسطح المائي بشكل واضح من الشاليهات، لذلك عملت القرية على تغذية الشاطئ بالرمال بصفة مستمرة (Zaghloul, 1997, P.199).



نخلص من تحليل المرئيات الفضائية ( باستخدام برنامج Arc Gis ) والدراسة الميدانية أن هناك تراجعاً واضحاً في خط الشاطئ، وإن كان يختلف من منطقة إلى أخرى، ويرجع ذلك إلى مجموعة من الأسباب أهمها:

- تحرك اللوح التكتوني الأفريقي باتجاه الشمال أسفل اللوح الأوروي وبالنتيجة طغيان مياه البحر المتوسط على حساب اليابس شمال القارة الأفريقية ( القصاص، ١٩٩٢، ص ٣).

- ارتفاع درجة حرارة الأرض وبالنتيجة ذوبان الجليد في القطبين الشمالي والجنوبي مما يعقبه ارتفاع مستويات مياه البحار والمحيطات وطفغانها على اليابس.

- عدم مراعاة الشروط البيئية في إقامة المشروعات مثل مشروع ميناء العريش ومحطة الكهرباء، مما يجعلها بعد فترة في منطقة خطر، ولتلافي هذا الخطر يجب إقامة هذه المشروعات على بعد لا يقل عن ٢٠٠ متر من البحر.

- زيادة قدرة الأمواج المصاحبة للعواصف والأنواء والتي يتراوح ارتفاعها بين ٢ - ٤ م بسرعة بلغت حوالي ٢٢ عقدة/ساعة، كما تبلغ مناسب المد والجزر حوالي ١٤٠ سم خلال فصل الشتاء على إزالة جميع أشكال الإرساب البحرية صورة ( ١٤ ) وبالنتيجة تراجع شاطئ منطقة الدراسة.

- تسبب ميناء العريش ومحطة الكهرباء البخارية في إحداث خلل واضح وزيادة معدلات النحت إلى الشرق منها.

ب. الإرساب على الشاطئ.

يتميز ساحل منطقة الدراسة بأنه يتعرض للنحت من جانب والترسيب في جانب آخر، حيث تقوم الأمواج والتيارات البحرية بالنحت في بعض الأجزاء والترسيب في بعضها الآخر، كما تختلف عمليات الترسيب بشكل واضح من منطقة إلى أخرى كما يلي:



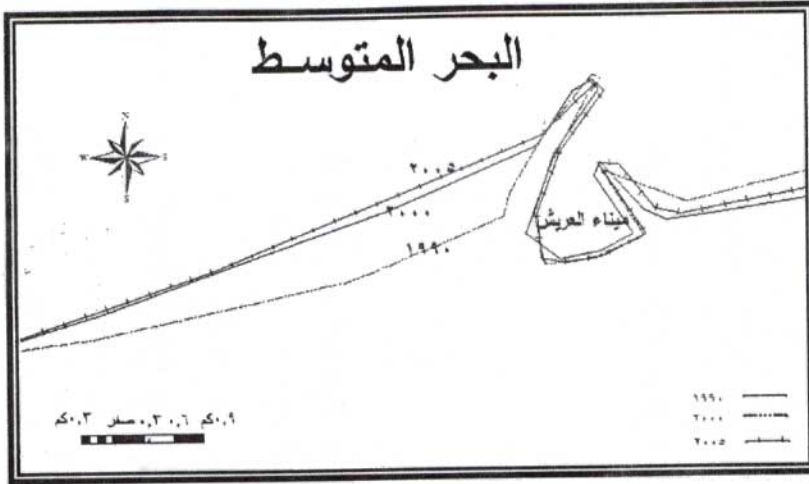
صورة (١٣) دور الأمواج في نحت وإزالة نواتج الإرساب البحري

١. قطاع رفح - السكاسكة.

يتعرض هذا القطاع لعمليات الترسيب بمعدل يبلغ ٢.١ م سنوياً، وذلك بسبب قيام الأمواج الشمالية الغربية المحملة بالرمال بالاصطدام بالشاطئ، الذي ينشئ إلى الشمال والشمال الشرقي.

٢. قطاع ممتد من حاجز ميناء العريش حتى دلنا وادى العريش.

يعتبر من أكثر القطاعات التي تتعرض إلى عملية الترسيب خاصة في المنطقة الواقعة غرب حاجز الأمواج البالغ طوله حوالي ٧٦٠ م. والذي ساعد على اصطدام التيارات البحرية



المصدر: مرئيات فضائية لأعوام ١٩٩٠-٢٠٠٠-٢٠٠٥ م

شكل (١٤) الترسيب في قطاع حاجز ميناء العريش كما تظهره

المرئيات الفضائية لأعوام مختلفة

والأمواج الشمالية الغربية المحملة بالرمال فيلقى هذه الحمولة غرب الميناء وإطماء مساحات من البحر عاماً بعد الآخر، حيث يبلغ مقدار تقدم اليابس على حساب البحر حوالي ١١.١ م سنوياً (شكل ١٤)، وتسبب عمليات الترسيب المستمرة بهذه المنطقة على قاع ميناء العريش خطراً مباشراً على السفن والمراكب.

٣. قطاع ممتد من المساعيد حتى ملاحات شركة النصر للملاحات شرق بحيرة البردويل.

تزداد معدلات الترسيب على طول امتداد هذا القطاع، والذي يبلغ حوالي ٨.٤ م سنوياً، وإن كان معدل الترسيب يزداد كلما اتجهنا إلى الغرب ليلغ حوالي ٢٤ م سنوياً شمال بحيرة البردويل، وترجع زيادة معدلات الترسيب إلى فروع نهر النيل القديمة والحديثة، وما تلقيه من رواسب في مياه البحر المتوسط ثم قيام التيارات البحرية بتحريكها على امتداد الساحل الشمالي الغربي لشبه جزيرة سيناء (شكل ١٥).





المصدر: مرئيات فضائية لأعوام ١٩٩٠-٢٠٠٠-٢٠٠٥م

شكل (١٥) الترسيب في قطاع حاجز شرق بحيرة البردويل كما توضحه المرئيات الفضائية لأعوام مختلفة

## الخلاصة

اعتمد البحث على دراسة التغيرات المورفولوجية للساحل شرق بحيرة البردويل حتى الحدود المصرية الفلسطينية، حيث تتعرض المنطقة إلى العديد من الأخطار الطبيعية، أهمها تآكل ونحت الشاطئ والذي تتضافر مجموعة من العوامل لزيادة فاعلية ونشاط هذه الأخطار، أهمها نوعية الرواسب الساحلية، التي تمتاز بأنها هشّة ضعيفة المقاومة لعمليات النحت والتآكل. كما أن الأحوال المناخية هي الأخرى تساعد على زيادة فاعلية الأخطار الطبيعية، فالمنطقة تتعرض إلى الرياح الشمالية والشمالية الغربية، والتي تقوم بدفع الأمواج تجاه الشاطئ واصطدامها بقوة، مما يزيد من فاعلية وتأثير الأمواج، كما تتعرض المنطقة إلى العديد من العوامل البحرية مثل الأمواج والتيارات البحرية والتيارات المد والجزر، وكلها عوامل تقوم بدور مهم في نحت وتآكل الشاطئ، كما أن للعامل البشري دوره البارز في زيادة فاعلية الأخطار الطبيعية حيث تدخل الإنسان بإنشاء وتوسيع ميناء العريش، ومحطة الكهرباء البخارية، وإقامة العديد من الحواجز الحجرية التي غيرت من اتجاهات الأمواج، مما زاد من فاعلية النحت والتآكل، حيث بلغ أقصى معدل للنحت ١٣.٣ م/سنة وذلك بسبب وجود حاجز أمواج ميناء العريش، بينما يبلغ أقصى معدل لترسيب غرب ميناء العريش حوالي ١١.١ م/سنة، من هنا تم وضع عديد من الحلول لتفادي هذه الأخطار الطبيعية والتغلب عليها مثل وضع مصدات حجرية لحماية الشواطئ، زرع النباتات التي تحمي السواحل مثل نبات المانجروف في مناطق النحت.

## المراجع

١. السيد ثابت عبدالخالق عبدالرازق غيث (٢٠١٠)، مشاكل البيئة في شمال سيناء والخيارات البديلة، دراسة تطبيقية في جغرافية البيئة، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الجغرافيا بكلية الآداب جامعة بنها.
٢. أيملى محمد حلمى حمادة (١٩٨٩)، القحط الزراعى فى شمال سيناء، دراسة فى المناخ التطبيقي، مجلة الأرصاد الجوية، السنة الثامنة، العدد السادس والعشرون.
٣. على محمود القصاص (١٩٩٢)، ندوة نحر الشواطئ جريدة الأهرام، العدد ٣٦١٧.
٤. عمران السيد فريحي (٢٠٠٦)، تأثير العوامل الديناميكية وارتفاع منسوب سطح البحر على شواطئ البحيرات الساحلية الشمالية بشمال مصر، مؤتمر شواطئ وبحيرات مصر الشمالية، قسم الجيولوجيا، كلية العلوم، جامعة قناة السويس، الإسماعيلية.
٥. فتحى عبدالعزيز أبو راضى (١٩٩٠) ديناميات التعرية الشاطئية والتغيرات المعاصرة لساحل دلتا النيل، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، العدد السادس.
٦. فتحى عبدالعزيز أبو راضى (١٩٩٤) ضروس الشواطئ، توزيعها تصنيفها نشأتها (مثال من ساحل مدينة الإسكندرية) مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، العدد ٤٢ ص ٥٧١ - ٦٣٠.
٧. محمد صبرى محسوب (١٩٨٩)، العمليات الجيومورفولوجية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
٨. محمد صبرى محسوب (١٩٩٤)، سواحل مصر، بحوث فى الجيومورفولوجيا، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.



٩. منى فؤاد محمد قيصر (٢٠٠٦)، الخطر الحقيقي الذى يهدد شواطئنا المصرية وكيفية مواجهته، مؤتمر شواطئ وبحيرات مصر الشمالية، قسم الجيولوجيا، كلية العلوم، جامعة قناة السويس، الإسماعيلية.

المراجع الأجنبية

1. Abd El-Kader El-Sayed (2005) Beach Erosion and Accretion between the mouth of Rosetta branch and Kitchener drain outlet Nile Delta coast, Egypt bulletin of the Egyptian geographical society ,Vol.78 tome LXX VII., pp27 -64.
2. Abou-Raddy ,F.A. (1989) Local Areal Variations of beach sand along the coast of Alexandria city, Egypt, Bull. Of the Faculty or Arts ,univ. of Alexandria VO1, XXX/ PP,35-67.
3. Ahmed M. Morsy, Omar A. Hegab and Mohamed I. Ismail (1995) Lithostratigraphy and sedimentology of the subsurface Quaternary in northeast Sinai, Egypt, Proc., 4 th Conf. Geol. Sinai Develop., Ismailia, pp. 141-158.
4. Bird ,E.C.F.,(1987) Coasts : An Introduction to Systematic Geomorphology, VOI.4,4<sup>th</sup> Ed the M.I.I. press, London.
5. Bruun, P.( 1962) 'Sea level rise as a cause of shore erosion', Proc. Am. Soc. Civ. Eng., J. Water Harbors Div. 88, 117-130.
6. Cheicoff, S. and Venkatakrisnan, R.(1995) : An introduction to physical geology worth publishers , New York, pp.593.
7. Cooke, R.U., Brunsten, D.,Doorankamp, J.C.and Jones, D.K.C., (1982) Urban geomorphology in Dry lands, the united nations univ., Oxford univ. press.

8. El-Rakaiby.M.L. and Attia. N.a. , (2005) Morphological and Geological Classification of the Egyptian Northern Coastal Environment using space image Technology. Bulletin of the Egyptian Geographical society, Vol.78, Tome LXX VII, PP. 91-109.
9. Frihy, O.E. and Lotfy, M.F.( 1997) Shoreline changes and beach-sand sorting along the northern Sinai coast of Egypt', Geo-Marine Lett. 17, 140-146.
10. Ibrahim EL shamy . Klaus D.Balke and Mohamed H.Gerish (1995) Modeling ground water Flow in the newly reclaimed areas of the Suez Canal province, Egypt. Proceedings of the Fourth conference Geology of Sinai For development. Ismailia, pp.171-188.
11. Mahmoud M. El Banna, Omran E. Frihy (2009) Human-induced changes in the geomorphology of the northeastern coast of the Nile delta, Egypt Contents lists available at Science Direct Geomorphology journal homepage .pp 72-78.
12. Abd El-Galil Mohamed (2001) Beach Erosion It is Relation With the Construction of El-Arish Harbor , Northern Sinai Geology of Sinai for Development Ismailia, pp. 263-272.
13. Nafaa ,M.G., Fanos, A.M. and Elganainy, M.A.,(1991) Characteristics of wave of the Mediterranean coast of Egypt . Journal of Coastal Research .Vol. 7,pp. 665-676.

## حديقة قصر المنتزه : رؤية جغرافية

دكتور/ محمد عبدالقادر عبدالحميد شنيشن

أستاذ الجغرافيا - ووكيل كلية الآداب - جامعة دمنهور

دكتور/ عبد الرحمن محمود إبراهيم منصور

مديرية التربية والتعليم بالإسكندرية





تشتد حاجة الإنسان إلي الخضرة والأشجار، خاصة في المناطق الجافة من العالم، نظراً لقلتها، ولهذا تصبح الحدائق والبساتين خير بديل للغطاء النباتي الطبيعي بهذه المناطق، وتعد الحدائق العامة في المدن أهم مناطق الترفيه والتنزه للسكان. وكلما زادت رقعة هذه الحدائق، وتنوعت أشكالها، دلّ على حسن تخطيط المدينة ورفقيها.

وتعد سياحة المتعة والترويح والأجازات ووقت الفراغ أحد اتجاهات جغرافية السياحة في العقدين الأخيرين من القرن العشرين (محمد عبدالقادر شنيش، ٢٠١١، ٣٩)، حيث ظهرت على نطاق واسع بعد الحرب العالمية الثانية (عايدة نسيم بشارة، ١٩٨١، ١٠). وتهتم بدراسة الاستخدام الترويحي لمناطق المدن، وتوزيع الخدمات الترويحية والطلب عليها، ومدى كفاية مصادر الترويح المتاحة، والمشكلات التي تواجه الخدمات الترويحية، وكيفية التغلب عليها.

وتعد حديقة قصر المنتزه إحدى حدائق محافظة الإسكندرية الخمس، وهي أكبرها مساحة، يليها حديقة أنطونيادس، فالشالات القبلية والبحرية، فالدولية، فالغابة الترفيهية، وتبلغ جملة مساحة المسطحات الخضراء بالمحافظة ٩٧٧٤٠٠٦ م<sup>٢</sup> عام ٢٠٠٩م، وتستأثر حديقة قصر المنتزه بحوالي ١٥% من جملة مساحتها.

#### أسباب اختيار الموضوع:

تمثل أهم الأسباب التي دفعت لدراسة حديقة قصر المنتزه بمحافظة الإسكندرية فيما يلي:

- نقص الدراسات المتعلقة بالمسطحات الخضراء داخل المدن عامة، والإسكندرية خاصة.
- أهمية حديقة قصر المنتزه في الحد من التلوث وتحسين ظروف البيئة، خاصة في شرقي المحافظة، لذلك فهي تعد رئة التنفس للمدينة والتنزه بها.
- انخفاض تكلفة الترويح بالحدائق داخل المدينة مقارنة بالقرى السياحية.
- تصدر حديقة قصر المنتزه حدائق المحافظة من حيث اتساع المساحة وتوافر الخدمات.

## تحديد منطقة الدراسة:

تقع حديقة قصر المنتزه على البحر مباشرة على خليج يعرف بإسمها، في قسم المنتزه ثان بحى المنتزه، والذي يشغل الركن الشمالى الشرقى فى محافظة الإسكندرية، والتي تقع فى شمالى غربى دلتا النيل.

## الدراسات السابقة:

تتصف الدراسات الخاصة بالمسطحات الخضراء داخل المدن المصرية والعربية بالصّالة سواء كانت جغرافية أو غير جغرافية، ويمكن ذكر أبرزها فيما يلى:

دراسة ريهام عمر<sup>(١)</sup> عام ١٩٩٠م، لتنسيق المواقع كوسيلة لإعطاء طابع مميز للفراغ الحضري "الحدائق العامة"، ودراسة مجدى السرسى<sup>(٢)</sup> عام ١٩٩٥م، للمسطحات الخضراء فى مدينة أبها بجنوب غرب المملكة العربية السعودية، ودراسة أحمد عبد الغفار<sup>(٣)</sup> عام ١٩٩٥م، للحديقة الإسلامية بين المفهوم والتطبيق انعكاسات على عمارة العالم الإسلامى، ودراسة أحمد حماد<sup>(٤)</sup> عام ٢٠٠٠م، لاستغلال أسطح المباني بالقاهرة لتوفير المسطحات الخضراء والخدمات الترفيهية، ودراسة هويدا عزام<sup>(٥)</sup> عام ٢٠٠٠م، لاستخدام النباتات

(١) ريهام حمدى حسين عمر: تنسيق الموقع كوسيلة لإعطاء طابع مميز للفراغ الحضري "الحدائق العامة"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة - جامعة القاهرة، ١٩٩٠م.

(٢) مجدى عبد الحميد محمد السرسى: المسطحات الخضراء فى مدينة أبها جنوبى غرب المملكة العربية السعودية - توزيعها وأهم خصائصها، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، عدد ١٨٤، ١٩٩٥م.

(٣) أحمد مصطفى عبد الحميد عبد الغفار: الحديقة الإسلامية بين المفهوم والتطبيق - انعكاسات على عمارة العالم الإسلامى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة - جامعة القاهرة، ١٩٩٥م.

(٤) أحمد محمد إمام حماد: استغلال أسطح المباني بالقاهرة لتوفير المسطحات الخضراء والخدمات الترفيهية، رسالة ماجستير، كلية الهندسة - جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م.

(٥) هويدا محمد عزام: استخدام النباتات للحفاظ على البيئة العمرانية من التلوث الصناعى "مع ذكر خاص لمنطقة حلوان الصناعية" رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة - جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م.



للحفاظ علي البيئة العمرانية من التلوث الصناعي، مع ذكر خاص لمنطقة حلوان الصناعية، ودراسة رشا بندق<sup>(١)</sup> عام ٢٠٠٤م، للمسطحات الخضراء في منطقة القاهرة الكبرى، ودراسة إنجي الدرويش<sup>(٢)</sup> عام ٢٠٠٧م، للبعد الاجتماعي للفراغ المعماري في البيئة الحضرية المخصصة للأطفال بالإسكندرية.

### أهداف الدراسة:

تحرص الدراسة علي تحقيق الأهداف الآتية:

- التعرف علي مقومات الجذب السياحي لحديقة قصر المنتزه.
- التعرف علي خصائص الرحلة.
- إلقاء الضوء علي المشكلات التي تواجه حديقة قصر المنتزه، ووضع الحلول المقترحة لها.

### مناهج الدراسة وأساليبها:

اعتمدت الدراسة أساساً علي المنهج الموضوعي، واستخدمت الأسلوب الكمي في معالجة البيانات وتحليلها، مثل معامل الارتباط الجغرافي، والتوطن، والتباين، والكثافة، إضافة إلى الأسلوب الخرائطي لتفسير الظاهرة الجغرافية قيد الدراسة وتحليلها، واستخدم أسلوب نظم المعلومات الجغرافية "GIS" في إنتاج الخرائط.

وقد اعتمدت الدراسة علي العمل الميداني في معظمها، وذلك لتعويض النقص في البيانات، لذلك فقد صنعت كثير من أرقامها، حيث تم تصميم نموذج استبيان يخص

(١) رشا حامد سيد حسن بندق: المسطحات الخضراء في منطقة القاهرة الكبرى - دراسة في جغرافية الترويح، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافية، كلية التربية - جامعة عين شمس، ٢٠٠٤م.

(٢) إنجي إبراهيم الدرويش: البعد الاجتماعي للفراغ المعماري في البيئة الحضرية "بالإسكندرية" - دراسة للفراغات الخارجية المخصصة للأطفال، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الهندسة - جامعة طنطا، ٢٠٠٧م.

الزائرين، وتم خلاله توزيع ١٠٠٠ نموذجاً علي زائري الحديقة (ملحق رقم ١)، خلال جميع العطلات الرسمية والأسبوعية وأيام العمل (وسط الأسبوع)، وقد بلغت أعداد النماذج الصحيحة منها ٩٦٠ نموذجاً، وهو ما يشكل ٩٦% من جملتها.

ولتحقيق أهداف الدراسة يمكن التركيز على معالجة النقاط التالية:

- موقع الحديقة ونشأتها.
- مقومات الجذب بالحديقة.
- حجم تدفق الزائرين.
- منطقة نفوذ حديقة قصر المنتزه.
- خصائص الرحلة.
- مشكلات زيارة الحديقة.

#### أولاً: موقع الحديقة ونشأتها

تقع حديقة قصر المنتزه في حي المنتزه بشرفي مدينة الإسكندرية، على خليج عرف باسم خليج المنتزه (شكل ١)، وتطل الحديقة على أربعة شواطئ هي عابدة، وكليوباترا، وفينيسيا، وسميراميس، إضافة إلى شاطئ خاص بفندق هنان فلسطين، والذي يحتوي مركزاً للألعاب المائية والغوص.

وقد أقيمت هذه الحديقة منذ أكثر من مائة عام، حيث أمر الخديو عباس حلمي الثاني ببنائها في منطقة مهجورة منعزلة آن ذاك (عنتر اسماعيل أحمد، بدون ٢٨)، حيث أعجب بها، حين كان يتنزه على شاطئها برفقة فرقة موسيقية، وقرر أن تضم المنطقة قصراً وحدائق للإصطياف بعد أن اشترى مساحات واسعة منها من ثري سكندري من أصل يوناني، وكذلك من الحكومة والأهالي لتكون ملحقات للقصر، وقد شيد الخديو عباس حلمي الثاني عام ١٨٩٢م قصر السلطان ليكون استراحة صيفية له، وفي عهد الملك فاروق خصص القصر ليكون مكتباً للملك ومقرراً لضيوفه. وقد بلغت جملة مساحة الحدائق ٣٧٠ فداناً،



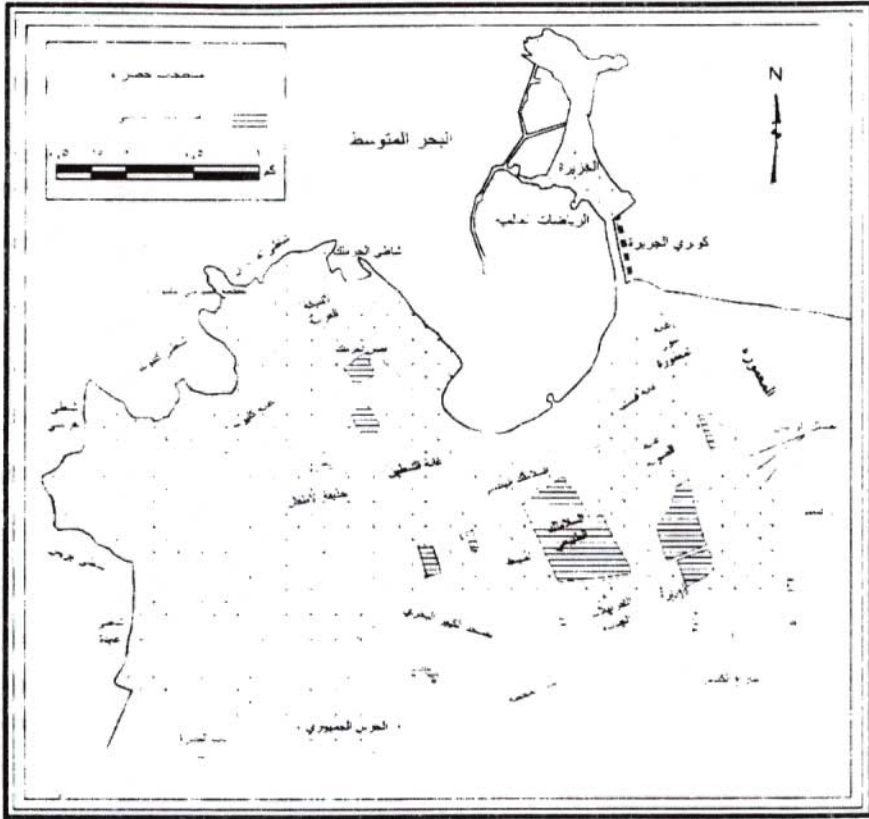


(قصر المنتزه).

وقد استمرت الأسرة العلوية في الاهتمام بتلك الحديقة، واعتبرتها مصيفاً رئيساً للأسرة المالكة حتى عصر الملك فاروق الأول، إلى أن قامت ثورة الجيش التي أيدها الشعب في يوليو ١٩٥٢م، حيث قامت بفتح حديقة المنتزه وشواطئها لعامة الشعب، وحولت قصر السلامك إلى فندق راقٍ، في حين فُتح قصر الحرملك في أعقاب الثورة أمام الجماهير للزيارة، قبل أن ينضم إلى مجموعة قصور رئاسة الجمهورية، وفي عام ١٩٦٤م أقيم فندق أطلق عليه اسم "فندق فلسطين"، يطل على الخليج الساحر، ليشهد إقامة ثاني قمة عربية احتضنتها مصر في الإسكندرية من ٥-١١ سبتمبر ١٩٦٤م (محافظة الإسكندرية، المجلس الشعبي المحلي، ١٩٩٦، ١٠-١٨).

ثانياً: مقومات الجذب بالحديقة

تعدد المقومات التي تتوافر في حديقة قصر المنتزه (شكل رقم ٢)، والتي تعمل على جذب أعداد كبيرة من الزائرين إليها، يأتي في مقدمتها اتساع مساحتها وتنوع نباتاتها مع ندرة الكثير منها، وحسن تنسيقها، وتوافر أماكن للجلوس بأرجاء الحديقة المختلفة ومنطقتين للعب الأطفال مساحة كل منهما ٤٠٠٠ م<sup>٢</sup>، تتنوع فيها الألعاب، إضافة إلى توافر كثير من الخدمات كالأمن، والمساجد، ودورات مياة للرجال والنساء، ومطاعم و"كافيتريات".



شكل (٢) المقومات السياحية لحديقة قصر المنتزه عام ٢٠١٠ م

ويعد الموقع المتوسط للحديقة بالنسبة لإقليمها من أهم عوامل جذب الزائرين إليها. حيث سهل الوصول إليها بتكاليف قليلة وفي فترة زمنية قصيرة، كما يتصف هذا الإقليم بالكثافة السكانية المرتفعة، إضافة إلى ما توفره الحديقة من أماكن مظلمة وغير مظلمة للجلوس موزعة بأرجائها المختلفة، وتوافر خمس شواطئ للبحر تتميز بالخصوصية والمناخ المعتدل. وناجٍ للبخوت، وبعض المناطق ذات الصبغة التاريخية "القصور الملكية"، وملاعب كرة القدم .. وغيرها، وجميعها يمثل أهمية كبيرة لدى قطاع كبير من زائري الحديقة بترب من نصف حجمها.

تتقدم حديقة قصر المنتزه حدائق المحافظة من حيث اتساع مساحة المسطحات

الخضراء، إذ غرس بها أكثر من ٦٣ نوعاً من نباتات المسطحات الخضراء، يبلغ عددها ٩٩٤١٢ نبتة تمثل ٨٠.٨% من جملة أعداد نباتات المسطحات الخضراء بحي المنتزه عام ٢٠٠٩م، وتتميز بالتنسيق الجيد، ويقتصر توزيع كثير منها على حديقة قصر المنتزه، توفر الهدوء والمناظر الطبيعية الخلابة لزائريها، مما يجعلها أكثر جذباً لهم من داخل المحافظة وخارجها.

من تحليل بيانات الجدول رقم (١) والشكل رقم (٣) يمكن استخلاص النتائج التالية:

جدول (١) التوزيع العددي لنباتات المسطحات الخضراء ونسبتها بحديقة قصر المنتزه وفقاً لأنواعها مقارنة بالحي والمحافظة عام ٢٠٠٩م (بالألف).

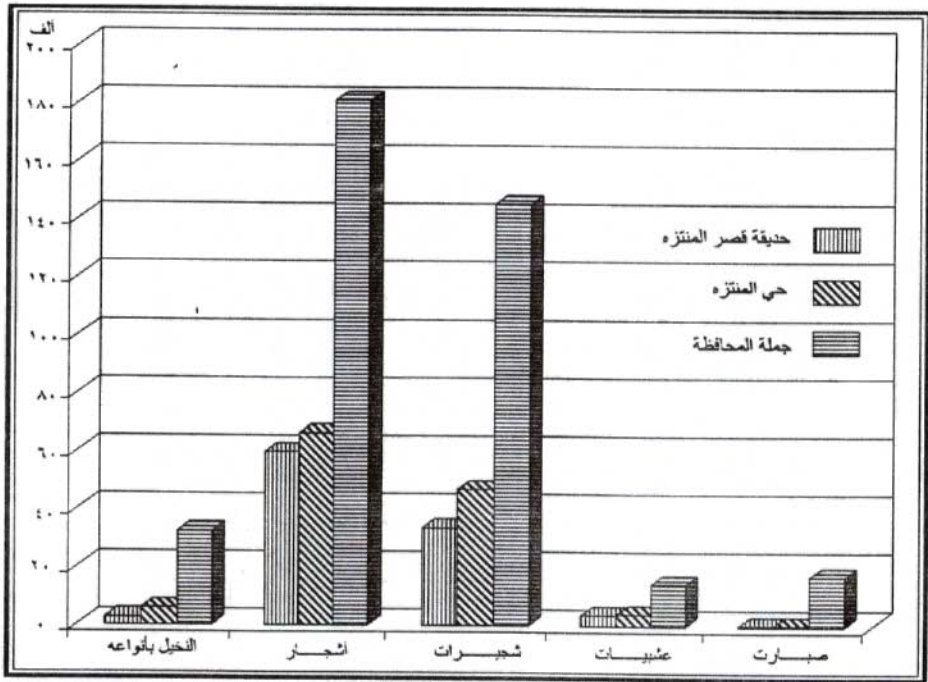
النبات الحديقة	النخيل بأنواعه		أشجار		شجيرات		عشبات		صبارات		جملة	
	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد
قصر المنتزه	٤٤.٨	٤	٩٠	٦٠	٧١.٤	٣٤	٩٠.٧	٤	١٠٠	٠.١	٨٠.٨	٩٩
باقي الحي	٥٥.٢	٤	١٠	٧	٢٨.٦	١٣	٩.٣	٠.٣	-	-	١٩.٢	٢٤
حي المنتزه	١٠٠	٦	١٠٠	٦٧	١٠٠	٤٧	١٠٠	٤.٣	١٠٠	٠.١	١٠٠	١٢٣
المحافظة جملة	-	٣٢	-	١٨١	-	١٤٦	-	١٥	-	١٧	-	٣٩١

المصدر: إدارة الحدائق بحي المنتزه، وقصر المنتزه، والحدائق المركزية.

- تتصف الحديقة بوفرة أعداد كبيرة من الأشجار والشجيرات النادرة، والتنسيق الجيد، وتضم الحديقة بين جنباتها أحد عشرة نوعاً من أشجار النخيل وهي ذات بهجة، ويبلغ عددها ٢٦٤٤ نخلة بنسبة ٤٤.٨% من جملة أشجار النخيل بالحي، ٨.٢% من جملة أشجار النخيل بالمحافظة عام ٢٠٠٩م، ولا يوجد كثير منها إلا في حديقة قصر المنتزه، ومن أنواعها نخيل



البرتشاديا (٩٠٠ نخلة)، والبلدي (٩٢٠ نخلة)، والملوكي (٣١٩ نخلة)، والاتانيا (٢١٠ نخلة)، وكوكوس (١٢٧ نخلة)، وفوانكس (٤٧ نخلة)، وسيال " ديل الطاووس" (٤٨ نخلة)، وأريكا (٣٤ نخلة)، وبراهيا "بيضاء" (٢٦ نخلة)، وكماروس (١٢ نخلة)، وسيكاس (نخلة واحدة)، وباستثناء نخيل البرتشارديا، فإن الحديقة تضم ٦٤.٢% من جملة أعداد النخيل البلدي بالحي، تشكل ٧.٤% من جملتها بالمحافظة، كما تضم ٦٠% من أعداد نخيل اللاتانيا بالحي، أما باقي الأنواع فيقتصر توزيعها على حديقة قصر المنتزه.



المصدر: جدول (١)

شكل (٣) توزيع أعداد نباتات المسطحات الخضراء بحديقة قصر المنتزه مقارنة

بحي المنتزه والمحافظة عام ٢٠٠٩ م.

- تضم حديقة قصر المنتزه نحو ٥٩٦٧٧ شجرة، بنسبة ٩٠% من جملة أعداد الأشجار بالحي، ٣٣% من جملة أعدادها بالمحافظة عام ٢٠٠٩ م، وتشمل نحو ٢٧ نوع من الأشجار، كثير منها يعد من الأنواع النادرة، كشجرة دقن الباشا (شجرة واحدة)، وفيكس

أبى ( ثلاث شجرات)، وفيكس الاسبكا ( شجرة واحدة)، وبوهينيا "حف الجمل" ( شجرة واحدة)، وفرشة الزجاج ( ستة أشجار)، وجاكراندا (شجرة واحدة)، وتضم قائمة الأشجار بالحديقة بعض أشجار الفاكهة كالمانجو ( ٣٠ شجرة)، والبرتقال ( ١٨١٦ شجرة ) والموز ( ١٥ شجرة) والتي تتفرد كذلك بها الحديقة.

- تستأثر حديقة قصر المنتزه بنحو ٧١.٤% من أعداد الشجيرات بالحي والبالغ عددها ٣٣٤٩٤ شجيرة عام ٢٠٠٩م، وهو ما يمثل ٢٣% من جملة أعداد الشجيرات بالمحافظة، ويبلغ عددها نحو ٥٠ صنفاً من الشجيرات، وتضم الحديقة ٣٤٨٨ من العشيبات، تمثل ٩٠.٧% من أعدادها بحي المنتزه، ٢٣.٩% من جملة أعداد العشببات بالمحافظة، كما تضم عدد ١٠٩ من الصبارات، تمثل جميع الصبارات بحي المنتزه، ونحو ٠.٦% من جملتها بالمحافظة، كما تستحوذ الحديقة على نحو ٣٥٠ فدانا من المسطحات الخضراء النجيلية. تمثل ٨٣.٥% من مساحة المسطحات الخضراء بحي المنتزه، ١٥% من مساحة المسطحات الخضراء بالمحافظة. وتتميز تلك المسطحات بالتنسيق الجيد والرعاية الفائقة من حيث التسميد، والري، وقص النجيلية، و العناية بالحوليات والعشيبات، ومقاومة الآفات والحشرات وغيرها. مما يجعلها تبدو بصورة جميلة تعمل على جذب زائريها من داخل المحافظة ومن خارجها، ومن كثير من دول العالم. حيث تعد زيارة حديقة قصر المنتزه جزءاً من الرحلة الترفيهية للأفواج السياحية العربية والأجنبية لمدينة الإسكندرية.

وقياس درجة توطن مساحة المسطحات الخضراء بأحياء المحافظة تبين توطنها في عدد من أحيائها، يأتي في مقدمتها وسط. ثم شرق. فالمنتزه بقيم ١٢.١، ٦.٢، ٥.٣ لكل منها على الترتيب، وقياس درجة توطن أعداد نباتات المسطحات الخضراء بأحياء المحافظة. وجد أنها تتوطن في عدد منها. يأتي المنتزه ثانياً بعد حي الجمرك بدرجة توطن بلغت ٩.٢. ويعود توطن مساحة المسطحات الخضراء ونباتاتها بحي المنتزه إلى حديقة قصر المنتزه والتي تشكل مساحة المسطحات الخضراء بها ٨٣.٥% من مساحة المسطحات الخضراء بالحي، وتمثل نباتاتها ٨٠.٨% من جملة نباتات المسطحات الخضراء به

وبقياس درجة الارتباط بين مستوى الخدمات وعدد مرات التردد على الحديقة، تبين وجود علاقة طردية متوسطة بلغت (+0.56)، وتختلف درجتها في العطلات المختلفة، فتبلغ أقصاها في العطلات العسكرية (+0.77)، والعيدين (+0.76)، في حين تبلغ أدناها في عطلة نهاية الأسبوع شتاءً (+0.18)، والعطلات الدينية (+0.33)، وبين هذا أهمية مستوى الخدمات المقدمة للزائرين في جذبهم لزيارة الحديقة، فكلما ارتفع مستوى الخدمات ساعد على تدفق أعداد كبيرة من الزائرين إليها، لذا توصى الدراسة بالعمل على رفع مستوى الخدمات السابقة بإضافة أعداد من دورات المياه الخاصة بالرجال والنساء، وكراسي الجلوس والمطاعم و"الكافتريات" على أن يتم توزيعها على أرجاء الحديقة دون تكديس لها في أماكن محددة، حتى تحقق للزائرين حاجتهم بيسر وسهولة.

ثالثا: حجم تدفق الزائرين

#### ١- على مستوى شهور السنة Seasonality:

من تحليل أرقام الجدول رقم (٢) والشكل رقم (٤) نستخلص الحقائق التالية:

- تصدر أشهر الصيف أشهر السنة من حيث تدفق أعداد الزائرين إلى حديقة قصر المنتزه، إذ تستحوذ على نحو ٤٠% من جملة أعداد الزائرين عام ٢٠١٠ م، ويستأثر شهرا يوليو وأغسطس بمفردهما بنحو ٣٠.٦% من جملة أعداد الزائرين، ويعود ذلك إلى تدفق أعداد كبيرة من الزائرين من محافظات الجمهورية، وبعض الدول العربية<sup>(١)</sup>، إضافة إلى توفر شاطئ يتميز بالخصوصية، ونادٍ لليخوت، وفندق ٥ نجوم، وعدد كبير من شاليهات الشاطئ<sup>(١)</sup>.

- تستحوذ الشهور الخمسة (مايو/ سبتمبر) على نحو ٦٠% من جملة أعداد الزائرين خلال العام، وبعد أكتوبر أقل شهور السنة من حيث تدفق أعداد الزائرين، وسبب ذلك

(١) راجع ص ١٤

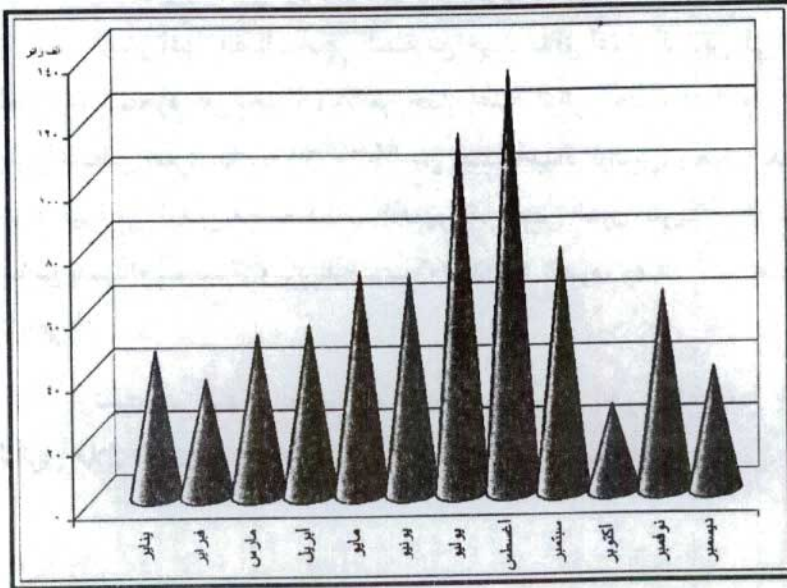


بداية العام الدراسي الذي يبدأ عادة في السبت الثالث من سبتمبر كل عام، إضافة إلى عودة الزائرين من المحافظات المصرية إلى منازلهم استعداداً لذلك.

جدول (٢) التوزيع الشهري لأعداد زائري حديقة قصر المنتزه عام ٢٠١٠م.

الشهر	عدد الزائرين	%	الشهر	عدد الزائرين	%
يناير	٤٦٨١٩	٦	أغسطس	١٢٤٨٥١	١٦
فبراير	٣٧٤٥٥	٤.٨	سبتمبر	٧٨٠٣٢	١٠
مارس	٥١٥٠١	٦.٦	أكتوبر	٢٨٠٩٢	٣.٦
أبريل	٥٤٦٢٣	٧	نوفمبر	٦٣٩٨٦	٨.٢
مايو	٧١٠٠٩	٩.١	ديسمبر	٣٩٧٩٦	٥.١
يونيو	٧٠٢٢٩	٩	الجملة	٧٨٠٣٢٠	١٠٠
يوليو	١١٣٩٢٧	١٤.٦			

المصدر: الإدارة المالية والتجارية لحديقة قصر المنتزه.



المصدر: جدول (٢)

شكل (٤) التدفق الشهري لأعداد زائري حديقة قصر المنتزه عام ٢٠١٠م.

- انخفاض تدفق أعداد الزائرين للحديقة خلال شهور فصل الشتاء ( ديسمبر/ فبراير)، حيث يقتصر الهدف من الزيارة للحديقة على الاستمتاع بالمسطح الأخضر والأماكن ذات الصبغة التاريخية المتوفرة بها

## ٢- على مستوى أيام الأسبوع Weekly:

يتصدر الجمعة أيام الأسبوع، إذ يستحوذ على خمس أعداد الزائرين في فصلي الشتاء والصيف، وترتفع في فصل الربيع لتصل إلى ٢٨.٢% من جملة أعداد الزائرين خلال الأسبوع (جدول رقم ٣)، ويعود ذلك إلى كونه يوم عطلة أسبوعية لغالب العاملين بالدولة، ويأتي الأربعاء كأقل أيام الأسبوع تدفقاً للزائرين خلال العام، عدا فصلي الربيع والخريف الذي يعد الإثنين أقل أيام السنة في الأول، والثلاثاء أقل أيام السنة في الثاني، وذلك كونهم أيام عمل يصعب الحصول على أجازة خلالها.

- تصدر أيام الجمعة والسبت والأحد والإثنين أيام الأسبوع من حيث تدفق الزائرين في فصل الشتاء، إذ تستحوذ على ٦٨.٣% من جملة أعداد الزائرين للحديقة خلال الأسبوع، في حين يتذيل يومًا الثلاثاء والأربعاء أيام الأسبوع، وذلك لكونهما من أيام العمل وسط الأسبوع، وباستثناء يومي الخميس والجمعة في فصل الربيع، فإن أيام الأسبوع الأخرى تتقارب معاً من حيث تدفق أعداد الزائرين، ويرجع ذلك إلى إشغال الأسر خلاله باستعداد أبنائها لاختبارات نهاية العام الدراسي، فتتركز زيارة الحديقة يومي الخميس و الجمعة ( العطلة الأسبوعية، واليوم السابق له) والذي قد يحصل العامل فيه على أجازة من عمله.

- يستحوذ يومًا الجمعة والثلاثاء على ٣٧.٢% من جملة أعداد الزائرين للحديقة خلال فصل الصيف، ويوما الأربعاء والجمعة على ٣٧.٨% من جملة أعداد الزائرين خلال فصل الخريف، وتتوزع النسبة المتبقية على أيام الأسبوع الأخرى تقريباً، في حين يعد يوم الثلاثاء أقل أيام الأسبوع تدفقاً للزائرين في فصل الخريف، يليه الخميس، ويعود تقارب نسب تدفق الزائرين خلال أيام الأسبوع في فصلي الصيف والخريف إلى كون الأول فترة أجازة سنوية لطلاب المدارس والجامعات، والثاني يمثل بداية السنة الدراسية والتي غالباً ما يمثل

جزء منها امتداداً لتلك العطلة لدى كثير من الأسر.

جدول (٣) التوزيع الموسمي لأعداد زائري حديقة قصر المنتزه خلال أيام الأسبوع عام ٢٠١٠م.

الفصل اليوم	الشتاء (يناير)		الربيع (أبريل)		الصيف (يوليو)		الخريف (أكتوبر)	
	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%
السبت	١٢١١	١٦.٧	١٤٥٦	١١.٨	٢٤٨٣	١١.٤	١٦٧٠	١٧.٢
الأحد	١٢١١	١٦.٧	١٦٩٩	١٣.٨	٢٩٧١	١٣.٦	١٥٨٨	١٦.٤
الاثنين	١١٣٠	١٥.٥	١٠٩٢	٨.٨	٢٦٨٦	١٢.٣	١٣٠٣	١٣.٤
الثلاثاء	٧٦٧	١٠.٦	١٤١٦	١١.٥	٣٥٠٠	١٦.١	٣٢٦	٣.٤
الأربعاء	٦٠٥	٨,٣	١١٧٣	٩,٥	٢٣٦١	١٠,٩	٢٠٣٦	٢١
الخميس	٩٢٨	١٢,٨	٢٠٢٣	١٦,٤	٣١٧٥	١٤,٦	١١٤٠	١١,٨
الجمعة	١٤١٢	١٩,٤	٣٤٧٩	٢٨,٢	٤٥٩٩	٢١,١	١٦٢٩	١٦,٨
الجملة	٧٢٦٤	١٠٠	١٢٣٣٨	١٠٠	٢١٧٧٥	١٠٠	٩٦٩٢	١٠٠

المصدر السابق.

### ٣- على مستوى أيام العطلات الرسمية Holidays:

تجذب حديقة قصر المنتزه أعداداً كبيرة من الزائرين في فترات العطلات الرسمية خلال العام، إذ تجذب نحو عُشر زائريها في تلك الأيام المعدودة، مما يمثل انتعاشاً كبيراً لها، وتستغفر الحديقة عاملها لتلك العطلات بصورة كبيرة، خاصة العاملين في صيانة المسطحات الخضراء والنظافة والأمن.

- تصدر شم النسيم تلك العطلات، حيث يستأثر بمفرده بأكثر من ربع أعداد الزائرين للحديقة في العطلات الرسمية، و٢.٣% من جملة أعداد الزائرين للحديقة عام ٢٠١٠م، وسبب ذلك ارتباطه بوجود المسطحات الخضراء والمنتزهات، لذلك تمتلئ الحديقة تقريباً بالزائرين في هذا اليوم وتتكدس السيارات داخل طرقاتها، وفي المواقع المعدة لذلك، كما تتكدس حركة المرور في الشوارع العامة المحيطة بالحديقة ( الجيش من الجهة الغربية، وملك حفني من جهة الجنوب). يأتي عيداً (القطر، والأضحى) في المرتبة الثانية، بنحو نصف أعداد الزائرين



- للحديقة في تلك العطلات، (٤.٢%) من جملة أعداد الزائرين للحديقة عام ٢٠١٠م (جدول رقم ٤)، إلا أنه لا يحدث تكدس للزائرين بالحديقة، كما في شم النسيم، ويعود ذلك إلى أن تدفق الزائرين للحديقة جدول (٤) توزيع أعداد زائري حديقة قصر المنتزه خلال العطلات الرسمية عام ٢٠١٠م.

جدول (٤) توزيع أعداد زائري حديقة قصر المنتزه

خلال العطلات الرسمية عام ٢٠١٠م

العطلة	عدد الزائرين	% من أعداد الزائرين خلال العطلات	% من أعداد الزائرين خلال السنة
المولد النبوي (١٢ ربيع الأول)	٣٤٣٠	٥	٠.٣
عيد الفطر (١ - ٣ شوال)	١٩٨٤٥	٢٨.٦	٢.٥
عيد الأضحى المبارك (٩ - ١٢ ذي الحجة)	١٢٩٦٠	١٨.٧	١.٧
رأس السنة الهجرية (الأول من محرم)	١٩٦٥	٢.٩	٠.٣
عيد تحرير سيناء (٢٥ أبريل)	٢٠٢٥	٢.٩	٠.٣
عيد العمال (١ مايو)	٥٢٦٥	٧.٦	٠.٧
شم النسيم	١٧٨٢٠	٢٥.٧	٢.٣
عيد الثورة (٢٣ يوليو)	٤٨٦٠	٧	٠.٦
عيد النصر (٦ أكتوبر)	١١٣٤	١.٦	٠.٢
الجملة	٦٩٣٠٤	١٠٠	٨.٩

المصدر: الإدارة المالية بحدائق قصر المنتزه.

يتوزع على أيام العيد الثلاثة، وليس في يوم واحد كما يحدث في شم النسيم، أما باقي العطلات فلا يرتبط بزيادة تدفق الزائرين إلى الحديقة لعدم ارتباطها بالمسطحات الخضراء والنتزه، وسبب ذلك ارتباطها بالمناسبات الدينية مثل رأس السنة الهجرية والمولد النبوي الشريف أو لارتباطها بالمناسبات العسكرية مثل عيد تحرير سيناء (٢٥ أبريل) و عيد الثورة (٢٣ يوليو)، حيث تمثل أكثر قليلاً من عُشر أعداد الزائرين للحديقة في تلك

العطلات، (١.١% من جملة أعداد الزائرين للحديقة عام ٢٠١٠م).

### رابعاً: منطقة نفوذ حديقة قصر المنتزه Sphere of Influence

تتسع منطقة نفوذ حديقة قصر المنتزه بالنسبة لزائريها لتشمل أحياء المحافظة المختلفة عدا مركز برج العرب، ومدينة برج العرب الجديدة تقريبا، ويرجع ذلك إلى طبيعة سكان الأول الزراعية والبدوية، ووفرة الحدائق العامة والبينية في الثانية، كما يشمل العديد من المحافظات المصرية وبعض الدول العربية والأجنبية.

من تحليل أرقام الجدول رقم (٥) يمكن تسجيل النتائج التالية:

جدول (٥) التوزيع النسبي لعينة زائري حديقة قصر المنتزه خلال العطلات

المختلفة وفقا لمحال إقامتهم عام ٢٠٠٩م

متوسط العينة	العیدان	العطلات العسكرية	العطلات الدينية	شم السیم	الجمعة	أيام الأسبوع عدا الجمعة	العطلة	
							الحي	القسم
٥١	٥٠.٦	٤٦	٥١	٥٠	٦١	٤١	المنتزه	المنتزه
١٢.٢	١٣.٣	١٠	٢١	٤	١١	١١	الرمل أول	شرق
١.٤	٤	٢	-	-	-	٢	الرمل ثاني	
٤.١	٤	٤	١١	-	٢	-	سيدي جابر	
٠.٩	٠.٧	٢	-	-	١	٤	باب شرق	وسط
١.٢	٢.٧	٢	١	-	-	-	العطارين	
٢.٥	٢	-	١	١١	١	-	محرم بك	
٠.١	-	-	-	-	-	-	المنشية	الجمرك
٠.٣	-	٢	-	-	١	-	الليان	
١	٢.٧	-	-	١	-	-	الجمرك	
-	-	-	-	-	-	-	الميناء	
٠.٥	٠.٧	-	-	٢	-	-	كروموز	غرب
١.٣	١.٣	-	١	-	٣	-	ميناء البصل	
٤.١	٩.٣	-	١	٣	٢	-	الدخيلة	العامرية
٠.٧	-	٤	١	٢	-	-	العامرية	
٠.١	٠.٧	-	-	-	-	-	مركز برج العرب	
١٨.٦	٨	٢٨	١٢	٢٧	١٨	٤٢	خارج المحافظة	

المصدر: نتائج الدراسة الميدانية.

- تصدر حي المنتزه مناطق نفوذ الحديقة Sphere of Influence بأكثر من نصف حجم عينة الزائرين في جميع العطلات عدا العطلات العسكرية وفي وسط الأسبوع،

وسبب ذلك موقع الحديقة داخل حدوده (Danials, p, 1982, 33-34)، وسهولة الوصول إليها نظراً لتعدد وسائل النقل التي تربط بين الحديقة وشياخاته المختلفة، كالقطار، والحافلات العامة، وسيارات الأجرة العامة "السيرفيس" والأجرة الخاصة "التاكسي" وغيرها (Forester, E, 2004, 16).

- يأتي حى شرق فى المرتبة الثالثة، إذ يمد الحديقة بنسبة ١٧.٧% من حجم عينة زائريها، وترتفع فى عطلتى رأس السنة الهجرية وعيد الأضحى إلى ٣٨%، ٢٩.٣% لكل منهما على الترتيب، وتبلغ أذناها فى شم النسيم ٤%، ويتقدم الرمل أول أقسام الحى الثلاثة، بنسبة ١٢.٢% من حجم عينة زائريها، ٦٨.٩% من حجم عينة زائريها من حى شرق، وتنخفض النسبة قليلاً فى يوم الجمعة لتبلغ ١١%، ثم تنخفض بشكل ملحوظ إلى ٤% فى شم النسيم، ويرجع الانخفاض الأخير إلى ازدحام الحديقة بالزائرين، ومن ثم صعوبة الدخول إليها، مما يؤدي إلى انصراف الكثيرين إلى حدائق أخرى، مثل أنطونيداس، والغابة الترفيهية اللتين تتميزان بقربهما من القسم وحسن تنظيمهما، يليه قسم سيدى جابر بنسبة ٤,١% من حجم عينة زائريها، ٢٣,٢% من حجم عينة زائريها من الحى.

- يسهم حيا وسط والعامرية معاً بنحو ١٠% من حجم عينة زائري الحديقة، مقسمة بينهما بالتساوى تقريباً، وتتركز فى العيدين وشم النسيم، وتختفى تقريباً فى باقى العطلات، ويعزى ذلك إلى موقع حديقتى الشلالات والدولية فى الأول، وقرب الدولية من الثانى.

- نقل نسبة كل من أحياء الجمرك، وغرب، ومركز برج العرب، ومدينة برج العرب الجديدة عن ٢% من حجم عينة زائري الحديقة، وسبب ذلك البعد النسبى للأول والثانى، وطبيعة سكان الثالث البدوية، ووفرة المسطحات الخضراء والحدائق بالرابعة.

- يحتل الزائرون من خارج المحافظة مركزاً متقدماً، إذ يحتلون المرتبة الثانية بعد حى المنتزه، تتمثل فى ثلاث عشرة محافظة تستحوذ على ١٨.٦% من حجم عينة زائري الحديقة، يتقدمها البحيرة بنسبة (٢٩.٤%) من حجم عينة الزائرين من المحافظات، فالقاهرة (٢٦.٥%)، ثم بورسعيد (١٩.٤%)، ودمياط (٧.١%)، والشرقية (٣.٥%)، والجيزة (٢.٩%)، وتسهم محافظات القليوبية، وسوهاج، والمنوفية بنسبة لا تتجاوز



(٢.٤% لكل منها)، في حين تسهم الغربية، والبحر الأحمر، وكفر الشيخ بنسبة (١.٢%) لكل منها)، وأخيراً المنيا بنسبة لا تتجاوز (٠.٦%) من حجم عينة زائري الحديقة من المحافظات، ويزورها من خارج الجمهورية نحو (١.٦%) من حجم عينة زائري الحديقة، وتسهم سوريا وليبيا وفلسطين معا بثلاثة أرباع حجم عينة الزائرين للحديقة من خارج مصر، موزعة بينها بالتساوي، ثم تأتي المملكة المتحدة بنسبة (١٢.٥%)، أما النسبة الباقية (١٢.٥%) فتقسم بين السودان وقطر بالتساوي، ويضيق مجال نفوذ الحديقة من خارج المحافظة في شم النسيم ليقصر على محافظتي البحيرة والقاهرة، ويتسع قليلاً في العيدين ليشمل محافظات البحيرة، والقاهرة، والجيزة، وبورسعيد، إضافة إلى سوريا، ويتسع في عطلة نهاية الأسبوع، خاصة في فصل الصيف ليشمل المحافظات الثلاث عشرة، إضافة إلى الدول العربية والأجنبية السابق ذكرها.

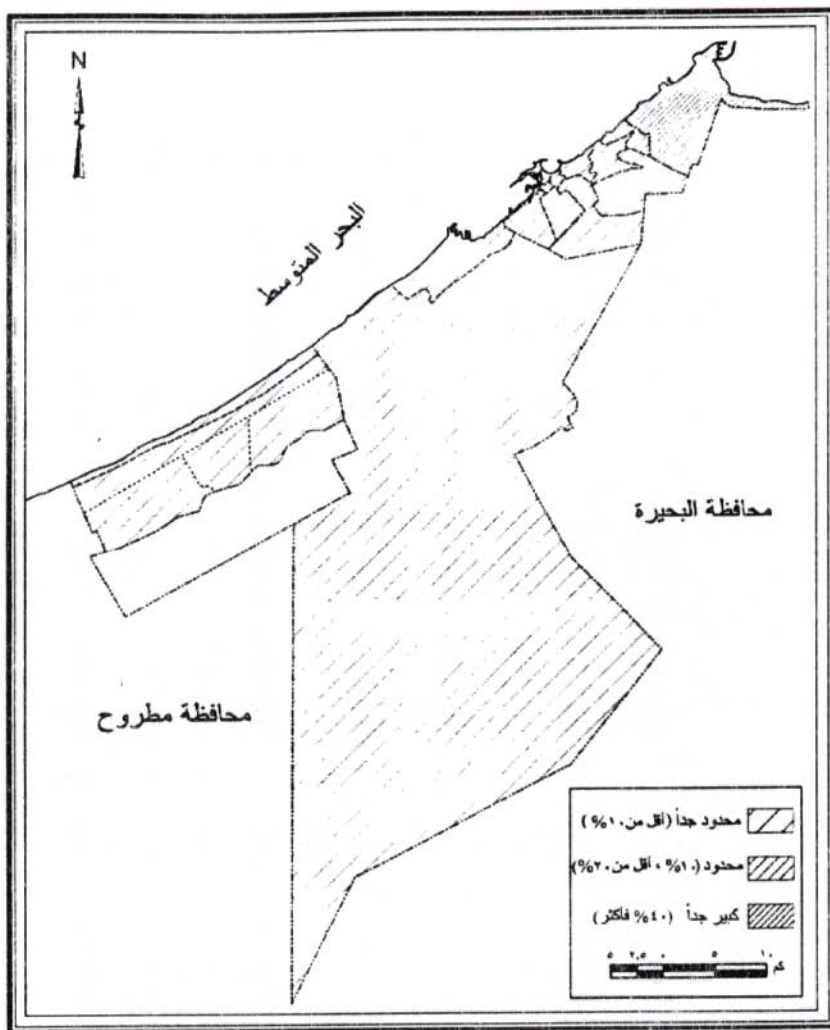
ويمكن تقسيم مجال نفوذ حديقة قصر المنتزه إلى ما يلي (الشكلان ٥، ٦):

- كبير جداً: ويضم الأقسام التي تبلغ نسبتها ٤٠% من حجم عينة الزائرين إلى الحديقة فأكثر، وتشمل حي المنتزه.

- محدود: وتضم الأقسام التي تتراوح نسبتها بين ١٠%، وأقل من ٢٠% من حجم عينة الزائرين إلى الحديقة، ويقصر على قسم الرمل أول بحي شرق.

محدود جداً: وتضم الأقسام التي تقل نسبتها عن ١٠% من حجم عينة الزائرين إلى الحديقة، وتشمل أقسام المحافظة الأخرى إضافة إلى ست دول عربية وأجنبية يتصدرها سوريا وفلسطين والسودان وقطر والمملكة المتحدة.

وإذا كان منطقة نفوذ الحديقة بالنسبة للزائرين من الاتساع بحيث يشمل معظم أحياء المحافظة تقريباً، بل يتخطاه ليضم ثلاث عشرة محافظة، تمثل حوالى نصف عدد محافظات الجمهورية، كما يشمل عدداً من الدول العربية والأجنبية، فإن منطقة نفوذ الحديقة بالنسبة لعامليها محدود لا يتجاوز حي المنتزه، وشرق، إضافة إلى محافظتي البحيرة، والغربية.



المصدر: جدول (٥)

شكل (٥) مجال نفوذ حديقة قصر المنتزه في جذب زائريها من أقسام محافظة الإسكندرية

عام ٢٠٠٩ م.





الوسطاني، و الطريق الدولي، مقارنة بالأحياء نفسها بالمحافظة، خاصة الواقعة في النصف الغربي من المحافظة.

خامساً: خصائص الرحلة

يتوقف قيام رحلة ترفيهية إلى مكان ما على الهدف الذي أعدت من أجله تلك الرحلة.

#### ١- أسباب اختيار الحديقة للزيارة:

تعدد الأسباب التي تجذب الزائر إلى حديقة قصر المنتزه، يأتي في مقدمتها اتساع مساحتها وتنوع نباتاتها مع ندرة الكثير منها، وحسن تنسيقها، وتوافر أماكن كافية للجلوس ولعب الأطفال، وقربها من المناطق ذات الكثافة السكانية المرتفعة، إضافة إلى الخدمات المقدمة كالآمن، والمساجد، ودورات مياه للرجال والنساء، ومطاعم و "كافيتريات ..... الخ.

من تحليل أرقام الجدول رقم (٦) والشكل رقم (٧) نستخلص النتائج التالية:

- تصدر اتساع مساحة الحديقة البالغ ٣٥٠ فداناً أسباب اختيار الزائرين للحديقة بنسبة ٣٠% من حجم عينة زائريها، ويزداد تأثيره في العطلات العسكـرية، إذ يأتي في مقدمة أسباب الزيارة لنحو ٣٨% من حجم عينة الزائرين، وفي العطلات الدينية لنحو ٣١%، في حين ينخفض إلى ٢٨% من حجم عينة الزائرين في العيدين وأيام وسط الأسبوع، ويعزى تصدر اتساع مساحة الحديقة لأسباب الزيارة إلى ما يتوفر بها من نباتات تزيد عن ٦٣ نوعاً، يقتصر توزيع كثير منها على حديقة قصر المنتزه، وتتميز بالتنسيق الجيد، مما يجعلها أكثر جذباً لزائريها من داخل المحافظة وخارجها.

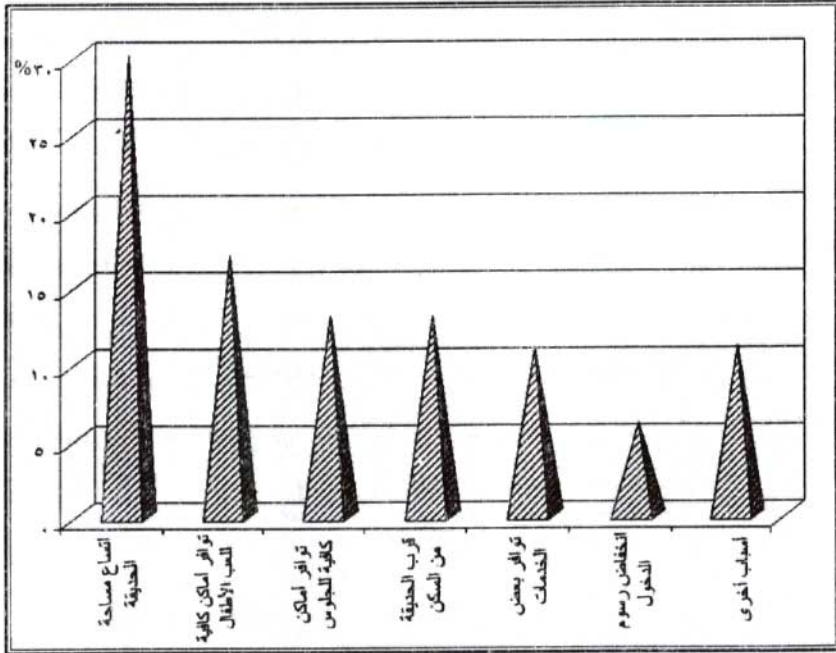
جدول (٦) التوزيع النسبي لعينة زائري حديقة قصر المنتزه خلال العطلات المختلفة وفقاً لأسباب الزيارة عام ٢٠٠٩م.

العطله	السبب	اتساع مساحة الحديقة	توافر أماكن اللعب للأطفال	توافر أماكن للجلوس	قرب الحديقة من السكن	توافر بعض الخدمات	انخفاض رسوم الدخول	أسباب أخرى
عيد الفطر والاضحى	٢٨	١٦	١٤	١١	١١	١١	١٠	١٠
العطلات الدينية	٣١	٢٢	١٠	١٤	١٠	١٠	١	١٢
شم النسيم	٣٠	٢٣	١٣	١١	١١	١١	٦	٦
الجمعة	٢٩	١٤	١٤	١٦	١٣	١٣	٤	١٠
أيام الاسوع عدا الجمعة	٢٨	١١	١٤	١٦	٨	٨	٥	١٨
العطلات العسكرية	٣٨	٩	٢١	٨	١٢	١٢	٤	٨
متوسط العينة	٣٠	١٧	١٣	١٣	١٣	١٠	٦	١١

المصدر: نتائج الدراسة الميدانية.

- يرى ١٧% من حجم عينة زائري الحديقة أهمية توافر أماكن كافية للعب الأطفال كسبب لزيارة الحديقة مما يضعه في المرتبة الثانية، حيث يتوافر بالحديقة منطقتان لألعاب الأطفال تبلغ مساحة كل منهما ٤٠٠٠ م<sup>٢</sup>، تحتوي على ٨ "مرجيحة"، ٢ كرة سرعة، ٨ حصان توازن، ٢ "زحليقة"، وتزيد أهمية هذا العامل في شم النسيم، والعطلات الدينية، والعديد، لتبلغ ٢٣%، ٢٢%، ١٦% لكل منها على الترتيب، في حين تتراجع أهميته في العطلات العسكرية، وأيام وسط الأسبوع لتحل رابعاً بعد كل من اتساع مساحة الحديقة، وقرب الحديقة من السكن، وتوافر أماكن كافية للجلوس، وسبب ذلك ضعف إقبال الزائرين أصلاً على الحديقة في تلك الأيام، مما يقلل من الضغط على ألعاب الأطفال ويؤدي إلى تراجع أهميتها لدى الزائرين، لصالح عوامل أخرى جاذبة كقرب الحديقة من سكن الزائرين، وتوافر أماكن كافية للجلوس، وتوافر بعض الخدمات.

- يمثل توافر أماكن كافية للجلوس، وقرب الحديقة من السكن، وتوافر بعض الخدمات، وبعض الأسباب الأخرى (وجود خمس شواطئ للبحر تتميز بالخصوصية، ونادٍ لليخوت، وبعض المناطق ذات الصبغة التاريخية "القصور الملكية"، وملاعب كرة القدم... وغيرها)، أهمية كبيرة لدى قطاع كبير من عينة الزائرين للحديقة تقترب من نصف حجمها، ويرجع ذلك إلى موقع الحديقة المتوسط بالنسبة لإقليمها، ولما يتوافر بها من الخدمات كبرجولات



المصدر: جدول (٦)

شكل (٧) نسب عينة زائري حديقة قصر المنتزه خلال العطلات المختلفة وفقاً لأسباب

الزيارة عام ٢٠٠٩ م.

الجلوس المظللة والتي بلغ عددها ١٠ "برجولات"، تحتوي الواحدة على ٤ كراسٍ للجلوس، ويبلغ طول الكرسي أربعة أمتار إضافة إلى كراسٍ خرسانية موزعة على مساحة المسطح الأخضر بالحديقة، يزيد عددها عن مائة كرسي، كما يتوافر بالحديقة خدمات أخرى متعددة، وبصورة جيدة، تحقق لزارئها بمختلف مستوياتهم كل ما يحتاجونه من الأطعمة والمشروبات والهدوء والراحة، وتتمثل في عدد ٨ ٤ دورة مياه للرجال والنساء، وأربعة "كافيتريات"، وستة مطاعم، وتسعة محال تجارية



وأكشاك، وملعين لكرة القدم للصغار والكبار، إضافة إلى ثلاثة مساجد.  
 - أبدى ٦٣% من حجم عينة زائري الحديقة أن هناك سبباً واحداً يجذبهم لزيارة الحديقة، يتمثل في غالب الأمر في قرب الحديقة من السكن، في حين جذب ٢٣% من حجم العينة سبان، يتمثلان في قرب الحديقة من السكن Accessibility، وتوافر أماكن كافية للجلوس، أما نسبة ١٤% الباقية من حجم عينة الزائرين يتوافر لهم عدد من عوامل الجذب تتمثل في السبين السابقين، إضافة إلى توافر أماكن للعب الأطفال، واتساع مساحة الحديقة، وتوافر الخدمات... الخ.

## ٢- المواعيد المفضلة لزيارة الحديقة:

نظراً لما توفره الحديقة لزائريها من مسطح أخضر متسع، وشاطئ للبحر يتصف بالخصوصية، ونباتات نادرة منسقة بصورة جذابة، وخدمات متنوعة Avariety of Services تحقق له كل ما يحتاجه خلال رحلته الترفيهية، لذلك نجد ٨٦% من زائريها يفضلون زيارتها منذ الصباح لقضاء أطول وقت في الحديقة (جدول رقم ٧).

جدول (٧) التوزيع النسبي لعينة زائري حديقة قصر المنتزه خلال العطلات المختلفة وفقاً للمواعيد المفضلة للزيارة عام ٢٠٠٩ م.

الوقت المفضل	النسبة (%)	العدد
عيد الفطر والاضحى	٩٣	٧
العطلات الدينية	٨٨	١٢
شم النسيم	٩٥	٥
الجمعة	٦٦	٣٤
أيام الاسوع عدا الجمعة	٨٨	١٢
العطلات العسكرية	٩٢	٨
متوسط العينة	٨٦	١٤

المصدر: نتائج الدراسة الميدانية.

وتزداد هذه النسبة في جميع الأعياد والعطلات عدا عطلة نهاية الأسبوع (الجمعة)، حيث يفضل ثلثا عينة الزائرين فقط زيارة الحديقة في الفترة الصباحية، ويفسر هذا الانخفاض

رغبة قطاع كبير من الزائرين في الإستمتاع بالهدوء في الحديقة، والذي قد لايتوفر خلال الفترة الصباحية في هذا اليوم، نظراً لتزايد تدفق الزائرين على الحديقة في هذا اليوم، في حين يفضل ١٤% من حجم عينة زائري الحديقة زيارتها في الفترة المسائية<sup>(١)</sup>، ويتمثل هؤلاء في الزائرين من الطلاب والعاملين الذين يقصد جزء كبير منهم الحديقة للعب كرة القدم، ويدل على ذلك ارتفاع تلك النسبة في يوم الجمعة (عطلة نهاية الأسبوع)، حيث تمتلئ الملاعب بالزائرين من الذين يقومون بتنظيم دورات رياضية في كرة القدم فيما بينهم.

### ٣- وسيلة الذهاب للحديقة:

يعد قصور تسيارات النقل السريع Facilities Rapid Transit أكبر معوق للسياحة والترفية (جلیلة حسن حسنین، ٢٠٠٤-٢٠٠٥، ٣٢٤)، لذلك يأتي النقل على قائمة التسهيلات التي تخدم السياحة في محافظة الإسكندرية (محمد الفتحي بكير، ٢٠٠٢، ٩٩).

تصدر سيارات الأجرة (الميكروباص، التاكسي) وسائل النقل المستخدمة للذهاب إلى الحديقة لأكثر من ثلث حجم عينة زائريها، وترتفع لتصل إلى نصف حجم عينة زائريها في العطلات العسكرية، ويفسر ذلك موقع الحديقة على خطوط رئيسة تربط بين أقسام شرق المدينة وغربها (أبوقير، المنتزه، المندره) من جهة (والمنشية، ومحطة مصر، والجمرك وغيرها) من جهة أخرى، وتأتي السيارات الخاصة " الملاكى" في المرتبة الثانية كوسيلة للذهاب للحديقة بنسبة ٢٩% من حجم عينة زائريها، وتأتي حديقة قصر المنتزه مع الحديقة الدولية في مقدمة الحدائق الرئيسية من حيث استخدام زائريها للسيارات الخاصة في الزيارة، ويقل استخدامها في العطلات العسكرية، ونهاية الأسبوع (يوم الجمعة)، وقد يكون بسبب توفر وسائل نقل بديلة Alternative Transportation " كالتاكسي" و"الميكروباص" لكون ذلك اليوم عطلة رسمية، ويتقدم القطار كوسيلة نقل رئيسة لنحو ١٧% من زائري الحديقة (جدول رقم ٨، وشكل رقم ٨).

(١) يقصد بالفترة المسائية من بعد الظهر وحتى غروب الشمس.



جدول (٨) التوزيع النسب لعينة زائري حديقة قصر المنتزه خلال العطلات المختلفة وفقاً لوسيلة النقل المستخدمة عام ٢٠٠٩م.

الوسيلة المستخدمة	سيارة خاصة	سيارة خاصة + سرفيس	قطار	حافلة نقل عام	سيراً على الأقدام	العطلة
٣٥	٣١	١٨	٧	٩	عيد الفطر والاضحي	
٣٣	٣٦	١٣	١٢	٦	العطلات الدينية	
٣٠	٢٩	٢١	١٤	٦	شم النسيم	
٣٧	٢٣	١٧	١١	١٢	الجمعة	
٣٣	٣٠	١٤	٨	١٥	أيام الاسوع عدا الجمعة	
٥٢	١٢	٣٠	٢	٤	العطلات العسكرية	
٣٦	٢٩	١٧	٩	٩	متوسط العينة	

المصدر: نتائج الدراسة الميدانية.

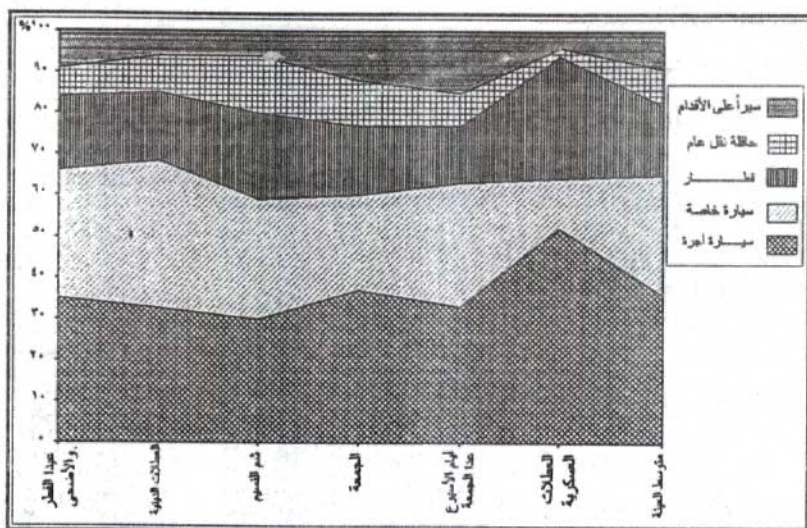
وسبب ذلك موقع الحديقة على خط سكة حديد أبوقير مع توفر محطة له أمام أحد أبوابها، مما قصر المنتزه باستخدام القطار كوسيلة نقل رئيسة لنحو ١٧% من حجم زائريها للرحلة كاملة، وتستخدم نسبة ضئيلة لا تتجاوز ٩% من حجم عينة زائري الحديقة حافلات النقل العام في الوصول إلى الحديقة، ويعود ذلك إلى وفرة العديد من وسائل النقل التي تربط الحديقة بإقليمها "كالسرفيس" و"التاكسي" والقطار والسيارات الخاصة، ثم فئة سيراً على الأقدام بنسبة ٩% من حجم عينة الزائرين نظراً لموقع الحديقة بالقرب من مناطق ذات كثافة سكانية مرتفعة.



٤- زمن الرحلة الترفيهية Flight Time Entertainment:

تتصف رحلة الزائرين للحديقة بأنها قصيرة في المدة الزمنية، إذ تستغرق رحلة ما يقرب من ثلثي حجم عينة زائريها أقل من نصف ساعة، بل تقل رحلة نحو ثلث حجم العينة عن ١٥ دقيقة، وهي رحلة سريعة، تمثل أحد مقومات جذب الحديقة لزائريها، ويرجع قصر رحلة وصول الزائر إلى الحديقة إلى موقعها وسط إقليمها (Clark, D., 1982, 9)، حيث تقع حديقة قصر المنتزه في وسط حي المنتزه، والذي يمددها بأكثر من نصف حجم عينة زائريها،

مع



المصدر: جدول (٨)

شكل (٨) التوزيع النسبي لعينة زائري حديقة قصر المنتزه خلال العطلات المختلفة

وفقاً لوسيلة النقل المستخدمة عام ٢٠٠٩ م.

إحاطة الحديقة بطرق تتميز بعدم وجود اختناقات مرورية تطيل من زمن الرحلة كما يمثل قطار أبي قير وسيلة نقل لنحو ١٧% من حجم عينة زائري الحديقة، من سكان مناطق سيدي بشر، والعصافرة، والمنذرة، والمعمورة، وأبي قير، في رحلة قصيرة وسريعة لا تتجاوز بضع دقائق، وأن ٩% من حجم عينة زائري الحديقة يأتون سيراً على الأقدام في رحلة لا تزيد عن

نصف ساعة في الغالب، وترتفع نسبة من تقل رحلتهم عن ١٥ دقيقة في يوم الجمعة إلى ٤١% من حجم عينة زائري الحديقة، ويفسر ذلك ارتباط قاطني المناطق القريبة من الحديقة بها، كما أنها تمثل بالنسبة لهم المكان المفضل للترويح عن النفس في تلك العطلة الأسبوعية، وتتضاءل نسبة من تستغرق رحلتهم ساعة فأكثر، إذ لم تتجاوز ١٦% من حجم عينة الزائرين للحديقة (جدول رقم ٩، وشكل رقم ٩)، وهم الزائرون للحديقة من الأحياء البعيدة نسبياً كغرب والجمرك والعامرية، التي تمتد الحديقة بنحو ٨% من حجم عينة زائريها، إضافة إلى بعض المحافظات القريبة كالبحيرة والغربية، وترتفع نسبة من تزيد رحلتهم عن ساعة في العطلات العسكرية، والدينية،

وشم النسيم لصعوبة الحركة المرورية، وتنخفض في عطلة نهاية الأسبوع (الجمعة) لسهولة الحركة المرورية، كما لا ترتبط رحلة الزائرين خاصة من يأتون من المحافظات المجاورة بتلك العطلة القصيرة (يوم الجمعة).

#### ٥- تكلفة الرحلة الترفيهية : Cost Of Leisure Trip

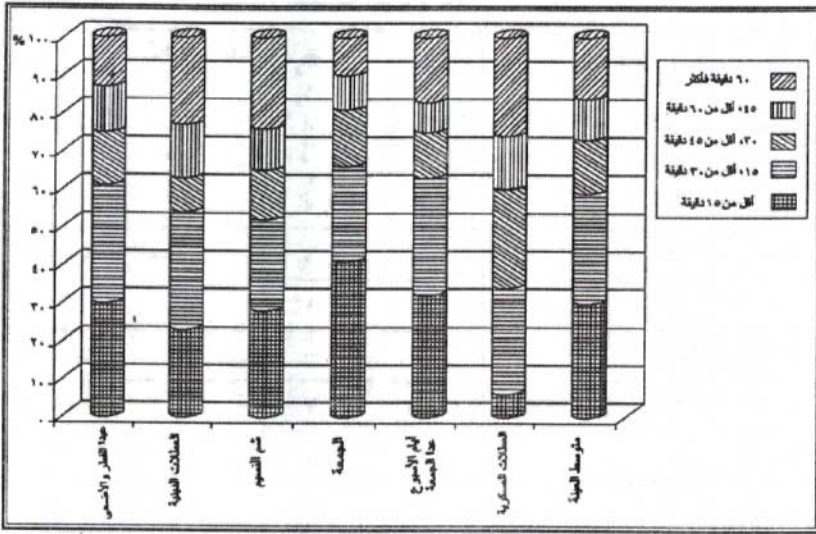
يتوقف استخدام الزائر لوسيلة النقل في رحلته الترفيهية على عدد من العوامل منها زمن الرحلة وتكلفتها (أمانى رفعت محمد، بدون ٥٨).

جدول (٩) التوزيع النسبي لعينة زائري حديقة قصر المنتزه خلال العطلات المختلفة وفقاً لزمن الرحلة عام ٢٠٠٩م.

العطلة	زمن الرحلة				
	أقل من ١٥ دقيقة	١٥ - ٣٠ دقيقة	٣٠ - ٤٥ دقيقة	٤٥ - ٦٠ دقيقة	أكثر من ٦٠ دقيقة
عيد الفطر والاضحى	٣٠	٣١	١٤	١٢	١٣
العطلات الدينية	٢٣	٣١	٩	١٤	٢٣
شم النسيم	٢٨	٢٤	١٣	١١	٢٤
الجمعة	٤١	٢٥	١٥	٩	١٠
أيام الاسوع عدا الجمعة	٣٢	٣١	١٢	٨	١٧
العطلات العسكرية	٦	٢٨	٢٦	١٤	٢٦
متوسط العينة	٣٠	٢٩	١٤	١١	١٦

المصدر: نتائج الدراسة الميدانية.

يتكلف نحو نصف حجم عينة زائري حديقة قصر المنتزه جنيهاً ونصف فأكثر في رحلتهم إلى الحديقة، وتعد تكلفة مرتفعة إذا ماتم حسابها وفقاً لمتوسط عدد أفراد الأسرة الذي يبلغ أربعة أفراد فأكثر، لنحو ثلاثة أرباع حجم عينة زائري الحديقة، إضافة إلى رسوم الدخول البالغة ستة جنيهات للفرد، ومتطلبات الرحلة من مأكولات ومشروبات وغيرها، وترتفع نسبة من يتكلفون جنيهاً ونصف فأكثر في العطلات العسكرية لتبلغ ٥٨٦%، وفي عطلة العيدين ٥٦% من حجم عينة زائري الحديقة (جدول رقم ١٠).



المصدر: جدول (٩)

شكل (٩) التوزيع النسبي لعينة زائري حديقة قصر المنتزه خلال العطلات المختلفة

وفقاً لزمان الرحلة عام ٢٠٠٩ م.

ولا تكلف الرحلة نحو ٢٧% من حجم عينة زائري الحديقة شيئاً، وهم من يأتون سيراً على الأقدام، أو من يستعملون سياراتهم الخاصة في الوصول للحديقة، وتبلغ نسبتها معاً ٣٨%.

من حجم عينة زائري الحديقة، وترتفع لتبلغ ٤٠% من حجم العينة في المناسبات الدينية، ويفسر ذلك ارتفاع نسبة من يأتون بسياراتهم الخاصة في تلك المناسبات إلى ٣٦%.



من حجم عينة الزائرين للحديقة ، وتبلغ تكلفة الرحلة لربع حجم عينة زائري الحديقة أقل من جنيه ونصف، وترتفع إلى ٣٥% من حجم العينة في عطلة نهاية السبوع (يوم الجمعة)، وباستثناء من لا تكلفهم الرحلة شيئاً فإن الحديقة تماثل الحدائق الرئيسة الأخرى تقريباً في ذلك.

جدول (١٠) التوزيع النسبي لعينة زائري حديقة قصر المنتزه خلال العطلات المختلفة وفقاً لتكلفة الرحلة عام ٢٠٠٩م.

بدون تكلفة	جنيه ونصف فأكثر	جنيه - أقل من جنيه ونصف	نصف جنيه - أقل من جنيه	رقاً من نصف جنيه	تكلفة الرحلة
					العطلة
٢٦	٥٦	٣	٩	٦	عيد الفطر والاضحي
٤٠	٤٣	٧	٩	١	العطلات الدينية
٢٨	٥٠	٢	٢٠	-	شم النسيم
٣٠	٣٥	١٠	١٨	٧	الجمعة
٢٤	٤٧	٤	٢٠	٥	أيام الاسبوع عدا الجمعة
-	٨٦	٤	١٠	-	العطلات العسكرية
٢٧	٤٩	٦	١٤	٤	متوسط العينة

المصدر: نتائج الدراسة الميدانية.

وقد تبين وجود ارتباط عكسي متوسط بين تكلفة الرحلة وعدد مرات التردد على الحديقة بلغ (-٠.٥٥)، ولا يشذ عن تلك العلاقة العكسية سوى في العطلات العسكرية (+٠.٣٨)، وربما يفسر ذلك قلة أعداد الزائرين للحديقة في تلك العطلة، وعدم تأثرهم بأي من العوامل الأخرى المؤثرة في تردد الزائرين على الحديقة، وتبلغ تلك العلاقة أداها في عطلة عيد الأضحى المبارك (-٠.٠٢)، ويرجع ذلك إلى استعداد الزائرين مادياً مسبقاً للترويح عن النفس في تلك العطلة.

٦- الصحبة في الرحلة الترفيهية Companionship In Leisure Trip :

يستحوذ زائرو الحديقة بصحبة الأسرة أو الأصدقاء معاً على نحو ٩٨% من حجم عينة زائريها، يتصدرهم الزائرون برفقة الأسرة بما يقرب من ثلثي حجم عينة الزائرين، ثم الزائرون برفقة الأصدقاء بنحو ثلث حجم عينة زائري الحديقة (جدول رقم ١١)، وبين ذلك أهمية الصحبة في الاستمتاع بالرحلة الترفيهية، وأن صحبة الأسرة والأصدقاء هي المفضلة لدى جميع زائري الحديقة تقريباً، وتشابه الحديقة مع الحدائق الأخرى في ذلك.

تبلغ رفقة الأسرة في الرحلة أعلاها في عطلتي شم النسيم ٨٠%، والعيدين ٧٢% من حجم عينة زائريها، ويفسر ذلك طلب الأسرة بجميع أفرادها الترويح والترفيه فيهما، بعكس العطلات الأخرى التي قد لا يفضل الوالدان الخروج للترفيه فيها، مما يجعل الأبناء يذهبون إلى الحديقة برفقة أصدقائهم، كالعطلات العسكرية، وعطلة نهاية الأسبوع.

جدول (١١) التوزيع النسبي لعينة زائري حديقة قصر المنتزه خلال العطلات

المختلفة وفقاً للصحبة في الرحلة عام ٢٠٠٩ م.

العطلة	الصحبة في الرحلة	ز الأسرة	ز الأصدقاء	ز الفردي	بغيره
عيد الفطر والاضحى	٧٢	٢٧	١	-	
العطلات الدينية	٥٩	٤٠	-	١	
شم النسيم	٨٠	٢٠	-	-	
الجمعة	٥٣	٤٥	١	١	
أيام الأسبوع عدا الجمعة	٥٩	٣٨	١	٢	
العطلات العسكرية	٣٤	٦٤	٢	-	
متوسط العينة	٦٢	٣٦	١	١	

المصدر: نتائج الدراسة الميدانية.

٧- التردد على الحديقة Garden Frequency:

يفضل ٥٦% من حجم العينة زيارة الحديقة في العطلات الأسبوعية (الجمعة والست)، وترتفع النسبة بين زائري الحديقة في المناسبات الدينية، وشم النسيم، والعيدين، في حين يفضل ربع حجم العينة زيارتها في العطلات الرسمية (جدول رقم ١٢).

جدول (١٢) التوزيع النسبي لعينة زائري حديقة قصر المنتزه خلال العطلات المختلفة وفقاً لعدد مرات التردد على الحديقة عام ٢٠٠٩ م.

العطلة	التردد	في الأجازات الأسبوعية (الجمعة والست)	في العطلات الرسمية	شهرياً	أسبوعياً
عيد الفطر والاضحى	٦٠	٢٩	٧	٤	
العطلات الدينية	٦٣	٢٢	٦	٩	
شم النسيم	٦٢	٣٠	٨	-	
الجمعة	٤٩	١٨	١٣	٢٠	
أيام الاسوع عداالجمعة	٥١	٢٥	١١	١٣	
العطلات العسكرية	٥٤	٤٠	٦	-	
متوسط العينة	٥٦	٢٥	١٠	٩	

المصدر: نتائج الدراسة الميدانية.

وتأتي الفترات المتقاربة نسبياً (شهرياً وأسبوعياً) في الترتيب الثالث والرابع من حيث مرات التردد ارتفاع قيمة رسوم الدخول للحديقة، مما يقلل من عدد مرات تردد الزائرين على الحديقة.



## ٨- المدة التي يقضيها الزائر في الحديقة:

يقضي ثلث حجم عينة زائري الحديقة اليوم كاملاً بها (أكثر من ٦ ساعات)، وترتفع النسبة بين زائري الحديقة في العطلات العسكرية، والعيدين، وشم النسيم، لتتراوح بين ٤٤% و ٥١%، ويرجع ارتفاع نسبة من يقضون فترة طويلة بالحديقة إلى ما يتوفر بالحديقة من خدمات متميزة، كالكافتريات والمطاعم، وأكشاك بيع إحتياجات الزائرين، والمساجد، ودورات المياه... وغيرها (جدول رقم ١٣)، إضافة إلى اتساع مسطحها الأخضر، وشاطئ مميز للبحر، ومناطق لألعاب الأطفال والكبار وأماكن للجلوس... إلخ، في حين يقضي ثلث حجم العينة فترة بين ساعتين، وأربع ساعات، وترتفع نسبة هؤلاء في غير العطلات الرسمية، وربما تكون تلك الفئة أكثر طلباً للهدوء، حيث تزدهم الحديقة بالزائرين في العطلات الرسمية،

جدول (١٣) التوزيع النسبي لعينة زائري حديقة قصر المنتزه خلال العطلات المختلفة وفقاً

للمدة التي يقضيها بالحديقة عام ٢٠٠٩م.

١ ساعات فأكثر	٤ ساعات - أقل من ٦ ساعات	٣ ساعات - أقل من ٤ ساعات	أقل من ساعتين	مدة الزيارة
٥١	٣٠	١٨	١	عيد الفطر والاضحى
٢٣	٣٥	٤١	١	العطلات الدينية
٤٥	٣٥	١٨	٢	شم النسيم
٢٢	٢٧	٤٤	٧	الجمعة
٢٤	١٦	٤٨	١٢	أيام الاسبوع عدا الجمعة
٤٤	٣٤	١٦	٦	العطلات العسكرية
٣٤	٢٨	٣٣	٥	متوسط العينة

المصدر: نتائج الدراسة الميدانية.

وأكثر من ربع حجم العينة يقضي بالحديقة بين ٤، و٦ ساعات، وتزيد عن ثلث حجم عينة الزائرين في العطلات الرسمية والأعياد، كالمناسبات الدينية، وشم النسيم، والعطلات العسكرية، حيث يبحثون عن الاستمتاع بقضاء الوقت بالحديقة، دون البحث عن الهدوء فقط، ٥% فقط من حجم عينة الزائرين يقضون فترة قصيرة بالحديقة تقل عن ساعتين.

وقد تبين وجود علاقة ارتباط موجبة ضعيفة جداً بين مرات التردد على الحديقة وقضاء التي يقضيها بها، ولكن بصورة ضعيفة جداً، وتنبه الدراسة القائمين على الحديقة بضرورة إدخال وسائل ترفيه متنوعة ومتجددة تعمل على جذب الزائرين للحديقة، خاصة من تتكرر زيارتهم على فترات متقاربة.

#### سادساً: مشكلات زيارة الحديقة

تعد حديقة قصر المنتزه أكبر الحدائق مساحة بمحافظة الإسكندرية، وأفضلها خدمات، وأيسرها وصولاً إليها، إلا أنها لا تخلو من بعض المشكلات التي تواجه زائريها في رحلتهم الترفيهية، يتصدرها عدم توافر الخدمات والتي تسبب مشكلة لنحو ٤٤% من حجم عينة زائريها في جميع العطلات والأجازات الأسبوعية تقريباً (جدول رقم ١٤)، وشكل رقم ١٠)، وتمثل تلك المشكلة في قلة أعداد دورات المياة مقارنةً بمساحة الحديقة وعدد زائريها، وقلة أعداد المساجد قياساً بمساحة الحديقة، ثم النقص الشديد للهاتف الثابت، وعدم وجود كشافات للإضاءة في ملاعب كرة القدم الخاصة بالكبار.

جدول (١٤) التوزيع النسبي لعينة زائري حديقة قصر المنتزه وفقاً للمشكلات

التي تواجههم عام ٢٠٠٩ م.

المشكلة	عدم توافر الخدمات	ارتفاع قيمة رسوم الدخول	المعاكسات	كثرة المشاجرات بين الزائرين	صعوبة الوصول	ضيق مساحة الحديقة	أسباب أخرى
عيد الفطر والاضحى	٤١	٣٤	١٤	٣	٢	١	٥
العطلات الدينية	٤٨	٣١	١٢	٢	١	١	٥
شم النسيم	٣٦	١٨	٢٣	٢٠	١	-	٢
الجمعة	٤٤	٢٢	١٦	٨	٢	٢	٦
أيام الاسوع عدا الجمعة	٤٦	٢٦	١٠	٤	٥	٢	٧
العطلات العسكرية	٣٩	٤١	١٠	٥	١	-	٤
متوسط العينة	٤٤	٢٩	١٥	٤	٢	١	٥

المصدر: نتائج الدراسة الميدانية.

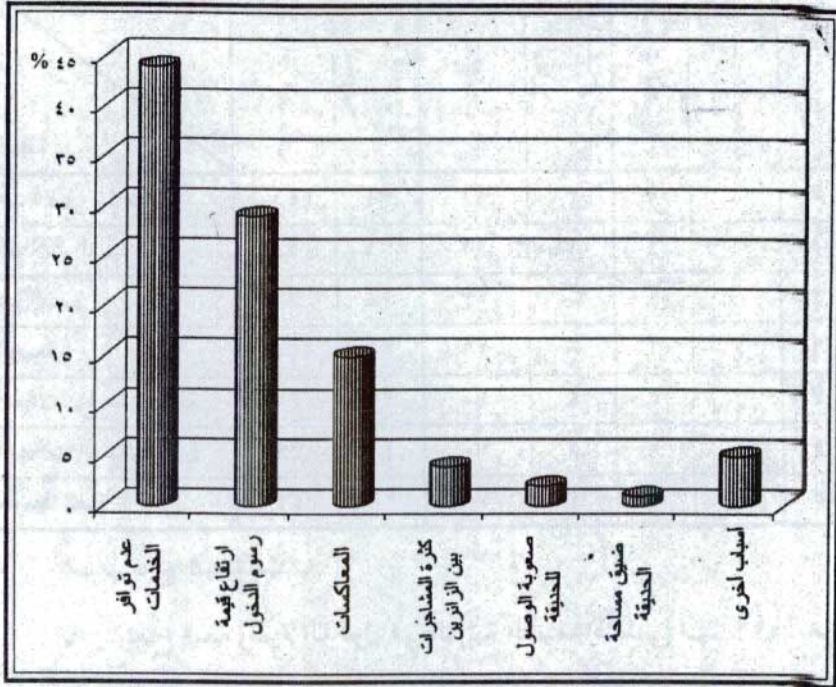
يأتي ارتفاع قيمة رسوم الدخول في المرتبة الثانية، إذ يعاني منها ٢٩% من حجم عينة زائري الحديقة، تصل إلى ٤١% من حجم العينة في العطلات العسكرية. ٣٤% في العيدين، حيث يشكل أصحاب الدخول (أقل من ١٠٠٠ جنيه) أكثر من ثلاثة أرباع حجم عينة زائري الحديقة في العطلتين، مما يجعل ارتفاع قيمة رسوم الدخول مشكلة لهم.

وتمثل المعاكسات مشكلة لأكثر من ١٥% من حجم عينة زائري الحديقة، وترتفع لما يقترب من ربع حجم العينة في شم النسيم، نظراً لتكدس الحديقة بالزائرين في هذا اليوم، في حين تنخفض حدة هذه المشكلة في العطلات الدينية، والعسكرية، وأيام وسط الأسوع، نظراً

لانخفاض كثافة الزائرين بالحديقة في تلك العطلات، وعلى الرغم من توافر دوريات راجلة وراكبة للأمن بأرجاء الحديقة على مدار اليوم، فإنها غير كافية لمنع تلك المعاكسات،



بل والتصرفات غير اللائقة والتي تؤذي مشاعر الأسر من الزائرين، خاصة في المناطق الجانية للحديقة، وأثناء الليل، حيث أن الحديقة تفتح أبوابها للزائرين طوال الأربع والعشرين ساعة.



المصدر: جدول (١٤)

شكل (١٠) التوزيع النسبي للمشكلات التي تواجه عينة زائري حديقة قصر المنتزه

عام ٢٠٠٩ م.

وتراجع المشكلات المتعلقة بالمشاجرات بين الزائرين، وصعوبة الوصول للحديقة، وضيق مساحتها، إذ تمثل مجتمعة مشكلة لنسبة قليلة من الزائرين تبلغ ٧% من حجم عينة الزائرين للحديقة، يزداد بعضها كالمشاجرات بين الزائرين في بعض العطلات كشم النسيم لتمثل مشكلة لنحو خمس حجم عينة زائري الحديقة، ويوم الجمعة لنسبة ٨%، وهي عطلات يزداد فيها ازدحام الحديقة بالزائرين، ويواجه ٥% من حجم العينة بعض المشكلات، والتي تعد ممارسة بعض الأفعال المنافية للآداب العامة من قبل بعض الزائرين

أهمها، مما يחדش حياء الزائرين، خاصة من برفقة أسرهم، وتزداد تلك الأفعال في الأيام والعطلات التي تقل فيها كثافة الزائرين، حيث تتوفر مساحات متسعة بالحديقة يمكن الاستئجار فيها، كذلك ليلاً من قبل بعض المسؤولين بالدولة الذين يأتون بسياراتهم، ويمارسون تلك الأفعال بداخلها، خاصة القلة ممن يعملون في القضاء والشرطة، وفي حالة الإعتراض عليهم من قبل دوريات الأمن بالحديقة، يتم تهديدهم والإعتداء عليهم ( نتائج الدراسة الميدانية ).

## النتائج والتوصيات

أسفرت الدراسة السابقة لحديقة قصر المنتزه بمحافظة الإسكندرية عن العديد من النتائج، نوجزها في الآتي:

- تصدر اتساع مساحة الحديقة وتنوع نباتاتها وحسن تنسيقها مقومات الجذب لزائري حديقة قصر المنتزه بنسبة ٣٠% من حجم عينة الزائرين لها، يليه توافر أماكن كافية للعب الأطفال بنسبة ١٧%، ثم قرب الحديقة من السكن وتوافر أماكن للجلوس بنسبة ١٣% لكل منهما.

- تصدر الجمعة أيام الأسبوع، وشم النسيم العطلات الرسمية، والضيف فصول السنة من حيث تدفق أعداد الزائرين إلى الحديقة، ويتطلب ذلك استعدادات كبيرة من قبل القائمين على الحديقة لاستقبال تلك الأعداد وتوفير وسائل الراحة والترفيه لهم.

- اتساع إقليم حديقة قصر المنتزه ليشمل أحياء المحافظة المختلفة عدا مركز برج العرب ومدينة برج العرب الجديدة تقريبا، إضافة إلى ثلاث عشرة محافظة وست دول عربية وأجنبية.

- يقضى ٨٦% من زائري الحديقة معظم يوم الزيارة بها، حيث يذهبون إليها منذ الصباح، تزداد تلك النسبة في جميع العطلات عدا عطلة نهاية الأسبوع ( الجمعة).

- تأتي سيارات الأجرة "التاكسي والسرفيس" في مقدمة وسائل النقل المستخدمة في وصول الزائرين إلى الحديقة، حيث يستخدمها ٣٦% من حجم عينة الزائرين، يليها السيارات الخاصة "الملاكى" بنسبة ٢٩%، في حين يصل إلى الحديقة ٩% من حجم عدد الزائرين سيرا على الأقدام.

- سهولة وصول الزائر إلى الحديقة في مدة زمنية محدودة، حيث يخدم الحديقة شبكة جيدة من الطرق ووسائل النقل المختلفة، لذلك تتصف الرحلة الترفيهية إلى حديقة قصر المنتزه بأنها قصيرة، إذ يقل زمن رحلة ٥٩% من حجم عينة الزائرين عن نصف ساعة عام ٢٠٠٩م، ومنخفضة التكلفة، حيث تقل عن جنيه ونصف/ للفرد لنحو نصف حجم عينة



الزائرين عام ٢٠٠٩م، ويعود ذلك لموقع الحديقة في منتصف إقليمها، كما يمثل قطار أبي قير وسيلة نقل لنحو ١٧% من حجم عينة زائريها، وهو يتميز بالإنسيابية والسرعة في هذا الجزء من الخط.

- تصدر الزائرون للحديقة برفقة الأسرة بنحو ثلثي حجم عينة الزائرين لها، يليهم الزائرون برفقة الأصدقاء بنحو ثلث حجم عينة زائريها.

- يتردد على الحديقة أسبوعياً نسبة ضئيلة لا تتجاوز ٩% من حجم عينة زائريها، وشهرياً ١٠%، في حين يزورها في العطلات أكثر من ٨٠% من حجم عينة زائريها، ويعزى ذلك إلى ارتفاع قيمة رسوم الدخول للحديقة.

- تعرض المسطحات الخضراء بالحديقة لعدد من المشكلات أبرزها سوء الاستخدام، والعوامل البيئية غير المناسبة، وأمراض النباتات (سوسة النخيل)، وتأتي ضرورة نشر الوعي لدى المواطنين بأهمية المسطحات الخضراء وتوفير الحماية لها من التعدي عليها.

- تصدر عدم توافر الخدمات المشكلات التي تواجه الزائرين للحديقة بنسبة ٤٤% من حجم عينة زائريها، وتمثل تلك المشكلة في قلة أعداد دورات المياه والمساجد مقارنةً بمساحة الحديقة وعدد زائريها، ثم النقص الشديد للهاتف الثابت، ويأتي ارتفاع قيمة رسوم الدخول في المرتبة الثانية، إذ يعاني منها ٢٩% من حجم عينة زائري الحديقة، في حين تمثل المعاكسات والمشاجرات مشكلة لأكثر من ١٥% من حجم عينة زائري الحديقة، ترتفع لما يقترب من ربع حجم العينة في شم النسيم، نظراً لتكدس الحديقة بالزائرين في هذا اليوم.

ملحق رقم (١) نموذج استبيان لزائري حديقة قصر المنتزه بمحافظة الإسكندرية

جامعة دمهور

كلية الآداب

قسم الجغرافية

أولاً: بيانات عامة عن الزائرين:

١- السن:

أ- أقل من ٢٠ سنة ب- من ٢٠ - أقل من ٤٠ سنة

ج- من ٤٠ - أقل من ٦٠ سنة د- ٦٠ سنة فأكثر

٢- محل الإقامة: .....

٣- الوظيفة:

أ- أعمال حرّة ب- قطاع خاص ج- حكومة وقطاع أعمال

د- بالمعاش ه- طالب و- بدون عمل

٤- عدد أفراد الأسرة:

أ- فردان ب- ثلاثة ج- أربعة

د- خمسة فأكثر

٥- الحالة التعليمية:

أ- أمي ب- يقرأ ويكتب ج- مؤهل متوسط وفوق المتوسط

د- مؤهل جامعي وفوق الجامعي

٦- الصحة في الرحلة:

أ- بمفرده ب- مع الأسرة ج- مع الأصدقاء

د- مع الجيران

٧- متوسط الدخل الشهري:

أ- أقل من ٥٠٠ جنيه ب- من ٥٠٠ - أقل من ١٠٠٠ جنيه

ج- من ١٠٠٠ - أقل من ١٥٠٠ جنيه د- ١٥٠٠ جنيه فأكثر

٨- التردد على الحديقة:

أ- أسبوعياً ب- شهرياً ج- في الأجازات الأسبوعية د- في العطلات الرسمية

ثانياً: أسباب الزيارة والمواعيد المفضلة:

١ - أسباب الزيارة:

- أ - قرب الحديقة من السكنب - اتساع مساحة الحديقة  
ج - توافر أماكن كافية للجلوسد - توافر أماكن كافية للعب الأطفال  
هـ - انخفاض رسوم الدخول  
و - توافر بعض الخدمات مثل..

ز - أسباب أخرى مثل..

٢ - المواعيد المفضلة للذهاب إلى الحديقة:

أ - صباحاً ب - مساءً

٣ - المدة التي يقضيها بالحديقة:

- أ - أقل من ساعتين ب - من ٢ - أقل من ٤ ساعاتج - من ٤ - أقل من ٦ ساعاتد - ٦ ساعات فأكثر

٤ - الخدمات المتوفرة بالحديقة:

أ - دورات مياه ب - مسجد ج - ملاعب د - مياه شربه - كافتريات و - هاتف

ثالثاً: وسيلة الذهاب وزمن الرحلة وتكلفتها:

١ - وسيلة الذهاب إلى الحديقة:

- أ - سيراً على الأقدام ب - سيارة خاصة ج - سيارة أجرة  
د - حافلة نقل عام هـ - قطار



٢- زمن الرحلة:

- أ- أقل من ١٥ دقيقة ب- من ١٥ - أقل من ٣٠ دقيقة  
ج- من ٣٠ - ٤٥ دقيقة د- من ٤٥ - أقل من ٦٠ دقيقة

هـ - ٦٠ دقيقة فأكثر

٣- تكلفة الرحلة:

- أ- أقل من ٥٠ قرشا ب- من ٥٠ قرش - واحد جنيه  
ج- من جنيه - ونصف د - حنيه ونصف فأكثر  
هـ - بدون تكلفة

رابعا: مستويات الرضا عن الحديقة:

١- مستوى الخدمات بالحديقة:

أ- جيدة ب- متوسطة

ج- مقبولة د- غير مقبولة

٢- مستوى نظافة الحديقة

أ- جيدة ب- متوسطة

ج- مقبولة د- غير مقبولة

خامسا: المشكلات والحلول:

١- ماهي المشكلات التي تواجهك في الحديقة:

أ- عدم توافر الخدمات الآتية

دورات مياه كافيتريات وسائل تسلية وترفيهه تليفون (ستترال)مسجد الأمن

ب - كثرة المشاجرات بين الزائرين

ج - المعاكسات

د - صعوبة الوصول

و- ارتفاع قيمة رسوم الدخول

ز - أخرى ..

مامقترحاتك لتحسين الحديقة:

أ- ..

ب- ..

## المصادر والمراجع

أولاً: باللغة العربية:

- أحمد محمد إمام حماد: استغلال أسطح المباني بالقاهرة لتوفير المسطحات الخضراء والخدمات الترفيهية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م.
- أحمد مصطفى عبد الحميد عبد الغفار: الحديقة الإسلامية بين المفهوم و التطبيق - انعكاسات على عمارة العالم الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، ١٩٩٥م.
- الإدارة العامة للمرور بمحافظة الإسكندرية: أعداد المركبات المرخصة بمختلف أنواعها بمحافظة الإسكندرية عام ٢٠٠٩م.
- أعضاء هيئة تدريس قسم الزهور ونباتات الزينة و تنسيق الحدائق: تنسيق الحدائق، كلية الزراعة، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٧م.
- أماني رفعت محمد وفريدة محمد مجاهد: أساسيات السياحة والفنادق، دار الهدى للمطبوعات، الإسكندرية، (بدون تاريخ).
- إنجي إبراهيم الدرويش: البعد الاجتماعي للفراغ المعماري في البيئة الحضرية "الإسكندرية"، دراسة للفراغات الخارجية المخصصة للأطفال، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة طنطا، ٢٠٠٧م.
- الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء: التعداد العام للسكان والإسكان والمنشآت، النتائج النهائية لتعداد سكان الإسكندرية، تعدادات ١٩٨٦، ١٩٩٦، ٢٠٠٦م.
- رشا حامد سيد حسن: المسطحات الخضراء في منطقة القاهرة الكبرى - دراسة في جغرافية الترويح، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ٢٠٠٤م.

- ريهام حمدي حسن عمر: تنسيق الموقع كوسيلة لإعطاء طابع مميز للفراغ الحضري "الحدائق العامة"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، ١٩٩٠م
- شركة المعمورة للتعمير والتنمية السياحية: إدارة حدائق المعمورة الشاطئ، بيان مساحة المسطحات الخضراء وأعداد نباتاتها عام ٢٠٠٩م.
- صالح على الشمرواني: استخدامات الحدائق العامة في مدينة مكة المكرمة "دراسة تطبيقية في استخدامات الأرض"، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- صلاح الدين عبد الوهاب: تخطيط الموارد السياحية، دار الشعب، القاهرة، ١٩٨٨م
- عائدة نسيم بشارة: جغرافية السياحة والترفيه كاتجاه معاصر في الدراسة الجغرافية، المجلة الجغرافية العربية، العدد الثالث عشر، القاهرة، ١٩٨١م.
- فتحي محمد أحمد أبو عيانة: جغرافية سكان الإسكندرية "دراسة ديموغرافية منهجية"، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٠م.
- محافظة الإسكندرية: إدارة الحدائق المركزية، بيان مساحة المسطحات الخضراء وأعداد نباتاتها عام ٢٠٠٩م.
- : مركز المعلومات بالمحافظة، والأحياء الست، ومركز برج العرب، بيان مساحة المسطحات الخضراء وأعداد نباتاتها عام ٢٠٠٩م.
- : إدارة حدائق مساكن ضباط طوسون، وسيدي بشر، ومصطفى كامل، بيان مساحة المسطحات الخضراء وأعداد نباتاتها عام ٢٠٠٩م.
- مجدى عبدالحميد محمد السرسى: المسطحات الخضراء في مدينة أبها جنوبى غرب المملكة العربية السعودية - توزيعها وأهم خصائصها، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، عدد ١٨٤، ١٩٩٥م.
- محمد خميس الزوكة: بعض أساليب القياس الكمية المستخدمة في الجغرافية الاقتصادية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٣م.



- : العمران العشوائي في الإسكندرية، التوزيع الجغرافي والأنماط، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد السابع و الثلاثون، ١٩٨٩م.
- : جغرافية النقل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦م.
- محمد صدقي على الغماز: جغرافية رحلة العمل اليومية" دراسة تطبيقية على بعض الشركات الصناعية بمدينة العاشر من رمضان"، مجلة كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٩٢م.
- محمد عبد القادر عبد الحميد شنيش: الجغرافية الاقتصادية - الاتجاهات والتطبيق، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١١م.
- محمد الفتحي بكير: جغرافية مصر السياحية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.
- محمد عبد القادر شنيش ونادية جابر عفيفي: مدينة دسوق - دراسة في جغرافية الترويح - دراسة حالة حديقة الأسرة والطفولة، الإنسانيات، كلية الآداب - جامعة دمنهور، العدد (٤١)، يوليو، ٢٠١٣.
- محمد محمد الغلبان: رحلة العمل اليومية، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، العدد السادس، ١٩٩٠م.
- هويدا محمد عزام: استخدام النباتات للحفظ على البيئة العمرانية من التلوث الصناعي " مع ذكر خاص لمنطقة حلوان الصناعية" رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م.
- وزارة الدولة لشئون البيئة: المركز الإقليمي بالإسكندرية، بيان قياسات الهواء عام ٢٠٠٩م
- وزارة السياحة: إدارة حديقة قصر المنتزه، بيان مساحة المسطحات الخضراء وأعداد نباتاتها عام ٢٠٠٩م.
- ثانياً: اللغة الأجنبية :

1- Clark, D., Urbangeography - An introductory guide, London, 1982.

2- Daniels, P., Service industries, growth and location, London,1982.

3- Forester, E., Alexandria - A history andguide, London,2004.

4- Hall, C, and Page,s., The geography of tourism and recreation environment, place, and space, London, and New York ,1999

ثالثاً: مواقع شبكة المعلومات الدولية

- [www.alexandria.gov.eg](http://www.alexandria.gov.eg), 2010
- [www.bibalex.org](http://www.bibalex.org), 2010.
- [www.DAR.BIBALEX,ORG](http://www.DAR.BIBALEX,ORG), 2010.
- [www.ziro3a.net/category/water-irrigation](http://www.ziro3a.net/category/water-irrigation) ,2010.
- [www.Montazah.gov.eg](http://www.Montazah.gov.eg),2010.

التحليل الجغرافي للأنماط المكانية  
لاستخدام الأرض التجاري بمنطقة  
المسجد الأحمدى بطنطا

دكتور/ مجدى محمد على حسن

مدرس الجغرافيا البشرية

معهد الدراسات الأدبية - الإسكندرية



ميدان ...  
تحت ...  
...

...  
...  
...

ترتكز المدينة بمفهومها المتعدد زمنياً ومكانياً علي ثوابت أساسية، يمكن أن نطلق علي الأول منها البناء أو المظهر الخارجي، والآخر متحرك غير ثابت قادر علي الإبداع والتطوير والتجديد هو الإنسان وما يضيفه من أنشطة اقتصادية واجتماعية متنوعة. وكلا العنصرين يتعرض إلي ضغوط داخلية وخارجية تؤثر فيهما بشكل أو بآخر قد يكون من بينها الزمن، وما يستجد علي البناء من تغير وتبدل مع مرور الوقت، والإنسان دائم التغير والتحديث نتيجة لتغير الأنشطة الإنتاجية التي يستحدثها، أو نتيجة للتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية التي يحيها.

إن مفهوم استعمالات الأرض الحضرية من المفاهيم الواسعة والمعقدة، ومهما تعددت الآراء فأنها تحدد العلاقة المتفاعلة بين الإنسان والأرض، وقد عرفت بأنها التوزيعات المكانية لوظائف المدينة المتعددة ممثلة بالوظيفة السكنية والصناعية والتجارية والخدمية والترفيهية وغيرها من الاستعمالات (عبد الصاحب ناجي رشيد البغدادي، ١٩٩٩، ص ١٠)، ومن ثم فإن دراسة استعمالات الأرض تركز علي إجراء مسح شامل وكامل للظواهر القائمة علي استعمال الأرض خلال مدة زمنية محددة، وتتبع ما يطرأ عليها من تغيرات ثم توقع ذلك علي خرائط استعمالات الأرض، ويتطلب إعداد هذا النوع من الخرائط أن يتم تحديثها من وقت إلى آخر (Rhind, D, & Hudson, R., 1980, P32).

ولعل ما يعيننا في هذه الدراسة تتبع أثر الوظيفة الدينية علي استخدام الأرض التجاري في مدينة طنطا، ومدى التغير الذي طرأ علي السكان في الربع قرن الأخير، ومدى تعلقهم بالمفاهيم الدينية والمعتقدات والمورثات الثقافية والتاريخية، وأثر ذلك علي مظاهر الاحتفاء والاحتفال بوالٍ أو شيخ طريقة. وظلت العقائد الدينية الراسخة والموروثات الدينية الثابتة أحد أهم الدوافع أو المحرك نحو تجديد فكرة الاحتفال بأولياء الله، وتقديم النذور إليهم، وإظهار الولاء والحب لهم ولأتباعهم ممثلاً في الزيارة بشكل دوري، والمساهمة بتقديم المأكولات والمشروبات.

وتسهم الدولة في بعض من هذه الأمور عن طريق العناية بالمساجد وتجديدها وتوسعتها، وجعل صناديق النذور تخضع لوزارة الأوقاف، وإقامة الاحتفالات والأُمسيات الدينية من داخلها، وجعلها قبلة ورمزاً دينياً للمحافظة أو المدينة. ويكفي أن نذكر بأن المسجد الأحمدي ركن أساسي يتوسط شعار محافظة الغربية، حيث تظهر إحدى مآذن وقبة المسجد الأحمدي، كون المسجد يشكل معلماً رئيساً في محافظة الغربية. كما تسهم الدولة ممثلة في وزارة الداخلية بتحديد مواعيد إقامة الموالد، وتحديد الساحات وأماكن التجمعات، والسهر

علي حماية الوافدين إلى هذه الأماكن من المجرمين منعاً لانتشار السرقة والنصب وغيرها من الأمور المحرمة والمخلّة بالآداب العامة.

أسباب اختيار الموضوع:

١. أهمية المدينة ومسجدها وما يحيط بهما من قدسية في نفوس الكثير من الأتباع والمريدين، وكون المدينة ومسجدها قبلة للعديد من الأنشطة التجارية والصناعية والخدمية والتعليمية، فكان هذا دافعاً مهماً لاختيار المدينة ومسجدها الأحمدي موضوعاً للدراسة.

٢. إظهار أثر المسجد الأحمدي في تكوين شخصية المدينة، وقيام العديد من الوظائف والممارسات الاقتصادية والخدمية والدينية ليس لسكان مدينة طنطا أو محيطها، بل يتعدى الأمر إلى المحافظات والمدن والقرى المجاورة.

٣. اهتمام الباحث بدراسة استخدامات الأرض الحضرية، وما ينتج عنها من ممارسات تجارية تعمل علي نشأة كيان اقتصادي لكثير من المدن، ما يجعلها تشتهر بصناعة معينة أو حرفة ما، أو بوظيفة تميزها عن غيرها من المدن دافعاً لدراسة مثل هذا النوع من وظائف المدن.

مناهج البحث وأساليبه:

تعد دراسة الاستخدامات التجارية جزء من دراسة التركيب الحضري المكاني، التي نالت حظها من الدراسة في جغرافية المدن، في إطار عدة مناهج أهمها المنهج البيئي (الإيكولوجي)، والمنهج الاجتماعي الاقتصادي التحليلي الذي يعتمد على تفسير أنماط استخدام الأرض في ضوء التنافس على أسعار الأرض وقيمتها الإيجارية، وتفسير التركيب الداخلي للمنطقة في ضوء التغيرات التاريخية التي مرت بها، والتأكيد علي منهج استخدام الأرض الحضري، والمنهج الموضوعي من خلال تحديد موضوع الدراسة، والمنهج التاريخ الحضري لتتبع استخدام الأرض في المنطقة. والموضوع برمته يدخل ضمن منهج دراسة المشكلة الذي يهتم بأسباب المشكلة وإيجاد حلول لها خاصة أن استخدام الأرض في الدراسات الجغرافية لا يعد فرعاً من فروع علم الجغرافيا، بل يسلك مسلك الجغرافيا التطبيقية والتي تأتي علي قمة الهرم الجغرافي مستفيدة من كل فروع علم الجغرافيا.

الدراسة الميدانية:

ومر البحث بعدد من الخطوات منها: التجهيز والتحضير للعمل الميداني والزيارات الاستطلاعية والحصص الميداني لاستخدامات الأرض، وعمل خرائط تفصيلية للشوارع المحيطة



بالمسجد الأحمدى والمتفرعة منه، ثم القيام بالدراسة الميدانية خلال الفترة ٢٠١٤/٥/٢٥ وحتى ٢٠١٤/٧/١٥ من خلال فريق عمل استمر على فترات متقطعة تم فيها حصر للمنشآت والمباني قيد الدراسة. ثم جاءت مرحلة حصر وتجميع وتصنيف استخدامات الأرض في شكل مجموعات حتى يتسنى توظيفها بشكل سليم.

وفي خطوة لاحقة تم الاستعانة ببرنامج ArcGis في عمليات المعالجة والتحليل المكاني، وعمل الخرائط التي تمثل النموذج المكاني لاستعمالات الأرض باستخدام أدوات التحليل الإحصائي Spatial Statistics Tools، والتحليل المكاني Spatial Analyst Tools، في واجهة Arc ToolBoxes التي تعد أهم وظائف نظم المعلومات الجغرافية، مستفيدة من وجودها ببيئة رقمية في ذاكرة الحاسب الآلي كأدوات تحليلية تمكنها من القيام بعمليات المعالجة والتحليل الإحصائي المكاني الرقمي (David J. Maguire Eds, 2005).

إن ما يهم الجغرافي عند دراسته لتوزيع الظواهر هو معرفة ما إذا كان توزيعها يُشكل نمطاً محدداً، أم أنه مجرد توزيع عشوائي، فإذا كان التوزيع يشكل نمطاً محدداً فهذا يعني أن هناك قوى وعوامل وراء هذا النمط، يسعى الباحث لإيجادها والبحث عنها، أما إذا كان التوزيع عشوائياً فذلك يشير إلى قوى الصدفة التي من الصعب تفسيرها (عبد الإله أبو عياش، ١٩٨٤، ص ١٧٢).

تساؤلات الدراسة:

وبعد العرض السابق يمكن الآن طرح عدد من التساؤلات الآتية:

- هل المسجد الأحمدى جزء من السياحة الدينية أم ركن أصيل في الوظيفة الدينية؟
- هل منطقة المسجد الأحمدى تعد النواة الأولى لقلب مدينة طنطا التجاري؟ وما هي سماته؟
- أهم أنماط استخدامات الأرض التجارية المرتبطة بالمسجد الأحمدى؟
- كيف يمكن إجراء قياسات كمية على المسجد الأحمدى لإثبات أهميتها التجارية؟

موقع مدينة طنطا:

تقع مدينة طنطا حاضرة محافظة الغربية في منتصف أرض الدلتا، في مركز يتوسط المسافة تقريباً بين فرعي النيل دمياط ورشيد، ولهذا أصبحت عقدة للنقل بين أجزاء الدلتا؛ تتجمع عندها معظم طرق النقل على اختلاف أنواعها. تبعد المدينة بمسافة ٩٤ كم عن القاهرة، ونحو ١٣٠ كم عن الإسكندرية، أدي هذا التوسط إلى بروز دور المدينة وأن تلعب

دوراً محورياً تتفرد به علي سائر مدن الدلتا (سامي إبراهيم عبد الرحمن، ١٩٩٢، ص ٩). وتعد مدينة شبين الكوم أقرب حواضر المحافظات قرباً لها (٢٧ كم) تليها مدن كفر الشيخ (٤٠ كم) والمنصورة (٦٢ كم) والزقازيق (٦١ كم).

وظنطاً عاشر مدينة في مصر من حيث حجم السكان عام ٢٠٠٦، إذ بلغ حجم سكانها ٤٢١ ألف نسمة، مقابل ٣٧١ ألف نسمة عام ١٩٨٦، وتجاوز ١٤٠ ألف نسمة عام ١٩٤٧ لتحتل به المركز الرابع، وحلت مدينة المحلة الكبرى خامساً، قبل أن تتراجع طنطا إلي المركز السادس والمحلة الكبرى سابعاً عام ١٩٦٠ بحجم سكاني ١٨٤ و ١٧٨ ألف نسمة تبعاً. ارتفع حجم سكان طنطا إلي ٢٨٣ ألف عام ١٩٧٦ لتأتي في المركز السادس خلف مدينة المحلة الكبرى (٢٩٢ ألف نسمة) (أحمد محمد عبد العال، ١٩٩٩، ص ص ٦٢-٧٥). ومنذ ذلك التاريخ تراجعت مدينة طنطا إلي مراكز متدنية خلف مدن مصرية أصبحت أكثر ثباتاً في جدول سكان المدن المصرية، والأهم أنها تأتي خلف المدينة الثانية من حيث الترتيب الوظيفي داخل محافظة الغربية.

وتبين من الحصر الميداني وجود أضرحة الشيخ عبد العال وأخواته والشيخ مجاهد وأحمد حجاب بجوار ضريح البدوي، وسيدي سالم علي بعد أمتار بشارع درب الأزهر، وبالقرب من المسجد الأحمدى مسجد البهي بشارع السكة الجديدة، وهو أقدم مساجد المدينة علي الإطلاق نزل عليه البدوي في أول الأمر، (رسمي دمر محمد دنيا، ١٩٨١، ص ٢١)، ثم مسجد مغلق للتجديد بنفس الشارع يقابله وإلي الداخل مسجد لأنصار السنة، ثم مسجد القصبي بشارع عمر زعفان، ومسجد سيدي عز بشارع الخان، ومسجد البابلي بشارع الأتر، ومسجد سيدي حمزة بشارع الأبشيهي، بالإضافة إلي جمعية خيرية ملحقة بمسجد البهي، والسبيل الأحمدى الذي بناه علي بك الكبير<sup>(١)</sup>.

ولاشك أن إقامة الاحتفال السنوي للسيد البدوي هو بمثابة سياحة دينية مرتبطة بقيمة دينية وتاريخية، بالإضافة إلي كونها سياحة موسمية تعقد وتنفض في زمن قياسي محدد سلفاً، وسياحة داخلية تعتمد علي السكان المحليين والمقيمين بالمحافظات المجاورة. كما تعد نوعاً من السياحة الدولية يفيد إلي هذا الاحتفال بعض المريدين من العالم الإسلامي. وقدّر أن طنطا

(١) ومن بين هذه الأضرحة والمساجد عبد المتعال الأنصاري وعبد الرحيم نور الدين وعلي الحامولي ومحمد العمري نوار وعريف سالم المغربي وابنته السيدة غنيمه وأحمد البابلي وعبد العال العطار والعنانية والظواهرى والرفاعى والقزاقى ومجاهد والشيخة صباح والمغربى والبهي ومسعود ويونس ماضيها والمنشاوي وأحمد حجاب والقصبي ومرزوق وعزيز فهيم وحمزة والخطيب (أنور طلب إبراهيم، ١٩٧٦، ص ٩٨).



تستقبل سنوياً من ربع إلى نصف مليون في أسبوع المولد (جمال حمدان، ١٩٧٧، ص ص ١٧٤-١٨١)، في حين ذكر البعض أن ضريح السيد البدوي يشهد أكبر حشد بشري سياحي جعله يأتي في المرتبة الثانية بعد موسم الحج في مكة يتراوح عددهم ١.٥-٢ مليون (إبراهيم علي غانم، ١٩٨١، ص ٢٦١).

والعلاقة بين الوظيفة الدينية وحياة المدن علاقة قديمة وثيقة، فالدين بطبيعته عملية جماعية، ولهذا كان الدين عاملاً أساسياً في نشأة كثير من المدن (جمال حمدان، ١٩٧٧، ص ١٧٤)، ذلك لأن خريطة استخدام الأرض في المدينة تمثل وسيلة رئيسية يلجأ إليها الجغرافيون أحياناً عند دراستهم للتركيب الوظيفي للمدينة (عبد الفتاح إمام حزين، ١٩٨٩، ص ١). وتساءل حمدان إلى أي حد تعد الوظيفة الدينية خلاقة للمدن؟ وهنا ميز بين ثلاثة درجات: الأخيرة منهم وأعلامهم التي تظل الوظيفة الدينية فيها كل شيء ومبرر الوجود ومحو النشاط، وهذه هي القلة المعدودة مثل القدس ومكة والمدينة ومدن الحج الصغرى مثل طنطا، والتي يمكن اعتبارها أيضاً من مدن الأضرحة. وينحصر نشاط المدن داخل هذا الإطار الديني الرئيسي، وبهذا الشكل استطاعت المدن الدينية أن تهيب لنشأة مدن صناعية وتجارية بمرور الزمن (فتحي محمد أبو عيانة، ٢٠١٢، ص ١٦١).

وهناك ارتباط قوي بين الثالث قلب طنطا التجاري والمسجد الأحمدى والسكة الحديد، كما ارتبط النمو العمراني للمدينة بالمسجد الأحمدى متخذاً منه انطلاقة نحو الشمال والشرق والشمال الغربي، حيث النواة الأولى، وما زالت السمات الحضارية والعمرانية للكثلة السكنية القديمة للمدينة قائمة حتى الآن بشوارعها الضيقة وأذقتها المغلقة وربوتها المرتفعة التي تقع شرق شارع السكة الجديدة وبجوار مسجد البدوي، والتي يطلق عليها "دحديرة صبرى".

كان لهذا الوضع أثره قديماً في وقوف العمران جنوباً وغرباً، حيث تحيط بالمدينة العديد من الظواهر الطبوغرافية كترعة الجعفرية ناحية الشمال الشرقي (شارع الجلاء)، وترعة القاصد (شارع الجيش)، وترعة البتانونية من ناحية الغرب. بالإضافة إلى إنشاء خط سكة حديد القاهرة - الإسكندرية جنوب المدينة وبالقرب من مسجد البدوي والتي ظهرت علي خريطة عام ١٨٨٧ (محمد محمد الغلبان، ١٩٨٧، ص ٥٣)، سرعان ما تطورت المدينة وزاد حجمها العمراني والسكاني بعد أن أصبحت حاضرة محافظة الغربية، وارتباط المدينة بالوظيفة التجارية.

أولاً: الملامح العامة لمنطقة الدراسة

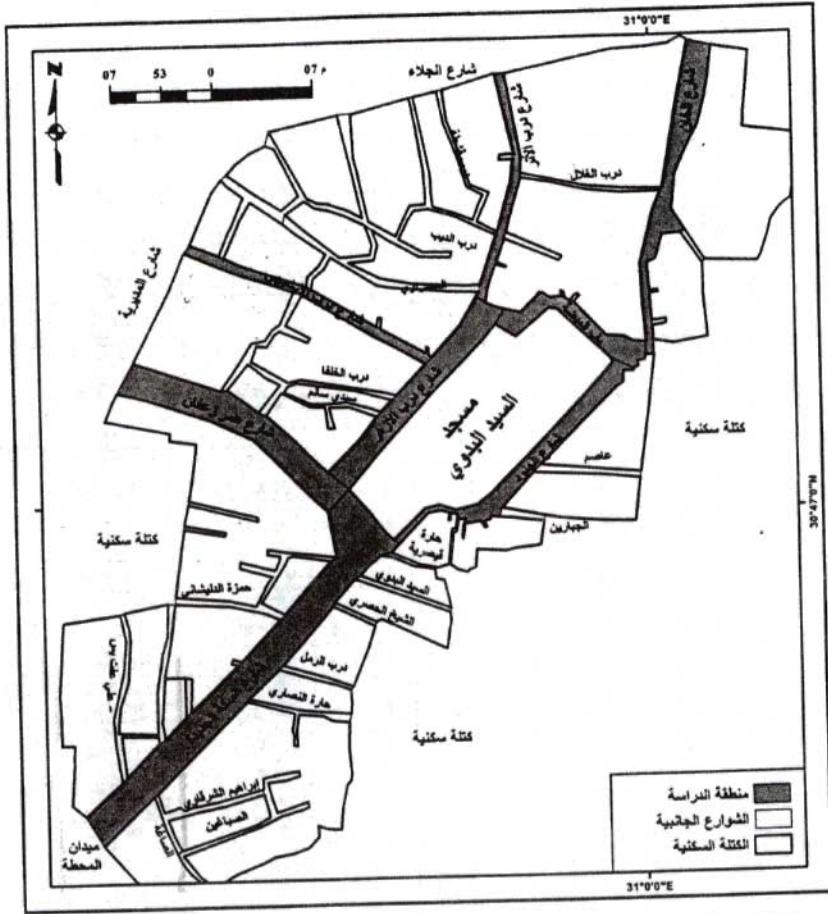


تقع منطقة الدراسة في شياختي مرزوق والبورصة، حيث يقع المسجد الأحمدي في شياخة مرزوق وإلى الجانب الشرقي من شارعي السكة الجديدة والهنود، فيما تقع شوارع الخان ودرب الأتر ودرب الأبشيهي وعمر زعفان وباب الميضة البحري والجانب الغربي من شارع السكة الجديدة في شياخة البورصة. وتشتمل منطقة المسجد الأحمدي على ٥٠٨ محلاً تجارياً، بعد استبعاد سبعة مساجد والسييل الأحمدي يصبح عدد المحال التجارية ٥٠٠ محلاً، وسوف تستبعد الدراسة الاستخدام الديني.

وتتضمن منطقة المسجد الأحمدي تسعة شوارع رئيسة يتوسطها المسجد، أكبرهم وأوسعهم وأشهرهم علي الإطلاق شارع السكة الجديدة، ذلك الشارع الذي يؤدي من محطة سكة حديد طنطا إلى المسجد مباشرة جنوباً، ومن خلاله يُرى مسجد البدوي بمآذنه وقبته النحاسية الشهيرة. يأتي من بعده شارع عمر زعفان من حيث الأهمية والاتساع، ثم شارعي درب الأزهر ودرب الأبشيهي غرباً، ثم شوارع باب الميضة البحري ودرب الأتر والخان شمالاً، وشارع الهنود شرقاً، شكل (١).

ويخضع تحديد القلب التجاري إلى مجموعة من الأسس أهمها الأنواع المختلفة للاستخدامات التجارية والتي تضم شركات التأمين والوكالات التجارية، ووكالات النقل البحري والجوي، والبنوك وعيادات كبار الأطباء، ومكاتب المحامين والمحاسبين والاستشاريين القانونيين، والمسارح ودور السينما (محمد الفتحي بكير، ١٩٩٧، ص ٦). وقد التصق قلب طنطا التجاري بالمسجد الأحمدي بوصفة قبلة الوافدين إليه، ومن ثم تقام عمليات الشراء والبيع ما بين التجار الوافدين إلى المدينة، والتجار القادمين من مدن القاهرة والإسكندرية والجيزة والمنصورة وبنها والزقازيق وكفر الشيخ وشبين الكوم وغيرهم من المدن في فترة انعقاد المولد الرجبي في شهر مايو، والمولد الكبير في شهر أكتوبر.

ويمكن تحديد القلب التجاري لمدينة طنطا بداية من شارع الصاغة مروراً بشارع السكة الجديدة ليقاطع مع سوق الحدادين والنحاسين ثم شارع الهنود إلى الغرب من المسجد الأحمدي، ثم شارع الخان الذي يتقاطع مع شارع الجلاء عروجاً على شارع البحر وشارع سعيد، ثم شارع السكة الحديد تقاطعاً مع شارع المديرية وامتداده مع شارع البورصة ليقاطع معه شارع عمر زعفان ودرب الأبشيهي ودرب الأتر مع شارع الجلاء وشارع حلقة القطن.



المصدر/ تم الرسم وتوقيع الأماكن من قبل الباحث اعتماداً على برنامجي ArcMap10.2 & Google Earth Pro Ver.7.1

شكل (١) منطقة المسجد الأحمدي وميدانه وشوارعه بمدينة طنطا عام ٢٠١٤.

ومع اتساع رقعة المدينة واتساع أنشطتها التجارية نظراً للزيادة السكانية، ظهرت نويات جديدة للقلب التجاري سواء في شكل تجمعات تجارية أو في شكل أسواق خطية، واشتهرت المدينة بعدة شوارع تخصصت في أنواع بعينها من التجارة، مثل شارع طه الحكيم الذي اشتهرت ببيع أجهزة الهواتف، وسعد الدين الذي تخصص في بيع الأدوات الكهربائية ولوازم الديكور والمواد الغذائية، وتميز شارع الأثرية بصناعة الحلويات والمواد الغذائية، وأحمد ماهر في صناعة الأحذية والملابس، وشارعي محب والنحاس في التوكيلات ومحال الملابس والبديل، وشارع ترعة الشيتي الذي يعد أكبر تجمع سكاني وتجاري بمدينة طنطا وبه جميع الخدمات التجارية والصناعية والخدمية.



## ١. مسطحات الشوارع وكثافة المحال التجارية:

يمكن التأكيد علي أن وجود تباينات في مسطحات الشوارع وأطوالها تعود إلي طبيعة البناء والنشأة الأولى لمدينة طنطا، حيث تعد منطقة المسجد الأحمدي هي النواة الأولى للمدينة، ومن ثم تميزت الشوارع بصفات تميزها عن غيرها، مما أدى إلي تدخل الجهات الحكومية من أجل توسعة الشوارع التي تحيط بالمسجد من خلال إزالة المساكن، كما في شوارع السكة الجديدة والهندود ودرب الأزهر. والمتبع لأرقام الجدول (١) والشكل (٢) يلاحظ أن أطوال شوارع المنطقة بلغت نحو ٢٣١٠ متراً، في حين بلغت مساحتها أكثر من ١٥ ألف م<sup>٢</sup>، كما تباين عرض الشوارع أيضاً، ويمكن تتبع هذا التباين من خلال تقسيم شوارع المنطقة إلي ثلاث فئات هي:

جدول (١) التوزيع العددي والنسبي لأطوال ومساحة وعرض الشوارع الرئيسية المسجد الأحمدي بطنطا عام ٢٠١٤.

الشوارع	المساحة		الطول		العرض		عدد المحال	الكثافة (°)
	(م <sup>٢</sup> )	%	(م)	%	(م)	%		
الخان	٣٩١٩	٢٥.٤	٣٦٨	١٥.٩	٦	٥.٩	٧١	١.٨
السكة الجديدة	٣٨٢٦	٢٤.٨	٥٨٧	٢٥.٤	٢٢	٢١.٦	١١٧	٣.١
الهندود	٩٠٣	٥.٨	١٨٠	٧.٨	١٢	١١.٨	٤٣	٤.٨
باب الميضة البحري	٣٨٩	٢.٥	٨٣	٣.٦	١٠	٩.٨	٢٢	٥.٧
درب الأبيهي	٢١٣٨	١٣.٨	٣٥٣	١٥.٣	٧	٦.٩	٧٣	٣.٤
درب الأتر	١٦٥٤	١٠.٧	٢٩٩	١٢.٩	٦	٥.٩	٦٦	٤.٠
درب الأزهر	٥٤٧	٣.٥	١١٣	٤.٩	١٨	١٧.٦	٢٩	٥.٣
سور المسجد	١٣٧	٠.٩	٥٩	٢.٦	٠	٠	٣٢	٢٣.٤
عمر زعفان	١٩٣١	١٢.٥	٢٦٧	١١.٦	٢٠	١٩.٦	٤٧	٢.٤
جملة	١٥٤٤٥	١٠٠	٢٣١٠	١٠٠	١٠٢	١٠٠	٥٠٠	٣.٢

المصدر/ الجدول من إعداد الباحث اعتماداً علي الدراسة الميدانية وبرنامج GIS 10.2.

- شوارع كبيرة المساحة والطول: تمثلها شارعي السكة الجديدة والخان حيث بلغت مساحتهما ٨٤١٥.٥ م<sup>٢</sup>، تمثل نصف مساحة الشوارع، في حين بلغ مجموع أطولهما نحو ٤٤٥٠ م تمثل أكثر من خمسي أطوال الشوارع، وعرضهما ٢٢ م و٦ م يمثلان ٢١.٦% و ٥.٩%.
- شوارع متوسطة المساحة والطول: تمثلها شوارع عمر زعفان ودرب الأبيهي ودرب الأتر حيث بلغت مساحتهم ٦٤٥٦ م<sup>٢</sup>، تمثل ٣٨.١% من جملة مساحة شوارع

$$(٥) \text{ كثافة المحال التجارية} = \frac{\text{عدد المحال}}{\text{مساحة الشارع}} \times ٢٣١٠٠$$



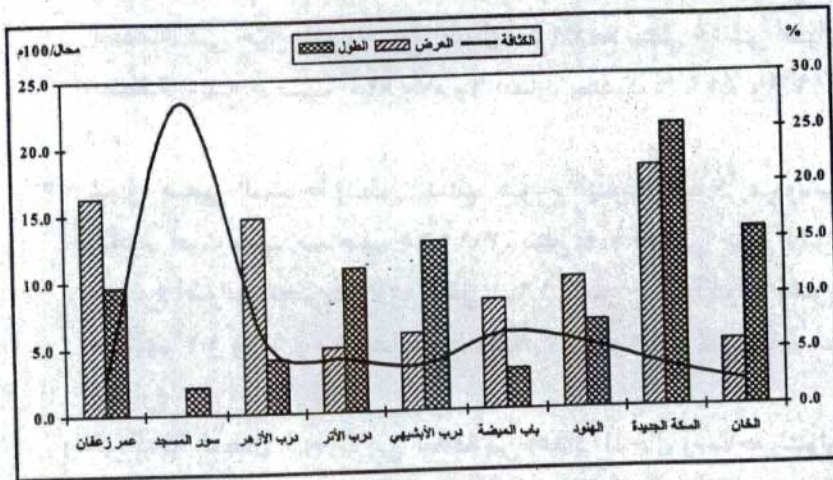
المنطقة، في حين بلغ مجموع أطوالهم ٤٣٢٥م تمثل خمسي أطوال شوارع المنطقة، وبلغ عرضهم ٢٠م و٧م و٦ أمتار، يمثلون ١٩.٦٪ و ٦.٩٪ و ٥.٩٪ تبعاً.

■ شوارع صغيرة المساحة والطول: تمثلها شوارع الهنود ودرب الأزهر وباب الميضة البحري حيث بلغت مساحتهم ٢١٩٢٥م<sup>٢</sup>، تمثل ١١.٤٪ من جملة الشوارع، وبلغ مجموع أطوالهم نحو ١٧٣٤م تمثل ١٦.١٪ من جملة أطوال الشوارع، وبلغ عرضهم ١٢ و ١٨ و ١٠ أمتار، يمثلون ١١.٨٪ و ١٧.٦٪ و ٩.٨٪ من عرض الشوارع.

وتشير كثافة المحال التجارية إلى العلاقة بين أعداد المحال ومساحة الشوارع، حيث تصل الكثافة العامة للمحال التجارية ٣ محال/٢١٠٠م<sup>٢</sup>، تصدرهم سور المسجد بكثافة ٢٣ محال/٢١٠٠م<sup>٢</sup>، وذلك لصغر مساحة المحال وقلة عرضها الذي لا يزيد علي أربعة أمتار. ويتباين التوزيع الكثافي لتلك المحال علي مستوي الشوارع كما هو موضح بالجدول (١) والشكل (٢) علي النحو التالي:

■ شوارع يزيد كثافة المحال علي ٤ محال/٢١٠٠م<sup>٢</sup>: يتصدرها شارع باب الميضة بكثافة ٦ محال، يليه شارع درب الأزهر ٥ محال لصغر مساحة المحال وأن معظم المباني حديثة ومتوسطة وبالتالي التكالب علي واجه المسجد الأحمدي، يليه شارعي الهنود ودرب الأثر بأربعة محال، وتميزان بوجودهما داخل الكتلة السكنية القديمة التي تتميز بكبر مساحة مبانيها.

■ شوارع كثافة المحال ٣ محال/٢١٠٠م<sup>٢</sup>: يمثلها السكة الجديدة ودرب الأبشيهي، ويعود ذلك إلي كون معظم المباني من النوع القديم والمتوسط، وبالتالي الاتساع النسبي لمساحة المحال التجارية، وعدم وجود فراغات بينه بين المحال.



شكل (٢) التوزيع النسبي لأطوال وعرض وكثافة المحال في شوارع المسجد الأحمدي عام ٢٠١٤.

■ شوارع كثافة المحال تقل عن ٣ محل/٢م<sup>١٠٠</sup>: تضم عمر زعفان والخان، ويتميز بكبر مساحتها وعظم طولها، وغالبية مبانيها قديمة كبيرة المساحة، أزيلت أوارها العليا، رخيصة الإيجار، وهو ما أدى إلى وجود أنواع معينة من الاستخدامات لا تتوافر في بقية الشوارع الأخرى مثل الأجهزة الكهربائية والمنزلية والأقمشة... الخ.

## ٢. توزيع المحال التجارية:

تبين من الدراسة الميدانية وجود تباين في أعداد المحال التجارية من شارع لآخر ومنطقة لأخرى سواء علي طول الشارع أو علي جانبيه، حيث بلغ أعداد المحال التجارية ٥٠٠ محلاً، يضم الجانب الأيمن ٢٥٨ محلاً تمثل ٥١.٦٪، وعلي الجانب الأيسر ٢٤٢ محلاً تمثل ٤٨.٤٪ من إجمالي المحال. استحوذ شارع السكة الجديدة علي نحو ربع عدد المحال بعدد ١١٧ محل، أكثر من نصفها علي الجانب الأيمن. في حين نجد الشوارع التي تقع إلي الشمال من المسجد والتي تضم باب الميضة والخان ودرب الأتر وسور المسجد ١٩١ محال تمثل نحو خمس عدد المحال، وعدد المحال التي تقع إلي الشرق من المسجد ممثلة في شارع الهنود ٤٣ محل تمثل ٨.٦٪، وعدد المحال التي تقع في الغرب بشوارع درب الأبيهي وعمر زعفان ودرب الأزهر ١٤٩ محل تمثل ٢٩.٨٪ من جملة محال منطقة الدراسة.

وفيما يخص الجانب الأيمن فقد تركزت المحال التجارية علي هذا الجانب بالعلامة الكاملة في شارع الهنود وسور المسجد بإجمالي ٧٥ محل، ونسب تجاوزت النصف بشارعي عمر زعفان والسكة الجديدة، وعلي الجانب الأيسر سجل شارع درب الأزهر وباب الميضة

العلامة الكاملة بعدد ٦١ محل، في حين اقتربت من الثلثين بشارع الخان، بسبب وجود منطقة فضاء كانت تمثل شركة بيع المصنوعات المصرية التي تم إزالتها، مما أعطي أفضلية للجانب الأيسر علي الجانب الأيمن، وتجاوزت النسبة النصف بشارعي درب الأبشيهي والأتر، جدول (٢) وشكل (٣).

جدول (٢) التوزيع العددي والنسبي للمحال التجارية علي جانبي شوارع المسجد الأحمدى بطنطا عام ٢٠١٤.

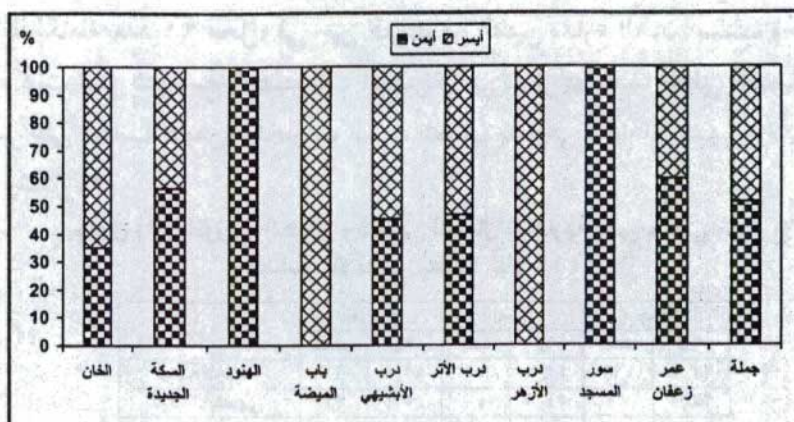
الشوارع	أيمن (°)		أيسر		جملة	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%
السكة الجديدة	٦٦	٥٦.٤	٥١	٤٣.٦	١١٧	٢٣.٤
درب الأبشيهي	٣٣	٤٥.٢	٤٠	٥٤.٨	٧٣	١٤.٦
الخان	٢٥	٣٥.٢	٤٦	٦٤.٨	٧١	١٤.٢
درب الأتر	٣١	٤٧.٠	٣٥	٥٣.٠	٦٦	١٣.٢
عمر زعفان	٢٨	٥٩.٦	١٩	٤٠.٤	٤٧	٩.٤
الهنود	٤٣	١٠٠	-	-	٤٣	٨.٦
سور المسجد	٣٢	١٠٠	-	-	٣٢	٦.٤
درب الأزهر	-	-	٢٩	١٠٠	٢٩	٥.٨
باب الميضة البحري	-	-	٢٢	١٠٠	٢٢	٤.٤
جملة	٢٥٨	٥١.٦	٢٤٢	٤٨.٤	٥٠٠	١٠٠

المصدر/ الجدول من إعداد الباحث اعتماداً علي الدراسة الميدانية.

وفيما يخص كثافة المحال التجارية علي جانبي شوارع المسجد فقد تصدر الجانب الأيمن الكثافة ثم التوزيع، حيث بلغت ٣.٧ محل/٢م١٠٠ بمساحة ٢م٦٩٨١، فيما تصدر الجانب الأيسر المساحة ٢م٨٤٦٤ ثم الكثافة ٢.٩ محل/٢م١٠٠. ومن خلال الجدول (٣) والشكل (٤) يمكن ملاحظة تصدر محال سور المسجد كثافة المحال التجارية بالجانب الأيمن بنحو ٢٣ محل/٢م١٠٠، فيما ارتفعت إلي ٥ محال تقريباً علي الجانب الأيمن لشارع الهنود، و٣ محال/٢م١٠٠ ببقية الشوارع باستثناء شارع عمر زعفان الذي جاءت كثافة محاله التجارية ٢.٦ محل/٢م١٠٠. وعلي الجانب الأيسر تصدر شارع باب الميضة ودرب الأزهر كثافة المحال بأكثر من ٥ محال/٢م١٠٠، و٣ محال لبقية الشوارع تصدرهم درب الأتر ودرب الأبشيهي والسكة الجديدة، وأقل من ذلك بشارعي عمر زعفان والخان.

(°) تم تحديد الجانب الأيمن من بداية الشارع وفي اتجاه المسجد الأحمدى.





شكل (3) التوزيع النسبي للمحال التجارية على جانبي شوارع المسجد الأحمدي عام 2014.

(3) توزيع كثافة المحال التجارية على جانبي شوارع المسجد الأحمدي بطنطا عام 2014.

الشوارع	أيمن		أيسر		جملة	
	المساحة	الكثافة	المساحة	الكثافة	نصيب المحال من المساحة (3)	المساحة
الخان	789	3.2	3130	1.5	3919	55.2
عمر زعفان	1072	2.6	860	2.2	1931	41.1
السكة الجديدة	2156	3.1	1670	3.1	3826	32.7
درب الأبيشي	1048	3.2	1091	3.7	2138	29.3
درب الأتر	876	3.6	778	4.5	1654	25.1
الهنود	903	4.8	-	-	903	21.0
درب الأزهر	-	-	547	5.3	547	18.8
باب الميضة البحري	-	-	389	5.7	389	17.7
سور المسجد	137	23.4	-	-	137	4.3
جملة	6981	3.7	8464	2.9	15445	30.9

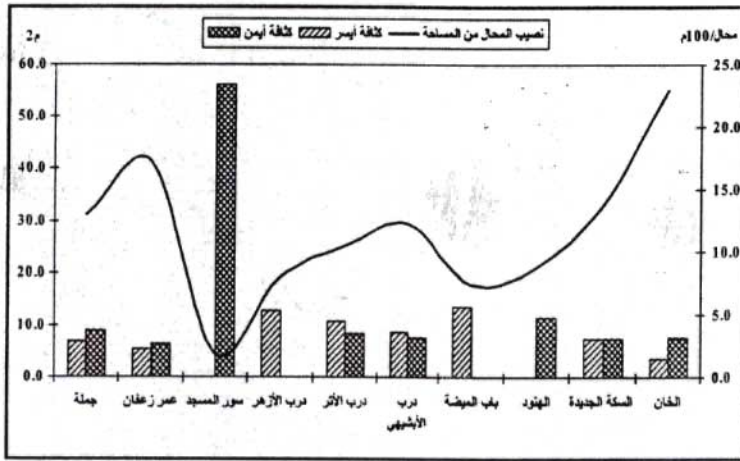
ويتبع متوسط نصيب المحال من مساحة الشوارع بلغت 2م31 كم متوسط عام لشوارع منطقة الدراسة، ارتفعت إلى 2م55 بشارع الخان، بفارق كبير عن أقرب الشوارع إليه عمر زعفان 2م41، والسكة الجديدة 2م33، وتميزت هذه المحال بمبانيها ذات المساحات الكبيرة، ومحال معينة تحتاج إلى مساحات واسعة مثل الأدوات الكهربائية والأجهزة المنزلية وغيرها. ويمكن القول بأن شوارع التي تقع إلى جنوب المسجد وشماله وغيره استحوذت على النصيب الأكبر من مساحة المحال، فإذا ما أضيف إليهم درب الأبيشي (2م29) ودرب

مساحة المحال

(\*) نصيب المحال من المساحة =

أعداد المحال

الأثر (٢م٢٥) فهذا من شأنه أن يرفع من مساحة هذه المحال في هذه المناطق. وتراجعت المساحة إلى ما دون ٢م٢٠ بشارعي درب الأزهر وباب الميضة، وأدناها في محال سور المسجد بمساحة ثابتة ٢م٤.٣.



شكل (٤) توزيع كثافة ومتوسط مساحة التجارية علي جانبي منطقة الدراسة عام ٢٠١٤.

### ثانياً: خصائص المباني بمنطقة الدراسة

تسهم خصائص المباني إلي حد كبير في تفسير خريطة استخدامات الأرض في المدن بصفة عامة والاستخدامات التجارية بوجه خاص خاصة أعمار المباني وارتفاعاتها (محمد الفتحي بكير، ١٩٩٧، ص٢٧). وتبين استخدامات الأرض تبعاً لأنواع الوظائف التي تتم في وحدات بنائية تشغل مساحات متفاوتة داخل المناطق الحضرية (فتحي محمد أبو عيانة، ١٩٨٩، ص٥٥٠). ويمكن تتبع خصائص المباني من خلال: حالات المباني ومساحتها، وارتفاعات المباني وكثافتها، أنواع المباني وخصائصها، وفيما يلي شرح لهذه العناصر الثلاث.

#### ١. حالات المباني ومساحتها:

نظراً للقصور في حصر المنشآت السكنية حسب أعمارها فقد اعتمد الباحث علي الدراسة الميدانية في تحديد حالات المباني، ومن نتائج البحث الميداني تم تقسيم شوارع المسجد الأحمدي إلي أربع حالات: قديمة جداً وقديمة ومتوسطة وحديثة. وقد غابت عن معظم مباني شوارع المنطقة صفة الحداثة والتجديد، حيث بلغت نسبة أعداد المباني الحديثة أكثر من ربع مباني المنطقة، والمباني المتوسطة ٣٣ مبني تمثل أكثر من خمس مباني منطقة الدراسة.



ورغم ارتفاع أعداد المباني القديمة جداً والتي تغطي أكثر من ثلث مباني المسجد الأحمدي ويعد ٥٨ مبني إلا أن ذلك لم يمنع من تقاسم مباني شوارع المسجد الأحمدي بين ما هو قديم وحديث، جدول (٤) وشكل (٥). ورغم ذلك فإن نسبة المباني القديمة وقديمة جداً ٥١.٣٪ لهي أقل بكثير إذا ما قُورنت بغيرها من مناطق القلب التجاري، حيث بلغت ٦٢.٧٪ في قلب الإسكندرية التجاري (عيسى علي إبراهيم، ١٩٩٣، ص ٦٧)، واقتربت من نسبة شارع لاجتية بمنطقة الإبراهيمية ٤٧.٦٪ (محمد الفتحي بكر، ١٩٩٧، ص ٢٨).

جدول (٤) التوزيع العددي والنسبي لحالات المباني علي جانبي منطقة الدراسة عام ٢٠١٤.

حالة المبني	الجانب الأيمن				الجانب الأيسر				الجملة	
	المبني		المساحة		المبني		المساحة		المبني	
	العدد	%	(٢م)	%	العدد	%	(٢م)	%	العدد	%
قديم جداً	٣٢	٥٥.٢	٣٤٢٩	٧٠.٠	٢٦	٤٤.٨	١٤٧٠	٣٠.٠	٤٨٩٩	٣٦.٣
قديم	١٠	٤٥.٥	١٢٥٣	٥٤.٥	١٢	٥٤.٥	١٠٤٧	٤٥.٥	٢٣٠٠	١٧.١
متوسط	١٠	٣٠.٣	٨٢٧	٣١.١	٢٣	٦٩.٧	١٨٢٨	٦٨.٩	٢١.٢	١٩.٧
حديث	٢٥	٥٨.١	١٨٦٥	٥١.٤	١٨	٤١.٩	١٧٦٤	٤٨.٦	٢٧.٦	٢٦.٩
جملة	٧٧	٤٩.٤	٧٣٧٤	٥٤.٧	٧٩	٥٠.٦	٦١٠٩	٤٥.٣	١٥٦	١٠٠

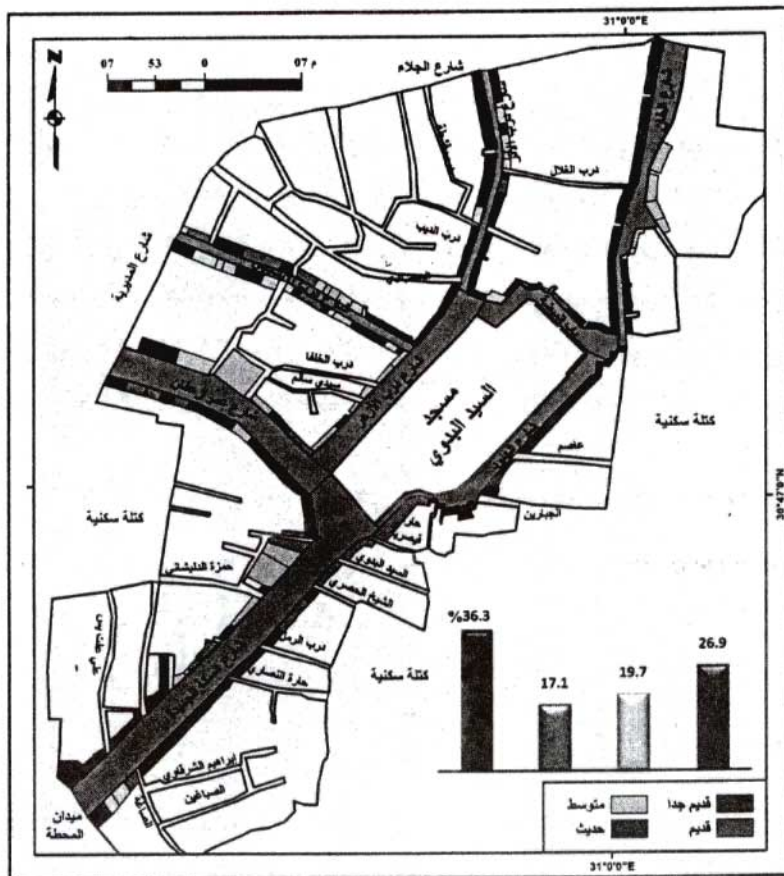
المصدر/ الجدول من إعداد الباحث اعتماداً علي الدراسة الميدانية.

واستحوذت المباني القديمة جداً علي أكثر من ثلث مساحة مباني المنطقة، فإذا ما أضيف إليها مساحة المباني القديمة بلغت ٤٣.٤٪، مع الفارق أن مساحة المباني الحديثة قد حلت ثانية خلف المباني القديمة جداً بنسبة ٢٧٪، وحلت مساحة المباني متوسط بنسبة الخمس، مما يدل علي هرم منطقة مباني منطقة الدراسة، وان ما تم استحداثه من مباني يعد قليل بالنسبة لأعداد المباني البالغة ١٥٦ مبني.

وتقاربت أعداد المباني علي جانبي منطقة الدراسة بنسبة النصف تقريباً، فيما تفوقت مساحة المباني بالجانب الأيمن إلي ٢٧٣٧٤ مبني بنسبة ٥٤.٧٪، مقابل ٢٦١٠٩ للجانب الأيسر. فيما تفوقت أعداد المباني القديمة جداً وحديث في الجانب الأيمن علي الجانب الأيسر بنسبة ٥٥.٢ و ٥٨.١٪، وتفوقت أعداد المباني متوسط وقديم بالجانب الأيسر بنسبة ٧٠ و ٥٤.٥٪ لكل منهما.

استأثر الجانب الأيمن بنحو ٧٠٪ من مساحة المباني قديم جداً يليه قديم وحديث بنسبة تزيد علي النصف، فيما تفوقت نسبة مساحة المباني متوسط بالجانب الأيسر بنحو ٧٠٪. ويدل هذا علي التماثل الكبير والمتقارب من حيث أعداد المباني ومساحتها علي جانبي شوارع منطقة الدراسة. ورغم هذا التقارب بين المباني القديمة والحديثة فإن هذا لم يعق قيام المحال بواجباتها وممارسة نشاطها التجاري المعتاد، ولكن تظل مشكلة الإيجار وما قد يستجد في هذه المنطقة من إزالة لمعظم المباني القديمة سواء من قبل المحافظة أو الأفراد ما يدعو إلي تغير نوع النشاط وتباينه في هذه المنطقة مع السنوات القادمة.





شكل (٥) توزيع حالات المباني بمنطقة المسجد الأحمدي بمدينة طنطا عام ٢٠١٤.

## ٢. أعداد طوابق المباني وكثافتها:

تتصف منطقة القلب التجاري بقلة أعداد طوابق بنايتها، حيث تميل إلى الارتفاع المحدود الذي يتراوح بين ٣-٤ طوابق خاصة المباني السكنية القديمة التي بنيت مع نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وهذا ما ينطبق ويسود غالبية شوارع المنطقة التي تعبر عن منطقة القلب التجاري بامتياز. وقد أعقب ذلك تردي حالة المبني وإزالة طوابقه العلوية ولم يتبق سوى الطابق الأرضي فقط، ورصدت نتائج الدراسة الميدانية عدة مؤشرات عن ارتفاعات الطوابق في شوارع المسجد الأحمدي وأثرها على الاستخدام التجاري تبدو من الجدول (٥) والشكل (٦).

ويغلب علي منطقة الدراسة صفة الطابق الواحد (الطابق الأرضي) وذلك بعد إزالة معظم طوابق المباني قديم جداً بشوارع السكة الجديدة والخان ودرب الأتر وباب الميضة البحري مما رفع عدد المباني إلي ٤٧ مبني تمثل ثلث حالات ارتفاعات الطوابق، فإذا ما أضيف إليهم الطابقين الثاني (١٢) والثالث (١٥) لارتفع العدد إلي ٨٠ طابق تمثل نصف أعداد الطوابق من الرابع إلي الثاني عشر. يذكر أن المباني التي يتراوح عدد طوابقها بين ٢-٣ طابق لم تزد عن ٢٦ مباني تمثل ١٦.٦٪، مما يدل علي سيادة ظاهرة الطابق الأول. جاءت ثاني أعلي نسبة بين الطوابق في الطابق السادس فأكثر بنسبة تزيد علي الربع بعدد ٤٤ مباني، فيما حملت الطوابق ٣-٤ بعدد ٣٩ مباني تمثل نحو ٢٤٪، ويعود ذلك إلي تركيز الطوابق العلوية في المباني الحديثة في شارع عمر زعفان ودرب الأبيهي وتلاقي شارع درب الأتر مع شارع الجلاء.

جدول (٥) أعداد طوابق المباني وكثافتها علي جانبي شوارع المسجد الأحمدي عام ٢٠١٤.

الكثافة	المساحة		المبني		حالة المبني
	%	(م <sup>٢</sup> )	%	العدد	
١.١	٣٢.٢	٤٣٣٦	٣٢.٥	٤٧	طابق
١.١	١٧.٤	٢٣٥٢	١٦.٦	٢٦	٣-٢
١.١	٢٦.٠	٣٥١٠	٢٣.٩	٣٩	٥-٤
١.٣	٢٤.٤	٣٢٨٥	٢٧.٠	٤٤	ستة فأكثر
١.٢	١٠٠	١٣٤٨٣	١٠٠	١٥٦	جملة

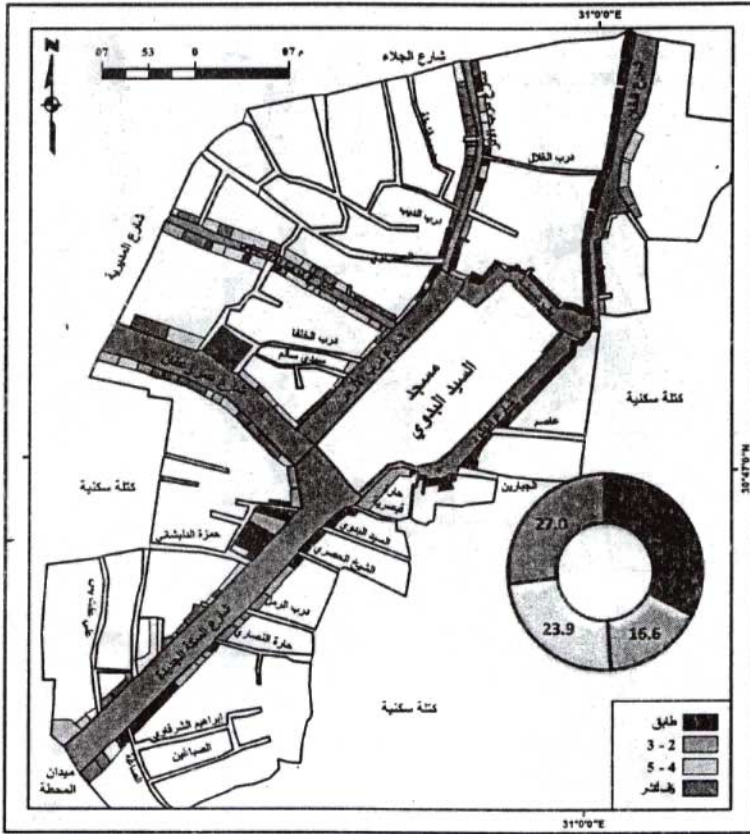
المصدر/ الجدول من إعداد الباحث اعتماداً علي الدراسة الميدانية.

تصدرت مساحة المباني ذات الطابق الأول مساحات جميع الطوابق بمساحة تزيد علي أربعة آلاف متر مربع بنسبة تقترب من الثلث، وتتفق إلي حد كبير مع نسبة أعداد الطوابق، تليه مساحة المباني التي يتراوح عدد طوابقها بين ٤-٥ طابق بمساحة ثلاثة آلاف ونصف م<sup>٢</sup> بنسبة تزيد علي الربع، ثم المباني ذات الستة طوابق فأكثر بنسبة الربع، وتذيلت المباني التي يتراوح عدد طوابقها بين ٢-٣ طابق بمساحة ٢م<sup>٢</sup>٣٥٢ بنسبة ١٧.٤٪.

وبالنظر إلي كثافة المباني لكل ٢م<sup>٢</sup>١٠٠ نجد أن الكثافة العامة علي مستوي الشوارع قد بلغت ١.٢ مبني/٢م<sup>٢</sup>١٠٠، والحال كذلك علي مستوي جانبي الشارع، في حين نجد أن المباني ذات الستة طوابق فأكثر جاءت كثافتها ١.٣ مباني/٢م<sup>٢</sup>١٠٠ مما يدل علي صغر مساحة هذه المباني وقلة واجهتها علي شوارع منطقة الدراسة، وسجلت بقية الطوابق كثافة ١.١ مبني/٢م<sup>٢</sup>١٠٠.

٣. أنواع المباني وخصائصها:

لا يمكن تحليل توطن أي نوع من استخدامات الأرض وتوزيعه مثل الاستخدام الصناعي أو التجاري أو السكني علي حده إلا في حالة فحص هذه الاستخدامات في مجملها، ذلك لأن الصراع علي أشده بين الأنماط المختلفة من الاستخدامات الوظيفية علي شغل هذا المكان في المدينة بالإيجار أو الملكية (فتحي محمد مصلحي، ٢٠٠٠، ص ٣٤٤). ويمكن فهم طبيعة أنواع المباني بمنطقة المسجد الأحمدي من خلال تصنيفها إلي الأنواع الواردة بالجدول (٦) والشكل (٧).



شكل (٦) توزيع أعداد طوابق المباني بمنطقة المسجد الأحمدي بطنطا عام ٢٠١٤.

استحوذت المباني التي تصنف علي أنها استخدام سكنية كصفة غالبية في معظم الطوابق علي ٧٧ مبني تشكل نصف مباني شوارع الدراسة، يليها الاستخدام التجاري بعدد ٧٢ مبني تمثل ٤٦.٢٪، فيما ذهبت النسبة الباقية إلي الاستخدام الفندقية، الذي يمكن اعتباره نوعاً





يليهما الاستخدام الفندق بعدد ٤ فنادق بمساحة ٢م٧٣٦ تمثل عشر مساحة استخدام الجانب الأيمن. فيما تبادلت المباني التي يغلب عليها الطابع التجاري والسكني موقعهما ولكن بفارق ضئيل علي الجانب الأيسر، فيما كان الفارق واضحاً في المساحة التي بلغت نحو ثلاثة آلاف م٢ وألفان وستمائة م٢ علي الترتيب.

بلغ معامل الارتباط بين الاستخدام التجاري وحالة المبني قديم جداً ٠.٧١. وهو معامل ارتباط طردي قوي يدل علي ارتباط الاستخدامات التجارية بالطوابق الأرضية في منطقة الدراسة، وكان المعامل طردي قوي جداً بين الاستخدام السكني والمباني المتوسطة والحديثة حيث بلغ ٠.٨١، فيما كانت العلاقة الارتباطية عكسية وضعيفة بين الاستخدام الفندقية والمباني الحديثة بلغت -٠.٣٧. نظراً لوجود فندق واحد فقط هو فندق عرفة في شارع السكة الجديدة، ومعظم الفنادق الموجودة في المباني القديمة. جاء معامل الارتباط بين أعداد الطوابق والاستخدامات علي النحو التالي: الطابق الأرضي والاستخدام التجاري ٠.٨٨ طردي قوي، و الاستخدام السكني والطوابق العليا التي تزيد علي ٦ طوابق -٠.٨١ عكسي قوي، وعكسي ضعيف بين الاستخدام الفندقية والطوابق ٢-٣ بلغ -٠.٨٤.

ثالثاً: خصائص شوارع منطقة الدراسة

أظهرت الدراسة الميدانية وجود ٥٠٨ استخدام أرضي، منهم ثمان مساجد، توزعت علي منطقة الدراسة بمتوسط ٥٦ استخدام أرضي بما فيها محال سور المسجد، وطبقاً للتوزيع المكاني تصدرت شوارع درب الأبشيهي ودرب الأتر وعمر زعفان التي تقع غرب المسجد علي ١٨٦ محلاً تجارياً يمثلون أكثر من ثلث الاستخدام التجاري، فيما حلت شوارع الخان وباب الميضة البحري وسور المسجد التي تقع شمال المسجد ثانية بعدد ١٥٤ محلاً يمثلون ٣٠.٨% من جملة الاستخدام التجاري، يليهم شارع السكة الجديدة الذي يقع جنوب المسجد بنسبة تقترب من الربع، وجاء شارع الهنود الذي يقع شرق المسجد بعدد ٤٣ محلاً يمثلون أقل من عشر الاستخدام التجاري.

#### ١. حالات مباني المحال التجارية:

تؤدي التباينات المكانية للمحال التجارية إلي إظهار الأهمية النسبية لها، وإمكانية الاستفادة القصوى من موقعها علي تقاطعات الشوارع الرئيسية والفرعية وبين الفراغات البينية، من منطلق الأهمية التجارية التي تمارسها المحال، مما يصنع نوعاً من التخصص المكاني يمكن أن نطلق عليه التوزيع السطحي المحدد. وقد تباينت استخدامات المباني طبقاً لأنواع



المحال التجارية علي مستوي شوارع المسجد الأحمدي من شارع لآخر، حيث أمكن تحديد بعض الملاحظات علي توزيع المحال التجارية طبقاً لحالة المبني كما في الجدول (٧) والشكل (٨) جاءت كالتالي:

\* بلغت أعداد المحال التجارية الموجود بالمبني قديم جداً ١٩٨ محلاً تمثل خمسي المحال بمنطقة الدراسة، فإذا ما أضيف إليهم محال المباني القديمة والبالغة ٧٦ محلاً لارتفع عددها إلي ٢٧٤ محلاً بنسبة تجاوزت نصف الاستخدام التجاري بمنطقة الدراسة. فيما حلت المحال الموجودة في المبني حديث ثانياً بعدد ١٤٤ محلاً تمثل أكثر من ربع مباني الاستخدام التجاري، ومحال المبني متوسط بعدد ٨٢ محلاً تمثل ١٦.٤٪ من جملة أعداد المحال.

\* ضمت حالة المبني قديم جداً الاستخدام التجاري بشارعي الهنود وباب الميضة بنسبة ١٠٠٪، تبعهم شارع الخان بنسبة تجاوزت ٨٠٪، وهي شوارع يغلب عليها المباني التي بنيت مع نهاية القرن التاسع عشر والتي تميزت مبانيها بالاتساع ومساحاتها الواسعة مما انعكس علي اتساع مساحة المحال التجارية، تجاوزت النسبة الثلث بشارعي درب الأتر والأزهر، والرابع بشارع السكة الجديدة.

جدول (٧) توزيع حالات المباني حسب الاستخدام التجاري بمنطقة الدراسة عام ٢٠١٤.

جملة	حديث		متوسط		قديم		قديم جدا		حالة المبني
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	
٧١			١٨٠٣	١٣			٨١٧	٥٨	الخان
١١٧	٢٣.١	٢٧	٩.٤	١١	٤٠.٢	٤٧	٢٧.٤	٣٢	السكة الجديدة
٤٣							١٠٠	٤٣	الهنود
٢٢							١٠٠	٢٢	باب الميضة البحري
٧٣	٣٤.٢	٢٥	٣٢.٩	٢٤	٢٣.٣	١٧	٩.٦	٧	درب الأبيهي
٦٦	٤٥.٥	٣٠	١٣.٦	٩	٣.٠	٢	٣٧.٩	٢٥	درب الأتر
٢٩	١٣.٨	٤	٥١.٧	١٥			٣٤.٥	١٠	درب الأزهر
٣٢	١٠٠	٣٢							سور المسجد
٤٧	٥٥.٣	٢٦	٢١.٣	١٠	٢١.٣	١٠	٢.١	١	عمر زعفان
٥٠٠	٢٨.٨	١٤٤	١٦.٤	٨٢	١٥.٢	٧٦	٣٩.٦	١٩٨	جملة

المصدر/ الجدول من إعداد الباحث اعتماداً علي الدراسة الميدانية.

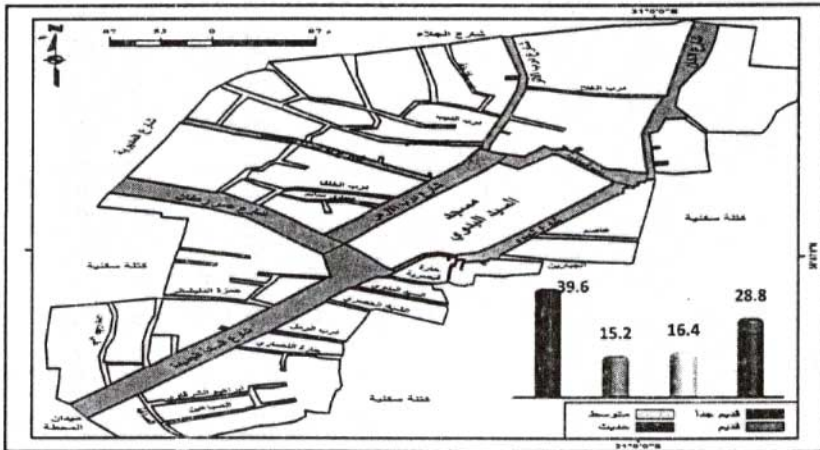
\* جاءت استخدامات الأرض بالمباني القديمة التي بنيت مع الربع الأول من القرن العشرين في أربعة شوارع تصدرهم السكة الجديدة بعدد ٤٧ محلاً تمثل خمس المحال التجارية، يليه شارع درب الأبيهي بعدد ١٧ محال يمثلون نحو ربع المحال، يليه شارع عمر زعفان بعشر المحال. فيما توزعت الاستخدام التجاري بالمباني المتوسطة علي ستة شوارع كان أعلاهم شارع درب الأزهر بنسبة تجاوزت النصف، وشارع درب الأبيهي بنسبة تقترب من الثلث، ثم شارع عمر زعفان بنسبة تجاوزت الخمس. وشهدت هذه الشوارع حركة بناء واسعة



منذ منتصف القرن الماضي جاءت استجابة لحركة الهدم والتوسعة التي أتبعها محافظة الغربية لتوسعة الشوارع المحيطة بالمسجد.

\* تصدرت محال سور المسجد نسبة ١٠٠٪ من جملة المباني الحديثة بمنطقة المسجد الأحمدي نظراً لحدائثة مبانيها، حيث تميزت بثبات مساحتها (٣.٤م<sup>٢</sup>) وتصميمها وزخرفاتها الإسلامية التي تناسب المسجد. وبعيداً عن سور المسجد؛ غلب علي أكثر من نصف استخدامات الأرض بشوارع عمر زعفان صفة المباني الحديثة نتيجة لإزالة معظم المباني القديمة من الشارع. ورصدت الدراسة الميدانية عمليات التشطيب لبعض مباني الشارع، كما رصدت عمليات التعلية المستمرة لبعض المباني الحديثة والمتوسط في أعقاب ثورة يناير، نتيجة لغياب المؤسسات وتقاعس المسؤولين بحي ثان طنطا عن إزالة الطوابق المخالفة. وشهد شارعاً درب الأتر ودرب الأبيهي عمليات إحلال وتجديد لكثير من المباني القديمة، وعمليات تعلية لبعض المباني في أعقاب ثورة يناير بالجانب الأيسر من الشارعين. كما شهد شارعاً السكة الجديدة ودرب الأزهر موجه من البناء ولكن في صورة محدودة.

\* تركزت المباني الحديثة علي أطراف شوارع درب الأتر ودرب الأبيهي وعمر زعفان والسكة الجديدة لاعتبارات القيمة الإيجارية وأهمية وقيمة المكان، مع زيادة الطلب علي هذه المباني لاستغلالها في المنشآت التجارية المختلفة سواء في الطابق الأرضي أو الطوابق العلوية، فيما تركزت بصورة جلية في منتصف شارعي درب الأتر وعمر زعفان لأسباب تجارية بحيث سيرو ذكرها لاحقاً.



شكل (٨) توزيع حالة المباني حسب الاستخدام التجاري بمنطقة الدراسة عام ٢٠١٤.

٢. أعداد طوابق المحال التجارية:

توقف طبيعة المباني وارتفاعاتها علي عدة أمور من بينها ارتفاع ثمن الأرض ومدى توفرها، وزيادة الطلب عليها، وأهميتها التجارية لوقوعها في منطقة القلب التجاري، والإقبال علي شراء الطوابق وتأجيرها لاستخدامات تجارية مثل البنوك والمؤسسات القانونية ومكاتب المحاماة والمحاسبين، والعيادات والمراكز الطبية ومعامل التحاليل وغيرهم، مما يدفع في اتجاه الاستثمار الأنسب للتوسعات الرأسية للمبني مستفيدة من أمرين: الأول قلة المعروض في سوق العقارات "المخزون العقاري"، والآخر تحقيق أكبر قدر من الربحية نظير توفير الوحدات السكنية.

وشهدت منطقة الدراسة عدة تناقضات في هذا الأمر: ففيما يسير الاتجاه العام في مناطق القلب التجاري إلي الفراغ السكني نجد ارتفاع نسبة الاستخدام السكني ومنافسة نظيره التجاري، استحوذت المباني القديمة ذات الطابق الواحد علي غالبية الشوارع بنسبة بلغت ٤٣.٥٪، في حين أن تحديث المبني وزيادة أعداد طوابقه اقتضرت علي ١٠٪ فقط من المباني التي تزيد علي ٧ طوابق فأكثر، تميز الشوارع القديمة نوعاً ما بغلبة الطابق الواحد فيما شهدت الشوارع الحديثة مجازاً ارتفاعاً في أعداد طوابقها. ومن قراءة الأرقام الواردة بالجدول (٨) والشكل (٩) تم رصد بعض النتائج جاءت كالتالي:

جدول (٨) توزيع أعداد الطوابق حسب الاستخدام التجاري بمنطقة الدراسة عام ٢٠١٤.

عدد الطوابق	طابق		٣-٢		٥-٤		٦ فأكثر	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
الخان	٤٨	٦٧.٦	١٠	١٤.١	١١	١٥.٥	٢	٢.٨
السكة الجديدة	٤٨	٤١.٠	٢٥	٢١.٤	١٥	١٢.٨	٢٩	٢٤.٨
الهنود	٤٢	٩٧.٧	١	٢.٣				
باب الميضة البحري	١٧	٧٧.٣	٣	١٣.٦	٢	٩.١		
درب الأبيهي	٢	٢.٧	٩	١٢.٣	٣٦	٤٩.٣	٢٦	٣٥.٦
درب الأتر	١٥	٢٢.٧	٩	١٣.٦	١٧	٢٥.٨	٢٥	٣٧.٩
درب الأزهر	٩	٣١.٠	١	٣.٤	١١	٣٧.٩	٨	٢٧.٦
سور المسجد	٣٢	١٠٠						
عمر زعفان			٤	٨.٥	٢١	٤٤.٧	٢٢	٤٦.٨
جملة	٢١٣	٤٢.٦	٦٢	١٢.٤	١١٣	٢٢.٦	١١٢	٢٢.٤

المصدر/ الجدول من إعداد الباحث اعتماداً علي الدراسة الميدانية.

\* سادت الارتفاعات ذات الطابق الواحد بمحال سور المسجد بنسبة ١٠٠٪ كونها محال صغيرة، واقتربت من ١٠٠٪ في شارع الهنود، وتجاوزت ثلاثة أرباع أعداد الطوابق بمحال شارع باب الميضة البحري بصورة متصلة لا يقطعه سوي بعض الطوابق الثاني والثالث، وتجاوزت الثلثين بشوارع الخان خاصة الجانب الأيمن وبداية الشارع من ناحية المسجد، وزادت عن الخمسين بمحال السكة الجديدة بعد شارع الصاغة، وبالقرب من شارع المسجد



الأحمدي والأكشاك الموجودة بجوار مسجد البهي، وأكثر من الخمس بمحال درب الأتر واقتربت من الثلث بمحال درب الأزهر.

\* تقل أعداد المحال بالمباني التي تتراوح بين ٢-٣ طابق بجميع الشوارع؛ حيث زادت عن الخمس بشارع السكة الجديدة قرب المسجد الأحمدي خاصة جانبه الأيمن، وأكثر من ١٥٪ بشوارع الخان ودرب الأتر وباب الميضة ودرب الأبشيهي، وأقل من العشر ببقية محال الاستخدام التجاري.

\* بلغت المحال التجارية الموجودة بالمباني التي تتراوح بين ٤-٥ طابق ١١٣ محل تمثل أكثر من خمس عدد الطوابق، اقتربت من النصف بشارع درب الأبشيهي وأكثر من الخمسين بشارع عمر زعفان وما يزيد علي الثلث بشارع درب الأزهر والرابع بشارع درب الأتر وجاءت هذه الأعداد من الطوابق استجابة لعمليات الإحلال والتجديد في مباني هذه الشوارع والتي تميزت بحدائتها.

\* بلغت أعداد المحال التجارية الموجودة بالمباني التي تزيد علي ٦ طوابق ١١٢ محل، تمثل أكثر من خمس عدد الطوابق، فإذا ما أضيف إليهم المجموعة السابقة ارتفعت النسبة إلي ٤٤٪ من جملة منطقة الدراسة، جاء هذا الارتفاع في المباني الحديثة بشارع عمر زعفان (٤٦٪) ودرب الأتر والأبشيهي والأزهر والسكة الجديدة، وهذا يتفق مع سياسية البناء والاستفادة القصوى من أهمية المكان وقربه من المسجد الأحمدي. جدير بالذكر أن أعداد المباني التي تجاوزت ١٠ طوابق فأكثر لا تكاد تذكر، حيث بلغت ٦ مبان بشارع درب الأتر شمال المسجد، و١٢ طابق بخمسة مبان بشارع عمر زعفان غرباً، وشهد الشارع تعليية حديثة بالطابقين ١١ و١٢ بعدد ٢ مبني. أما فندق عرفة بشارع السكة الجديدة والمقابل لمحطة القطار أحد أهم فنادق طنطا فلم يزد علي تسعة طوابق هو والملحق الجديد بجواره، ومبنيان بواجهة معدنية بشارع درب الأتر.





التجارية خارج القلب (Rhind & Hudson, 1980, p175). ويختلف التنظيم المكاني لاستخدامات الأرض من منطقة لأخرى داخل المدينة الواحدة، كما يختلف من مدينة لأخرى (Kirby, A. & Others, 1999, pp22-29). ويجب ملاحظة أنه لا يوجد تصنيف محدد لاستخدامات الأرض يناسب جميع احتياجات المدن، وكانت أول محاولة في هذا الصدد من جانب "هالاند باثولوجيو" عام ١٩٥٥ ببعض المدن الأمريكية. وقدمت بعض المنظمات المهنية للتخطيط تصنيفاً آخر يعتمد علي خصائص ومزايا استخدامات الأرض والتي وضعت في مجموعتين: خصائص وظيفية، وخصائص أخرى (Norhtam R., 1975, p173).

وبشكل عام يمكن تصنيف استخدامات الأرض في المدن إلى ست فئات هي: أغراض السكن وأغراض صناعية وأغراض تجارية وأغراض طرق واستخدامات عامة وشبه عامة وأراضي فراغ، ولأن منطقة المسجد الأحمدي منطقة تجارية في المقام الأول؛ فقد اتبع الباحث تصنيفاً آخر بتقسيم منطقة الدراسة إلي أربعة استخدامات: التجاري والسكني والفندقي والديني، حيث غابت بقية الاستخدامات الأخرى عن المنطقة تماماً، ويستثني من ذلك العاملين بتصنيع القصب النحاسية المستخدمة بمآذن المساجد والمنابر، وتصليح الأواني المعدنية من الألمنيوم فيما يعرف بحارة النحاسين.

وباستقراء الجدول (٩) والشكل (١٠) تبين استحوذ المباني التي يغلب عليها الاستخدام التجاري علي أكثر من نصف المحال التجارية بعدد ٢٩٢ محلاً، سجل شارع الهنود شرق المسجد علي العلامة الكاملة، وتجاوزت ٩٠٪ بالشوارع التي تقع شمال المسجد ممثلة في سور المسجد وشارعي باب الميضة والخان وأكثر من الثلث بشارعي درب الأتر. في حين لم تزد نسبة شارع السكة الجديدة الذي يقع جنوب المسجد عن ٣٢٪ من جملة الاستخدامات، وتراوح بين النصف والثلث بالشوارع التي تقع غرب المسجد الأحمدي ممثلة في درب الأبشيهي وعمر زعفان ودرب الأزهر.

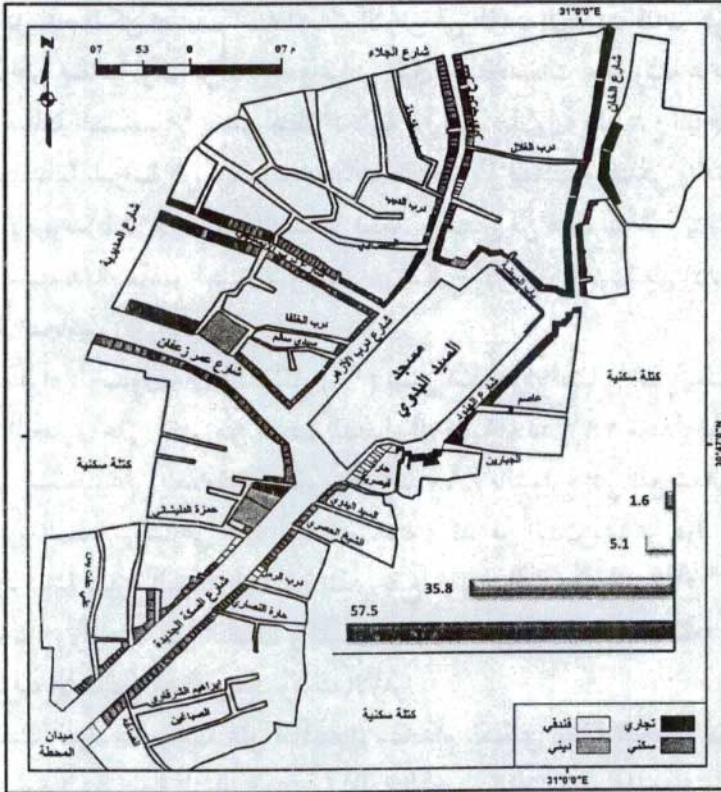
وكشفت الدراسة الميدانية علي منافسة الاستخدام السكني لنظيره التجاري بنسبة ٣٦٪ بعدد ١٨٢ محال بمنطقة الدراسة، نتيجة لغلبة المحال التجاري أسفل مباني الاستخدام السكني كما في شارع درب الأزهر بنسبة تقترب من الثلثين، يليه مباني شوارع عمر زعفان ودرب الأتر والأبشيهي غرباً، وبنسبة تجاوزت النصف بشارع درب الأتر، وأقل من النصف بشارع السكة الجديدة.

جدول (٩) توزيع استخدامات المباني حسب الاستخدام التجاري بمنطقة الدراسة ٢٠١٤.



نوع المبنى		تجاري		سكني		فندق		ديني	
العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
الخان	٦٥	٩١.٥	٦	٨.٥					
السكة الجديدة	٣٨	٣١.٩	٥٨	٤٨.٧			٢١	١٧.٦	٢
الهنود	٤٣	١٠.٠							
باب الميضة البحري	٢٢	٩٥.٧							١
درب الأبيشيهي	٣٧	٤٩.٣			٣٦	٤٨.٠			٢
درب الأتر	٢٥	٣٦.٨			٣٦	٥٢.٩	٥	٧.٤	٢
درب الأزهر	١٠	٣٤.٥			١٩	٦٥.٥			
سور المسجد	٣٢	١٠.٠							
عمر زعفان	٢٠	٤١.٧			٢٧	٥٦.٣			١
جملة	٢٩٢	٥٧.٥	١٨٢	٣٥.٨			٢٦	٥.١	٨

المصدر/ الجدول من إعداد الباحث اعتماداً علي الدراسة الميدانية.



شكل (١٠) توزيع الاستخدام التجاري حسب نوع المباني بمنطقة المسجد الأحمدي ٢٠١٤. واقتصر الاستخدام الفندقية علي شارعي السكة الجديدة بعدد ٢١ محل تجاري بنسبة ١٧.٦% من جملة استخدامات الشارع، موزعة علي فنادق حديثة كفندق عرفة وقديمة كالفندق المواجه للمسجد الأحمدي الذي يضم وحده ١١ محلاً تجارياً، وفندق واحد بشارع درب الأتر ضم خمسة محال بنسبة ٧.٤% من جملة المحال، ولم تتجاوز نسبة الاستخدام



الفندقي بمنطقة الدراسة عن ٥.١٪. واقتصر الاستخدام الديني علي ثمانية مبان منها خمسة مساجد هي: البهي بالسكة الجديدة وجمعية ملحقة به، ومسجد البابلي ومصلي بشارع درب الأتر، ومسجدان بشارع درب الأبشيهي، والقصي بشارع عمر زعفان، والسيل الأحمدي بشارع باب الميضة.

وثمة وجود علاقة ارتباطيه قوية بين المباني القديمة جداً والاستخدام التجاري بلغت ٠.٨٧، فيما كانت العلاقة قوية بين الاستخدام السكني والطوابق التي تتراوح بين ٤-٥ طابق بلغت ٠.٨٢، في حين أن العلاقة كانت متوسطة بين الاستخدام الفندقي والمباني التي تتراوح ارتفاعها بين ٢-٤ طوابق بلغت ٠.٦٩، فيما تأكد وجود علاقة ارتباطيه متوسطة بين الاستخدام السكني والمبني المتوسط بمنطقة الدراسة.

#### رابعاً: خصائص الاستخدام التجاري بمنطقة الدراسة

يعد تصنيف الاستخدام التجاري وتجميعه في مجموعات أمراً ضرورياً من أجل دراستها، كما أن عملية التصنيف تعد خطوة مهمة لفهم التركيب الداخلي للمدينة، لذا فإن موضوع الاستخدام التجاري قد نال حظه من الدراسة من قبل الجغرافيين منذ فترة طويلة، وتبعهم وسار علي نهجهم المخططين والمهندسين والاقتصاديين من أجل الوصول إلي هدف واضح مفاده ما هي طبيعة الاستخدام التجاري داخل المدينة، وما تأثير ذلك علي المدينة ذاتها، وخلصوا في النهاية إلي أنه كلما كانت الاستخدامات واضحة ومحددة فإن ذلك يفيد في وضع التخطيط الأنسب للمدينة.

وتخضع استخدامات الأرض في المدينة إلي متغيرات متعددة تؤثر بشكل أو بآخر في ترتيب وهيكلية هذه الاستخدامات مكانياً وزمنياً، إذ تعمل منفردة أو مجتمعة، وقد يبرز أحد العوامل أكثر من غيره في موضع معين من المدينة ويضمحل في مواضع أخرى بتأثير خصوصيات الموضع من جهة وتأثير متغيرات النمو والتخطيط من جهة أخرى، ومن هذه المحددات الاقتصادية المنافسة التي تحدث بين الاستخدامات من أجل أن تكون في مكان معين الاستخدام التجاري الذي ينافس الاستخدامات الأخرى عندما يكون قادرًا علي أن يوفر مردودات اقتصادية، كذلك قيمة الأرض التي تتيح للاستخدام أن يحتل المكان الذي يستطيع من خلاله أن يتلاءم مع استخدام الأرض، فالاستخدامات الصناعية تتطلب مساحات واسعة لا تستطيع أن تحتل أراضي غالبية الثمن، لذلك نجده يميل للتجمع علي أطراف المدينة (سعد جاسم محسن السعدي، ١٩٩٧، ص ١).

وكان من نتيجة الحصر الميداني رصد ٥٠٠ محلاً تجارياً بعد استبعاد ثمانية مبانٍ مخصصة للاستخدام الديني، أمكن تقسيم هذه الاستخدامات في تسع مجموعات ويضاف إليها مجموعة عاشره تخص المحال المتوقفة، وتجدر الإشارة إلي عدم وجود مخازن في شوارع الدراسة، كما غاب عن منطقة الدراسة كل من الاستخدام التعليمي والصناعي والورش الكبيرة ومعارض السيارات والحدائق والمتنزهات والفراغات ومناطق الفضاء، بمعنى تم استغلال كل جزء في منطقة النواة أو قلب المدينة التجاري بصورة جيدة إلي حدٍ كبيره.

### ١. عدد المحال التجارية:

بلغت أعداد المحال التجارية علي الجانب الأيمن للشوارع ٢٥٨ محلاً تمثل أكثر من نصف المحال التجارية بمنطقة الدراسة، ويمكن تقسيم المحال إلي قسمين: الأول يضم خمس مجموعات تجارية تبلغ نسبتهم ٨٣٪ من جملة الاستخدامات التجارية، تصددهم محال الحلويات بنسبة ١٨.٢٪، يليها مستلزمات حريمي، وملابس وأقمشة، وخدمات حضرية وأدوات كهربائية ومنزلية، والآخر يضم بقية المجموعات بنسبة ١٧٪، يتصددهم السلع الغذائية (٧٪) وتذيلهم المصنوعات الجلدية (١.٢٪).

في المقابل بلغت أعداد المحال علي الجانب الأيسر للشوارع ٢٤٢ محلاً تمثل ٤٨.٤٪ من جملة محال التجارة، تصددهم محال السلع الغذائية بنسبة ١٦.٥٪ كفتة أولي، فيما جاءت خمس مجموعات تجارية كفتة ثانية تضم ٦١.٦٪ من جملة هذا الجانب يتصددهم ملابس وأقمشة، هدايا وألعاب، مستلزمات حريمي، وخدمات حضرية، وأدوات الكهربائية. وضمت الفئة الثالثة أربع مجموعات تجارية بنسبة ٢٢٪ كان أبرزهم حلويات ومحامص، ومصنوعات جلدية، وحايد وكيماويات ومحال متوقفة كما يتضح من قراءة الجدول (١٠) والشكل (١١).

ويمكن تقسيم الاستخدام التجاري إلي ثلاثة فئات: الأولى مجموعات تجارية تزيد علي ١٥٪: تضم مستلزمات حريمي. الثانية: مجموعات تجارية تتراوح نسبتها بين ١٠-١٤.٩٪: تضم ملابس وأقمشة ومفروشات، خدمات حضرية، أدوات كهربائية ومنزلية، حلويات، سلع غذائية بلغت مجموعها نحو ثلثي جملة الاستخدامات. الثالثة: مجموعات تجارية تقل عن ١٠٪: تضم هدايا وألعاب، محال متوقفة، حدايد وكيماويات، مصنوعات جلدية بلغ مجموعها أقل من خمسي الاستخدامات.

تصدرت محال مستلزمات حريمي قائمة الاستخدامات التجارية بعدد ٧٦ محلاً، ٤٦ محلاً علي الجانب الأيمن بنسبة ١٧.٨٪ من جملة المحال، مقابل ٣٠ محلاً علي الجانب



الأيسر بنسبة ١٢.٤٪. وعلى الرغم من اشتها المنطقة ومدينة طنطا بصناعة الحلويات والحمص، إلا أن الاستخدامات التي تخص النساء وكذلك الأطفال بدأت تسود حول المسجد الأحمدي وذلك لأمرين: أولهما أن معظم الوافدين لزيارة ضريح البدوي من النساء، وبالتالي يتم إغرائهن بالمستلزمات التي تخصهن، ثانيهما سهولة الوصول إلى قلب المدينة التجاري سواء من محطة القطار أو عن طريق خطوط السرفيس التي تسير خطوطها بشارعي الجلاء والمديرية المحيطان بالمنطقة، مما جعل هناك سيولة مرورية، وحركة أفضل للقادمين إلى ضريح البدوي.

جدول (١٠) توزيع أنواع المحال التجارية بمنطقة المسجد الأحمدي عام ٢٠١٤.

أنواع المحال	أيمن		أيسر		جملة		٪ من المجموعة الرئيسية
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	
ملابس وعبايات حريمي	٢٧	١٠.٤	٢٠	٨.٣	٤٧	٩.٤	٦١.٩
مستلزمات تجميل	٦	٢.٣	٤	١.٦	١٠	٢.٠	١٣.١
طرح حريمي	٣	١.٢	٣	١.٢	٦	١.٢	٧.٩
مجوهرات	٥	١.٩			٥	١.٠	٦.٦
ملابس داخلية	٤	١.٦	١	٠.٤	٥	١.٠	٦.٦
إكسسوارات	١	٠.٤	٢	٠.٨	٣	٠.٦	٣.٩
<b>مستلزمات حريمي</b>	<b>٤٦</b>	<b>١٧.٨</b>	<b>٣٠</b>	<b>١٢.٤</b>	<b>٧٦</b>	<b>١٥.٢</b>	<b>١٠٠</b>
ملابس اطفال	١٥	٥.٨	٩	٣.٧	٢٤	٤.٨	٣٣.٣
ملابس رجالي	١٢	٤.٧	١٢	٥.٠	٢٤	٤.٨	٣٣.٣
أقمشة وملابس	٩	٣.٥	٩	٣.٧	١٨	٣.٦	٢٥.٠
مفروشات	٥	١.٩	١	٠.٤	٦	١.٢	٨.٣
ملابس وأقمشة ومفروشات	٤١	١٥.٩	٣١	١٢.٨	٧٢	١٤.٤	١٠٠
خردوات	١٧	٦.٦	١٠	٤.١	٢٧	٥.٤	٣٨.٤
مكتبة ومطبعة	٨	٣.٢	٦	٢.٥	١٤	٢.٨	١٩.٠
صيدلية	٦	٢.٣	٥	٢.١	١١	٢.٢	١٥.٧
كاست	٢	٠.٨	١	٠.٤	٣	٠.٦	٤.٣
زهور صناعية	٢	٠.٨			٢	٠.٤	٢.٩
لوازم شيشة			٢	٠.٨			٢.٩
فوانيس	١	٠.٤	١	٠.٤	٢	٠.٤	٢.٩
مقهى	١	٠.٤	١	٠.٤	٢	٠.٤	٢.٩
ستوديو وسنترال	١	٠.٤	١	٠.٨	٢	٠.٤	٢.٨
تأجير سيارات			١	٠.٤	١	٠.٢	١.٤
تكييفات			١	٠.٤	١	٠.٢	١.٤
كوافير			١	٠.٤	١	٠.٢	١.٤
فرن إفرنجي	١	٠.٤			١	٠.٢	١.٤
معمل تحاليل	١	٠.٤			١	٠.٢	١.٤
<b>خدمات حضرية</b>	<b>٤٠</b>	<b>١٥.٥</b>	<b>٣٠</b>	<b>١٢.٤</b>	<b>٧٠</b>	<b>١٤.٠</b>	<b>١٠٠</b>
أجهزة وأدوات كهربائية	٢٧	١٠.٥	١٣	٥.٤	٤٠	٨.٠	٥٩.٧
أدوات منزلية	١٢	٤.٧	١٣	٥.٤	٢٥	٥.٠	٣٧.٣
بيع المونيوم	١	٠.٤			١	٠.٢	١.٥
مطابخ وأساس معدني			١	٠.٤	١	٠.٢	١.٥
أدوات كهربائية ومنزلية	٤٠	١٥.٥	٢٧	١١.٢	٦٧	١٣.٤	١٠٠
حنواتي	٤٢	١٦.٣	١١	٤.٥	٥٣	١٠.٦	٨٥.٥



٩.٧	١.٢	٦	١.٢	٣	١.٢	٣	لوازم أفراح وسبوع
٤.٨	٠.٦	٣	٠.٤	١	٠.٨	٢	محصنة
١٠٠	١٢.٤	٦٢	٦.٢	١٥	١٨.٢	٤٧	حلويات ومحامص
٣١.٠	٣.٦	١٨	٥.٤	١٣	١.٩	٥	عطارة ولوازم أفراح
٢٧.٦	٣.٢	١٦	٤.١	١٠	٢.٣	٦	بقالة
٢٠.٧	٢.٤	١٢	٣.٣	٨	١.٦	٤	مطعم وحاتي
٨.٦	١.٠	٥	١.٧	٤	٠.٤	١	عصارة
٦.٩	٠.٨	٤	٠.٨	٢	٠.٨	٢	جزارة
٥.٢	٠.٦	٣	١.٢	٣			زيوت وطحينة
١٠٠	١١.٦	٥٨	١٦.٥	٤٠	٧.٠	١٨	سلع غذائية

تابع جدول (١٠) توزيع أنواع المحال التجارية بمنطقة المسجد الأحمدى عام ٢٠١٤.

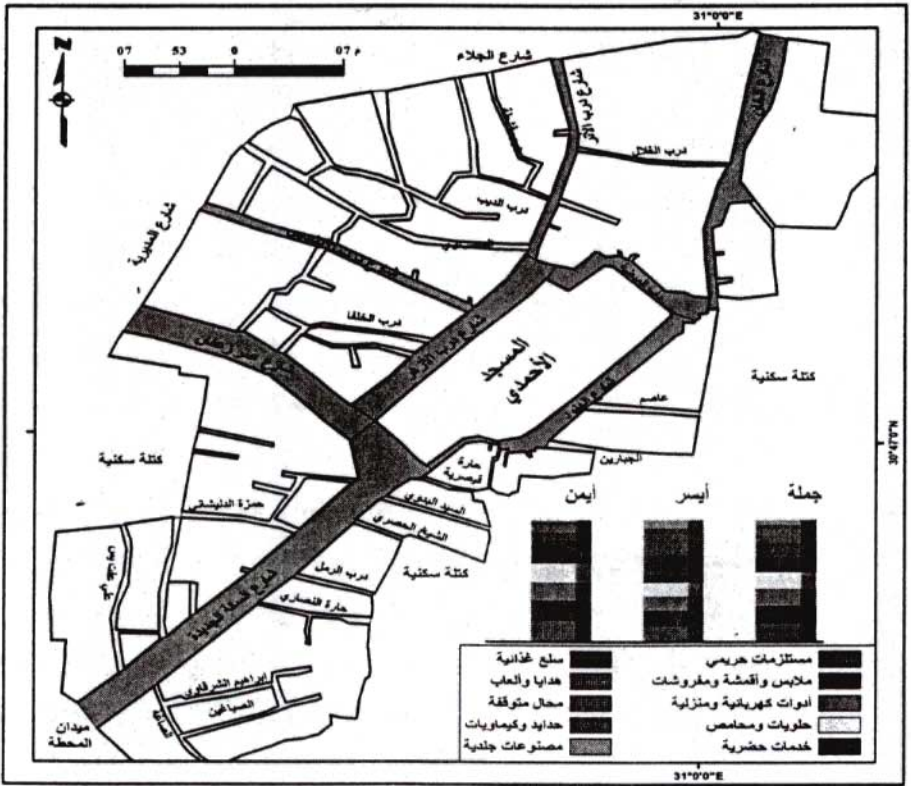
أنواع المحال	لومن		أيسر		جملة		المجموعة الرئيسية % من
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	
لعب أطفال	٤	١.٦	١٨	٧.٤	٢٢	٤.٤	٥٩.٥
نجف وتحف وهدايا	٦	٠.٤	١٠	٤.١	١١	٢.٢	٢٩.٧
لوازم شماسي وعصا			٢	٠.٨	٢	٠.٤	٥.٤
ساعات وبراويز	١	٠.٤	١	٠.٤	٢	٠.٤	٥.٤
هدايا وألعاب	٦	٢.٣	٣١	١٢.٨	٣٧	٧.٤	١٠٠
محال متوقفة	١٢	٤.٧	١٠	٤.١	٢٢	٤.٤	١٠٠
تصليح وقطع غيار	٣	١.٢	٥	١.٦	٧	١.٤	٣٨.٩
مبيدات ومنظفات	١	٠.٤	٤	٢.١	٦	١.٢	٣٣.٣
خراطة وحدديد وموازين	١	٠.٤	٣	١.٢	٤	٠.٨	٢٢.٢
أدوات صحية مستعملة			١	٠.٤	١	٠.٢	٥.٦
حدديد وكيمويات	٥	١.٩	١٣	٥.٤	١٨	٣.٦	١٠٠
شنط	٢	٠.٨	٥	٢.١	٧	١.٤	٣٨.٩
أحذية			٧	٢.٩	٧	١.٤	٣٨.٩
أحذية وشنط	١	٠.٤	٢	٠.٨	٣	٠.٦	١٦.٧
مستلزمات أحذية			١	٠.٤	١	٠.٢	٥.٦
مصنوعات جلدية	٣	١.٢	١٥	٦.٢	١٨	٣.٦	١٠٠
جملة	٢٥٨	١٠٠	٢٤٢	١٠٠	٥٠٠	١٠٠	-

المصدر/ الجدول من إعداد الباحث اعتماداً على الدراسة الميدانية.

حلت الملابس والأقمشة والمفروشات ثانياً بعدد ٧٢ محلاً بنسبة ١٤.٤٪ من جملة الاستخدامات، في حين سجلت النسبة ١.٦٪ على الجانب الأيمن بعدد ٤١ محلاً، متجاوزة الجانب الأيسر الذي سجل ١٢.٨٪ بعدد ٣١ محلاً من جملة محال الجانب الأيسر.

وكان لتنوع الخدمات الحضرية حول المسجد الأحمدى أثرها الواضح في تركيز ٧٠ محلاً تجارياً بما يوازي ١٤٪ من جملة المحال التجارية، منها ٤٠ محلاً بالجانب الأيمن، وكان لموقع المسجد الأحمدى بقلب المدينة وسهولة الوصول إليه بالغ الأثر في تنوع هذه الخدمات ما بين صيدليات ومكتبات وخردوات وغيرهم. وتخصص شارع عمر زعفان في بيع الأدوات الكهربائية والمنزلية بالإضافة إلى شارع درب الأبيهي، بلغ عددهم ٦٧ محلاً بنسبة ١٣.٤٪ من جملة المحال.

برغم الشهرة الواسعة التي عرفت عن مدينة طنطا في صناعة الحلويات وبيع الحمص والمشبك، والارتباط الوثيق بين الحلويات والموالد، لا نجد تفسيراً مقنعاً حتى الآن في الربط بين الاثنين إلا أنها عادة انتشرت مع دخول الفاطميين مصر، والاحتفال بالمناسبات الدينية بأكل الحلوى. لذا عرف عن مدينة طنطا هذا الأمر الذي أخذ في التراجع الشديد مقابل استخدامات تجارية متنوعة عرفت طريقها إلي منطقة القلب التجاري بالمدينة. بلغت أعداد المحال التجارية الخاصة بالحلويات ٦٢ محلاً بنسبة ٤.١٢٪ من جملة استخدام التجاري. ارتفعت أعدادها بالجانب الأيمن إلي ٤٧ محلاً تمثل ١٨.٢٪، مقابل ١٥ محلاً بالجانب الأيسر يمثلون ٦.٢٪ من جملة المحال بهذا الجانب.



شكل (١١) توزيع الاستخدام التجاري بمنطقة المسجد الأحمدي بمدينة طنطا عام ٢٠١٤.

وجاءت السلع الغذائية في المكانة السادسة بعدد ٥٨ محلاً يمثلون ١١.٦٪ من جملة الاستخدامات، استحوذ الجانب الأيسر علي ٤٠ محلاً بنسبة ١٦.٥٪، والجانب الأيمن بعدد ١٨ محلاً يمثلون ٧٪. ورغم أهمية السلع الغذائية لسد حاجة الوافدين والزائرين للمسجد الأحمدي والاعتماد الكلي علي المطاعم في فترة انعقاد المولد إلا أن أعداد المحال



أخذ في التراجع لأمرين: الأول ارتفاع القيمة الإيجارية للمكان وعدم جدوى إقامة مطعم أو حاتي لتلبية فترة معينة من السنة خاصة وأن هناك العديد من القاعات والمطاعم الفاخرة هجرت قلب المدينة نحو الأطراف، وعلى طريق طنطا المحلة المنصورة حيث الأماكن الواسعة. الآخر استخدام الزائرين إلي المسجد بأطعمتهم ومأكولاتهم معهم أثناء الزيارة وأيام الجمع، أو في فترة انعقاد المولد.

## ٢. توزيع المحال علي مستوي المجموعات:

رأينا كيف تباينت نسب وأعداد المحال علي مستوي الاستخدام التجاري في منطقة الدراسة، وتعطي التفاصيل الداخلية لكل مجموعة مؤشراً علي هذا التباين، ليس علي مستوي الخدمة التجارية فحسب بل علي مستوي الشوارع أيضا عندما نفرّد لها نقطة خاصة بها. ومن خلال الجدول (١٠) والشكل (١١) يمكن إيضاح التالي:

• استأثرت ملابس وعبايات حريمي علي النصيب الأكبر فيما يخص حاجة النساء (٦٢٪)، ولأن الغالبية العظمي من رواد المسجد الأحمدي من النساء الريفيات سواء من قرى ومراكز الغربية أو من المحافظات، فقد تخصصت المحال في الأذواق التي تقبل عليها النساء الريفيات، وبعض المقيّمات في مدينة طنطا من ذوي الدخل المحدود. وحلت مستلزمات التجميل بأنواعها بما فيها العطور ثانياً بنسبة ١٣٪، وهذا يعني أن ملابس الحريم ومستلزماتهم قد استحوذن علي ثلاثة أرباع مستلزمات الحريمي، بالإضافة إلي الذهب، لتركز محال بيعه بشارع الصاغة المتفرع من شارع السكة الجديدة.

• كان لملابس الأطفال نصيب الثلث من جملة الملابس والأقمشة والمفروشات، يليها بنفس النسبة ملابس الرجال والعبايات والملابس الداخلية، ويعزي ارتفاع نسب ملابس الأطفال إلي الدور الذي تلعبه النساء في عملية الشراء أيام الجمع والأعياد والمولد، خاصة أن الغالبية العظمي منهن يصطحبن أولادهن معهن أثناء زيارة البدوي، ويؤكد ذلك ارتفاع نسبة محال الهدايا الخاصة بلعب الأطفال وانتشارها حول المسجد.

• تعد الخدمات الحضريّة أكبر المجموعات تنوعاً علي مستوي المجموعات التجارية وأكثرها انتشاراً بمنطقة الدراسة، حيث ضمت هذه المجموعة ١٤ نوعاً، تصدرهم محال الخردوات بنسبة تقترب من الخمسين نتيجة لإقبال السكان والرواد لشراء احتياجاتهم من المنطقة لقرىها من وسائل النقل المختلفة. وحلت المكتبات والمطبعات ثانياً بنسبة الخمسين، حيث تركزت في شارع درب الأبشهي والسكة الجديدة. وتوزعت الصيدليات علي معظم منطقة الدراسة باستثناء شارعي الخان والهنود. ونظراً لإقبال بعض رواد المسجد الأحمدي



لشراء شرائط التواشيع والقصص والنادر انتشرت محال بيع الكاست، حيث يوجد مقر شركة صوت الغربية التي ذاع صيتها لعقود في بيع الكاست الديني بشارع درب الأبيهي. وتنوعت الاستخدامات بعد ذلك بعدد ٢ محال لكل من زهور صناعية ولوازم شيشة وفوانيس ومقهى وستوديو وسترتال، ومحال واحد لكل من تأجير سيارات بشارع درب الأزهر.

● تركزت محال الأجهزة والأدوات الكهربائية والمنزلية بشارع عمر زعفان علي وجه الخصوص، وحول المسجد الأحمدى بوجه العموم بنسبة ٦٠٪، وحلت محال بيع الأدوات المنزلية بنسبة ٣٧٪ من جملة هذه المجموعة، وجاء بيع مطابخ وأساسى معدني بمحل واحد في شارع عمر زعفان، ومحل بيع ألومنيوم بشارع الهنود بجوار ورش تصنيع القباب النحاسية المستخدمة في المآذن بحارة النحاسين.

● تراجعت محال بيع الحلويات بصورة ملفتة للنظر، ولم تعد محال الحلوى تجذب الكثير من أصحاب المحال للاستمرار في بيعها أمام تنوع الأنشطة التجارية، وانتشار محال بيع الحلويات الشرقية والغربية في معظم أنحاء مدينة طنطا، وعلي الطرق البرية الرئيسة كطريق المحلة طنطا، وطنطا القاهرة، وطنطا الإسكندرية الزراعي، ورغم ذلك استأثرت هذه المحال بأكثر من ٨٥٪ من جملة هذه المجموعة.

● تنوعت مجموعة السلع الغذائي بصورة تشبه الخدمات الحضرية وإن اختلفت عنها في التجمع والتخصص، حيث جاءت نسبة محال العطارة ٣١٪ تركزت بصورة أساسية في شارع درب الأتر شمال المسجد، وتنوعت محال البقالة بمنطقة الدراسة بنسبة ٢٨٪ وإن تركزت حول المسجد، وارتفعت نسبة المطاعم والحاتي إلي الخمس في شوارع السكة الجديدة وعمر زعفان ودرب الأزهر.

● كان للعب الأطفال نصيب الأسد في المحال التجارية في منطقة تشتهر بأن معظم روادها من النساء والأطفال، حيث استحوذت لعب الأطفال علي النصيب الأكبر من هذه المجموعة بنسبة ٦٠٪ تركزت حول المسجد عند تقاطع شوارع السكة الجديدة وعمر زعفان ودرب الأزهر. وتوجد محال التحف والنحف والهدايا بشارعي الخان وباب الميضة. كما ظهرت المحال التي تخصص في بيع لوازم الشماسي والعصي في منطقة تشهد قيام الاحتفالات الدينية والحاجة إلي مثل هذا الأشياء.

● تميزت الحدايد والكيماويات بالتنوع ما بين تصليح أجهزة كهربائية ومواتير وغسالات وقطع غيار بنسبة تقترب من الخمسين، بالإضافة إلي انتشار محال بيع المبيدات والمنظفات بشارعي درب الأبيهي ودرب الأتر، وتزيد نسبة الحرف اليدوية مثل الخراطة والحداد

والموازين علي الخُمسين. وتركزت معظم محال بيع الأحذية والشنط بشارع الخان والسكة الجديدة وباب الميضة البحري.

### ٣. مساحة المحال التجارية وكثافتها:

تلقي دراسة كثافة المحال التجارية الكثير من الحقائق الميدانية التي قد تبدو غائبة للوهلة الأولى، وتظهر بعض الاختلافات المكانية بين الأنشطة التجارية المتجاورة، ويتضح الفارق عند إلقاء الضوء علي مساحة الاستخدامات التجارية ومساحة المحال المتشابهة مع بعضها البعض في سلة واحدة.

#### أ. مساحة المجموعات التجارية وكثافتها:

تتنوع مساحة المجموعات التجارية علي مستوي المسجد الأحمدي وعلي جانبي الشوارع، حيث بلغت مساحة المحال التجارية ٢م١٥٤٤٥ بعد استبعاد مساحة الاستخدام الديني، استحوذ الجانب الأيسر علي ٢م٨٤٦٤ تمثل ٥٤.٨٪ من جملة الشوارع، والجانب الأيمن ٢م٦٩٨١ تمثل ٤٥.٢٪، وهذا عكس أعداد المحال التجارية التي بلغت ٢٥٨ و٢٤٢ للجانب الأيمن والأيسر علي التوالي، ويتفق هذا مع كثافة المحال التجارية علي جانبي الشوارع حيث بلغت ٣.٧ محل/٢م١٠٠، مقابل ٢.٩ محل/٢م١٠٠ علي التسابع، فيما بلغت الكثافة العامة للشوارع ٣.٢ محل/٢م١٠٠.

ويتبع مساحات المجموعات التجارية علي مستوي منطقة الدراسة، ومن خلال الجدول

(١١) والشكل (١٣) يمكن تقسم المجموعات إلي ثلاث فئات هي:

- مجموعات تزيد نسبتها علي ٢٠٪: تضم مستلزمات حريمي بمساحة ٢م٣٦٠٠ تمثل ما يقرب من ربع مساحة المحال التجارية وذلك لتنوعها من ناحية وكثرة أعدادها من ناحية أخرى.
  - مجموعات تتراوح نسبتها بين ١٠-١٩.٩٪: تضم حلويات ومحامص (٢م٢٢٠٠) وأدوات كهربائية ومنزلية (٢م٢٠٩٠) وخدمات حضرية (٢م١٩٠٧) وملابس وأقمشة ومفروشات (٢م ١٦٩٠) بإجمالي ٢م٧٩٠٠ يمثلون نصف مساحة المحال التجارية.
  - مجموعات تقل نسبتها عن ١٠٪: تضم سلع غذائية (٢م ١٤٢٥) هدايا وألعاب (٢م٨٩٠) ومحال متوقفة (٢م٦٥٠) وحدايد وكيموايات (٢م٥٧٠) ومصنوعات جلدية (٢م٤١٠) بإجمالي ٢م٣٩٥٠ يمثلون ربع مساحة المحال التجارية.
- جدول (١١) توزيع الكثافة العامة لأنواع المحال التجارية بمنطقة الدراسة عام ٢٠١٤.

أنواع المحال	(٢م)	%	الكثافة	المساحة % من المجموعة	أنواع المحال	(٢م)	%	الكثافة	المساحة % من المجموعة
--------------	------	---	---------	-----------------------	--------------	------	---	---------	-----------------------

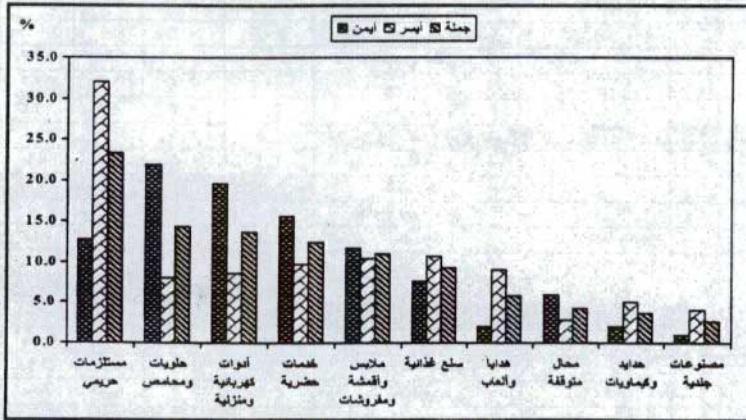


الرئيسية					الرئيسية				
٣٩.١	٣.٦	٤.٣	٦٦١	ملابس رجالي وعبايات	٦٠.٢	٠.٣	١٤	٢١٧٠	طرح حريمي
٢٧.٥	٥.٢	٣	٤٦٥	ملابس اطفال	٢٥.٩	٥	٦	٩٣٣	ملابس وعبايات حريمي
٢٦.٨	٤	٢.٩	٤٥٣	أقمشة وملابس	٥	٢.٨	١.٢	١٨٢	مجوهرات
٦.٧	٥.٣	٠.٧	١١٣	مفروشات	٣.٨	٧.٣	٠.٩	١٣٧	مستلزمات تجميل
١٠٠	٤.٣	١.١	١٦٦١	ملابس وأقمشة ومفروشات	٢.٨	٤.٩	٠.٧	١٠٢	ملابس داخلية
٢٨.٣	٤	٢.٦	٤٠٤	بقالة	٢.٢	٣.٨	٠.٥	٧٩	إكسسوارات
٢٥.١	٣.٣	٢.٣	٣٥٨	مطعم وحقي	١٠٠	٢.١	٢٣.٣	٢٦٠٢	مستلزمات حريمي
٢٤.٤	٥.٢	٢.٣	٣٤٩	عطارة ولوازم افراح	٨٨.٣	٢.٧	١٢.٦	١٩٥٢	حلواني
١٠	٣.٥	٠.٩	١٤٢	عصارة	٦.٩	٤	١	١٥٢	لوازم افراح وسبوع
٧.٢	٣.٩	٠.٧	١٠٣	جزارة	٤.٨	٢.٨	٠.٧	١٠٦	محمص
٤.٩	٤.٣	٠.٥	٧٠	زيوت وطحينة	١٠٠	٢.٩	١٤.٧	٢٢٠٩	حلويات ومخصص
١٠٠	٤.١	٩.٢	١٤٢٦	سنع غذائية	٦٤.٣	٣	٨.٧	١٣٤٤	أجهزة وأدوات كهربائية
٦٢.٩	٣.٩	٣.٦	٥٦٠	لعب اطفال	٢٩.١	٤.١	٣.٩	٦٠.٨	أدوات منزلية
٢٩.١	٤.٢	١.٧	٢٥٩	نجف وتحف وهدايا	٣.٣	١.٤	٠.٤	٦٩	مطبخ وأساس معني
٤.٩	٤.٦	٠.٣	٤٣	ساعات وبراوير	٣.٢	١.٥	٠.٤	٦٨	بيع اللونيوم
٣.١	٧.٣	٠.٢	٢٨	لوازم شمسي وعصا	١٠٠	٣.٦	١٢.٥	١٠٨٩	أدوات كهربائية ومنزلية
١٠٠	٤.٢	٥.٨	٨٩٠	هدايا والعب	٢٩.٤	٤.٨	٣.٦	٥٦١	خردوات
١٠٠	٣.٤	٤.٢	٦٥١	محل متوقفة	٢٤.٤	٣	٣	٤٦٤	مكتبة ومطبعة
٤٠.٣	٣.١	١.٥	٢٢٩	تصليح وقطع غيار	٢٢.٥	٢.٦	٢.٨	٤٢٨	صيدلية
٢٧.٧	٢.٥	١	١٥٧	خراطة وحدديد وموازن	٤	٢.٦	٠.٥	٧٧	ستوديو وسنترال
٢٦.٩	٣.٩	١	١٥٣	مبيدات ومظفقت	٣.٨	٤.١	٠.٥	٧٣	كاسات
٥.١	٣.٥	٠.٢	٢٩	أدوات صحية مستعملة	٣.٢	٣.٢	٠.٤	٦٢	مقهى
١٠٠	٣.٢	٣.٧	٥٦٨	خدايد وكيمياويات	٣.٢	٣.٣	٠.٤	٦١	زهور صناعية
٤٤.٤	٣.٨	١.٢	١٨٣	شنط	٢.٤	٤.٢	٠.٣	٤٧	لوازم شيشة
٣٧.٩	٤.٥	١	١٥٦	أحذية	١.٩	٢.٧	٠.٢	٣٧	معمل تحاليل
١٠.٨	٦.٧	٠.٣	٤٥	أحذية وشنط	١.٥	٣.٥	٠.٢	٢٩	كواليفر
٦.٨	٣.٦	٠.٢	٢٨	مستلزمات أحذية	١.٥	٣.٥	٠.٢	٢٩	تكيفات
١٠٠	٤.٤	٢.٧	٤١٢	مصنوعات جلدية	٠.٨	٦.٦	٠.١	١٥	تأجير سيارات
-	٢.٢	١.٥	١٥٤٤٥	خدمة	٠.٨	٧	٠.١	١٤	فرن الفرنسي
					٠.٦	١٨.٥	٠.١	١١	فوانيس
					١٠٠	٣.٧	١٢.٣	١٤.٧	خدمات حضرية

فإذا ما انتقلنا لتوضيح كثافة المجموعات التجارية علي مستوي الشوارع، نجد اختلافاً جوهرياً في ترتيب هذه المجموعات مما أدى إلي تقسيم الكثافة إلي ثلاث فئات اعتماداً علي الجدول والشكل السابقين علي النحو التالي:

- مجموعات تزيد كثافتها علي ٤ محلات/٢م١٠٠: تضم مصنوعات جلدية (٤.٤) ملابس وأقمشة ومفروشات (٤.٣)هدايا وألعاب (٤.٢) سلع غذائية (٤.١).
- مجموعات تتراوح كثافتها بين ٣ - ٣.٩ محل/٢م١٠٠: تضم خدمات حضرية (٣.٧) ومحال متوقفة (٣.٤) وأدوات كهربائية ومنزلية وحدديد وكيمياويات (٣.٢).
- مجموعات تقل كثافتها عن ٣ محل/٢م١٠٠: تضم حلويات ومحامص (٢.٨) ومستلزمات حريمي (٢.١) كأقل المجموعات كثافة رغم كبر مساحتها وأعدادها.





شكل (١٣) التوزيع النسبي للمساحة المجموعات التجارية بمنطقة الدراسة عام ٢٠١٤.

ب. مساحة المحال التجارية وكثافتها:

تختلف مساحة وكثافة المحال التجارية فيما بينها اختلافاً واضحاً علي مستوي المجموعات، أو علي المستوي العام، ويتضح من الجدول (١١) والشكل (١٤) بعض الأمور يمكن إيجازها فيما يلي:

- تنوع أعداد المحال التجارية علي مستوي الشوارع علي ٤٩ نوع من الاستخدام التجاري، تصدرهم نوعان هما طرح حريمي (٢م٢١٧٠) بنسبة ١٤٥ وحلواني (٢م١٩٥٢) بنسبة ١٢.٦٪. إجمالي ٢م٤١٢٢ يمثلون أكثر من ربع مساحة الاستخدام التجاري للمحال.
- جاءت الأجهزة والأدوات الكهربائية وملابس وعبايات حريمي بمساحة ٢م١٣٤٤ و٢م٩٣٣ بنسبة ٨.٧٪ و٦٪ علي الترتيب إجمالي مساحة ٢م٢٢٧٧ يمثلون ١٤.٧٪ من جملة مساحة المحال التجارية.
- تنوعت مساحة ١٩ نوع من الاستخدام التجاري بين ٦٦٠ - ٢م ١٥٠ تراوحت نسبتها بين ٤.٣ - ١٠.٠٪. إجمالي مساحة بلغت ٢م٦٧٨٢ يمثلون ٤٤٪ من جملة مساحة المحال بمتوسط ٢م٣٥٧، بدأت بملابس رجالي وانتهت بمحال الأحذية مروراً بأدوات منزلية وخردوات ولعب أطفال ومكتبة ومطبعة وملابس أطفال وأقمشة وملابس وصيدلية وبقالة والتي تنتشر في معظم شوارع منطقة الدراسة، بالإضافة إلي حاجتها إلي مساحات واسعة لعرضها، ويتطلب بعضها مواصفات معينة لإنشائها مثل الصيدليات والمكتبات والمطابع.

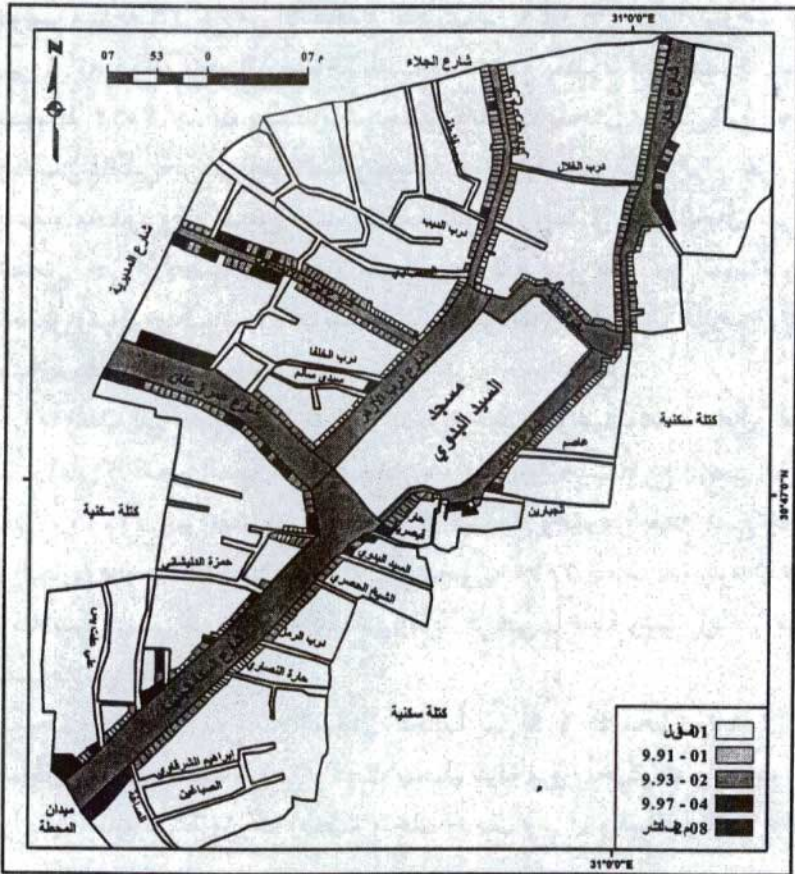
■ تنوعت مساحة ٢٦ نوع من الاستخدام التجاري بين ١٤٩ - ٢م ١٠ تراوحت نسبتها بين ٠.٩-٠.١٪ بإجمالي مساحة بلغت ٢م ١٦١٧ يمثلون عشر مساحة المحال بمتوسط ٢م ٦٢، بدأت بمستلزمات تجميل وانتهت بمحال فوانيس مروراً بعصارة وملابس داخلي حريمي ومحمصاة ومفروشات وجزارة وهي من الأنواع التي تنتشر بأعداد محدود وفي مناطق معينة بمنطقة الدراسة، وينطبق نفس الحال علي بقية المحال حتى أن بعضها لا يمثل إلا بمحل واحد فقط مثل محل بيع ألومنيوم ومعمل تحاليل وكوافير وتكيفات وتأجير سيارات ومستلزمات أحذية وفرن أفرنجي، وتنوعت مساحة هذه المحال فيما بينها تبعاً لموقعها علي واجهة الشارع.

وإذا ما انتقلنا إلي تحديد كثافة المحال التجارية حسب أنواعها نجد أن محال الفوانيس قد تصدرت اعلي كثافة بين المحال ١٨.٥ محل/٢م ١٠٠، وسجلت طرح حريمي أقل كثافة ٠.٣ محل/٢م ١٠٠، رغم أنها أكثر أنواع المحال مساحة. وجاء من بعدها تسع أنواع من المحال التجارية تراوحت كثافتها بين ٧.٥ - ٥ محل/٢م ١٠٠ بدأت بمستلزمات تجميل وانتهت بملابس حريمي مروراً بلوازم شماسي وفرن أفرنجي وأحذية وشنط وتأجير سيارات ومفروشات وملابس أطفال وعطارة.

■ تراوحت كثافة ١٢ نوع من المحال التجارية بين ٤.٩ - ٤ محل/٢م ١٠٠، بدأت بمحال ملابس داخلية حريمي وانتهت بمحال بقالة مروراً بخردوات وساعات وبراويز وأحذية ولوازم شيشة وزيتوطحينة ونجف وتحف وهدايا وأقمشة وملابس وغيرهم، وهي علي شاكلة النوع السابق حيث جمعت بين محل واحد وأكثر من محل حسب موقعها في شوارع منطقة الدراسة.

■ تنوعت كثافة سبعة عشر نوع من المحال بين ٣.٩ - ٣ محل/٢م ١٠٠، تصدرتهم محال الجزارة وانتهت بمكتبات والمطابع مروراً بأنواع متباينة في مساحتها وأعدادها وموقعها علي الشوارع الرئيسية، فمثلاً محل كوافير واحد تتساوي كثافته مع محال ملابس رجالي والذي يبلغ عددهم ١٥ محل بمساحة ٢م ٦٦١، والحال كذلك مع محل زهور صناعية مع محال أجهزة وأدوات كهربائية. وتنوعت كثافة تسع أنواع من المحال بين ٢.٩ - ١.٠ محل/٢م ١٠٠، تصدرتهم محال مجوهرات وانتهت بمطابخ وأساس معدني مروراً بمحمصاة والحلواني ومعمل تحاليل وصيديليات.





شكل (١٤) توزيع مساحة المحال التجارية (م٢) بمنطقة المسجد الأحمدي عام ٢٠١٤.

#### ٤. توزيع المحال علي مستوي الشوارع:

لإلقاء الضوء علي الاستخدامات التجارية بنوع من التفصيل فضل الباحث عرض كل شارع من شوارع المسجد الأحمدي حسب موقعه الجغرافي، محاولاً تسليط النوع علي نوع الاستخدام التجاري ومساحته ومورفولوجيته وطبيعة الاستخدام لمعرفة التخصص والتنوع لشوارع الدراسة.

☒ شوارع تقع شمال المسجد:

تضم شوارع الخان ودرب الأتر وباب الميضة ومحال سور المسجد.

أ. شارع الخان:

يتميز شارع الخان بقدم مبانيه التي تعود إلي أواخر القرن التاسع عشر، ويغلب عليها صفة الطابق الواحد، كذلك يتفاوت عرض الشارع ما بين الضيق في بدايته عند المسجد



الأحمدي، واتساعه الواضح وازدواجه أمام شركة بيع المصنوعات قبل إزالتها. كما يغلب عليه الحركة المرورية المزدحمة نتيجة لعمليات البيع والشراء، خاصة أن الشارع يتخصص في بيع مستلزمات حريمي بصفة خاصة بالإضافة إلي بيع الملابس والأقمشة، مما أعطي الشاعر نوعاً من الزخم المروري وزيادة عمليات البيع والشراء. هذا بالإضافة إلي وجود بنك التنمية والائتمان الزراعي وبنك القاهرة مما يزيد من تدفق الوافدين إلي الشارع لقضاء خدماتهم المصرفية.

ويتضح من الجدول (١٢) والشكل (١٤) وجود ثمانية أنواع من الاستخدامات التجارية في الشارع، مع غياب محال الحلويات والحدايد، فيما وجد نوع من التخصص الواضح في محال الملابس والأقمشة والمفروشات بعدد ٢٧ محال ومستلزمات حريمي بعدد ٢٦ محل، استحوذاً الاستخدامين علي ثلاثة أرباع المحال التجارية مما يؤكد التخصص الواضح لهذا الشارع. فيما جاءت بقية الاستخدامات بنسبة أقل من ٦٪. ب. شارع درب الأتر:

يبدأ شارع درب الأتر من شارع الجلاء ليلتقي بشارع درب الأزهر وباب الميضة عند ميدان المسجد، يبلغ طوله ١٣٨٣ م، ومتوسط عرضه ستة أمتار، وبذلك تبلغ مساحته ١٦٦٧ م<sup>٢</sup>. يتميز الشارع بطوله الواضح، ووجود انحناء عند مسجد البابلي، الشارع الوحيد المسقوف من أعلي، ويعزي ذلك لتخصصه في بيع الياميش ومستلزمات الأفراح والحلويات وأعياد الميلاد حتى لا تتعرض لأشعة الشمس صيفاً، أو سقوط المطر شتاءً. لذا لم يكن غريباً أن تنصدر محال العطاراة قائمة هذا الشارع بعشرة محال تجارية، يليها ملابس الرجال ولوازم الأفراح وأعياد الميلاد بستة محال، وكانت الملابس الحريمي حاضرة بخمسة محال، ولم تغب محال الأدوات الكهربائية والمنزلية والشنط والبقالة والخردوات وغيرهم. كما تخصص الشارع في بيع الزيوت والطحينة التي تدخل مع الكثير من السلع الغذائية.

واحتلت محال السلع الغذائية أكثر من ربع عدد المحال (١٨ محل) والمساحة (٢٥٤٢٥ م<sup>٢</sup>)، تليها محال الأدوات المنزلية والخدمات الحضرية والملابس والأقمشة والحلويات بنسب العشر من حيث العدد والمساحة، وهذا يعني أن المحال السابق قد استحوذت علي ٧٢٪ و ٦٩.٨٪ للعدد والمساحة، مما يعني الجمع بين التخصص والتنوع علي مستوي قطاعات الشارع. ارتفع العدد إلي ثلاث محال للهدايا وخمس للمصنوعات الجلدية. يذكر أن القطاع القريب من شارع الجلاء كان أكثر تنوعاً دون غيره من قطاعات الشارع، حيث وجد به محال للمجوهرات وملابس راقية للأطفال تختلف عن تلك الموجودة في شارع الهنود أو درب

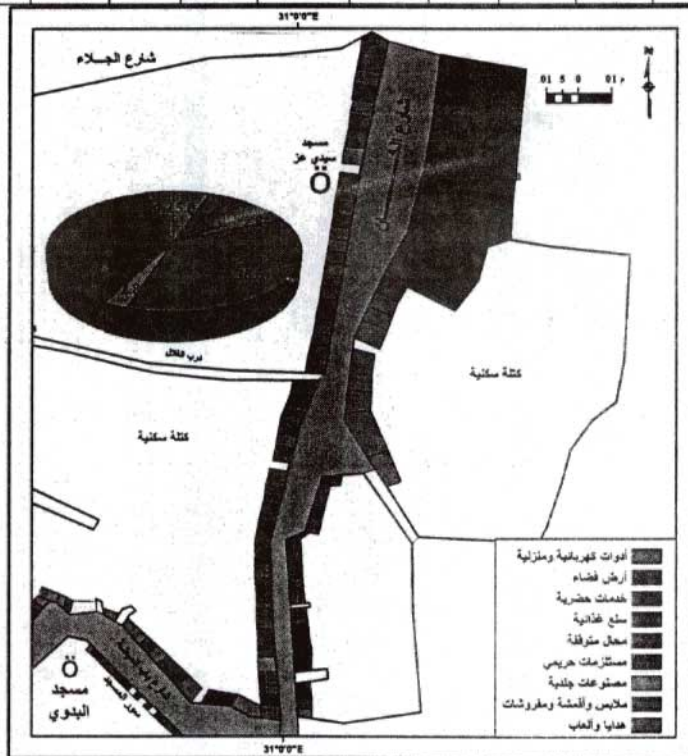
الأزهر مثلاً، في حين شهد القطاع الأوسط نوعاً من التخصص في محال بيع الأدوات الكهربائية والأجهزة المنزلية، وتركز واضح في محال بيع اليايش ولوازم أعياد الميلاد خاصة بعد مسجد البابلي، وتركزت في القطاع القريب من درب الأزهر في الخدمات الحضرية التي تخص الحياة اليومية للسكان سواء المقيمين أو الوافدين إلي المدينة ممثلة في صيدلية ومكتبة وغيرهم من المحال.

جدول (١٢) توزيع أعداد ومساحة المحال التجارية علي مستوي منطقة الدراسة ٢٠١٤.

نوع المحال	الخان	السكة الجيدة	الهنود	باب الميضة	درب الأشموي	درب الأتر	درب الأزهر	سور المسجد	عمر زعفن	جملة
مستلزمات حريمي	العدد	٢٦	١٣	٩	٢	٦	١٧	١	٧٦	
	%	٣٦,٦	١٠,٩	٢٠,٩	٨,٧	٢,٧	٨,٨	٠,٠	١٥,٠	
	المساحة	٢٦٥٤	٣٦٦	٢١١	١٧	٧٧	١٤٥	٧٢	٣٦٠٢	
حلويات ومحامص	العدد	٦٧,٧	٩,٦	٢٣,٣	٤,٣	٨,٨	٠,٠	٥٢,٨	٢٣,٣	
	%	٦٧,٧	٩,٦	٢٣,٣	٤,٣	٨,٨	٠,٠	٥٢,٨	٢٣,٣	
	المساحة	٦٧,٧	٩,٦	٢٣,٣	٤,٣	٨,٨	٠,٠	٥٢,٨	٢٣,٣	
أدوات كهربائية ومنزلية	العدد	١٢,٢	٠,٠	١١,٦	٤,٣	٠,٠	١٧,٢	٠,٠	١٢,٢	
	%	١٢,٢	٠,٠	١١,٦	٤,٣	٠,٠	١٧,٢	٠,٠	١٢,٢	
	المساحة	١٢,٢	٠,٠	١١,٦	٤,٣	٠,٠	١٧,٢	٠,٠	١٢,٢	
خدمات حضرية	العدد	١٤,٣	٠,٠	٤٥,٩	٧,٥	٦,٦	١٣,٣	٠,٠	١٤,٣	
	%	١٤,٣	٠,٠	٤٥,٩	٧,٥	٦,٦	١٣,٣	٠,٠	١٤,٣	
	المساحة	١٤,٣	٠,٠	٤٥,٩	٧,٥	٦,٦	١٣,٣	٠,٠	١٤,٣	
ملابس وأقمشة ومفروشات	العدد	١٣,٢	٠,٨	١١,٦	٤٣,٥	٢٥,٣	١١,٨	١٠,٣	١٣,٢	
	%	١٣,٢	٠,٨	١١,٦	٤٣,٥	٢٥,٣	١١,٨	١٠,٣	١٣,٢	
	المساحة	١٣,٢	٠,٨	١١,٦	٤٣,٥	٢٥,٣	١١,٨	١٠,٣	١٣,٢	
سلع غذائية	العدد	١٣,٥	٣,١	١٩,٦	٤٧,٩	٣٠,٤	١٣,٨	١١,٢	١٣,٥	
	%	١٣,٥	٣,١	١٩,٦	٤٧,٩	٣٠,٤	١٣,٨	١١,٢	١٣,٥	
	المساحة	١٣,٥	٣,١	١٩,٦	٤٧,٩	٣٠,٤	١٣,٨	١١,٢	١٣,٥	
هدايا وألعاب	العدد	٧٨	٤	٢١	٧	٣	٨	٣	٧٨	
	%	١٥,٤	٥,٦	١٧,٦	١٣,٠	٢٩,٣	١١,٨	١٠,٣	١٥,٤	
	المساحة	١٩٠,٧	٩١	٤٧٧	١٣٠	٦٤٥	١٥٤	٥٣	١٩٠,٧	
محل متوقفة	العدد	١٢,٣	٢,٣	١٤,٤	٥,٦	٣٠,٢	٩,٣	٩,٨	١٢,٣	
	%	١٢,٣	٢,٣	١٤,٤	٥,٦	٣٠,٢	٩,٣	٩,٨	١٢,٣	
	المساحة	١٢,٣	٢,٣	١٤,٤	٥,٦	٣٠,٢	٩,٣	٩,٨	١٢,٣	
محل متوقفة	العدد	٧٢	٦	٦	١٥	٢	٨	٦	٧٢	
	%	١٤,٢	٣٨,٠	٥,٠	٣٤,٩	٨,٧	٢,٧	١١,٨	١٤,٢	
	المساحة	١٦٩١	٦٧٤	١٦٩	٢٦٩	٦٣	٤٥	١٦٩	١٦٩١	
محل متوقفة	العدد	١١,٠	١٧,٢	٤,٤	٢٩,٨	١٦,٣	٢,١	١٠,٢	١١,٠	
	%	١١,٠	١٧,٢	٤,٤	٢٩,٨	١٦,٣	٢,١	١٠,٢	١١,٠	
	المساحة	١١,٠	١٧,٢	٤,٤	٢٩,٨	١٦,٣	٢,١	١٠,٢	١١,٠	
محل متوقفة	العدد	٥٨	٣	١٤	١	١	١٨	١	٥٨	
	%	١١,٤	٤,٢	١١,٨	٢,٣	٤,٣	٢٦,٥	٢,٠	١١,٤	
	المساحة	١٤٢٦	٩٩	٣٦٥	١٦	١٩	١٧٤	١٤٢	١٤٢٦	
محل متوقفة	العدد	٩,٢	٢,٥	٩,٥	١,٨	٤,٩	٨,١	٣,٥	٩,٢	
	%	٩,٢	٢,٥	٩,٥	١,٨	٤,٩	٨,١	٣,٥	٩,٢	
	المساحة	٩,٢	٢,٥	٩,٥	١,٨	٤,٩	٨,١	٣,٥	٩,٢	
محل متوقفة	العدد	٣٧	٤,٢	٤,٢	١٣,٠	٠,٠	٢,٧	٣,١	٣٧	
	%	٧,٣	٤,٢	٤,٢	١٣,٠	٠,٠	٢,٧	٣,١	٧,٣	
	المساحة	٨٩٠	٧٣	٤٥١	٤٨	٤٧	٧٦	١٣٢	٨٩٠	
محل متوقفة	العدد	٥,٨	١,٩	١١,٨	٠,٠	١٢,٤	٤,٦	٣,٢	٥,٨	
	%	٥,٨	١,٩	١١,٨	٠,٠	١٢,٤	٤,٦	٣,٢	٥,٨	
	المساحة	٥,٨	١,٩	١١,٨	٠,٠	١٢,٤	٤,٦	٣,٢	٥,٨	
محل متوقفة	العدد	٢٢	٢	٤	١	٨	٤	٢	٢٢	
	%	٤,٣	٢,٨	٣,٤	٠,٠	١٠,٧	٥,٩	٦,٣	٤,٣	
	المساحة	٦٥١	١٥٩	٩٢	٣٢	٢٠٤	١٢٣	٣٢	٦٥١	
محل متوقفة	العدد	٤,٢	٤,١	٢,٤	٠,٠	٩,٥	٧,٤	٥,٩	٤,٢	
	%	٤,٢	٤,١	٢,٤	٠,٠	٩,٥	٧,٤	٥,٩	٤,٢	
	المساحة	٤,٢	٤,١	٢,٤	٠,٠	٩,٥	٧,٤	٥,٩	٤,٢	
محل متوقفة	العدد	١,٨	٢	٢	٢	٨	١	٢	١,٨	
	%	١,٨	٢	٢	٢	٨	١	٢	١,٨	
	المساحة	١,٨	٢	٢	٢	٨	١	٢	١,٨	



٣.٥	١٠.٤	٦.٣	٠.٠	١.٥	١٠.٧	٠.٠	٠.٠	١.٧	٠.٠	%	وكيماويات
٥٦٨	٢٥٣	٩		١٣	٢٢٦			٦٧		المساحة	
٣.٧	١٣.١	٦.٢	٠.٠	٠.٨	١٠.٦	٠.٠	٠.٠	١.٨	٠.٠	%	
١٨	١		٣	٥	٣	١		٣	٢	العدد	
٣.٥	٢.١	٠.٠	١٠.٣	٧.٤	٤.٠	٤.٣	٠.٠	٢.٥	٢.٨	%	مصنوعات
٤١٢	٢٨		٥٣	١٤٢	٧٠	٧		٦٥	٤٧	المساحة	جلدية
٢.٧	١.٥	٠.٠	٩.٦	٨.٦	٣.٣	١.٩	٠.٠	١.٧	١.٢	%	
٥٠٨	٤٨	٣٢	٢٩	٦٨	٧٥	٢٣	٤٣	١١٩	٧١	العدد	
١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	%	جملة
١٥٤٤٥	١٩٣١	١٣٧	٥٤٧	١٦٥٤	٢١٣٨	٣٨٩	٩٠٣	٣٨٢٦	٣٩١٩	المساحة	
١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	%	



شكل (١٤) توزيع استخدامات الأرض بشارع الخان بمدينة طنطا عام ٢٠١٤.

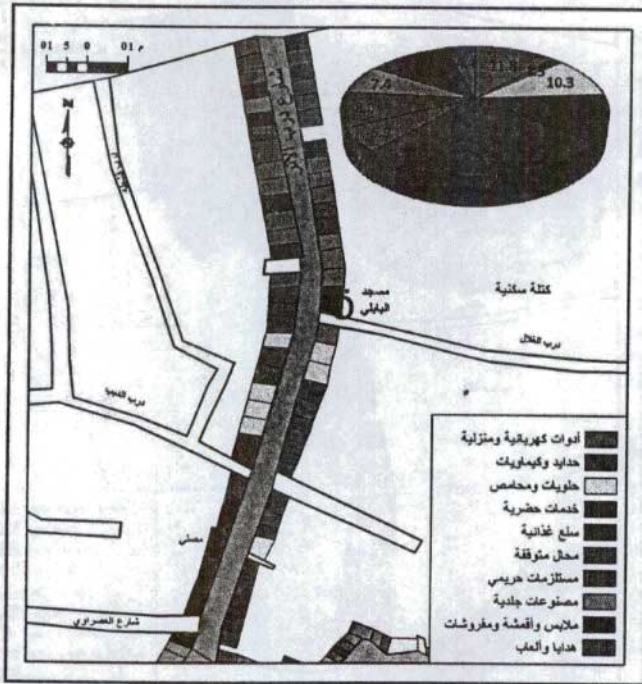
ج. شارع باب الميضة البحري وسور المسجد:

يعد الشارع امتداداً لشارع الهنود في كثير من خصائصه العامة، ويزيد عليه اتساعه الواضح وقصر طولُه (١٣ م)، بالإضافة إلى استخدامه من قبل بائعي الخضروات والفاكهة، يوجد به السبيل الأحمدى، بالإضافة إلى مبانيه القديمة جداً الآيلة للسقوط، كحال شارع الهنود والخان. يقابل هذا الشارع محال سور المسجد التي تعد امتداداً له على الجانب الآخر،

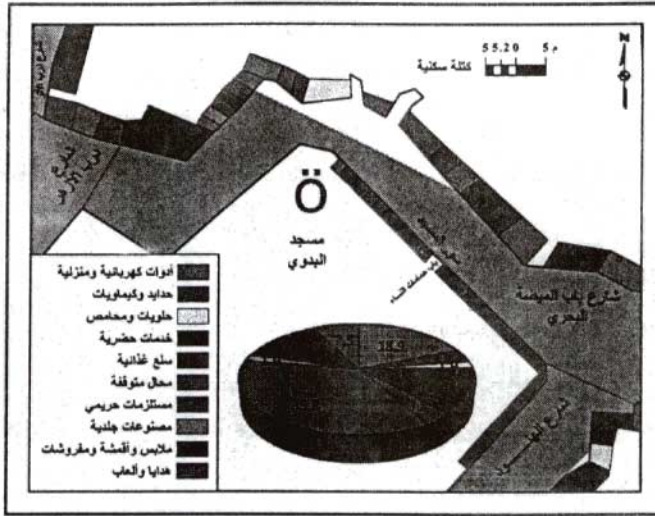


وان اختلفت سماتها عن جميع شوارع المسجد الأحمدي من حيث مظهرها الخارجي ومساحتها الثابتة (٢٤.٥).

وقد رأي الباحث دمج محال باب الميضة مع محال سور المسجد من حيث التوزيع والمساحة مع وجود بعض التحفظات من حيث طبيعة الاستخدام. ويبدو من الجدول (١٢) والشكل (١٦) عدة أمور يمكن إجمالها في: بلغ إجمالي عدد المحال ٥٥ محل تجاري تتوزع علي ٢٥٢٥، استحوذت محال مستلزمات حريمي علي أكثر من ثلث عددها، فيما استحوذت محال الأدوات الكهربائية والمنزلية علي أكثر من ثلث مساحة المحال (٢١٩٠)، وذلك لأن محال الأدوات الكهربائية والمنزلية تحتاج إلي مساحة واسعة لعرضها وتخزينها.



شكل (١٥) توزيع استخدامات الأرض بشارع درب الأتر بمدينة طنطا عام ٢٠١٤.



شكل (١٦) توزيع استخدامات الأرض بشارع باب الميضة وسور المسجد عام ٢٠١٤.

يذكر أن محال الحلويات والمصنوعات الجلدية لم تمثل سوي بمحل واحد فقط بشارع باب الميضة، فيما ظهر بوضوح تجاور محال الأدوات المنزلية بشارع الميضة وعدم وجود محال للأدوات الكهربائية، أضف إلي ذلك خلو الشارع من أي من المطاعم والجزارة والبقالة واقتصار السلع الغذائية علي العطارة فقط. ويلاحظ علي محال سور المسجد التخصص في محال مستلزمات حريمي وملابس ومفروشات بصورة واضحة، نظراً لإقبال النساء علي شراء مستلزماتهم من هذه المنطقة. يذكر أن باب حمامات النساء الخاصة بالمسجد توجد في الناحية الشمالية للمسجد مما جعل هذه المحال تخصص في أمور النساء من أجل جذبهن في عمليات البيع والشراء.

☒ شوارع تقع جنوب المسجد:

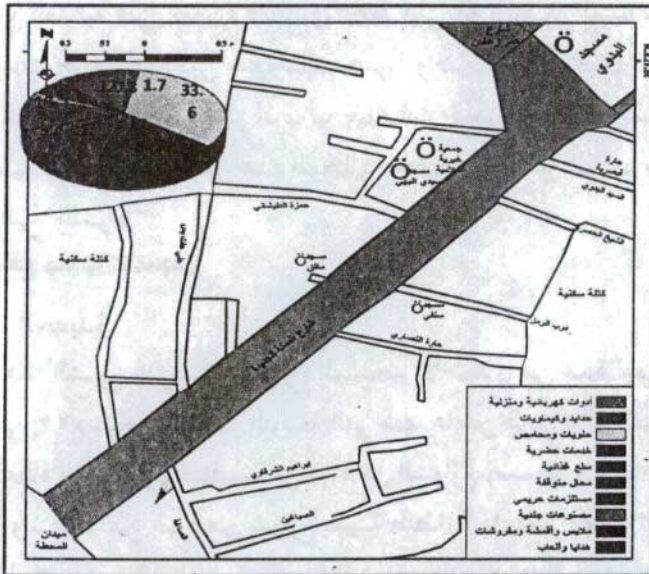
شارع السكة الجديدة:

يتفرد هذا الشارع علي سائر شوارع المسجد الأحمدي من عدة أمور: اتساع عرضه الذي تزيد علي ٢٢م نتيجة لعمليات التوسعة التي شهدتها عن طريق إزالة المباني علي جانبي الشارع مما أعطاه هذه الميزة التنافسية عن غيره من الشوارع (مساحة ٢٣٨٢٦م<sup>٢</sup>)، وربما كان أكثر اتساعاً واستقامة من غيره من شوارع مدينة طنطا، كما يتميز بطوله الذي يقترب من ٥٨٧م كأطول شوارع منطقة الدراسة، ويتميز بازواجه وإن كان هناك قيود واضحة في دخول وخروج سيارات الأجرة، ولا يسمح سوي لسيارات الملاكي والتاكسي بالمرور. كما يتميز بتنوع



مبانيه، وإن غلب علي جانبه الأيمن المباني القديمة والحديثة، والجانب الأيسر المباني القديمة والمتوسطة، بالإضافة إلي وجود فنادق حديثة (عرة) في بدايته عند محطة القطار وفنادق قديمة متهاككة بالقرب من المسجد الأحمدي، فيما أزيلت معظم الأدوار العليا للمباني القديمة نجد بعض العمارات متعددة الطوابق، كما نجد المحال الكبيرة الضخمة نجد أكشاك صغيرة بجوار مسجد البهي ظهرت بصورة غير عشوائية تخصصت في بيع أنواع معينة تختلف عن سائر المحال الأخرى، كما يوجد بالشارع ثلاثة مسجد أكبرها وأقدمها علي الإطلاق مسجد محمد البهي وجمعيته، ومسجد للسلفين، وآخر مغلق، جدول (١٢) وشكل (١٧).

ويبدو التشابه الواضح بين ترتيب المحال التجارية من حيث نسب أعدادها ومساحتها، سواء التي تصدرت الاستخدام التجاري كما في محال الحلويات والخدمات الحضرية والهدايا، أو تلك التي تذيلت الاستخدام التجاري كما في المصنوعات الجلدية والحديد والأدوات الكهربائية. بلغت أعداد محال الحلويات ٤٠ محلاً تمثل ثلث المحال، مقابل ١٧.٦٪ و ١٢.٦٪ للخدمات الحضرية والهدايا علي الترتيب، فإذا ما أضيف إليهم محال السلع الغذائية (١١.٨٪) ومستلزمات حريمي (١٠.٩٪) لبلغ إجمالي أعداد هذه المحال ١٠٣ محل يمثلون ٨٦.٦٪ من جملة استخدامات الشارع، مقابل ٢٣٤١٦ تمثل مساحة هذه الاستخدامات بنسبة ٨٩.٣٪، نظراً لاستحواذ محال الحلويات علي نحو نصف مساحة هذه المحال، تليها الخدمات الحضرية بنسبة ١٢.٥٪.



شكل (١٧) توزيع استخدامات الأرض بشارع السكة الجديدة بمدينة طنطا عام ٢٠١٤.



ويلاحظ التركيز الواضح لمحال الحلويات علي الجانب الأيمن للشارع فيما يشبه التخصص دون غيره من شوارع منطقة الدراسة، هذا التخصص جعل من شارع السكة الجديدة قبلة للزائرين للمسجد الأحمدي، وقبله للمتسوقين والعائدين إلي محل إقامتهم محملين بالهدايا والحمص والحلويات من عند البدوي أو شيخ العرب. كما تخصص الشارع محال الخدمات الحضرية المقدمة للسكان القادمين للتسوق مثل: الخردوات والمكبات والصيدليات ومحل بيع الكاست، وكذلك محال بيع المجوهرات شارع الصاغة، وملابس الحريمي والأطفال والهدايا والألعاب وغيرها من المحال المنتشرة بالشارع.

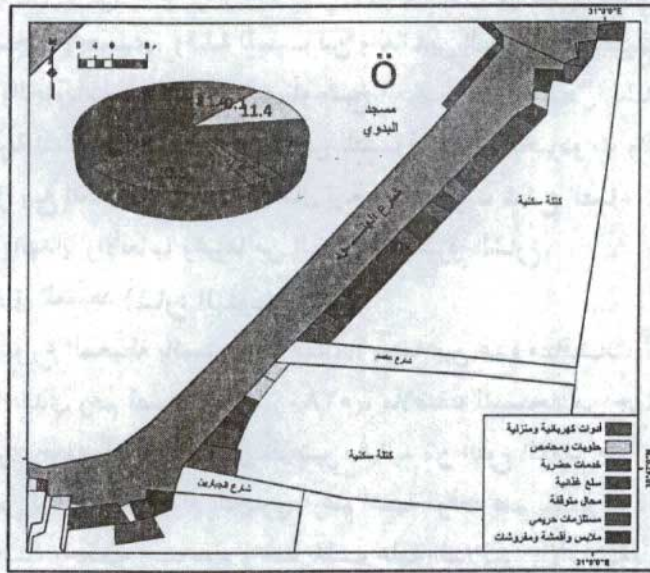
☒ شوارع تقع شرق المسجد (شارع الهنود):

واحد من الشوارع المحيطة بالمسجد الأحمدي، يجمع بين عدة متناقضات: من أوسع شوارع المسجد الأحمدي رغم قصره الشديد (١٨٠م)، ملاصقته للمسجد من جهة ودحدره صبري من جهة أخرى جعله نقطة تلاقي بين نقيضين، مبانيه من النوع القديم جداً ومع ذلك عليه إقبال شديد من ناحية الاستخدام التجاري، رغم أهمية موقعه فلم يشفع له ذلك حيث نكست طوابقه العليا، يحكمه استخدام واحد يغلب عليه الملابس والأقمشة، وتقل فيه المحال المغلقة والسلع الغذائية.

ومن استقراء الجدول (١٢) والشكل (١٨) يتبين استحوز محال الملابس علي أكثر من ثلث محال الشارع البالغة ٤٣ محلاً، ونحو ٣٠٪ من مساحته البالغة ٢٩٠٣م، فيما جاءت محال مستلزمات حريمي بنسبة الخمس في العدد ونحو الربع في المساحة، وجاء من بعدهم الخدمات الحضرية والحلويات والأدوات الكهربائية من حيث العدد، وإن تبدل الترتيب من حيث المساحة.

استحوذت علي هذا الشارع خمسة أنواع من الاستخدام التجاري بالإضافة إلي محال متوقفة، تميز بالتنوع وعدم التخصص، حيث لا توجد تجمعات واضحة لنوع واحد من الاستخدام التجاري إلا محال الملابس في منتصف الشارع تقريباً بعد تفرع شارع عاصم الذي يصب في شارع صبري القريب من المنطقة القديمة في مدينة طنطا. كما بدأ الشارع بمحال الحلويات كامتداد طبيعي لشارع السكة الجديدة وقربه من المسجد مما يجعل نسبة الإقبال عليه مرتفعة. وينطبق نفس الوضع علي نهاية الشارع حيث التخصص في محال الملابس لقربه من شارع الخان، حيث المترددات الريفيات اللاتي يقبلن علي عمليات الشراء بالجملة والبيع بالتجزئة في محل إقامتهن بصرف النظر عن فرق سعر البيع داخل الشارع. يذكر أن شارع الهنود تميز عن غيره بوجود الباعة الجائلين الذين يقفون علي عربات أو "استندات معدنية أو

خشبية" يعرضون عليها بضائعهم، مستغلين اتساع الشارع وعدم وجود محلات بجوار المسجد خاصة بالقرب من شارع عاصم.



شكل (١٦) توزيع استخدامات الأرض بشوارع الهند بمدينة طنطا عام ٢٠١٤.

☒ شوارع تقع غرب المسجد:

تضم شوارع درب الأبشيهي ودرب الازهر وعمر زعفان:

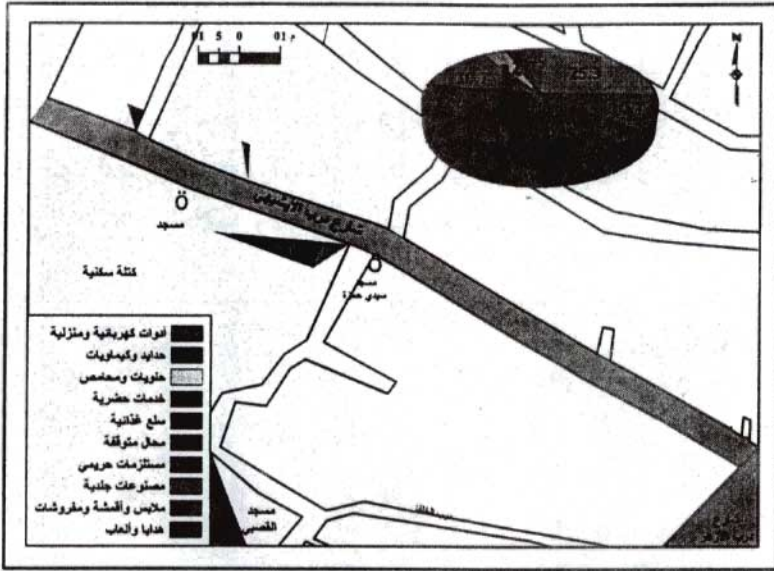
أ. شارع درب الأبشيهي:

ثاني أهم شارع يتفرع من شارع المديرية بعد شارع عمر زعفان، يبلغ طوله ٣٥٣ م بمتوسط عرض ٧ أمتار، يتميز هذا الشارع عن غيره من شوارع منطقة الدراسة؛ إذ يتخصص في الخدمات الحضرية والأدوات الكهربائية والمنزلية بشكل رئيسي، حيث بلغ عددهما ٢٢ و ١٩ محل تمثل ٢٩.٣٪ و ٢٥.٣٪ على الترتيب، وإن تقاربت مساحتهما حول ٢٦٤٧ م<sup>٢</sup> تمثل ٣٠.٣٪، لكل منهما، مما يدل على شدة التخصص وعدم التنوع. كما يتميز بكثافة مبانيه وتعدد طوابقه، ومن ثم غلبة المباني السكنية عليه، ويوجد فيه مسجدين أحدهما يتبع الطرق الصوفية حيث يوجد به ضريح سيدي حمزة.

ونظراً لأهمية موقعه فقد تركزت فيه عيادات الأطباء ومكاتب المحاماة ومعامل التحاليل الطبية، بالإضافة إلى بعض المركز الطبية المتخصصة في القلب والصدر، والشارع الوحيد الذي وجدت فيه محال: كوافير للسيدات وتكليف وإكسسوارات جرمي وآخر مستلزمات تجميل، ومحال زهور صناعية، ومحال تحف وهدايا، ومقر شركة صوتيات الغربية المتخصصة في



الأناشيد والقصص الدينية، وآخر للموازين وثالث للأدوات الصحية وغيرها من المحال ذات الضرورة اليومية.



شكل (١٧) توزيع استخدامات الأرض بشارع الأبيهي بمدينة طنطا عام ٢٠١٤.

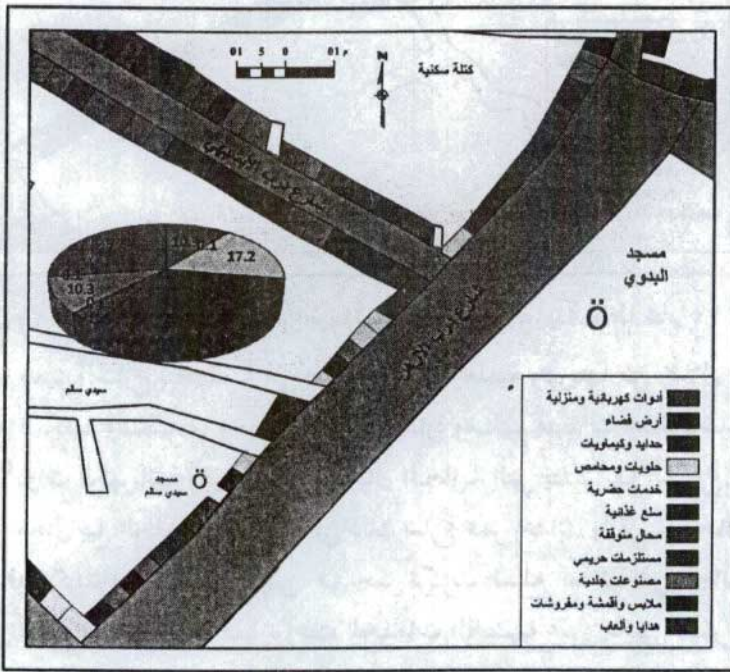
كما يتميز الشارع بتخصصه في طباعة الكتب العلمية وتوزيعها من خلال وجود ١٦ محل يتبع المكتبة والمطبعة، وخمسة محال عطارة ومثلهم مبيدات ومنظفات، ومحالين لتصليح الأدوات الكهربائية وغيرهم من المحال التجارية التي يتميز بها الشارع. وقد خلا الشارع من محال بيع الحلويات ويشاركه في ذلك شارع عمر زعفان. يذكر أن محال الأدوات الكهربائية قد تركزت في الجانب الأيمن، في حين تركزت السلع الغذائية في الجانب الأيسر بالقرب من شارع درب الأزهر، كما توزعت الخدمات الحضرية على جانبي الشارع، وجاءت المصنوعات الجلدية في الجانب الأيمن.

ب. شارع درب الأزهر:

رغم أهمية موقعه لمواجهته المسجد الأحمدى إلا أنه كان أقل شوارع المسجد الأحمدى حظاً في أعداد محاله وضيق مساحتهم، وعدم تنوعهم، حيث بلغ عددهم ٢٩ محل، بإجمالي مساحة ٢٥٤٧م<sup>٢</sup> تمثل ٣.٢٪ من جملة مساحة الشوارع ليحل في مؤخرة الشوارع بعد باب الميضة، فغاب عنه تخصصات مستلزمات حريمي وملابس وأقمشة ومفروشات وحدائد وكيمائيات.



ويكفي أن نذكر أن هذا الشارع ضم تسع أنواع من المحال ممثلة بمحل واحد فقط (أحذية وبقالة وتأجير سيارات وجزارة وخردوات وصيدلية وعصارة وعطارة وهدايا)، في حين مثلت محال الشنط والمطاعم بمحالين، والحلواني بخمسة محال، في حين جاءت لعب الأطفال في المقدمة بسبع محال، وربما يكون هذا الشارع عكس شارع الهنود وسور المسجد اللذان تخصصا في ملابس حريمي، وتخصصه في لعب الأطفال. ولا يمكن إنكار دور الأطفال الذين تصطحبهم أمهاتهم عند زيارة ضريح البدوي في عمليات البيع والشراء، كما تحرص أمهاتهم علي تزويدهم بالملابس والأحذية والهدايا من عند البدوي كنوع من التبرك وحب المكان.

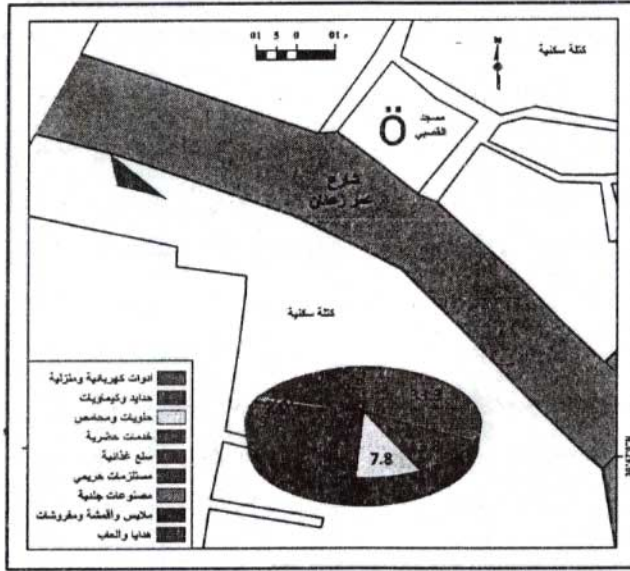


شكل (١٨) توزيع استخدامات الأرض بشارع درب الأزهر بمدينة طنطا عام ٢٠١٤.

ج. شارع عمر زعفان:

يعد ثاني أهم شارع حول المسجد الأحمدي من حيث المساحة والطول والعرض، ٢٢٥٤٥ م تمثل ١٥٪، و٢٦٧ م تمثل ١١.٦٪ و٢٠ م تمثل ١٩.٦٪ علي الترتيب. تبلغ عدد محاله ٤٨ محل موزعة علي ٢١ استخدام تجاري، جاءت في تسع مجموعات تجارية، والشارع الوحيد الذي خلي من المحال المتوقفة. تستحوذ نسبة الاستخدام الديني علي حيز كبير منه؛ إذ يوجد علي جانبه الأيسر مسجد القصيبي، إذا هو ثالث مسجد من حيث الاتساع

بعد مسجدي البدوي والبهي. كما يتميز بازدواجه أمام حركة السيارات خاصة نصف وربع النقل، وذلك لتركز الأجهزة والأدوات المنزلية بصورة واضحة. تجمع مبانيه بين الحدائثة والقدم، خاصة في القطاع الأوسط منه، إذ تبدو عليه مظاهر الهرم بالقرب من المسجد الأحمدى، وكذلك بمبانيه العريقة المطلة على شارع المديرية. يوجد به أعلي بناية بمنطقة الدراسة؛ يبلغ ارتفاعها اثنتا عشرة طابقاً على الجانب الأيسر.



شكل (١٩) توزيع استخدامات الأرض بشارع عمر زعفان بمدينة طنطا عام ٢٠١٤.

يحتوي الشارع ١١ محلاً تضم نوعاً واحداً هم: أدوات منزلية وجزارة ولعب أطفال ومحمص وهدايا وملابس حريمي ومستلزمات أحذية ومطابخ وأساس معدني وزهور صناعية وخرطة وحدائد والأنواع الخمس الأخيرة لا توجد سوى في هذا الشارع فقط، كما تتركز فيه أربع صيدليات من أصل ١١ صيدلية تمثل ٣٦.٤٪ من جملة صيدليات منطقة الدراسة، وذلك لتركز عيادات الأطباء فيه بشكل كبير. يذكر أن غالبية مباني هذا الشارع من النوع التجاري أكثر من السكني، كما يتميز بتعدد طوابقه وحدائتها، مما جعله قبلة للنشاط الطبي، وكذلك مكاتب المحاماة ومكاتب للدعاية والإعلان والكمبيوتر. بالإضافة إلي استغلال الطوابق العلوية كمعارض للأدوات المنزلية والأجهزة الكهربائية، ومن ثم استغلالها لمساحات كبيرة سواء في الطوابق الأرضية أو الأدوار العليا. لذا لم يكن غريباً أن تستحوذ الأدوات الكهربائية والمنزلية على الثلث لأعداد المحال والمساحة (٤٦٪)، وجاء من بعدها محال الخدمات الحضرية والملابس والأقمشة ومستلزمات حريمي.



## رابعاً: التحليل الكمي المكاني للاستخدام التجاري

تدرج الباحث في استخدام مجموعة من المؤشرات والدلالات الإحصائية لإظهار التباين في الأنماط المكانية لمنطقة الدراسة، نظراً لتنوع هذه المنطقة وثرانها من الناحية المادية كونها تمثل أعلى قيمة للأرض داخل قلب المدينة التجاري. وأمكن استخدام بعضاً من هذه المؤشرات على النحو التالي:

## ١- استخدام أداة البقع الساخنة (Hot Spot Analysis (Getis-Ord Gi\*)

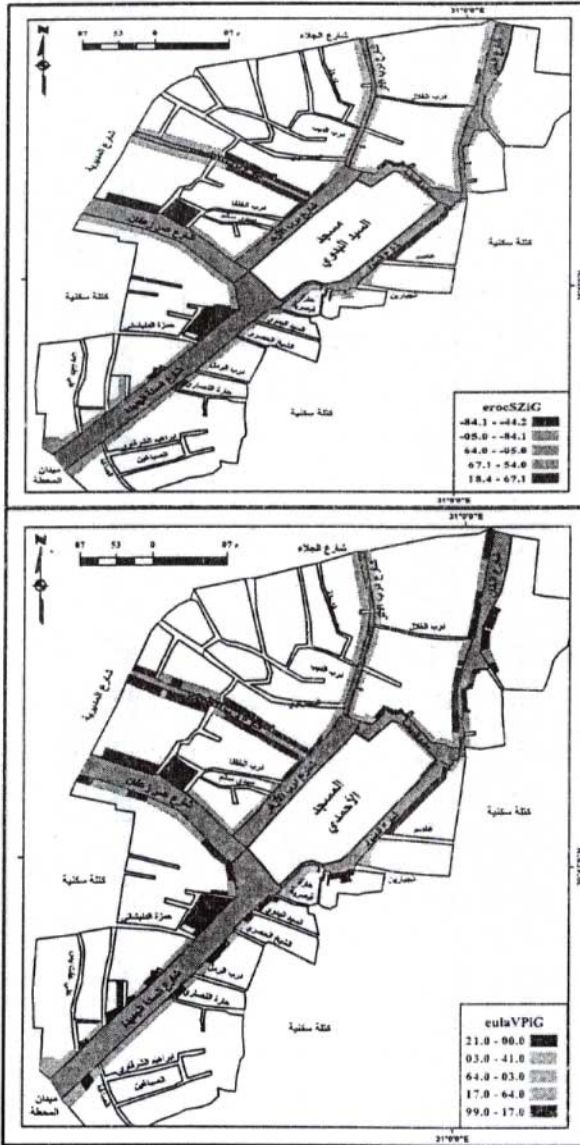
تمكن نظم المعلومات الجغرافية من القيام بعمليات المعالجة والتحليل المكاني للظاهرة الجغرافية، وإخراج نتائج تعجز الطرق التقليدية عن إنجازها بسهولة ودقة عالية، حيث تم الاستعانة بأدوات التحليل الإحصائي المكاني في إعداد خرائط نماذج التوزيع المكاني لتجمعات القيم المساحية المتشابهة لاستخدامات الأرض الحضرية بمنطقة الدراسة، والتي ظهرت نتائجها من خلال الشكل (٢٣) الذي تبين منه ما يلي:

- أظهرت القيم الموجبة GizScor ظهور تجمعات مساحية مكانية ذات قيم مرتفعة، تنتشر في شارع عمر زعفان علي الجانب الأيمن من الشارع ممثلة في مسجد القصبي، كما تركزت في شارع السكة الجديدة في الجانب الأيمن أيضاً بمسجد سيدي البهي والجمعية الخيرية الملحقة به، كما ظهرت بوضوح في شارع الهنود محصورة بين شارع عاصم وشارع الخان، كما ظهرت علي استحياء في شارع الخان.
- تركز قيم GizScor في معظم شارع درب الأبيشيبي خاصة الأجزاء القريبة من المسجد، وظهرت علي استحياء في شارع باب الميضة والسكة الجديدة وذلك في الفئة -٢.٤٤ - ١.٤٨، واستحوذت الفئة التالية علي شارع درب الأثر والصور الشمالي للمسجد، وأجزاء من شوارع درب الأزهر وعمر زعفان وباب الميضة، ويعزي ذلك صغر مساحة هذه المحال التجارية لأن مبانيها إما حديثة أو متوسطة.
- أما قيم GipValue فتحمل دلالة إحصائية مفادها أنه كلما انخفضت القيم عن ٠.٠٥ تكون ذات دلالة إحصائية ٢٥-٥٠ م، أي ٩٥٪، وهذا ما ظهر في اللونين الأزرق

(٥) تم استخدام التحليل الإحصائي المكاني Spatial Statistics Tools في برنامج ArcMap 10.2 من خلال أمر Mapping Clusters أداة (Hot Spot Analysis (Getis-Ord Gi\*)، وينتج عن هذه الأداة زوجان من القيم، الأول يعرف بقيم GizScor سواء كانت موجبة أو سالبة، والآخر يعرف بقيم GipValue حيث يؤكد النموذج علي القيم المنخفضة (٠.٠٥) ذات دلالة إحصائية تصل إلي ٩٥٪. (علي عبد عباس العزاوي وسعد صالح خضر عيد، ٢٠١٢، ص ١٤-١٨).



الغامق والفتاح، مما يدل علي تشابه قيم الوحدات المساحية المكانية للمحال التجارية بالطابق الأرضي بصرف النظر عن قربها أو بعدها من المسجد.



شكل (٢٣) قيمة الوحدات المساحية لاستخدامات الأرض بمدينة طنطا عام ٢٠١٤.

## ٢- الانتشار الموضوعي أو استخدام النطاق Buffer (٥):

يوضح مدى انتشار المحال التجارية بالنسبة للوسط المكاني، وهو القلب التجاري لمدينة طنطا والذي سبق تحديده، مع اتخاذ المسجد الأحمدى مركزاً لعمل نطاقات مكانية متساوية الأبعاد بعدد أحد عشر نطاقاً بمسافة ٢٥ متراً، ضم هذا النطاق الأول ١٥٠ محلاً تجارياً تمثل ٢٩.٥٪ من جملة المحال التجارية بمنطقة الدراسة، حيث ضمت شوارع بأكملها ممثلة في الهنود وسور المسجد وباب الميضة والأزهر، بالإضافة إلى شوارع شارع السكة الجديدة وعمر زعفان والأبشيهي والأتر والخان.

وضم الثاني والثالث (٢٥-٥٠، ٥٠-٧٥ م) ١٢٤ محل بنسبة الربع، حيث تقارب توزيع أعداد المحال علي شوارع الخان والسكة الجديدة والأبشيهي ودرج الأتر وعمر زعفان، مع ملاحظة تراجع أعداد المحال التجارية بصورة ملحوظة. أما الرابع والخامس فقد ضما ٩٠ محل بنسبة ١٧.٨٪، حيث اختلف توزيع أعداد المحال علي شوارع الخان والسكة الجديدة ودرج الأبشيهي ودرج الأتر وعمر زعفان، ويعزى ذلك إلى اختلاف مساحة المحلات التجارية من منطقة لأخرى.

وبلغت أعداد محال النطاق السادس ٥٤ محل بنسبة تزيد علي عشر المحال التجارية، وذلك بشوارع السكة الجديدة والأتر والخان والأبشيهي وعمر زعفان. أما النطاق السابع (١٥٠-١٧٥ م) فقد بلغت أعداد المحال ٤٠ محل بنسبة ٧.٩٪، استحوذ شارع السكة الجديدة علي ١٤ محل، أما بقية النطاقات فلم يمثل فيها سوى شارع السكة الجديدة، ويعزى ذلك إلى طول الشارع الذي يزيد علي ٣١٧ متراً ويعرض حوالي ٢٢ متراً.

جدول (١٢) نطاقات محال الاستخدام التجاري من منتصف المسجد الأحمدى.

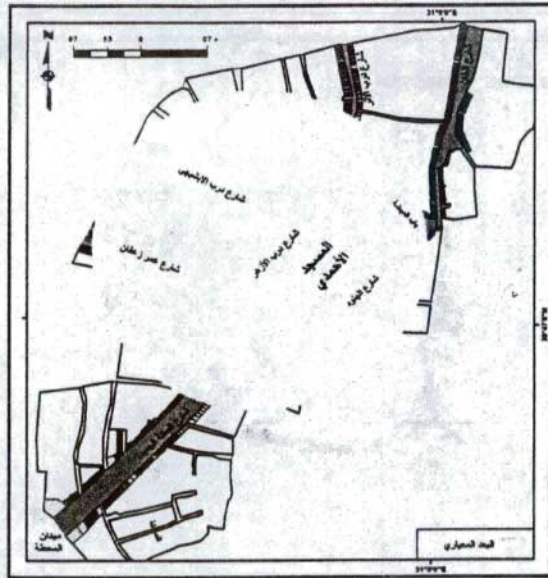
م	نطاق (م)	الخان	السكة الجديدة	الهنود	باب الميضة	درج الأبشيهي	درج الأتر	درج الأزهر	سور المسجد	عمر زعفان	عدد المحال	%
١	صفر-٢٥	١	١٤	٤٣	٢٣	٣	٢	٢٩	٣٢	٣	١٥٠	٢٩.٥
٢	٢٥-٥٠	١٦	١٣	٠	٠	١٢	١١	٠	٠	١٠	٦٢	١٢.٢
٣	٥٠-٧٥	١٥	١٢	٠	٠	١٢	١٤	٠	٠	٩	٦٢	١٢.٢
٤	٧٥-١٠٠	٧	٨	٠	٠	١٣	١١	٠	٠	٥	٤٤	٨.٧
٥	١٢٥-١٥٠	١١	٩	٠	٠	٩	١٠	٠	٠	٧	٤٦	٩.١
٦	١٥٠-١٧٥	١٠	١٢	٠	٠	١٠	١٢	٠	٠	١٠	٥٤	١٠.٦
٧	١٧٥-٢٠٠	٥	١٤	٠	٠	٩	٨	٠	٠	٤	٤٠	٧.٩
٨	٢٠٠-٢٢٥	٦	٩	٠	٠	٧	٠	٠	٠	٠	٢٢	٤.٣
٩	٢٢٥-٢٥٠	٨	٨	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٨	١.٦
١٠	٢٥٠-٢٧٥	١٠	١٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١٠	٢.٠
١١	٢٧٥-٣٠٠	١٠	١٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١٠	٢.٠
	جملة	٧١	١١٩	٤٣	٢٣	٧٥	٦٨	٢٩	٣٢	٤٨	٥٠٨	١٠٠

المصدر/ الجدول من إعداد الباحث اعتماداً علي الدراسة الميدانية وبرنامج GIS 10.2.

(٥) تم استخدام أداة Buffer من خلال أدوات التحليل Analysis Tools ببرنامج ArcToolbox عبر أداة proximity.







شكل (٢٥) البعد المعياري للمحال التجارية المسجد الأحمدي بمدينة طنطا عام ٢٠١٤.

#### ٤- نقطة تقاطع قمم قيم الأراضي:

يشغل القلب التجاري في أي مدينة مساحة محدودة ، ومع ذلك فإن تركيبه الداخلي يتباين كثيراً ، ففي وسطه توجد منطقة النواة حيث تبلغ أسعار الأراضي أقصى ارتفاع في المدينة كلها، وفيها تزداد حركة المشترين والعائد الاقتصادي كبير ( *Toyne & Newby, 1984, pp148-151* )، وهو ما يطلق عليه نقطة تقاطع قمم قيم الأراضي، بحيث يحدث اختلاف في طبيعة الاستخدامات التجارية علي أساس المسافة من نقطة تقاطع قمم قيم الأراضي، بحيث يتم تقسيم الشارع إلي فئات متساوية من حيث المسافة (محمد الفتحي بكير، ١٩٩٧، ص٦٢)، جدول (١٣).

جدول (١٣) رتب أعداد محال الاستخدام التجاري من نقطة تقاطع قمم قيم الأراضي.

المسافة بالمتر	٢٥-	-٢٥	-٥٠	-٧٥	-١٠٠	-١٢٥	-١٥٠	+١٧٥	جملة
خدمات حضرية	٥	٣	١	٣	٢	١	١	٤	٢٠
مستلزمات حريمي	١	٤	٣	٦	٣	٤	٢	٢	٢٥
أدوات كهربائية ومنزلية	٤	٥	٢	٣	١	٢	٣	٦	٢٦
ملابس وأقمشة ومفروشات	٣	٢	٢	٤	٦	٣	٢	٥	٢٧
سلع غذائية	٧	١	٢	٢	٧	٧	٥	١	٢٧
حلويات ومحامص	٢	٦	٤	٤	٤	٦	٥	٣	٣١
هدايا وألعاب	٦	٥	٦	٥	٥	٧	٣	٤	٤١
محال متوقفة	٨	٨	٥	٥	٦	٥	٥	٧	٤٤
مصنوعات جلدية	٩	٧	٦	٦	٦	٨	٤	٧	٥٣
حدايد وكيموايات	١٠	٨	٦	٦	٦	٥	٥	٨	٥٤

المصدر/ الجدول من إعداد الباحث اعتماداً علي الدراسة الميدانية وبرنامج GIS 10.2.

\* تصدرت الخدمات الحضرية المرتبة الأولى بين المحال التجارية بمنطقة الدراسة في المسافات الثالثة والسادسة والسابعة، وتراجعت إلى المكانة الخامسة في المسافة الأولى والتي تصدرتها مستلزمات حريمي بصورة واضحة، في الوقت الذي تصدرت فيه المكانة الرابعة في المسافة الثامنة رغم البعد النسبي عن مركز الخدمات الرئيسي ممثلاً في المسجد الأحمدي. وكان لتنوع الخدمات الحضرية من مساجد وصيدليات وخردوات وغيرهم هذا الأثر في احتلالها لهذه المكانة المتقدمة، مع الوضع في الاعتبار التغير الذي أصاب القلب التجاري لمدينة طنطا، وتراجع الإقبال من قبل مريدي وأتباع السيد البدوي.

\* تصدرت مستلزمات حريمي المكانة الأولى في المسافة الأولى والمكانة الثانية بين رتب المحال التجارية وذلك لأن الغالبية العظمى من رواد المسجد الأحمدي من النساء والأطفال مما جعل مستلزمات حريمي تصدر هذه المكانة، ويدل على ذلك احتفاظها بالمكانة الثانية في المسافين السابعة والثامنة والتي تقع كلها في مدخل شارع السكة الجديدة من ناحية محطة قطار طنطا، كنوع من تقديم الخدمة وإغراء النساء بالشراء من هذه المحال التجارية. وتراجعت رتبة مستلزمات حريمي إلى المكانة السادسة في المسافة الرابعة لتفسح المجال أمام المحال التجارية الأخرى.

\* جاءت محال أدوات وأجهزة كهربائية ومنزلية تالفة بين رتب المحال التجارية بسبب احتلالها المكانة الأولى في المسافة الخامسة، والثانية في المسافين الثالثة والسادسة مما يدل على تركيز هذه المحال في منطقة القلب التجاري وبالقرب من المسجد الأحمدي، ولعل في تركيزها في شارع عمر زعفان وغيره من الشوارع أكبر الأثر في رواج مثل هذه النوع من السلع من قبل السكان.

\* احتلت محال ملابس وأقمشة ومفروشات وكذلك سلع غذائية المكانة الرابعة بين رتب المحال التجارية، وتنافست هذه المحال فيما بينها على تصدرها المسافات القريبة من المسجد الأحمدي مع الوضع في الاعتبار أن محال الملابس والأقمشة لم تصدر المكانة الأولى نهائياً عكس السلع الغذائية التي احتلت المكانة الأولى في المسافة الثانية لقربيها من المسجد وتركزها في شوارع درب الأبشيهي ودرب الأتر والأجزاء الشمالية من عمر زعفان، والمسافة الثامنة في بداية شارع السكة الجديدة من ناحية محطة القطر. يذكر أنه توجد منافسة قوية على احتلال المكانة الأولى في المسافات القريبة من المسجد الأحمدي بين محال مستلزمات حريمي والملابس والأقمشة والسلع الغذائية لتقديمها للسكان المترددين على



المسجد، أو للسكان المقيمين في هذه المنطقة والتي ترتفع فيها الكثافة السكانية بصورة واضحة.

\* تراجع ترتيب رتب محال الحلويات وبيع الحمص ومستلزمات الأفراح بين المحال التجارية المسجد الأحمدى رغم الشهرة الواسعة لمدينة طنطا ببيع الحلوى، ولم تصدر المكانة الأولى إلا في المسافة الرابعة والمكنة الثانية في المسافة الأولى ويعزي هذا التراجع إلي تنوع الأنشطة الاقتصادية وتعدد علي حسب صناعة الحلوى، ولم تعد تحتل المكانة التي كانت ترتبط بها قديماً خاصة أثناء انعقاد الموالد.

\* ظهر التفاوت الواضح في رتب بقية الاستخدامات التجارية الأخرى ولم تحتل المكانة المتقدمة في أيأ من المسافات الأولى بل تراجعت إلي المراكز المتأخرة وذلك لقللة أعداها قياساً لأعداد المحال الأخرى، أو لوجود شوارع ومناطق متخصصة في بيع مثل هذه النوع من السلع، بالإضافة إلي طبيعة المكان ذاته التي لا تسمح بانتشار مثل هذا النوع من السلع.

٥- معامالتوطن:

يعد الهدف من تطبيق مؤشر الأهمية النسبية الوقوف علي البعد المكاني في توطن الظاهرة قيد الدراسة من عدمه، وهل درجتها تزيد أم تنقص عن المتوسط العام، ويستخدم هذا المقياس النسبة المئوية لعدد محال الاستخدام التجاري مقسوماً علي جملة عدد محال الشوارع منسوبة إلي النسبة المئوية لإجمالي عدد الاستخدامات مقسوماً علي إجمالي العام لمحال منطقة الدراسة، وهو ما يطلق علي نسبة النسب أو درجة التوطن أو مؤشر الأهمية النسبية. ونظراً لاستخدام الباحث للعدد الحقيقي ففضل أن يطلق عليه معامالتوطن.

وتتلخص فكرته إذا كان الناتج واحد صحيح دل ذلك علي تساوي درجة تركز الاستخدام في الشارع، وإذا نقص دل علي انخفاض درجة التركيز علي المستوي العام للاستخدامات في الشارع، وإذا زاد عن الواحد صحيح دل علي شدة تركز الاستخدام التجاري بالشارع. وقام الباحث بترتيب الاستخدامات التجارية الأكثر حصولاً علي درجة توطن سواء في الاستخدامات أو علي مستوي الشوارع، ويبدو من استقراء الجدول (١٣) عدة مؤشرات نوجزها فيما يلي:

\* هدايا وألعاب: بلغت أعلى درجة توطن علي مستوي جميع الاستخدامات والشوارع بنسبة ٣.٨ بشارع درب الأزهر، نظراً لجاذبية هذه المحال للنساء والأطفال في عملية البيع والشراء، يليه شارع باب الميضة والسكة الجديدة ١.٨ و ١.٧.



\* مستلزمات حريمي: بلغت أعلى درجة توطن بسور المسجد ٣.٦، يليه شارع الخان (٢.٤) والهنود (١.٤)، وهذا يتفق مع ما تم الإشارة إليه عند دراسة هذا الاستخدام علي مستوى الشوارع.

\* أدوات كهربائية ومنزلية: حلت ثالثاً بدرجة توطن بلغت أعلاها بشارع باب الميضة ٣.٣، ثم شارع عمر زعفان (٢.٥)، ويبدو هذا غير منطقي نظراً للتركز الشديد لهذا الاستخدام في شارع عمر زعفان، لكن ما جعل شارع باب الميضة يتصدر هذا الاستخدام هو قلة عدد محال قياساً بشارع عمر زعفان من جهة وزيادة أعداد محال الأدوات المنزلية بشارع باب الميضة من جهة أخرى.

\* حدايد وكيمابويات: بلغت أعلى درجة توطن بشارعي درب الأبشيهي وعمر زعفان (٣، و٢.٩)، حيث تركز بهما معظم هذا النوع من الاستخدام، يليه سور المسجد (١.٨). جدول (١٤) معامل توطن الاستخدام التجاري علي مستوى منطقة الدراسة عام ٢٠١٤.

نوع الاستخدام	الخان	السكة الجديدة	الهنود	باب الميضة	درب الأبشيهي	درب الأتر	درب الأزهر	سور المسجد	زعفان
مستلزمات حريمي	٢.٤	٠.٧	١.٤	٠.٦	٠.٢	٠.٦	٠.٠	٣.٦	٠.١
حلويات ومحامص	٠.٠	٢.٨	١.٠	٠.٤	٠.٠	٠.٨	١.٤	٠.٠	٠.٧
أدوات كهربائية ومنزلية	٠.٤	٠.١	٠.٩	٣.٣	١.٩	٠.٩	٠.٨	٠.٢	٢.٥
خدمات حضرية	٠.٤	١.١	١.١	٠.٨	١.٩	٠.٨	٠.٨	٠.٤	١.١
ملابس وأقمشة ومفروشات	٢.٧	٠.٤	٢.٥	٠.٦	٠.٢	٠.٨	٠.٠	١.٣	٠.٩
سلع غذائية	٠.٤	١.٠	٠.٢	٠.٤	١.١	٢.٣	١.٨	٠.٣	٠.٩
هدايا والعب	٠.٦	١.٧	٠.٠	١.٨	٠.٤	٠.٦	٣.٨	٠.٤	٠.٦
محال متوقفة	٠.٧	٠.٨	٠.٥	٠.٠	٢.٥	١.٤	٠.٨	١.٤	٠.٠
حدايد وكيمابويات	٠.٠	٠.٥	٠.٠	٠.٠	٣.٠	٠.٤	٠.٠	١.٨	٢.٩
مصنوعات جلدية	٠.٨	٠.٧	٠.٠	١.٢	١.١	٢.١	٢.٩	٠.٠	٠.٦

المصدر/ الجدول من إعداد الباحث اعتماداً علي الدراسة الميدانية.

\* مصنوعات جلدية: رغم قلة أعدادها بصفة عامة إلا أن درجة توطنها كان أعلى بشارع درب الأزهر (٢.٩) لمواجهته للمسجد الأحمدي، يليه شارع درب الأتر (٢.١)، وكادت تتساوي درجة التوطن في شارع باب الميضة (١.٢) ودرب الأبشيهي (١.١).

\* حلويات ومحامص: كان طبيعياً أن تتوطن محال الحلويات بشارع السكة الجديدة (٢.٥) لأسباب عدة ذكرتها في حينها، مما أعطي هذا الفارق الكبير في درجة التوطن علي مستوى الشوارع، خاصة أن المنطقة المحيطة بمسجد البدوي ومدينة طنطا اشتهر عنها بيع الحلوى والحمص.

\* ملابس وأقمشة: بلغت نسبة التوطن أعلاها بشارعي الخان والهنود (٢.٧، ٢.٥)، تميز الشارعان بتركز محال المفروشات والأقمشة علي وجه التحديد، وشارع درب الأتر لملابس الرجال.

\* سلع غذائية: بلغت اعلي نسبة توطن بشوارع درب الأتر ٢.٣، لتركز محال العطارة ولوازم الأفراح ومحال الزيوت والطحينة، يليه درب الأزهر (١.٨) لمواجهته للمسجد، وتقارب معامل التوطن بشوارع الأبيهي (١.١) والسكة الجديدة (١) وعمر زعفان (٠.٩) لوجود محال البقالة والحاتي.

\* خدمات حضرية: لا يوجد توطن بالمعني المعروف نظراً لحاجة السكان اليومية إلي هذا النوع من الاستخدام، بلغت أعلاها بشوارع درب الأبيهي (١.٩)، و(١.١) بشوارع السكة الجديدة وعمر زعفان والهنود، و(٠.٨) بشوارع باب الميضة ودرب الأتر ودرب الأزهر.

#### ٦- نصيب المحال من طول الشارع (\*):

تعطي نسب أطوال واجهات المحال التجارية من الطول الكلي للشوارع صورة حقيقية عن الوظيفة التجارية في منطقة الدراسة، (محمد الفتحي بكير، ١٩٩٧، ص ٥٦). وتدرج الباحث في قياساته لتوضيح أهمية المنطقة التجارية فقد ذهب إلي حساب نصيب واجه المحال من الشارع الرئيسي وذلك علي مستوي الاستخدام التجاري والشارع كلاً علي حده.

وباستقراء الجدول (١٥) تبين عدة حقائق يمكن توضيحها في النقاط التالية:

\* تنوعت نسب أطوال واجهات المحال التجارية بمنطقة الدراسة، هذا التنوع وضع هذه الاستخدامات في ثلاث مجموعات طبقاً لنسبها المئوية هي: الأولى تزيد علي ١٥٪: وتصدرها خدمات حضرية بنسبة ١٧٪ من جملة نسب أطوال الواجهات، الثانية تتراوح نسبتها بين ١٠-١٤.٩٪: تضم استخدامات مستلزمات حريمي وأدوات كهربائية ومنزلية وحلويات ومحامص وملابس وأقمشة ومفروشات وسلع غذائية، وهذه الأنواع أكثر استخداماً علي مستوي المسجد الأحمدي والقلب التجاري للمدينة، الثالثة: أقل من ٩.٩٪: تضم بقية الاستخدامات ممثلة في هدايا وألعاب ومحال متوقفة وحدايد وكيماويات ومصنوعات جلدية.

جدول (١٥) نسب أطوال واجهات محال الاستخدام التجاري بمنطقة الدراسة عام ٢٠١٤. (٪)

أطوال المحال (٪)	الخان	السكة الجديدة	الهنود	باب الميضة	درب الأبيهي	درب الأتر	درب الأزهر	مسجد	عمر زعفان	جملة
٤.٦	١٩.٣	١٥.٤	١٦.٣	٣١.١	١١.٧	١٠.٣	٦.٠	٢٢.٣	١٧.١	
٤٢.٥	٩.٩	٢٢.٠	٥.٩	٣.١	٨.٨	٠.٠	٥٣.١	٢.٥	١٤.٢	
٥.٣	٠.٦	١٥.٤	٤٢.١	٢٧.٢	١٢.٨	١٠.٦	٢.٩	٣٠.٨	١٣.٨	
٣٦.٩	٠.٠	٩.٣	٥.٣	٠.٠	١٠.٤	١٥.٣	٠.٠	٦.٦	١٣.٣	
٣٣.٠	٤.٦	٣٢.٨	١١.٦	٢.٣	١٠.٩	٠.٠	١٩.٢	١٢.٧	١٢.٩	
٤.٢	١٠.٣	٢.١	٤.٣	٩.٦	٢٥.٦	٢٣.٣	٣.٣	٩.١	١٠.٧	
٣.٦	١١.٧	٠.٠	١١.٧	٢.٥	٤.٤	٢٥.٩	٣.١	٣.٣	٦.٧	
٤.٣	٢.٨	٣.٠	٠.٠	٩.٩	٦.٤	٤.٥	٦.١	٠.٠	٤.٣	
٠.٠	١.٧	٠.٠	٠.٠	١٠.٧	١.١	٠.٠	٦.٢	١١.٠	٣.٧	
٢.٤	٢.١	٠.٠	٢.٨	٣.٥	٧.٨	١٠.٢	٠.٠	١.٧	٣.٢	
١٠.٠	١٠.٠	١٠.٠	١٠.٠	١٠.٠	١٠.٠	١٠.٠	١٠.٠	١٠.٠	١٠.٠	

المصدر/ الجدول من إعداد الباحث اعتماداً علي الدراسة الميدانية.

(٢) نصيب المحال من طول الشارع = طول الشارع ÷ عدد المحال في الشارع.



\* شارع الخان: استحوذت مستلزمات حريمي علي الشارع بواجهة زادت نسبتها علي الخمسين، فيما بلغ أطوال واجهات محال ملابس وأقمشة ومفروشات علي الثلثين، بما يعني تضاول نسب أطوال بقية الاستخدامات الأخرى والتي تذيّلها طول واجهة مصنوعات جلدية بنسبة ٢.٤٪.

\* السكة الجديدة: تنوعت أطوال واجهات الاستخدامات التجارية بهذا الشارع إلي حد ما برغم استحواذ محال الحلويات والحمص علي ٣٧٪ من جملة واجهات المحال، ومن بعدها خدمات حضرية بنسبة الخمسين، ومن بعدهما واجهات محال الهدايا والألعاب والسلع الغذائية بنسبة ١١.٧٪ و ١٠.٣٪، فيما تذيّلت أطوال محال أدوات كهربائية ومنزلية بنسبة ٠.٦٪.

\* الهنود: أدي صغر طول هذا الشارع إلي تنوع الاستخدامات التجارية بداخله مع إعطاء مساحات مختلفة لواجهات المحال كان أعلاها محال ملابس وأقمشة ومفروشات بنسبة الثلث تقريباً، ومستلزمات حريمي بنسبة تجاوزت الخمس، وكل من خدمات حضرية وأدوات كهربائية ومنزلية بنسبة ١٥.٤٪ من طول أطوال المحال.

\* باب الميضة البحري: لا يختلف كثيراً عن سابقه سوي في استحواذ محال أدوات كهربائية ومنزلية علي أكثر من خمسي أطوال المحال بالشارع، يليه استخدام خدمات حضرية بنسبة ١٦.٣٪، وبنسبة ١١.٦٪ لأطوال محال هدايا وألعاب وملابس وأقمشة ومفروشات، فيما تذيّلت أطوال محال مصنوعات جلدية بنسبة ٢.٨٪.

\* درب الأبشيهي: استحوذت واجهة محال خدمات حضرية (٣١.١٪) وأدوات كهربائية ومنزلية (٢٧.٢٪) علي ٥٨.٣٪ من أطوال المحال، فإذا ما أضيف إليهم حديد وكيماويات لارتفعت النسبة إلي ٦٩٪ من إجمال واجهات المحال، تاركة بقية النسب لستة أنواع من المحال الأخرى.

\* درب الأتر: يعد هذا الشارع واحد من أفضل واجهات المحال في منطقة الدراسة، حيث توزعت نسب أطوال محاله علي خمس محال بنسبة تجاوزت ١٠٪، كان أعلاها للسلع الغذائية بنسبة الربع، وأدوات كهربائية ومنزلية وخدمات حضرية بنسبة ١٢.٨٪ و ١١.٧٪، فإذا ما أضيف إليهم محال ملابس وأقمشة ومفروشات (١٠.٩٪) وحلويات (١٠.٤٪) لارتفعت النسبة إلي ٧١.٤٪ من نسب أطوال واجهات المحال بالشارع.

\* درب الأزهر: توزعت نسب أطوال واجهات المحال علي ستة أنواع من الاستخدام التجاري بالإضافة إلي محال متوقفة (٤.٥٪) بنسبة تجاوزت ١٠٪، تصدرت نسب أطوال



محال الهدايا والألعاب جميع المحال بنسبة الربع، تليها سلع غذائية بنسبة ٢٣.٣٪، ونسب أطوال محال حلويات ومحامص بنسبة ١٥.٣٪، فيما حامت نسب أطوال استخدامات أدوات كهربائية وخدمات حضرية ومصنوعات جلدية حول ١٠.٤٪.

\* سور المسجد: رغم أن واجهة محال ومساحة هذه البوتيكات تكاد تكون متساوية، إلا أن نسبة أطوال مستلزمات حريمي تجاوزت النصف، تبعها نسب أطوال محال ملابس وأقمشة ومفروشات بنسبة الخمسين بإجمالي ٧٢.٣٪، وتوزعت النسبة الباقية على ستة أنواع آخر تذييلهم نسب أطوال محال أدوات كهربائية ومنزلية.

\* عمر زعفان: يعد من أكثر شوارع مدينة طنطا تركزاً وتخصصاً في بيع الأدوات والأجهزة الكهربائية والمنزلية، لذا لم يكن غريباً أن تستحوذ نسب أطوال محاله على ٣٠.٨٪ من جملة أطوال المحال بالشارع، جاء من بعدها محال خدمات حضرية بنسبة ٢٢.٣٪، ثم نسب أطوال محال ملابس وأقمشة ومفروشات (١٢.٧٪) وحدايد وكيماويات (١١٪) لتستحوذ نسب أطوال هذه الاستخدامات الأربع على أكثر من ثلاثة أرباع أطوال محال الشارع.

#### ٧- نصيب المحال من مساحة الشارع:

أسهم العديد من الجغرافيين في دراسة موضوع التنظيم المكاني لاستخدامات الأرض حتى أصبحت خريطة استخدام للأرض علامة مميزة من علامات الإضافة في جغرافية المدن (Hall, P., 1992, p18)، ولفهم هذا التنظيم المكاني كان لابد من النظر إلى طبيعة الاستخدام التجاري من خلال معرفة نصيب كل محل تجاري من جملة الاستخدامات التجارية داخل الشارع الواحد، وقد أمكن ذلك من خلال قسمة أعداد المحال بالشارع على إجمالي مساحة الاستخدام التجاري بالشارع، وتصنيفها على النحو التالي، جدول (١٦):

\* مستلزمات حريمي: بلغ متوسط مساحة المحال المسجد الأحمدى ٢٤٧، مثلت في سبع شوارع وسور المسجد، كانت أقلها في سور المسجد ٢٤، وأعلىها بشارع الخان بمساحة ٢١٠٢ هي الأكبر على مستوي جميع الشوارع، يليها شارع عمر زعفان بمساحة ٢٦٠، ثم شارع درب الأبيشي ٢٣٩، ثم بقية الشوارع.

\* حدايد وكيماويات: بلغ متوسط مساحة المحال المسجد الأحمدى ٢٣٢، جاءت خلف محال مستلزمات حريمي من حيث مساحة المحال، مثلت في أربع شوارع وسور المسجد، كانت أقلها في سور المسجد ٢٤، وأعلىها بشارع عمر زعفان بمساحة ٢٥١،

يليهما شارع السكة الجديدة بمساحة ٢م٣٤، ثم شارع درب الأبيهي ٢م٢٨، ثم شارع درب الأتر بمساحة ٢م١٣، ويبدو الفارق واضحاً بين مساحة المحال علي مستوي الشوارع.

\* ملابس وأقمشة ومفروشات: بلغ متوسط مساحة المحال المسجد الأحمدي ٢م٢٣، ورغم ذلك سجلت محال الأقمشة بشارع عمر زعفان أعلي مساحة عن غيرها من المحال جعلها تحل ثالثاً من حيث الترتيب بمساحة ٢م٤٦، يليه محال شارع باب الميضة بمساحة ٢م٣٢، ثم السكة الجديدة بمساحة ٢م٢٨، وشوارع الخان ودرب الأبيهي ودرب الأتر بمساحة ٢م٢٣، ثم الهنود (١٨) وسور المسجد ٢م٥.

جدول (١٦) مساحة محال الاستخدام التجاري بمنطقة المسجد الأحمدي عام ٢٠١٤م. (٢م)

مساحة المحال (م <sup>٢</sup> )	الخان	السكة الجديدة	الهنود	باب الميضة	درب الأبيهي	درب الأتر	درب الأزهر	سور المسجد	زعلان	جملة
١٠٢	٢٨	٢٣	٨	٣٩	٢٤			٤	٦٠	٤٧
٤٤		١٥	٢٦		٢٦	١٥			٢٦	٣٦
٣٤				٢٨	١٣			٤	٥١	٣٢
٣٥	١٦	٣٥	٢٠	٣٥	٣٠	٢٠		٤	٤٠	٣١
٢٣	٢٣	٢٢	١٩	٢٦	٣١	٢٤		٤	٣٦	٣٠
٢٣	٢٦	١٦	١٩	١٩	٢٤	٢٤		٥	٣٦	٢٥
٢٣	٢٣	١٩	٧	٣٠	١٩	١٩		٤	٤٠	٢٤
٢٤	٣٠	١٦	١٦	٢٤	٢٤	١٦		٤	٣٠	٢٤
٢٣	٢٨	١٨	٣٢	٢٣	٢٣	٢٣		٥	٤٦	٢٣
٢٣	٢٣	٢٣	٧	٢٣	٢٨	٢٨			٢٨	٢٣
٥٥	٣٢	٢١	١٧	٢٩	٢٤	١٩		٤	٤٠	٣٠

المصدر/ الجدول من إعداد الباحث اعتماداً علي الدراسة الميدانية.

\* حلويات ومحامص: رغم الاستحواذ الواضح لشارع السكة الجديدة لمحال الحلويات إلا أن مساحة محاله كانت من النوع المتوسط قياساً بغيره من المحال، حيث بلغت مساحة محاله ٢م٤٤، فيما تساوت في شوارع عمر زعفان وباب الميضة ودرب الأتر بمساحة ٢م٢٦، وكذلك الحال في شارع درب الأزهر والهنود ٢م١٥، وهي بذلك تعد من النوع المثالي من حيث المساحة علي مستوي شوارع منطقة الدراسة.

\* خدمات حضرية: رغم الانتشار الواضح لهذا الاستخدام علي مستوي منطقة الدراسة إلا أن مساحة محاله كانت من النوع المتوسط قياساً بغيره من المحال علي غرار محال الحلويات، حيث بلغ متوسط مساحة محاله ٢م٢٤، تصدرت محال شارع عمر زعفان هذه المجموعة بمساحة ٢م٤٠، يليه محال درب الأبيهي بمساحة ٢م٣٠، فيما تساوت في شارع الخان والسكة الجديدة بمساحة ٢م٢٣، وكذلك الحال في شوارع درب الأزهر والهنود ودرب الأزهر ٢م١٩، وهي بذلك تعد من النوع المثالي من حيث المساحة علي مستوي شوارع المسجد الأحمدي باستثناء محال باب الميضة ٢م٧ وسور المسجد ٢م٤.



\* أدوات كهربائية ومنزلية: رغم انتشارها الواضح علي مستوي منطقة الدراسة إلا أن مساحتها كانت متقاربة جداً، حيث بلغ متوسط مساحة محاله ٢م٣١، تصدرت محال شارع عمر زعفان هذه المجموعة بمساحة ٢م٤٠، يليه محال شارع الهنود ودرج الأبيهي بمساحة ٢م٣٥، فيما تساوت في شارع الخان ودرج الأتر بمساحة ٢م٣٠، وبمساحة ٢م٢٠ بشارع درب الأزهر وباب الميضة، و٢م١٦ بالسكة الجديدة وسور المسجد ٢م٤.

\* سلع غذائية: تميزت محال السلع الغذائية بمساحتها الصغيرة نظراً لتوضعها في منطقة الدراسة، واقتصارها فقط علي تقديم سندوتشات الفول والقلافل، ويستثنى من ذلك محال الحاتي التي تنتشر بشارع عمر زعفان (٢م٣٦) والسكة الجديدة (٢م٢٦)، فيما تنتشر محال البقالة بشوارع الخان (٢م٣٣) ودرج الأزهر ودرج الأتر (٢م٢٤)، بلغت مساحة محال درب الأبيهي وباب الميضة ٢م١٩، والهنود ٢م١٦ وسور المسجد ٢م٥.

\* هدايا وألعاب: تميزت محال الهدايا بمثالية مساحتها رغم تنوعها وانتشارها في أماكن متفرقة بمنطقة الدراسة، فقد جاءت في ثلاث مجموعات مساحية متقاربة بشكل كبير، حيث بلغت مساحة شارع السكة الجديدة وعمر زعفان ٢م٣٠، و٢م٢٤ لشوارع درب الأتر ودرج الأبيهي والخان، و٢م١٦ لشارع باب الميضة ودرج الأزهر، فيما تذيلت محال سورة المسجد بمساحة ٢م٤.

\* مصنوعات جلدية: تشترك مع محال الهدايا بمثالية مساحتها رغم قلة أعدادها وصغر مساحتها وتوضعها بمنطقة الدراسة، فقد جاءت في مجموعتين مساحية بصورة واضحة، حيث بلغت مساحة شارع درب الأتر وعمر زعفان (بيع مستلزمات أحذية) ٢م٢٨، فيما بلغت ٢م٢٣ لشوارع السكة الجديدة ودرج الأبيهي والخان، و٢م١٨ لشارع درب الأزهر، فيما تذيلت محال باب الميضة بمساحة ٢م٧.



## النتائج

⊗ تضم منطقة المسجد الأحمدي بمدينة طنطا تسعة شوارع رئيسة يتوسطها المسجد الأحمدي، أكبرهم وأوسعهم وأشهرهم علي الإطلاق شارع السكة الجديدة، ويأتي من بعده شارع عمر زعفان من حيث الأهمية والاتساع، ثم شارع درب الأزهر ودرب الأبيشيهي غرباً، وشوارع باب الميضة البحري ودرب الأتر والخان شمالاً، وشارع الهنود شرقاً.

⊗ أدى اتساع رقعة المدينة وأنشطتها التجارية إلى ظهور نويات جديدة للقلب التجاري سواء في شكل تجمعات تجارية أو في شكل أسواق خطية، واشتهرت المدينة بعدة شوارع تخصصت في أنواع بعينها من التجارة.

⊗ بلغت أطوال شوارع المنطقة نحو ٢٣١٠ متراً، في حين بلغت مساحتها أكثر من ١٥ ألف ٢م، كما تباين عرضها، إذ تعد منطقة المسجد الأحمدي هي النواة الأولى للمدينة، ومن ثم تميزت بضيقها، مما أدى إلي تدخل الجهات الحكومية من أجل توسعة الشوارع التي تحيط بالمسجد من خلال إزالة المساكن، كما في شوارع السكة الجديدة والهنود ودرب الأزهر.

⊗ بلغت أعداد المحال التجارية ٥٠٠ محلاً، يضم الجانب الأيمن ٢٥٨ محلاً تمثل ٥١.٦٪، وعلي الجانب الأيسر ٢٤٢ محلاً. استحوذ شارع السكة الجديدة علي نحو ربع عدد المحال. في حين تمثل الشوارع التي تقع إلي الشمال من المسجد والتي تضم باب الميضة والخان ودرب الأتر وسور المسجد خمس عدد المحال، ونسبة المحال بشارع الهنود ٨.٦٪، ونسبة المحال التي تقع في الغرب بشوارع درب الأبيشيهي وعمر زعفان ودرب الأزهر ٢٩.٨٪ من جملة محال منطقة الدراسة.

⊗ تصدر الجانب الأيمن كثافة المحال التجارية، إذ بلغت ٣.٧ محل/٢م<sup>١٠٠</sup> بمساحة ٢م<sup>٦٩٨١</sup>، فيما تصدر الجانب الأيسر المساحة ٢م<sup>٨٤٦٤</sup> ثم الكثافة ٢.٩ محل/٢م<sup>١٠٠</sup>. وتصدر محال سور المسجد كثافة المحال التجارية بالجانب الأيمن بنحو ٢٣ محل/٢م<sup>١٠٠</sup>، فيما تصدر شارع باب الميضة ودرب الأزهر كثافة المحال علي الجانب الأيسر بأكثر من ٥ محل/٢م<sup>١٠٠</sup>.

⊗ استحوذ المباني التي يغلب عليها الاستخدام التجاري علي أكثر من نصف المحال التجارية، سجل شارع الهنود شرق المسجد علي العلامة الكاملة، وتجاوزت ٩٠٪ بشوارع سور المسجد وشارعي باب الميضة والخان وأكثر من الثلث بشارعي درب الأتر. في حين

لم تزد نسبة شارع السكة الجديدة الذي يقع جنوب المسجد عن ٣٢% من جملة الاستخدامات.

☒ اقتصر الاستخدام الفندقية علي شارعي السكة الجديدة بعدد ٢١ محل تجاري بنسبة ١٧.٦% من جملة استخدامات الشارع، موزعة علي فندق عرفة والفندق القديمة المواجة للمسجد الأحمدية، وفندق بشارع درب الأتر، ولم تتجاوز نسبة الاستخدام الفندقية بمنطقة الدراسة عن ٥.١%. واقتصر الاستخدام الديني علي ثمانية مبان منها خمسة مساجد هي: البهي بالسكة الجديدة وجمعية ملحقة به، ومسجد البابلي ومصلي بشارع درب الأتر، ومسجدان بشارع درب الأبشيهي، والقصيبي بشارع عمر زعفان، والسيل الأحمدية بشارع باب الميضة.

☒ علي الرغم من اشتهاار المنطقة ومدينة طنطا بصناعة الحلويات والحمص، إلا أن الاستخدامات التي تخص النساء وكذلك الأطفال بدأت تسود حول المسجد الأحمدية وذلك لأمرين: أولهما أن معظم الوافدين لزيارة ضريح البدوي من النساء، وبالتالي يتم إغرائهن بالمستلزمات التي تخصهن، ثانيهما سهولة الوصول إلي قلب المدينة التجارية سواء من محطة القطار أو عن طريق خطوط السرفيس التي تسير خطوطها بشارعي الجلاء والمديرية المحيطان بالمنطقة.

☒ رغم أهمية السلع الغذائية لئسد حاجة الوافدين والزائرين للمسجد الأحمدية والاعتماد الكلي علي المطاعم في فترة انعقاد المولد إلا أن أعداد المحال أخذ في التراجع لأمرين: الأول ارتفاع القيمة الايجارية للمكان وعدم جدوى إقامة مطعم أو حاتي لتلبية فترة معينة من السنة، الآخر استقدام الزائرين إلي المسجد بأطعمتهم ومأكولاتهم معهم أيام الجمع، أو في فترة انعقاد المولد.

☒ استأثرت ملابس وعبايات حريمي علي النصيب الأكبر فيما يخص حاجة النساء، ولأن الغالبية العظمي من رواد المسجد الأحمدية من النساء الريفيات سواء من قرى ومراكز الغربية أو من المحافظات، فقد تخصصت المحال في الأذواق التي تقبل عليها النساء الريفيات، وبعض المقيمات في مدينة طنطا من ذوي الدخل المحدود.

☒ تعد الخدمات الحضرية أكبر المجموعات تنوعاً علي مستوي المجموعات التجارية وأكثرها انتشاراً بمنطقة الدراسة، تصدرهم محال الخردوات نتيجة لإقبال السكان والرواد لشراء احتياجاتهم من المنطقة لقربها من وسائل النقل المختلفة. وتركزت المكتبات

والمطبعات في شارعي درب الأبيهي والسكة الجديدة، وتوزعت الصيدليات علي معظم منطقة الدراسة.

⊗ تبين من الدراسة أن معظم المحال التجارية التي تشملها منطقة المسجد الأحمدي تقع في حيز مكاني يبلغ قطره ١٧٣م، ضم شوارع الهنود وباب الميضة ودرب الأزهر ودرب الأبيهي وعمر زعفان ومحلات سور المسجد ومنتصف شارع درب الأتر، والأجزاء من القرية من المسجد الأحمدي بشارع السكة الجديدة. وخرج شارع الخان من هذا النطاق كونه شارعاً متطرفاً.

⊗ تصدرت الخدمات الحضرية المرتبة الأولى بين المحال التجارية بمنطقة الدراسة من حيث القرب، وكان لتنوع الخدمات الحضرية أكبر الأثر في احتلالها لهذه المكانة المتقدمة، مع الوضع في الاعتبار التغير الذي أصاب القلب التجاري لطنطا، وتراجع الإقبال من قبل مريدي وأتباع السيد البدوي.

⊗ بلغت أعلى درجة توطن علي مستوي جميع الاستخدامات والشوارع محال الهدايا والألعاب بنسبة ٣.٨ بشارع درب الأزهر، نظراً لجاذبية هذه المحال للنساء والأطفال في عملية البيع والشراء، يليه شارعي باب الميضة والسكة الجديدة ١.٨ و ١.٧.



المعنى الذي يكتسبه هذا المصطلح في ضوء المنهج التاريخي، وهو ما سنتناول في هذا المقال.

من المفاهيم التي استخدمها الباحثون في دراسة التاريخ، مفهوم "التاريخية"، وهو يعني تلك الصفات التي تجعل من الأحداث والأشخاص جزءاً من التاريخ، أي تلك الصفات التي تجعل من الأحداث والأشخاص جزءاً من السلسلة المتصلة من الأحداث والأشخاص التي تشكل التاريخ.

وهذا المفهوم يختلف عن مفهوم "التاريخي"، الذي يعني ذلك الذي له علاقة بالتاريخ، أي ذلك الذي له علاقة بالماضي، أو الذي له علاقة بالماضي والحاضر والمستقبل.

وهذا المفهوم يختلف أيضاً عن مفهوم "التاريخي"، الذي يعني ذلك الذي له علاقة بالتاريخ، أي ذلك الذي له علاقة بالماضي، أو الذي له علاقة بالماضي والحاضر والمستقبل.

## المراجع والمصادر

أولاً: اللغة العربية:

١. إبراهيم علي غانم (١٩٨١). محافظة الغربية دراسة في الجغرافيا الاقتصادية. ماجستير غير منشورة، كلية الآداب قسم الجغرافيا، جامعة عين شمس.
٢. أحمد السيد الزاملي (١٩٩٩). أحجام المدن وتباعدها في منطقة وسط الدلتا. مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة. العدد ٢.
٣. أحمد الطاهر سمير رضوان (٢٠١٣)، الأبعاد الجغرافية في احتفالات موالد أعلام الصوفية في مدن وسط الدلتا طنطا. دسوق، الشهداء، دكتوراه غير منشورة. كلية الآداب قسم الجغرافيا، جامعة المنوفية.
٤. أحمد علي إسماعيل (١٩٩٣). دراسات في جغرافية المدن، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة.
٥. أحمد محمد عبد العال (١٩٩٩). معدلات نمو المدن المصرية فيما بين عامي ١٩٤٧-١٩٨٦، المجلة الجغرافية العربية، الجمعية الجغرافية المصرية، العدد ٣٣، القاهرة.
٦. أنور طلب إبراهيم (١٩٧٦)، ذو الكرامات السيد أحمد البدوي. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة.
٧. جمال حمدان (١٩٧٧). جغرافية المدن. عالم الكتاب، الطبعة الثانية. القاهرة.
٨. رسمي دمر محمد دينا (١٩٨١). مدينة طنطا دراسة في جغرافية المدن. دكتوراه غير منشورة. كلية البنات قسم الجغرافيا. جامعة عين شمس.
٩. سامي إبراهيم عبد الرحمن (١٩٩٢). النقل الداخلي لمدينة طنطا ومشكلاته الرئيسية. ماجستير غير منشورة، كلية الآداب قسم الجغرافيا. جامعة طنطا.
١٠. سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٩٨٣م.
١١. سعد جاسم محسن السعدي (١٩٩٧). وظائف استعمالات الأرض في مراكز المدن. ماجستير غير منشورة، مركز التخطيط الحضري والإقليمي، جامعة بغداد.

- ١٢ صفوح خير (١٩٩٢)، البحث الجغرافي مناهج وأساليبه، دار المريخ للطبع والنشر، ط٤، الرياض، السعودية.
- ١٣ عبد الإله أبو عياش (١٩٨٤)، الإحصاء والكمبيوتر في معالجة البيانات مع تطبيقات جغرافية، وكالة المطبوعات، الكويت.
- ١٤ عبد الصاحب ناجي رشيد البغدادي (١٩٩٩)، الملازمة المكانية لاستعمالات الأرض السكنية في مدينة النجف، دكتوراه غير منشورة، مركز التخطيط الحضري والإقليمي، جامعة بغداد.
- ١٥ عبد العزيز كامل، الجغرافيا والدين، سلسلة رسائل جغرافية، رقم ١٤٠، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، يناير ١٩٩٢.
- ١٦ عبد العظيم أحمد عبد العظيم: مرقد آل البيت في مدينة القاهرة دراسة جغرافية، مؤتمر "السياحة العربية في عالم متغير"، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، يوليو ٢٠١٠.
- ١٧ عبد الفتاح إمام حزين (١٩٨٩)، استخدامات الأرض بمدينة أبها بالمملكة العربية السعودية، مجلة دراسات جغرافية، جامعة المنيا، العدد ١٤.
- ١٨ عبد الله عبد السلام أحمد أبو العنين (٢٠٠٥)، التوزيع الجغرافي للمدن في إقليم الدلتا التخطيطي دراسة تحليلية، المجلة الجغرافية العربية، الجمعية الجغرافية المصرية، الجزء الثاني، العدد ٤٦، القاهرة.
- ١٩ علي عبد عباس العزاوي وسعد صالح خضر عيد (٢٠١٢)، نمذجة التحليل المكاني لاستعمالات الأرض الزراعية في ناحية القيارة باستخدام الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية، جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد السابع، العدد الثالث، جامعة كركوك.
- ٢٠ عيسى علي إبراهيم (١٩٩٣)، بعض خصائص استخدامات الأرض والسكان في قلب الإسكندرية التجاري: دراسة في البيئة الحضرية، ندوة عاطف غيث: علم الاجتماع وقضايا الأمن والبيئة في العالم العربي، الجزء الأول، ١٥-١٧ فبراير، الإسكندرية.
- ٢١ فتحي محمد أبو عيانة (٢٠١٢)، جغرافية العمران، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.



- ٢٢ فتحي محمد مصلحي (٢٠٠٠)، جغرافية المدن: الإطار النظري وتطبيقات عربية. مطبعة التوحيد، شبين الكوم.
- ٢٣ فريال بنت محمد الهاجري (٢٠٠١)، استخدام الأرض في منطقة الأعمال المركزية لمدينة الخبر، المجلة الجغرافية الكويتية، رسائل جغرافية، العدد ٢٥٨، الكويت، جامعة الكويت.
- ٢٤ فريدة أحمد عاصم (٢٠٠٨)، جغرافية تجارة التجزئة في مدينة طنطا. ماجستير غير منشورة، كلية الآداب قسم الجغرافيا، جامعة المنوفية.
- ٢٥ قاسم الدويكات (٢٠٠٣)، نظم المعلومات الجغرافية النظرية والتطبيقية، الطبعة الأولى، مطبعة دائرة المطبوعات والنشر، عمان الأردن.
- ٢٦ محمد الفتحي بكير محمد (١٩٩٧)، حركة قلب الإسكندرية التجاري؛ دراسة حالة منطقة الإبراهيمية، إصدارات مجلة كلية الآداب، فرع دمنهور جامعة الإسكندرية.
- ٢٧ محمد حسين عبد الستار رزق (٢٠٠٩)، استخدام الأرض في شياخة بهتيم مدينة شبرا الخيمة، باستخدام نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار من بعد، ماجستير غير منشورة، كلية الآداب قسم الجغرافيا، جامعة عين شمس.
- ٢٨ محمد محمد الغليان (١٩٨٧)، الامتداد العمراني لمدينة طنطا، مجلة كلية الآداب جامعة طنطا، المجلد الرابع.
- ٢٩ ناصر عبد الله الصالح (٢٠٠٩)، الوظيفة الدينية وأثرها علي التركيب الداخلي واستخدامات الأرض بمدينة مكة المكرمة، مجلة جامعة أم القرى، العدد الأول، السنة الأولى.

ثانياً: اللغة الانجليزية:

- 1 Clark, D, (1982), Urban Geography, Croom Helm, London.
- 2 David J. Maguire. Michael Batty & Michael F. Godchild (eds), (2005) GIS Spatial analysis and modeling, ESRI Press, Redland, California.
- 3 Harold M. Mayer, (1959), Reading in urban geography .the university of Chicago .
- 4 Kirby, A. & Others, (1999), public Provision And Urban Development, Croom Helm; London.
- 5 Northam, R.M, (1979), Urban Geography, John Wiley, New York.

- 6 Rhind, D, & Hudson, R., (1980), Land Use, New York.  
 7 Hall, p, (1992), Urban And Regional Planning, Rout ledge, London.

نموذج حصر استخدام الأرض حول المسجد الأحمدى ومداخله

١. رقم المبني: .....
٢. اسم الشارع: .....
٣. جانب الشارع: الأيمن ( ) الأيسر ( )
٤. حالة المبني: قديم جداً ( ) قديم ( ) متوسط ( ) حديث ( )
٥. أعداد الطوابق: .....
٦. نوع استخدام المبني: تجاري ( ) سكني ( ) فندقى ( ) ديني ( )
٧. استخدامات الطابق الأرضي: أجهزة وأدوات كهربائية ( ) أحذية ( ) أحذية وشنط ( ) أدوات منزلية ( ) أقمشة وملابس ( ) إكسسوارات ( ) بقالة ( ) تصليح وقطع غيار ( ) جزارة ( ) حلواني ( ) خردوات ( ) زيوت وطحينة ( ) حدائد ( ) ستوديو ( ) سنترال ( ) صيدلية ( ) طرح حريمي ( ) عصارة ( ) عطارة ( ) فرن ( ) فوانيس ( ) كاست ( ) كوافير ( ) لعب أطفال ( ) لوازم أفراح ( ) مبيدات ومنظفات ( ) مجوهرات ( ) مستلزمات أحذية ( ) محمصة ( ) مستلزمات تجميل ( ) مطابخ ( ) مطعم وحاتي ( ) مقهى ( ) مفروشات ( ) مكتبة ومطبعة ( ) ملابس أطفال ( ) ملابس داخلية ( ) ملابس رجالي ( ) ملابس وعبايات حريمي ( ) نجف ( ) هدايا ( ) مسجد ( ) أخرى ( ) .
٨. نوع الاستخدام التجاري: أدوات كهربائية ومنزلية ( ) حدائد وكيموايات ( ) حلويات ومحامص ( ) خدمات حضرية ( ) سلع غذائية ( ) محال متوقفة ( ) مستلزمات حريمي ( ) مصنوعات جلدية ( ) ملابس ومفروشات ( ) هدايا وألعاب ( ) .
٩. استخدام الطوابق العلوية: تجاري ( ) سكني ( ) فندقى ( )
١٠. نوع الاستخدام: .....
١١. ملاحظات عامة: .....



التي هي عبارة عن مجموعة من النصوص التي تتناول موضوعاً معيناً، وتهدف إلى إثراء المعرفة وتعميق الفهم في هذا المجال. وتتميز هذه النصوص بالتنوع في الأساليب والذوايق، مما يجعلها مصدرًا هامًا للباحثين والدارسين على حد سواء.

في هذا العدد، نقدم لكم مجموعة من المقالات التي تناولت موضوعات متنوعة، من التاريخ إلى الفلسفة، ومن الأدب إلى العلوم الاجتماعية. نأمل أن تكون هذه المقالات قد وفقت لمتطلباتكم، وأنها قد ساعدتكم في توسيع آفاقكم المعرفية.

كما نود أن نشكر القائمين على هذا العدد، الذين ساهموا في جعله مثمرًا ومفيدًا. ونأمل أن يكون هذا العدد قد أضاف إلى مكتبةكم، وأنها قد تكونت مصدرًا للإلهام والتفكير النقدي.

مع خالص التحية والتقدير،

إدارة المجلة

قسم الجغرافيا

# الرؤية المستقبلية للشعائر في مصر دراسة أنثروبولوجية

الأستاذ الدكتور / فاروق أحمد مصطفى  
أستاذ الأنثروبولوجيا - كلية الآداب  
جامعة الإسكندرية

هذا هو البحث الرئيسي في هذا الموضوع

والذي يهدف إلى دراسة

البيانات المتعلقة بالدراسة

والتي تم إجرائها في

الفترة من 2010 إلى 2015



## مقدمة:

الشعائر مجموعة من العادات التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالإنجاز الديني. وهي لا تقل أهمية عن المعتقدات الدينية ويرى إدموند ليتش **Edmund Leach** أنها مجموعة من المفاهيم يجب أن تؤدي داخل النسق الديني، كما أنها وسيلة من وسائل الاتصال الإجتماعي. كما وأن الشعائر لها من القوة التي تجعلها مساوية للإعتقاد نظراً لإرتباطها بالسلوك خصوصاً داخل الجماعة الدينية(١)

ويجب عند دراستنا للشعائر ان نأخذ في الإعتبار وجهة نظر الناس انفسهم عن الشعائر التي يمارسونها ومعناها الإجتماعي بالنسبة لهم دون ان نكتفي بتقديم تفسيراتنا عن تلك الشعائر مثلما كان يفعل علماء القرن التاسع عشر. وهنا لا يعني ان نقف موقفاً سلبياً من تلك الشعائر وان نكتفي بمجرد تسجيل ما نلاحظه في تلك المجتمعات انما يعني ان نهتم في المحل الأول بالتفسيرات والتعليقات التي يقدمها افراد المجتمع لتفسير سلوكهم الشعائري على العموم حتى نستطيع أن نفهم معناها قبل أن نقدم تفسيراتنا وتأويلاتنا التي تتأثر بغير شك بمفهوماتنا وتصوراتنا المستخدمة من واقع الحياة الشعائرية التي توجد في المجتمع الذي نعيش فيه (٢)

## المنهج المستخدم في الدراسة:

نستخدم في الدراسة منهج دراسة الحالة وان قيمة هذه الطريقة في البحث تكمن في أنها تحاول أن تسكتشف كافة المتغيرات والمظاهر الداخلية إلى الفهم المتعمق من خلال التحليل والوصف الدقيق الذي تعتمد عليه. ويلاحظ ان معظم البحوث التي وصفت بأنها دراسات حالة كانت تتجه نحو التركيز على السلوك الفردي في السياق الإجتماعي الشامل الذي يظهر فيه. ولقد أثبتت هذه الطريقة فائدتها في إستطلاع قيم الأفراد وإتجاهاتهم وتعريفاتهم ومفاهيمهم للمواقف المحيطة لهم وتعكس طبيعة الإجراءات المستخدمة في هذه الطريقة فائدتها في إستطلاع قيم الأفراد وإتجاهاتهم وتعريفاتهم للمواقف المحيطة بهم(٣)

وقد يستخدم منهج دراسة الحالة في المعرفة الآتية:-

- الدراسة التفصيلية للحالة وما تؤثر فيها من عادات وتقاليد وقيم وأفكار

وإتجاهات سائدة.

- عند دراسة التاريخ التطوري لشخص معين أو موقف معين.
- التعرف على العوامل الاجتماعية والنفسية والثقافية و الإقتصادية المتداخلة والمؤثرة في الحالة.
- إنها طريقة للحصول على معلومات شاملة عن الحالات المدروسة.
- أنها طريقة للتحليل الكيفي للظواهر والحالات
- أنها طريقة تهتم بالموقف الكلي وبمختلف العوامل المؤثرة فيه وبالعملية التي يشهدها.
- انها طريقة تتبعية أي تعتمد اعتماداً كبيراً على عنصر الزمن، ومن ثم فهي تهتم بالدراسة التاريخية.
- انها منهج يسعى إلى تكامل المعرفة لأنه يعتمد على أكثر من أداة للحصول على المعلومات (٤)
- أما بلتو Pelto في كتابة البحث الأنثروبولوجي فيرى أن مصطلح منهج الحالة قد أستخدم في دراسة حالات محددة في مجال الدراسات الاجتماعية في ضوء قيام الأنثروبولوجيين بالدراسات الميدانية وملاحظتهم لكثير من الأحداث والوقائع الاجتماعية وقد شاع استخدام دراسة الحالة في المجالات القانونية في البداية ولكن منهج دراسة الحالة منهجاً مفيداً في دراسة مجالات أخرى كثيرة كالمرض والعلاج والسحر، والجوانب الدينية، والمعاملات الإقتصادية وجوانب أخرى كثيرة من الثقافة.
- ويجدر بالأنثروبولوجيين الذين يستخدمون منهج دراسة الحالة عند قيامهم بالدراسة الحقلية أن يحددوا بدقة كل الأماكن والأزمنة التي تحدد بصفة مستمرة الأحداث والوقائع الاجتماعية التي يتم دراستها فعلى سبيل المثال عند استخدام منهج دراسة الحالة في المرض والعلاج فعليهم ان يحددوا مكان وزمان العلاج فقد يكون في منزل المريض، أو في عيادة الطبيب أو في مكان آخر كمقصورة القديس أو المركز الديني. وعلى الباحث الميداني أن يجمع الحالة من عدة أماكن أو من مكان محدد. وغالباً ما لا يستطيع الأنثروبولوجي ملاحظة كل أمثلة الحالات التي أعطيتفي أماكن حدوثها إجتماعياً. لذا عليه أن يختار عينه منظمه من مجموع الحالات التي يقوم بدراستها (٥)

ويشتمل هذا البحث فضلاً عن المقدمة، الموضوعات التالية.

- الشعائر وارتباطها بالدين
- الرؤية المستقبلية للشعائر في ضوء بعض النماذج التي يتم دراستها
- اهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة والتوصيات
- المراجع التي أعتمد عليها البحث.

يلعب الدين دورا هاما في حياة الإنسان(١)

فهو يعيد إليه الشعور بالطمأنينة ويساعده في التغلب على المشكلات عموما وبصفة خاصة التي تتعلق بالأمر المجهولة في الحياة وهو يساعد الفرد في التكيف والتواء مع مجتمعه وخصوصا أثناء الأزمات التي تمر بالإنسان.

وقد أهتم كثير من العلماء الإجماعيين والأنثروبولوجيين بدراسة الدين،

وقد ظهرت الدراسات العلمية للدين منذ القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين على أيدي علماء أنثروبولوجيين وإجماعيين أمثال تايلور وجيمس فريزر ودور كيم، وقد سبقهم ابن خلدون العلامة العربي الشهير في مقدمته التي أوضح فيها أهمية الدين في وضع وتحديد قواعد السلوك.

ارتبط الدين بالإنسان اينما وجد سواء في المدن العملاقة أو في المناطق النائية والتقليدية والبداية من العالم. ولو قمنا بدراسة المراحل الغابرة في التاريخ سنجد الرسومات التي على الكهوف تدل على طبيعة الدين عند الإنسان. ومن ثم فقد شغل الدين تفكير وحياة الإنسان الإجتماعية بل إمتد إلى كل أنشطة حياته اليومية (١)

لم يتفق علماء الإنسان (الأنثروبولوجيا) حتى الآن على مفهوم واحد موحد للدين أو تحديد طبيعة الظاهرة الدينية بدقة ووضوح، وربما يرجع ذلك إلى تعدد صور وأشكال الحياة الدينية وتباين هذه الصور والأشكال بحسب تباين المجتمعات والثقافات ولكن هؤلاء العلماء يميلون إلى التمييز بوجه عام بين الدين والسحر وأن كانوا يختلفون في نظرهم إلى الخصائص التي يجب توافرها حتى يمكن الحكم على مجموعة معينة من العقائد والشعائر بأنها عقائد وشعائر دينية وسحرية(٢)



ويمكن القول بوجه عام أن الدين نظام إجتماعي يقوم على فكرة وجود موجود أو أكثر له قوى فوق الطبيعة وبين العلاقات بين الإنسان وبين تلك الموجودات وتحت اية ثقافة معينة تتشكل هذه الفكرة لتصبح انماطا إجتماعية أو تنظيما اجتماعيا، ومثال هذه الأنماط أو النظم تصبح معروفة بأسم الدين، وكل دين يستلزم عناصر رئيسية هي:

(أ) تصوير العالم المحسوس وعالم ما فوق الطبيعة مع تصوير الفروق بينهما أو بين ما يشتملان عليه من موجودات، وبالتالي التفرقة بين ما هو مادي وما هو روحي.

(ب) آراء ومذاهب تقوم على رسم العلاقات بين العالم المادي والعالم العلوي والواجبات والإلتزامات المتبادلة بين كلا العالمين ومن ثم يشتمل كل دين على معتقدات تسمى الإيمان وعلى طقوس وشعائر أي أعمال يمارسها الأفراد إزاء القوى العلوية.

(ج) مجموعة من أنماط السلوك تهدف إلى جعل الأفراد يسيرون في إنسجام مع قوى ما فوق الطبيعة ويخضعون للثواب والعقاب (٣)

ويعرف سير جيمس فريزر الدين بأنه التقرب إلى القوى العليا التي تفوق الإنسان والتي يعتقد أنها توجه الحياه البشريه ومن ثم فيتضح ان للدين عنصرين هما الإيمان بوجود قوى أعلى والآخر هو التقرب لهذه القوى (٤)

وهناك عناصر اساسية ومشاركة بين كل الديانات المعروفة سواء أكانت ديانة بدائية او ديانة تقليدية ارتبطت بالحضارات والثقافات والمجتمعات القديمة العريقة أو الاديان السماوية ذاتها. وأهم هذه العناصر هي:-

(١) الإيمان بوجود قوى غيبية إعجازية عليا تسيطر على مقدرات الإنسان والكون.  
(٢) الإحساس بمزيج من مشاعر الرهبة والخوف والتمجيد والإجلال ازاء تلك القوى الغيبية الإعجازية المسيطرة.

(٣) وجود نسق من الأفعال والممارسات التي تعبر عن هذه المشاعر والأحاسيس والتي تكون موجهة بالضرورة نحو تلك القوى الغيبية الإعجازية.

وعلى هذا فإن دراسة النسق الديني تتطلب معرفة طبيعة تلك القوى الغيبية الإعجازية العليا (الآلهة في الأديان المتعددة) والله الواحد في الدين الإسلامي وموقف الإنسان من هذه الآلهة أو الإله الواحد وعلاقته بها أو به ونسق المعتقدات التي تكمن وراء ذلك الموقف

وتحدد له الطقوس والشعائر والعبادات التي ترتبط بذلك كله مع دراسة طبيعة العلاقات التي تقوم بين أعضاء ذلك الدين (٥)

ومن ثم فإن الدين نظام للحياة بل يعد أهم الأنساق الاجتماعية المؤثرة في ثقافة الإنسان الأخرى، هذا بالإضافة إلى أنه عنصر فعال وأساسي في تكامل الثقافة وتجانسها (٦) فالدين يدعم القيم والعادات ويتضمن جزاءات أخلاقية لضبط اتصال الأفراد بعضهم ببعض مما يحقق الثبات والاستقرار الاجتماعي والمحافظة على النظام الاجتماعي والتوافق معه وهو حين يقوي اربطة الدينية يحقق التماسك والتضامن والتكافل الاجتماعي من خلال المشاركة في القيم والمعتقدات والمعتقدات والممارسات الدينية (٧)

ويتأثر التنظيم الديني بالمجتمع الذي يسود فيه ويؤثر فيه، ومن هنا وجد الفقه في معظم الأديان ليوائم بين القواعد الدينية والظروف المستحدثة ويكون ذلك مصدراً من مصادر تكوين الفرق و المذاهب والأخلاق الدينية وقواعد السلوك تختلف إختلافاً بيناً من دين إلى آخر ويتمثل ذلك في تحريم بعض الأنشطة أو السلوك، فالدين يمكن أن يتلخص في أنه إيمان وممارسة وتنظيم للسلوك وان هذه الممارسات تختلف من دين إلى آخر وترتبط إرتباطاً وثيقاً بالشعائر والطقوس الخاصة بهذا الدين (٨)

كما وان الشعائر ترتبط بالنسق الديني إرتباطاً وثيقاً وهي أفعال متكررة تأخذ شكل العادات (٩)

وهذا لا يعني أن كل العادات المرتبطة بالممارسات الدينية تعتبر شعائر، فكثير من هذه العادات تكون أفعالاً دينية فضلاً عن إشتراكها في النسق الديني **Secular** وهذا ما نلاحظه دائماً في الإحتفالات الدينية فهي تشمل دائماً الجانبين الشعائري والديني. ولا يمكن فصل السلوك الشعائري عن المعتقدات الدينية التي يؤمن بها الأفراد والتي تلزم القيام بالعبادات والفروض والإلتزامات الدينية من صلاة وصوم وزكاة وحج كما هو الحال عند المسلمين وما يتطلب القيام بهذه الممارسات من قواعد يجب مراعاتها مثل التطهر والوضوء (١٠)

وهذا يعني أن الشعائر مهما كانت بسيطة أو معقدة جماعية أم فردية تعد ترجمة وأداء للإعتقاد ويجب عند دراستها التعرف على كثير من التفاصيل الخاصة بها والتي تساعدنا في



معرفة الأساس الديني لهذه الشعائر، وقد أدرك كثير من علماء الإنسان وعلى رأسهم هيرسكو فيتز **Herskovits** عندما نبه على ضرورة الأخذ في الاعتبار كل التفاصيل الخاصة بالشعائر (١١)

ولما كانت الشعائر الدينية تعتمد على مجموعة من الأفكار الأساسية، لذا فهي تعد نموذجاً للإتصال لا يمكن إغفال تأثيره في الأفكار الخاصة بالمعتقد الديني وتؤدي إلى ممارسة الشعائر بل مجرد ممارسة الشعائر في حد ذاتها تعتبر من وسائل الإتصال لما تقوله بطريقة علمية توضح أهمية هذه الممارسات (١٢)

وتلعب اللغة دوراً هاماً في عملية الإتصال لأنها تساعد على زيادة الخبرة الإجتماعية وتكسب الإنسان معرفة نتيجة إستخدامها في الإستدلال على صحة الشعائر والممارسات الدينية والبرهنة على صدقها.

وقد أوضح ليفي ستروس **levistaruss** في خاتمة كتابه "الإنسان العاري" إن الشعائر الدينية يجب أن تتم دراستها على أنها جزء من نسق الإشارات، ويجب على الأنثروبولوجيين عند دراستهم للشعائر أن يدركوا وأن يركزوا أهتمامهم في الكشف عن الملامح المحددة التي تميز لغة الشعائر عن الصيغ الأخرى للإتصال. ففي الشعائر تستخدم مجموعة من الحركات واللغة المتداولة والموضوعات الشعائرية التي تكون نسقاً (١٣)

ويعد الدين أحد السمات الهامة أن لم يكن هو السمة الأساسية التي تميز الجنس البشري عن غيره من الكائنات، وقد أكدت البحوث والدراسات الأنثروبولوجية وجود الدين عند كل الشعوب ولا يوجد شعب من الشعوب المعروفة لا يتوافر لديه نسق متكامل من الأفكار والمعتقدات والممارسات التي تعكس في مجملها كثيراً من الملامح المميزة لمفهوم الدين (١٤)

وقد اهتم كثير من العلماء الإجتماعيين والأنثروبولوجيين بدراسة الدين. ونجد على رأس هؤلاء المفكرين ابن خلدون حيث أشار في مقدمته إلى نصوص كثيرة تدل على أن الدين قد احتل مكانة كبيرة في فكر ابن خلدون لأنه اعتبر الدين أساس الإجتماع الإنساني لأن الإجتماع الإنساني يقوم على أساسين بارزين هما العصبية والدين ولولاهما لما كان إجتماع



إنساني بالمعنى الواضح ولكن البشر في هذه الحالة يشبهون في معيشتهم وسلوكهم وإخلاقهم الحيوانات.

وبعد الدين عند ابن خلدون من العوامل الأساسية المؤثرة في سير التاريخ وتطوره وإن هناك عناية إلهية تتحكم في القوانين التي تخضع لها الظواهر المختلفة ويرى أن الإجتماع الضروري لبني البشر لا يرجع فحسب إلى قوانين سياسية مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصرائها والتي أصبحت سياسية عقلية، بينما إذا كانت مفروضة من الله ويقرها ويشرعها كانت سياسية دينية نافعة في الحياة الدنيا والآخرة (١٥)

وقد ظهرت اسهامات فريزر في الكتابات الدينية أثناء مناقشة أصل الدين السحر واثبت ان الدين كان العامل الأول في تحديد التفسير الإجتماعي لأي مجتمع واطاف دوركايم ان دراسة الظواهر الدينية ومحاولة تفسيرها يؤكد أن الممارسات الدينية ترمز إلى الجماعة الإنسانية وإلى المجتمع الأساسان الهامان عند الرجل البدائي الذي يفسر في ضوءها الظواهر التي تصادفه.

أما ماكس فيبر في مجال الدراسات الدينية فقد وضع نظريته الخاصة بالأخلاق البروتستانتية وربط بين الدين والإقتصاد، ووضح ان هناك تأثير متبادل

بينهما (١٦) ومن ثم نجد ان للدين وظيفة اجتماعية اساسية في الضبط الإجتماعي داخل المجتمع ونظام التحريم هو اساس للضبط الإجتماعي لأن الوظيفة الأساسية للدين هي خلق وتدعيم والإحتفاظ بالتضامن الإجتماعي (١٧)

مما سبق يتضح ان إهتمام علماء الإنسان والأنثروبولوجيا بالدين وتكريسهم قدرأ هاماً من جهودهم لدراسته فهو يعطي صورة واضحة عن تفاعل الإنسان، كما وأن الدين كنسق أيديولوجي يعبر عن منهجية تميز فكر الفرد والجماعة كما انه يهتم بضبط السلوك والقيم الأخلاقية الخاصة بالجماعة من اجل المصلحة العامة (١٨)

ومن هنا يتضح أنه لا غنى للإنسان عن دين ينير عقله بالعلم والعرفان ويهدي وينشط قلبه باليقين والإيمان وتثير طاقاته وقواه لتنشيط في الحق والخير ويرسم له المثل الأعلى كي لا يخطئ الهدف أو يضل الطريق (١٩)

ولا نعلم ديناً من الأديان أستهدف هذه الغايات ليصل الإنسان إلى أقصى درجات السمو غير الإسلام الذي أكمله الله واتم به النعمة، ورضي للناس ديناً ومن ثم كان الإسلام الكلمة الأخيرة فليس بعده حقيقة دينيه مجهولة أو هدايه إلهية لم ينجل عنها الظلام كما كان المنهج الذي لا يستغني عنه الفرد في تهذيب نفسه ولا الجماعة في سيرها نحو المدينة الفاضلة، ولا الدولة وهي تريد أن ترسي قواعد حكمها على أساس من المناهج الصالحة والسياسية العادلة (٢٠)

ويقوم الإسلام من حيث هو أسلوب للحياة بدور كبير في الحياة اليومية وتنظيم العلاقات الاجتماعية حيث لم يقف الإسلام عند حد العقائد والشعائر والإلهيات أو عند حد تحديد علاقة الإنسان بالخالق، وإنما كان له جانب هام يتصل برسم العلاقات بين أعضاء المجتمع واتخذ ذلك شكل التشريع كما ينظم علاقة المسلمين بغيرهم من اتباع الأديان السماوية الأخرى وهذه كلها أمور لا نجد لها مثيلاً في المسيحية التي تهتم في المحل الأول بالتطهير والتهذيب الروحي.

وهذه حقيقة نبه لها كثير من الباحثين في شئون الإسلام حتى من بين العلماء الأجانب والمستشرقين (٢١)

وكان من الصعب الي حد كبير الفصل في التجربة الإسلامية بين ما هو ديني وما هو غير ديني لأن تعاليم الدين تغلغل في كل جوانب الحياة في المجتمع الإسلامي، كما ان الدين يوجه التصرفات الفردية والسلوك الجماعي على حد سواء، وفضل مثال لذلك هو تدخل الدين في تنظيم العائلة والقرابة الزواج وما يترتب عليها من حقوق وواجبات ومسئوليات والتزامات في حالي الحياة والموت ونجد تفاصيلهما في سورتى النساء والطلاق. فالإسلام دين حياة ودنيا بقدر ما هو دين عقيدة وآخرة وهي أمور تنعكس بالضرورة في المجتمع العربي المعاصر فتأثير الدين الإسلامي في كل جوانب الحياة التي يصبغها بصيغة خاصة متميزة. انه يقود حركات الإنسان وبوجهها في كل جوانب الحياة الفردية منها والاجتماعية والمادية منها والمعنوية والاخلاقية ومنها والإقتصادية والقانونية والثقافية، والقومية منها والدولة على السواء (٢٢)

كما وان الإسلام ثقافة وحضارة معا اي نظام قانوني كامل وشامل وانه ايضا نسق اقتصادي وطريقة للعمل واسلوب للحكم والإدارة فهو يضع القوانين محددة للسلوك والتصرف في الحياة اليومية، وتوجهات للملبس والمأكل والصحة العامة والعناية حتى بجسم الإنسان وهي كلها امور ومساائل لا توجد في غيره من الشرائع- على الأقل بهذا القدر من الوضوح- ولذلك فإن الإسلام يسيطر تماما على حياة الناس كلها.

وكثير من مظاهر السلوك اليومي تعكس دور الدين كأحد المقومات الثقافية الهامة دور للمجتمع العربي وتكشف في الوقت ذاته عن قوة الإسلام ومدى تمسك المسلمين به فالمسجد ليس مجرد مكان للعبادة والصلاة والدرس الديني وإنما هو أيضاً مكان للراحة والإسترخاء وعقد الزواج بل يلجأ إليه الطلاب المدارس لإستذكار دروسهم في جو هادئ يشع الطمأنينة في نفوسهم، كما أن المسجد أيضا أنواع من الأنشطة اليومية والتي تبدو وانها لا تمت للعبادة بصلة ومعظم المساجد الكبرى في الدول العربية تقع دائما وسط الاسواق العامة، كما هو الحال في الحرم المكي والمسجد النبوي والأزهر الشريف والمسجد الأموي بدمشق وجامع الزيتونة في تونس(٢٣)

نتناول في هذا الجزء من البحث بعض النماذج والانماط الخاصة بدراسة الرؤية المستقبلية للشعائر وقد استخدم الباحث كما سبق الاشارة منهج دراسة الحالة وقام بنفسه بإجراء المقابلات وتشتمل النماذج الاولى على(٢) اعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب ، وكلية التربية الرياضية للبنات بجامعة الاسكندرية وتحليل الحالات السابقة وجد انها تسع حالات تتكون من اربعة اساتذة ، وثلاثة اساتذة مساعدين ، واثنين من المدرسين كما ان ثمانية حالات منها تعتنق الدين الاسلامي ، وحالة واحدة تعتنق الدين المسيحي القبطي وبين الحالات المسلمة من ينتمي الى الجماعة السنية السلفية وهي حالة واحدة وتحليل السؤال الخاص بممارسة الشعائر: أجمع ثمانية من الحالات على ممارسة الشعائر بل ذكر احدهم انه بالاضافة الى ممارسة الشعائر فإنه يقوم بإغاثة لمرض والمعوزين واعتبرها مكملة لشعائر الدينية وجاءت حالة واحدة لا تمارس الشعائر الدينية إلا أحيانا أو نادراً.



أما بالنسبة لدور الدين في حياة الفرد (من وجهة نظر):

فقد أستقر التحليل على النتائج التالية:

- (١) الأديان هي موجّهات السلوك والدين لا يقتصر فقط على ممارسة الشعائر الدينية المختلفة بل وانعكاس هذه الممارسات على أنماط السلوك المختلفة من الإلتزام في أداء العمل والاحلاص فيه، والغلتما بالمواعيد، ومراعاة الحقوق خصوصاً حقوق الوالدين، ومراعاة حقوق الزوج والتواضع من الآخرين، ومراعاة حق الجار وحق زملاء، اليقين من الله رقيب على كل أعمالنا ومن ثم الخوف من خشيته.
- (٢) الدين يزود الفرد ببعض المبادئ الأخلاقية والتأكيد على بعض القيم.
- (٣) الدين عنصر أساسي وهام في تربية الإنسان تربية صالحة وفي تجنب الأخطاء والآثام والنهوض بالضمير الإنساني وخلق الكيان الحر القادر على القيام بالواجبات وتحمل المسئوليات تجاه الأسرة والمجتمع وخلق روح التعاون والسماحة والمرؤة والشهامة والإرتقاء بالنفس والإنسان عامة هذا فضلاً عن دور الدين في تطهير النفس والروح وجعلها ترتفع وتبتعد عن الصغائر كما تسمو بالإنسان إلى درجات يصل فيها إلى التأمل الروحي حد التصوف لذا وجب العناية بالتربية الدينية وإعطائها أولوية وإهتماماً خاصاً وان يتولى تدريسها مدرسون مؤمنون قادرين على بث روح الدين وجوهره في نفوس الطلاب.
- (٤) للدين دور كبير في حياة الفرد فهو بمثابة المرشد الذي ينظم ويشرع حياة الفرد والمجتمع بأسره وبدون الدين لأنعدمت نوااميس الحياة وقيمها.
- (٥) ترسيخ الإيمان والإعتقاد وتهذيب النفس والأعلاء من مكانة المعاملات بين الناس "الدين المعاملة" وإذكاء روح التعاون والتضامن بين الجماعات الدينية وغيرها.
- (٦) الدين فعل من أفعال الإيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر والملائكة وهو بالإضافة إلى هذا يفترض على معتنقيه (مسلمون- مسيحيون - يهود)
- (٧) للدين دور أساسي فاعل لا تقوم الحياة دونه وينبغي أن يكون محور حياة الإنسان وهدفه ومستقبله.

(٨) دور الدين حيوي في حياة الأفراد والجماعات فالدين يوطد علاقة الفرد والمجتمع واساسه التعاون والتضامن ويدعو إلى الأخذ بيد الضعيف ومساعدته ويرسخ المبادئ والقيم السامية ويعطي الدين الحلول لكثير من المسكلات الأسرية والنفسية.

(٩) الدين يحدد علاقة الفرد بربه واسرته والمجتمع، والدين يعلم الفرد الطاعة والحب والسلام ومساندة الغير ونزع الغل والحقد من القلوب وتطهيرها. والدين هو دعوة إلى الله بالموعظة الحسنة وان نتبع الرسول صلى الله عليه وسلم ونحبه كما قال الله تعالى عن الرسول "اتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم".  
اما بالنسبة للتساؤل الخاص بالتنشئة الدينية:

(١) رأت الحالة الأولى ان التنشئة الدينية تتم في مرحلتين الأولى من ٧ سنوات، والثانية من ٧-١٥ سنة.

(٢) اما الحالة الثانية اهتمت بضرورة أن تكون التنشئة الدينية في مرحلة اقل من ٧ سنوات، وهي ضرورية جداً في المرحلة الثانية من ٧-١٥ من أجل غرس القيم في نفوس الأفراد.

(٣) ورأت الحالة الثالثة أن أهم فترة عمرية تتم فيها التنشئة الدينية أقل من سبع سنوات لأنها مرحلة التكوين المبكر حيث تكون نفس الطفل بالغة الحساسية وسريعة التأثر وما يغرس في نفس الطفل في تلك المرحلة يبقى تأثيره في مراحل العمر الأخرى سلوكاً وأخلاقاً وعملاً.

(٤) رأت أن المرحلتين قبل سبع سنوات ٧-١٥ سنة ضرورية للتنشئة الدينية والتي تلعب دوراً هاماً في حياة الفرد منذ بداية حياته وهي تساعد على معرفة السلوك المرغوب فيه والقيم العظيمة منذ مرحلة الطفولة الأولى إلى مرحلة الطفولة المتأخرة.

(٥) ضرورة أن تستمر التنشئة الدينية حتى ٢٢ سنة وهي مرحلة إنتهاء التعليم الجامعي، والتنشئة الدينية تهذيب النفس وترسيخ منهج الحياة في الأفراد والجماعات.

(٦) أشارت الحالة إلى أن المرحلة العمرية أقل من سبع سنوات أفضل للتنشئة الدينية وفي هذه المرحلة يتعلم الطفل ويكتسب من البيئة التي يعيش فيها وتعد التنشئة الدينية



أهم الوسائل التي يتم بها إكتساب الفرد لكل ما يشكل شخصيته ويوافق على قيم المجتمع وعاداته وتقاليده.

(٧) رتى الحالة أن عملية التنشئة الدينية تبدأ من ٥-٩ سنوات وتقتصر على مجرد تحفيظ القرآن، ويعطي الطفل الآيات التي تتضمن مبادئه وعقيدته، أما بالنسبة للمرحلة من ١٠-١٥ سنة فهي متابعة للتحفيظ القرآني، وإعطاء بعض المكون في الفقه والنحو والعقيدة والسيرة أما بالنسبة للفترة من ١٥ عاماً فأكثر فمن الضروري أن يسمع الطفل للخطباء والمدرسين ويحضر دروس مكثفة في علوم الشريعة.

(٨) التنشئة الدينية هامة جداً في جميع مراحل العمر ولكنها أكثر أهمية في مراحل أقل من سبع سنوات والمرحلتين التاليتين من ٧-١٥ سنة، ومن ١٦-٢٢ عاماً.

(٩) أظهرت الحالة الأخيرة أن المراحل العمرية المختلفة يجب أن ترتبط إرتباطاً وثيقاً بالتنشئة الدينية ففي المرحلة الأولى من عام إلى أقل من سبع سنوات يتعلم الطفل العادات السليمة والمرحلة العمرية من ٧-١٥ عاماً يتعلم السلوك المرغوب فيه ثم المرحلة العمرية من ١٦ - ٢٢ عاماً يتعلم حسن المعاملة كما وأن التنشئة الدينية يجب أن يستمر إلى ثلاثين عاماً.

أما بالنسبة للتساؤل الخاص بمعنى التعليم الديني:

فجاءت إجابات النموذج الأول من أعضاء هيئة التدريس كالآتي:

(١) في مرحلة الطفولة المبكرة يلحق الطفل المبادئ الخاصة بالخطأ والصواب والعيب وأن يتجنب الأمور الضارة به وأن يتعلم قواعد النظام والنظافة. أما في مرحلة الطفولة المتأخرة يلحق التعاليم الدينية فيذهب الإبن مع أبيه إلى المسجد ويدرب على الصلاة الصيام وتقديم المساعدة إلى الفقراء حيث يتم إرساله بها مع مراقبة الوالدين والأسرة له أثناء خروجه فإذا ما أقرب من نهاية هذه المرحلة والإقتراب من سن البلوغ في هذه الحالة يوبخ ويلام لتقصيره في أداء الشعائر والصلوات فإذا ما تلقن كل هذه المبادئ في هذه المرحلة فإن من شب على شئ شاب عليه وتصبح هذه الأشياء جزءاً من شخصيته وتكوينه.

(٢) تلقين الأفراد مبادئ دينهم.



٣) التربية الدينية لا تقتصر على مرحلة الطفولة وحدها وإنما تبقى التربية الدينية عاملاً أساسياً مصاحباً لمراحل العمر المختلفة وكل مرحلة لها ثقافتها وأهتماماتها وميولها وحاجتها التبصير بالدين وأحكامه.

٤) معنى التعليم الديني في كل مرحلة عمرية تعليمية حتى لا يرفض الدين بكامله.

٥) غرس القيم الدينية في الإعتقاد وأيضاً في التشريع.

٦) المضمون الإدراكي المعرفي للتدين له دور مهني في تكوين الفرد رئيسي.

٧) يتم التعليم الديني في كل مرحلة عمرية من مراحل التنشئة الدينية.

٨) ترسيخ القيم الدينية في جميع مراحل العمر.

٩) التعليم الديني ينمي سلوك الأفراد الدينية.

أما بالنسبة للتساؤل الخاص بدور المسجد في التعليم الديني:

فأسفرت الإجابات بالنسبة لأعضاء هيئة التدريس على الوجه الآتي:-

١) بعض المساجد الكبرى "أبو العباس والبوصيري" تقوم بعقد ندوات أسبوعية

للسيدات لشرح القرآن وتفسير الأمور الدينية وتقديم الفتاوى، كما أنها تعقد ندوة في الخميس الأخير من كل شهر ختم القرآن الكريم وتحرس السيدات على حضوره هذه الندوة بل أن بعضهن تصمن في هذا اليوم ويتناولن طعام الإفطار بالمسجد ثم يبدأن بتلاوة الجزء الأخير من القرآن بعد صلاة المغرب وحتى صلاة العشاء. كما تقوم المساجد في رمضان بإقامة صلاة التهجد في الأيام الأخيرة من شهر الصوم، وصلاة التسايح وإحياء ليلة القدر وإقامة الإحتفالات بالمناسبات الدينية ومولد النبي، والسنة الهجرية الجديدة، عاشوراء.

٢) تقوم المساجد بغرس القيم الدينية من خلال الخطب التي تلقى بها.

٣) يمكن للمسجد أن يقوم بدور مهم وكبير في تعليم الدين ونشر الثقافة الإسلامية

وذلك بتحديد لقاءات تتم على شكل حلقات يتجمع فيها الأفراد حول عالم من علماء الدين في شتى مناحي الفكر الإسلامي والديني وتكون هذه بمثابة دروس يتلقاها طلاب العلم والمعرفة بشكل منتظم فالمساجد في تاريخنا وحضاراتنا كانت تقوم بدور التعليم والأزهر الشريف الذي تربي فيه كبار العلماء كان للمسجد وحلقاته الفضل الأول في تثقيف الناس وإعداد العلماء المتخصصين كما يمكن للمساجد أن تكون قاعات للإستماع إلى القرآن

الكريم والإستمتاع بما فيه من قدرة صوتيه على وإبداعيه كما يمكن ان تقام إلى جانب هذا حلقات التفسير للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بهذا الأسلوب يمكن أن تتحول المساجد إلى معاهد لتعليم مبادئ الدين والتفقه في مسائله الإستمتاع بالقرآن الكريم وما يحتوي عليه من معجزات.

- ٤) للمسجد دور توجيهي وتثقيفي إلى حد كبير.
  - ٥) التهذيب الدائم والمتواصل للنفس وللعبادات وللعمل.
  - ٦) للمسجد دور كبير في التعليم الديني.
  - ٧) المساجد السنوية لها الدور الأكبر في صياغة الفكر.
  - ٨) دور الكنيسة في التعليم الديني عن طريق مدارس الأحد للأطفال وإجتماعات أسبوعية للشباب، وإجتماعات للرجال وكبار السن وإجتماعات للسيدات.
  - ٩) التعليم الديني لا بد أن يبدأ في المنزل ثم المسجد ثم الإعلام.
- وجاءت الإجابات الخاصة بمن الذي يقوم بالتعليم الديني كالتالي:-
- ١- المسجد- وسائل الإعلام- بعض الجمعيات الدينية مثل جماعة "اقرأ"
  - ٢- الأسرة- المدرسة - دور العبادة - وسائل الإعلام.
  - ٣- رجال الدين من العلماء المتخصصين وكذلك المكتبة الدينية وما تحويه من المتخصصين مصادر ومراجع وتفسير ودورات قرآنية فقهية.
  - ٤- المفروض أن يقوم بها الدعاة من خريجي جامعة الأزهر.
  - ٥- المساجد والكنائس والمدارس والمؤسسات الدينية.
  - ٦- رجال الدين- الآباء- الامهات - المدرسون.
  - ٧- شيوخ الدعوة السنية.
  - ٨- الآباء - القساوسة - المطارنة والأساقفة والوعاظ المؤهلين لذلك.
  - ٩- الأصرار على أن يقوم به المنزل.
- أما بالنسبة للتساؤل الخاص بمصدر الثقافة الدينية:-
- فجاءت إجابات هيئة التدريس كالتالي:-

- ١- الكتب والمجلات الدينية - البرامج المختلفة في القنوات التلفزيونية والفضائيات - رجال الدين الرسميين - مشايخ الجماعات السنية السلفية.
  - ٢- الكتب والمجلات الدينية - رجال ادلين الرسميين - مشايخ الطرق الصوفية - مشايخ الجماعات السنية بالإضافة إلى وسائل الإعلام.
  - ٣- القرآن والسنة والدراسات الإسلامية المختلفة، والكتب والمجلات الدينية - تناول هذه المصادر في الدراسات المختلفة في القديم والحديث.
  - ٤- الكتب والمجلات الدينية إذا كانت على يد متخصصين في الفقه والشريعة وتعاليم الدين فضلاً عن رجال الدين الرسميين ورقض مشايخ الطرق الصوفية أو مشايخ الجماعات السنية السلفية.
  - ٥- الكتب والمجلات الدينية - رجال الدين الرسمي - مشايخ الطرق الصوفية- مشايخ الجماعات السنية السلفية.
  - ٦- الكتب والمجلات الدينية- رجال الدين الرسميين.
  - ٧- الكتب والمجلات الدينية - مشايخ الجماعات السنية السلفية شبكات النت .Net
  - ٨- الكتب والمجلات الدينية - رجال الدين الرسميين - الأفلام الدينية.
  - ٩- الكتب والمجلات الدينية والإعلام والقنوات الدينية وإذاعة القرآن الكريم.
- وقد جاءت إجابات التساؤل الخاص بالقيم المستمدة من التعاليم الدينية كالاتي:
- ١- الصدق - الأمانة - الإلتزام - رد الأمانات والمحافظة عليها حتى يقوم صاحبها بإستردادها.
  - ٢- الأمانة - الصدق - حب الخير - عدم إيذاء الخير.
  - ٣- القيم المستمدة من التعاليم الدينية كثيرة وجميعها تعمل على تقويم الإنسان وخلق النموذج البشري السوي - وهي قيم من يتحلى بها يضمن أن يعيش حياة سعيدة وهانئة وخالية من الخطأ فقيم الإسلام كلها لصالح الإنسان والمجتمع حتى يكون الفرد قادراً على مواجهة الحياة بفكر سليم وقلب سليم فالإسلام يدعو إلى المحبة والسلام والوفاء والعدل



والرحمة واحترام الآخرين ورعاسته للضعيف والأخذ بيد المظلومين ونشر الفضيلة والوقوف إلى جانب الحق واحترام الشرائع الدينية.

- ٤- قيم الخير والحق والعدل والفضيلة والشرف والمروءة.
- ٥- الإخلاص - الأمانة - الصدق - المحبة .... إلخ.
- ٦- القيم الإنسانية كلها مصدرها التعاليم الدينية.
- ٧- الإلتزام التام بهدي الرسول صلى الله عليه وسلم في مظهره وممارساته وأفعاله.
- ٨- التواضع محبة لجميع الناس "الله محبه".
- ٩- الإلتزام - الأمانة - حب الخير - الطاعة.

أما بالنسبة للتساؤل الخاص بالأدعية الدينية ومناسباتها، فقد جاءت الإجابات على الوجه التالي:

١. الأدعية الدينية ما تيسر من شتى أنواع الدعاء عقب الانتهاء من الصلاة، الأوتار اليومية التي تتلى بالنهار - دعاء الحاجة وقت الشدة والأزمات، دعاء في مناسبات مثل الزواج ودعاء الاستخارة.
٢. مثل ما يقال للتقرب إلى الله.
٣. الأدعية يتقبلها الله سبحانه وتعالى في أي وقت من عبادة ولكن العادة جرت على أن تكون للأدعية مناسبات خاصة في شهر رمضان وليلة القدر وفي موسم الحج وفي أداء العمرة تكون لها أدعية معروفة يرددها الناس. هذا فضلاً عن الأدعية التي تكون في أثناء تأدية الصلاة وعن السجود والركوع وفي ختام الركعة الأخيرة كما أن هناك أدعية عرفت بأدعية الصباح وأدعية المساء وأدعية ركوب الطائرات والسفر وأميتها هي اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى وقت الشدة والإيمان به وبأنه القوة والقدرة التي تمنح الإنسان ما يريد وتستجيب إلى دعائه متى شاءت.

- ٤ . الأدعية عديدة ومنها أدعية بعد الآذان، وأدعية الخروج من المنزل - وأدعية قضاء الحاجات وأدعية السفر.
  - ٥ . تختلف من دين إلى آخر ومن مناسبة إلى أخرى.
  - ٦ . لكل مناسبة الدعاء الخاص بها.
  - ٧ . الأدعية المثبتة في الكتب الدينية الصحيحة مثل رياض الصالحين.
  - ٨ . ترتبط الصلوات السبع في الكنيسة الدينية المصرية بسبع صلوات تبدأ من صلاة باكر وحتى صلاة منتصف الليل وكلها أدعية (الرسول صلى الله عليه وسلم والرسول السابقين).
  - ٩ . أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم السابقين (١) وأهميتها راحة القلوب والإحساس بالطمأنينة.
- وقد جاءت إجابات التساؤل عن الملابس التي يمكن ارتداؤها والحضور بها إلى المسجد أو الكنيسة كالاتي:
- ١ . الملابس المحتشمة والآن أصبحت العباوات العربية هي الموضة في السنوات الأخيرة
  - ٢ . الملابس المحتشمة وهي كما هي دون أي تغير.
  - ٣ . أنواع الملابس التي يمكن ارتداؤها هي الملابس التي أوصى بها الدين سواء للمرأة أو للرجل وهي ملابس لا بد أن تكون على درجة كبيرة من الطهارة والنظافة وأن ترتدي المرأة ثياب الإسلام الذي رسمه لها الدين - والملابس في السنوات الأخيرة سارت أكثر حشمة وأكثر تمشياً مع أوامر الدين وتعاليم الإسلام.
  - ٤ . يكون الملبس نظيفاً - حدث تغيير بالفعل بالنسبة لملابس النساء والرجال على حد سواء.
  - ٥ . ملابس حياة اليومية ولم يطرأ أي تغير عليها.

٦. نعم حدث تغير في المباس.
  ٧. الثوب خاصة الأبيض ولم يحدث تغيير في المباس.
  ٨. ارتداء الملابس العادية للرجال أم ملابس السيدات لا بد أن تكون محتشمة داخل الكنيسة والمرأة يجب أن تغطي رأسها.
  ٩. خذوا زينتكم عند كل مسجد دون تحديد لنوع الملابس.
- أما بالنسبة للتأثيرات التي حدثت على الدين في السنوات الأخيرة فجاءت الإجابات كالتالي:-

١. الربط بين الإسلام وبين الجماعات الإسلامية المختلفة - وبين التطرف والإرهاب على الرغم من أن الإرهاب والتطرف ضد الدين وضد الوسطية فالإرهاب لا دين له والتطرف قد يوجد في كل الأديان.
٢. أصبح الدين شكلياً ومظهرياً.
٣. زاد تمسك الرجال والنساء بالدين في السنوات الأخيرة نراً لوجود التيارات التي بدأت تنتشر من أواسط القرن الماضي وماهر الفرنجة والتحرر من الأعراف والتقاليد السلمية وكان لهذه تأثيرات في انصراف الناس عن الاهتمام بشعائر الدين ومظاهره المختلفة وكان من نتيجة هذا الاتجاه أن جاء رد الفعل بشكل ظاهر في تمسك الفتيات وحرصهن على الحجاب فانتشرت ظاهرة الحجاب وبدأ الشباب يهتمون بشكل ظاهر بالاستمتاع إلى الدروس التي يلقيها الدعاة في المساجد وفي وسائل الإعلام المسموعة والمرئية.
٤. لم تحدث أي تغيرات.
٥. يزداد تمسك الناس بالدين يوماً بعد يوم.
٦. الدين بالاتباع وليس بالابتداع وعليه فليس هناك تأثيرات حدثت على الدين في السنوات الأخيرة.
٧. الإقبال على الدين في السنوات الأخيرة.



٨. التهاون في التمسك بالقم الدينية والانصارف نحو التلفزيون وسائل الإعلام الحديثة.

٩. لم تحدث أي تأثيرات على الدين في السنوات الأخيرة.

وقد جاءت التغييرات التي حدثت على المسجد والكنيسة في السنوات الأخيرة كالتالي:

١. المساجد الكبرى تقوم بعقد ندوات أسبوعية لشرح القرآن، والاهتمام بصلاة القيام والتهجد في شهر رمضان، والمناسبات الدينية المختلفة.

٢. اقتصر دوره على تأدية الصلوات.

٣. سارت المساجد أكثر ازدحاماً بالمصلين كما كثر فيها عدد الدعاة والقاء الأحاديث الدينية بصفة متصلة وبشكل منتظم.

٤. القيام بجانب الشعائر بخدمات كثيرة ومن حدثت تأثيرات.

٥. ازداد عدد المصلين والمترددين.

٦. زيادة عدد المرتادين لاسيما الشباب.

٧. لم تحدث تأثيرات على المسجد.

٨. حدثت تأثيرات على الكنيسة في السنوات الأخيرة ولم يحدد.

٩. حدثت تأثيرات على المسجد في السنوات الأخيرة ولم تحدد.

أما بالنسبة للتساؤل الخاص بالتأثيرات التي حدثت على رواد المسجد في السنوات الأخيرة فقد كانت الإجابات كالتالي.

١. زيادة في تردد السيدات على المساجد بصورة كبيرة من متوسطي العمر ولكن

ما يشير الضجر والضييق أثناء أداء الصلوات هو أن كل سيدة تعتبر نفسها داعية وعالمة

بتفاصيل الدين وتقوم بتوجيه الأخريات إلى طريق أداء الصلاة وكيفية القيام بالحركات الدينية

فضلاً عن الثروة في كل الأمور الحياتية بالإضافة إلى تناول الطعام داخل المسجد مما يجعل رائحة المكان والمكان نفسه غير مناسب لأداء الصلاة كما تقوم بعض السيدات بتوزيع المياه على الحاضرات وكلها مظاهر سلوكية لا يجب أن تمارس بالمسجد كما أن الوضوء بالمسجد والسير على السجاجيد التي تفرش بها أرضية المسجد يجعل لها رائحة غير مقبولة فضلاً عن أماكن الوضوء التي تتبع منها رائحة غير مقبولة.

٢. تزايد عدد رواد المساجد وخاصة من فئة الشباب.

٣. بالنسبة لكبار السن (٥٠ سنة فأكثر) زاد حرصهم على أداء الصلوات

بالمسجد وحضور الندوات المقامة والاستماع إلى الأحاديث والمشاركة في المناقشة.

أما الشباب متوسطي الأعمار (٢٥ - ٥٠) زاد تعلقهم بالمسجد وإصرارهم على

التزود بالمعرفة الدينية ودراسة أصول الدين والتفقه في مسائله لاكتساب معرفة أكبر أما

بالنسبة لطلاب المرحلة الثانوية والجامعة من (١٤ - ٢٤ سنة) فقد اهتموا اهتماماً كبيراً

بالسماع للدعاة والالتفات حولهم والتدين والحرص على أداء الفروض في أوقاتها وذلك نتيجة

أن الأرة أصبحت أكثر تمسكاً بالدين والتعاليم الدينية وهذا ينعكس على الأبناء داخل

الأسرة.

٤. يقوم المسجد بتجميع كل الفئات العمرية للصلاة والدرس وللتعليم الديني ومن

الملاحظ كثرة تردد النساء من كل الفئات العمرية على المسجد.

٥. زيادة المترددين من كبار السن والشباب ومن طلاب التعليم في المرحلة الثانوية

والجامعة.

٦. حدثت زيادة ملحوظة من جميع الأعمار على التردد على المسجد.

٧. استكانة كبار السن وتركهم الشباب يتولون أداء الشعائر والإمامة كما يتولى

الشباب أيضاً التدريس وطلاب الجامعة أكثر تأهلاً لتولي القيام بقيادة الشعائر والتدريس.

٨. لم يحدث تغيير على رواد الكنيسة وازداد انتماؤم لها أمام الشباب فنلاحظ

فتور في الحياة الروحية.

أما طلاب المرحلتى الثانوية والجامعة فإنهم منشغلون بأمور الدراسة أكثر من الكنيسة.

٩. هناك تأثيرات حدثت على رواد المسجد في السنوات الأخيرة لكافة الفئات العمرية.

وبتحليل التساؤل الخاص بتأثير العولمة على أداء الشعائر داخل المسجد وجدت الإجابات كالتالي:

١. زادت في السنوات الأخيرة إقبال المرأة على المساجد وحضور الجلسات الدينية وفي بعض المساجد بمنطقة سموحة والسيوف اقتصرت تكبيرات العيد على "الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر والله الحمد، وقد يكون ذلك بفعل الحركات الأحيائية أو وسائل الإعلام. كما حرصت بعض المساجد على ندائين في صلاة الفجر الآذان الأول الذي يبدأ من الساعة الثانية أو الثالثة صباحاً مما يسبب القلق والخلط في أداء صلاة الفجر وأحداث قلق للمرضى والطلاب والموظفين لذا فإني أؤيد فكرة توحيد الآذان

٢. لا أرى أن لها تأثير في أداء الشعائر داخل المسجد

٣. إذا تحولت العولمة عن مفهومها الإنساني الذي يهدف إلى التعاون الاقتصادي والعلمي والفكري وصارت نوعاً من الهيمنة والسيطرة بقصد تغيير معتقدات وثقافات وتراث وحضارات الأمم المختلفة وخلق نظام عالمي جديد يخضع فيه الجميع لسلطان الدول الغنية والقوية والتي تفرض عاداتها وطرائق سلوكها على الأمم الأخرى فتقف حائلاً أمام ظهور هذه الأمم بمظهر انتماء كامل لنوع من الحضارة والفكر وخصوصاً ما يتصل بالفكر الإسلامي وقيم وتعاليم وأخلاقه وتراثه الحضاري. لقد بدأ الشباب في بلادنا يدرك أن فكرة العولمة التي تبناها الدول الكبرى أمريكا وحلفائها قد بدأت تستخدم أو تستغل لفرض قيم حضارية أخرى تفرض عليهم فرضاً وتنزعهم من جلودهم وتغير من أساليبهم الحياتية والفكرية والثقافية وقد



أدى هذا بطبيعة الحال إلى أن تمسك هؤلاء بتراثهم وقيمهم التي نشأوا عليها والتي ورثوها عن أجدادهم وعن حضارتهم فازداد تماسكهم بسلوكيات وأخلاقيات الإسلام.

٤. لها تأثير من ناحيتين.

أ. الناحية الأولى تأثر بعض الدعاة بها تمشيهم مع لغة العصر.

ب. مهاجمة بعض الدعاة لها.

٥. زادت من الإقبال على الشعائر داخل المساجد بين الرجال والنساء من مختلف

الأعمار.

٦. كيف يكون للعولمة تأثير على الدين وشعائره لا أرى ذلك.

٧. أما بالنسبة لأداء الشعائر فلا تأثير وأما الأفكار فثمة تأثير واسع أدى إلى

التمسك بالعودة إلى الدين وتعميق الكراهية للغرب وأمريكا على وجه الخصوص.

٨. لم تتأثر الكنيسة كثيراً بالعولمة.

٩. تحتاج إلى معرفة ما هي العولمة أصلاً حتى نعرف تأثيرها على الشعائر.

أما بالنسبة لردود الأفعال التي أحدثتها العولمة لدى المتدينين:

١. زيادة التمسك بالدين خصوصاً بالنسبة للمرحلة العمرية (٥٠ سنة فأكثر). نشر

الفتاوى الدينية وإن كانت كل البرامج التي تناقض قضايا الفتاوى والتساؤلات الدينية تعرض

الرأي ثم نجد برامج أخرى تعرض رأياً معاكساً.

٢. زيادة التمسك بالدين خصوصاً في فئة الشباب.

٣. تمسك كبار السن بتراثهم وقيم التي نشأوا عليها.

٤. بالفعل جعتهم يتمسكون أكثر بدينهم خصوصاً الفئات العمرية من ٢٠ - أكثر

من ٥٠ سنة.

٥. زيادة التمسك بالدين في الثات العمرية من عشرين سنة حتى أكثر من خمسين

سنة.

٦. زاد الاهتمام بالتمسك بالدين وشعائره في كل المراحل العمرية.
٧. زيادة التمسك بالدين وترسيخ العداوة للغرب ورفض أي فكر مناهض للإسلام.
٨. زيادة التمسك بالدين في الفئات الكبرى بينما الفئات العمرية من ٢٠ - ٤٠ انصرف البعض عن التمسك بالدين.
٩. أرى زيادة التمسك بالدين.

أما بالنسبة للإجابات الخاصة بتأثير العولمة على دور المرأة في حياتها اليومية وفي تأديتها للشعائر فقد جاءت الإجابات كالتالي:

١. لم تؤثر العولمة على أداء المرأة للشعائر.
٢. لا أرى أي تأثير للعولمة على أداء المرأة للشعائر.
٣. موقف المرأة هنا كموقف الرجل في اختلاف الاتجاه؛ فبعض الفتيات الشابات بدان يتعلقن بالمظاهر الغربية الأوروبية ويقلدن ما تراه من فتيات الغرب نظراً لما يشاهدن في أجهزة الإعلام وعلى الأخص في جوانب الغناء والرقص وارتداء الثياب واختيار الألوان المعينة التي لم تألفها من قبل وفي نفس الوقت نجد مجموعة كبيرة أخرى من الفتيات يحرصن أشد الحرص على تقاليد بلادهم وتعاليم دينهم والانتماء إلى الثقافة الإسلامية الشرقية فبحدهن يحاربن اتجاه الفرنجة التي ظهرت نتيجة للعولمة ويتمسكون بأخلاقيات شعوبهم وثقافتهم الإسلامية وبعضهن زاد تعلقاً وانتماء لدرجة أن كثر النقاب وكثر التردد على المساجد وبالغن في التمسك بالدين وهاجمن هذا التيار الوافد ورأوه خطراً على تقاليدهن وامتهن ودينهن.

٤. أثرت العولمة على دور المرأة.
٥. أدت إلى حرص المرأة على إبراز دورها الديني في المجتمع.
٦. أثرت العولمة بزيادة تدين المرأة وأدائها لشعائرها الدينية. وأرى أن النساء العاملات في مجالات الحياة المختلفة أصبحن يتمسكن بالدين وأداء الصلاة في أوقاتها وفي جماعة والالتزام بكل ما يقدم عبر محطات التلفاز المختلفة في البرامج الدينية. أما من حيث

الملابس ازداد الاهتمام بالزي الإسلامي الذي يحرص على إخفاء الملابس ازداد الاهتمام بالزي الإسلامي الذي يحرص على إخفاء ملامح المرأة.

٧. انتظمت المرأة بارتياحها المساجد.

٨. نعم أثرت العولمة في دور المرأة وفي حياتها اليومية وفي تاديتها للشعائر الدينية داخل الكنيسة وخارجها وفي ملابسها اليومية بعض التأثير.

٩. المرأة ودورها بالنسبة للصلاة في المسجد ضعيف لدورا في العمل وفي المنزل ولكن نذهب إلى المسجد في شهر رمضان لصلاة التراويح وتكون الزيادة كبيرة واثرت القنوات الفضائية كثيراً على المرأة بالنسبة للحدوث الدينية.

أما بالنسبة للمقترحات التي يراها أعضاء البحث ضرورية لإثراء موضوعه فقد جاءت الإجابات كالتالي:-

١- حملت وسائل الإعلام والقنوات الفضائية على زيادة الوعي الديني، كما أن البرامج التي تعرض لتجويد القرآن الكريم تحظى بقبول الكثيرين حيث لا جادة تتيح لهم الفرصة لإجادة التلاوة. كما أن التساؤلات التي تواجه إلى العلماء والشيخو عملت على زيادة الوعي الديني في مختلف الأمور الدينية والحياتية كما ازدادات ظاهرة الحجاب والنقاب وارتداء العباءات العربية والنقاب الأسود الذي يغطى بالوجه.

٢- أرى أن وسائل الإعلام وضخها المستمر للمواد الدينية بالإضافة إلى زيادة نشاط الجماعات الدينية السلفية هي من أهم العوامل الأكثر أهمية في التأثير على الدين والشعائر.

٣- أولاً: ضرورة الاهتمام بموضوع العولمة واتجاهاتها المختلفة وتخصيص ساعات في وسائل الإعلام وصفحات في الصحف للتنبيه عن أخطار العولمة التي قد تختفي وراء ظاهرها المغري أو الجذاب حتى نتبين الحقائق أمام أعين الشباب وحتى يكونوا قادرين على



التفريق والتمييز بين ما يفهم ويرتقي بعقولهم وثقافتهم وينمي مواهبهم وبين ما يعملوا على تحطيم قيمهم وإخراجهم من دنياهم وأفكارهم وثقافتهم وتراثهم.

٤- ثانياً: لا بد من نشر الكتب والأبحاث التي تبصر الشباب بالتيارات الحديثة من الهيمنة والوان الاستعمار الحديثة الذي يريده بعض أصحاب القوة والسلطان في فرضه على الشعوب الأخرى لمصالح ذاتية وعلى حساب مصالح الشعوب الأخرى.

٥- ثالثاً: تقوية النزعة الفكرية التي تعد نبراً وقيماً وأخلاقاً لحضارتنا وتعاليم ديننا. (٤) تعد ظاهرة الحجاب بل والنقاب كتيار معارض تماماً لظاهرة العولمة وللإقتباس من الغرب في صورة رفض لهذا الواقع ومن مظاهر نجدها على شاشات التلفزيون وعبر الإنترنت مظاهر تكاد تكون عارية تماماً ومن ثم ظهرت تلك التيارات الدينية كنوع من ردود الفعل لتلك الأوضاع الصارخة وتغلغل الثقافات الغربية في الثقافات الإسلامية والعربية.

(٥) سيظل الدين هو عامل الحماية والأمان ضد أي غزو ثقافي أو تأثيرات للعولمة قد تأتي من الخارج وهذا على الأقل لدى السواد الأعظم من الناس.

(٦) "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون له الخيرة في أمرهم" الأحزاب ٣٦" ويقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يقوم بهذا الدين الأم خارطة من جميع جوانبه يعني القيام بالالتزام بأوامر كاملة" أتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون بعض "صدق الله العظيم.

(٧) مع التطوع لاستخدام التقنيات الحديثة والحاسب الآلي اتفق كثير من شباب ورجال التيار الإسلامي واستخدام الشبكات وأصبحت المواقع الإسلامي أكثر من أن تحصى ونجح كثير منهم في هذا المجال بل واقتحام مواقع أخرى والتجارب مع التيارات الفكرية والدينية الأخرى ومحاولة نشر الدعوة بينها.

(٨) تعمل الكنسية على استخدام العولمة لخدمة الدين مثل الأفلام الدينية عن طريق الإنترنت، وألحان واللقطات المفيدة.

(٩) الدين الإسلامي دين عالمي ومنتشر في العالم وهذا ما تؤكدته القنوات الفضائية ولا خوف عليه من العولمة والتيارات الحديثة.

(٣)

مما لا شك فيه أنه لا يمكن أن يكون الدين مجرد مجموعة من المعتقدات فحسب وإنما يجب أن نترجم هذه المعتقدات إلى ممارسات وشعائر والإخلاص الدينيين إلى فعل وهذا بالتالي يؤدي إلى تعميق الاعتقاد ومن ثم فإن الشعائر في الواقع هي قنطرة توصل إلى الإخلاص وإلى تأدية الفعل الديني وفي تأديتنا للعبادة المطلوبة منا إنما يتمثل في إخضاع الروح لحب الله وشكره ومعرفة صفاته وذته كما أنه بمثابة اعتراف منا برعايته لنا ومن ثم فإن الشعائر هي أفعال متكرر تأخذ شكل العادات التي ترتبط بالنسب الديني وهي مهما كانت بسيطة أو معقدة جماعية أم فردية تعد ترجمة وأداء للاعتقاد ويجب عند دراستنا لها التعرف على كثير من التفاصيل الخاصة بها والتي تساعدنا في معرفة الأساس الديني لهذه الشعائر.

(١)

وبحثنا هذا قد القى الضوء على الشعائر وأهميتها والنظرة المستقبلية لها في ضوء متغيرات كثيرة في وقتنا الحاضر منها على سبيل المثال لا الحصر القنوات الفضائية الكثيرة وما تبثه من مادة إعلامية لا تتفق في معظمها مع قيم الشعائر الإسلامية ومنها أيضاً العولمة التي تدعو إلى البعد عن الدين والاهتمام بالأنشطة الأخرى اقتصادية كانت أو ساسية. وقد جاءت نتيجة الدراسة المكثفة لعدد تسعة من أعضاء هيئة التدريس بكلتي الآداب والتربية الرياضية لتؤكد ما يلي:

- الاهتمام بممارسة الشعائر في معظم الفئات العمرية.
- أهمية الأديان في توجيهها للسلوك وتزويد الإنسان ببعض المبادئ الأخلاقية وتأكيداها على القيم التي تساعد في تربية الإنسان وخلق الكيان الحر القادرة على القيام بواجباته وتحمل مسؤولياته وتوطيد علاقته بالآخرين.

- أهمية التنشئة الدينية في الفترة العمرية الأولى لأنها مرحلة التكوين المبكر حيث تكون نفس الطفل سريعة التأثر بما يغرس فيها وهذه المرحلة تؤثر فيما بعد على المراحل الأخرى.
- أما بالنسبة للتربية الدينية فقد اقرت نتيجة التحليل للحالات التي تم دراستها أنها لا تقتصر على مرحلة الطفولة وإنما تبقى التربية الدينية عاملاً أساسياً مصاحباً لمراحل العمر المختلفة وأن لكل مرحلة عمرية ثقافتها واهتمامها وميولها وحاجتها إلى هذه التربية.
- يلعب المسجد والكنيسة دوراً هاماً في عملية التعليم الديني وفي نشر الثقافة الدينية وتقع مسؤولية التعليم الديني بالإضافة إلى المسجد والكنيسة على الأسرة والمدرسة، والدعاة، والآباء القساوسة وعلى أجهزة الإعلام المختلفة.
- ومصادر الثقافة الدينية كثيرة وأهمها الكتب والمجلات الدينية والبرامج المختلفة بالإضافة إلى رجال الدين الرسميين، والأفلام الدينية وغيرها.
- ويعطي الدين قيماً كثيراً أهمها الصدق - الأمانة - الالتزام - الخير - الحق - العدل - الفضيلة، الشرف والتواضع والحب.
- وأما الأدعية الدينية فقد اعتمدت على شعائر الصلاة وما يتلى فيها وأن الأوعية تذكر ف أوقات كثيرة وفي غير وقت محدد، وأدعي الخروج وأدعية السفر وقضاء الحاجة ومصدر هذه الأدعية القرآن والأنجيل وأدعية الرسل وغيرها.
- وقد أجمع مجتمع الدراسة على أنه لا توجد ملابس مخصصة عند أداء الشعائر وركزت على ضرورة أن تكون ملابس الناس محتشمة.
- والتأثيرات التي حدثت في الفترة الأخيرة على الشعائر جعلت الكثيرين يتمسكون بالشعائر وبالدين والتمسك بالقيم الدينية.
- كما أن التأثيرات التي حدثت في السنوات الأخيرة أثرت على المسجد والكنيسة وجعلتها يهتمان بالمصلين والاهتمام بالتوعية الدينية فضلاً عن الأحاديث الأخرى المرتبطة بالحياة اليومية للمجتمع ككل وزاد عدد رواد المساجد والكنيسة.



- أثرت العولمة الذي تحولت عن مفومها الإنساني الذي يهدف إلى التعاون الاقتصادي والعلمي وأصبحت نوعاً من الهيمنة والسيطرة بقصد تغيير متقدات وثقافات وتراث وحضارات الأمم المختلفة وقد أدى هذا إلى التمسك بالتراث والقيم والشعائر والدين في كل المراحل العمرية.
- أما بالنسبة لتأثير العولمة على المرأة فقد ساعدت على كثرة تحجب النساء بل وتنقب بعضهن ومعارضين تماماً لظاهرة العولمة ورفض ما يثار من سواد ومعارضتهن إعلامية من خلال القنوات الفضائية وكثر ترددهن على المساجد والكنائس.
- ومن أهم نتائج انتشار التقنيات الحديثة والحاسب الآلي والإنترنت بدأت كثيرة من الجماعات المسلمية والمسيحية في الاستفادة منها وأصبحت لها مواقع كثيرة وتم التحدث مع كثير من التأثيرات الفكرية والدينية الأخرى ومن ثم استفاد المسجد التيارات والكنيسة من هذه التقنية الحديثة التي ارتبطت بالتقدم العلمي واستخدام العولمة في جانبها الإيجابي بما يفيد الشعائر والدين.

## أهم المراجع والهوامش

## مراجع المقدمة

1) Leach, R., e. "ritual" in international Ency. Of s.s vol. 13 pp 523 – 525.

٢) فاروق مصطفى: البناء الاجتماعي للطريقة الشاذلية في مصر دراسة في

الانثروبولوجيا الاجتماعية الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠، ص ١٣٩.

٣) محمد علم الاجتماع والمنهج العلمي دار المعرفة الجامعية الطبعة الثانية،

١٩٨٠، ص ٦٦١.

4) Pelto, J., Pertti, Anthropological Research, Harper Research, Harper & Row, publishers, N.Y. 1965 p. 274.

٥) فاروق أحمد مصطفى محمد عباس إبراهيم صناعة الولي دراسة انثروبولوجية في

الصحراء الغربية مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب جامعة القاهرة،

٢٠٠٤، ص ١٦٧.

## مراجع الفصل الأول

١. فاروق أحمد مصطفى - الدراسات الاجتماعية للدين - وجهة نظر نقدية - في

مؤتمر الوضع الحالي لعلم الاجتماع والانثروبولوجيا في مصر الفترة من ٢١ - ٢٣ ديسمبر

١٩٩٦ - المجلس الأعلى للثقافة.

٢. أحمد أبو زيد - المجتمعات الصحراوية - دليل العمل الميداني - المركز

القومي للبحوث الاجتماعية والجناحية - ١٩٩٠ - ص ٨٩.

٣. حسن شحاته سفيان "دين" في معجم العلوم الاجتماعية - الهيئة المصرية

العامة للكتاب - ١٩٧٥ - ص ٢٧٠.

٤. جيمس فيريزر - الغصن الذهبي - دراسة في السحر والدين - ترجمة أحمد أبو زيد - الجزء الأول - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٠ - ص ١٢٧ - ١٢٨.
٥. فاروق أحمد مصطفى - مرجع سابق - ص ٥.
٦. فاروق إسماعيل - دراسة انثروبولوجية في منطقة باو دار النشر الجامعي ١٩٨٠ - ص ١٤٩.

7. Tylor R.B An introduction to Cultural Anthropology  
Alyn & cultural Bacon Inc. Boston 1973 P. 398.

٨. حسن شحاته سلفان - مرجع سابق - ص ٢٧١.

9. Leach, E, Ritual in I. E.S .S. vol. 13 p. 321.

١٠. أحمد الخشاب "طقس" في معجم العلوم الاجتماعية - الهيئة المصرية العامة

للكتاب - ١٩٧٥ - ص ٣٧١.

11. Herskovits, J., man and his works, Alfred Krop. N. Y.  
p. 313.

١٢. فاروق مصطفى - المولد دراسة للعادات والتقاليد الشعبية في مصر - الطبعة

الثانية - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١ - ص ٣٨.

13. Levi Strauss L'Homme Nu, Libraire Plan, Paris, 1971,  
Pp. 598 - 599.

١٤. أحمد أبو زيد - مرجع سابق - ص ٨٩.

١٥. عبد الرحمن بن خلدون - المقدمة - مكتبة دار الشعب - القاهرة - ١٩٧٠

- ص ١٦٥.

١٦. راجع فاروق أحمد مصطفى - الدراسات الاجتماعية للدين - مرجع سابق -

ص ٨ - ٩.

17. Durkheim. The Social Foundation of Religion Harper  
& Row N.Y - and.



Walace Anthony, F. C. Religion an .18  
Anthropological View, Randon House N.Y 1966 p. 6.

١٩. لمزيد من التفاصيل الخاصة بنظريات الدين - راجع فاروق أحمد مصطفى -

مرجع سابق - ص ١١ - ١٤ .

٢٠. السيد سابق - دعوة الإسلام - الفتح للإعلام العربي - ١٩٩٠ - ص ٧ .

٢١. أشار تشارلز آدمز إلى أن الإسلام كان دائماً في نظر المسلمين أنفسهم حضارة

وتوجهاً نحو العالم. فهو ليس مجرد دين بالمعنى الحديث المحدود العادي لهذه الكلمة. إذ

ليس ثمة في نظر المسلم - من ناحية المثالية - أي مظهر من حياة الفرد أو المجتمع لا

يمكن اعتباره تعبيراً مباشراً عن الإسلام أو إحدى نتائج مقتضياته.

“Religious Tradition” in Leonard Binder ed, ) the study of  
the Middle East, Willey, N.Y 1976 p. 29 Charles Adams  
Islamic.

٢٢. أحمد أبو زيد - هوية الثقافة العربية - الهيئة العامة لقصور الثقافة - ٢٠٠٤

- ص ٢٩ - ٣١ .

٢٣. أحمد أبو زيد - مرجع سابق ص ٣٢ - ٣٦ .

### الفصل الثاني

#### ١. بعض الأدعية:

ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة أنك أنت الوهاب.

دعاء سيدنا موسى: ودعاء سيدنا يونس: لا إله إلا أنت سبحانك أي كنت من

الظالمين - دعاء الاستفتاح في الصلاة - دعاء الشعور بالألم: اللهم أي أعوذ بك مما أجد

وأحاذر.

دعاء آدم عليه السلام: ربنا أننا ظلمنا أنفسنا فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من

الظالمين. ربنا أنتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

دعاء سيدنا نوح، دعاء نهاية سورة البقرة.

دعاء سيدنا محمد اللهم أني عبدك بن عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضايتك. أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو انزلته في كتابك أو استأثره به في علم الغيب عندك أو علمته أحد من خلقك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وجلاء همنا وحرزنا.

### مراجع الفصل الثالث

١. راجع كتابنا صناعة الولي مرجع سابق، ص ٨٥ - ١٣٦

# الشخصية المصرية بين مركزية العقل والتكامل المعرفي

الأستاذ الدكتور / محمد عباس إبراهيم

أستاذ الأنثروبولوجيا بكلية الآداب

جامعة الإسكندرية





مدخل

المعرفة من التفكيك إلى إعادة التأسيس

التكامل العرفي وتمكين الوعي

الشخصية والثقافة : وحدة في التكامل المتبادل

مركزية العقل وضوابط حرية الفكر

مركزية العقل وقيادة الثورات الكبرى

مركزية العقل المصري : حالة من الالتباس !!

الإخوان في المشهد : والفشل بامتياز !!

الشخصية المصرية : حالة انفراد محير !!

خاتمة بلا نهاية

## مقدمة

يعد موضوع الشخصية المصرية القومية وعلاقته بمركزية العقل والتكامل المعرفي قضية شائكة أمام الباحثين على المستويين النظري والعملي ، ما لم يكن الباحث متسلحاً بمنهجية علوم الإنسان ( الأنثروبولوجيا ) حتى يستطيع وبنظرة موضوعية أن يقف أمام الابتزاز الذي يشيع - لا سيما - بين أوساط المثقفين المصريين والعرب ، ويتخذون من سمات الشخصية القومية " مطية " لتزايد جلد الذات وعرض سلبياتها ، عندما يقارنون بين الشخصية " الذات " وبين الآخر .

تقدم هذه الورقة تحليلاً موضوعياً للشخصية المصرية بمنهجية متأنية في التلامس مع البعد الحضاري الزمني ، من خلال استلهاهم واقع الشخصية المصرية بصورة محايدة وصولاً إلي معرفة أسباب وعوامل وتراكمات ايجابياتها وسلبياتها ، وعمّا إذا كانت تتسم بالإنتاج الحضاري الثقافي ، أم هي فقط مستهلكة لمنتج الغير من الثقافة .

فالشخصية المصرية القومية كلٌ متكامل لا يتجزأ ، هي ليست الشخصية السياسية وممارساتها فقط ، وإنما هي كلٌ متكامل من واقعها البيئي وبنائها الاجتماعي والثقافي وعوامل التربية والتنشئة والتعليم ، وممارساتها على كافة الأنشطة في أساليب الحياة اليومية . هي كلٌ متكامل من الاندماج النوعي ( الجندر ) القائم علي توزيع اختصاصات الأدوار الذكورية والأنثوية ، ومدى الإسهام الحقيقي لتطبيق مبادئ المشاركة والتواصل والاندماج ومواجهة صعوبات الواقع المعاش .

الشخصية المصرية القومية هي حالة خاصة في عموميتها ، وخاصة الخاصة في أدق خصائصها ، وهنا يكون التلازم بين الثقافة والشخصية القومية وبين الثقافات الفرعية والشخصية القومية هي محكات لا بد وأن تؤخذ في الاعتبار عند استرجاع واستدكار ما يميزها من سمات وعلاقات خاصة فيما بينها .

الشخصية المصرية القومية هي " مركب ثقافي Cultural Complex " عبر العصور ساهم في بنائها أحداث ووقائع ومنية ومجتمعية جعلت منها أو علامات



متميزة في وجود القوميات الإنسانية عبر العصور . هي كل متكامل من العلم والمعرفة والفن والتاريخ والموقع الجغرافي الفريد والتميز والقيم السلوكية والدين ... وغيرها .

وتتخذ الورقة الراهنة من الاستفهامات الأربعة الآتية قضايا بحثية تتلمس الاقتراب من المخزون الحضاري للشخصية المصرية وكشف سماتها ومقومات بنائها .. وهي :

أولاً : هل الشخصية المصرية القومية هي من صنعها التاريخ الثقافي الحضاري ، أم هي صانعة تاريخها وحضارتها ؟

ثانياً : ما دور مركزية العقل متمثلاً في نشاط " العقل الجمعي " و " الضمير الجمعي " وعلاقته بالمضمون " المحير " للشخصية المصرية ؟

ثالثاً : ما هي حدود إسهامات الشخصية المصرية القومية في مضامين المعرفة الإنسانية والتكامل المعرفي عبر العصور بين الأخذ ... والعطاء ؟

رابعاً : كيف تتعامل الشخصية المصرية القومية في ضوء سماتها العامة والخاصة مع الملمات والأزمات الكبرى الداعية إلي قيام الثورة الشعبية الجامعة ؟

ولكي تستجلي هذه الورقة أبعاداً عن حقيقة الترابط ما بين الشخصية القومية والثقافة وما بين أداء مركزية العقل والتكامل المعرفي أجد لزاماً عليا ومن منطلق الوحدة المنهجية في التحليل والتفسير ، أن أستعرض موروث الفكر الاجتماعي في قضايا الشخصية بأبعادها المختلفة ، فضلاً عن الدور الذي قامت به المعرفة الإنسانية في السعي نحو وحدة الأنماط السلوكية للبشر في الحياة قدر الإمكان ، وإن كان تحقيق ذلك قد يكون درياً من دروب الخيال وأيما كان موضوع النقاش فإن التراكم المعرفي لرصيد الإنسانية في الثقافة والحضارة بماديتها ومعنوياتها ، وحالتها من التركيب إلي التفكيك ثم العودة مرة أخرى من التفكيك إلي إعادة التأسيس للنظم المجتمعية وتنميطها الفكري وما بينهما من توير وتحديث هو المنطلق الرئيس والمدخل المنهجي التحليلي في رصد ماله صلة بموضوعنا الراهن .

## المعرفة من التفكيك إلى إعادة التأسيس

لعل الحقبة الأكثر جدلاً حول التكامل المعرفي وما بين تركيب المعرفة وتفكيكها تلك التي تشير إلى الانتقال من التقليدية إلى الحقبة الحدائية ، وهذا الانتقال لم يكن مجرد عبور مرحلة تاريخية ، ولا مجرد العبور من نموذج فلسفي صوري أو منطق أرسطي إلى آخر وضعي عملي يتأسس على منهج تجريبي وجدل معرفي ، إنما الانتقال بالتكامل المعرفي هو كل ما تقدم وأعمق بكثير عن ذلك . هو تحول في رؤى الإنسان الغربي ونظرته إلى الوجود ، وكل ما ينبثق عنه من قواعد عمل ، وممارسات سلوكية ، مهدت لقطيعة جذرية مع الماضي البشري في أعماق خصائصه وضوابطه ومنطلقاته السلوكية الراسخة عبر آلاف السنين ، وهو قدوم صاحب لأكثر من خمسة قرون زمنية مضت ، زاهياً ومهيماً فيها على الثلاثة الأخيرة منها متفرد بفنون إبداعاته العلمية والتكنولوجية والإلكترونية ، وما بعد الثورة الإلكترونية في تلاحق متنامي من رصيد وتراكم المعارف المعاصرة .

يتضح مما سبق أن المفاهيم الرئيسية والجوهرية في حياة الإنسانية مثل التغيير والتقدم والحضارة والنهضة والحداثة ما هي إلا عمليات " للتطوير " وإن اختلفت في درجاتها ، ويحتل أداء العقل فيها سلطة مركزية ، مقرونة بتأسيس النظم الاجتماعية للمجتمع ، وهكذا يقوم العقل بنقل المجتمع من حالة الجمود والاستكانة حيث التقاليد الجامدة ذات التأثير السلبي على أداء العقل ، إلى حالة الانطلاق نحو الآفاق الرحبة للإبداع والتأمل وإنتاج الأفكار التي تسهم في تأسيس " العقد الاجتماعي " الجديد الذي يقوم على إرادة الإنسان الجمعية ، وعلى مركزية الفرد الحر ( ١ ) القادر على الفعل الجيد المستحدث ، وبلورة ثقافة الحرية والمساواة والانفتاح حول ذاتية الوطن ومركزية العقل .

بالعقل والفكر يحيا الإنسان ويعيش ، ويدرك ما حوله من موجودات فيتعامل معها ويسترجعها في صورة منتج آخر أو منتج جديد ، فها هو الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت Rene descartes ٣١ مارس ١٥٩٦ - ١١ فبراير ١٦٥٠ م يستحضر دور العقل وأهميته بقوله ... " أنا أفكر فأنا إذن موجود " فالوجود في نظره يكون منقوصاً

إذا لم يرتبط بالقدرة على التفكير . وهكذا تميزت مرحلة التغير الفكري والتغير المادي ( الثورة الصناعية ) في أوروبا الغربية بسلطة العقل ومركزية التفكير ( ٢ ) هذا الاتجاه الذي كان دافعاً إلي بناء النظريات السياسية للعقد الاجتماعي ، والتي تقوم على سلطة حيادية ومستقلة عبر عنها الفيلسوف الاجتماعي وعالم السياسة توماس جابرييل هوبز **Thomas Hobbes** ٥ أبريل ١٥٨٨ - ٤ ديسمبر ١٦٧٩ م بتأسيس نظام سياسي محايد يتمثل في الدولة المهيمنة أو السلطة المطلقة . بينما عبر عنها جون لوك **John Loke** ١٩ أغسطس ١٦٣٢ - ٢٨ أكتوبر ١٧٠٤ م بسلطة القانون ، أما جان جاك روسو **Jean Jacques Rousseau**

٢٨ يونيو ١٧١٢ - ٢ يوليو ١٧٧٨ م فقد وصف العقد الاجتماعي بالإرادة العامة ، تلك الفلسفات العقلية أسهمت بوضوح في نهضة الفكر والصناعة والاقتصاد والاجتماع ، واعتبرت الفعل الرشيد القائم على حساب الوسائل والغايات التي تحقق المنفعتين العامة والفردية نموذجاً مثالياً للفعل ، وهو ما تبناه المفكر الألماني ماكس فيبر **Max Weber** ٢١ أبريل ١٨٦٤

١٤ يونيو ١٩٢٠ م بتشبيده نموذجاً عن العقلانية ودورها في بناء المشروع الرأسمالي والفعل الرشيد في مقابل البيروقراطية والفعل الرشيد - كما لا يفوتنا الدور الذي قام به المفكر الإيطالي فلغريدو فيديريكو داماس باريتو **Vilfredo Federico Damaso Pareto** ١٥ يوليو ١٨٤٨ - ١٩ أغسطس ١٩٢٣ م حول تبنيه ما يعرف بالفعل المنطقي والفعل غير المنطقي.

تلك مرحلة زمنية مرت علي الواقع الأوروبي أثناء ما عُرف " بعصر العقل " وهي الفترة التي امتدت من أواخر القرن السابع عشر إلي أواخر القرن الثامن عشر الميلادين . وهي كتابات وإسهامات دارت حول تأصيل منهج التعرف " العقلي " علي أصول الأشياء والموجودات وربما كان ذلك واضحاً في الفكر " الديكارتي " ، ثم اتجهت الفلسفة العقلية إلي ما يسمى بالفلسفة الاجتماعية أو أسس ومبادئ الفكر الاجتماعي فكان للسياسة فيها نصيب أكبر فها هو جان جاك روسو يؤكد على أهمية " الحرية " الفردية في



إطار منظومة من الحريات الأوسع والأعم فيناقشها من خلال كتاباته الأدبية والفلسفية فتكون مؤثرة في تشكيل الأحداث السياسية من جهة ، ومؤثرة بشكل مباشر في قيام الثورة الفرنسية من جهة أخرى . ويسير على ذات الدرب المفكر الفيلسفي الاجتماعي الإيطالي فلغريدو باريتو المولود من أب إيطالي وأم فرنسية فيري كتاباته عن " الصفوة " أن المجتمع الإنساني كيان نسقي متكامل يكمل فيه كل نسق النسق أو الأنساق الأخرى ، أما ما يحرك المجتمع وأحداثه فهو ديناميكية دور الصفوة المجتمعية ، فهم وحدهم في نظر باريتو القادرون على قيادة الأحداث السياسية والمجتمعية ، وإن كان هذا الطرح فيه بعض الانتقاد لأنه يؤصل لفكرة طبقية الصفوة المثقفة على حساب الجمهور العريض من عامة الشعب ، فيصبح عقل المجتمع وإدارته في دورة طبقية على حساب الجمهور العريض .

وعلى الرغم من كل ما يثار حول مركزية العقل الأوروبي الداعي للحرية في مفاهيمها وقواعدها الجديدة في المجتمع الأوروبي المتغير ، إلا أن حرية العقل ، وحرية الفكر والتخلص من الضوابط القهرية لديكتاتوريات السلطتين الدينية ( الكهنوتية ) والسياسية ( البرجوازية ) جعلت من الكيان الأوروبي يعيش حرية العقل المركزي ، وهو ما ساعد في تراكم المعرفة الإبداعية في شتى المجالات . تلك هي مراحل العقل المنتج الذي يكتسب حريته ويعمل في كل متكامل من الاتساق والتوائم المجتمعي .

### التكامل المعرفي وتمكين الوعي

تشكل قضية مركزية العقل وحرية الإبداع والتكامل المعرفي وانعكاساتها على المقومات الأساسية لبناء الشخصية القومية بعداً منهجياً وأبعاداً موضوعية ذات صلات مترابطة في إشكالية زاد فيها ويزداد الجدول المعرفي الإبيستيمولوجي Epistimology وقد برهن على ذلك ودلل عليه ما جاء بتوصيات التقرير العالمي للعلوم الاجتماعية الصادر عن منظمة اليونسكو عام ٢٠١٠م (٣) فقد ركز في إحدى توصياته بما أسماه "بموجة ما بعد تفكيك المعرفة أو ما بعد تفرع وتشعب وتعدد وتنوع التخصصات !! حيث اقتضت المرحلة العلمية الجديدة وتقتضي السير في سياسة "

مقاربة " جديدة مبدعة خلاقة لديها القدرة والشجاعة على استحضار جميع التخصصات الفرعية سواء ما كان منها في حقل العلوم الطبيعية البحتة أو في حقل العلوم الاجتماعية والإنسانية .

تلك قضية أو إشكالية وإن كانت في مسار إجراءاتها تشير إلي النشاط المعرفي المتصل بمعطيات ما يسمى " بحرفة العلم " إلا أنها في ذات الوقت تشير إلي قضية أكثر عمقاً في البحث عن إيجاد سبل وبرامج عملية خاصة " بتمكين الوعي " . أو ما يمكن أن يطلق عليه علم " المنهجية " في الطرح والتعامل والتدريب على التفكير السليم، والبحث في قضايا الممارسة والتعامل الرشيد مع مسائل العلم والمعرفة في شتى المجالات فهماً وتوظيفاً وتطبيقاً وهو مسار طبيعي جاء كرد فعل لما خلفه " عهد الحدائة الغربية من تطور ناجح في تحقيق وعوده في زيادة المعرفة والتقدم لمتطلبات الحياة اليومية واحتياجاتها المادية ، كما خلف في نفس الوقت آثاراً سلبية في عدة مجالات من بينها "المجال المعرفي " الذي اتخذ من الاستغراق في " التجزئة " المستمرة طريقاً نحو التخصصات الدقيقة ، وهو ما نجم عنه أنظمة ( تربوية ) تبحر في زيف نحو الوصول إلي أجزاء الحقيقة المختزلة ، البعيدة عن الصورة الكبيرة الكلية للواقع المعاش ، روج لها منتفعون من عدة أطراف ، فأصبحنا نعرف أكثر فأكثر عن الأشياء الأقل فالأقل !! في الوقت نفسه \_ مع الأسف \_ أصبحنا نعرف أقل فأقل عن الأكثر فالأكثر . فالعقل الخلاق ، ومركزية العقل لا يقدم شيئاً في التكامل المعرفي (٤) إلا إذا كان مرتبطاً بتراته قادراً على الاستيعاب والتجديد ، منفتحاً في رؤية تكاملية للتفاعل الإيجابي مع تراكم العلوم والمعارف ، محافظاً في ذات الوقت على هويته الذاتية وشخصيته القومية التي \_ يجب \_ ألا تكون قابلة أو خاضعة للمساومة عليها تحت أي ظرف من الظروف .

نستخلص مما سبق أن المقصود بالتكامل العرفي :

"هو التكامل في المصادر والأدوات والمدارس العلمية والثقافية ومنتجها من التنشئة والتطبيع في المثل والقيم والأخلاقيات المنشودة التكامل بين الوصف الكمي والتقدير



الدقيق بالحساب لقضايا الفكر ومشكلات المجتمع وبين الوصف الكيفي مانح التفسيرات والتحليلات والدلالات والمعاني العميقة لطابع الأشياء "

تلك رؤية أنثروبولوجية تختص برؤى علوم الإنسان في نظرة متكاملة لوجوه التكامل المعرفي والتعاطي المنهجي مع الأخذ في الاعتبار أن وحدة العلوم لا ينفي تكاملها ، وكذلك العكس ، أما استخدام أحد المفهومين منفرداً فيتطلب معالجة منهجية خاصة ، فالقول بوحدة العلوم هو أقرب إلي وصف العلاقة بين العلوم على المستوى الوجودي أي ميتافيزيقية النظرية أما القول بالتكامل فهو أقرب إلي وصف العلاقة بين العلوم في مستواها المعرفي الإيستيمولوجي (٥) وهنا يأخذ الموضوع بعداً منهجياً عملياً وتعليمياً .

ولتوضيح ما سبق بمثال حين تتكاتف وتتكامل جهود العلماء من ذات التخصص العلمي الواحد ساعين إلي حل مشكلة علمية بعينها وتحقيق انجاز فيها \_ بفضل تجميع الجهود الفردية لهم \_ بناءً على رؤية أكثر عمقاً واتساعاً وموضوعية . هما يصبح التكامل ضرورة لحل مشكلة ما أو مشكلات كبرى في مجال التطوير التكنولوجي والإلكتروني والطب والهندسة وقضايا المجتمع في الأمية والمجاعات والكوارث ومراحل الانحطاط وقضايا الكثافة السكانية والتدهور الأخلاقي .... الخ . وهنا يكون التكامل المعرفي ضرورة متضمنة تكامل وتكاتف جهود العلماء في الأجيال المختلفة ، فيبني كل جيل على خبرة الجيل وخبرات الأجيال التي سبقته ، وهو ما يتم في تكامل جهود الأمم والشعوب .

الحديث عن التكامل المعرفي لنشاط الإنسان على الأرض لا ينفي علاقة السماء بالأرض تلك العلاقة المتكاملة في رؤيتها الثلاثية { الله .. والعالم .. والإنسان } وهو تركيب معرفي له دلالاته ومفاهيمه ومعانيه التكاملية الأكثر اتساعاً في السمو والكتب المقدسة والروابط الروحانية الصافية ، توجت بشكل تكاملي في النسق القرآني وهدى تعاليم الإسلام من شمول وعمومية في الرؤية لمنهج ضبط العلم والعمل في استنباط الأحكام من مصادرها الأصلية ومقاصدها البهية يتوجها نجاح في الفقه وأصوله . في قوله تعالى : " قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلي عالم الغيب



والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون " صدق الله العظيم سورة التوبة الآية رقم ( ١٠٥ )  
وفي الحديث الشريف : إذا حب أحدكم أن يعمل عملاً فليتقنه " فالتكامل المعرفي في  
شتى مجالات العلم إن لم يتخذ من عمليات الضبط والتدقيق والتوثيق والنقد سنداً  
وسبيلاً فلا أمل \_ إذن \_ في التقدم المعرفي الإيستيمولوجي .

ومن نافلة القول \_ أو من عجب العجاب !! \_ أن الوسائل المنهجية التي تقدم  
الغرب بها في تطبيقاته العلمية منذ ظهور عهد الحداثة الأوروبية ، ما هي إلا أدوات  
منهجية لنا نحن أنتجها علماء العرب والمسلمين في بلدان الشرق ثم أخذت طريقها إلي  
الغرب الأوروبي !

ومع ذلك نحن نستخدمها في تطبيقات ( الملاحظة ) .. ( والمشاهدات ) ..  
( والتجربة ) تابعين في ذلك السير وفق أعراف وتقاليد وإجراءات لم نحاول تأصيلها  
والبحث عن مرجعياتها الأولية . مكتفين \_ فقط \_ بأنها أدوات منهجية ومطروقة ومسلوكة  
الاستخدام !! . وهو ما يفقدنا الكثير ونحن بصدد تناولنا للتكامل المعرفي (٦) حيث  
تقتصر الجهود على البحوث والدراسات الأكاديمية والمهنية ، في الوقت الذي تراجعت  
فيه روح الاهتمام في البحث بشمولية وتكامل التفكير والسلوك .

### تمكين الوعي

تلك حالة مجتمعية ومعرفية تحتاج إلي مفهوم جديد في التعامل المنهجي في  
البحث العلمي والمعرفي ، نظراً لما أصاب الأمتين العربية والإسلامية من اختلالات  
منهجية في الاستخدام والتطبيق ، تجسد هذا الاختلال في فقدان رؤيتنا الصحيحة  
للعالم، وفي تقديرنا للأشياء بحسب أحجامها الحقيقية ، فما هو جزئي يقدر على أنه كلي  
كبير ، وما هو تابع يقدم على أنه أولوية !! وهو خلل أفقد الإنسان العربي والمصري  
القدرة على فهم مبادئ الواقعية والسببية والشمولية ... فكان عائقاً أمام الانطلاق  
الحضاري ، نجم عنه قطيعة معرفية بين الفكر والواقع في التعامل اليومي ، فزاد استغراقنا  
في اتجاه نفسي ( سيكولوجي ) أدي بنا في بعض الأحيان إلي الرفض لبعض وقائع الحياة  
دون اعتبار لمراعاة التفاصيل والمعطيات بشأنها ، وتناسينا \_ عن عمد \_ بط النتائج

بالأسباب ، فتخلينا عن الأخذ بالأسباب وتعاملنا معها باتكالية ، وتهرب من المسؤولية وعدم اكتراث بالتنتاج طالما تفسرنا لها أنها من عند الله !!؟ فتعمق الخلل في معرفة الحقائق ، بل وزاد العمل ضد مقتضياتها .. فنحن شعوب تؤمن بأن النظافة شعبة من شعب الإيمان ومع ذلك نرى " التلوث " بكل أشكاله ولا نبالي حتى وإن سبب لنا أمراضاً عضوية قاتلة !! وعندئذ تتجه الحكومات المصرية والعربية لمعالجة المرض دون الاهتمام باستئصال الأسباب المسببة له ، وكان البحث في الجذور والأسباب أمر شاق علينا . فجميعنا يعرف أن " ابن الهيثم " عالماً من علماء المسلمين ، لكننا لم نعرف انجازاته إلا بعد أن أخرجنا بها علماء الغرب بأن له أكثر من مائتي مؤلف وصاحب صياغة دقيقة للمنهج العلمي التجريبي القائم على المشاهدة والملاحظات والتجريب والبرهان . وما ينطبق على ابن الهيثم ينطبق على عبد الرحمن ابن خلدون وغيرهما ، حيث يمثل هؤلاء العلماء الأوائل مدارس فكرية اتسمت بالتكامل فيما بينها ، معتمدة على العقل والحس مع بعض التفاوت في درجة التركيز على المصادر والأدوات ، فالعالم الطبيعي لديهم هو عالم الأشياء المادية في الكون ، أما العالم الاجتماعي فهو عالم البشر من أفراد وأسر وجماعات وشعوب وقبائل وثقافات وعالم النفس الإنسانية روحاً وعقلاً وفكراً وسلوكاً ، خفياً ومعلوماً ، وما بها من مشاعر معلنة ودفينة للخير والشر .

يتضح مما سبق أن البحث في تكاملية المعرفة ليس بالأمر البسيط أو الهين ، وإنما يحتاج إلي أطر منهجية متكاملة تتصف بالشمول والاشتقاق لكثير من المبادئ الفرعية لكل قيمة من القيم ، ولكل قضية فرعية من القضايا العامة تؤسس على التعمق في الفهم والتمكن بوعي عند النقل والتداول والاستنباط من تراكمات الماضي المعرفية واستلهاهم رؤى الحاضر واستشراف آفاق المستقبل .

### الشخصية والثقافة .. وحدة في التكامل المتبادل

تعددت المفاهيم حول الثقافة ولكن ما يعيننا هو " أن الثقافة هي إبداع وإنتاج كل ما من شأنه أن يحل المشكلات وسد الاحتياجات التي تواجه الإنسان في حياته " .

وبناءً على هذا التعريف تتحدد مركزية العقل المنتج .. و ... لا مركزية العقل المستهلك !!

فعبقرية الإنسان تقوم على ثقافته (٧) التي هي من صنعه ، تلك الثقافة التي ابتكرها الإنسان مستخدماً عقله للوصول إلى حياة أفضل ، هي في بدايتها حالة صراع العقل الإنساني ضد أو مع الطبيعة ومحاولة التحكم في الظروف المحيطة . وهنا تصح " الحاجة أم الاختراع " . فتصبح الثقافة أكثر التصاقاً بفعل بأفعال الإنسان وممارساته السلوكية النابعة من تنوع الثقافات وتفرعها ، فهي في عموميتها تصبح كشجرة الحضارة بفروعها وتشعباتها في صور من الثقافات الفرعية ، وهذا ما تذخر به مصر عبر التاريخ والعصور ، فالثقافة منتج مركزية العقل ، هي من تتأثر بها الشخصية القومية في تميظها ، وتشكلها ، فحيوية الشخصية من حيوية الثقافة ... وحيوية الثقافة من حيوية الشخصية الفاعلة الإيجابية ، فالثقافة متغيرة وغير جامدة أو متصلبة عند حد معين .

ولهذا لا بد أن تكون الشخصية القومية **National Character** مسارية لهذا التطور والتغير الثقافي بما تضيفه الأجيال الجديدة من خبرات وأدوات وقيم وأنماط سلوكية ، أو استبعاد أدوات قديمة وحذف بعض قيم وأساليب وأفكار وممارسات سلوكية لم تعد مقبولة ولم تتفق وظروف الحياة الجديدة . وهنا يصبح الواقع مرهونا بمنطق الأداء داخل الثقافة ككل مع نضال واحتفاظ بعض الثقافات الفرعية ببعض خصائصها وسماتها لا سيما تلك التي تبتعد مكانياً ووجدانياً عن مركز التأثير لمركزية العقل ومبادئ الثقافة العامة ، هنا تتفاوت المجتمعات في درجة تغيرها الثقافي وفي طبيعة هذا التغير وسرعته ونتائجه والأسباب التي أدت إلى حدوثه . وهو ما وسمه ووصفه رائدا علم الاجتماع الأمريكي أوجبرن ونيميكوف **Ogbern & Nimikof** بأنه تغير متلازم في الثقافة والشخصية من خلال الممارسات والأفعال التي تجمع بين التنوع والانتقال في ضوء عوامل هامة ورئيسية هي ( الوراثة والبيئة والمجتمع والثقافة ) مع تركيزهما على أن الثقافة هي اللاعب الرئيس فوق مسرح التغير .



فديناميات تغير المجتمع والثقافة هي نتيجة للتوترات التي تحدث بين السلوك المعرفي العقلي والعناصر الدخيلة عن الأداء العام والتي تتصارع معه . وبالنظر إلى الشخصية المصرية القومية نجد أنها تعرضت لتحويلات عنيفة ومفاجئة خلال ما يقرب من نصف قرن من الزمان مليئة بالتحويلات في مستوى القيم وطبع العلاقات الإنسانية \_ بعض الشيء \_ بقدر من التوتر يصاحبه عدم الاستقرار النفسي والاجتماعي وهي مرحلة رغم قصرها وحدائتها لكنها تشعرنا بإحساسنا ومعاناتنا بالتشوه من عقدة تنشئة الماضي وتجعلنا نتطلع ونحلم بإقامة وبناء علاقات إنسانية يحيطها العيش الكريم ، والحرية ، والعدل الاجتماعي . وهو ليس بالأمر اليسير الذي سيتحقق في القريب العاجل ، لأننا ما زلنا أمام المهمة الرئيسية والأولى في علاقة الإنسان بواقعه وهي سعي الإنسان نحو التحرر من قيود الماضي والحاضر ، وإن لم تكن جميعها في وقت واحد لكنها استحقاقات إنسانية مطلوبة وضرورية .

### مركزية العقل وضوابط حرية الفكر

قد يتصور البعض أن الحديث عن مضمون الحرية لمركزية العقل معناه تحرر العقل من كافة القيود والضوابط المجتمعية التي هي في الأساس تظل عاملاً هاماً في بناء مقومات الشخصية القومية ، إلا أن الواقع في عمل العقل هو غير ذلك ، وإلا تحول العقل بكامل نشاطه إلى نشاط مادي جامد ليس إلا !! وصار العقل آلة ميكانيكية ينطبق عليه ما ينطبق على ماديات البيئة الطبيعية ، فالحديث يدور عن " عقل " متفاعل إنسانياً ولا يدور الحديث عن شيء مادي بحت هو " المخ " بمفهومه البيولوجي .

هنا يمكن القول أن نشاط العقل مرهون بمدى توائمه وتوافقته مع المكونات الرئيسية للبناء الاجتماعي والثقافي والروحانيات الدينية لما هو ( مقدس ) وهي في مجملها مصادر طاقة وعوامل دفع لنشاط الإنسان للرجال والنساء على السواء من أجل التطلع إلى بناء مجتمع جديد يكرس الناس حياتهم من أجله . وهكذا تكون ضوابط العلاقة القوية بين عمل العقل وبين بناء الشخصية القومية في ظل بنية اجتماعية وثقافية متماسكة ، وكيان ديني مقدس محفز للإنسان ونشاطه ؛ فلا توجد حضارة عبر العصور

سواء في الماضي أو في الحاضر أو حتى في المستقبل وقد بُنيت دون أن يكون لها إطار ديني ( مقدس ) فالنوع الإنساني بحاجة إلي إطار للتوجه نحوه ( ٨ ) بحاجة إلي موضوع يكرس من أجله حياته ، لكي يستطيع مواصلة الحياة ، في حاجة إلي ما يسمى بالمشروع الإنساني .

تلك هي رحلة الإنسان مع الدين ( المقدس ) منذ أن كان الدين ( طوطمياً ) يتصف بصفات اللامعقول أو الصبائية ، إلي أن وصل الدين إلي مرحلة المنطقية أو العقلانية فأدرك الإنسان الدين العلوي ( الدين السماوي ) أي دين أو علم الله علي الأرض ( ٩ ) الدين الذي وجه الإنسان نحو العلم بحدود الله والإنسان وكون الوجود .. فقال تعالى " علم الإنسان ما لم يعلم " صدق الله العظيم ( الآية رقم ٥ سورة العلق ) فأصبح الإنسان وصار مرهوناً - في حرية فردية تامة - بتنفيذ بنود عقد الاتفاق بين ما هو سماوي ( مقدس ) وبين ما هو أرضي ( دنيوي ) ذلك هو " مشروع " الإنسان الذي يسعى إلي تحقيق بنوده والسعي والعمل علي نجاحه مستعيناً في ذلك ( بالعقل ) خير هادياً في صبحه والمساء .. كما يقول أبو العلاء المعري في حق العقل :

ناطق في الملة الخرساء

يرتجي الناس أن يقوم إمام

هادياً في صبحه والمساء

كذب الظن لا إمام سوى العقل

تلك هي رسالة الإنسان ومشروعه في الحياة ، تتركز علي تنمية مواهب وقدرات العقل من مطلق الحفاظ علي أمانة الله في الأرض والحفاظ علي استمرارية أداؤها ، حتى يؤدي العقل الجمعي ( المجتمعي ) رسالته في توائم بين الحق والواجب ، بين الجبر والاختيار السلوكي .

### مركزية العقل وقيادة الثورات الكبرى

حين نشر جوناثان إسرائيل Jonathan Israel أستاذ فلسفة التاريخ بجامعة برنستون كتابه في عام ٢٠٠١ م بعنوان " التنوير الراديكالي - بحث في الفلسفة وصناعة الحدائث " ( ١٠ ) ركز علي دور العقل في التعامل مع القضايا الكبرى وصياغتها ،



والمفاهيم الرئيسية ، وأشار إلي أن الشخص الراديكالي **Radical** هو من يستخدم العقل في الحياة والبحث في عمق وجذور المسائل والقضايا ، من أجل فهمها فهماً عميقاً ، وتحريك ما هو ساكن وراكد بشأنها .

تلك هي حركة العقل راديكالياً وجدلياً حين ضاق زرعاً بمن يوصفون بأنهم ملاك الحقيقة المطلقة للحكم الديني والدنيوي في أوروبا في العصور الوسطى من رجال الدين والكهنة والإقطاع والطبقة البرجوازية . فجاء العقل الغربي بالنهضة ، أو قل عصر النهضة ، أو قل عصر التنوير ( ١٦٥٠ - ١٧٥٠ م ) فهي الفترة التي دعا فيها الفلاسفة إلي التحرر من تراث الماضي تمهيداً لتأسيس التنوير الراديكالي .

فجاءت أفكار التنوير الراديكالي علي يد كل من جون لوك **John Loke** وإسحاق نيوتن **Eshaq Neutin** انجلترا واسبينوزا **Espinoza** في هولندا ، وفي فرنسا كانت آراء كل من مونتسكيو **Montisque** وجان جاك روسو **Rosso** وديكارت **Decarte** وغيرهم .. وفي ألمانيا الفيلسوف المعروف إيمانويل كانط **Kant** .. وأيما كان الأمر فإن هؤلاء الفلاسفة العقلانيون المبدعون تدارسوا حول مفهوم ( الله ) وحرية المطلقة في أن يخلق ما يشاء ، واقتربهم من مفهوم المجتمع باعتباره نظاماً اجتماعياً يستند في أصله إلي حالة تضامنية يطلق عليها عقد اجتماعي **Social Contract** معتمد في بنوده من جماعة اجتماعية بشرية لتأسيس نظام أو نظم وقواعد تكون من " صنع العقل " وليس من صنع سلطة إلهية . ومن ثم تكون نظرية الحق الإلهي للحاكم هي نظرية زائفة .. فهي اختراع لاهوتي يصور الحاكم وكأنه يحيا في عالم مجاوز لحدود الطبيعة .

وهكذا قاد العقل الثورات الكبرى في عالم الحداثة الراديكالية الغربية في كل من بريطانيا وفرنسا وأمريكا ، حيث تم إزاحة كل ماله صلة بمصطلح " ما فوق الطبيعة **Super Organic** " من المسرح السياسي والحياة الاجتماعية ، وتقديم النظم والأسس الأخلاقية المتفق عليها ضمن بنود العقد الاجتماعي ، حتى أنه قيل بأن الكنيسة ذاتها قد خرجت من صلب النظام الاجتماعي .



## مركزية العقل المصري " من حالة الالتباس إلي حالة التكامل

الشخصية السوية المتكاملة هي نتاج لعقل مركزي مبدع ، فالإبداع التربوي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي أو الثقافي وفي شموله للإبداع الحضاري لا يتم إلا بالعودة إلي البديهيات ، ومن بديهيات أداء ووظائف العقل أنه " حُر " أو هكذا ينبغي أن يكون ، فالعقل التابع لا يبدع ، يقلد غيره ، وعليه فهو يستهلك دون أن ينتج ، فإذا كانت أفكارنا منقولة عن الآخرين فنحن لسنا في حالة إنتاج " معرفي " بل نحن في حالة مزرية من الاستهلاك المعرفي في مجالات العلوم والفلسفة والسياسة والقانون ، بل وفي رؤيتنا لفلسفة التاريخ كما يراه الآخرون وليس نحن ، فماذا نتظر ؟ وإلي متى ؟

وقد مرت مركزية العقل المصري عبر حقب ومراحل زمنية كبرى في تاريخها - نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر - مراحل ثلاث .. ما بين الحقب الطويلة العميقة زمنياً ، وما بين الفترة القصيرة ذات العائد والمردود السريع كما ( الطفرة الزمنية ) باستعارتنا لها من محتويات السجل الوراثي البيولوجي ... وتلك المراحل الثلاث هي :

الأولى : مرحلة مركزية العقل المصري في مصر القديمة حيث كان العقل ( حُرّاً ) في إبداعاته وإنتاجه الحضاري .. فجاءت فلسفة مصر القديمة متأملة .. راسخة .. بانية بعقول رجالها ونسائها وأبنائها لأول وأعظم حضارة إنسانية في التاريخ تجسد إنتاج العقل الجمعي فيها بإبداع في الفلسفة والدين الوضعي والطب والهندسة والقانون والعدل ، فصارت وما تزال محل إعجاب العالم ، فالمصريون هم أصحاب الاستحقاق الأول ( ١١ ) في الرؤى نحو المقدس ، وهم أول من فكروا ( دينياً ) في ( الإله الأوحد ) الذي يندرج تحته كل ما هو فرعي من الحديث في .. الشرك والإيمان ، والحق والصدق ، والثواب والعقاب ، وفي الآلهة الثانوية المساعدة للإله الأعظم ، وفي القوى ذات الخوارق العليا ... وإن كان الغرض من وراء ذلك رغم تعدد روافده ومسالكه وانتماءات عقائده وتفكيره هو التوصل إلي " آلهة " التحكم في المصير المجهول للإنسان ، حتى يتمكن الإنسان من حل رموز ( لغز الموت ) ويكشف عن عمل الآلهة في التقارب الحميم بينها وبين البشر .

تلك مركزية عقل جاهد في صبر المحب للحياة والموت ، وبحرية لا حدود لها في أن يشيد له وطناً أرضياً يسعى من خلال تدبره في الوصول إلي الكون وآفاقه الفسيحة، وإلي التقرب إلي خالقه وخالق الكون ، فكان ولا بد وأن يرتاد في آفاق معرفية فسيحة في الذات والنفس والوجود والعدم ، فتجسدت حضارته عبر التاريخ في علوم الدين والعقيدة والفلك والتشريع والقانون والطب والهندسة والرعاية الاجتماعية ، والزرع والنماء ، والحصاد والوفاء للنيل العظيم ... الخ . فترك لنا العقل المصري القديم ورائه كماً هائلاً من الرصيد المعرفي تمثل في الوثائق المادية بشتى أنواعها من نحت وتصوير ورسوم جدارية ومجسمات وتمائيل وأوراق بردية تحمل بين صفحاتها ثقافة متنوعة الجوانب والروافد المادية والمعنوية ، وما زال الباحثون ينهلون منها لعناصر التكامل المعرفي لمركزية العقل المبدع في مصر الفرعونية فصارت قبلة حضارية ما زال حجاج المعارف الثقافية يفتدون إليها من كل بقاع العالم ، فهي حضارة لن تموت ، وفكر له من البريق ما يجعله مزدهراً عبر العصور . ذلك هو التكامل المعرفي في شخصية قومية مكتملة البنيان في أسسها الفكرية بعقل جمعي متوائم .

الثانية : وهي مرحلة السيطرة على مركزية العقل المصري من جانب كافة القوى الخارجية بدءاً بميول الإغريق وحبهم في السيطرة على العقل المصري ، ومن بعدهم الفرس ، والرومان إلي أن وصلنا إلي القوى الاستعمارية الحديثة من فرنسية وبريطانية ، وحتى اليوم في ن يرتدي ثوب الزيف والضلال تحت مداخل الحرية والديموقراطية وهم الأمريكان الذين لم ولن يحجز لهم التاريخ الإنساني مكاناً حضارياً بالمفهوم العميق في مركزية العقل حتى الآن ، نظراً لحدائثة قيام دولتهم من جهة ، ونظراً لمراهقتهم في الممارسة السياسية المدعومة من وجهة نظرهم بالقوة العسكرية من جهة أخرى . تلك القوى الاستعمارية التي تجاهلت وما زالت تتجاهل قيمة المنتج للعقل الجمعي المصري ، حيث دأب الاستعمار الأوروبي على اعتبار مفكري اليونان القدامى هم وحدهم أول من بدأوا الفلسفة في العالم متجاهلين فلسفة مصر القديمة ، بل وصل الأمر بالأوروبيين في صراعهم بين " مركزية العقل الأوروبي " و " مركزية العقل المصري القديم " إلي القول بأنه إذا كانت الديانة المصرية القديمة هي الباب الملكي لسطوة العقل المصري وإبداعاته

، فإن ذلك لا يعدو أن يكون مجرد حشو أو خليط من كلام وأحاديث يفتقر إلى مضمون محدد ، أو قل أنه كم هائل من الخرافات !!؟ . وينسى الأوروبيون عراقية مصر الراسخة ، التي جعلتها بمثابة المثال الحضاري الثابت المستقر والمرجع الأصيل الذي لا تتوقف عنده ألباز التفسير مهما طال بها الزمن فإنها تزداد بريقاً ولمعاناً ورسوخاً ، والأهم أنها تبع للعطاء المتدفق لا للمصريين وحدهم ، بل ولشعوب الكون الأرضي بأسره .

ومن الواضح مما سبق أن القوى الاستعمارية أرادت أن تضع " العقل المصري " ومركزيته تحت سيطرتها ، مستعينة في تنفيذ ذلك بحكومات داخلية هزيلة ، خائفة ، تابعة لها ، متخذة من التربية والتعليم ( مجالاً لبناء العقل وتشكيله !! ) منذ الطفولة المبكرة للانقضاض على العقل والسيطرة عليه بقانون ( الطاعة العمياء ) للسلطة المطلقة الأرضية والمزعومة سماوياً من قبل البشر !! ولم لا إذا كان سجن مركزية العقل وجعله بعيداً عن نسائم الحرية مفيداً وناشطاً في زيادة " هبله " و " عبطه " و " بلاهته " !! فلا بد و أن يظل في حالته التي لا بد وأن تحافظ عليها القوى الخارجية مدعومة بمساندة قوى داخلية ليظل العقل رهينة في قضية محكوم عليه فيها بالحبس أو الاعتقال دون استئناف منه أو نقض للحالة التي تمت قلوبته عليها .

ولم لا تظل مركزية العقل المصري بدون حرية ، فالحرية - في نظر الغربيين - هي من نصيب العقل الأوروبي الغربي ومركزيته دون سواه ، والتي صار متحرراً - بفضل الثورات الشعبية الكبرى - منذ التمرد والخروج عن سطوة السلطتين الأرضية والسماوية ، وأصبحت مركزية العقل الأوروبي قادرة على الإبداع بعد التحرر من سجن الدولة الدينية .

أما مركزية العقل المصري وعلى مدى عقود طويلة بل وعلى مدى مئات السنين ورغم ثوراته المتكررة لم ينجح في التحرر من هذا السجن ، فصار مستهلكاً - لا منتجاً - للنظريات العلمية والفنية وأدواتها ، تلك النظريات التي هي في الأساس نتاج عقل غربي ! وهو ما خلق أمام مركزية العقل المصري الحديث حالة فريدة من نوعها في الالتباس والحيرة ، جعلته يميل إلى النقل والسرد بدلاً من الاجتهاد والإبداع والابتكار ، وقد صار ذلك على كافة المستويات الاجتماعية والثقافية ( ١٢ ) وليس أدل على ذلك



من حالة التناقض التي عاشها المصريون أبان فترة الحكم الاستعماري الأوروبي ( الفرنسي والإنجليزي ) فنحن كمصريين قد لا يحب بعضنا الأوروبيين ، ولكن في نفس الوقت نحن نحب أسلوبهم في الحياة اليومية ، نحن نكره عنفهم مع الغير ، وفي نفس الوقت نجدهم أرق أجناس الأرض في تعاملهم برفق \_ حتى \_ مع الحيوان !! نحن لا نحب ابتذال نسائهم ، ولكننا نتودد إليهن إذا ما واتت الفرصة تلو الفرصة إلينا !! نحن نكره مستحدثات علمانيتهم ، ونكون أسرع الناس في الرغبة في اقتنائها واستخدامها !!

تلك الحالة الملتبسة في مركزية العقل المصري - بل والعربي - ومقومات بنائه الحديث جعلتنا نقف في حيرة أمام تناقضات لا حصر لها - وإن كانت فردية - في الأعم لكن لها من التأثير والوضوح السلوكي ما يجعلنا نشير إلي بعض من أمثلتها فيما يلي :

• هذا زعيم سياسي وحاكم يمشي مختالاً ، ولكنه في ذات الوقت لا يملك قراراً حراً مصيرياً بمفرده ... كما كان الحال - وقيل - بأن الحل في قرار الحرب والسلام وقضية فلسطين في الشرق الأوسط تملكه الولايات المتحدة الأمريكية بنسبة ٩٩ % !! هكذا قيل وتمّ الترويج له !! مثل هذا القول ما وقعته على القريين ممن يعملون حول الحاكم ومعه !! وما وقعته على المواطن المصري أو العربي البسيط !! ؟

• أستاذ جامعي من المفترض بل ومن الواجب بأن يكون حراً موضوعياً لا لسبب إلا لأنه " قاضي " و " عادل " في الدرجة الأولى لمهام عمله ، نراه يؤمن بأفكار الاشتراكية والماركسية اللينينية ، ويشخص مرضاه في ذات الوقت بأدوات وسماعة طبية صناعة أمريكية !! ومتزوج من أربع نساء تبعاً لشرع الله ويعمل مخلصاتي مصالح لمن يرغب ، حتى وإن عمل سمساراً للمناصب القيادية في الجهاز الإداري للدولة وغيره ، بحثاً عن أهل الثقة لا أهل الخبرة !!

• رئيس حزب سياسي شيوعي الاتجاه ، رأسمالي الهوى ، يدعم مبادئ الاقتصاد الحر لينفي ديكتاتورية الدولة ، وأنها لا تنتهك قواعد الديمقراطية .

هذا العرض السابق يؤكد على أن الإنسان المستقل والعقل الحر ( غير التابع لمذهب أو نظرية أو خاضع لقوة أقوى ) لا يقع في هذه الإذدواجية والتناقض . وإنما ما نشاهده اليوم هو استمرار حالة السيطرة الجبرية على مركزية العقل سواء على مصر أو غيرها لكثير من بلدان العالم (١٠٣) حتى وإن كانت السيطرة غير عسكرية إلا أنها ازدادت إحكاماً بفضل التحكم في وسائل النظم الرأسمالية و الاقتصاد الحر مدعومة بخدعة الحرية ونشر الديمقراطية والانتخابات النزيهة !! لشغل مركزية العقل لشعوب العالم بهيافات محسوبة ومدروسة في قاموس التطبيق السياسي - والتي لا تعدو كونها مجال من مجالات إدارة الدولة السياسية \_ في مقابل الإهمال المتعمد لمسالك ومشروعات تنمية الاقتصاد بروافده المختلفة ، والنهوض بالوعي الاجتماعي والثقافي والحرص على استقلالته والحفاظ على هويته الذاتية ، فضلاً عن العناية بالعلم والعلماء وكافة الأنشطة التي من شأنها أن تزيد من معدلات التنمية الشاملة ، ولكن في حقيقة الأمر أن هذا لم يحدث .. ويبدو أنه لن يحدث !! طالما أن هناك قوى خارجية - وبعاونة قوى داخلية - لا ترغب في تحرير عقولها من صنوف الاستبداد والاحتكار والسيطرة والتخلف ، طالما أن بقاء تلك الأنظمة في كراسي الحكم السياسي هو المقابل المدفوع نظير فاتورة الأداء الإمعي !! . وأظن أن العبارة الشهيرة إعلامياً وأدركتها كل شعوب الأرض وأدركت مغزاها حين صدرت من ( الباب العالي !! ) في واشنطن في فبراير ٢٠١١ م موجهة إلي رئيس مصر ( حسني مبارك ) ارحل Now تعني ( الآن ) وليس غداً ؟!! .. فكم كان هذا النظام هزياً سياسياً ، كما كان هزياً في كل شيء !! إلا أنه من نعم الله على هذا الشعب الطيب " الذي هو في رباط مع الله إلي يوم القيامة " لم يقع ذات يوم فريسة لأية قوى استعمارية مهما كانت عبر العصور ... فقوته وقوة إرادته دائماً هي في كمن أقاله وأفعاله ولم يكن هذا الشعب في يوم من الأيام مسيراً لقائد مستبد أو ظالم جائر ، أو جاحد لشعبه وإنما لديه الصبر في إدراك حالة الواقع ثم التعامل معها في التوقيت الذي يناسب الحدث فمركزية العقل للإنسان المصري هي خير شاهد على تعامله مع الثورات الشعبية الكبرى التي مرت عليه .



الثالثة : تلك التي تجسدت أحداثها في ثورة الخامس والعشرين من يناير لعام ٢٠١١م وأظهرت للناس والمحللين أحداثاً وصوراً ومشاهد يعجز العقل عن رصدها في فترة لم تتجاوز الثلاثة أعوام فظهرت مفرداتها علي سبيل المثال - لا الحصر - في ما يلي :

توريث الحكم ، النظام البائد ، مبارك وأعوانه ، الداخلية بلطجية ، الفساد الديكتاتورية والقمع ، كلنا خالد سعيد ، وائل غنيم ، ( كفاية ) ، شباب ٦ أبريل ٩ مارس ، النشاط السياسي ، الثوار ، ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م ، جمعة الغضب ٢٨ يناير ٢٠١١م ، ميدان التحرير رمز الاحتشاد والثورة ، الاعتصام حتى النصر التحي ، إعلان مبادئ الثورة ( عيش - حرية - عدالة اجتماعية ) الإخوان المسلمون وقصة كفاح فاشل!! ثورات الربيع العربي ، ظهور القوى السياسية الجمعية الوطنية للتغيير ( البرادعي إنفو ) حزب الحرية والعدالة ، حزب النور السلفي المجلس العسكري ، الليبراليون ، الإسلاميون ، الجهاديون الثابون ، التعديلات الدستورية ، المظاهرات ، المليونيات العنف السياسي ، العنف المجتمعي ، الساحة السياسية ، تشكيل القوى ، الانتخابات البرلمانية ، اختفاء لوجو الإسلام هو الحل !!

الانتخابات الرئاسية ، المحكمة الدستورية ، التوافق السياسي ، المرشد العام للإخوان مكتب الإرشاد ، الأمريكان ، رموز النظام السابق برئيسه في السجن ، الترشح للرئاسة التصريحات ، الصدق ، الكذب !! ، يسقط .. يسقط حكم العسكر !! ؟ التظاهر أمام وزارة الداخلية ، التظاهر أمام مقر مجلس الوزراء ، التظاهر أمام وزارة الدفاع ، حرق المجمع العلمي بالقاهرة ، شهداء الثورة ، حق الشهداء ، النائب العام ، دستور ٢٠١٢م ، محمد مرسي رئيساً لمصر ، برنامج الإصلاح في ١٠٠ يوم ( حل مشكلتي القمامة وأنوبة البوتاجاز !!! ) ، المطالب الفئوية ، عودة التظاهر من جديد إنفراد الإخوان بالحكم !! ، أخونة مؤسسات الدولة ، الثورة اتسرقت !! ؟ ، الإعلان الدستوري المكمل ( المكبل ! ) الديكتاتور الإسلامي ، الحالة الأمنية الملتبسة !! التخابر ؟؟ ، الدعوات لانتخابات رئاسية مبكرة ، ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣م ، مرسي قيد الإقامة الجبرية ، القوى السياسية ( الأحزاب السياسية ) والوطنية ( الأزهر والكنيسة والحركات



والقوى الثورية الشبابية ) والشرطة والجيش وخارطة الطريق بين مؤيد يقبل ، وبين معارض يستخدم العنف سلاحاً !! ، العقل الجمعي يستيقظ ، إقرار دستور ٢٠١٣ م ، التوافق الشعبي ، الاحتفال بالذكرى الثالثة لثورة ٢٥ يناير في مشهد غير مسبوق ؟ .... الخ .

كل هذا وغيره جعل الشخصية المصرية الوسطية - لا صاحبة التطرف السياسي ولا صاحبة التطرف الديني - تنظر إلي تحليل الواقع المحيط كأحد وأهم عناصر تكوينها برؤية ممزوجة بين القبول والرفض بين التأييد وعدم التأييد لما يحدث بين الطمأنينة لما يحدث والاندهاش !! فتجسدت أمام العقل الجمعي بفعل نتاج المرحلة بعض القضايا الهامة في صورة تساؤلات - لا نتائج - نذكر منها :

- هل كان النظام السياسي السابق لثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ م فاسداً حقاً ؟
- هل تأخرت انطلاقة ساعة التنمية الشاملة في مصر لما قبل ثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١ م حقاً ؟
- هل كانت مؤسسات الدولة - بما فيها المؤسسات الراعية للأمن - لا تقوم بدورها كما ينبغي حقاً ؟
- ما الجديد الذي قدمته القوى السياسية القديمة والناشئة بعد الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١ م ؟
- ما هو حجم الدور الحقيقي للقوى الشبابية في مصر ؟
- ماذا قدم الإخوان المسلمون لمصر ؟
- هل كان أداء المجلس العسكري عقب الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١ م غير مرضي حقاً ؟
- هل خروج الجماهير - في ثورة شعبية لا مثل لها - في ٣٠ يونيو يوسم بالثورة ضد النظام الحاكم حقاً ؟
- ماذا ينتظر المصريون من خارطة الطريق للاستحقاقات السياسية المرتقبة ؟

تلك قضايا عامة - في صورة تساؤلات - تعبر عما يعن به العقل الجمعي المصري تجاه مستقبل حياته ، ويعدها من مستلزمات بناء شخصيته وشخصية أبنائه من بعده ، يستشعر فيها ومن خلالها ، أنه يتقدم نحو التوازن مع النفس ، والتحرر من توجهات سلطوية داخلية وخارجية ، نزوع نحو المستقبل يملؤه الأمل بمستقبل أكثر إشراقاً ، زاد من وعي الإنسان المصري - رغم قصر المدة التي تحركت بها الأحداث - بالإلمام بقوى الشر والدمار ومن لديه وطنية حرة تجاه مصر ، ومن ليس لديه الوطنية أصلاً !! ففاقد الشيء لا يعطيه .

وأدرك الإنسان المصري المعاصر بعقله الجمعي ، أن لمصر تاريخاً وحضارة لابد وأن يستمر في تسطير حروفها عبر العصور بالعمل والإنتاج لا بالأقوال والمنتديات ! حتى تعود مصر كما كانت إلي مكانها الطبيعي ( أم الدنيا ) وكما كانت حقاً من قبل فالحضارة والمجتمع شيان متلازمان ، وهما ظاهرتان مختلفتان يتصلان ببعضهما عن طريق الأشخاص الذين يكونون المجتمع ويفصح سلوكهم وأدائهم عن نوع حضارتهم ( ١٤ ) فانزواء العقل المصري ونزوحه نحو الاستخدام لا الإنتاج جعله يتغيب عن تسجيل تاريخه الحضاري لبعض الوقت فكتابة تاريخ الشعوب والدول والمجتمعات لا يتم في الغرف أو الصالات المغلقة المتوفرة بها الورق وأدوات الكتابة ، وإنما كتابة التاريخ الحضاري للمجتمع يدون في سجله الزمني عبر العصور بمنتج راقي الجودة في شتى ميادين الحياة ، فهل ينتظر الإنسان المصري - من نفسه - حقاً أن مستقبله وبنائه لا بد وأن يكون رهناً بعمل يده لا بيد غيره ؟ فالإنسان المصري الذي يشاهد السفن العملاقة التي تمر بقناة السويس والتي حُفرت بأيدي أجداده نجده اليوم ينظر في بلاهة المستغرب !! من كبر حجم السفن العملاقة العابرة ، وينسى أن أجداده العظام الشوامخ هم من أعدوا بنية القناة في بنيتها الأساسية لعبور تلك السفن ، حفرها حين كانت مركزية العقل المصري تتمتع بمحورها المستقل ، حين أرسل عظماء الفراعنة في عهد الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة ( ٢٦١٥ - ٢٥٠٠ ق.م ) أسطولاً بحرياً ضخماً مكوناً من أربعين سفينة عملاقة ( ١٥ ) لجلب أخشاب الأرز من لبنان للوفاء احتياجات الصناعات المصرية كما أثبت الفحص الميكروسكوبي لعينات من أنواع الأخشاب التي صنع منها مركب خوفو

وتم تحليلها في معمل أبحاث منتجات الغابات في إنجلترا بمعرفة الدكتور E.w.g.Fillips أن إحدى هذه العينات تدل على أنها من خشب أشجار معينة اسمها العلمي *Mangifera Indica* وهي فصيلة من الأشجار لا تنبت إلا في شبه القارة الهندية ، الأمر الذي يثير الدهشة والتساؤل عما إذا كانت هناك علاقات تجارية بين مصر والهند القديمة في ذلك الزمن المبكر من التاريخ ؟

وما يعلمه الدارسون لتاريخ مصر القديمة ( الفرعونية ) والذي تبلورت المعرفة حوله حين بدأ مع الفترة من ٣٢٠٠ - ٣٣٢ ق . م حين فتح الاسكندر الأكبر مصر ، وبدأ بذلك حقبة أخرى من حقب التاريخ المصري ، فمصر الفرعونية - حين كانت مركزية عقلها نابعة من ذاتها الوطنية - استمرت طوال تلك الآلاف الثلاث من السنين في صلاتها بمعظم أطراف العالم القديم ، ورحل المصريون القدماء بأساطيلهم البحرية إلى أقاصي الأرض لتحقيق أغراضهم الحربية أو السياسية أو التجارية أو الدينية أو الثقافية ... وغيرها .

تلك هي شخصية المصري ، صاحب مركزية العقل الجمعي المصري ، صاحب الدور الريادي الحضاري في مجال " الرحلة والارتحال " يقوم بدوره في بناء وإرساء أسس أعظم حضارة إنسانية في التاريخ تجلت مظاهرها في إنشاء الدولة والحكومة وظهور كيان المجتمع الزراعي بكل خصائصه ، ثم الابتداء في الصناعة والابتكار في الفن ، إلى أن اكتمل بنائها في عصر بناء الأهرام ، فزاد الإشعاع الحضاري وضوحاً واتسع في مجالات علوم الحساب والهندسة والكيمياء والطب والفلك وفنون العمارة والتصوير والتلوين والنحت مع أقسى واصلب أنواع الحجارة والصخور .

هذا العقل العبقري الذي تميز به المصريون القدماء أدى بإبداعاته الفكرية والعلمية والحضارية إلى حدوث ظاهرة عالمية - آنذاك - تسمى " الإيجيبتومانيا " وهو مصطلح علمي معناه الجنون بمصر (١٦) أو الوله الشديد بمعرفة المعلومات عن تاريخ مصر والآثار المصرية وهكذا أصبحت مصر منطقة جذب سياحي للقادرين على الرحلة و الارتحال من سكان الشعوب المتمدينة في العالم القديم . وإلى جانب مركزية العقل



المصري وإبداعاته الذي تميز به الإنسان المصري عبر العصور ، كانت هناك مقومات أساسية ساعدته على بناء حضارته منها :

• الإنسان .... ثم ... الإنسان .

• البيئة بكل ما فيها من مقومات الإبداع .

• التراكم الثقافي في لا في الزراعة فقط وإنما في نشأة المدينة وحالة الاستقرار السكاني فوق أرض الوادي الذي يغمره الفيضان في كل عام فضلاً عن الإبداعات في الفنون والبناء والعمارة والفلك والقيم الدينية والأخلاقية ... الخ .

ومرت عصور وعصور على مركزية العقل المصري يكون لحرته فيها إضافات إلي مقومات بناء الحضارة شأن كبير في تقدمه وعظمته ، ولم يخجو نتاج هذا العقل إلا بعد أن فقد مركزيته في التفكير والإبداع والابتكار (١٧) فتدرجياً سار تابعاً لا مبدعاً منذ دخول الإغريق والرومان والفرس والعرب والأوروبيون وهي تلك الحقبة الزمنية التي امتدت منذ عام ٣٣٢ ق . م إلي عام ١٩٥٢ م أي ما يقرب من ٢٢٨٤ عام ومصر ومركزية عقلها الجمعي خارج نطاق حرته بخارج نطاق الخدمة في صناعة الفكر والحضارة . فهل يتقدم الإنسان من خلال ( خارطة المستقبل ) لعام ٢٠١٣ م نحو استحقاقات مستقبلية أكثر تحراً ، وأكثر إبداعاً ، وأكثر إنتاجاً وأكثر مشاركة في بناء أسس ثقافة العولمة ، هذا هو سؤال المستقبل ؟

### الإخوان في المشهد .. والفشل بامتياز

يقول الكاتب البريطاني المخضرم مارك كيرتس Mark Curtis في كتابه " العلاقات السرية : التحالف البريطاني مع الإسلام الراديكالي : Secret Affairs Britain Collusion With Radical Islam" أن بريطانيا كقوة استعمارية في الشرق كانت تواجه قوتين أساسيتين هما : قوة الحركة القومية و قوة الحركة الدينية متمثلة في الإخوان المسلمين (١٨) .

ومنذ عام ١٩٤١ م بدأت بريطانيا الاتصال الفعلي بكوادر الإخوان المسلمين طمعاً أن بريطانيا في تقريب الإخوان إليهم على حساب وضد تحالفات الحركات القومية المصرية المعادية للاستعمار . وبعد الحرب العالمية الثانية كانت بريطانيا تتعاون مع الإخوان على الرغم من إدراكها لخطورتهم .

ومع قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م في مصر أدركت بريطانيا أن المد القومي سيزداد ومن ثم سوف تزداد الكراهية للوجود الإنجليزي في مصر وفي بعض بلدان الشرق، وأدرك الإخوان الذين كانوا يعلنون العنف ضد الإنجليز علناً ، ويلتقون بهم سراً ، أنه لا فائدة من اتصالهم بالإنجليز ، وهي تلك الاتصالات التي بدأت مع مرشد الجماعة - آنذاك - حسن الهضيبي ومن ثم سارع الإخوان بتأييد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م وقادتها من الضباط الأحرار معتمدين في ذلك على وسيط سابق هو أنور السادات .

وعندما أدرك الإخوان أنه لا مكان لهم في المفاوضات الدائرة بين بريطانيا و عبد الناصر وأن اللقاءات السرية التي كانت تتم بين بريطانيا وبعض قادة الإخوان لم تثمر بأية نتائج ملموسة وفي خضم تلك اللقاءات ما بين السرية والعلنية ، وما أعلنت عنه السفارة البريطانية في القاهرة عن وجود قادة داخل الإخوان لديهم الاستعداد للتعاون مع بلادها ، بادر عبد الناصر في عام ١٩٥٤ م بحل جماعة الإخوان المسلمين ، ثم تعرض عبد الناصر على أثرها لمحاولة اغتيال له في حادث المنصة بالمنشية ، بالإسكندرية ، وكان المدان الأول آنذاك التنظيم السري للإخوان ، فتم القبض على المئات منهم وإعدام ستة منهم في ديسمبر ١٩٥٤ م وهروب العديد منهم للإقامة خارج مصر ، وهكذا انتكست الجماعة ، وانتكس نشاطها .

ومن الواضح في هذا السياق أن بريطانيا كانت تدرك مدى خطورة الإخوان إذا وصلوا إلى كرسي الحكم ، فكانت لا تمنع في استغلالهم لتحقيق أهدافها بالمنطقة ، لكنها لم تكن تدعم وصولهم للحكم . هذا في الوقت الذي بدأت فيه المملكة العربية السعودية في تشجيع ونشر الفكر الوهابي لمنع المد الناصري ، فكانت بريطانيا من الدول المساندة لذلك ، وشجعت بعض قادة الإخوان ليكونوا أعضاء ضمن تأسيس



جامعة العالم الإسلامي ، التي تديرها وتمولها المؤسسة الدينية السعودية ، وركزت نشاطها في نشر الدعوة وبناء المساجد ، بينما كانت بريطانيا تهدف من وراء ذلك استغلال التحالفات الدينية الإسلامية ضد ظهور أعداء محتملين ..

من الواضح أن جماعة الأخوان المسلمون ومنذ قيامها في عام ١٩٢٨ م علي يد مؤسسها حسن البنا تلميذ رشيد رضا ، تقوم بدور معطل لتطور الثقافة المصرية والعربية عن مشروعها العقلاني النقدي الذي أسس له وتبناه الأمام محمد عبده منذ بدايات منتصف القرن التاسع عشر وأمتد حتى الربع الأول من القرن العشرين ، حيث قدمت الجماعة التجسيد الحركي السياسي للتيار السلفي الأكثر تشدداً والأكثر نهجاً بالتحاليم التقليدية للإسلام ، ذلك المنهج القائم على النقل والسمع والطاعة ، فكانت الجماعة أول تجسيد سياسي للتيار الإسلامي في الثقافة العربية المعاصرة ، وسرعان ما خرج من تحت عباءته تحت ضغط الواقع وملابسات السياسة تيارات متشددة ، وروافد سلفية جهادية ، وبؤر تطرف حاولت جميعها بناء وعي تاريخي تقليدي مضاد لوعي العقل الجمعي للكتلة المصرية الحديثة ، ورغم قيام ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ م ووصول جماعة الإخوان المسلمين إلي كرسي الحكم ، إلا أن رصيدها من العمل السري تارة ، والمشتت تارة أخرى ، وعدم اكتسابها لخبرات عملية في مجال السياسة فقد فشلت في مهمتها السياسية لقيادة المجتمع المصري ، صاحب الإرث الحضاري العظيم لمركزية العقل في إدارة حركة التطور الفكري والسياسي عبر العصور .

### الشخصية المصرية : حالة إنفراد مُحير

تناول العرض في هذه الورقة البحثية مفهوم الشخصية من حيث هو الشخصية القومية أو الطابع القومي **National Character** المبنية على أسس مصرية متكاملة ن القواعد الاجتماعية والثقافية والسيكولوجية (١٩) لا من حيث مفهوم الشخصية **Personality** كمفهوم فردي يطغى عليه التصورات والتحليلات النفسية . فمفهوم الطرح العلمي والثقافي والمجتمعي لمفهوم الشخصية القومية لشعب من الشعوب يزدهر - عادة - في أوقات الأزمات المجتمعية والسياسية وغيرها ، لاسيما



عندما تكون تلك الأزمات ملامسة لهوية الشخصية في مبادئها وأسس تكوينها . هذا وقد بذل الأنثروبولوجيون الأوائل منذ أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين جهوداً مضنية في تناول الشخصية القومية ، بل وازداد هذا التوجه العلمي بدراسات الشخصية والطابع القومي عندما أهتم الأمريكيون بدراسة أعدائهم أثناء الحرب العالمية الثانية - لاسيما الشخصية اليابانية - بل والأكثر من ذلك ظهور فرع متخصص في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية عُرف بدراسة " الشخصية والثقافة والطابع القومي " من الرواد المؤسسين له على سبيل المثال **Abram Kardiner** والصيغ الثقافية ، كلارك ويسلر **Clark Wesler** ودوائر الثقافة ، وفرانز بواس **Franz Boas** ونشأة وانتشار الثقافة وروث بينديكت **Ruth Benedict** والتنميط الثقافي ، وفرانسيس هسو **Francis Hsu** وفيليب ماير **Philip Mayer** والتكامل الاجتماعي والثقافي من وجهة نظر الأنثروبولوجيا السيكولوجية ، وفيليب بوك **Philip Book** والفرويدية الحديثة وتأثيراتها في بناء الشخصية القومية .

ومن نافلة القول أن بعض نتائج تلك البحوث والدراسات قد جاءت بجوانب إيجابية في معرفة ثقافات الشعوب ، وما يميز طابعها القومي الخاص ، حتى يمكن التعامل معها ، وهي نزعة ربما لا تخلو من النرجسية الأمريكية بعض الشيء ، حين نصبت من نفسها سيد العالم حامي حمى الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان ، في الوقت الذي تنظر فيه إلى ثقافات وحضارات الشعوب الأخرى بنظرة الاستعلاء ودونية الآخر ، وقد ظهر ذلك جلياً في السنوات القليلة الماضية عندما نشر الكاتب الأمريكي فوكوياما **Fukuyama** كتابه عن نهاية التاريخ (٢٠) وأشار فيه إلى أن التاريخ الحضاري ربما قد يتوقف عند حدود التطور الأمريكي ولا جديد - من وجهة نظره - لما يمكن إضافته إلى التاريخ البشري فيما بعد !! ؟

والشخصية المصرية باعتبارها شخصية ( مُحيره ) كان محل اهتمام لدراساتها والبحث في تكوين أسسها الحضارية من قبل المستشرقين أو الهواة أو الرحالة الأجانب ، فكتبوا منذ منتصف القرن التاسع عشر عن عادات المصريين ومعتقداتهم ، وركزوا عن أوصاف المصريين وتدينهم وتمسكهم بتراثهم القديم ( لحد البلادة والخمول والاستسلام

للأفكار المسيطرة ، رغم تحليهم بالتحمل والصبر واحترام كبار السن وتقديس الأولياء واحترام الموتى وإيمانهم العميق بالقدرية وعدم القدرة على تحمل المسؤولية ، والاعتقاد في الخرافات .

ومن الكتابات الوصفية عن الشخصية المصرية ما طرحه إدوارد ولیم لين **Edward William Lane** في كتابه : المصريون المحدثون - عاداتهم وشمائلهم (٢١) وفيه عرض مسهب للعادات والتقاليد وأنماط السلوك للحياة اليومية للمصريين ، وإن كانت لا تخلو في طابعها السردية من وصف يغلب عليه الطابع الرومانسي في الكتابة . ثم توالى الجهود المصرية والبحث في نمط الشخصية المصرية وطابعها القومي ، مع نشأة الجامعات المصرية أواخر الثلاثينات من القرن العشرين وبدء نشاطها في البحث في مجالات العلوم الاجتماعية والثقافية والميكولوجية ، فقام المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة بدراسات هامة حول الطابع القومي للشخصية المصرية ، وهو ما أكده السيد عويس في كتابه عن ملامح المجتمع المصري المعاصر (٢٢) وأشار فيه إلى علاقة المصريين القوية بالعالم غير المنظور للموتى وما يرتبط به من حزن مفرط ، وغلط بين الدين الرسمي والدين الشعبي وبين عبادة الإله وتقديس الأولياء ، وهي تلك الشخصية - كم يقول السيد عويس - التي تتأرجح بين القدرية والتواكلية ، والازدواجية ، وسيطرة التفكير الخرافي . وأيما كان الأمر فإن شخصية الطابع القومي للمصريين قد ارتبطت وتمركزت حول حالة ذهنية يحكمها ويسيطر عليها ما يعرف " بمركزية العقل الجمعي " حين توصف الشخصية في عمومها .

وفي حال النظر إلى الشخصية المصرية في بعدها الإقليمي المحلي ، وفي تنوع مقومات بنائها ، فقد ارتبط بناء الإنسان بالبيئة المحيطة وبالظروف الحياتية والإنتاجية ، وبالسياق الاجتماعي والثقافي (٢٣) الذي عاشه ويعيشه الإنسان المصري ، مستلهماً بقاء وجوده ، واستمرار معاشه في سمتين رئيسيتين هما :

١. الصبر ، حيث كشفت الدراسات الميدانية الحديثة من خلال البحوث ودراسات الماجستير والدكتوراه ، بأن الصبر ليس سمة مطلقة بين المصريين ، فهم

يحملون في أذهانهم مفاهيم مختلفة ، فالصبر موصول بكثرة مع أسلوب الحياة اليومية لدى الفئات الأكثر اتصالاً بالبيئة الطبيعية كالبدو والفلاحين والصيادين فيأخذ لديهم مفهوماً دينياً للاحتماء به عند ملمات الفقر والمرض والعجز والمكروه بشتى أنواعه .

٢. التواكل لأ؟ التوكل نعم ، فكليهما مفهومان قيمى ، روج لانتشار الأول المستشرقون وهواة الرحلات الإثنوجرافية المهتمين بمعرفة شخصية المصري ، وإن كان الواقع غير ذلك فالمصري " متوكل " على الله ، لا متواكل فسمه التوكل سادت بين المصريين من منطلق أدائهم لأعمال غير مستقرة وغير دائمة ، فضلاً عن اعتماد البعض منهم على ما تجود به البيئة الطبيعية من ثمار للإنتاج المعيشي .

والى جانب السمات التي تتسم " بالموقفية " في الشخصية القومية المصرية مثل الصبر والتوكل ، وهي تلك التي ترتبط وتستحضر عند " المصري " بمواقف وأنشطة معينة ، وسلوكيات حياتية خاصة به . كما يتسم المصري ببعض السمات في شخصيته القومية وفقاً لارتباطها بعوامل ومقومات بنائها كتكوين المجتمع وتنوعه الثقافي وتميز بنائه الاجتماعي والثقافي حتى في حالة تعددية الثقافة بداخله . ومن تلك السمات ما يلي :

١. التحفظ والتحفز : وهي سمات تتفاعل بداخل المصري عندما يقبل على التعامل مع الدوائر التي هي أبعد من دائرة أو دوائر حياته الشخصية ، والمألوف تعامله معها عندئذ يستحضر بداخله علامات الشك والتوجس ، ويعيش موقفاً ثلاثي الأبعاد ( التوجس - الفرد - الموقف ) يتجلى ذلك في المعاملات الاقتصادية المتوسطة والكبيرة الحجم ، وفي الاختيار للزواج ، وفي تعامله مع الأجهزة الرسمية للدولة والتعامل مع السلطة الأعلى ، وإن كانت هي علاقة لا يحكمها " الاستسلام " بقدر ما يحكمها صفة وخاصية " التباعد " يضاهيها المثل الشعبي القائل " جنة بُعد ولا نار قرية !! " وفي قول آخر " البعد عنه غيمه ! " أو " لو قربت منه يحرقك ! " تلك علاقة سارت في خطوط متعرجة تارة ، ومتوازية تارة أخرى ، وأهم ما يميزها هو عدم التقارب لدرجة الاندماج ، حتى بعد أن عاش المصري ويعيش عدداً مت الثورات والحالات الثورية التي تميز بها سلوكه منذ فجر التاريخ وحتى الآن . وما زال المصري حتى في ظل تحفظه وتحفزه



يتعامل - بما يستدعيه " الموقف " بغض النظر عن استحضر أسبابه وإجراءاته محتمياً - في نهاية المطاف سواء تكلل عمله وسلوكه بالنجاح أو الفشل بالرؤية الدينية والمعتقد الديني .. ففي النهاية يؤكد المصري من منطلق عمق تدينه .. ربنا عاوز كده .

٢. الإدعاء المعرفي : هي سمة صاحبت وتصاحب الشخصية القومية المصرية منذ وضع محمد علي باشا الكبير مشروعه لنهضة مصر (٢٤) في مجالات التعليم وغيره وجاءت بعده مرحلة مصر الخديوية ، سايرت فيها الشخصية المصرية معطياتها بما تتضمنه من عوامل دافعة للتقدم تارة ، ودافعة للإحباط والشعور باليأس تارة أخرى وبعدها جاءت مرحلة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م فأصبح التعليم " كالماء والهواء ! " مشروعاً جماهيرياً . لا مشروعاً علمياً وبحثياً ، وهو ما انعكست نتائج تحصيله مع معطيات " الحداثة الغربية " في ذات الفترات الزمنية ، فصار المصري متلقياً لا مبدعاً حتى أن صفة الاستخدام للأشياء صارت عنده هي لب المعرفة الكامنة في بواطن الأشياء والمعطيات الفكرية والمادية ، فأصبح المصري يشعر بأنه إنسان يساير التقدم ولا يتخلف عنه !! ولم يجد من يفقه من غيبوته !! التي أقل ما توصف بأنه يعيش حالة من الحداثة " القشرية " الواهنة ، والتشوة المعرفي ، ملتبساً عليه الفهم المعرفي الحقيقي في ما هو علمي وعلماني ، وحديث وحداثة ، وديني ودنيوي فأصبح يعيش حالة من الانتقائية يرتدي فيها ثوب الطاووس أحياناً ، و ثوب القنفذ أحياناً أخرى .

٣. الفهولة والتناقض مع الذات : الفهلوي والفهلوة مفاهيم " مجردة " لا وجود لها في الواقع المعاش ، ولكن يمكن تلمس سماتها وخصائصها في صورة أنماط سلوكية وردود أفعال ، ومشاعر وأحاسيس يتصف بها الأفراد في بيئات اجتماعية معينة ، وينسب مختلفة قد تزيد وقد تنقص من فرد إلي آخر وفقاً للظروف والأوضاع المجتمعية والحراك الثقافي (٢٥) ويتحدد المفهوم واقعياً بداخل حزمة من القيم والممارسات السلوكية محكومة بعوامل الزمان والمكان وأوضاع البناء الاجتماعي التي ساعدت وأسهمت في تشكيل " الفهولة " ومن أبرز سماتها التكيف السريع مع المواقف والتصرف وفقاً لمقتضياتها بمرونة وذكاء (٢٦) فضلاً عن المسaire السطحية والمجاملة العابرة تغطية لموقف ما ، وتورية للمشاعر الحقيقية من خلال " النكتة " والمبالغة في توكيد الذات !!

وإزاحة المسؤولية عنها بأساليب اسقاطية وتبريرية فعدم نجاح الطالب يعود إلي فشل المدرس أو الأستاذ في توصيل المعلومات ؟

فالفهولي مطمئن نظرياً إلي عمله مع تقديم عمله الفردي وإشاره على العمل الجماعي والرغبة في الوصول إلي " الهدف " بأقصر الطرق وأسرعها . مع العلم بأن الشئ الأكثر حيرة ودهشة أن هذا " الفهولي المصري " يدرك تمام الإدراك أن بداخله تناقضاً مع الذات ما بين القول والعمل ، وما بين الظاهر من سلوكه ، وما يطن به وتلك قضية أخرى في ازدواجية الشخصية المدرك وجودها وغير المسلم بالاعتراف بها .

٤- سمة الخلاف على المتفق عليه : وهي حالة ناجمة عن تزايد التناسل والتكاثر الاجتماعي والثقافي ، مصحوبة بحالة من التكاثر العشوائي للسكان ، وتنوع معها وتعددت الرؤى للذات والآخر حتى في المحيط الإقليمي المحلي الضيق ( أبناء القرية ) و ( أبناء البادية ) و ( ناس بحري ) في مقابل ( ناس قبلي ) و ( البورسعيدية ) و ( الدمايطية ) .. الخ فمن الطبيعي أن تنعكس تلك النرجسية في تمجيد الذات على حساب المصلحة العامة وإن كانت في محل ومقام المتفق عليه .

ورغم نسبة هذه السمة لا عموميتها ، إلا أن ما خلفته ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م من أحداث وتداعيات ترتب عليها ظهور ما يعرف " بديكتاتورية الجماهير " أو " الديكتاتورية الجماهيرية " كرد فعل للتظاهر في الميادين والساحات والشوارع ، وصارت التظاهرات توسم " بالمليونيات ! " من أجل رسم وصياغة واقع اجتماعي وثقافي وسياسي جديد ، فصار اتجاه الرأي الجماهيري هو المحرك للعمليات البنائية للمجتمع الجديد في الوقت الذي انزوى فيه ، وافلت المقومات والنظم المحركة لعمليات المجتمع في ظل البناء الاجتماعي والثقافي التقليدي الذي توارث لسنوات طويلة في التشريع والبناء والمقاصد المجتمعية .

تلك مرحلة زمنية فارقة لم تنته توابعها في الصدام والأداء والممارسة فيها ، فتظل سمة الخلاف على المتفق عليه من سمات الشخصية القومية المصرية ما لم يتضح أمامها وتيقن من حالة استقرار " الغريبال " الذي ما زال في حالة اهتزاز مستمر .



٥ - مدعاة للجدل تعشق العفاف في المستور وتشتهي ما تحت الغطا : ومع

إيماننا

بعدم عمومية تلك السمة الشخصية أيضاً بين المصريين ، إلا أن التخوف من وجودها له ما يبرره في ازدواجية المعايير عند التعامل ، فنحن نكره نساء الغربين على ابتزالهن وإباحية تبرجهن وفي ذات الوقت نقدر فيهن قيم النظافة والترتيب والذوق الاجتماعي السلوكي وبشاشة الوجه وحلاوة اللسان ، والجدية والمثابرة وعدم الكسل وعدم الخمول وتلك سيدة شرقية ، قل أنها محجبة " بغطاء الرأس " لكنها تبالغ في تعرية ملابس أبتها التي لم تبلغ عامها السابع من العمر !! وآخر مؤمن متدين يحدثك ليل نهار عن الحلال والحرام ! لكنه يرفض إعطاء شقيقاته البنات ما استحق لهن من ميراث في ما ترك والدهم من ثروة موروثه شرعاً . فهو لا يدرك المستور من معاني التوجيه الإلهي في محكم آياته وإنما يتعامل مع المستور على أنه سلوك ناجز لمصالحه لا للمصلحة العامة وأداء الحقوق حتى وإن كان المستور على حساب أسس ومبادئ المعاملات ، مع يقينه بأن الدين المعاملة ! فتصبح المعادلة السلوكية في الواقع عكس ذلك " اللي تكسبه .. العب به هي" شخصية مدعاة للجدل حين تدرك أن ما تقوم به هو " عمل " جاد ونافع ومفيد تراها تؤدي عملها أمامك في مساحة مفتوحة ( USB ) من طاقة الاستيعاب اللا محدود فتصبح متواصلة في عطانها ، وفي ذات الوقت لا تعمل عندما لا يروق لها العمل فترى أن ما يبذل من جهد في عمل كهذا !!؟ يكون عائده الضياع من الوقت والعزيمة .

تلك الشخصية المصرية القومية هي من بنت الأهرامات وصاحبة حق امتياز قيام الدولة كنظام سياسي ، وشيدت المعابد ، وعلمت الدنيا فنون الزراعة والصناعة والحرب والقتال ، والعلم النافع ، وهي من حفرت قناة السويس ، وبنيت السد العالي ، وانتصرت في حرب ١٩٧٣ م ، وعبرت المانع المائي لقناة السويس ، وحطمت أسطورة إسرائيل في خط بارليف الحصين كأقوى مانع ترابي عبر التاريخ - كما كانت تعتبره إسرائيل هكذا - هي صاحبة الاستحقاق الأول في قيام ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ م عندما استشعرت



الاستبداد والطغيان ، ونبرة الاستعلاء في حاكمها ( مبارك ) وهي التي صححت مسارها في ٣٠ يونيو ٢٠١٣ م ، فعزلت رئيسها ، ماضية على طريق ثورتها .

٦ - المرح في أحلك الظروف : شخصية مليئة بروح السخرية والنقد والفكاهة والمرح في آن واحد ، لها طابع خاص في القدرة على السرد القصصي ، وأكثر الشخصيات القومية ميلاً " للكلام " عن الصمت !! لها فنونها في سرد القصص والحكايات والأمثال الشعبية ونظم الشعر ، والمواويل وقد يكون ذلك بسبب الدفاع عن الذات في مواجهة السلطة السلطوية ، أو الحاكم ، أو العزوف بطريقتها الخاصة عن عدم السير في تنفيذ بنود العقد الاجتماعي المبرم ، كل هذا يجعل الشخصية القومية تلجأ إلي ما يسمى " بثقافة الامتعاض " !! وبسببها تنتشر السلبية والتفوق والالتفاف حول الذات ، وهنا لا سبيل أمام الإنسان سوى التعبير عن تلك الحالة بروح من السخرية ، مقرونة بما يسبب لها قدراً من المرح والفكاهة حتى وإن كان في أداء " نكتة " عابرة تحلى بها وأجاد في أدائها أبناء الطبقة الاجتماعية الوسطى ، وهم صمام أمن الشخصية القومية المصرية عبر العصور داخل تفاعلات السلوك الإنساني في الحياة اليومية .

٧ - هي شخصية قومية : متفردة تاريخياً وحضارياً ، فالمصري متدين ، مبدع كلامياً متضخم الذات ، غير مهتم بالوقت ، متواكل أم متوكل إلا أنه في الغالب لا يخطط لحياته كريم ، سخي ، يميل إلي العزلة ، مداهم للغير ، متمرد ، يبالغ في الخزن ، يحتمي بالغيبيات ، غيور ، يجاري الآخرين على حساب نفسه ، قلق معاند ، فوضوي ، كسول فرعوني الجذور متسلط ، فاقد الثقة في الغير إلا إذا ثبت له عكس ذلك ، خرافي التفكير معقد ، حقوق بدرجة اقل ، متجمل لا يعترف بالكذب ، يميل علي الهروب من المسئولية حال لا يروق له تحملها ، لا مبالي ، رغاااي ، متناقض ، كارزمي ، يميل إلي التبرير مزدوج بين القول والفعل ، راكد العواطف الأسرية ، جامع الخيال ، سطحي التفكير ، عاشق لوطنه ، خفيف الدم ، حمال الأسيه ، متسامح ، مخلص ، صبور ، متواضع محب للآخرين ، سريع البديهة ، ذكي ، واعى لما يدور حوله ، محب للاستطلاع ، طيب المعشر ، ينجد الملهوف ، طموح ، متفاعل ، يرقص مع الراقص ! ، يغني مع المغني ! فانتزي ، رومانسي ، قاهر لأحزانه ، تهون عليه روحه فداء لوطنه ،

المصري مركب حضاري في لغز مُحير للآخرين ، هو نتاج نطاقه الثقافي العام ، حافظاً  
لثقافته الفرعية حامياً لكيانه الإنساني .

خاتمة بلا نهاية :

يعد موضوع الشخصية القومية من أدق الموضوعات الذي يتناوله علماء  
الأنثروبولوجيا ، فالبحث في موضوع الشخصية القومية لم يكن وليد اللحظة ، ولا وليد  
الموقف ، ولا حالة تعبيرية لحدث ، وإنما الشخصية القومية هي نتاج متكامل لأثر  
حضاري وثقافي متوارث .. هذا الإرث الذي ساهم في بناء العقل الجمعي .. الذي هو  
منبت الثقافة .. والمؤثر في بناء الشخصية ومكوناتها عبر العصور .. وعليه مهما تعمق  
البحث في موضوع الشخصية في علاقاتها بالمووروث الحضاري والمواقف الآنية ، فإن  
البحث لن ينقطع وإنما سيظل الباحثون يتابعون بحوثهم ودراساتهم بصورة متجددة وفي  
أداء لا ينقطع .. وسيظل البحث في موضوع الشخصية القومية خاتمة بلا نهاية .

## الهوامش والمصادر

١. ذكر جون سيريل John Searle في كتابه بعنوان : العقل - مدخل موجز أن امتلاك الإرادة الحرة يرتكز دوماً على تجارب وحادثات سابقة من رصيد الحرية الإنسانية ، تجعل الشعوب لديها خبرة في صنع قراراتها فتصبح قادرة بحكم تجاربها الواعية أن تفعل شيئاً . John R. Searle , Mind : A Brief Introduction , Oxford University Press , New York , 2004
٢. أنظر في ذلك : محمد عباس إبراهيم ، نشأة الفكر الاجتماعي ، دار المعرفة الجامعية ٢٠٠٧ ، الإسكندرية .
٣. منظمة اليونسكو ، التقرير السنوي العالمي للعلوم الاجتماعية ، باريس ، ٢٠١٠ م .
٤. فتحي حسن ملكاوي ، منهجية التكامل المعرفي : مقدمات في المنهجية الإسلامية ، الناشر المعهد العالي للفكر الإسلامي ، الطبعة الأولى ، الرباط ، المغرب ، ٢٠١٢ م . ( من مواليد الأردن ١٩٤٣ م حاصل على درجة الدكتوراه في التربية العلمية : فلسفة العلوم من جامعة ولاية ميتشجان الأمريكية ) .
٥. محمد عابد الجابري ، الخطاب العربي المعاصر : دراسة تحليلية نقدية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٢ م
٦. محمد عباس إبراهيم ، الذات العربية والقيم الثقافية الغربية : بحث في الاتصال الثقافي مؤتمر الإسكندرية الدولي الأول حول التعاون الحضاري بين شعوب حوض البحر المتوسط عبر التاريخ ، ٢٢ - ٢٦ يناير ١٩٩٤ م .
٧. محمد عباس إبراهيم ، الثقافة والشخصية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠١٣ م



٨. محمد عباس إبراهيم ، علماء المسلمين والفكر الاجتماعي ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، ٢٠١٠ م .

٩. Eric Fromm , To Have or To Be , Boston , USA , 1979 وقام بترجمته إلي العربية : سعد زهران ، وراجعته : لطفي فطيم وصدرت الترجمة بعنوان الإنسان بين الجوهر والمظهر ، سلسلة علم المعرفة رقم ١٤٠ ، الكويت ، أغسطس ١٩٨٩ م .

10. Jonathan Israel , Radical Enlightenment , Oxford University Press , 2001 .

١١. ديمتري ميكس وكريستين فافار ميكس ، الحياة اليومية للآلهة الفرعونية ، ترجمه عن الفرنسية فاطمة عبد الله محمود ، مراجعة محمود ماهر طه ، الألف كتاب الثاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، صدرت الترجمة عام ٢٠٠٠ م ص : ٩ - ١٢ .

١٢. أحمد عبد الله زايد ، تناقضات الحداثة في مصر ، دار عين للنشر ، القاهرة، ٢٠٠٥ م

١٣. محمد عابد الجابري ، بنية العقل العربي : دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية - سلسلة نقد العقل العربي (٢) الناشر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧ م \_ يجد القارئ الكريم شرحاً مفصلاً عن حالة ازدواج العقل والفكر في عرض الجابري بالقسم الرابع من الكتاب عن : تفكيك النظم وإعادة التأسيس صفحة ١٩٤ وما بعدها .

١٤. رالف لينتون ، شجرة الحضارة : قصة الإنسان منذ فجر ما قبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث ، الجزء الأول ، ترجمة أحمد فخري ، تقديم أحمد زكريا الشلق ، المركز القومي للترجمة ، العدد ١٧٥٠ ، ٢٠١٠ ، القاهرة ، صفحة ٧١ وما بعدها .

## مجلة كلية الآداب

١٥. جيلان عباس ، آثار مصر القديمة في كتابات الرحالة العرب والأجانب ، تقديم مختار السويفي ، الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٩٢ م صفحة ١١ .

١٦. سليمان أحمد حزين ، حضارة مصر : أرض الكنانة ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩١ م صفحة ١٥٠ وما بعدها .

١٧. عبد الوهاب المسيري ، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان ، دار الفكر العربي ، القاهرة ٢٠٠٢ م .. وكما يقول المسيري : تشكل الفلسفة المادية البنية الفكرية التحتية أو النموذج المعرفي الكامن للعديد من الفلسفات الحديثة ، الماركسية ، والبرجماتية ، والدارونية ، كما تشكل الإطار المرجعي الكامن لرؤيتنا للتاريخ والتقدم والعلاقات الدولية والإنسانية . وقد ارتبطت الفلسفة المادية في عقول الكثيرين بالعقلانية والتقدم والتسامح ، كم هيمنة هذه الفلسفة على النخب الثقافية والفكرية لزمن ليس بالقصير . أما عن مفهوم العقل فهو في حد ذاته مفهوم غامض ، غامض ، ولكن المهم هو النموذج الكامن وراء العقل ، فهناك العقل المادي ، والعقل الأداتي ، والعقل النقدي .

### 18. Mark Curtis , Secret affairs : Britain,s Collusion with Radical Islam , E. book , London , 2012

١٩. محمد عباس إبراهيم ، الثقافات الفرعية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠١٠ م

٢٠. يعد كتاب يوشيهيرو فرانسيس فوكو ياما Yoshihiro Francis Fukuyama عن نهاية التاريخ والإنسان الأخير الصادر عام ١٩٨٩ م واحداً من أهم كتب نهايات القرن العشرين فوكو ياما كاتب ومفكر أمريكي الجنسية من أصول يابانية ، يميل في تفكيره إلي تبني نزعة المحافظين الجدد ، ولد في ٢٧ أكتوبر ١٩٥٢ م ، له كتاب آخر عن " الانهيار أو التصدع العظيم " تدور فكرته حول البحث في الفطرة الإنسانية وإعادة تشكيل النظام الاجتماعي ... تبني فوكو ياما ضرورة كسب عقول وقلوب المسلمين حول العالم ، وتلك هي المعركة الأساسية لا المعركة العسكرية ، منتقداً في



ذلك سياسات جورج بوش ، وتخلى فوكو ياما عن نزعتة المحافظة التي عُرف بها .  
 وكتاب صامويل فيليس هنتجتون Samuel Phillips Huntington ( ١٨ أبريل ١٩٢٧ - ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٨ م أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفارد الأمريكية و الذي اشتهر بتحليلاته للعلاقة بين العسكر والحكومة المدنية ) عن " صدام الحضارات " أهم كتاب في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين حيث ناقش هنتجتون فيه بأنه ليس هناك من الحضارات من تستطيع الصدام مع فكرة قيام النظام الأمريكي ( العالمي ) الجديد !!

٢١ . إدوارد وليم لين ، المصريون المحدثون : عاداتهم وشمائلهم ، صدر في عام ١٨٣٦ م وقام بترجمته إلي العربية : عدلي طاهر نور ، دار النشر للجامعات المصرية ، القاهرة ١٩٧٥ م ( Edward William Lane ) ولد في ١٧ سبتمبر ١٨٠١ م - ومات في ١٠ أغسطس ١٨٧٦ م مستشرق إنجليزي اشتهر بمعجمه الكبير للغة العربية " عربي / إنجليزي " أقام وعاش بالقاهرة لمدة طويلة ) .

٢٢ . السيد عويس ، ملامح المجتمع المصري المعاصر ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

٢٣ . هنري حبيب عيروط ، أخلاق الفلاح وعاداته في القرية المصرية ، رسالة دكتوراه مقدمة إلي جامعة السربون ، فرنسا ، ١٩٣٨ م وترجمت الرسالة إلي العربية تحت عنوان : الفلاحون . ولد هنري عيروط في ٢٠ مايو ١٩٠٧ م - ومات في ١٠ أبريل ١٩٦٩ م من أصل شامي نزحت أسرته من دمشق واستقرت بالقاهرة عام ١٨١٨ م كان والده مهندساً معمارياً ، فاهتم بتعليمه أفضل تعليم ، حتى أصبح هنري من الرواد الأوائل المهتمين بتنمية القرية المصرية .. وبعد أن حصل على الدكتوراه من السربون بفرنسا ، اتجه إلي الكهانة علي الرهينة اليسوعية .

٢٤ . نيفين سيف الله يسري ، قسمة : القدر العجيب لمحمد علي باشا الكبير مؤسس مصر الحديثة ، الناشر ، لورينتال ٢٠٠٥ م القاهرة ، صفحة ٣٨٠ وما بعدها ) كم صدر الكتاب في صورة رواية أو سيرة ذاتية باللغتين الإنجليزية والفرنسية في سويسرا



## مجلة كلية الآداب

برعاية الأميرة فوزية كريمة الملك فاروق والملكة فريدة ، حول سيرة الكبير ووطنه ، وحفر مجده على الساحة العالمية بشجاعة وإصرار ومثابرة . والمعروف أن محمد علي باشا الكبير ولد في قوْلا بشرق اليونان في ٤ مارس ١٧٦٩ م ومات ودفن بالقاهرة في ٢ أغسطس ١٨٤٩ م لُقّب بالعزيز أو عزيز مصر ، حكمها في الفترة من ١٨٠٥ م - ١٨٤٨ م .. هو باني مصر الحديثة ونهضتها في مجالات الزراعة والري والصناعة والتعليم والأسلحة ومؤسس أول جيش نظامي من المصريين عام ١٨٢٤ م .

٢٥. عزت حجازي ، الشخصية المصرية بين الإيجابية والسلبية ، مجلة الفكر المعاصر ، العدد ٥٠ ، أبريل ١٩٦٩ م صفحة ٤٢-٤٩ .

٢٦. السيد ياسين ، الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٣ م صفحة ٢٢٦ وما بعدها .

مراجع ذات صلة :

• لويس عوض ، تاريخ الفكر المصري الحديث ، من عصر إسماعيل إلي ثورة ١٩١٩ م ، الجزء الثاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٣ م

• J.Timmons Roberts & Amy Hite , From Modernization to Globalization : Perspectives on Development and Social Change , Blackwell Publishers , USA , 2000 .

• عبد العزيز الدوري ، التكوين التاريخي للأمة العربية : دراسة في الهوية والوعي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٥ م .

• عصام الدين حواس ، إستراتيجية بناء الإنسان المصري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .

• أحمد أبوزيد ، هوية الثقافة العربية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، وزارة الثقافة المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠٤ م .

• John E. Joseph , Language and Identity : National , Ethnic , Religious , Palgrave Macmillan , New York , 2004 .

• جان بيير فارني ، عولمة الثقافة : وأسئلة الديمقراطية ، ترجمه عن الفرنسية عبد الجليل الأزدي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م .

عادات الموت كمحدد للسماة الثقافية  
للمجتمعات الريفية فى المجتمع المصرى

دكتوة/ مرفت حسن برعى

المدرس بقسم الاجتماع - كلية الآداب والعلوم الغنسانية

جامعة قناة السويس



المجلة الإلكترونية للدراسات والبحوث

الدراسات والبحوث في الآداب والعلوم الإنسانية

العدد ١٠٠ - ٢٠٢٠

العدد ١٠٠ - ٢٠٢٠

العدد ١٠٠ - ٢٠٢٠

١٠٠

## مقدمة

تعد العادات الشعبية ظاهرة أساسية من ظواهر الحياة الاجتماعية الإنسانية؛ وحقيقة أصيلة من حقائق الوجود الاجتماعي. نصادفها في كل مجتمع، وعند الشعوب البدائية والمتقدمة وفي حالتها الاستقرار والانتقال، والاضطراب والتحول. وهي تؤدي الكثير من الوظائف الاجتماعية المهمة<sup>(١)</sup>.

وإذا استعرضنا الدراسات التي تناولت الجوانب المختلفة للعادات الشعبية؛ والتي تشعب لتشمل جميع نواحي الحياة. نجد أن دراسة عادات الموت لم تلق اهتماما كافيا في تلك الدراسات؛ على الرغم من أن الموت يحتل منزلة خاصة في حياة المصريين، من حيث اعتقادهم بأنه انتقال من حياة أولى فانية إلى حياة أخرى باقية.

ولعل هذه السمة تتضح من خلال ما أولاه المصريون القدماء من اهتمام بالموتى ومكان دفنهم، ذلك الاهتمام الذي ربما فاق رعايتهم للأحياء وأماكن إقامتهم. للإعتقاد السائد عن الخلود في حياة أبدية سرمدية.

وتعد الحقيقة الجوهرية المتعلقة بعادات الموت مجالاً خصبا للدراسات الأنثروبولوجية، ذلك لأن الموت وطقوسه يعكسان القيم الاجتماعية التي يرتبط بها الناس في حياتهم، ويمثلان قوة مهمة في تشكيل تلك القيم كما أنه يعكس الخبرات التي يمرون بها، حيث تتضح الأحوال الاجتماعية والثقافية الأساسية للبشر عند تناول تلك الطقوس<sup>(٢)</sup>.

ولقد كان ذلك دافعا لاختيار عادات الموت مجالاً للدراسة. ويعد التعرض لها إسهاما متواضعا في ميدان البحوث الفولكلورية التي تتناول جانباً من جوانب دورة الحياة.

## أولاً- أهمية دراسة الموضوع:

ترجع أهمية الدراسة وتبلور في ضوء التغيرات التي يتعرض لها مجتمعنا، حيث يصبح رصد العادات قبل تغييرها أو بعده ضرورة ملحة. كما أن تسجيل عادات وتقاليد وطقوس الموت في مجتمع من المجتمعات التقليدية يعطى أبعاداً أوفر لبحث تجانسها الثقافي، وفهم السمات الثقافية التي تميز مجتمعاتنا التقليدية مما يعمق فهمنا لأبعاد ثقافتنا؛ حيث يشير بعضها لطبيعة الشخصية المصرية، ويسمح لنا بفهم العناصر الإيجابية فهما متعمقا للتغلب على القوى التي تحيط بنا، وزيادة قدرتنا على رؤية واقعنا الحضارى رؤية

تسمح لنا بالتحكم فيه وتوجيهه لما في صالحنا، ونكون قد حاولنا أن نضع حجر الزاوية لأية محاولة تستهدف تطوير أو تغيير الواقع .

وتعد المجتمعات القروية من الموضوعات المهمة التي تجذب كثيرًا من الباحثين الاجتماعيين والأنثروبولوجيين، بل أنها تعد من الملامح الأساسية للدراسات الأنثروبولوجية في القرن الحادى والعشرين، وقد ساهمت هذه الدراسات فى دراسة الجماعات الريفية فى محاولة لتطبيق مناهج التنمية الاجتماعية والاقتصادية على أسس علمية موضوعية<sup>(٣)</sup>. ولما كانت هناك بعض الآراء التي تشير إلى أن المجتمعات الريفية تعمل على الحفاظ على التراث أو حمايته ضد عوامل التغيير، فقد اتجهت الدراسة إلى محاولة اختبار هذه الآراء داخل إحدى القرى المصرية، وهى قرية صغيرة تقع فى شرق محافظة الإسماعيلية يطلق عليها اسم "قرية العبور".

وتتضح أهمية تحديد السمات الثقافية من خلال دراسة عادات وتقاليد الموت فى هذه القرية إلى أنها تجمع ريفيين من أصول مختلفة: "ريفيون من أهل الدلتا، و ريفيون من البدو، وريفيون من أهل صعيد مصر".

كما استهدفت الدراسة مقارنة ما تم جمعه من مادة اثنوجرافية حول عادات الموت، والتي قد تحمل بعض السمات الثقافية المشتركة والنتائج التي توصل إليها كل من "منى الفرنوانى"، و"سميح شعلان" عن عادات الموت فى قريتين مصريتين تقليديتين من قرى مصر الحديثة والمعاصرة فى أماكن مختلفة ومراحل زمنية متباينة. للخروج ببعض السمات الثقافية للمجتمعات الريفية التقليدية المصرية الثابتة التي لا تتغير. حيث كانت دراسة "منى الفرنوانى" فى (قرية البراجيل) وهى قرية ريفية تابعة لمحافظة الجيزة. وذلك فى دراستها المعنونة بـ"التغير الاجتماعى والثقافى فى الريف المصرى كما تعكسه عادات دورة الحياة \*دراسة متعمقة لقرية مصرية\*\*" فى الفترة من ١٩٨٥:١٩٨٩م. أما دراسة سميح شعلان فى (كفر الأكرم) وهى قرية ريفية تابعة لمحافظة المنوفية. وذلك فى دراسته المعنونة بـ"الموت فى المأثورات الشعبية" فى الفترة من ١٩٨٧:١٩٩١م. وقد تمت هاتان الدراستان فى الثمانينيات وبداية التسعينيات من هذا القرن على هذه المجتمعات التقليدية فى المجتمع المصرى.



ويمكن من خلال دراستنا الكشف عن الخصائص المشتركة والملامح المتشابهة في مجال التنظيم الاجتماعي في هذه المجتمعات الريفية التقليدية، حيث إن تشابه الظروف الإيكولوجية تجعل الاستجابات للجماعات البشرية متشابهة. كما يمكن الكشف عما تتميز به من أصالة وسليبات<sup>(٤)</sup> من خلال دراسة عادات الموت والتصورات الخاصة به في هذه القرى المصرية، والتي قد تكشف أن الإنسان المصري عندما اجتمع مع غيره عاشوا معا متكيفين مع بعضهم البعض، ونتج عن ذلك انه أصبح لهم سمات مشتركة (توفيقية) على الرغم من بعض التفاصيل الدقيقة والتي تحمل بعضا من سمات شخصية المجتمع المنتمى إليه.

ونظرا لما يمثله الموت من مكانة خاصة في حياة المصريين من حيث اعتقادهم في البعث، ومن أكبر الأدلة على ذلك اعتقادهم بضرورة الحفاظ على الجسد دون أن يصبه التحلل والفاء بعد الموت، ومن هنا نشأت فكرة "التحنيط"<sup>(٥)</sup> والتي أوحى لهم بفكرة بناء الأهرامات<sup>(٥)</sup>.

وهذا يدلنا على أن هناك سمة أساسية متأصلة في الشخصية المصرية ألا وهي الإيمان بأن هناك حياة أخرى سوف يحيها الإنسان بعد الموت. وهي حياة خالدة سيرى فيها ألوان النعيم والأمان والراحة والسعادة الأبدية، إذا كان عمله صالحا وخلقه حسنا في الدنيا، وسوف يرى ألوان الجحيم والعذاب في الدنيا الآخرة إذا كان شريرا وأعماله سيئة. لذا نجد أن المصري القديم عرف عنه حسن الخلق وخشية الله سبحانه وتعالى وعمل حساب الآخرة، وتعد أهرامات الجيزة أهم وأكبر المقابر الموجودة لأمرء وملوك المصريين القدماء. وعبر المصري القديم عن إيمانه وأرائه حول حياة المُلُك بعد الموت في "نصوص الأهرامات" وفي "كتاب الموتى" وكيف ينعم بحياته الأبدية في معيشة رغدة هانئة ومكان يملؤه الصدق والمودة، إذا كان يقيم العدل في حياته ويبعد عن جرائم الزنا والقتل والأخطاء المرتبطة بالزراعة وحقوق الأرض والماء ودفع الضرائب<sup>(٦)</sup>؟.

ودراسة عادات الموت بهدف محاولة رصد جوانب الموضوع داخل منطقة محددة. دراسة ميدانية بقرية العبور "محافظة الإسماعيلية"، والنتائج التي تم الوصول إليها عن عادات الموت في قريتين مصريتين تقليديتين من قرى مصر الحديثة والمعاصرة في أماكن مختلفة

ومراحل زمنية متباينة. مما قد يؤدي للوصول إلى بيانات أكثر عمقا وتركيزا عن طبيعة البنية الثقافية للمجتمعات الريفية التقليدية، ومن ثم تحديد سماتها الثقافية.

### ثانيا-أهداف الدراسة:

- ١- جمع وتسجيل لعادات وتقاليد الموت لمنطقة ثقافية قبل تغييرها أو اندثارها.
- ٢- تحديد السمات الثقافية للمجتمعات الريفية التقليدية في المجتمع المصري ورصدها وتحليلها...
- ٣- تعميق فهمنا لأبعاد ثقافتنا وموروثاتنا الثقافية لزيادة قدرتنا على رؤية واقعنا الحضارى ومحاولة تغييره لما فيه صالح مجتمعنا المصري وتطوره.
- ٤- التعرف على المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية المؤثرة في عادات الموت والتي أدت إلى تغييرها.

### ثالثا- الإجراءات المنهجية للدراسة :

وتشمل الإجراءات المنهجية للدراسة على: تساؤلات الدراسة، إلى جانب مناهج البحث وطرق جمع البيانات، وأخيراً فترة العمل الميداني .  
تساؤلات الدراسة:-

وحيث إن هذه الدراسة تقوم على البحث الميداني، فقد تم وضع مجموعة من التساؤلات وهي:

- ١- إلى أي مدى تعكس المراسم والاحتفالات المصاحبة لحدوث الوفاة في مجتمع الدراسة السمات الثقافية المتأصلة للمجتمعات التقليدية في المجتمع المصري؟.
- ٢- إلى أي مدى يتضح أثر الدين الإسلامي في ثبات أو استمرار العادات والممارسات الشعبية التي تتعلق بالموت؟.
- ٣- ما تأثير انتشار التعليم والوعي الديني في استمرارية السمات الثقافية أو تغييرها في المجتمعات التقليدية الريفية ؟  
مناهج الدراسة وأدواتها:
- ١- منهج دراسة المجتمع المحلي :

كان لمنهج دراسة المجتمع المحلي الدور الواضح في تناول الدراسة بوصفها تعبيراً عن عادات جماعة محددة تشترك في مصالح واهتمامات واحدة وترتبط بروابط معينة، فهم يعيشون معاً، وينتمون إلى مكان واحد، وترتبطهم علاقات تحكمها قواعد معينة<sup>(٧)</sup>. وقد وضع في الاعتبار الدور الذي تلعبه المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في عادات الموت .

كما أسهم هذا المنهج في التعرف على حدود المشاركة بين أفراد مجتمع البحث والتي تدعو إلى تفاعل الأفراد داخل المجتمع المحلي من أجل إشباع حاجاتهم في التواصل الاجتماعي. وقد برزت تلك المشاركة بشكل واضح في التجهيز للغسل والدفن والتجهيز لتلقي العزاء من ولائم الغذاء والعشاء للمقرئين والمعزين، واشتراك مجتمع البحث بحدود مختلفة في القيود المتعلقة بالحداد. وبعض المجاملات التي تصدر عن النساء إزاء صاحبات المصيبة من القرقيات والصدقات والجارات. "أثناء تشييع جثمان الميت وعزاء القبر وعزاء المأتم، وكذلك عزاء الخميس والأربعين، وبعد الوفاة بعام"، ومن خلال تلك المشاركة تلعب دراسة المجتمع المحلي دوراً آخر في توجيه الاهتمام إلى دراسة سمة من سمات الشخصية الريفية والتي تتجلى في المشاركة الاجتماعية والتآزر والتضامن بين أبناء القرية. ومن خلال ما سبق يتضح أن منهج دراسة المجتمع المحلي يتطلب الاهتمام ببعدين هما:

النطاق الجغرافي، والعلاقات المتبادلة بين الأفراد، ويكون ذلك من خلال وضع بعض النقاط موضع الاعتبار، وتمثل هذه النقاط في :

أ- الحيز: وقد أثمر مفهوم الحيز من خلال دراسة المجتمع المحلي في التعرف على التأثيرات المتبادلة بين القرية والمدينة، وذلك من خلال الوقوف على: حالة المباني، والكثافة السكانية، وطرق المواصلات بين قرية البحث ومدينة الأسماعيلية حيث تعتبر المعدة هي الوسيلة الوحيدة للانتقال من وإلى القرية، وكذلك التأثير السيكولوجي للبيئة في قرية البحث.

ب- الخلفية الاجتماعية للأفراد: وقد ساعد هذا المدخل من حيث وصفه لخصائص السكان الاجتماعية في منطقة البحث في التعرف على اختلاف العادات المتعلقة بالموت وتأثرها بهذه الخصائص.



ج- الأنماط الثقافية: وقد أسهم هذا المنظور في التعرف على وجود رموز متمثلة في أنماط خاصة من السلوك والعادات والتي تميز أهل القرية عن غيرهم من القرى الأخرى، وتضفي عليهم نوعاً من الخصوصية.

د- التفاعل الفردي والجماعي: ويظهر هذا التفاعل بصورة واضحة في المشاركة الاجتماعية للأفراد في حالة الوفاة، وتلعب التنظيمات غير الرسمية دوراً في هذا التفاعل..  
هـ- الأنماط الاجتماعية: ومن خلال الأنماط الاجتماعية في مجتمع الدراسة أمكن التعرف على تضايف التنظيمات الرسمية (الجامع ومركز الشباب)، وغير الرسمية (جمعية دفن الموتى، وجمعية تنمية المجتمع) في الإبقاء على بعض العادات المتعلقة بالموت والمحافظة على استمرارها، ليحافظ النسق الاجتماعي ككل على قدر من توازن القوة بين وحداته المختلفة..

#### ٢- الدراسة الأيكولوجية :

وقد استعان البحث بالدراسة الأيكولوجية بوصفها (تهتم بالخصائص الفيزيائية لبيئة معينة من حيث تأثيرها على السلوك الاجتماعي، وتأثيرها بهذا السلوك، أي أنها تهتم بدراسة العلاقة بين الإنسان والبيئة)<sup>(٨)</sup>، ومن خلال هذا المفهوم كان الاستعانة بالدراسة الأيكولوجية للتعرف على مدلولات الخصائص الفيزيائية لبيئة مجتمع البحث الريفية، والتي تعتمد على الإنتاج الزراعي بصفة أساسية.

وقد كان لتلك الخصائص الأثر البالغ في طبع عادات الموت بسمة خاصة تميزها عن غيرها من المجتمعات غير الريفية، حيث يستدعى العمل بالزراعة، المشاركة المتبادلة وضرورة الثبات والتركيز والصبر. فالزراع لكي ينضج فهو يمر بمراحل على مهل من بذر وسقى وانتظار الثمر والثبات أمام التقلبات الجوية.

وكذلك المشاركة المتبادلة بين أفراد المجتمع والعمل المتواصل والتعاون في إنجاز الأعمال الزراعية عند تعرض القرية لظروف مناخية قاسية "كأعمال الحرث وجمع المحصول"، تلك المشاركة وهذا التعاون الدائم في هذه الأعمال دفعا إلى الاهتمام البالغ من قبل هؤلاء الأفراد بمشاركة واحد منهم مصيبته مشاركة متبادلة بل ولازمة في كل الأحيان، حيث يلقي المقصر لوما شديدا من قبل جماعته.

إن النبات يتسم بالتجدد والنمو دائما تقطعه فينمو من جديد، وكأنه غفر الإساءة، فألهمت هذه البيئة أهلها التجدد والاستمرار والسماحة والطيبة والوداعة والاستعلاء على المحنة، كما منحت هذه البيئة أهلها الحرية والرخاء المادى فاكثسوا الرخاء النفسى والرضا وعدم الخوف من العوز والحاجة؛ لأن الزراعة معناها الفائض الذى يحزر الإنسان من معدته ليتفرغ لأعمال أخرى. فطبت البيئة الأيكولوجية ذلك على شخصيتهم ففيها ثراء البساطة وزهد الغنى وجلال التواضع من حلول العهد بالوفرة والكثرة، وسكينة من مسالمة وسلام.

كما كان للبيئة الزراعية تأثيرها المباشر على الرموز التى تنبئ بحدوث الوفاة، سواء أكانت تلك الرموز من خلال الأحلام، أو من خلال الطيور والحيوانات المرتبطة فى أغلب الأحيان بالحياة فى البيئة الزراعية، "كالكلب والقطة والبومة والدجاجة"، فضلا عن النباتات والزروع التى تشير كذلك الى حدوث الموت.

وساعد المنهج الأيكولوجى كذلك على توضيح الأسس التى تم على أساسها اختيار منطقة المقابر فى أرض صحراوية لا تسمح بتعفن الجثة، بالإضافة إلى بعدها عن المناطق السكنية بحوالى ١٥ كم<sup>٢</sup> وعدم جدوى هذه المنطقة الصحراوية كأرض صالحة للزراعة.

### ٣- المنهج المقارن:

وهو المنهج المستخدم فى العديد من الدراسات فى حقل العلوم الاجتماعية بهدف الخروج بنتائج عن المرحلة الزمنية سابقة عليها، حيث لا تصح سمات وخصائص ومنجزات مرحلة تاريخية ما، إلا بمقارنتها بمرحلة تاريخية سابقة عليها للكشف عن التغير الحادث فى المجتمع وأبنته.

ويتميز المنهج المقارن بأنه يتوصل إلى مفاهيم مجردة عن الظروف الزمانية والمكانية. كما أنه يهدف علاوة على ذلك إلى المقارنة بين ظواهر من نفس الفئة، وذلك بغض النظر عن جوهرها وموقعها<sup>(٩)</sup>.

وقد استفادت الدراسة من المنهج المقارن فى توضيح عدة متغيرات أساسية هى :-

١-الكشف عن مدى التشابه والاختلاف بين كل من عادات الموت وممارساته

وطقوسه فى مجتمع الدراسة وبين عادات الموت فى مجتمعين تقليديين من الريف والحضر.



٢- رصد عادات وتقاليد المجتمعات الريفية التقليدية من خلال ماتوصلت إليها نتائج المرحلة الزمنية محل الدراسة ومقارنتها بنتائج الدراستين اللتين أجريتا في مرحلة زمنية سابقة.

### ٣- المنهج الأنثروبولوجي:

لعب هذا المنهج دوراً مهماً في هذه الدراسة، فأسهم في اختيار منطقة الدراسة، ودفع إلى اختيارها بحيث تكون مجتمعنا محلياً صغيراً محدود العدد، وهي "قرية العبور" بمحافظة الإسماعيلية، وذلك للتمكن من تغطية كافة جوانب موضوع الدراسة في فترة زمنية معقولة<sup>(١٠)</sup>.

وقد كان للوسائل التي أشار إليها المنهج الأنثروبولوجي لجمع مادة البحث ميدانياً دور واضح في الكشف عن الجوانب المختلفة المتعلقة بعادات الموت، مما أسهم في توجيه مسار البحث وإثرائه بالمادة المطلوبة، وذلك من خلال تطبيق دليل العادات والتقاليد الشعبية كموجه للملاحظة، والملاحظة بالمشاركة، والمقابلات المتعمقة.

لقد كانت للملاحظة الأثر المهم في توجيه البحث الميداني، حيث لم يقتصر استخدام هذه الوسيلة على ملاحظة عادات الموت من حيث المكان والزمان اللذين تتم فيهما تلك العادات والطقوس المصاحبة لها. بل امتد اللجوء إليها ليشمل الملاحظة العامة لمجتمع الدراسة.

وقد أسهم ذلك في التعرف على الكثير من جوانب الحياة التي تدفع لفهم أكثر دقة لبعض التساؤلات التي ينسى الأخباريون أو يتجاهلون الرد عليها سواء أكان ذلك عن قصد منهم أم غير قصد. كما أسهمت الملاحظة في التعرف على بعض الأمور التي تتعلق بسير الجنائز والعزاء وكيفية دخول المعزين واستقبالهم.

وكانت الملاحظة من خلال المشاركة الأثر الكبير في الإجابة عن بعض أسئلة الدليل بشكل أكثر واقعية، وقدرة على احتواء كافة عناصر السؤال دون اللجوء إلى الإخباريين إلا للاستفسار عن العمق الزمني للعادة، أو البدائل التي كانت في الزمن الماضي. وقد أسهمت الملاحظة بالمشاركة أيضاً في الإجابة عن الأسئلة الخاصة بالجنائز، وتقديم واجب العزاء، وكذلك التجهيز للغسل والتجهيز لاستقبال المعزين.



وتعد المقابلة من أهم الوسائل التي أسهمت في التعرف على الأبعاد المختلفة للظاهرة من خلال الإخباريين المختارين .

وقد ساعدنا في اختيار هؤلاء الإخباريين وجود ثلاث طالبات ممن يكملون دراستهم العالية بالتعليم المفتوح، واللاتي تقوم الباحثة بالتدريس لهن في برنامج "الإعلام والتنمية" في جامعة قناة السويس، ويقمن وينتمين لمجتمع الدراسة. إحداهما متزوجة من شخص له أصول صعيدية، والأخريان متزوجتان من شخصين لهما أصول ريفية؛ للتمهيد مع الإخباريين لإجراء المقابلات الأولية معهم، كما كان عليهن عبء التعريف الأولي بمهمة الباحثة، بالإضافة إلى اختيار الوقت والمكان المناسبين لإجراء المقابلات، وكان لهؤلاء الطالبات دور كمصادر للمعلومات الاثنوجرافية في الوقت الحاضر، بالإضافة لدورهم في التمهيد لإجراء الدراسة الميدانية منبثقاً من معرفتهما الوثيقة بالإخباريين وظروفهم الاجتماعية والنفسية، مما أتاح قدراً كبيراً من نجاح المقابلات. كما أتاحت الظروف أثناء هذه المقابلات بالإخباريين حدوث حالات وفاة، مما أتاح للباحثة رؤية ومشاهدة ما يحدث في هذه المناسبات من واجبات العزاء وملاحظة الطقوس والمراسم والعادات التي تصاحب الوفاة، وكذلك سماع ومشاهدة ما يدور بين أهل الميت والمعزين من معتقدات مرتبطة بالأحلام والرموز الدالة على قرب حدوث الوفاة والخميسان.... الخ

وقد استعانت الباحثة بمستويين من الإخباريين من مجتمع الدراسة:

المستوى الأول: إخباريون (كمصادر للمعلومات الاثنوجرافية) على قدر من الوعي والفهم يؤكدان استيعابهم لموضوع الدراسة والغرض منها، مما ساعد على توجيه الباحثة إلى إخباريين بعينهم لإجراء الدراسة الميدانية معهم، كما كان لاتصالهم المباشر بمجتمع الدراسة وعلاقتهم الوطيدة بالإخباريين المختارين وبجماعة البحث بعامة أكبر الأثر في نجاح المقابلات.

المستوى الثاني: تم اختيار ستة إخباريين اختيروا كوحدة للدراسة، وقد تم ذلك على أساس مايلي: اثنتان من أصل ريفي واثنتان من أصول ريفية صعيدية واثنتان من أصول ريفية بدوية، وقد أسهم كل ذلك في تحديد بعض الملامح المميزة لكل وحدة، ووضعها الطبقي داخل مجتمع الدراسة.

وفد قامت الباحثة بدراسة حالات بعينها دراسة متعمقة، للوصول إلى معرفة الأحداث المهمة التي أدت إلى إحداث تغيرات في حياة تلك الحالات، وكيف تطورت أساليب سلوكها واتجاهاتها عند حدوث التغير خلال فترة زمنية محددة. باعتبار أن هذه الحالات مركبة وتشكل من العوامل التي تؤثر في وجودها داخل حدود مجتمع معين.<sup>(11)</sup> فقد دفع ذلك إلى الاستعانة بهذا الأسلوب دراسة ثلاث حالات (ثلاث أسر). كل أسرة تختلف في أصولها التي تنتسب إليها (الريف، الصعيد، البدو). وذلك لمعرفة أثر التطورات والتغيرات التي طرأت على أفراد أسرة كل منهم وعلى تصورات وطقوس عادات الموت، فتم اختيار بعض الإخباريين كحالات، وذلك من واقع ارتباطهم الوثيق بموضوع البحث: "كالمغسل"، "والمغسلة"، "والفقي"، "واللحاد، والملقن".

كما كانت الاستعانة بالإحصاءات الصادرة عن الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء الدور الكبير في التعرف على مجتمع الدراسة وعلى موقع وأيكولوجية القرية، والأنشطة السكانية وبعض المنشآت الحكومية لأهل المنطقة، وعدد السكان والأسر والمنازل.

٤- كما لجأت الدراسة إلى الاستعانة بالمنهج الفولكلوري بأبعاده الأربعة لما له من أهمية قصوى في جمع العادات والطقوس المرتبطة بحدوث الوفاة، وتحليلها، حيث أسهمت هذه الأبعاد في التعرض للظاهرة من جوانبها التاريخية والجغرافية والاجتماعية والنفسية، ويمكن أن نبين ذلك على النحو التالي :

#### أ- البعد التاريخي :

أسهم البعد التاريخي في دراسة عادات الموت في صورتها الحالية، ومحاولة تتبع التغيرات التي طرأت عليها للوقوف على مدى استمرار العادة، بالإضافة إلى التعرض لمحاولة تفسير التغير والعوامل المؤثرة فيه . وفي محاولتنا الإجابة عن التساؤل الخاص عن "ما الأصول التي تعود إليها عادات الوفاة في المجتمع المصري المعاصر، وتظهر لنا بعض السمات المتأصلة في الشخصية المصرية ؟ حاولنا التعرف على البعد التاريخي لبعض الطقوس والمراسم والعادات الخاصة بحالات الموت والتي لها جذور تاريخية. فليس عامل الزمن أقل أثرا من بقية العوامل التي تؤلف الثقافة؛ لذلك تبين أنه يجب دراسة عادات

الموت والطقوس الجنائزية ودفن الموتى منذ عهد الفراعنة إلى الوقت المعاصر لكي يتضح أثر التاريخ الفرعوني على أنماط الثقافة المصرية العامة، والشعبية بوجه خاص. ولتحقيق هذا البعد تم اللجوء إلى بعض الخطوات لتمكينا من تحليل مادة البحث في ضوء هذا البعد منها :

الرجوع إلى بعض الدراسات السابقة التي تتعرض لنفس موضوع الدراسة وبخاصة تلك التي أجريت في مجال زمني مختلف؛ لينطلق التحليل إلى قدرة بعض العادات والطقوس على الاستمرار وإمكانية التغير.

#### ب- البعد السوسولوجي :

أسهم هذا البعد في تحليل الظاهرة من خلال أبعادها الاجتماعية، حيث حرصنا على اختيار الإخباريين بحيث يمثلون الاختلاف الجيلي والنوعي لأفراد مجتمع البحث، مما قد يوضح التأثير الذي قد يحدثه هذا الاختلاف في جوانب الظاهرة، من حيث التمسك أو التخلي أو عدم التبنى لتلك الجوانب .

كما قاد هذا البعد إلى الاهتمام بالأبعاد الطباقية، بمعنى حرص بعض الطبقات دون سواها على التمسك أو الحذف، وحركة العادات بين مختلف الطبقات صعوداً أو هبوطاً

#### ج - البعد السيكولوجي :

ولهذا البعد أثره في تحليل الظاهرة من خلال ممارستها؛ ومدى تمسكهم ببعض العادات المتعلقة بالموت، وذلك من خلال عوامل متعددة، منها: التنشئة والتقليد والاعتقاد في أدائها لوظيفة أو دور في حياتهم، كما أسهم هذا البعد في " دراسة الطابع القومي للشعب المصري كما يبدو في تراثه الشعبي" (١٢).

والتعرف على التأثير النفسي وما تصفيه الطبيعة الريفية على شخصية قاطني المجتمعات التقليدية، وما يتميزون به من سمات من عدوثة وود وكرم، وحنو وتراحم يظهر بوضوح في أوقات الأزمات "كالموت". كما ساعد على تحديد السمات الثقافية لهذه المجتمعات. وأدى استخدام هذه المناهج جميعها إلى جمع أبعاد الظاهرة، وتحليلها من خلال السياق الثقافي والاجتماعي الذي تدور فيه، إضافة إلى الكشف عن الأبعاد المتعلقة



بمشكلة البحث، كما أسهمت هذه المناهج في استخلاص النتائج بشكل يتفق مع الهدف من الدراسة .

#### رابعا- فترة العمل الميداني:

بدأ العمل الميداني في هذه الدراسة واستمر الاتصال بمنطقة البحث في الفترة من أكتوبر ٢٠١٢م إلى الانتهاء من كتابة هذه السطور في يناير ٢٠١٤م.

خامسا- القضايا النظرية للدراسة :

حاولنا اختبار قضايا نظرية "فان جنب" طقوس العبور<sup>(١٣)</sup> سواء في الجمع الميداني، أو تحليل وتفسير جوانب موضوعنا؛ هذا وتنحصر فيما يلي :-

تقوم قضايا هذه النظرية على وجود ثلاثة أنماط من الطقوس والاحتفالات تصاحب الانتقالات عبر المراحل المختلفة أو من عالم إلى آخر سواء أكان كونياً أم اجتماعياً . وتنحصر هذه الأنماط في :-

- طقوس انفصال، طقوس اندماج، طقوس انتقال .

وقد استعانت الدراسة بقضايا نظرية "فان جنب" Arnold Van Gennep (١٨٧٣-١٩٥٧)<sup>(١٤)</sup> كإطار نظري يتيح لها دراسة ظاهرة البحث والوصول إلى النتائج المرجوة.

وتقدم دراسة "فان جنب" منظورا مهما بخصوص طبيعة طقوس الموت في جوانبها الإنسانية: مضامينها و معانيها و تأثيرها. و الفكرة الجوهرية في نظريته هي أن كل الطقوس التي تتضمن مرورا أو انتقالا من حالة لأخرى، تشترك في بناء واحد تحدده الوظيفة الضرورية للانفصال عن مكانة واحدة وإعادة الإندماج في المكانة الجديدة، مع وجود فترة هامشية بينهما. ومن ثم أوضح أن للطقوس بدايات وأواسط ونهايات. وكان "جنب" هو أول من

(١٤) (\*) قام الباحث الأنثروبولوجي الفرنسي فان جنب بدراسة مقارنة لدورات الحياة في عدد من المجتمعات ففي سنة ١٩٠٩ نشر كتابه الشهير: شعائر المرور the Rites of passage أوضح فيه أن معظم المجتمعات لها طقوس تميز انتقال الأفراد من مكانة لأخرى، كما تناول فيه الطقوس الجنائزية أيضا.

انظر: Paul Ghiberti and Edger V. Whininess, Culture Anthropology (Philadelphia J.B : Lippincott Company, 1976, p.169

لاحظ مدى تماثل البدايات والأواسط والنهايات في مجموعة كبيرة من الطقوس، وأكد في ذلك أن هذه التشابهات ليست عشوائية، ولكنها جزء من ظاهرة عامة واحدة، وأن البناء أو الإطار العام الذي يشكل أساس مجموعة كبيرة من السلوك الطقوسي يرتبط بالوظيفة الاجتماعية لتعبئة ودمج الأفراد الذين ينضجون

ويكبرون ويموتون في ظل نسق محدد من الأدوار والمراكز المحددة ثقافياً، وتدل هذه الوظيفة على أن المجتمع يعيش ويستمر ويبقى على الرغم من اختفاء بعض أفرادها على مر الزمن<sup>(١٤)</sup>.

ومسح "فان جنب" لطقوس الموت في أنحاء العالم يركز على الطرق التي يسيطر بها هذا العنصر الانتقالي على النزعة الرمزية الجنائزية، ومن ثم تبدو رحلات البحث عن الماء و العوالم الأخرى مرارا وتكرارا، كما أوضح شيوع عنصر إعادة التوليد والنمو الذي جرى التعبير عنه في رموز الخصوبة الإنسانية والزراعية .

وقد أوضح فان جنب أن للطقوس الجنائزية أربع وظائف رئيسية هي:

أ- التصرف في الجثة وإعداد الروح لوجودها الجديد: والعنصر الأخير قد يتضمن تقديم الطعام والنقل للرحلة الروحية، كما هو الحال في عمليات دفن المصريين القدماء، أو كما هو الحال بالنسبة للعديد من القبائل الأفريقية الذين يعتقدون أن أرواح الموتى تستمر في نشاطها كمشاركة في شئون الحياة اليومية<sup>(١٥)</sup>.

ب- نقل تعبير الحزن وتقديم الدعم وتهدئة نفوس الأقارب وأصدقاء الميت، فالموت أزمة سيكولوجية يمر بها المحيطون بالميت، ولذلك تساعد الطقوس الجنائزية على تماسك الذين يعلنون الحداد، ومن ثم التكيف مع خسارة الموت.

ج- استعادة توازن العلاقات الاجتماعية للأحياء حيث يتم القيام بطقوس منظمة يعاد من خلالها توزيع الأدوار بغية استمرار المجتمع في البقاء .

(\*) (\*) وقد أشار الاخباريون انه منذ وقت غير بعيد كانت عادات الوفاة عند بعض السكان الريفيين والذين ينتمون إلى أصول صعيدية تبدأ بصراخ أهل البيت بأعلى صوتهم، وتقوم بعض النسوة بحمل العصى والتشويح بها في الهواء كتقليد قديم، كما يقمن بتعزية رؤسهن وتحزيم أنفسهن ويضعن الطين أو الرماد على رؤسهن ويأتى الرجال مسرعين ويقومون بالتعزية.



د- إعادة تأكيد المعتقدات والمعنى العام الذى تصفيه الثقافة على الحياة برمتها<sup>(١٥)</sup>.

فى بقاع مصرنا الحبيبة تختلف بالضرورة طقوس الجنائزات والمآتم من محافظة إلى أخرى، ومن قرية إلى قرية فى نفس المحافظة. رغم أنهم يجتمعون فى النهاية على رباط واحد وهو احترام قدسية الموتى. ولكن الشيء الأكثر شهرة فى معظم محافظات صعيد مصر هو "التعيد، والطم على الخدود والندب"، والذى تتباهى به النساء فى كل مآتم، حيث تبارى كل سيدة على حدة فى إبراز موهبتها فى اللطم والتعيد<sup>(١٦)</sup>. كما تضع نظرية طقوس العبور عدة محاور لدراسة الأنشطة المصاحبة لطقوس العبور، تتمثل فى: المحور الفولكلوري، والأنثروبولوجي، والسوسيولوجي.

وقد أسهمت هذه النظرية فى تحليل سلوك المحيطين بالميت وقت حدوث الوفاة وبعدها، وكيف يقومون بمساعدة المحتضر فى الانفصال من الحياة الدنيا بقراءة سورتي الرحمن والفاتحة له وتلقيته الشهادة، وكذلك تحليل سلوك المحتضر ووصاياه، حيث يشير جانب كبير من سلوك المحتضر ووصاياه إلى محاولاته الانفصال عن حياته الأولى.

#### سادسا- الدراسات الميدانية المقارنة:

لجأت دراستنا الحالية إلى تحليل ثلاث دراسات ميدانية تعرضت لعادات الموت من قرى المجتمع المصرى، وقد تم دراستهم فى مناطق مختلفة ومنذ حوالى ربع قرن. الدراسة الأولى: دراسة ( منى الفرنواني ) بعنوان: بعض ملامح التغير الاجتماعى والثقافى فى الريف المصرى كما تعكسه عادات دورة الحياة "دراسة متعمقة لقرية مصرية" لنيل درجة الدكتوراه ١٩٨٩<sup>(١٦)</sup>.

كان المجال الزمنى لهذه الدراسة ما بين عامي ١٩٨٥، ١٩٨٩ م. أما المجال الجغرافى لها فقد اختارت له الباحثة قرية " البراجيل " التابعة لمحافظة الجيزة. وتدور الدراسة حول عادات دورة الحياة: الميلاد والزواج والموت فى تسعة فصول. وقد اختص الفصل الثامن من الدراسة بعادات الموت وشمل الاستعداد للموت، والتجهيز للميت، والدفن والحداد. واشتمل الجزء الخاص بالاستعداد للموت على: استعداد الحي للموت والعلامات التى تنبئ بوقوع الموت، وسلوك المحيطين به قبيل وبعد الوفاة،



وإعلان الوفاة . كما اشتمل الجزء الخاص بالتجهيز للميت على: الغسل، القائم بالغسل، عملية الغسل، مخلفات الغسل، الكفن، النعش . أما الجزء الخاص بالدفن فقد اشتمل على: الجنائز، صلاة الجنائز، القبر، الدفن . ثم الحداد الذي احتوى على المأتم، واجبات العزاء، إقامة المأتم، قيود الحداد، مناسبات زيارة القبور، الزيارة نفسها، الرحمة .

وتعد دراسة ( منى الفرنواني ) من الدراسات الحديثة المتعلقة بموضوع البحث، وقد امتازت الدراسة بالدقة المنهجية، من حيث اعتمادها على دليل الجمع الميداني، كما تميزت بدقة جمع البيانات من خلال العلاقة الوطيدة - التي حرصت الباحثة عليها - مع الإخباريين، مما كان له أكبر الأثر في عمق ودقة النتائج التي توصلت إليها. بالإضافة إلى حرص الباحثة على إبراز ملامح التغيير في عادات الموت، والدوافع المؤثرة في هذا التغيير، واختلاف الممارسات المتعلقة بالموضوع باختلاف الطبقة الاجتماعية في مجتمع البحث .

وقد استفاد هذا البحث من هذه الدراسة من حيث مقارنة ماجاء بها عن عادات الموت والطقوس الجنائزية في قرية مصرية تقليدية والتعرف على مدى انتشار كثير من هذه العادات واستمرارها في مجتمع الدراسة "قرية العبور".

ولتوضيح بعض أوجه الاختلاف في بعض العادات لتعبر عن الخصوصية الثقافية لكل منطقة، خاصة وأن تلك الدراسة قد أجريت على قرية مصرية بعينها منذ أكثر من عشرين عاما. لتعبر عن السمات الثقافية المشتركة فيهما من ناحية، وسمات المجتمع المصري من ناحية أخرى.

الدراسة الثانية: دراسة (سميح عبد الغفار شعلان) بعنوان: الموت في المآثرات الشعبية ٢٠٠١ (١٧).

كان المجال الزمني لهذه الدراسة ما بين عامي ١٩٨٧، ١٩٩١ م . أما المجال الجغرافي له فقد اختار له الباحث " كفر الأكرم " التابع لمحافظة المنوفية.

وجاءت الدراسة في أحد عشر فصلا تناولت تحليل عادات الموت وتفسيرها في ثمانية فصول من "الفصل الثالث إلى الفصل الحادى عشر" حيث تناول الباحث في الفصل

الثالث دراسة العلامات التي تنبئ بوقوع الموت (الأحلام، سلوك الأحياء المنبأ بوفاتهم، سلوك بعض الحيوانات والطيور، وتناول في الفصل الرابع الوفاة وإعلانها والخامس التجهيز للدفن (الغسل - التلقين)، أما السادس فقد تناول فيه الدفن (النعش ومكملاته)، وفي الفصل السابع فقد تناول فيه العزاء (العزاء على القبور، العزاء على المآتم، العزاء في المناسبات)، والثامن زيارة القبور والرحمة (الزيارة ومحدداتها)، في الفصل التاسع والعاشر الحداد والقبور، والأخير عن التعديد (نماذجه والتدب).

وتعد دراسة (سميح شعلان) أحدث الدراسات المتعلقة بموضوع البحث، وقد امتازت الدراسة بالدقة المنهجية، من حيث اعتمادها على التكامل المنهجي ودليل الجمع الميداني، كما تميزت بدقة جمع البيانات وتحليلها من خلال السياق الثقافي والاجتماعي الذي تدور فيه الدراسة، كما أسهمت المناهج التي استخدمتها وعلاقته الوطيدة ومعرفته الشخصية للإخباريين، مما كان له أكبر الأثر في عمق ودقة النتائج التي توصل إليها.

وقد استفاد هذا البحث من هذه الدراسة من حيث مقارنة ماجاء بها عن عادات الموت والطقوس الجنائزية في قرية مصرية تقليدية، والتي أكد أن العديد من تلك الممارسات والطقوس تتمتع بثبات ممارستها مع جذورها المصرية القديمة، وذلك لقدرتها على أداء وظائف ثابتة، كما أكدت تلك الدراسة على مدى انتشار كثير من هذه العادات وتشابهها واستمرارها في مجتمع الدراسة "قرية العبور"، وقد أوضحت دراسة "سميح" بعض أوجه الاختلاف أيضا في بعض العادات المتعلقة بالموت في بين دراسته ومجتمع البحث في هذه الدراسة لتعبر عن حركة تطور المجتمع المصري من خلال انتشار الفهم الصحيح لتعاليم الدين الإسلامي، وكذلك انتشار وسائل الاتصال في اندثار بعض المفردات مثل ارتفاع الشاهد على القبر عن الأرض، طقوس التدب وحنان النساء من شق الجيوب ولطم الحدود ووضع الطين على الرؤوس كما ينطبق ذلك على المراثي الشعبية (التعديد)، بالإضافة إلى التخفف من قيود الحداد. وقد أجريت دراسة "سميح" على قرية مصرية بعينها في فترة زمنية تسبق هذه الدراسة بأكثر من عشرين عاما وفي منطقة تقليدية مختلفة.

الدراسة الثالثة: هي الدراسة الحالية "لقرية العبور" وقد قامت الباحثة بمقارنة ماتوصلت إليه دراسة كل من "منى الفرنوانى"، و"سميح شعلان". ودراستنا الحالية لمحاولة الوصول إلى السمات الثقافية التي تتسم بالثبات وتعد من سمات الشخصية المصرية. كما اتضح من خلال الاطلاع على التراث النظرى الخاص بقدماء المصريين فى عصر القراعنة؛ أنه لازالت تمارس إلى الآن بعض العادات والطقوس الخاصة بالموت مثل البكاء والطم، الملابس السوداء، رثاء الموتى إقامة المآتم والعزاء بعد أربعين يومًا... إلخ. الإجراءات المنهجية لمجتمع الدراسة:

أولاً- أسس اختيار مجتمع البحث :

وقد وقع اختيار الباحثة على قرية (العبور) بمحافظة الإسماعيلية مكانا لإجراء هذه الدراسة للأسباب التالية:

-تتسم هذه القرية بنوعين من الإنتاج هما الإنتاج الزراعى، وأهم محاصيله "المانجو" و الإنتاج الحيوانى "تربية الدواجن"، وهى السمة التي تشترك فيها هذه القرية مع المجتمعات الريفية التقليدية التي تنتج "محاصيل السوق، ذات العائد المادى المرتفع كنبات اقتصادى. الأمر الذى قد يسهم فى ثبات عاداتهم التقليدية المرتبطة بالحياة الزراعية التي اعتادوا عليها منذ القدم، والتي تظهر بدورها فى طقوس وعادات الموت.

-أن سكان هذه القرية يمثلون أنماطاً مجتمعية مختلفة، فالسكان الأصليون كانوا من الريفيون البدو، ثم انضم إليهم العديد من أبناء ريف صعيد مصر، وأبناء ريف دلتا مصر، وأصبح سكانها الريفيون يمثلون ثلاث بيئات مختلفة لكل منها عاداتها وتقاليدها المرتبطة بالموت والتي تختلف من مجتمع إلى آخر.

- قربها من العواصم الحضرية، حيث تبعد عن محافظة الإسماعيلية بمسافة ١٥ كم. كما أن بهذه القرية تنمية زراعية - وتكاد تكون البطالة معدومة، ففرص العمل فيها مفتوحة - وهو ما أدى إلى جذب الكثير من الأيدي العاملة من القرى والمحافظات المختلفة.



- وجود وسطاء من سكان هذه القرية أتاح للباحثة بالتعامل الطبيعي والتلقائي مع الإخباريين الذين على معرفة دقيقة بأحوال مجتمعهم اليومية والمعيشية في الإجابة بتلقائية عن الأسئلة المطروحة وسرد المزيد، مما يتعلق بالموضوع، كما سنشير إلى ذلك فيما بعد.

- إمكانية الإخباريين تحديد الأوضاع الطبقيّة لأفراد المجتمع من خلال معرفتهم الشخصية الدقيقة بهم، وكذلك معرفتهم للأسس التي بنيت عليها الجماعة- في منطقة البحث- حدود هذه الطبقات.

ثالثاً- النتائج التحليلية للدراسة الميدانية:

الملاحم الفيزيقية لمجتمع الدراسة: تقدم الباحثة فيما يلي موجزاً لمجتمع الدراسة "قرية العبور" توضح فيه الملاحم الفيزيقية لهذه القرية متضمناً موقعها ومساحتها ومواردها البشرية وأنشطتها الاقتصادية لبيان مدى تأثيرها على دورة الحياة الاجتماعية والثقافية السائدة فيها وارتباطها بالأنماط المعيشية وانعكاساتها على العادات والتقاليد المتعلقة بالموت لأهل هذه القرية.

الوصف الجغرافي للقرية :

تعد "قرية العبور" مركز القنطرة إحدى قرى شرق محافظة الإسماعيلية، يحدها من الناحية الشرقية البحيرات المرة، ومن الناحية الغربية محافظة الإسماعيلية، ومن الناحية الجنوبية قرية الأبطال، ومن الناحية الشمالية محافظة شمال سيناء، وتبلغ مساحتها الكلية ٣١٥٠ فداناً، فيها ١٥٠ قرية سكنية، تضم ٧٠٠ منزل، ٣٠٠ منزل من قبل الجمعيات و٤٠٠ مبانٍ سكنية خاصة، قام الأهالي ببنائها، وباقي المساحة ٣٠٠٠ فدان<sup>(١٨)</sup> تمثل زمام الأراضي الزراعية بها.

يوجد بقرية العبور مركز شباب واحد، يطلق عليه مركز شباب "قرية العبور"، ويتوفر به بعض الأنشطة مثل: لعبة كرة القدم، ألعاب جيم(حديد)، مكتبة للإطلاع فقط للأطفال من ١٣:١٠ سنة. ويوجد بالقرية محل "سيبر كافية" واحد لألعاب وخدمات الكمبيوتر، ومنضدة للعب البلياردو. كما يوجد بها معهد أزهرى ابتدائي واحد، ومدرسة تعليم أساسي تسمى "العاشر من رمضان".

الموارد البشرية للقرية: يبلغ تعداد القرية ٥٥٠٠ نسمة وفقا لتقرير الجهاز المركزي للتعبئة والأحصاء ٢٠١٠ نسمة ويمثلون ٧٠٠ أسرة ومتوسط أعداد كل أسرة من ٧ إلى ٨ أفراد.

النشاط الاقتصادي للقرية: يمثل النشاط الزراعي أهم الأنشطة الاقتصادية في القرية، يليه تربية المواشى وأهم الحيوانات الماعز الخراف والماشية وتربية الدواجن حيث توجد "عشش" الدواجن في معظم المنازل، بالإضافة إلى مزارع الدواجن البيضاء المنتشرة بأحاء القرية بأسعار منخفضة عن سعرها خارج القرية، وأهم المحاصيل الزراعية محصول المانجو، الزيتون والليمون والبذاء - حيث يعتبر محصول البذاء من أجود أنواع البذاء (بدون حبوب) وتصدر للخارج - بالإضافة إلى زراعة القمح، والذرة، البرسيم، والكسبرة، والنظام الزراعي في قرية العبور من الأنظمة الاقتصادية الاجتماعية التي تعكس الكثير من القيم والتقاليد الريفية، منها قيمة المشاركة والتضامن والتكافل، وحسن الجوار، فنظام "الزمالة" ويعنى مشاركة ومساعدة الآخرين في العمل الزراعي دون مقابل، خير مثال على ذلك. وقد يخرج الرجل أو المرأة كأجراء باليومية للعمل في أرض الغير، ولكن عندما يكون هذا "الغير" صديقا أو جارا أو من الأهل يصبح العمل بلا أجر؛ لأن دوافع العمل في هذه الحالة تختلف، فهي دوافع المحبة والمشاركة وهي من قيم القرية المصرية.

كما يوجد مخبز بلدى واحد، ومطاحن أهلية لطحن الدقيق، بالإضافة إلى "مخابز" أهلية - "فرن فلاحى" لعمل الخبز - وهي منتشرة في غالبية المنازل، فلا توجد أزمة خبز في هذه القرية، ويوجد محلان بقالة تموينية، بالإضافة إلى مبنى ماركت واحد، وخمسة محلات فول وطعمية، وشركة كبيرة تسمى "شركة الهدى للفاكهة والخضروات" ومصنع ملحقا بها، حيث تقوم هذه الشركة: بزراعة أشجار الفاكهة وجميع أنواع الخضروات في عدد من الأفدنة التابعة لها، ومالك هذه الشركة والمصنع رجل مصرى له شريك أجنبى، ويعملان بالاستثمار والتصدير لهذه المنتجات، حيث يشرف على أعمال الزراعة والتصنيع والتعليب لهذه الشركة أجنبى، وهم يعتمدون على الأسمدة الطبيعية " العضوية" غير الصناعية فى الزراعة، لذا تتميز منتجات الشركة بالجودة العالية وحسن المذاق والإنتاج الوفير.



وهذه الشركة توفر فرص عمل كثيرة لغالبية الشباب بالقرية، وتوفر فرص عمل أيضًا بهذه الشركة للأطفال من سن ١٢:١٥ حيث تبلغ يومية الطفل ٣٥ جنيه في اليوم، وبالنسبة للشباب من الذكور ٤٥:٥٠ جنيها يومياً، والفتيات ٤٠:٤٥ جنيه يومياً، كما تفتح هذه الشركة أبوابها "فرص عمل" لغير أهل القرية، وذلك بالاستعانة بالمزارعين "الفلاحين" و"العمال" من القرى المجاورة والمحافظات الأخرى، حيث يوجد بها مصنع لتغليف وتعبئة الخضروات والفاكهة. وتمتص القرية بمحطة مياه تضخ ٣٠م<sup>٣</sup>/الساعة. وجمعية تنمية المجتمع.

شكل المنازل: تتشابه شكل المنازل إلى حد كبير جدًا، حيث وزعت المحافظة على أسر وأهالي هذه القرية قطع أرض زراعية مساحة كل منها ٥ أفدنة لكل أسرة، مُقام عليها غرفتان وحوش كبير، والغالبية العظمى من أسقف هذه المنازل مصنوع من الخوص والبعض الآخر مصبوب مسلح، أما دورات المياه فهي مصبوبة "مسلح"، وأمام كل منزل مسطح ٢م<sup>١٧٥</sup> أرض فضاء، وحول هذا المبنى وقطعة الأرض الفضاء سور يحيط بها من الطوب الأسمنتي، وإذا رغب أحد السكان في توسيع منزله، يمكنه الاستفادة من الـ ٢م<sup>١٧٥</sup> الفضاء كما يشاء، وبالقرية بانيان حكومي وحيد و قديم تابع لهيئة تعمير الصحارى.

يعتمد سكان القرية في غذائهم على لحم الطيور، حيث يوجد لديهم اكتفاء ذاتي من لحوم الطيور، والذي لايقوم بتربية الدواجن من سكان القرية يشتري من دواجن المزارع فهي متوفرة ورخيصة الثمن، والفائض من هذه الطيور يأتي تجار الجملة لشرائه ويقوم بتوزيعه وبيعه في المحافظات الأخرى.

واقصاد قرية العبور يقوم أساسًا على محصول المانجو، فأى مناسبة من المناسبات(خطوبة، زواج، بناء المنازل، شراء سيارات ) يتم بعد جنى محصول المانجو، والمهنة الأساسية للغالبية العظمى من سكان القرية هي الزراعة - فالذين يملكون أراضي زراعية يعملون بالزراعة في أراضيهم، والذين لايملكون: يزرعون في أراضي الغير من أثرياء القرية "ممن يملكون فدادين مزروعة بالمانجو، أوفى أراضي شركة الهدى للخضروات والفاكهة، أو يزرعون تحت إشراف الملاك الذين اشتروا أراضي في القرية من المحافظات المجاورة الأخرى.



أهم الحيوانات: الخراف والماعز والماشية ويعتمدون في غذائهم على الطيور كما سبق الذكر.

سوق الأحد: يقام سوق الأحد في قرية مجاورة لقرية "العبور" تسمى قرية "الأبطال" حيث يقوم أهالي القرية بشراء مايلزمهم من أغذية، لحوم ( أغنام، جمال، ماشية)، جميع الخضروات والفاكهة، الملابس، وكل ماتحتاجه العرائس من جهاز وأدوات كهربائية.

أصل السكان وشكل الأسرة: مجتمع القرية كمجتمع تقليدي يتسم بأنه مجتمع مستقر ومتوازن بحيث يحصل كل فرد فيه ماله من حقوق في مقابل ما يؤديه من واجبات وما يلتزم به من مسؤوليات ومن ثم يحدد سلوكه على هذا الأساس وفي ذلك الإطار. كما أن الأدوار في هذا المجتمع تكون واضحة المعالم ومحددة ومحقة لتوازن العلاقات الاجتماعية و التفاعل بين الأفراد<sup>(١٨)</sup>. سكان قرية العبور الأصليين من البدو، انضم إليهم إناس من الصعيد والريف؛ ولأن البدو لهم عاداتهم وتقاليدهم وخصوصياتهم (مثل الزواج من الأقارب فقط، وتعدد زوجات، ونمط الأسرة هو "الأسرة الممتدة" **traditional extended family**) بينما الأسر ذات الأصول من الريف وصعيد مصر فهي "أسر نووية" **nuclear family**، وخاصة بين الأزواج المتعلمين الذين يفضلون الاستقلال بحياتهم وتربية أولادهم بأسلوب "حديث" يروونه أفضل من الأسلوب الذي نشأوا في ظله

وعلى الرغم من انتشار شكل الأسرة النووية إلا أن الشكل التقليدي للأسرة الممتدة مازال قائما خاصة بين الأسر غير المتعلمة وإن طرأ عليه بعض المتغيرات - فينون في محيط الخمس أفدنة التي خصصتها المحافظة لكل أسرة - أما البدو فيعشقون العيش في أماكن ومساكن متسعة، لذلك تركوا وسط القرية للقادمين من الريف وصعيد مصر. وهم يعيشون في أطراف القرية، وبنوا بيوتهم على مساحات واسعة.

والأسرة في قرية "العبور" تقوم على تقسيم العمل طبقا للجنس والسن. فتقوم نساء الأسرة فجرا بعملية العجن والخبز، بينما يكاد يكون شراء الخبز من "الطابونة" في أضيح الحدود. كما تمتلك معظم الأسر غسالة كهربائية، مما سهل عملية غسل وتنظيف الملابس، وتلتف الأسرة كلها لمشاهدة التلفاز "القنوات المحلية فقط أما الفضائية فمحرمة

عادات الموت في مجتمع الدراسة

## أولاً- الاستعداد للموت:

سنتناول فيما يلي الاستعدادات التي يقوم بها أهل المتوفى استعدادا للموت. فهناك علامات يمكن الاستدلال منها على قرب حدوثه، وذلك علاوة على سلوك الميت "المحتضر" والمحيطين به قبل وبعد الوفاة.

## استعداد الحي للموت:

تتضمن الاستعدادات للموت في مجتمع الدراسة جانبين الأول: يشمل الاستعدادات المادية والثاني: يتضمن الاستعدادات الروحية.

## أولاً- الاستعدادات المادية؛ وتمثل في:

تجهيز الكفن: و يتكون من: ٢ سترة من القماش أحدهما قطعة قماش كبيرة ومستطيلة من "البفتة"، والأخرى قطعة توازيها في الحجم من الستان "الأبيض والأخضر" أما سترة المرأة "الكفن" يتكون من جلباب و طرحة باللون الأبيض.

ويعد الاستعداد للموت بشراء كفن من أهم المستلزمات التي كان يتم الحرص عليها. توجد جمعية تسمى "جمعية دفن الموتى" بمجتمع الدراسة، يديرها شخص تم ترشيحه من قبل أهل القرية، وهو يتمتع بالأمانة والنزاهة وحُسن السمعة، حيث يقوم بجمع عشر جنيهاً شهرياً من كل منزل بالقرية، وتخصص هذه النقود لحالات الوفاة في القرية، وأحياناً بكفن أيضاً للمتوفى يعطى لأهله في حالة الموت فجأة أو عدم المقدرة، على أساس أن يقوم "أهل المتوفى" بعد ذلك بشراء كفن آخر بدلاً منه، وفي حالة عدم المقدرة لايلزم<sup>(٥)</sup>.

- شراء قطعة أرض خارج القرية في "المنطقة السادسة" وهي مخصصة للمدفن وتبعد عن مجتمع الدراسة بحوالي ١٥ كيلو متر.

## ثانياً- الاستعدادات الروحية وتمثل في:

- الوضوء والصلاة قبل النوم خوفاً من الموت المفاجيء.

(٥) ويوجد جمعية أخرى لمساعدة المرضى بالدواء، وبالنقود حيث تقوم كل أسرة بدفع مبلغ على حسب مقدرتها المالية. وتشرح أحد المبحوثات كيف أن شخصاً مريضاً يعاني من "قصور في وظائف الكليتين" ويحتاج إلى عملية نقل كلية بتكلفة ١٠٠ ألف جنيهاً، تم جمع المبلغ اللازم لإجرائها من الأهالي وأجريت له العملية. وهذا يظهر مدى التعاون والتألف بين أهالي القرية على الرغم من ضعف أحوالهم المادية.

- استرضاء من يشعر المحتضر أنه قد أخطأ في حقه.

الوصية: إذا أحس المتوفي قبل وفاته أنه مقبل على الموت أو كان كبير السن يقوم

بتوصية الابن الأكبر أو الأخ الأكبر بوصيته وتعبير سلوكيات المحتضر ووصاياها

أنه يحاول من خلالهما الانفصال عن المجتمع الذي كان يعيشه، حيث أظهرت

الدراسة الميدانية أن سلوك المشرف على الموت أو المحتضر يمكن أن ينقسم إلى سلوك

انفصال وسلوك اندماج ويشير سلوك الانفصال: إلى مجموعة من السلوكيات

تهدف إلى انفصال الميت قبل الوفاة مثل البوح بأسراره ووصاياها، طلب الأحبة

والشعور بشهية غير عادية للطعام، ويرون أن المريض عندما تحدث له هذه الحالة تهدف إلى

انفصال الميت قبل الوفاة مثل البوح بأسراره ووصاياها، طلب الأحبة والشعور بشهية غير عادية

للطعام، ويرون أن المريض عندما تحدث له هذه الحالة

بأنها "صحوة الموت". وسلوك الاندماج: وهو يشير إلى مجموعة من السلوكيات

تهدف إلى إدماج الميت بعد الوفاة بصورة طيبة في حياته الآخرة مثل: الندم وطلب

المسامحة ممن ظلمهم أو تخاصم معهم، الوضوء قبل الموت تمهيدا للقاء الآخرة (و يقتصر

هذا السلوك على الأتقياء و الصالحين) وهذا السلوك من الناس يتيح لهم اندماجا طيبا في

الحياة الأخرى.

- وتتفق الاستعدادات الروحية للموت مع ما أشارت إليه دراسة كل من "منى

الفرنوانى" ١٩٨٥، ودراسة "سميح شعلان" ١٩٨٧ في مجتمعي الدراسة من حيث الوضوء

والصلاة قبل النوم خوفا من الموت المفاجيء، استرضاء من يشعر المحتضر أنه قد أخطأ في

حقه. وما تعبر عنه سلوكيات المحتضر ووصاياها وخاصة بالنسبة للمرضى، وقد أشارت "منى

الفرنوانى" بأنه في قرية البراجيل التي قامت بدراستها توجد "جمعية تسمى "جمعية الموت"

- وهي تشبه "جمعية دفن الموتى" بقرية "العبور" تدفع فيها كل أسرة من المجتمع عشرة

قروش شهريا- والاختلاف في الاشتراك الشهري يرجع إلى اختلاف قيمة العملة للفارق

الزمنى- يستطاع من خلالها توفير ما يكفى تكاليف حالة الموت لدى أحد أفراد القرية. ولم

يشر "سميح" إلى وجود مثل هذه الجمعيات فى "كفر الأكرم"، ولكن أشار أن النعش مملوك



للجماعة، ويتم من خلال التبرعات، وفي بعض الأحيان يتولى أحد الأثرياء الأنفاق على عمل النعش طلباً للشواهد.

- وهذا يؤكد سمة من سمات المجتمعات الريفية التقليدية وهي التعاون والتضامن ورقة المشاعر والتآزر وقت الشدائد.

كما تتفق نتائج دراستنا حول الاستعداد للموت مع نتائج دراسة كل من "منى الفرناوي"، و"سميح شعلان" في الجانبين المادى والروحي مع اختلاف طفيف فى الإجراءات الشكلية فقط مع تطابق المضمون، وقد يشير هذا الاتفاق إلى مدى ثبات هذه الاستعدادات، على الرغم من اختلاف الأماكن والأزمنة التى تمت فيها دراستهما.

العلامات التى تنبأ بوقوع الموت:

هناك علامات أجمع عليها المبحوثون فى مجتمع الدراسة تحدثت قبل الموت.

١- العلامات الفيزيائية: وتظهر هذه العلامات فى الأغلب على المرضى ومن هم على فراش الموت، حيث يتبأ المحيطون بالمريض بموته، ومن هذه العلامات الرغبة فى أكل نوع معين من الطعام مثل البطيخ أو العنب الأرز باللبن.... إلخ. اضطراب نظرة العينين، الشخير بصوت مرتفع ومتصل (حشرجة الموت). مع إحمراء الوجه وذرف دموع من عينيه، وعرق بالجبين والدخول فى غيبوبة. وفى بعض الحالات يرون الموتى و البعض الآخر يرى ملائكة على شكل أطفال صغيرة يقدمون لهم أنواع من الطعام والفاكهة. وبعض الأقوال التى تصدر عن المحتضر بقرب ساعة وقوع الموت.

٢- العلامات الروحية: ومن العلامات التى تنبئ بحدوث الموت فى مجتمع

الدراسة:

- نهيق الحمام أو طائر البومة عندما يحوم حول المنزل.
  - كلب يعوى عواء متصلًا.
  - أحلام ورؤى تفسر بأن أحد أفراد العائلة سينتقل إلى رحمة الله.
- و إذا توفي الميت ليلاً يبدأ بتلثيمه ثم خلع ملابسه التى يرتديها و ترك جلباباً واحداً فقط لتسهيل عملية خلع الملابس أثناء الغسل، و يتم عمل تمارين بعد الوفاة مباشرة لكي يظل الجسم مرناً، وذلك بتحريك أطرافه( تكرار فرد وثنى الذراعين والساقين)، ثم يقومون

بتشغيل شريط للقرآن الكريم على جهاز التسجيل بجواره . ويقوم أهله وأقاربه بتقبيله - قبل تغسيله - بقبلة الوداع .

وتتفق دراستنا مع دراسة كل من "منى الفرنواتى"، و"سميح شعلان" فى العلامات التى تنبئ بحدوث الموت مثل رؤيتهم بعض الأحلام التى تشعرهم بقرب المنية. إلا أنه تختلف الأحلام المنبئة للموت من حيث الرموز والدلالات، ولعل ذلك يرجع إلى اختلاف الحالم ذاته، وقدراته المعرفية المرتبطة بعمره، وحظه من المعرفة، وكذلك علاقته بالميت، وتتدخل البيئة فى تحديد هذه الرموز وطبعها بطابع يتفق مع طبيعتها، من حيث التصورات والمعتقدات التى تدور حول علامات الموت فى المجتمعات التقليدية السابقة الذكر. مما يدل على إيمان الشخصية المصرية بالغيبيات والروحانيات وبالخرافات وتأثرها بالثقافة الشعبية وتراثها الاجتماعى بمختلف طبقاته الاجتماعية و مستوياته التعليمية المتنوعة.

ويقول عباس العقاد: " لقد شاع عن المصريين أنهم أتقياء إلى حد الحماسة، يؤمنون بقضاء الله المطلق فى الخير والشر، ولقد أدى بهم تدينهم إلى الإيمان الكامل بالقدرية والقدر وانتظار الغيب وقلة استعجال المقادير"<sup>(١٩)</sup>

وتتفق نتائج دراستنا مع نتائج دراسة كل من "منى الفرنواتى"، و"سميح شعلان" من حيث العلامات الفيزيقية التى تدل على قرب خروج روح المحتضر، وكذلك رؤية المحتضر لأقاربه الموتى. كما أن ثبات تلك العلامات الفيزيقية يتدعم من حيث وجود سند له فى الشريعة الإسلامية متمثلاً فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "المؤمن يموت بعرق الجبين"، وكذلك روى عن سلمان الفارسى انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أرقبوا للميت عند موته ثلاثاً " إن رشحت جبينه وذرفت عيناه وانتشر منخراه، فهى رحمة من الله قد نزلت به، وإن غط غطيط البكر المخنوق وخمد لونه وأزبد شدقاه"<sup>(٢٠)</sup>، وقد يشير إلى ثبات هذه العلامات وانتشارها فى المجتمع المصرى.

#### إعلان الوفاة:

يتم إعلان الوفاة فى مجتمع الدراسة عن طريق مسجد القرية أو سيارة بها ميكروفون تدور على البيوت، يذاع منها، "إنا لله و إنا إليه راجعون" وكل نفس ذائقة الموت: انتقل إلى رحمة الله "فلان ابن فلان" والد كل من "فلان وفلان" .. وعم".....و....."، ويذاع



أسماء المشهورين من العائلة، و"الدفنة" بعد الصلاة ظهرها أو عصرا (حتى لا يدخل المقابر ليلا). هذا بالنسبة لسكان منطقة البحث من أصل ريفي وبدوي، أما سكان منطقة البحث التي يرجع أصولها إلى الصعيد، فيكون إعلان الوفاة عن طريق الصراخ والوعويل الذي يصدر من بيت أهل الميت، وينقل الخبر من بيت إلى بيت عن طريق أحد أقارب الميت. وهذا يدل على تمسك أهل الصعيد بعاداتهم من صراخ ووعويل بالرغم من تحريم الدين الإسلامي لذلك السلوك. وهذا ما أشارت إليه "منى الفروناني" بأن الصراخ والوعويل (بعد حدوث الموت) هو الطريقة الأساسية لإعلان حدوث الموت بالإضافة للإعلان عن طريق مكبر الصوت- إلا أنه تلاحظ اختفاء دور المعددة (حيث كان التعديد على الميت منتشرا في صعيد مصر منذ وقت غير بعيد) مما يدل على أن بعض العادات بدأت تتضاءل وأصابها التغير وخاصة العادات السيئة مثل "التعديد". أما "سميح شعلان" فقد اختلفت أساليب إعلان الوفاة في دراسته، فقد أشار إلى تعدد أساليب الإعلان عن الوفاة ( صراخ النساء ووعويلهم- إعلان بالصحف اليومية-الاتصال التليفوني-النجاب" وهو شخص يجوب القرى المختلفة ويخبرهم بالوفاة").

ولعل الاختلاف في بعض التفاصيل التي يتم بها الإعلان قد تشير إلى بعض السمات المميزة لكل منطقة، كما يشير تعدد أساليب الإعلان عن الوفاة على أنه اتجاه نحو التغير في كثير من المجتمعات المصرية.  
ثانيا- التجهيز للدفن:

بعد حدوث الوفاة والإعلان عنها يجهب منزل المتوفى لاستقبال المعزين ويفرش الحصر بفناء المنزل، ويقوم الأقارب و الجيران بإعداد الطعام وإحضاره لمنزل المتوفى، كما يجهب القبر من قبل بعض شباب القرية، حوالى ثلاثة أو أربعة أفراد تتوافر فيهم الخبرة والقدرة الجسدية اللازمة لأعمال الحفر التي يقومون بها، ولا يتم استئجار الشباب القائمين على الحفر ودفن الميت؛ لأنهم يعتبرونه عملاً تطوعياً وواجب ويتفون رضاء ذويهم وأقاربهم من سكان القرية. ويمكن القول بأن العلاقات الاجتماعية في هذه المواقف تتجلى بصفتها التضامنية، وتظهر في أعظم صورها في أمور تجهيز الميت، وهو أمر يسهم في المزيد من الترابط والمشاركة الاجتماعية.



وجدير بالذكر أن أهل الميت يحرصون على أن يكون تجهيز الميت من ماله الخاص، أما في حالة موت الفقير فيتم تجهيزه من خلال التبرعات التي تم جمعها من خلال جمعية "دفن الموتى" التي أسهم أهل القرية في إنشائها، وتمويلها باشتراك شهري. وتتفق نتائج دراستنا مع نتائج دراسة "منى القرنواني" والتي تدور حول اهتمام أهل الميت بالإسراع في تجهيزه من أموال الميت، وفي حالة عدم الاستطاعة تقوم الجمعية بتزويد أهل الميت بالنعش الذي يحمل فيه، وكذلك الكفن.

الغسل: يشير بعض الإخباريين بمجتمع الدراسة بأنهم كانوا إلى وقت قريب جدًا يحضرون برسيمًا أو خف ذرة ويفرشونها للميت<sup>(١)</sup>، ويستعينون بمُغسل وهو شخص من أهل القرية يكون حافظًا لآيات القرآن وللأدعية الدينية للقيام بتغسيله، وأثناء عملية التغسيل يرتدى في يديه كيسا للوضوء وآخر للغسيل حتى لا تلمس يديه الجثة، وفي حالة عدم وجوده يقوم أحد أقربائه المقربين بتغسيله، ولو المتوفى سيدة تقوم واحدة من القرية بتغسيلها وهي غالبًا ما تكون ممن تحفظ القرآن وأدعية للميت وتدعو لها، وباقي الحاضرات من السيدات يرددون وراءها الأدعية. ويوضأ المتوفى وضوءًا كأنه سيصلي، وبعد الوضوء يُمنع تقبيل المتوفى. ويتم ربط الرباط من أعلى الرأس ورباط في منطقة الوسط ورباط يربط الرجلين معا. مع عدم ظهور أى عورة "سواء للرجل أو المرأة"، أما الآن يقومون بهذه العملية في السرير الذي فاضت روحه عليه...

يُحضر للغسل ليفة وصابونة و عطر، ويوضع عطر في الماء الذي يُغسل به المتوفى، وقبل الغسل توضع الحناء على جثة الميت ثم يتم الغسل ويكفن بخمسة عشر ذراع من القماش الأبيض. ثم يحمل المتوفى على الأعناق حتى المدافن وهم صامتون

(١) وفي الباجندا بأفريقيا لديهم معتقدات نحو المتوفى فعلى أرملة المتوفى وأخوته يقومون بغسل الجثة بعصارة نخاع سيقان الموز، ثم لف الجثة بعد ذلك في قماش لحاء الشجر مع ترك الوجه عارياً، ثم وضعه في الفراش في حجرة في وسط المنزل من الداخل وتجميع العائلة والأصدقاء والجيران في المنزل. ويقام أرملة المتوفى وبناته لعدة شهور لا يغسلن شعورهن ولا يقمن بقص هذه الشعور ولا أظافرهن ولا بد أن ينمن على الأرض في المساء، ولا يتم أى اتصال جنسى بينهم وبين أزواجهن وكذلك فإن أبناء المتوفى لا يقصرون شعورهن.

ومن بين المعتقدات التقليدية في الباجندا بأفريقيا تقديم التضحيات والقرابين للميت وبناء كوخ صغير في حديقة المنزل لسكنى روح المتوفى.

(٢) عبد العظيم بدوى محمد البرماوى: التغير الاجتماعى عند الباجندا "دراسة أنثروبولوجية عن تغير مجتمع تقليدى"، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، قسم الأنثروبولوجيا، إشراف د. أحمد أبو زيد ١٩٨٧.

ولا تذهب النساء معهم، وبعد الدفن تقرأ للمتوفى الصمدية أحد عشر مرة، ثم الفاتحة والدعاء بالرحمة، ثم يتم تعزية أهل المتوفى عند الجبانة. والعزاء يكون لمدة ثلاثة أيام، وربما أكثر من هذه المدة عند البعض، بينما كانت قى الزمن الماضى تمتد إلى سنة كاملة.

بعد الغسل، ووضع جثة المتوفى فى العش وقبل الدفن وصلاة الجنازة تنحر الذبيحة ويطلقون عليها "الونيسة" عند خروج الميت من داره، وذلك أمام العش ويطعم منها الفقراء والمساكين ولا يجوز لأهل المتوفى الأكل من لحمها حتى تكون خالصة للفقراء والمساكين، اعتقاداً أن هذه الذبيحة تؤنس روح الميت فى قبره وثواب توزيع لحمها يكون خالصاً له فى ميزان حسناته وفقاً لنية فعلها، والله أعلم، ولكن هذا ما يعمل كمتعقد لدى البعض وليس الكل من أهل القرية أى من القادرين مادياً على ذلك-والذبح على روح الميت لها جذورها التاريخية ترجع إلى عهد الفراعنة حيث كانت تقدم كقرابين للآلهة.

وقبل الدفن تتم صلاة الجنازة، ثم يحمل إلى المقابر، و يدفن فى اللحد (القبر)، ويتم فك الأربطة رباط الرأس أولاً، ثم يقومون بوضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن، وبأقى الكفن كما هو. وهم يحاولون أن يبعدوا الكفن عن وجه المتوفى- اعتقاداً منهم أنه عندما تنتفخ جثة المتوفى ويأتى الكفن على وجهه، يؤدى ذلك إلى أن يأخذ الكفن باقى العائلة وراءه - ثم يقومون بدم التراب عليه، و يُرش اللحد بالماء، ويزرع نبات الصبار الأخضر، اعتقاداً منهم بأن النبات الأخضر يجعل تربته رطبة، ويُخفف عن ذنوبه، ثم يقومون بالدعاء له...، ثم العودة إلى بيت المتوفى لاستقبال المُعزين. و إذا توفي الميت ليلاً يبدأ بتلثيمه ثم خلع ملابسه التى يرتديها وترك جلابباً واحداً فقط ليسهل عملية خلع الملابس أثناء الغسل، ثم يقومون بتشغيل شريط للقرآن الكريم على جهاز التسجيل بجواره. ويقوم أهله وأقاربه بتقبيله -قبل تغسيله- بقبلة الوداع .

نجد أن هذه العادات المرتبطة بطقوس الوفاة لها صفة الثبات والاستمرار فى الثلاث مجتمعات التى تمت دراستها من حيث الاعتقاد بوضع نبات اخضر فى اللحد يؤدى إلى تخفيف الذنوب، وقراءة القرآن الكريم لوجود روح الميت مازالت موجودة فى مكان الوفاة، وهى تدل على إيمان المصريين بوجود حياة أخرى، وإعداد الروح لوجودها الجديد والإندماج فى المكانة الجديدة، وأن كل الطقوس التى تتضمن مروراً أو انتقالاً من حالة لأخرى، تشترك

في بناء واحد تحدده الوظيفة الضرورية للانفصال عن مكانة واحدة، وتدل هذه الوظيفة على أن المجتمع يعيش ويستمر ويبقى على الرغم من اختفاء بعض أفراده على مر الزمن. كما يدل ذلك على عمق التدين لدى الشخصية المصرية وإيمانها بوجود حياة أخرى.

#### مخلفات الغسل:

- يُحتفظ بالليفة التي يُغسل بها الميت بل يُحرم إلقاؤها (رميها)، وتُستخدم عند الحاجة لها وذلك في حالتين - الأولى: أن تستحم بها واحدة تأخرت في الإنجاب (مكبوسة)، أما الحالة الثانية: أن تستحم بها الأم التي جف لبنها "المرضعة" لكي يستمر اللبن في إدراره مرة ثانية، وتفك كبستهما على حد قولهم.

- ومياه الغسل محظور أن يضع أي شخص يده فيها (فال سيء)، وإذا حدث لابد من استبدالها في الحال، ويوضع المسك في ماء الغسل، وكذلك بعد الغسل ممنوع أن يرى أحد المتوفى.

- يحظر الاستغناء عن سترة المتوفى التي كان يرتديها قبل الغسل، فيقومون بتقسيمها وتوزيعها على أبناء المتوفى للذكرى.

- توجيه الأسرة نحو سلوك معين بعد الوفاة مثل منع الصراخ بعد حدوث الموت، أو التحذير من قلع الذهب (حيث كان قلع الذهب من دلالات الحزن فيما مضى نظرا لكون ارتدائه يعد من أمور التزين).

- وتتفق نتائج هذا البحث مع نتائج دراسة "منى الفروناني"، و"سميح شعلان". حيث تشير إلى الاعتقاد في جدوى المياه المتخلفة عن الغسل في علاج العقم عند النساء، وكذلك إلى قدرة المغسلة على علاج العقم من خلال نزول العاقر من تحت ماء الغسل. وقد يعزو هذا الاتفاق في الاعتقاد رغم اختلاف المناطق التي تمت فيها الدراسة الميدانية لكلا الدراستين، إلا أن انتشار هذا الاعتقاد بين هذه المجتمعات التقليدية المصرية يمكن اعتباره محددًا ثقافيًا وسمة لدى هذه المجتمعات. كما أنها تعبر عن وجود بعض التناقض في الشخصية المصرية، فعلى الرغم من تدينه فهو يؤمن بالخرافات، واللجوء للدجالين في علاجهم لأمراضهم، وهي من السمات التي تؤدي لعدم اللحاق بركب التقدم. وبعض أهالي الريف تقوم بتقسيم الميراث وتوزيع ما يملكون في حياتهم "قبل الموت"، والبعض الآخر



يقسم أملاكه" بعد الوفاة" بالنسبة للأهالي الذين من أصل "ريفى" يقسم الميراث حسب الشرع، أما الأهالي الذين من أصول "صعيدية أو بدوية" تقسم الأملاك عادة على الأبناء والأخوة الذكور فقط، أما الإناث فيقومون بإرضائهم ببعض النقود، ويرجع ذلك لتفضيلهم الذكور على الإناث، وخشية أن تقسم الأرض أو تذهب إلى أحد خارج الوحدة القرابية.

ومن ثم تبدو العوامل الاقتصادية المرتبطة بالوفاة والتي تبدو أيضا في صورة التهادى والتبادل الذى يتخذ شكل إخراج صوانى الطعام أيام العزاء من منازل الأهل والجيران لمساعدة أهل المتوفى وللتخفيف عنهم.

وتعكس تلك العوامل والرموز الاقتصادية ملامح شعائر ومرحلة الاندماج، فهى تهدف إلى إعادة توافق أفراد المجتمع مع الأزمة الحياتية التى واجهتهم.

كما أوضحت الدراسة الميدانية أن بعض الناس فى مجتمع البحث يوصون قبل موتهم بدفنهم مع شخص محدد قد توفى من قبل. وغالبا ما يكون الأب بالنسبة للرجال، والأم بالنسبة للنساء؛ وذلك بدافع المحبة الخالصة التى تدفع إلى حسن الاستضافة فى العالم الآخر، كما تشير هذه الوصية إلى اعتقاد المشرفين على الموت بأن حياتهم الأخرى ستكون على شاکلة الحياة الأولى من العلاقات وطيب المكان.

كما أجمع الأخباريون أن بعض الناس يوجهون وصيتهم بضرورة قراءة الفاتحة على روحهم. والوصية هنا بقراءة فاتحة الكتاب تساعد المتوفى على الاندماج مع حياته الجديدة داخل القبر حيث لا ظلام ولا عذاب.

وحرص المحتضر على أن يوصى ببعض الوصايا للمقربين إليه قبل موته، فى المجتمعات التقليدية الريفية الثلاثة، وكذلك قيامه ببعض الأعمال. ذلك الاتفاق يشير إلى محاولات المحتضر الاندماج فى الحياة الأخرى والانفصال عن الحياة الأولى. وعلى الرغم من هذا الاتفاق إلا أن هناك اختلافا فى بعض الوصايا تتناسب مع الخصوصية الثقافية لكل منطقة.

ومساعدة المتوفى على الرحيل والانتقال إلى العالم الآخر ترتبط هذه فى مجتمع الدراسة بالقيم والشعائر الدينية وتمثل فى العادات والشعائر الهامشية المتعلقة بالوفاة

كتسهيل طلوع الروح، وتلاوة الشهادة من الحاضرين، والممارسات التي تتم بعد وفاة المتوفى "الكفن، صلاة الجنائز"، أما شعائر الاندماج فتتمثل في عادات الدفن وتلقين المتوفى. الديون: في حالة وجود ديون على الميت يتم سدادها قبل الذهاب به إلى المقابر، حيث يصيح ابن المتوفى في "ميكروفون الجامع" بعد صلاة الجنائز، قائلًا: "إذا كان هناك أحد له فلوس عند والدي يأتي وأنا أسددها له". ويرجع ذلك لإيمان الإنسان المصري بالحساب والعقاب؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد يسامح ويغفر ذنوب العبد في حقه، ولكنه لا يغفر ذنوب العباد لبعضهم البعض قبل أن يسامحوا هم أنفسهم بعضهم البعض، ولذلك يحرص أهل المتوفى على ضرورة رد الحقوق لأصحابها وتبرئة ذمة المتوفى قبل أن يقف أمام ربه للحساب.

مدة الحداد: أهل الصعيد يستمرون في الحداد عاما كاملا، أما الريفيون و أهل البدو أقصى مدة حداد لهم أربعين يوما.

"وقد أخبرتنا إحدى الإخباريات إنه منذ وقت غير بعيد كانت النساء عند العزاء تقمن بالصراخ والوعويل قبل الدخول إلى بيت المتوفى وتحملن في أيديهن عصي قصيرة من أى نوع، ويعنى هذا أنها لا تدخل البيت إلا وهى تحمل شيئا فى يديها وتضع صواحب المتوفى أو قريباته من النساء قطعة من البرش القديم على ظهورهن، وكانوا يتحزمن عليها وهى علامة على أنها إحدى قريبات البيت حتى يمكنهن التعرف عليها بسهولة، ويجب أن تتجرد النسوة من الحلى أثناء التعزية كما أن قريبات المتوفى لا يلبسن الذهب لمدة أربعين يوما، كما يقمن بتعزية رؤوسهن وتحزيم أنفسهن ويضعن الطين أو الرماد على رؤسهن ويأتى الرجال مسرعين ويقومون بالتعزية."

ثالثا- الدفن:

وصف المقابر:

هى قطعة أرض فضاء فى صحراء بعيدة تقع فى شرق القرية بحوالى أربعة عشر كيلو تقريبا، ويطلق عليها مدافن الهدى من جهة منطقة "٦"، وطريق المقابر يسمى طريق الهدى أيضا، والمقابر عبارة عن حفرة فى الأرض بدون أى بنيان. ويكتفى بوضع طوبة كشاهد، وهذا يدل على تأثير الدين الإسلامى بعدم عمل شاهد للقبور (الارتفاع به عن سطح الأرض).



- عادة يذهب الشباب إلى المدافن لحفر اللحد، حيث لا توجد مقابر مشيدة، وعندما ينتهون من حفر اللحد يقومون بإبلاغ أسرة المتوفى أنهم انتهوا من تجهيز المدفن، ثم يحمل المتوفى ويذهبون به إلى الجامع ويقومون بالصلاة عليه في المسجد "صلاة الجنازة"، ثم يحمل إلى مثواه الأخير "المقابر" في عربة ملاكى أو أجرة، وتسير وراءه عربات نصف نقل تقل المعزين. ويتم فك الأربطة ويقومون بردم التراب عليه، وبعد ذلك يقرأون بعض الآيات القرآنية و الفاتحة ويلقنوه الشهادة، ثم يعودون إلى بيت المتوفى لاستقبال المعزين.

- واجبات العزاء:

- والعزاء فى المقابر يكون "مقصُورًا" على من يأتون من أماكن بعيدة ومن القرى المجاورة، أما الأقارب فيتلقون منهم العزاء بمنزل الميت لمدة ثلاثة أيام، أو يُفترش لهم فى مركز الشباب فى أول يوم فقط من وفاة الميت، واليومان الثانى والثالث بمنزل المتوفى.

- تحرص بعض العائلات على استدعاء المقرئين فى أيام العزاء بينما يحرص الآخرون على الاستعانة بالمذيع أو أجهزة التسجيل خلال هذه الأيام. كل حسب ظروفه المادية وإمكاناته الاقتصادية. ويدل على ذلك أن المصرى حتى وإن كان فى حالة حزن يميل إلى التفاخر والتباهى بقدرته المالية على إحضار أعلى المقرئين.

من العادات الشائعة عند وفاة الميت يدبح جدي أو خروف فى مجتمع الدراسة وإذا لم يكن عند أهل المتوفى ما يذبحونه، يأخذ الأضحية من جاره.

وقد أشارت "منى الفرنوانى" فى دراستها لقرية البراجيل بالجيزة وجود هذه العادة حيث يقوم أهل المتوفى بدبح "عجل" لحظة خروج نعشه ويوزع اللحم على الفقراء—أما فى قرية الأكرم بالمنوفية فقد أشار "سميح شعلان" بأن الرحمة تتضمن الذبيحة وتكون هذه الذبيحة "ثور من البقر" أو "الجاموس"، كما يمكن أيضا ذبح إناث هذين النوعين. حيث تعتبر الأضحية زكاة على روح المتوفى، ومن ثم يظنون أن الذبح قد يرحم المتوفى ويساعد على الغفران له، وقربانا لتخفيف ذنوب الميت، ويجمع الإخباريون على استمرار هذا الاتجاه على الرغم من التغيرات التى حدثت فى القرية، وهذا يدل على ثبات هذه العادة، كما أن لها جذورًا تاريخية ترجع إلى عصر الفراعنة حيث كانوا يقدمون القرابين للآلهة. خوفًا من يوم



الحساب، كما تعبر عن صفة أصيلة في المجتمعات الريفية التقليدية وفي الشخصية المصرية هي النبل والجود والكرم والتآزر وقت الشدة.

بعض المعتقدات المرتبطة بالقبر:

تدور في مجتمع البحث بعض المعتقدات المرتبطة بالقبر مثل علاج العواقر والأطفال من خلال القبر، معتقدات خاصة بدفن الأطفال، وعلاقة القبر بالميت الصالح والميت الطالح:

هناك اعتقاد سائد بأن الأم التي تموت ويدفن معها مولودها يكون سببا في دخولها الجنة، ويكون سببا في رحمة كل الموتى.

كما أن هناك اعتقادا بأن الأم التي يموت لها طفل وينكفاً على وجهه داخل القبر يحدث للأم عقم، لذلك يشددون على اللحد بأهمية التأكد من رقدة الطفل الميت في القبر.

ويعتقدون أن الميت الصالح يكون قبره منور، ووزنه خفيف بالنعش ويجرى بالجنزة، وعكس الحال إذا كان الميت طالحا .

لقد أشارت كل " منى الفرنواني"، و"سميح شعلان" إلى انتشار بعض تلك المعتقدات في قرية "البراجيل" وكفر "الأكرم" إلا أن البعض يكون لها تفسيرات مختلفة. فعلى سبيل المثال يفسر بطء مسيرة الجنزة في "البراجيل" يرجع إلى وقوف الملائكة أمام النعش "لكي ترحب به". "الملايكة كانت واقفة أمامه". أما في منطقة البحث "قرية العبور" و"الأكرم" يفسر هذا البطء بأن الميت عمله غير طيب، وخائف من الحساب، وهذا يعطى مؤشرا لإيمان المصري بالغيبيات والروحانيات والخرافات.

توزيع الميراث:

يقوم بعض أهالي الريف بتقسيم وتوزيع ماتملك في حياتها "قبل الموت" و البعض الآخر يقسمون أملاكهم "بعد الوفاة". بالنسبة للأهالي الذين من أصل "ريفي" يقسم الميراث حسب الشرع، أما الأهالي الذين من أصول "صعيدية أو بدوية" تقسم الأملاك عادة على الأبناء والأخوة الذكور فقط،، أما الإناث فيقومون بإرضائهم ببعض النقود.

وتتفق دراسة "منى الفرنواني" بأن هناك حالات قد يتم فيها توزيع التركة بما يخالف الشرع، قد تكون بزيادة نصيب الذكور عن الإناث؛ وذلك خوفا على الميراث من ضياعه بين يدي أزواجهن، أو أن تقسم الأرض وتذهب إلى أحد خارج الوحدة القرابية، أو لتفضيلهم

الذكور عن الإناث أو قد تكون بحرمان أحد الأبناء بسبب عصيانه من نصيبه الشرعى نظير عصيانه لوالديه وخروجه عن طاعتهم. ولم تشر دراسة "سميح شعلان" إلى هذه التفرقة عند توزيع التركة مما يدل على أنها ليست سمة أصيلة فى المجتمعات التقليدية الريفية.

قيود الحداد(المحددات):

قيود تتعلق بالطعام:

يُحرم أهل الميت على أنفسهم فى فترة الحداد طهى المحاشى أو الكحك والبسكويت والفطير (أى صناعته بالمنزل)، ومن يفعل ذلك يُنظر له أهالى القرية نظرة سيئة، ويرون أنه تصرف غير أخلاقى، لأن من يفعل ذلك معناه من وجهة نظرهم أنه سعيد لوفاة المتوفى.

قيود تتعلق بالملبس

يلتزم أهل المتوفى بلبس ملابس الحداد السوداء لمدة عام إذا كان المتوفى الأب أو الأم أو الأخ أو الأبن، ومن القيود التى يشير الإخباريون إليها ارتداء السيدات الملابس السوداء لمدة عام فى حالة وفاة أحد الوالدين أو الأبناء، ولمدة أربعين يوماً فى حالة موت أحد الأقارب، كما تراعى الزائرات من الجيران ارتداء الملابس السوداء حين يحضرن لزيارة أهل المتوفى، والبعض من الجيران يشارك أهل المتوفى لبس الحداد لمدة أربعين يوماً، والرجال يرتدون الملابس الداكنة لمدة ثلاثة أيام.

قيود على العلاقات الجنسية

المرأة التى يموت عنها والدها أو والدتها أو ابنها يحترم الزوج مشاعرها وحزنها ولا يقترب منها جنسيا لمدة أربعين يوماً، وأحياناً تزيد عن هذه الفترة قليلاً أما إذا حدث العكس فغالبا الرجل لا يصبر، وقد علقت إحدى الإخباريات (أن زوجها نام معها ثانياً يوم دفن أمه قائلاً الحى أبقى من الميت).

قيود على أجهزة المنزل:

- يحظر على أهل المتوفى تشغيل التلفاز أو إقامة أو حضور أى فرح لمدة تتراوح بين أربعين يوماً وتسعين يوماً بالنسبة "لأسر الريفية و البدوية" الأصل، ولمدة عام كامل "لأسر أهل الصعيد".



## قيود على الخروج من المنزل:

المرأة المتزوجة ويموت عنها زوجها لاتخرج من مسكنها لمدة أربعة شهور وعشرة أيام حداد على زوجها وطبقا لأحكام الشريعة الإسلامية إلا فى الضرورة القصوى ( إعلان وراثه....) أوفى حالة ما كانت تعمل ولا تستطيع أخذ إجازة طول هذه الفترة .

## قيود عند الرجوع من المدافن:

- لايدخل "الرجال" على ذويهم بعد رجوعهم من المقابر بدون: غسل وجوههم وخلع أحذيتهم -والتي قد تحمل بداخلها بعض تراب المدافن- لأنهم يعتبرون ذلك ( فألاً سيئاً).  
- تتفق القيود الخاصة بالملبس والطعام والخروج من المنزل فى مجتمع الدراسة مع القيود التى تضعها القرى الريفية التقليدية المشار إليها سابقا، وذلك من خلال الالتزام من جانب أهل الميت والمهتمين بمشاركتهم فترة الحداد بعدم الاستمتاع بكل مايشير إلى بهجة الحياة وزخرفها وزينتها. ولعل هذه المشاركة تشير إلى مدى قوة وعمق العلاقات الأولية فى المجتمعات التقليدية. كما تعبر عن مدى التأزر و التضامن بين أفراد المجتمع مما يدل على أنها سمة أساسية للشخصية المصرية.

## مناسبات زيارة القبور:

زيارة القبور: يقوم أقارب المتوفى بزيارة قبر الميت بعد أسبوع من دفنه فى أيام الخميس التالية للوفاة لمدة ثلاثة أسابيع متتالية. وفى الأربعين (وترتبط هذه الزيارة من عهد الفراعنة إلى وقتنا هذا وهو تمام إجراءات التحنيط التى كانت تجرى لجنة المتوفى آنذاك وقد توارثها المصريون وتتم فيه زيارة قبر المتوفى).

وتنتشر تلك العادات الجنائزية على الأخص بين أقباط الصعيد، ويحمل جسد المتوفى إلى الكنيسة عند الوفاة لتتلى عليه الصلوات الجنائزية، ثم يزور القس منزل المتوفى فى اليوم الثالث بعد الوفاة لتلك الصلوات الخاصة بصرف روح المتوفى، حيث يعتقد الأقباط أن روح المتوفى تظل هائمة فى المنزل حتى يتم ذلك الصرف، ويبارك القسيس الأماكن بالماء المضاف إليه الملح وغصن أخضر وبعض البقدونس أو البرسيم ويرش بها ملابس المتوفى، ويعقب ذلك إقامة القداسات فى اليوم السابع، واليوم الخامس عشر، واليوم الأربعين<sup>(٢١)</sup>.

المناسبات الدورية لزيارة القبور: يتم الذهاب لزيارة المقابر في الأعياد (طلعة العيدين الفطر والأضحى)، وأيضا في المواسم خاصة مواسم: رجب وشعبان وأيام الخميس من هذه الأشهر والتي تقوم بها السيدات لتدل على حرص أهل المتوفى بالذهاب إلى زيارة المقابر في المناسبات الدورية (الأعياد والمواسم) وفي مجتمع الدراسة بعض الأسر تقوم بعمل سرادق في الأربعين ويستقدمون المقرئين من خارج القرية لتلاوة القرآن، ويستقبلون المعزين، ويوم الذكرى السنوية الأولى للوفاة كان أبناء الطبقة العليا يقيمون سرادقا لهذا الغرض في حين يقتصر الأمر بالنسبة لأهالي القرية من الطبقة الوسطى والدنيا على زيارة المقابر فقط أو قراءة بعض السور على روحه في المنزل ويكون ذلك غالبا من القادرين ماديا على ذلك.

وتعد الخميسان وزيارة المقابر في الأعياد والمواسم المختلفة مناسبات مهمة يحرص المصري على آدائها والتي ترجع جذورها إلى عهد الفراعنة، مما يدل على أن هناك بعض السمات الثقافية التي تتسم بها الشخصية المصرية والتي تظهر في عادات الموت، وكما أن استمرار هذه العادات والممارسات تظهر المعتقدات التي تدور حول وجود روح الميت في الأرض وأنها لاتصعد الى السماء إلا بعد أربعين يوم، كما تدل على روح المشاركة و التأزر والتفاعل بين أبناء القرية من جهة أخرى، حيث لاتقتصر المشاركة على الأقارب المقربين فحسب، بل قد تمتد إلى دائرة الجيران وخاصة الملاصقين لمنزل أسرة المتوفى والذين تمتد جيرتهم إلى فترة زمنية طويلة، حيث تعمل (الجيرة) على تدعيم الروابط بين الأسر، وتسود هذه العلاقة في المجتمعات الريفية التقليدية حيث تتميز العلاقات فيها بنمط العلاقات الوجه للوجه.

وتتفق نتائج دراستنا مع نتائج الدراستين المشار إليهما حول وجود قيود للحداد على الرغم من الاختلاف الزمني لهاتين الدراستين، وكذا اختلاف أماكنهما، مما يشير إلى أن الحزن على الميت يدفع الأحياء إلى تحريم بعض المتع التي حرم منها المتوفى. وتظهر الدراسة الميدانية أن نسق الضبط غير الرسمي في المجتمعات التقليدية يعمل على وضع هذه القيود للحداد على أسرة المتوفى والمقربين منهم من الأهل والجيران. والتي قد تجعل احتفالات أسر الجيران إلى مابعد مرور الأربعين يوما على الوفاة - هذا وقد يتوجه والد العروس إلى منزل أسرة المتوفى "صاحب الجرح" لإستئذانه في إقامة فرح ولكي يثبت الجار



عدم مضايقته يتوجه لحضور الاحتفال و لو كان ذلك لدقائق معدودة-ولعل ذلك يشير إلى مدى رقة المشاعر وعمق التأزر بين أفراد المجتمع المصرى فى المجتمعات التقليدية ولعل ثبات هذه القيود (على الرغم من التخفف منها كما تشير دراستنا) يمكن القول بأنها تعد سمة من سمات الشخصية المصرية.

وتتفق نتائج دراستنا مع نتائج دراسة "منى الفرنوانى" و"سميح شعلان" أن بعض العادات والطقوس المرتبطة بالموت تتصف بالدينامية تبعاً لما تفرضه عليها طبيعة الوظيفة المتغيرة، حسب التغير الاعتقادى الذى طرأ على الجماعة، فيحدث نوع من المزج أو الإحلال أو الإضافة على بعض جوانب العادة لتتوافق مع الدين الإسلامى، وذلك لإحداث نوع من التوازن بين العادة ذات الجذور العقائدية المصرية القديمة وبين الدين، ويبرز ذلك فى مظاهر الحداد من البكاء والتخلى عن الزينة ولبس الملابس السوداء لمدد طويلة- ماعدا سكان أهل مجتمع البحث والذين ترجع أصولهم إلى صعيد مصر كما سبق الذكر، وأيضاً ماكان يحدث فى مصر فى العشرينات من القرن الماضى عند إعلان الموت، ومصاحبة الجنازة بالصراخ والعيول، وتلطix الرأس بالطين- وفى مظاهر الرحمة وشكل شاهد القبر الخاص بالرجال وتلقين الميت.

### نتائج الدراسة الميدانية

بعد أن تعرضت الدراسة الميدانية للعادات والطقوس المصاحبة لوقوع الوفاة فى مجتمع محدد بحدود مكانية وزمانية، ومن خلال جوانب الاتفاق والاختلاف بين نتائج دراستنا، ونتائج دراسة كل من "منى الفرنوانى"، ودراسة "سميح شعلان" فى مجتمعان ريفيان تقليديان، حيث انطلقت منهما وما أضافته دراستنا الحالية إلى إمكانية استنباط سمات ثقافية عامة مشتركة تتميز بالثبات والاستمرار للمجتمعات الريفية التقليدية فى المجتمع المصرى. تتجه الباحثة إلى استعراض أهم النتائج الواقعية المنبثقة من الفروض النظرية للدراسة. والدراسة الميدانية، لتقرر فى النهاية أن هناك سمات ثقافية عامة تذخر بها المجتمعات الريفية التقليدية، وعن الشخصية المصرية واضحة وممثلة فى الممارسات والعادات المصاحبة لحالات الوفاة وهى :-



التضامن والتآزر الاجتماعي: تعكس عادات الوفاة مدى ما تتمتع به المجتمعات الريفية التقليدية من حب للتعاون والتضامن الاجتماعي، ويشكل التماسك الاجتماعي وطبيعة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد أعراف لها أصول كقانون عام. أدت جميعا إلى وضع قيم ومعايير ثابتة بين أفراد الجماعة وشكلت إطارا مرجعيا لسلوكهم وآدابهم، وعبروا عن ذلك عند حدوث أزمات للبعض منهم، وخاصة وقت الشدائد وفي حالات الوفاة كإخراج صواني الطعام لأسرة المتوفى وهي نوع من الهدايا الملزمة- يرى مالفينوسكى أن هذه الهدايا تتطلب دفع مقابل مماثل لها تماما في المناسبات المماثلة- كذلك مشاركتهم في حضور شعائر العزاء، كالجنازة والصبحة، والفرق والأربعين. وهي كلها رموز للتعرض للنقد إذا ما قصر الأفراد في الوفاء بتلك الواجبات. كما أظهرت النتائج أن التضامن والتعاون سمة ثقافية أصيلة في المجتمعات الريفية التقليدية ومن سمات الشخصية المصرية.

- تقديس الموت: حرص المصري على التعبير عن مدى حزنه وشعوره بقدسية الموت، حيث تتصف بعض العادات والطقوس المرتبطة بالموت بالثبات تبعا لما تفرضه عليها طبيعة الاعتقاد في المجتمعات التقليدية وسماتها وخصائصها كمنطقة ثقافية واتضح ذلك في "مجتمع البحث"، وفي الدراسات السابقة المقارنة والتي أجريت في الثمانينات وأوائل التسعينيات، فضلا عن استمرار بعض قيود الحداد التي كانت تدعو إلى عدم طهي أو تحريم أكل بعض أنواع الطعام، و القيود المتعلقة بالملبس و مشاهدة التلفاز أو لبس الذهب أو تجديد أو بناء في دار المتوفى، فضلا عن القيود المتعلقة بإضاءة بيت المتوفى، والعلاقات الجنسية ونظافة أهل بيته. وقد لقيت هذه القيود درجات متفاوتة من الاستجابة من حيث الاستمرار والحذف حسب اقتناع ممارسيها بأهميتها في التعبير عن الحزن والحداد على الميت، إلا أن الدراسة الميدانية تشير إلى الاتجاه نحو استمرار معظم تلك القيود. كما أن سمة تقديس الموت لها بعد زمني يرجع إلى عادات الموت وطقوسه عند المصريين القدماء.

الحزن: "مسحة الحزن ظاهرة منتشرة في المجتمعات الريفية التقليدية ويتضح ذلك في الأساليب التي تتبع في مناسبات الوفاة ومظاهره، تبدو كما لو كانت حزنا إجباريا. يفرضه الشخص على نفسه بدافع لاشعوري لا يمكن أن يفطن إليه. ويتبع الوفاة بالجنائز والسهرات الحزينة .. ويقوم المصريون في أغلب المستويات ثلاثة أيام (للحزن) وهذه التسمية وحدها

كفيلة بتوضيح المكونات اللاشعورية التي تهيمن على الموقف وتفرضه فرضاً على الإنسان في تلك الظروف<sup>(٢٢)</sup>. كذلك الخميسان فكل خميس يعد عزاء مستقلاً، ثم الأربعين، ثم ما بينهما من زيارات للقبور في المواسم والأعياد، ثم خاتمة السنة، وكلها مناسبات إجبارية للحزن وزرف الدمع، كذلك تظهر رغبة عارمة في الاتجاه إلى الحزن. والأسى في الموالم المصرية.

انفراد الشعب المصري بابتداع أساليب خاصة يعبر بها عن حزنه من صراخ وعويل، مما خلق دور "المعددة" أو دور "الندابة" ودور "ضاربة الطار" ويقومون بدور التعزية وأثناء تشييع الجنازة وبعدها، وبعد الدفن.

- التدين: ترتبط شعائر وعادات وتقاليد الوفاة بالقيم و الشعائر الدينية (وتظهر هذه الشعائر مدى تأثير الريفيين في المجتمعات التقليدية بالدين، ومن أكثر السمات استمرارية وظهوراً وخاصة التدين الشعبي - إذا جاز لنا التعبير - الذي يختلط بكثير من المعتقدات والممارسات الموروثة من عصور قديمة، والتي تبعد عن ما يدعو إليه الدين الصحيح، كالترك بالأولياء، وزيارة الأضرحة، والموالد، والإيمان بالأعمال السحرية، والخوف من الحسد، وشدة الإيمان بالقضاء والقدر.. ولكن بارتفاع الوعي الديني وانتشار التعليم تخلت القرية المصرية خاصة فيما يتعلق بسلوكيات النساء عن بعض الممارسات الخاطئة.

التناقض: كما تظهر سمة التناقض كمحدد ثقافي للشخصية المصرية في المجتمعات التقليدية، فنجد الإنسان المصري يحزن ويبكى من صميم القلب ويشارك الآخرين أحزانهم حتى لو كانوا أعداءه، كما يتضح ذلك في حزنه على موته، كما يتسم بالمرح وخفة الدم وإطلاق النكات حتى في أشد أوقات المعاناة وأحلك الأزمان،

"أنا شعب نبكى إذا حزنا، ونبكى إذا فرحنا، ونقول "اللهم اجعله خيراً"<sup>(٢٣)</sup>.

كما يظهر هذا التناقض في عمق التدين والإيمان بالله واليوم الآخر وقدرته، ومع ذلك تجده يؤمن بالخرافات والأعمال السحرية الشريرة التي قد تؤدي الغير وكثرة اللجوء إليه والتنجيم والشعوذة، وتتضح تلك السمة في المجتمعات الريفية التقليدية من حكايات المحيطين بالمحتضر عن أرواح الموتى وعدم مفارقتها لمنزل المتوفى أربعين يوماً، وحول الشخص المقتول وانتقام روحه من الأحياء بسبب المجددات، والمخاوف من عدم ذهاب

أهل المتوفى الثلاثة خميسان، واعتقادهم أن ماء الفُسل وسيلة لعلاج الكيس والعقم، والذبيحة كقربان لتخفيف ذنوب الميت، وكذلك مازالوا يؤمنون بالحسد ولهم من الممارسات الخاصة لتلافي السحر والحسد.

كما تجده في كثير من الأوقات والمواقف شديد الصبر ضابطاً للنفس وفي نفس الوقت عندما يثور لا يستطيع أن يوقفه أحد ولا تهدأ ثورته بسهولة.

حسن الخلق: إن مأساة الوفاة تظهر حسن خلق المصري في صفاته وسماحته ورقة مشاعره ومشاركته الوجدانية التي تعبر عن أصالة يصدر عنها نظام بنياني للحياة، وتظهر هذه المشاركة الوجدانية والمعنوية بقيام الشباب من أهل القرية بحفر القبر للمتوفى، وبتعزية الأقارب و الجيران لأهل المتوفى، والبكاء معهم، ولبس الملابس السوداء، والتسرية عنهم بل وبمشاركتهم المادية أيضا بمددهم بولائم الطعام، واهدائهم ذبيحة توزع على روح الميت. وحسن الخلق سمات اتسم بها المصري القديم. فنجد في " كتاب الموتى، ونصوص الأهرامات"، ما يشير إلى كيف كان شكل العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة؟ حيث تقوم على التراحم والتواد والعطف والاحترام، بين أفراد المجتمع والحاكم أيضا، مما يدل على تمتع هذه السمات بالثبات والاستمرار.

التفاخر والتباهي من عيوب الشخصية المصرية التفاخر والتباهي بأنفسهم إلى حد الطنطنة، أو التهوين من أنفسنا إلى حد فقدان الثقة.. وفي الحالتين تهتز الرؤية ويضطرب الحكم الصحيح على الأشياء ... إن الانحصار في إطار الذاتية، بدائية في التفكير حين تكون الحضارة، وعدم ارتفاع إلى أفق الموضوعية.. كما أن المهانة والاستهانة تطفئ العقل والقلب خاصة إذا كانت بتركيز مكثف من الغير. فنجد في مجتمع البحث و المجتمعات التقليدية التي تمت مقارنتها بدراستنا أنه حتى في حالات الوفاة تحتفظ الطبقة الاجتماعية العليا ببعض الرموز كوسيلة للتعبير غير اللفظي عن ذاتها داخل مجتمع البحث، ويتمثل ذلك في اختيار المقرئ جميل الصوت المرتفع الثمن من مصر، واختيار أقمشة الكفن وعدد طبقاتها، ووضع غطاء مختلف على النعش، والتباهي بقدرتهم المالية.

الصبر: - ويتضح من نتائج الدراسة أن سمة الصبر من السمات الأساسية للشخصية المصرية، فالفلاح المصري صبور وصبره من النوع الفريد . وقد يرجع ذلك لطبيعة البيئة



الإيكولوجية التي نشأ فيها المصري، فمصر بلد زراعية والفلاح المصري لكي يجنى ويحصد الخير كان عليه أن يصبر على النبات حتى تنضج ثماره ويحق له أن يجنى ثمار عمله، ومن هنا كان صبره على مصيبة الموت وفقدان الأبناء والأهل، كفقدان المحصول.. الخ، فلا ينأس من رحمة ربنا، كما صبر على الشدائد والأزمات والمحن التي مر بها على مر الزمن. والتراث الشعبي وأدبه مملوء بالأمثال التي تبين أن المصريين يؤمنون بالصبر، ومن الأمثال العامة الشائعة التي تؤيد هذه الخاصية مثل "طول الصبر ينول الأمل"، "الصبر مفتاح الفرج"، "الصبر طيب"... إلخ. والصبر قيمة اجتماعية مقبولة و مرغوبة عند أغلبية المصريين، وليس معنى أنه صبور أى يقبل الخضوع والاستكانة، كما يقول الأب عيروط، إن صفة الخنوع ليست صفة ثابتة والدليل على ذلك الثورات التي قام بها المصريون على مر التاريخ<sup>(٢٣)</sup>.

وقد أكد فريق بحث إعادة بناء الإنسان المصري، أن الصبر نمط سلوك يتكرر في الحياة الاجتماعية وسمة أساسية تشكل الشخصية المصرية، وهو أشد القيم رسوخا في تكوين ضمير الإنسان المصري وأكثر القيم تأثيرا على حياة المصريين، وتوجيها لسلوكهم وعلاقاتهم وتصرفاته. والصبر كقيمة اجتماعية يعمل على تجانس الشعب المصري حتى تصبح الحياة مقبولة ومحترمة.<sup>(٢٤)</sup>

فالصبر خاصية من الخصائص القومية عند المصريين يقوم بوظيفة اجتماعية من خلال معناه الديني، لأن الدين حض على الصبر في \*قوله سبحانه وتعالى\* { وبشر الصابرين }، { واستعينوا بالصبر و الصلاة }، والإنسان الصابر مؤمن بربه، يلجأ إليه إذا ابتلى بفاجعة أو مصيبة مستعينا به.

التواكل أو الاتكالية: يتسم الريفيون المصريون بالتواكل والاتكالية ويقول (إن شاء الله) ويعنى فى قرارة نفسه التخفف من العمل المقصود. إن هذه المشيئة ما هى إلا تأكيد للعزم فيقولون سوف نفعل . و يقولونها حين ينون ألا يفعلوا متهربين من مشيئة الله. من أجل أن يستشعروا الراحة فى (ضمان) لحل مشاكلهم. فكثيرا لا يفرقون بين التوكل والتواكل.

- الكرم: وهى صفة أصيلة متأصلة فى المجتمعات الريفية التقليدية ويظهر ذلك فى مناسباتهم وفى استقبالهم لضيوفهم وإكرامهم لهم، وفى صوانى الطعام التى تخرج من

بيوت الأسر المختلفة لمشاركة أهل المتوفى، وفي إهداء الجيران أيضا لبعضهم البعض ذبيحة  
كل حسب ما تسمح به ظروفه الاقتصادية عند حدوث وفاة .

كما أظهرت الدراسة مايلي:

- أن بعض العادات والطقوس تتصف بثبات ممارستها مع جذورها المصرية القديمة. وذلك لقدرتها على أداء وظائف ثابتة، واستمرارها إلى وقتنا الحالي مع اندثار القليل من هذه العادات بسبب التغير و انتشار التعليم واعتناق الدين الإسلامى
- أن أسهام التغير الاقتصادى الذى طرأ على المجتمع المصرى ككل أثر بالتالى على مجتمع البحث - من حيث الاتجاه إلى العمل - فى قصر فترة الحداد واختصار المدة الزمنية للزيارات الدورية للمقابر إلى فترات أقل.
- أشارت الدراسة إلى اتجاه مجتمع الدراسة نحو المادية والفردية، مما أثر فى التخفف من دلائل الحزن وفترة الحداد.
- أن التطور قد أسهم فى سير حركة القرية نحو التمدن
- أن العادات و التقاليد تلعب دورًا مهمًا فى تحقيق الضبط الاجتماعى. وتظهر تلك العادات والطقوس التى تبدو فى إحدى مظاهرها فى التضامن الاجتماعى المتمثل فى إخراج صوانى الطعام، والاشتراك فى شعائر العزاء فى مجتمع الدراسة والخوف من النقد الاجتماعى إذا ما قصر الأفراد فى الوفاء بتلك الالتزامات.
- تعكس عادات وتقاليد وشعائر الوفاة الكثير من العوامل الاقتصادية والرموز الاجتماعية المتمثلة فى الأثر، التهادى، تباين تكاليف الحياة والجنائز حسب المستوى الاقتصادى للمتوفى.

- يوجد اعتقاد بأن القوى والشور كالمسح والحسد تزداد فى فترات الانتقال من حالة إلى حالة عند الميلاد والزواج والموت على نحو ما يقول "أدولف باخ". A

Bach<sup>(٢٥)</sup>. لذا توجد العديد من الممارسات والرموز السحرية لتجنب تلك الأخطار.

- كما تعكس شعائر وعادات وتقاليد الوفاة الكثير من الوسائل الوقائية والدفاعية. والمعتقدات الشعبية التى تستهدف حماية الأحياء من الأرواح. (وتظهر تلك الصفة المتأصلة فى الشخصية المصرية ومدى إيمانها بأن أرواح الموتى تظل موجودة فى الأرض بعد الوفاة،

وأن الشخص الذي يقتل غدرا أو في حادثة يمكن أن ينتقم من الأحياء ويؤذيهم، ولذلك نجد إلى الآن يقوم بعض المصريين (بوضع أحجبه بها بعض الآيات القرآنية أو أنه يضع المصحف بجوار الرأس عند النوم، وقراءة المعوذات، وسورة الكرسي).



## المراجع

- (١) محمد الجوهري: علم الفولكلور - الأسس النظرية والمنهجية، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، دار المعارف، مصر، ١٩٨١، ص ١٠٥:١٠٦.
- (2) *Richard Huntington and Peter Metcalf, Celebrations of death (London, Cambridge University press, 1999.,25.*
- (٣) فاروق محمد العادلي: المجتمع القروي دراسة في فكر ردفيلد من خلال منظور أنثروبولوجي ثقافي في بحوث الأنثروبولوجيا العربية، تحرير ناهد صالح - مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية في كلية الآداب، جامعة القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢، ص ٤٨١-٤٨٢.
- (٤) شارلوت سيمور سميث، ت. محمد الجوهري وآخرين: موسوعة علم الإنسان - المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨، ص ٥٠٠.
- (٥) بول غليونى ت. زينب الدواجنى: الحضارة الطبية في مصر القديمة، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥، ص ٣٢.
- (٦) أمين سلامة (مترجم): الحياة اليومية عند قدماء المصريين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص ٦٤.
- (٧) محمد الجوهري، وعبد الله الخريجي: طرق البحث الاجتماعي، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٠، ص ٢٠٣.
- (٨) .....: مرجع سابق، ص ١٥١.
- (٩) محمد الجوهري: علم الفولكلور، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ٣٢٣.
- (١٠) محمد الجوهري وعبد الله الخريجي: مرجع سابق، ص ٣٥٢.
- (١١) .....: مرجع سابق، ١٦٩.
- (١٢) محمد الجوهري: علم الفولكلور، مرجع سابق، ص ٣٤٢.
- (13) *Arnold Van Gennep:: The Rites*

(14) of Passage translated by: Monika B. Vizedam and Gabrielle L. Coffee. Routledge and Kegan Paul, London, 1960.P.P2,3

(15) Ibid,p.6

(١٦) منى ابراهيم حامد الفروناني: بعض ملامح التغير الاجتماعي والثقافي في الريف المصري كما تعكسه عادات دورة الحياة، دراسة متعمقة لقرية مصرية، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية البنات، ١٩٨٩.

(١٧) سميح عبد الغفار شعلان: الموت في المأثورات الشعبية، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٠م.

(١٨) الجهاز المركزي للتعبئة والاحصاء ٢٠١٠.

(١٩) شمس الدين فرح الانصارى القرطبي: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥، ص٧.

(٢٠) اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي "أسيا" أثار التحولات الاجتماعية والاقتصادية على الأسرة العربية، دراسة استطلاعية" الأمم المتحدة، إبريل ١٩٩٣، ص٢.

(٢١)

(٢٢) محمد سعيد فرح: الشخصية القومية، منشأة دار المعارف، ب.ت.ص ١١٢.

(٢٣) جامعة الاسكندرية: ابحاث اعادة بناء الانسان المصري، التقرير الثالث.

(٢٤) فاطمة حسين المصري: الشخصية المصرية "من خلال دراسة بعض مظاهر الفولكلور المصري" دراسة نفسية تحليلية أنثروبولوجية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤.

(٢٥) نهلة إبراهيم: الأبعاد الاجتماعية والثقافية للشخصية القومية المصرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦.

(٢٦) أحمد زايد واعتماد علام: التغير الاجتماعي، الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠، ص١٠٨.

(٢٧) محمد عبده محبوب، فاروق أحمد مصطفى وآخرون: دراسات انثربولوجية في المجتمع والثقافة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٥،

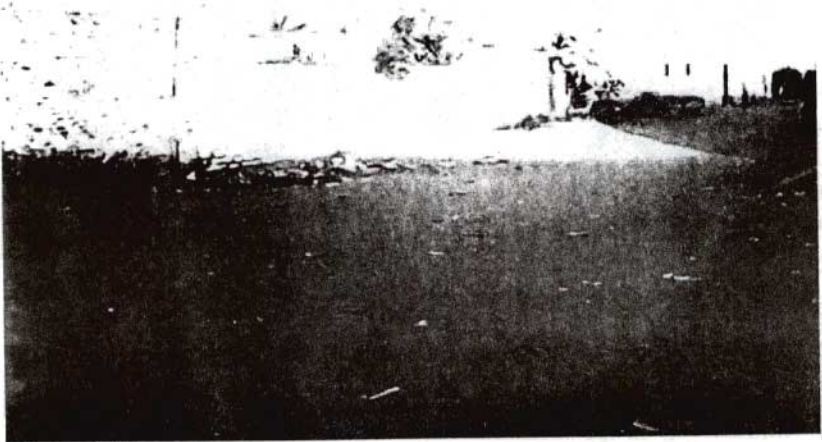
(28) *Bronislow Malinowski, Argonauts of the Western Pacific. Dutton and Company, Inc., London, PP24,25*  
 (29) *Ellen baronet, the Appointed How Death, world View and Social change in Brittang (University of clifornia press, 1989, pp.328-339*

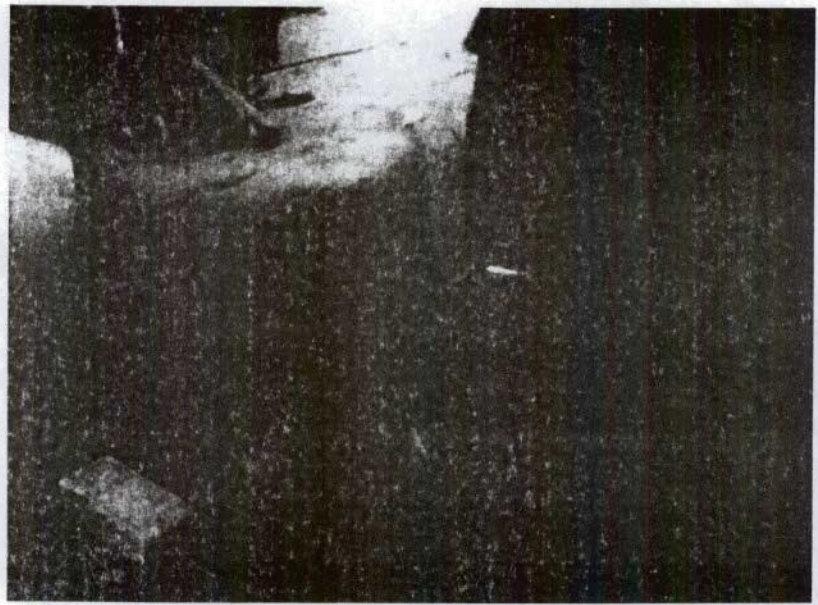
(٣٠) محمد الجوهري، عبد الحميد حواس، علياء شكري، الدراسة العلمية للعادات والتقاليد الشعبية، القسم الاول من دليل العمل الميداني لجامعي التراث الشعبي، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٩م. ص ١٠ مرجع رقم ١١

(31) (s): *Stephanie Coontz Source; Journal of Marriage and Family, Vol. 66, No. 4 (Nov., 2004), pp. 974-979 Published by: National Council on Family, Relations. Stable URL 71. Accessed: . 14/05/2013*

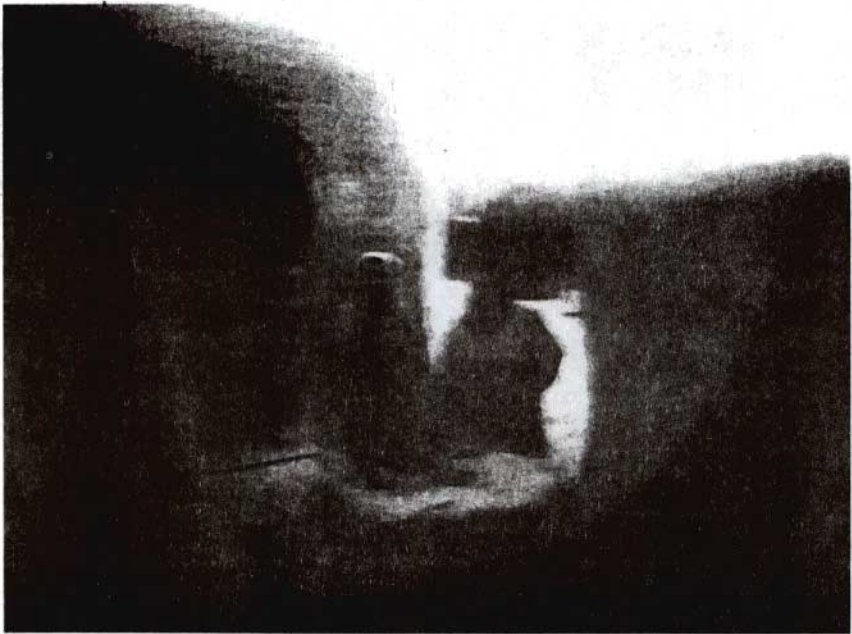


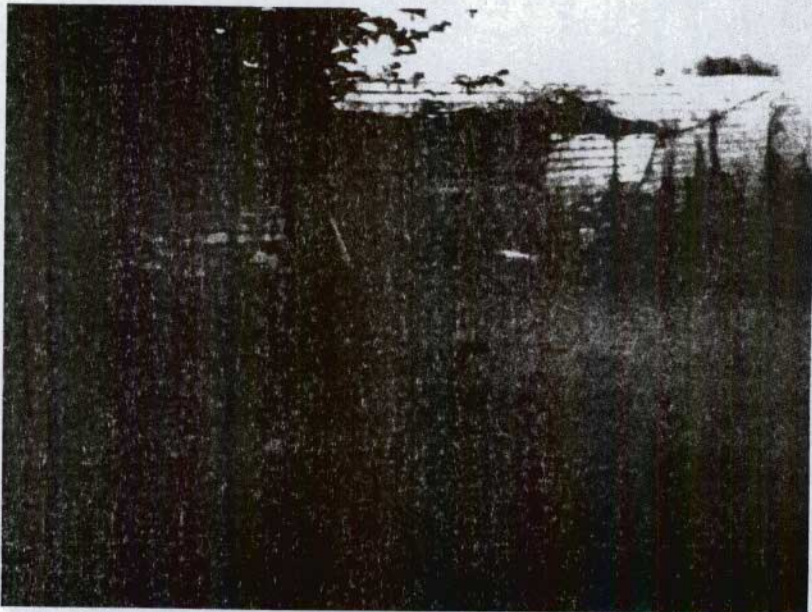
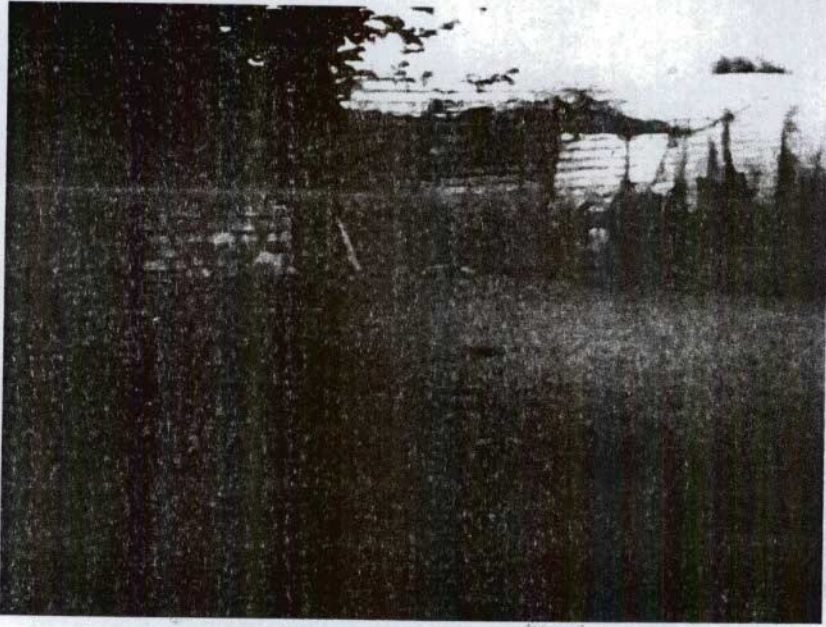


















مستويات الرمز لشخصية الكفيف  
في المسرح الأوروبي المعاصر  
بين موريس ميتزلنك وجوزيف أوكونر

دكتور / إبراهيم أحمد محمد حسن

مدرس الدراما المسرحية بقسم الدراسات المسرحية

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

بمقتضى ما تبين من نتائج البحث

محللنا في ضوء ما ذكرناه من

نتائج أبحاثنا في هذا الموضوع

بما يتضح من نتائج أبحاثنا

في هذا الموضوع من حيث

نتائج أبحاثنا في هذا الموضوع



تتكون ثقافة أى مجتمع من المجتمعات من مجموعة أنساق اجتماعية ودينية وأدبية. وغيرها من الأنساق التي تتلاقى جميعها على أرض واحدة بهدف تحقيق التواصل مع ثقافات المجتمعات الأخرى، عبر عنصر هام ورئيس يوجد بشكل حيوى فى كل تلك الأنساق، وهو الرمز.

ويعد النص المسرحى نسقاً فرعياً من الأدب، ويدخل الرمز فى تكوينه، حيث يصبح قابل للتعدد القرائى والتأويلى من خلال الخوض فى فضائه والكشف عن معانيه المضمرة والمستترة.

يشتمل النص المسرحى على مجموعة من العناصر، تدخل فى تشكيل نسجه وصورته النهائية. وتعد الشخصية عنصراً أساسياً من هذه العناصر المشكلة لهذه الصورة، باعتبارها القطب الذى يتمحور حوله الخطاب المسرحى، والعمود الفقرى الذى يركز عليه الحدث الدرامى.

ويمكن النظر إلى الشخصية المسرحية بوصفها موضوعاً لخلق الدلالة؛ فقد يتأسس النص المسرحى على اعتبار الشخصية دالاً على فكرة أو مضمون إنسانى عام، وفى أحوال كثيرة يمكن تأويل الدلالات المرتبطة بالشخصية استناداً إلى مجموعة من الشفرات، التى تساهم فى التعرف على طبيعة العلاقة بين الدال (الشخصية)، والمدلول (الموضوع المحمول على الدلالة).

وتشكل شخصية الكفيف، دافعاً ورغبة من قبل الكتاب لتناولها فى أعمالهم المسرحية، إذ تعد منهلاً وحقلاً واسعاً للدلالات، فضلاً عن قدرتها على إكساب الحدث الدرامى قوة وفاعلية، من خلال تميزها وانفرادها ببعض الخصائص والسمات. ويبرز اسم "موريس ميترلنك" <sup>1</sup> **Maurice Maeterlinck** و"جوزيف أوكونر **Joseph O'connor**"، باعتبارهما من كتاب المسرح المعاصر الذين تناولوا هذه الشخصية فى أعمالهم المسرحية، بوصفها وحدة تألف من ملامح متعددة الدلالات على كافة المستويات الإنسانية والأيدولوجية، الأمر الذى أثار لدى الباحث عديداً من التساؤلات التى شكلت جوهر هذا البحث، ومنها:

- ما السمات العامة والملامح الخاصة لشخصية الكفيف عند كل من "موريس ميتزلنك" و "جوزيف أوكونر" في ضوء نظريات التحليل الحديثة؟
- ما الآلية التي اتبعتها كل من الكاتبتين لبناء شخصية الكفيف مسرحياً؟
- ما دلالات شخصية الكفيف على المستوى الأيديولوجي والاجتماعي والسياسي؟
- كيف حقق كل من الكاتبتين الإيحاء والانزياح الدلالي لشخصية الكفيف بشكل يعكس مشكلات الواقع وقضاياها؟

وتبتدى أهمية البحث في تناوله لواحدة من أهم الشخصيات ذات الثقل الدرامي والدلالي- باعتبار الإعاقة فعلاً درامياً قوياً فيه كثير من التفاصيل التي توجع المشاعر وتثير العواطف-والتي ظلمت على المستويات الأدبية والفكرية كافة، ولم تحظ بالاهتمام المناسب من قبل الأدباء والدارسين على السواء. وسيعتمد الباحث على المنهج التحليلي السيميولوجي، إلى جانب المنهج المقارن، وذلك للوقوف على نقاط الشبه والاختلاف بين الدلالات الرمزية لشخصية الكفيف لدى كل من الكاتبتين، بما يتفق وظروف الواقع وأطروحاته، بحيث يتم تناولها، لا باعتبارها شخصية واقعية، تجسد سمة فردية أو نمطاً اجتماعياً فحسب، بل باعتبارها وحدة دلالية متعددة المستويات.

وتأسيساً على ما تقدم طرح البحث في صورته النهائية متضمناً مدخلاً نظرياً يتناول في إيجاز أهم النظريات والرؤى النقدية التي يعتمد عليها الباحث والتي تناولت الشخصية المسرحية بالنقد والتحليل. ثم يتطرق الباحث إلى تحليل المستويات المختلفة لدلالة شخصية الكفيف في الدراما الأوروبية المعاصرة من خلال النصين المسرحيين:

- "العميان" للكاتب البلجيكي "موريس ميتزلنك" (١٨٩٠)

- "القيثارة الحديدية" للكاتب الإيرلندي "جوزيف أوكونر" (١٩)

ويختتم البحث بخاتمة تشمل أهم النتائج وثبت المصادر والمراجع.

## مدخل نظري:

إن أهمية الشخصية لم تأت من خلال قدرتها على تطوير الحدث وبث الحياة والمتعة في النص المسرحي من خلال توجهاتها وأفكارها فحسب، بل تكمن قيمتها الحقيقية، باعتبارها رمزًا مشحونًا بالدلالة والإيحاء، وهو ما يحيلنا إلى مصطلح الشخصية في العصر اليوناني القديم، حيث كانت تدل على "القناع (persona) الذي يضعه الممثل على وجهه أثناء أداء الدور المسند إليه، ثم صار بعد ذلك يدل على الدور نفسه"<sup>(1)</sup>، فلا يزال الكاتب المسرحي يستخدم القناع في إنتاجه الأدبي، ولكن لوظيفة جديدة؛ حيث يلبسه شخصياته، فتتحول من مجرد اسم إلى طاقة إيحائية، تجوب فضاء النص الذي يتحول إلى أرض مسكونة بالدلالات، وهو ما ذهب إليه الناقد "فيليب هامون"<sup>(2)</sup> حين عرف مصطلح الشخصية المسرحية بأنها "وحدة دلالية باعتبارها مدلولًا متواصلًا ويفترض أن هذا المدلول قابل للتحليل والوصف".

وقد تعددت النظريات والرؤى النقدية التي حاولت إرساء طريقة أو منهج لتحليل الشخصية المسرحية، ومنها رؤية "لاجوس آجري"<sup>(3)</sup> Lajos Egri للشخصية باعتبارها كيانًا حيًا متكاملًا، يتكون من أبعاد ثلاثة: (مادى أو عضوى) - (اجتماعى) - (نفسى). أما البعد الأول، فما من شك في أن كياننا المادى الخارجى يلون نظرتنا للحياة، ولا يمكن أن نجادل في أن الشخص الكفيف - مثلاً بوصفه موضوع البحث - ينظر إلى الدنيا نظرة مناقضة تمامًا عما ينظر إليها الشخص المبصر كامل التكوين العضوى؛ فالكيان الفسيولوجى أو الخارجى بشكل عام، يؤثر على تطور الشخصية الذهنى، ويتحكم فى مركبات النقص والاستعلاء داخلها.

كما يحذر "لاجوس آجري" من إغفال الكيان الاجتماعى للشخصية، ويحث على دراسته دراسة جيدة، فإننا لا نستطيع أن نجري تحليلًا دقيقًا لأوجه الخلاف بين شخصية وأخرى، ما لم نعلم بدراسة وافية حول المستوى الاجتماعى لكل منهما، من حيث الطبقة والعمل والتعليم ومستوى الثقافة والدين.... إلخ، كما يرى "أن الكيان النفسى، ما هو إلا ثمرة للبعدين الآخرين، وأن أثرهما المشترك هو الذى يحى فىنا مطامعنا ويسبب هزائمنا، وخيبة آمالنا، ويكون أمزجتنا وميولنا."<sup>(4)</sup> وسيعتمد الباحث فى تناوله لمستويات الرمز فى



شخصية الكيف على تحليل أبعادها الثلاثة، حيث تساهم العوامل المكونة للشخصية الداخلية منها والخارجية في تحديد دلالاتها، وفك شفراتها، وذلك من خلال إمداد المتلقى بأدوات التفسير والتأويل، فعلى سبيل المثال الهيئة والمظهر يندرجان تحت الكيان المادى، ومن ثم تعتبر "الأزياء والإكسسوارات الخاصة بالشخصية جزءاً من الكيان الخارجى، وهى تشارك فى صنع دلالات اجتماعية معينة، من خلال ما تم عنه من فقر أو غنى".<sup>(٥)</sup>

كما يعد الكيان الاجتماعى لشخصيات بريخت **Bertolt Brecht** (١٨٩٨ - ١٩٥٦) - على سبيل المثال - رمزاً للصراع بين الطبقة الرجوازية وطبقة البروليتاريا الكادحة. وهو المعنى الذى يجاور نظرة "سامية أسعد"<sup>(٦)</sup> إلى الشخصية المسرحية "باعتبارها مجموعة من العلامات التى يجب تصنيفها، تحت عدد من العناوين، منها المظهر الخارجى، والصفات والإرشادات السلوكية أو النفسية، وكل ما يمكن أن نعرفه عن ماضى الشخصية، وعلاقتها السابقة والحالية بالشخصيات الأخرى من صداقة وعداء ومنافسة ..... إلخ"

وبالطبع يمكن التعرف على أبعاد الشخصية الثلاثة، "من خلال توصيف الكاتب لها عن طريق الإرشادات المسرحية، أو ما يتواجد فى ثنايا الحوار الدرامى".<sup>(٧)</sup> وهذا يعنى أن النص المسرحى المكتوب، يحمل بين طياته نصاً موازياً للحوار يسمى النص الخارجى، "وقد اعتبر الناقد المسرحى "رومان إنجاردن" **R. Ingaredn** أن النص الحوارى هو النص الأساسى، وكل ما هو خارج عن الحوار أى (الإرشادات المسرحية) نص ثانوى".<sup>(٨)</sup> كما أقرت "سامية أسعد"<sup>(٩)</sup> بفكرة ازدواجية النص المسرحى، حيث ترى أن "النص المسرحى" يتكون من نصين اثنين، الأول رئيسى، وهو كلام الشخصيات، والآخر ثانوى، وهو الإرشادات التى تؤدى وظيفتها التصويرية عند قراءة المسرحية.

أما عن أهمية الإرشادات فى مجال التحليل السيميولوجى للنص فيؤكد "مارتن إسلىن"<sup>(١٠)</sup> على أهمية النصوص المسرحية غير الكلامية واعتبرها المحك الرئيس فى تحديد معنى النصوص الكلامية (الحوار)، "وهو ما أقره "أحمد صقر"<sup>(١١)</sup> بقوله: "إننا نتعرف على هذه الإرشادات داخل الحوار الدرامى وخارجه، وهى ذات أهمية باعتبارها نظاماً دالاً موازياً للحوار".

وقد ارتكزت دراسة النص المسرحى سيميولوجيا على تيار فكرى، ظهر فى بدايات القرن العشرين، أثرى الحياة النقدية الحديثة، وأمدّها بمناهج جديدة بغية فهم النص الأدبى

وتأويله دلاليًا، "حيث بشر عالم اللسانيات السويسري "فرديناند دي سوسير" Ferdinand de Saussure (١٨٥٧ - ١٩١٣)، بميلاد علم جديد أطلق عليه اسم "السيمولوجيا" (علم العلامات)، مهمته دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية من خلال محاضراته التي أشار فيها إلى مفهوم الرمز بشكل عرضي. وفي الوقت نفسه خرج الفيلسوف الأمريكي "تشارلز ساندرس بيرس" Charles sanders peirce (١٨٣٩ - ١٩١٤)، برؤية جديدة للعلامات، أطلق عليها أسم "السيمويطيقا" (منظومة العلامات). أما الرمز فيقابل عند "سوسير" (الدال)، والمرموز إليه يقابل عنده (المدلول)؛ حيث إن العلامة عنده هي "وحدة ثنائية المبنى تتكون من وجهين يشبهان وجهي الورقة ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر. هما الدال والمدلول"<sup>(١٢)</sup>، حيث يمثل الدال الصورة السمعية التي تحدثها سلسلة الأصوات التي تلتقطها الأذن. أما المدلول فيمثل المحتوى الفكري والمضمون ويقصد به التصور الذهني الذي تثيره الصورة الصوتية. ويرى "سوسير" أن العلاقة بين الدال والمدلول هي من إنتاج المجتمع ولا تقوم على أساس ثابت بل تعتمد على ثقافة مجتمع ما في مكان ما وتاريخ ما لذا وصفها بأنها (علاقة اعتباطية)"<sup>(١٣)</sup>.

أما "شارل بيرس" فقد رأى أن العلامة تتكون من بنية ثلاثية هي: الموضوع (الدال) والمفسرة (المدلول) والركيزة (العلاقة بينهما) وقسم العلامة إلى ثلاثة أقسام:

١- "أيقونية: الدال يظهر خصائص المدلول نفسها ومثالها الصورة الفوتوغرافية، وفيها تكون العلاقة بين الدال والمدلول علاقة تشابه.

٢- إشارية: وفيها تشير العلامة إلى الموضوع الذي تعبر عنه عبر تأثيرها الحقيقي به، والعلاقة بين الدال والمدلول فيها علاقة تجاور مكاني كالسهم الذي يشير إلى مكان معين أو الدخان الذي يشير إلى وجود حريق.

٣- رمزية: وهي علامة تشير إلى الموضوع عبر عرف غالبًا ما يقترن بالأفكار العامة."<sup>(١٤)</sup> أى إن العلاقة بين الدال والمدلول عرفية، تعاقدية، متفق عليها، وأوضح مثال يمكن أن ينطبق على وصف "بيرس" لطبيعة الرمز هو الميزان الذي يرمز عادةً إلى العدل، حيث تم الاتفاق على هذا الرمز مجتمعيًا انطلاقًا من مبدأ التساوي أو المساواة الذي تشير إليه كفتا الميزان.

ونلاحظ مما سبق أن الرمز يشكل جانبًا مهمًا وأساسيًا من منظومة العلامات لدى "بيرس"، وهو ما يتفق ومفهوم كلمة الرمز في اللغة الإنجليزية (symbol)، والذي يأخذ



"معنى الاستدلال والاستنتاج ويعنى تحول شئ إلى آخر، لا سيما إذا كان الشئ جسماً ملموساً رامزاً إلى جسم أو فكرة غير ملموسة." (١٥) وأصل الكلمة "مأخوذة من اليونانية (symbolom)، وهى معنى الاهتداء إلى شئ بعد الاتفاق عليه وتقبله من الأطراف كافة منجزاً هدفاً معيناً بطريقة سليمة." (١٦)

ولا شك فى استفادة الدراسات المسرحية من بعض الانجازات التى توصل إليها باحثو السيميولوجيا، ويعود الفضل فى ذلك إلى "مدرسة براغ اللغوية بموسكو التى نمت فى ثلاثينيات القرن العشرين، وارتكزت نظريتها فى سيميولوجيا المسرح على أن المسرح يحيل الشئ إلى مغزى." (١٧) بمعنى أنه لا يوضع بصفته النفعية التى نعرفها فى حياتنا العادية بل يتحول إلى رمز إستعارى يدركه المتلقى بوعيه، بما فى ذلك الشخصية المسرحية.

"أما التقسيم الذى وضعه "بيرس" فقد أصبح مقولة أساسية فى الدراسات السيميولوجية، وظل تصنيفه لوظائف العلامة هو الإرث الأهم فى مجال سيميوطيقا المسرح والأكثر شيوعاً،" (١٨) وأكبر دليل على ذلك "ما قدمه "مارتن إسلن" **marten esslin**، فى دراسته المعنونة "مجال المسرح" عن (كيف تخلق العلامة الدرامية المعنى على المسرح)، "والتي انتهى فيها إلى ما انتهى إليه "بيرس"، حيث خلص إلى أن العلامات تنقسم إلى (أيقونة ومؤشر ورمز)" (١٩) فالشجرة مثلاً بوصفها علامة مرئية على خشبة المسرح، ليست سوى علامة أيقونية للشجرة، ولكنها عندما تبدو جرداء فى سياق درامى معين، فقد تتحول من علامة أيقونية إلى رمزية توحى بجذب الحياة وجفائها. كما تظهر العلامة الإشارية على المسرح من خلال علامات مرئية كالأسهم واللافتات والحركة والإيماءة، التى قد تكون مصحوبة بعلامة سمعية كالضمانر وأسماء الإشارة مثلاً. كما ركز "اسلن" على الشخصية المسرحية واعتبرها واحدة من أهم العلامات فى العملية المسرحية، "وذلك بالكشف عن دور ماوراء الأقوال فى صنع الدلالات، إلى جانب علاقة الشخصية بالعلامات الأخرى التى يكشفها النص الفرعى (الإرشادات)، من خلال وصف الحركة والأزياء والألوان." (٢٠) وسوف يركز الباحث فى تحليله لشخصية الكفيف على محورين رئيسين هما:

- ١- تحليل الشخصية وفقاً لأبعادها الثلاثة، وبالاعتماد على النص الأصلي (الحوار) والنص الثانوى (الإرشادات الخارجية).
- ٢- رصد الدلالات والرموز الدرامية للشخصية المسرحية، من خلال ثنائية الدال والمدلول، والعلاقة التى تربطهما معاً.



لقد حفظ لنا تاريخ المسرح بعض الشواهد الدرامية، التي أكدت على تناول الدراما لشخصية الكفيف منذ بدايات المسرح اليوناني القديم. ففي مسرحية "أوديب ملكا" للكاتب اليوناني "سوفوكليس" Sophocles (٤٩٦-٤٠٦ ق.م) وضعت الحكمة على لسان الحكيم الكفيف "تريسياس"، الذي كان يتمتع بحكمة ونبوءة. حينما أخبر ملك طيبة بأنه سينجب طفلاً يجلب الدمار للمدينة، وحدث ما حدث من قتل هذا الطفل لأبيه الملك والزواج من أمه، وحين التقاه "تريسياس" وهو ملك، أخبره بأنه هو الرّجس الذي دنس المدينة. وذُهل أوديب من تصريح "تريسياس" وعاب عليه ما آل إليه من العمى، وهنا تتم إحالة الدلالة الدينية لشخصية "تريسياس"، بوصفه علامة أيقونية للكاهن الذي يمثل الدين في كامل أثينا القديمة، ليمت الكشف عن دلالة جديدة لشخصية الكفيف مفادها "أن الحكمة في البصيرة لا البصر"، وذلك بتواجدها كطرف في ثنائية متناقضة مع شخصية "أوديب"، فرغم فقد الأول لآلة البصر الفيسيولوجية، فإنه يرى الحقيقة، ويبصر اللامرئي، بخلاف "أوديب" الذي رغم امتلاكه العضو الحيوي للبصر فإنه كان غارقاً في ظلام الجهل، لا يبصر ما يدور حوله ومن هنا يمكن القول إن المفارقة بين البعدين المادى والاجتماعى لشخصية الكفيف قد ساهمت في وضع تفسير معنوى للإعاقة باعتبارها دافعا للحكمة والمنطق.

كما اكتسبت شخصية الكفيف في نصوص المسرح اليوناني الكوميدي بعداً دلاليًا جديدًا، اتسق مع ملامح العصر والمجتمع، ففي نص "بلوتوس إله الثروة" لكاتب الملهاة اليوناني أريستوفانيس Aristophanes (٤٦٤-٣٨٦ ق.م) "تحمل شخصية الكفيف، توجهًا فكريًا وأيديولوجيًا، يهدف إلى مهاجمة إحدى الظواهر الاجتماعية والسياسية السلبية في المجتمع الأثيني آنذاك."<sup>(٢١)</sup> وفيه نجد "بلوتوس" إله الثروة قد صار أعمى وبذلك تشكل المفارقة بين بعدى الشخصية المادى والاجتماعى (المهنى)، الدلالة الرئيسة في النص، فحين يخول لفاقد البصر، وظيفة توزيع الثروات على المواطنين، يصبح رمزًا للعدالة الاجتماعية المفقودة، التي تهب الثروة لمن لا يستحقها، وتمنعها عن من يستحقها.

وقد تغيرت البنية الدرامية لشخصية الكفيف، مع تقدم العصور والأزمنة، وجاء هذا التغيير متماشياً مع التحولات التي طرأت على البنية الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية للمجتمعات، وكذلك المفاهيم الفكرية والفلسفية، حيث لم تعد شخصية الكفيف مرتبطة -

كما في المسرح اليوناني - بالبعد الميتافيزيقي، بل انطلقت مع المسرح المعاصر، لتعبر واقعياً عن الإنسان العادي، بوصفه القوة الفاعلة في المجتمع. وباختلاف البنية، اختلف المدلول، الذي جاء هو الآخر، متسقاً مع قضايا العصر الحديث وصراعاته.

تعد مسرحية "العميان" (١٨٩٠) للكاتب البلجيكي "موريس ميترلنك" Maurice

Maeterlinck (١٨٦٢-١٩٤٩م) - الذي حصل على جائزة نوبل للآداب عام

١٩١١ - واحدة من أهم المسرحيات التي تناولت شخصية الكفيف بشكل يسمح بقراءات دلالية متعددة؛ فهي دراما رمزية تحمل العديد من الإسقاطات السياسية والاجتماعية التي تصلح لوقتنا الراهن رغم كتابتها من عقود بعيدة.

وتدور أحداث المسرحية حول اثني عشر شخصاً من العميان، ستة رجال وست نساء، ثلاثة من الرجال عميان منذ الولادة، ممن يسميهم المعجم العربي (كمه) ومفردتها (أكمه)، وثلاثة فقدوا البصر في طفولتهم، أما العمياوات الست، فثلاث منهن عجائز يصلين طوال الوقت، وعمياء هي الأكبر سناً من الجميع، وأخرى شابة فاتنة الجمال، والسادسة معتوهة، تحمل طفلاً رضيعاً، والجميع في انتظار كاهن عجوز، جاء بهم من الملجأ، حيث كان دليلهم لنزهة أرادها لهم للتمتع بآخر يوم مشمس قبل أن يحل فصل الشتاء بغيومه وصقيعه، وقد تركهم في وسط الغابة، زاعماً أنه سيأتي بالمأكل والمشرب للطفل، لكنه لا يعود، وعندما يفقد هؤلاء العميان دليلهم الوحيد المبصر، يلجئون إلى الحوار، ليخفف عنهم وطأة الخوف والانتظار، وفجأة يخرقهم كلب الملجأ، ليقودهم إلى جثمان الكاهن، الذي كان يرقد على مقربة منهم مفارقاً الحياة، فيتملكهم الخوف بعد أن فقدوا الأمل في الخلاص، وتنتهي المسرحية بصرخة مدوية للطفل الرضيع، وكأنه رأى شيئاً مرعباً تهتف على إثرها العمياء العجوز راجية الرحمة من هذا المجهول.

تحمل المسرحية بعداً فلسفياً، يسمح بقراءة الشخصيات على مستويات دلالية عدة، فحن أمام جماعة من العميان في انتظار الكاهن الذي اقتادهم إلى الغابة ليتركهم لمصيرهم القاض.

"الأكمه الأول: لقد أخطأ باقتيادنا إلى هنا

الأكمه الثاني: ... نحن على كل حال لا نرغب في مغادرة الملجأ



الأكمه الثالث: لم يسبق أن أتينا إلى هنا من قبل، ولا جدوى من اقتيادنا إلى مثل هذا المكان البعيد.

العمياء الأكبر سنا: كان الطقس جميلاً جداً صباح اليوم فرغب في أن نستمتع بآخر الأيام المشمسة قبل أن نظل سجناء الملجأ طوال فصل الشتاء.

الأعمى الأكبر سنا: إنه على حق، ولا بد من التفكير في الحياة وشكلها.  
الأكمه الأول: إلا أنني أفضل البقاء في الملجأ ... ليس من شئ جدير بالمشاهدة خارج الملجأ.<sup>(٢٢)</sup>

إن صيغة الرفض والاستنكار - التي حملتها الارشادات الداخلية - في الحوار السابق من قبل (الكمه) تجاه ما وصفوه بالاقتياد من قبل الكاهن، تعد علامة سمعية تدفعنا إلى النظر للشخصيات الاثنى عشر، وفقاً لدلالاتهم الأيقونية باعتبارهم مجموعة من البشر فاقدى البصر، وفهم النص بشكل واقعي باعتباره ترجمة لحالة الاغتراب النفسى لدى أصحاب تلك العاهة، والتي يصحبها نوع من العزلة والوحدة، والتمركز حول الذات، وعدم القدرة على المواجهة، أو التكيف مع العالم الخارجى؛ حيث يشكل كف البصر دافعاً نفسياً للشعور بالنقص والخوف من المجهول.

وتأكيداً لذلك جاءت صيغة الرفض والاستنكار لدى الشخص الأعمى، بشكل أقل حدة منه لدى الأكمه، وذلك لخوف الأخير من مواجهة الواقع الخارجى، بكل ما يحمله من غموض، خاصة وأنه لم يتعرف عليه طيلة حياته، بخلاف الأعمى الذى حظى بمعايشة الواقع والانفتاح على العالم الخارجى قبل فقد بصره، ومن هنا لم يجد غضاضة فى الاتصال به مرة أخرى، وهو ما يتماشى مع البعد النفسى والمنطق الواقعى الذى يتعايش به فاقدو البصر. وهنا يظل علينا (الملجأ) بدلالته الأيقونية كمكان، داخل إحدى الكنائس المهجورة، لإيواء العميان وتوفير الرعاية والحماية لهم، أما الكاهن فيظل محتفظاً ببعده الاجتماعى فهو المنوط بخدمتهم ورعايتهم.

ولا يتوقف الرمز فى نص "العميان" عند حدود الدلالة الأيقونية، بل يمتد بمستوياته المتعددة، متوأكباً مع نمو الحدث الدرامى.



"الأكمة الثالث : لقد أقبل يربت على كفى وأنا لا أزال نائمًا ويقول لى: انهض انهض حان الوقت وارتفعت الشمس عاليًا جدًا .. هل هذا صحيح؟ لم الحظ ذلك .. أنا لم أر الشمس فى حياتى قط .. لماذا يريدنا أن نخرج كلما ظهرت الشمس؟! من منا يلاحظها؟! إنى لا أميز ما إذا كنت أتجول ظهرًا أو فى منتصف الليل." (٢٣)

لقد وظف الكاتب فى الحوار السابق، تقنية الاسترجاع، بالعودة إلى ماضٍ لاحق لبدائيات النص، يعيد فيه "الأكمة الثالث"، تصوير حديث "الكاهن" له، وبالبحث عما وراء الكلمات (الإرشادات الداخلية) يمكننا الكشف عن المفارقة بين البعد المادى لجماعة العميان (فقدان البصر)، وبين رغبة "الكاهن" فى أن يريهم ضوء الشمس، تلك المفارقة التى أثارته دهشة "الأكمة الثالث"، وولدت العديد من الدلالات التى تمنح (العمى) معنى مجازيًا بعيدًا عن كنيته الفسيولوجية، لتصبح الشخصيات رمزًا "لوحدة الإنسان وانعزاله وخوفه الدائم، من المجهول والقوى الغيبية التى تتحكم فى مصيره." (٢٤) وهنا تصبح الحقيقة هى ضوء الشمس المبهر، أما العمى فهو الجهل وعدم القدرة على مواجهة العالم المحيط، والتعايش معه. لقد تمت الإزاحة الدلالية لمجموعة العميان لتشكّل تركيبة فكرية اجتماعية تمثل الإنسانية المسحوقة التائهة والباحثة عن الأمل وسط حاضر مشوه ومستقبل مجهول. وهو ما يؤكد البعد النفسى للشخصيات؛ فهى شخصيات مبهمّة، خائفة، هشة، فاقدة للحياة، صامته أبدًا لولا العمى الذى يدفعها إلى الكلام. إنها تعيش حالة عجز وجودي، ولا تصارع القدر بل تصمت أمامه بثبات.

إن "العلامة ليس لها دلالة إلا بعلاقتها داخل نسق دلالي متكامل" (٢٥) ولهذا فيسعى الباحث إلى تأكيد هذه الدلالة عبر أنساق مختلفة؛ فالعميان فى نص "موريس ميترنك" هم شرائح لإنسان العصر الحديث بكل مفاهيمه وصراعاته وانقساماته الداخلية؛ حيث يمثل الكمه الثلاثة المسنون، الجانب التشاؤمي والنظرة السوداوية للحياة، بخلاف العمياء الشابة الحسنة التى تمثل الجانب المتفائل المشرق.

"العمياء الشابة: أنتسم أريج أزهار من حولنا.

الأكمة الأول: أنا لا أشم غير رائحة الأرض.

العمياء الشابة: بل هناك أزهار.. هناك أزهار من حولنا.

الأكمه الثاني: أنا لا أشم غير رائحة الأرض.

العمياء الشابة : لقد شممت عبير الأزهار فى الريح

الأكمه الثالث: أنا لا أشم غير رائحة الأرض..<sup>(٢٦)</sup>

وقد تأكدت هذه الدلالة عبر الإرشادات الخارجية الخاصة بالأداء الحركى للكمه (يرفع الجميع رءوسهم نحو السماء باستثناء الكمه الثلاثة يواصلون النظر إلى الأرض)<sup>(٢٧)</sup> أما الأعمى الخامس والسادس فيمثلان ثنائية الطاقة السلبية والإيجابية.

"الأعمى الخامس: كنت غافيا... دعونى أنام.

الأعمى السادس: بدأت أدرك أين نحن..... هيا نرى.. هل هناك من يرغب أن يتبعنى الأكمه الأول: لنبق جالسين..لنتنظر.. لنتنظر."<sup>(٢٨)</sup>

أحدهما يخرج من دائرة الحدث ليخلد إلى النوم منتهرا من يحاول إيقافه من غفوته، والآخر يمثل دافعا للفعل ولكن دون جدوى، فالطاقة السلبية وقسوة الواقع، تبطان من عزيمته، فحين ينهض متحمسا طريقه، يعثر فى السياج والأشجار المقطوعة، التى تعوق سيره. كما تمثل العميوات العجائز اللاتى تصلين طوال الوقت، الجانب الروحى - فى إنسان ذلك العصر-، الذى انزوى فى ركن بعيد أمام ماديات الحياة وصراعاتها. أما العمياء المعتوهة فتمثل الجانب اللاواعى الذى فقد ارتباطه بالمنطق والفكر السليم، وفى المقابل تمثل العمياء الأكبر سنا، بمشاركة الأعمى الأكبر سنا، جانب الحكمة والمعرفة بدعوتهما لوجوب التفكير فى الحياة وشكلها، ولكنهما يفشلان لتظل حالة التيه والتخبط والعزلة هى المسيطرة على الشخصيات.

وقد أكدت الإرشادات الخارجية دلالة الشخصيات باعتبارها رمزا للإنسانية جمعاء فمئحتها دلالة أعمق حيث جاء وصفها كالاتى: (ترتدى النساء - مثل الرجال - ثيابا فضفاضة قائمة، ولباسا موحدًا. العميان جالسون بأكثرتهم فى وضعية ترقب ويبدو على الجميع أنهم فقدوا عادة القيام بحركات لا طائل من ورائها).<sup>(٢٩)</sup>

لم تعط الإرشادات أى معالم محددة لكل شخصية، مما أكسب الشخصيات دلالة أكثر شمولية وعمقا، من كونهم مجرد (عميان).



كما تأكدت دلالة عزلة الإنسان وعجزه عن مواجهة الواقع المرير من خلال طبيعة العلاقة بين الشخصيات، وسعيهم لبناء حواجز -معنوية أكثر منها مادية- بينهم، تجبرهم على الانصياع وتقبل مرارة الواقع، أو مواجهته فرادى ومن ثم الهزيمة والفشل في تغييره.

"العمياء الأكبر سنا: ها نحن جالسات على حجارة.

الأكمه الأول: يوجد عائق ما بيننا

الأكمه الثاني: من الأفضل أن يظل كل منا في مكانه

الأكمه الثالث: أين أنتن جالسات؟ هل ترغبين في الاقتراب منا؟

العمياء الأكبر سنا: لا نجرؤ على النهوض." (٣٠)

لقد اكتسبت حركة الشخصيات أهمية خاصة في تأكيد هذا المعنى؛ حيث عكست حالة الجمود والانغلاق وعدم القدرة على الفعل أو التفاعل مع العالم الخارجى.

وقد امتدت هذه الدلالة لتشمل المكان والزمان؛ فعلى مستوى العلامة البصرية، فإننا أمام غابة وصفتها الإرشادات الخارجية بأنها قديمة جداً ذات مظهر دهري، وفي هذه الغابة بعض أشجار الصفصاف الحزين وأشجار جنائزية وزنقيات طويلة هزيلة، "مما يوحى بتاريخ بشرى مديد ليس له بداية ولا نهاية، كما أن الكاتب لم يعط هذا المكان أية معالم جغرافية أو تاريخية محددة بحيث يكتسب شمولية تتسع لأى مكان على سطح هذه الأرض"؛ (٣١) لقد استخدم الكاتب فى إرشاداته الخارجية صفات للصورة المكانية للغابة، تخرج بها عن مجالها الطبيعي، لتصبح -بغموضها وظلالها وكآبتها- شبيهة بهذا الواقع المرير الذى نعيشه، والذى مات على أعتابه الأمل فى التطلع للخارج- ونقصد به الكاهن- ليطمئن الجميع الخوف من المصير المجهول.

"الأكمه الأكبر سنا: أستم خائفين هنا؟

الأكمه الأول: من تقصد؟

الأعمى الأكبر سنا: أنتم جميعا.

العمياء الأكبر سنا: أجل أجل .. نحن خائفون." (٣٢)



كما جاء التشكيل البصرى للملجأ: مكملًا ومدعمًا لتلك الدلالة، حيث لم يكن وصفه على لسان العمياء الأكبر سنًا (بالقديم المعتم البانس جدا)<sup>(٣٣)</sup>، إلا رمزًا للعزلة وسجن الذات، وهو ما أكدته الأعمى الأكبر سنًا حين قال:

"الأعمى الأكبر سنًا: ها قد أنقضت سنوات وسنوات ونحن معًا، لم ير أحدنا الآخر قط .. إننا نحيا كأننا في عزلة تامة."<sup>(٣٤)</sup>

وقد لعبت المؤثرات الصوتية والبصرية دورًا مهمًا في عكس جو الغموض والخوف المسيطر على المكان والإيحاء بالخطر الخارجى المحيط بالعميان، وهو ما وضحته الإرشادات الخارجية على مدار أحداث المسرحية " (الجو حالك الظلام- يسمع صوت طيور ليلية وهي تصيح فجأة وسط الظلمات- يسمع طيران طيور كبيرة مهاجرة وهي تمر بصخب فوق الأشجار- تهتز الغابة لصوت المطر وتسقط الأوراق كتلا معتمة- تشتد الرياح فى الغابة ويهدر البحر فجأة بشكل عنيف- تعصف زوبعة بالأوراق الجافة- يسمع وقع أقدام)."<sup>(٣٥)</sup>

كما تكشف القراءة التحليلية للنص عن حضور الدلالة السياسية باعتبارها مقومًا أساسيًا من مقومات المستوى الرمزي فى العمل كله، والتي "ترمز لغياب الدليل وغياب القائد، ثم الانتظار الأبدى لكل هذا الذى لا يأتى دونما حراك وعلى نحو شديد السلبية.

العمياء الشابة: لقد سببتم له أشد العذاب. أنتم تسببتم فى موته لم يعد فى نيتكم أن تتقدموا وصرتم راغبين فى الجلوس على حجارة الطريق كى تأكلوا .. ظللتم تدمدمون طوال النهار .. كنت أسمعوه وهو يتنهد."<sup>(٣٦)</sup>

إن حال العميان هنا هو حال الشعوب الغارقة فى ظلمات القهر والظلم، الشعوب التى غاب عنها وغيابها ارتضت على نفسها الخنوع، واستلذت العيش داخل جدران الخوف (الملجأ)، رافضة اليد التى امتدت لها بالعون (الكاهن)، ليظل قدرها محكومًا بالجمود، فى انتظار قائد آخر مجهول لينتشلها من حالة الضياع والتخبط التى تعيشها.

كما يعتبر الرمز الدينى من أهم المحاور الدلالية التى يفيض بها النص وقد لعب الرقم إثنا عشر (١٢) دورًا حيويًا فى ربط الشخصيات بمعنى جديد يحيلنا إلى الاثنى عشر حوارياً، الذين اختارهم السيد المسيح - عليه السلام - الذى يمثله الكاهن، لتبليغ الدعوة ونشر

المسيحية في العالم، وقد تأكدت هذه الدلالة من خلال الإرشادات الخارجية التي ساهمت بوصفها للوضع الجسدي للكاهن في استدعاء صورة المسيح المصلوب ("يستند جذعه ورأسه، المرتدين قليلاً إلى الوراثة والساكنين سكون الموت، إلى جذع سندیانة ضخمة جوفاء")<sup>(٣٧)</sup>، بالإضافة إلى تكرار كلمة كنيسة على لسان مجموعة العميان في أكثر من موضع، والحديث عن راهبات الملجأ، والأبرشية<sup>(\*)</sup> التي ينتمي إليها الكهنة الثلاثة، مما يشعرنا بأننا أمام مجموعة من المسيحيين في انتظار المخلص الذي لم يأت بعد:

"وقد تتسع هذه الدلالة لتشمل الدين في علاقته مع الإنسانية كلها. المتمثلة في الرجال والنساء"<sup>(٣٨)</sup>، ويصبح الكاهن هنا رمزاً للدين الذي يحاول الخروج بالبشرية من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهداية والرشاد، وموته ليس سوى إشارة إلى تقويض أركان الدين وركائزه بعد أن خبت شعلته وتضاءلت قيمته.

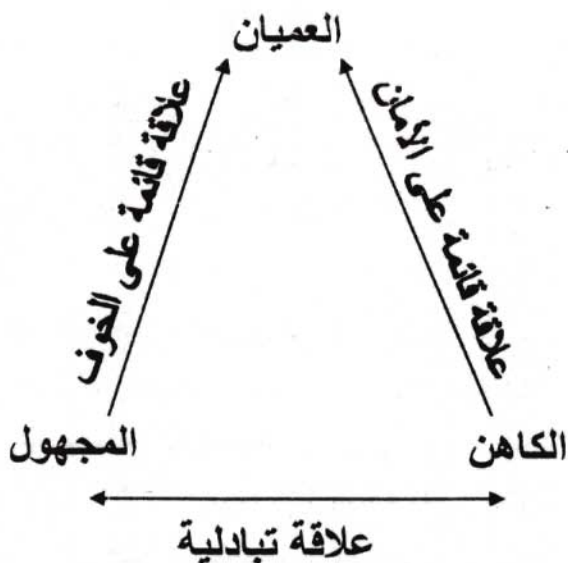
"الأكمة الأول: لقد بات مسناً جداً، ويبدو أن بصره - هو أيضاً - قد صار شحيحاً منذ بعض الوقت، لكنه لا يرغب في أن يصرح بذلك مخافة أن يأتي آخر ليحتل مكانه بيننا."<sup>(٣٩)</sup>

وبالبحث عما وراء المعنى (الإرشادات الداخلية) يمكن الكشف عن محاولة الدين في إيجاد مكان له في قلوب البشر، خوفاً من أن يأتي أحد بديلاً عنه ليغوى البشر بملذات الحياة الفانية، والذي يرمز له في ضوء هذه الدلالة، بالمجهول الذي يقتحم عالم العميان في نهاية المسرحية.

وبالرغم من تعدد الدلالات، على المستوى الإنساني والاجتماعي والسياسي والديني، لشخصيات النص، فإنها تصب جميعها في مغزى واحد، يعكس حالة الحيرة والتخبط الأعمى التي يعيشها الإنسان المعاصر في أواخر القرن التاسع عشر، "حيث هزت الثورة الصناعية والأنظمة الرأسمالية المستبدة، الأطر الحضارية هزاً عنيفاً، بتغليبها للمادية على أية قيم مطلقة"<sup>(٤٠)</sup> واختزال الإنسان في بعده المادي الاستهلاكي - الذي أشير إليه في النص بالمأكل والمشرب - وظهور العديد من الأطروحات الفلسفية الإنسانية المغلوطة التي نادى بموت الإله وتنحية الدين جانباً، بوصفه معوقاً للإنتاج، وحائلاً أمام التقدم.<sup>(٤١)</sup>

وفي ضوء اعتبار مجموعة العميان كياناً واحداً، ورمزاً للإنسانية العاجزة عن إدراك مصيرها الغامض، يمكن تحديد شبكة العلاقات التي تربطها بالشخصيات الأخرى كما بالشكل الآتي:





الشكل السابق يلخص فكرة الوجود الإنساني الحائر الذي فقد الأمان بموت الأمل في الخلاص ليتملكه الخوف من انتظار المجهول.

وقد تداخلت عناصر البناء الدرامي للنص بشكل متناغم من أجل تأكيد هذا المغزى؛ حيث جاء الحدث الدرامي ساكنًا يتميز بالاستاتيكية الشديدة على المستوى الخارجي، ولكنه يتحرك بعمق واضطراب داخل الشخصية ليخلق صراعًا نفسيًا، يجسد حالة اليأس والانتظار غير المجدى والخوف من المجهول وهو ما أكدته الدلالة اللونية للأضياء القاتمة، وهو ما يؤكد رأى "مارون الوود"<sup>(٤٢)</sup> الذي أشار إلى أن "هناك ما هو أهم من الحكمة، هناك ذلك الشيء الذي يعطى الحكمة معنى ومغزى وحياة، هذا الشيء هو الشخصية".

كما يأتي الحوار متسقًا مع دلالات النص، فهو لا يخلو من بعض التقابل على مستوى الألفاظ والجمل، باعتبار أن طبيعة البنية الفكرية تستدعي مثل هذه التقابلات (الظلام/ النور)، (الجهل/ المعرفة)، (الميلاد والموت) كما جاء الحوار مدعّمًا لطبيعة الشخصيات الداخلية، "فهو ليس حوارًا دراميًا تقليديًا، بل هو مناجاة شعرية أقرب إلى الصرخة، صرخة استغاثة تضع في الظلام"<sup>(٤٣)</sup>.



لقد قدم "ميتزلنك" نصًا يموج بالدلالات والإدانات المنبعثة من واقع المجتمع الأوربي في أواخر القرن التاسع عشر، والمتفقة مع التحولات الحضارية والفكرية والثقافية آنذاك، ونجح في توظيف الرمز توظيفًا فنيًا فعالًا، وأعطاه أبعادًا فكرية يسمو بها عن المتعارف عليه؛ حيث رفض محاكاة الواقع وتمكن من استنباط المعاني الرمزية الكامنة في الظواهر الحسية، والاعتماد على الإيحاء بدلًا من الإشارة المباشرة، كما استخدم لغة تعتمد على الصور والاستعارات. (٤٤)

ولا تخلو نصوص المسرح الأوربي في القرن العشرين من شخصية الكفيف، التي وظفت باعتبارها رمزًا واضحًا للقلق الإنساني، إزاء ما يحيط به من أزمات سياسية واجتماعية واقتصادية، في ظل الحروب العالمية والصراعات الإقليمية. وتعد مسرحية "الفيثارة الحديدية" للكاتب الإيرلندي "جوزيف أوكونر" Joseph O'conor (١٩١٦ - ٢٠٠١)، واحدة من أهم المسرحيات، التي سعدت بشخصية الكفيف إلى آفاق دلالية، تتماشى والظرف الزماني؛ حيث تناول المسرحية تلك الفترة الحرجة من تاريخ أيرلندا، عندما كانت تناضل من أجل استقلالها عن إنجلترا، وتسعى بكل جهودها لكي تصبح دولة معترفًا بها، لها كيانها وبرلمانها ودستورها، في الفترة ما بين (١٩١٦، ١٩٢١) (٤٥).

يطرح النص نموذجًا لشخصية الكفيف، من خلال ضابط الجيش الإيرلندي "ميكيل أوريوردون" الذي أدلى بدلوه في ثورة عيد الفصح عام ١٩١٦، ولكنه فقد بصره، وأصبح غير قادر على مواصلة كفاحه، فعمل مديرًا لممتلكات واحد من رجال الأعمال الإنجليز يدعى "تولى"، الذي اشترى قصرًا من قصور أيرلندا ليقضى فيه إجازاته. وتبدأ المسرحية في غضون عام ١٩٢٠، حيث يستعد مستر "توللي" صاحب القصر للفرار منه؛ لأنه لم يجد فيه الراحة التي كان ينشدها، في ظل الحروب الطاحنة بين إنجلترا وأيرلندا، وتحويل قصره إلى مقر للثوار الأيرلنديين، يحتجزون فيه أسراهم من بنى وطنه. وتعهد القيادة الأيرلندية "لأوريوردون" حراسة الضابط الإنجليزي "جون تريجارثن"، الذي وقع أسيرًا لرجال الجيش الجمهوري الأيرلندي - لأنهم جميعًا كانوا منهمكين في المعركة ضد الإنجليز - ولأنه كفيف، فقد اكتفى بكلمة شرف من "جون"، عاهده فيها بألا يهرب.

"أوريوردون: الكابتن جون تريجارثن ضابط في الجيش الإنجليزي وهو أسيرى.

تولى: أسيرك؟

أوريوردون: لقد أسر بالقرب من دبلن منذ ثلاثة شهور وأرسل إلى هنا فى حراستى ولأسباب يجب ألا تخفى على أمثالك فأنى لا أستطيع أن أراقبه، ولا يمكننا أن نستغنى عن رجال ليحرسوه ولذلك فهو على عهد - كلمة شرف - وفى هذه اللحظة هو يصطاد الأرانب<sup>(٤٦)</sup>

ويتجول "جون" فى القصر حرًا طليقًا، ويخرج للصيد مع "مولى" ابنة عم "أوريوردون"، التى وقعت أسيرة هواه، والتى كان "أوريوردون" هو الآخر يحبها، ويرغب فى الزواج منها، لولا أنه فقد بصره فأحجم عن مصارحتها، خشية أن توافق على الزواج إشفافًا عليه، لا حبًا له. ويميل "أوريوردون" إلى الضابط "جون" بالرغم من أنه عدو بلاده، ثم لا يلبث الميل أن يتحول إلى صداقة، سرعان ما تحولت إلى محبة وإعزاز. ويتمتع "جون" بحياة رومانسية مرحة مع "مولى"، ولكن تشاء الأقدار أن يتعكر صفو هذا الجو الرائع، حيث يأتى أمر من القيادة العليا إلى القائد الأيرلندى "كيلى"، يقضى بانتقاء ثلاثة من الأسرى الإنجليز بنظام القرعة ليعدموا رميًا بالرصاص ثأرًا لثلاثة من القتلى الأيرلنديين ممن قتلهم جنود الإنجليز (البلاك أند تانز) بلا أدنى ذنب، ويأمر "كيلى" "أوريوردون"، بإجراء القرعة، ويكون الاسم الثالث هو "جون" صديقه وأسيره، ويحاول "أوريوردون" إقناع "جون" بالهرب، لكنه يرفض؛ إذ إنه أعطى كلمة شرف بالبقاء ولا يمكنه أن يحنث بوعده. ويتسلل جنديان إنجليزيان من الجماعة الثورية "البلاك أند تانز" إلى القصر ويأسران "أوريوردون" بعد أن يتكهمان على فقدانه لبصره، وهنا يتدخل "جون" وينقذ صديقه من قبضتهما ويأتى "كيلى" فيأسرهما ويودعهما السجن تمهيدًا لمحاكمتهما، هنا تزداد قناعة "أوريوردون" بعدالة موقفه تجاه "جون"، ويحاول ثانية إقناعه بالهروب، وأخيرًا يرضخ "جون" لتوسلات صديقه خاصة بعد مصارحته بالخطر الذى يحيط به ويضعان بالاتفاق مع "مولى" خطة للهروب فى قطار البضائع، ولكنها تفشل، بعد أن يعجل "كيلى" بموعد تنفيذ حكم الإعدام فى "جون"، ويحاول "أوريوردون"، أن يثنى عزيمة "كيلى" عن تنفيذ الحكم؛ مذكّرًا إياه بما عانوه من ويلات الحرب، ويدعوه أن يضع حدًا لآلام الناس، وأن يجلب السعادة إلى قلبى حبيبين



يتطلعان إلى مستقبل سعيد، ولا تجدى ضراعات "أوريوردون" فتيلًا، ويسدل الستار على صوت القطار ومعه الصوت الأمر بإطلاق الرصاص.

تحدد سمات شخصية "أوريوردون" (الكفيف)؛ من خلال رصد توصيفي عبر الإرشادات الداخلية والخارجية.

(في فجوة في الحجرة بعيدة عن الدرج، ووجهة بعيد عن المتفرجين يجلس ميكل أوريوردون وقد كف بصره حديثًا) <sup>(٤٧)</sup>.

"أوريوردون: هل سمعت عن "البلاك أند تانز" أم ترى الصحف الإنجليزية تخجل من ذكرهم؟ إنهم أولئك السادة الذين نصبوا كمينًا لدورتى منذ ستة شهور، ومنذ ذلك الوقت لا فرق عندي بالنسبة لأي اتجاه في الحجرة ليست هناك نوافذ في أى مكان" <sup>(٤٨)</sup>.

"الجندي الإنجليزي الأول: الكابتن ميكل أوريوردون العظيم - بمفرده تماما - يحرس المركز الرئيسي بقيثارة محشوة..... انظر يا رجل إنه أعمى" <sup>(٤٩)</sup>.

تكتسب الإرشادات المسرحية (داخل الحوار وخارجه)، أهمية متنامية من حيث احتوائها على عدد من التوصيفات المحددة للأبعاد المادية والاجتماعية، التي تكسب الشخصية دلالة أيقونية، فنحن أمام ضابط أيرلندي أعمى، فقد بصره منذ زمن قريب (ستة أشهر) في معركة التحرير التي خاضتها أيرلندا ضد إنجلترا عام ١٩٢٠ - زمن أحداث المسرحية - وهو يمثل بذلك ضحية من ضحايا الحرب التي لا تجلب سوى البؤس والشقاء ومزيدًا من الكراهية والفرقة وسفك الدماء. ولا تقف حدود النص عند تلك الدلالة الأيقونية التي تتسق مع واقعية الأحداث، حيث يمكن الانطلاق عبر القراءة التأويلية، وبالبحث عما وراء الكلمات، إلى مستويات رمزية أكثر خصوصية وعمقًا لشخصية الكفيف. فعلى مستوى الدلالة السياسية يرى "أحمد السيد النادى" <sup>(٥٠)</sup> شخصية "أوريوردون"، ضلعًا من أضلاع مثلث يمثل أيرلندا، حيث يشكل "كيللى" ضلعه الأول ويمثل أيرلندا الثائرة المتشددة، التي تسعى لتحطيم القيود بحد السيف، لا يعرف التفاهم أو الحل الوسط، بينما ترمز "موللى" لأيرلندا المستقبل ذات الآمال العريضة، تنظر إلى الجانب المشرق في الحياة، تحيا حياة قوامها الحب والمتعة والرومانسية، أما "أوريوردون" فيشكل الضلع الأخير من المثلث ويرمز إلى أيرلندا التي تسعى للاستقلال ولكنها مكبلة بالأغلال تحب السلام وتندد بالحروب ولكن



الأقدار أقوى منها، متسامحة رحبة الصدر ولكنها ترتكب الأخطاء وتراهن على الجواد الخاسر".

أى إن شخصية الكفيف فى هذا النص ترمز للجانب المضى من الشعب الأيرلندى، الذى كف بصره عن أية صراعات سياسية أو اختلافات دينية ومذهبية، شغب يدعو إلى السلام ونبذ الحروب والكف عن التعصب الدينى والعنصرى وقد توافقت هذه الدلالة مع البعد النفسى لشخصية "أوريوردون" فبالرغم من فقدته لبصره فإنه يرى العالم من خلال منظار وردى مشرق.

"أوريوردون: أحيانا أتحدث إلى نفسى بقسوة، وأقول لنفسى إنه سجينى، ولا أعرف إن كنت أصدق ذلك أم لا .. إن العالم بالنسبة لى لم يعد كما كان .. إنى أرى بنور مختلف تمامًا ويبدو الناس أكثر جمالاً. الأصدقاء يبدون كذلك. هل هو ضابط إنجليزى فعلاً أو مجرد صديق عزيز؟ تعويض من الله للعميان؟ أيهما هو؟"<sup>(٥١)</sup>.

وتأكد هذه الدلالة من خلال العلاقة التى تربط "أوريوردون" بأسيره وابنة عمه وهى علاقة قائمة على الإيثار والتضحية بالذات من أجل إسعاد الآخرين فقد بارك "أوريوردون" زواج أسيره "جون" الضابط الإنجليزى البروتستانتى من "مولى" ابنة عمه الأيرلندية الكاثوليكية- رغم حبه لها- ، وضحي بسعادته فى سبيل إسعادهما، وكأنه يشارك فى توقيع معاهدة سلام بين عدوين من جنسيتين مختلفتين ومذهبين متباعدين.

"أوريوردون: إنك تتحدث عنى كما لو كنت أصبح رجلاً سعيداً لو تزوجت مولى. إذا كان هذا ما تظن يا كيلي فصدقنى بحق الله إنك مخطئ. إن سعادتى الآن مرتبطة بجون ومولى بكليهما هل تفهم؟ كلاهما.. سعادتى الوحيدة فى الحياة هى انعكاس سعادتهما، وإنها لجميلة بسبب ذلك.

كيلي: إنك تتكلم من الظلام يا ميكيل. أنا أستطيع أن أرى وفى الخارج أرى النور يتجمع وسرعان ما ينبثق الفجر.

أوريوردون: المرء يستطيع أن يرى أكثر وضوحاً فى الظلام مما لو بهر النور عينيه فأعماهما"<sup>(٥٢)</sup>.

بالبحث عما وراء الكلمات في الإرشادات الداخلية بالحوار، يمكن الكشف عما يمثله فقدان البصر باعتباره علامة مادية قابلة للإزاحة الدلالية من مجرد عاهة فسيولوجية إلى جملة من المدلولات المركبة، فمن رحم علاقة التعارض والتضاد بين "أوريوردون" و "كيلى" تولدت ثنائية "النور والظلام" نور "أوريوردون" الكفيف، الذى يرى أن الحب هو أساس التعامل بين الناس وأن الاختلاف بين المذاهب الدينية يجب ألا يكون عائقاً أمام تجميع القلوب، وظلام "كيلى" المبصر، الكاثوليكي المتشدد الذى لا يعرف سوى الحقد ولغة القتل والاغتيال باسم الوطنية وباسم الدين. وكان ثنائية (أوديب وتريسياس) تتكرر ولكن بشكل عصى وفي ظروف تاريخية مختلفة؛ حيث إن شخصية الكفيف -من خلال هذه المعطيات- تمنحنا دلالة إنسانية مفادها أن العمى ليس عمى العيون، ولكنه عمى القلوب التى تحجرت وقست، وتملكها الكره والعداء، وقد أكدت الإرشادات الخارجية هذه الدلالة بوصفها للبعد النفسى لشخصية "كيلى" من خلال تحديدها لنغمة الصوت وطريقة الإلقاء والأداء الحركى "بسخرية- فى عنف- بيروود- يكسح ما تبقى من الملاعق إلى الأرض فى نوبة من الغضب البارد- متجاهلاً" (٥٣).

وذلك بخلاف "أوريوردون" التى ساهمت الإرشادات الخارجية فى إبراز التضاد بينه وبين "كيلى" من خلال وصفها المتكرر لأدائه الصوتى (فى حزن- فى رفق- بابتهاج لينعش جون- يضحك- برقة- يغنى) (٥٤).

كما اكتسبت شخصية الكفيف فى نص "القيشارة الحديدية" بعداً دلاليًا دينيًا جاء متسقاً مع بعدها النفسى، حيث يرى "درينى خشبة" (٥٥)، أن شخصية "أوريوردون" الكفيف، ترمز للروح المسيحية، بخاصة روح المحبة والإيثار والوفاء بالعهد، وتنفذ تعاليم السيد المسيح التى من أهمها أن يحب الإنسان الناس جميعاً، وأن يحب عدوه كما يحب صديقه". فالسيد المسيح لا يكتفى بمحبتنا للذين يحبوننا، لأن ذلك أمر بديهي، ولكن المهم أن يدرّب الإنسان نفسه على محبة من لا يحبه، وإن كان عدوه. وهو ما ورد على لسانه فى إنجيل متى حيث يقول: "أما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى مبغضكم؛ وصلوا لأجل الذين يضطهدونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم فى السماوات" (٥٦).



وقد تامت هذه الدلالة، من خلال محورين أساسيين أولهما، اعتقاد "أوريوردون" بأن الظلام - يقصد فقدانه البصر - قد يصعد بالإنسان إلى مصاف الآلهة، وفي ذلك إشارة للنزعة الروحية وسمو المشاعر التي اكتسبها بفضل عاهته والتي ميزته عن غيره من المبصرين. "أوريوردون: في ضوء الشمس أفضلنا يبدو منهكا بعض الشيء، أما في ضوء الشمعة فإننا شبه مبهورين، وفي نور الظلام، - كالذي أعيش فيه الآن-، فإننا نكون آلهة"<sup>(٥٧)</sup>.

أما المحور الثاني فقد جاء على مستوى اللغة الحوارية، حيث زخرت أحاديث "أوريوردون" - وحده دون غيره من الشخصيات - بأساليب التضرع والخشية التي تكررت بشكل ملحوظ بطول المسرحية منها:

(بحق الله - باسم المسيح الحى - يا آلهى المقدس - أيها القديسون الأحياء - المجد لله - يا للمسيح - باسم الله - أسألك باسم الحب).

وتكون آخر كلماته التي يسدل معها ستار المسرحية "يا يسوع يا منقذى"، وكأنها صرخة تطلب الخلاص، ليس الخلاص الفردى المرتبط بأزمات شخصية، بل الخلاص العام من هموم العصر وأزماته.

وتشكل المفارقة فى البعدين المادى والاجتماعى بين شخصيتى "أوريوردون" و "جون" نسقاً دلاليًا جديدًا لمعنى الحرية، الأسير فيه هو الحر، والحر هو الأسير فأوريوردون حارس لأسير، ولكنه هو نفسه أسير الظلام أما "جون" الأسير فنراه حرًا طليقًا يحيا حياة قوامها الحب والانطلاق.

"أوريوردون: نحن كلنا فى السجن معا يا جون بطريقة أو بأخرى فانا سجين الظلام، ونحن جميعًا سجناء أجسادنا أليس كذلك؟ وإذا هربنا داخل عقولنا لوجدنا أنفسنا داخل فلسفة ذات جذران سميكة، وإذا هربنا من الحياة ذاتها فسنكون خلف قضبان الأبدية الشاهقة، إنه وجود محاصر فظيع، ومع ذلك نستطيع أن نغنى فى ألقاصنا فنحن فى سعادة كافية، ولذلك لا داعى للقلق"<sup>(٥٨)</sup>.

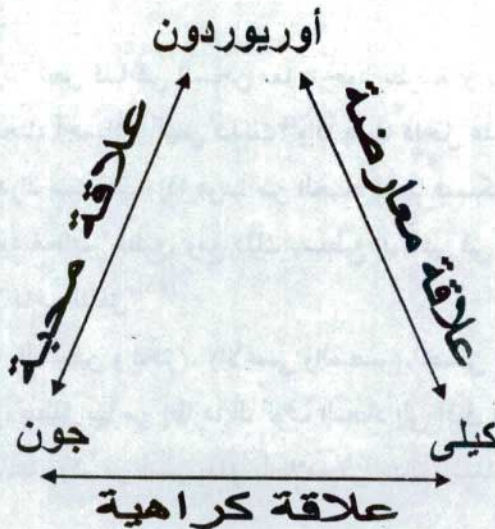
إن ثنائية (السجين والحر)، (الأعمى والمبصر)، تصفى بعدًا رمزيًا لمعنى الحرية بمفهومها الواسع، ينطلق بها من إطارها المألوف المعتاد إلى آفاق أعمق دلالة، فكم من حر أسير حلمه أو عاهته، وكم من أسير حلق بأحلامه فى عنان السماء؛ فالحرية هنا ليست فى



الهروب من سجن القضان، بل في تحطيم قيود سجن الذات وقد ساهمت شخصية الكفيف بوجودها مقابل شخصية الأسير "جون" في خلق دلالة جديدة للحرية بوصفها فكرة غير قابلة للتغيير، وشعورًا داخليًا بالسعادة يسكن عقل الإنسان ووجدانه. حتى وإن كان مكبلًا بالقيود، فالإنسان في نظر "أوريوردون" يستطيع أن يحطم قيوده ويحقق حريته بالبحث عن معنى للسعادة داخله وسعادة هذا الكفيف قد تحققت بإساعده للآخرين، بجانب غنائه على قيثارته الحديدية، التي عبرت أنغامها الحزينة عن حالة الشجن التي يعيشها ذلك الكفيف، فهو في النهاية لم يحقق السعادة لنفسه أو للآخرين. وفي ضوء ما تقدم يمكن القول إن شخصية أوريوردون" في هذا النص لم تكن تعبر عن ذاتها، بقدر ما كانت ترمز إلى قضية إنسانية عامة. فقد كتب النص عام ١٩٥٥م وهي الفترة التي عانى فيها الإنسان الأوروبي من عواقب الحروب العالمية، وما خلفته من خراب ودمار على كافة المستويات، وأشكال التمزق الاجتماعي والاقتصادي والإنساني، لذا فقد اختار الكاتب لأحداث نصه، فترة زمنية شبيهة بواقعه وهي فترة الحرب الأيرلندية الإنجليزية. وقد ظهرت أهمية شخصية الكفيف دراميًا في هذا النص، حيث لعبت الحاسة المفقودة دورًا كبيرًا في تأجيج المشاعر والأحاسيس ضد الحروب واستخدام العنف.

والشكل الآتي يوضح شبكة العلاقات بين شخصية الكفيف والشخصيات الرئيسة في

النص:



وقد ساهمت عناصر البناء الدرامي في تأكيد الرموز والدلالات التي يفيض بها النص، فالمسحة الإنسانية التي غلبت على المواقف والأحداث الدرامية كشفت عن الطبيعة الداخلية للشخصيات، وأرست المبرر الدرامي لبعض الأفعال التي حادت عن الواقعية، لترتقى لمستوى المثالية الرومانسية، حيث إن "وراء كل فعل خاصية رئيسة من خواص الشخصية تساهم في الكشف عن مدلولاتها من خلال عملها كمرآة لحقيقتها الداخلية والخارجية"<sup>(٥٩)</sup>، وفي هذا الصدد، نذكر قيمة الإيثار والتضحية من أجل الآخر، التي تجلت من خلال شخصية "أوريوردون"، وكذلك قيمة الوفاء بالعهد التي تجلى بها "جون"، بجانب موقفه النبيل عندما أنقذ "أوريوردون"، من برائن الجنديين البريطانيين، وتحوله في هذا الموقف من ضابط إنجليزي، لجندي محارب في صفوف الأيرلنديين، تلك المواقف التي أدخلت بموازين الصراع في المسرحية، لنصبح أمام مواجهة وصراع فكري بين "أوريوردون" الأيرلندي ومواطنه "كيلى"، لصالح عدوهما الإنجليزي "جون"، مما يخدم المغزى الفكري والدلالي الذي استهدفه النص على المستوى الإنساني والسياسي والديني.

ومن التحليل السابق للنصين المسرحيين "العميان" و"القيثارة الحديدية" يمكن الوقوف على نقاط التشابه والاختلاف بين الدلالات الرمزية لشخصية الكفيف في النصين بما يتفق وظروف الواقع وأطروحاته، والتي يتضمنها الجدول الآتي

الشخصية	الدلالة
مجموعة العميان في نص "العميان"	"أوريوردون" في نص القيثارة الحديدية
مجموعة من فاقدى البصر.	ضابط فقد بصره في الحرب.
رمز للإنسانية العاجزة عن إدراك مصيرها الغامض وعزلة الإنسان وخوفه من مواجهة الواقع الخارجى.	رمز لبصيرة القلب رغم غياب آلة البصر، ودلالة جديدة للحرية باعتبارها شعور داخلى بالسعادة حتى وإن كان مكبلاً بقيود العمى.
رمز للشعوب الغارقة فى ظلمة القهر والظلم فى انتظار قائد يحررها من عبوديتها.	رمز للجانب المضى من الشعوب التى تكف بصرها عن أية صراعات سياسية أو اختلافات دينية ومذهبية.
رمز لمجموعة من المسيحيين المعذبين فى انتظار المخلص.	رمز للروح المسيحية (روح المحبة والإيثار).



ويتضح من الجدول السابق، القيمة الدرامية والتعبيرية لشخصية الكفيف من خلال إمكان توظيفها عبر مستويات دلالية مختلفة لتعبر عن معان ومضامين إنسانية وأيدولوجية، بوصفها آلية من آليات التشكيل الدلالي. كما نلاحظ تباين الدلالات لشخصية الكفيف في كلا النصين؛ فهي في نص "ميترنك" شخصية هشة مضطربة خائفة منعزلة تسير في جو ضبابي، مما يحيلنا إلى دلالة العجز والاستسلام لإنسان هذا العصر أمام واقع عصي على التغيير، بخلاف "أوريوردون" في نص "القيشارة الحديدية" ذلك الكفيف الذي يرى الدنيا بمنظار قلبه الوردى يعطى مثلاً فريداً لقيم الحب والعطاء، فهو لم يستسلم لواقعه - كعميان ميترنك - بل واجهه محاولاً تغييره، فكان إيجابياً في تنديده بالحروب والعنف وسفك الدماء، وفي دفاعه عن الحب الذي يسمو فوق أية صراعات سياسية، أو اختلافات دينية، إن روح التسامح والإيثار سكنت جسد "أوريوردون" في نص "أوكونر" لتعكس الروح المسيحية، في مقابل روح التشاؤم والانهازمية التي هامت حول عميان "ميترنك"، فألبستهم كفن السلبية والخنوع، ولم يبق أمامهم سوى الانتظار العقيم للخلاص. ويرجع الباحث هذا التباين، إلى طبيعة تكوين شخصية كلا الكاتبين "فموريس ميترنك" - مؤلف نص "العميان" - شخصية "تميل إلى الوحدة والتأمل والصمت، وذو نزعة صوفية، إلى جانب تأثره بالفلسفات الروحانية والميتافيزيقية"<sup>(٦٠)</sup>، أما "جوزيف أوكونر"، - مؤلف نص "القيشارة الحديدية" - فيتفق الباحث مع رأى "دريني خشبة" في أن المسحة الدينية لشخصية "أوريوردون" الكفيف تعود إلى تأثر الكاتب "بهذه السوابق التي سبقت في حياته عندما كان يقوم في صدر شبابه بتمثيل شخصية السيد المسيح في عرضين من مسرحيات الأسرار الدينية"<sup>(٦١)</sup>.

وفي ختام البحث توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

- ١- لم تعكس شخصية الكفيف في النصوص المسرحية المختارة سمة فردية أو نمطاً اجتماعياً تقليدياً، بل مورست عليها إزاحة دلالية لتخرج من إطار الدلالة الأيقونية إلى الرمزية.



- ٢- اكتسبت شخصية الكفيف أبعادًا دلالية متنوعة على المستويات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية كافة، مما يؤكد على خصوصيتها فنيًا، وإمكان تطويعها دراميًا لتخدم أفكارًا وأيديولوجيات متعددة.
- ٣- اتسقت دلالات شخصية الكفيف مع طبيعة الواقع الخارجي الذي تعكسه النصوص المسرحية بشكل رمزي؛ حيث اتسمت شخصية الكفيف في نص "العميان"، بالإحساس بالعجز والوحدة والاعتراب، وهو انعكاس رمزي لحالة الإنسان الأوروبي المعاصر في ظل الأحوال السياسية والاقتصادية المتردية أما في نص "القيثارة الحديدية"، فكانت روح المحبة والإيثار من أهم ملامح شخصية الكفيف، بوصفها قيمًا مثالية ينشدها الكاتب لمواجهة الواقع المرير في ظل بشاعة الحروب.
- ٤- ساهمت أبعاد الشخصية الثلاثة (المادى والاجتماعى والنفسى)، فى تحديد دلالات شخصية الكفيف فى النصوص المسرحية المختارة، وذلك من خلال الإرشادات المسرحية الداخلية والخارجية.
- ٥- يعد تحليل العلاقات بين شخصية الكفيف وباقي شخصيات النص المسرحي، من أهم العوامل التي ساعدت في فك شفرات الشخصية، وتحديد دلالاتها.
- ٦- ساهمت السينوغرافيا المسرحية في إنتاج رمزية شخصية الكفيف، وهو ما يتأكد من خلال علاقة الشخصية بالمنظر المسرحي والتشكيل الحركي والمؤثرات الصوتية في نص "العميان"، التي أوحى بدلالة التيه والاعتراب والعزلة.

## ثبت المصادر والمراجع

## أولاً: المصادر

- كتب مقدسة:

(١) إنجيل متى: الإصحاح الخامس (٤٣)، جمعيات الكتاب المقدس المتحدة،

بيروت، ١٩٥٠.

- معاجم عربية:

(٢) محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، لبنان،

١٩٩٩.

- نصوص مسرحية:

(٣) جوزيف أوكونر: القيثارة الحديدية، ترجمة: أحمد السيد النادى، وزارة الإعلام،

الكويت، ١٩٨٠.

(٤) موريس ميتلنك: العميان: معجزة القديس انطونيوس، ترجمة: عبود كاسوحة،

المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨.

ثانياً المراجع العربية والمترجمة:

(١) أحمد السيد النادى: مقدمة مسرحية القيثارة الحديدية، تأليف جوزيف أوكونر،

وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨٠.

(٢) جلال العشرى: المسرح فن وتاريخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،

١٩٩١.

(٣) حسين رامز محمد رضا: الدراما بين النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية

للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢.

(٤) درينى خشبة: المسرح الأيرلندى الحديث ومسرحية القيثارة الحديدية، مقدمة

مسرحية "القيثارة الحديدية"، للكاتب جوزيف أوكونر، ترجمة: عزيز مطفى عبد الملك، وزارة

الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة، ١٩٦٠.

(٥) رمان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: جابر عصفور، الهيئة العامة

للقصور الثقافية، القاهرة، ١٩٩٥.

- (٦) سيزا قاسم: مقال السيميوطيقا، حول بعض المفاهيم والأبعاد، فى انظمة العلامات فى اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السيميوطيقا، تحرير: سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، دار إلياس المعصرية، القاهرة، ١٩٨٦.
- (٧) شارل بيرس: مقال تصنيف العلامات، ترجمة: فريال جبورى عزول فى : أنظمة العلامات فى اللغة والادب والثقافة، مدخل إلى السيميوطيقا تحرير : سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، دار إلياس المعصرية، القاهرة، ١٩٨٦.
- (٨) صالح المباركة: بناء الشخصية فى مسرح ألفريد فرج، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٧.
- (٩) صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦.
- (١٠) عصام الدين أبو العلا: مدخل إلى علم العلامات فى اللغة والمسرح، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٦.
- (١١) فريدب ميليت، جبرادايديز: فن المسرحية، ت: صدقى خطاب، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٦.
- (١٢) فليب هامون: سيميولوجية الشخصيات الروائية، ت: سعيد بنكراد، دار الكلام، المغرب، ١٩٩٠.
- (١٣) كير إيلام: سيميولوجيا المسرح والدراما، ت: رنيف كرم، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، ١٩٩٢.
- (١٤) لاجوس أجرى: فن كتابة المسرحية، ت: درينى خشبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.
- (١٥) نادية كامل: مقدمة مسرحية العميان، للكاتب: موريس ميتلنك ، ترجمة: عبود كاسوحة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨.
- (١٦) نهاد صليحة: التيارات المسرحية المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.



(١٧) هانى أبو الحسن: سيمولوجيا المسرح بين النص والعرض، دراسة تطبيقية على مسرحى شكسبير والحكيم، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الاسكندرية، ٢٠٠٦ .  
ثالثا : الدوريات:

(١٨) برهان شاوى: من الرمزية إلى الحداثة، صالح كرامة والنص الدرامى الرمزي، (مجلة المسرح)، دائرة الثقافة والإعلام، الإمارات، العدد ٢، أبريل ٢٠٠٢ .  
(١٩) سامية أسعد: الدلالة المسرحية، (مجلة عالم الفكر)، الكويت، وزارة الإعلام، العدد الرابع، ١٩٨٠ .

(٢٠) سامية أسعد: نحو دراسة جديدة للشخصية المسرحية، (مجلة المسرح)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد الثامن، ١٩٨٢ .  
(٢١) عصام الدين أبو العلا: الشخصية .. الدور .. الشخص، دراسة بنائية (مجلة المسرح)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد ٦٠، ١٩٩٣ .  
رابعا: الرسائل العلمية:

(٢٢) حيدر خالد فرمان: الرمز فى الفن العراقى المعاصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، ١٩٨٨ .  
(٢٣) صوفيا عباس عوض: أزمة الإنسان المعاصر فى الدراما المصرية فى النصف الثانى من القرن العشرين، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٤ .

ثالثًا: النشر الإلكتروني:

(٢٤) احمد صقر: قراءة سيمولوجية فى مسرحية "أحذية طه حسين" لسعد الدين

وهبة <http://www.ahewar.org>

(٢٥) بلال شحادات: الحركة الرمزية، موريس ميتزلنك مسرحية العميان

<http://www.bilalshhadat.wordpress.com>

رابعاً: المحاضرات العلمية:

(٢٦) ليلي عبد المنعم: محاضرات مادة مسرح ومجتمع، مرحلة الليسانس، قسم

الدراسات المسرحية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٣.

سابعاً: المصادر والمراجع الأجنبية:

(1) Alien Astone, george Savona: Theatre as sign system, asemiotics of text and performance, Routledge, Newyork, 1991

(2) Martein Esslen: The Field of Drama, Methuen, London, 1987.

(3) William Little: The Shorter Oxford English dictionary, Oxford University Press, 1973.

## الهوامش:

- (١) محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٩، ص ٥٤٧، ٥٤٦.
- (٢) فيليب هامون: سيميولوجية الشخصيات الروائية، ت: سعيد بنكراد، دار الكلام، المغرب، ١٩٩٠، ص ٢٠.
- (٣) لاجوس آجري: فن كتابة المسرحية، ت: دريني خشبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٠٧.
- (٤) المرجع السابق، ص ١٠٩.
- (٥) فيرديب ميليت، جيراد ايلدز: فن المسرحية، ت: صدقي خطاب، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٦، ص ٤٥٠.
- (٦) سامية أسعد: نحو دراسة جديدة للشخصية المسرحية، (مجلة المسرح)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد الثامن، ١٩٨٢، ص ١١.
- (٧) عصام الدين أبو العلا: الشخصية .. الدور .. الشخص، دراسة بنائية (مجلة المسرح)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد ٦٠، ١٩٩٣، ص ٤٨.
- (8) Alien Astone, george Savona: Theatre as sign system, asemiotics of text and performance, Routledge, Newyork, 1991, p82 – 90.**
- (٩) سامية أسعد: الدلالة المسرحية، (مجلة عالم الفكر)، الكويت، وزارة الإعلام، العدد الرابع، ١٩٨٠، ص ٦٩.
- (10) Martein Esslen: The Field of Drama, Methuen, London, 1987, p.80.**
- (١١) احمد صقر: قراءة سيميولوجية في مسرحية "أحذية طه حسين" لسعد الدين وهبة  
<http://www.ahewar.org>
- (١٢) سيزا قاسم: مقال السيميوطيقا، حول بعض المفاهيم والأبعاد، في أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السيميوطيقا، تحرير: سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، دار إلياس العصرية، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٩.
- (١٣) عصام الدين أبو العلا: مدخل إلى علم العلامات في اللغة والمسرح، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٣٢.
- (١٤) شارل بيرس: مقال تصنيف العلامات، ترجمة: فريال جبوري عزول في: أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السيميوطيقا تحرير: سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، دار إلياس العصرية، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٤٢.
- (15) William Little: The Shorter Oxford English dictionary, Oxford University Press, 1973, p.2220**



- (١٦) حيدر خالد فرمان: الرمز في الفن العراقي المعاصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، ١٩٨٨، ص ١٥.
- (١٧) كير إيلايم: سيمولوجيا المسرح والدراما، ت: ريف كدم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٢، ص ٢٨.
- (١٨) انظر: صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٨٧-٨٩.
- (١٩) هاني أبو الحسن: سيمولوجيا المسرح بين النص والعرض، دراسة تطبيقية على مسرحي شكسبير والحكيم، دار الوفاء لنديا الطباعة و النشر، الاسكندرية، ٢٠٠٦، ص ٢٧.
- (٢٠) انظر: المرجع السابق، ص ٢٩.
- (٢١) ليلي عبد المنعم: محاضرات مادة مسرح ومجتمع، مرحلة الليسانس، قسم الدراسات المسرحية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٣.
- (٢٢) موريس ميتزلنك: العميان، معجزة القديس انطونيوس، ترجمة: عبود كاسوحة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨، ص ٢٢.
- (٢٣) المصدر السابق، ص ٢٧.
- (٢٤) نهاد صليحة: التيارات المسرحية المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٣٣.
- (٢٥) رامان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: جابر عصفور، الهيئة العامة لثقافة، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١١٠.
- (٢٦) موريس ميتزلنك: مصدر سبق ذكره، ص ٣٨.
- (٢٧) المصدر السابق، ص ٢٤.
- (٢٨) المصدر السابق، ص ٣٠، ٤٥.
- (٢٩) موريس ميتزلنك: مصدر سبق ذكره، ص ١٤.
- (٣٠) المصدر السابق، ص ١٦.
- (٣١) بلال شحادات: الحركة الرمزية، موريس ميتزلنك مسرحية العميان
- <http://www.bilalshhadat.wordpress.com>
- (٣٢) موريس ميتزلنك: مصدر سبق ذكره، ص ٣٧.
- (٣٣) المصدر السابق، ص ٣٤.
- (٣٤) المصدر السابق، ص ٣٥.
- (٣٥) المصدر السابق، ص ١٤-٥٣.
- (٣٦) المصدر السابق، ص ٤٨.

- (٣٧) المصدر السابق ، ص ١٣ .
- (\*) دائرة كهنوتية تقع مع كنيسة ضمن نطاق السلطة الروحية لكاهن واحد .
- (٣٨) بلال شحادات: مرجع سبق ذكره (موقع الكتروني) .
- (٣٩) موريس ميترنك: مصدر سبق ذكره، ص ١٨ .
- (٤٠) صوفيا عباس: أزمة الإنسان المعاصر في الدراما المصرية في النصف الثاني من هذا القرن، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٤، ص ٤ .
- (٤١) انظر: المرجع السابق، ص ١٢ .
- (٤٢) مقتبس في: حسين رامز محمد رضا: الدراما بين النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢، ص ٣٣٤ .
- (٤٣) برهان شاوي: من الرمزية إلى الحدائث، صالح كرامة والنص الدرامي الرمزي، (مجلة المسرح)، دائرة الثقافة والإعلام، الإمارات، العدد ٢، أبريل ٢٠٠٢، ص ٧٨ .
- (٤٤) انظر: جلال العشري: المسرح فن وتاريخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١، ص ٩٥ .
- (٤٥) أحمد السيد النادى: مقدمة مسرحية القيثارة الحديدية، تأليف جوزيف أوكونر، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨٠، ص ٥ .
- (٤٦) جوزيف أوكونر: القيثارة الحديدية، ترجمة: أحمد السيد النادى، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨٠، ص ٢٦، ٢٧ .
- (٤٧) المصدر السابق، ص ٢٣ .
- (٤٨) المصدر السابق، ص ٢٨، ٢٩ .
- (٤٩) المصدر السابق، ص ٧٧ .
- (٥٠) أحمد السيد النادى: مرجع سبق ذكره، ص ١٢ .
- (٥١) جوزيف أوكونر: مصدر سبق ذكره، ص ٣٤ .
- (٥٢) المصدر السابق، ص ١١٨ .
- (٥٣) المصدر السابق، ص ٤٤-٩٦ .
- (٥٤) المصدر السابق، ص ٤٦-١٠٨ .
- (٥٥) دريني خشبة: المسرح الأيرلندي الحديث ومسرحية القيثارة الحديدية، مقدمة مسرحية "القيثارة الحديدية"، للكتاب جوزيف أوكونر، ترجمة: عزيز مطفى عبد الملك، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٢٢ .
- (٥٦) انجيل متى: الإصحاح الخامس (٤٣). جمعيات الكتاب المقدس المتحدة، بيروت، ١٩٥٠، ص ٩ .
- (٥٧) جوزيف أوكونر: مصدر سبق ذكره، ص ٣٥، ٣٦ .

- (٥٨) المصدر السابق. ص ٣٨، ٣٩.
- (٥٩) صالح المباركة: بناء الشخصية في مسرح ألفريد فرج، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة. ١٩٩٧، ص ٥٩، ٦٣.
- (٦٠) نادية كامل: مقدمة مسرحية العميان، للكاتب: موريس ميتلنك، ترجمة: عبود كاسوحة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨، ص ٢٢.
- (٦١) دريني خشبة: مرجع سبق ذكره، ص ٣.





# استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها

دكتور/ حمد بن إبراهيم العمران

قسم إدارة المعلومات

كلية علوم الحاسب والمعلومات

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

عناهدنا والاحتساب

لقد نرى في هذا المجال من الدراسات والبحوث

التي تهتم بالدراسة والتحليل

والتي تهتم بالدراسة والتحليل

التي تهتم بالدراسة والتحليل

التي تهتم بالدراسة والتحليل



## الملخص باللغة العربية

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على بعض الجوانب المتعلقة باستخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها، وذلك من خلال دراسة أوجه الاستخدام المتعددة للهواتف الذكية، ومستويات هذا الاستخدام، والعوامل المؤثرة في استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها، والتحديات التي تواجهه. ولتحقيق ذلك استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي بالاعتماد على الاستبانة في جمع البيانات الميدانية من عينة الدراسة. وتوصلت الدراسة إلى أن جميع عينة الدراسة لديهم هاتف ذكي، ومتوسط ساعات استخدامهم للهواتف الذكية هو ساعتان في اليوم. وأن أهم التطبيقات التي تحتفظ بها عينة الدراسة على هواتفهم الذكية تتمثل في الواتس اب، وتصفح الإنترنت، وتويتر، واليوتيوب. كما تمثل أهم أغراض استخدام الهواتف الذكية في: التواصل مع الآخرين، والبحث عن المعلومات، وتصفح الإنترنت، والتسليه والترفيه، وتصفح البريد الإلكتروني.

أما أهم المجالات التي تستخدم فيها الهواتف الذكية هي: التواصل، وتكوين العلاقات الاجتماعية، والمشاركة في شبكات التواصل الاجتماعي، والحصول على المعلومات، وقضاء وقت الفراغ، والبحث عن السلع، وقراءة الصحف والمجلات. كما أن أهم التحديات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها، هي: عدم إجادة اللغة الإنجليزية الأجنبية اللازمة للتعامل مع بعض تطبيقات الهواتف الذكية، قلة البرامج والتطبيقات الملائمة للأنشطة العلمية والتعليمية، ضعف الدعم المادي من المؤسسات التعليمية والبحثية للاستفادة من تلك الأجهزة في مجال البحث عن المعلومات واسترجاعها. كما توصلت الدراسة إلى أن هناك توجه لزيادة تطبيقات الهواتف الذكية التي تدعم البحث عن المعلومات واسترجاعها. وأن استعمالها يؤدي إلى سهولة الوصول للمعلومات، وتتيح للفرد الوصول السريع لشبكة الإنترنت، ومن ثم البحث عن المعلومات واسترجاعها في أي وقت وأي مكان، وسهولة تبادل المعلومات بين الأفراد والجماعات، كما يؤدي لزيادة المعرفة والثقافة في المجتمع. وأن أكثر التحديات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية في مجال البحث عن المعلومات واسترجاعها عدم إجادة المستخدمين للغات الأجنبية اللازمة للتعامل مع الهواتف الذكية، وقلة توفر برامج التشغيل والتطبيقات الملائمة للأنشطة التعليمية، وكذلك قلة برامج التعلم المتكامل مثل برمجيات الوسائط المتعددة التفاعلية. من خلال هذه النتائج، أوصت الدراسة بضرورة الاستفادة من استخدام الهواتف الذكية في البحث عن (تكرار) المعلومات وتذكرها واسترجاعها وذلك من خلال دعم التطبيقات التي تساعد على ذلك، وتوفير الدعم المالي والميزانيات المناسبة لتوفير برامج التشغيل والتطبيقات الملائمة للعملية التعليمية. الكلمات الدالة: الهواتف الذكية، البحث عن المعلومات، استرجاع المعلومات، تبادل المعلومات.

## summary

This study aims to shed light on some aspects related to the use of smart phones in the search for information and in information retrieval. by study multiple uses for smart phones, the levels of uses, the factors influencing the use of smartphones in the search for information and in information retrieval, and the difficulties it faces. To achieve this, the researcher used the descriptive analytical method based on the resolution in the collection of field data from the study sample.

The study found that all of the study sample have a smart phone. the average hours of use for smartphones is two hours a day. the most important applications maintained by the study sample on their smart phones are in Whats Up , Internet browser, Twitter , and YouTube. The most important purposes of the use of smartphones in: communicate with others, to search for information, browse the Internet, entertainment, and browse the e-mail.

The most important areas that are used smartphones are: communication, social relationships, participates in social networks, access to information, entertainment, shopping, and reading newspapers and magazines. The most important challenges facing the use of smartphones in the search for information and in information retrieval is: lack of foreign languages needed to use some smart phone applications, the lack of programs and applications appropriate for the activities of scientific and educational, weak budgets support by educational and research institutions to take advantage of these devices in the search for information and in information retrieval.

The study also found that there is a tendency to increase smart phone applications that support information search and information retrieval. the use of smart phones leads to easy access to information and allows the individual fast access to the Internet, information search and retrieval anytime, anywhere, and easily share information between individuals and groups, also leads to increased knowledge and culture in the community.

Through these results; study recommended that need to take advantage of use of smartphones in the search for information and in information retrieval by supporting applications that can help, and the provision of financial support and budgets to provide the appropriate software and applications appropriate to the educational process.

أولاً: المقدمة:

تشهد المجتمعات المعاصرة تحديات عديدة، ولعل من أبرزها ما تعيشه من تقدم في مجال تقنيات المعلومات والاتصالات، والتي أسهمت في تغيير طبيعة الحياة، وشكل المؤسسات بها، ومن بينها المؤسسات التعليمية والبحثية (كفاي، ٢٠٠٧). فقد أدى التطور الكبير في تقنيات المعلومات والاتصالات، وانتشار المعرفة الإلكترونية بين طلاب المدارس والجامعات، إلى ظهور أشكال جديدة من نظم التعلم، والتي بدأت بالاعتماد على الحاسب، ثم من خلال الإنترنت، ثم محاولة استثمار تقنيات الاتصالات اللاسلكية في أنظمة التعليم المتنقل، وكذلك محاولة استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها. (الدهشان، ٢٠٠٩)

ومن ثم فإن استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها، يمثل محاولة لتوظيف الهاتف الجوال والاستفادة من تطبيقاته في خدمة البرامج العلمية والبحثية. وقد ساعد على ذلك النمو الهائل المتسارع في تقنيات أجهزة الهواتف الجوال في السنوات الأخيرة، والتقدم في التقنيات اللاسلكية. وهو ما ساعد على اكتشاف آفاق جديدة تتيح الاستفادة من تلك الفرص الهامة في التعلم والبحث، انطلاقاً من الإمكانيات الهائلة التي يقدمها التعليم الإلكتروني، والتي تعتمد على مبدأ: التعليم في أي مكان وفي أي وقت. (الدهشان، يونس، ٢٠٠٩)

وقد زاد عدد مستخدمي الهواتف الذكية بصورة كبيرة، خاصة بعد أن أصبحت تقنية تلك الأجهزة رخيصة، سواء فيما يتعلق بأسعار تلك الأجهزة، أو تكلفة الخدمات المرتبطة بها. ولذلك لم يعد استخدام تلك الأجهزة مقصوراً على فئة دون أخرى. وتشير الإحصاءات إلى أنه بعد مرور أكثر من عشرين عاماً على ظهور الهواتف الجوال، تضاعفت أعداد المستخدمين، لتصل إلى أكثر من نصف سكان العالم مع حلول العام ٢٠١٠، مقابل ٤٠% في مطلع ٢٠٠٨. (Dancer et al., 2013)

وعلى الرغم من أن استرجاع المعلومات من خلال الهاتف الجوال يعد موضوعاً حديثاً نسبياً، فإن بعض هذه الأنظمة كانت متاحة للاستخدام من الجمهور العام. فمنذ أعوام قليلة،



أصبحت نظم استرجاع المعلومات الخاصة ببعض محركات البحث (جوجل Google، وياهو Yahoo، وإم إس أن MSN) متاحة للاستخدام من خلال الهواتف الجوال. كما أن عدداً آخر من محركات البحث ذات الأغراض العامة، قد وفرت نظم للبحث عن المعلومات واسترجاعها من خلال هذه الهواتف. ومن الأمثلة على ذلك، وفر محرك بحث PubMed منذ عام ٢٠٠٣ مجموعتين من قواعد البيانات هما: (MEDLINE. PDAs) ليطم البحث فيهما واسترجاع معلوماتهما من خلال الهواتف الجوال. (Claudio C.. et al.. 2009)

وعليه تسعى الدراسة الراهنة إلى إلقاء الضوء على بعض الجوانب المتعلقة باستخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها، وذلك من خلال دراسة أوجه الاستخدام المتعددة للهواتف الذكية، ومستويات هذا الاستخدام، والعوامل المؤثرة فيه، والتحديات التي تواجهه.

#### أ. أهمية الدراسة

تنعكس أهمية الدراسة من خلال التطورات السريعة والمتلاحقة في أجهزة الهواتف الجوال، مما جعلها أداة مهمة وعصرية لا يمكن الاستغناء عنها في التعامل اليومي بين البشر. ومن خلال هذه الأجهزة يمكن للباحث عن المعلومات جمع بيانات عديدة ومتنوعة واسترجاع ما يحتاج منها. وقد أشار بومان إلى أن الهواتف الذكية قادرة على خلق ثورة في العديد من المجالات التي يحتاج فيها الناس البحث عن المعلومات، مثل: قطاعات النقل والسفر، والبحث العلمي، وقطاعات الأعمال المتعددة. (Bouwman et al.. 2013)

وتأتي أهمية الدراسة من جانبين:

- الجانب النظري: كونها تتناول إحدى القضايا المهمة والتي تتمثل في الاستفادة من تقنيات المعلومات والاتصالات المتقدمة في مجال البحث عن المعلومات واسترجاعها. كذلك فإنها تتعرض لدراسة أحد الموضوعات البحثية الحديثة، والتي لم تلق الاهتمام الكافي من الدراسة والبحث، وهو ما انعكس في ندرة البحوث والدراسات السابقة في هذا المجال.



بالإضافة إلى أن انتشار الهواتف الذكية أدت إلى تغير طرق التعامل مع المعلومات وكذلك الطرق التي يسعى الناس من خلالها للوصول للمعلومات واسترجاعها، وتقييمها، واستخدامها.

• الجانب التطبيقي: وتكمن في النمو المتزايد لاستخدام الأجهزة الجواله عموماً، وأجهزة الهواتف الذكية على وجه الخصوص، مما يدعو إلى التفكير في كيفية الاستفادة من هذه التقنيات في مجالات الدراسة والبحث. إلى جانب تعدد الخدمات، التي يمكن أن تقدمها الهواتف الجواله عموماً، والذكية منها على وجه الخصوص كمصدر للمعلومات في المؤسسات العلمية والبحثية، حيث تقود تقنيات هذه الهواتف حراكاً يتوجه صوب الخدمة الذاتية، مما يتيح للمستخدمين الوصول والتحكم بالخدمات التي يحتاجونها بدون الحاجة للوجود في المؤسسات المقدمة للخدمات.

#### ب. أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على:

- العوامل المؤثرة في استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها.
- أبرز مجالات ومستويات استخدام الهواتف الذكية.
- أغراض استخدام الهواتف الذكية.
- الصعوبات التي تعوق استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها.

#### ج. أسئلة الدراسة

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما مظاهر استخدام الهواتف الذكية؟
٢. ما أغراض استخدام الهواتف الذكية؟
٣. ما أهم مجالات استخدام الهواتف الذكية؟

٤. ما مستويات استخدام الهواتف الذكية؟

٥. ما العوامل التي تؤدي إلى استخدام الهواتف الذكية في مجال البحث عن

المعلومات واسترجاعها؟

٦. ما التحديات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية في مجال البحث عن

المعلومات واسترجاعها؟

د. منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي من خلال المسح لمجتمع الدراسة الميداني. ومن خلال هذا المنهج يقوم الباحث بجمع معلومات عن الظاهرة موضوع الدراسة، ثم يهتم بوصفها وصفاً تفسيرياً دقيقاً بدلالة الحقائق المتوافرة، ويعبر عنها تعبيراً كمياً يوضح حجم الظاهرة وخصائصها ودرجة ارتباطها مع العديد من المتغيرات الأخرى.

هـ. مصطلحات الدراسة

تستخدم الدراسة المصطلحات التالية:

• الهواتف الذكية ليس هناك اتفاق بين الباحثين على تعريف موحد للهواتف الذكية، فمنهم من يعدّ الهاتف الذكي هو الهاتف الذي يوفر مزايا تصفح الإنترنت ومزامنة البريد الإلكتروني وفتح ملفات الأوفيس ويحتوي على لوحة مفاتيح كاملة، إلا أن التعريف الأصح والأكثر قبولاً اليوم أنه الجوال الذي يعمل على أحد أنظمة التشغيل التالي: أندرويد، ويندوز، وبلاك بيري. (ويكيبيديا الموسوعة الحرة، ٢٠١٠)

• البحث عن المعلومات: استخدام مصطلحات منفردة أو مترابطة في محرك بحث بهدف الوصول إلى المعلومات المخزنة وفق تنظيم وترتيب معين.

• استرجاع المعلومات: عملية يتم من خلالها استرجاع المعلومات المخزنة في نظام المعلومات.

## ثانياً: الإطار النظري

## تمهيد

أدت الثورة المعلوماتية، والنمو الهائل في تقنيات الاتصالات المعلومات، ونقل البيانات إلى قفزات نوعية غيرت حياة الإنسان، وجعلت حدود الإبداع والرغبة في المزيد لا تقف عند حدود، خاصة وأن هذه التطورات قد تم توظيفها، واستخدامها في طيف واسع من المجالات والأبعاد. ولعل استخدام الهواتف الذكية كأحد الأمثلة الواضحة في هذا المجال يبرز مدى التفاعل البشري مع هواتف المستقبل الذكية بعد أن أشارت الدراسات التي تناولت جوانب مختلفة من تأثيرات الهواتف الذكية على مختلف النواحي الاقتصادية والعلمية والاجتماعية إلى احتلال تلك الهواتف وما تحويه من تطبيقات وإمكانات تقنية جانباً مهماً من حياة الإنسان، إضافة إلى اعتماده الكبير عليها في تلبية الكثير من متطلبات حياته اليومية.

وكذلك فقد شهدت نظم استرجاع المعلومات تطورات عديدة منذ ظهورها حتى الوقت الحاضر، وكانت تلك التطورات نتاجاً طبيعياً للتطور الذي شهدته المجالات المتصلة بها مثل: الاتصالات، ومعالجة البيانات، ونظم إدارة قواعد البيانات، وما سوى ذلك. وأخذت تلك النظم أشكالاً مختلفة وفقاً لاختلاف البيئة التي ظهرت فيها، ففي ظل المكتبات التقليدية استخدمت الفهارس بأشكالها المختلفة، ثم ظهرت قواعد البيانات الجغرافية لتضم الكشافات والبليوجرافيات في شكلها الإلكتروني، وفي ظل الشبكة العنكبوتية انتشرت محرركات البحث والأدلة لتكون بمثابة نظم استرجاع لما هو متاح على الويب، وكذلك فإن ظهور المكتبات الرقمية أدمى إلى تطوير نظم الاسترجاع الملائمة التي تساعد المستفيد في الحصول على احتياجاته من المعلومات والوصول إلى مصادر المعلومات المخزنة في مستودعات تلك المكتبات. ولعل انتشار المكتبات الرقمية أدى إلى تزايد الاهتمام بالكتابة حول الموضوع بجوانبه المختلفة. (بامفلح، ٢٠٠٧)

ويشير مفهوم استرجاع المعلومات إلى البحث عن مصادر المعلومات والميتاداتا، والبحث في قواعد البيانات وشبكة الإنترنت. وهناك تداخل في استخدام المفاهيم بين كل من استرجاع البيانات واسترجاع الوثائق واسترجاع المعلومات واسترجاع النصوص. ولكل منها



كيانه العلمي الخاص ونظرياته وتقنياته. وتستخدم أنظمة استرجاع المعلومات لتقليل ما يسمى بالإغراق المعلوماتي. كما أن الكثير من الجامعات والمكتبات العامة تستخدم نظم استرجاع المعلومات لتوفير الوصول إلى الكتب والمجلات العلمية والوثائق الأخرى. وتعد محركات البحث على شبكة الإنترنت إحدى الأمثلة النموذجية لتطبيقات استرجاع المعلومات. وتستخدم أنظمة استرجاع المعلومات معايير لقياس جودة نتائج البحث كالدقة والمراجعة. (ويكيبيديا الموسوعة الحرة، ٢٠١٤)

ونظم استرجاع المعلومات هي أحد النظم الفرعية في نظام المعلومات، ووظيفته الأساسية هي: تخزين واسترجاع المعلومات، وذلك وفقاً لاحتياجات المستخدمين. فهي مجرد وسيلة أو أداة يصل من خلالها الباحث والمستفيد إلى مصدر المعلومات الذي يبحث عنه. وهناك آليات عديدة يتم من خلالها تقديم خدمة استرجاع معلومات، لكنها تختلف عن نظم استرجاع المعلومات في كون نظم المعلومات متجددة في معلوماتها من خلال مجموعة من البرامج التي تساعد على تحديث معلومات قواعد البيانات بالإضافة والتعديل والحذف إلى جانب الوظائف الأساسية في التخزين والاسترجاع. في الوقت الذي يكون فيه نظام استرجاع المعلومات موجه باستخدام مجموعة من البرامج؛ لأغراض استرجاع المعلومات المناسبة من قواعد البيانات، أو تنفيذ بعض الوظائف التي تساعد المستفيد في الحصول على المعلومات بالطريقة التي يراها ملائمة. ومن ثم فإن نظم المعلومات يمكن أن تؤدي وظيفة استرجاع المعلومات، لكن نظم استرجاع المعلومات لا يمكن إن تؤدي وظائف نظم المعلومات. (الهجري، ٢٠٠٠)

ولذلك تعرف نظم استرجاع المعلومات بأنها مجموعة النظم الخاصة بتسهيل الوصول إلى المعلومات أو المصادر، من خلال آليات بحث مختلفة. ومن أشكال نظم الاسترجاع: نظم الرد على الأسئلة والاستفسارات. ونظم استرجاع البيانات، ونظم استرجاع النصوص، ونظم استرجاع الوثائق. ولكل نظام منها مجموعة من النظم الفرعية التي تشكل من خلال ارتباطها وتسلسلها وتداخلها وانسجامها جسداً واحداً يسمى النظام. ولا يمكن فصل هذه النظم عن بعضها البعض، وإذا ما تم ذلك سنحدث فوضى لا يمكن السيطرة عليها. (طوالة، ٢٠١٠).

وعرف جيفري جوردن نظام استرجاع المعلومات بأنه مجموعة من التفاعلات المنتظمة أو المتبادلة؛ لأداء وظيفة معينة (خشبة، ١٩٩٢). كما عرفه حسب الله (٢٠٠١) بأنه مجموعة الرسائل والإجراءات والتقنيات المؤلفة معا عن طريق تفاعل منتظم لتشكيل كلا منظما لتحقيق نتيجة نهائية أو وظيفة محددة. وعرفه زهيري (٢٠٠٨) بأنه مجموعة متكاملة من الأجزاء الأساسية التي تعمل معاً من أجل تحقيق أهداف مشتركة من خلال استقبال المدخلات وتنظيمها بطريقة معينة، ثم تجهيزها بوفق مخرجات. ويتكون النظام من ثلاثة مفاصل أساسية هي: المدخلات، والمعالجة، والمخرجات، ولزيادة فاعلية النظام يتم التحكم به من خلال وحدة سيطرة تعتمد بشكل مباشر على الرقابة والتغذية الراجعة لمخرجاته.

وتعتمد كفاءة عمليات استرجاع المعلومات على دور كل من الوسيط والمستفيد. ودور الوسيط أو أخصائي المعلومات كان له وجود حقيقي في ميدان العمل التقليدي لمؤسسات المعلومات، ولكن تحت مسميات مختلفة في أشكالها ومتماثلة في مضامينها، وطبيعة الدور المنوط بها، فلقد كان مسؤول الخدمة المرجعية يقدم وساطة عالية المستوى، فلم يكن دوره في تسهيل الوصول إلى المعلومات فقط، وهو عمل يستطيع المستفيد المطلع القيام به، و إنما يتعدى ذلك إلى استثمار كل خبرته في مجال مصادر المعلومات لتقديم إجابات لأسئلة المستفيدين. أما المستفيد بوصفه صاحب الحاجة الفعلية للمعلومات فإنه يؤدي دوراً مهماً في توجيه العملية البحثية، ومن المؤكد إن له تأثيراً مباشراً على كفاءة الاسترجاع الآلي للمعلومات. فالعملية البحثية في مراحلها المتقدمة تبدأ أولاً بشعور المستفيد بأنه بحاجة إلى المعلومات لتحقيق أهداف معينة لديه، وتنتهي بشعور المستفيد ذاته بالرضا عن النتائج التي توصل إليها، وبين البداية والنهاية هناك جوانب متعددة ترتبط بسلوك وقدرات ومهارات (زهيري، ٢٠٠٨).

## ثالثاً: الدراسات السابقة

مع ظهور الهواتف الذكية. وتطور تطبيقاتها، وزيادة معدل استخدامها على مستوى دول العالم. أجريت العديد من الدراسات والأبحاث، التي ناقشت الأثر المعرفي والقيمة التي يمكن أن تقدمها هذه التقنيات. وقد ركزت بعض الدراسات على كيفية الاستفادة من هذه التقنيات في مجال التعليم وفي الحياة العامة، والبعض اهتم بكيفية تنمية مهارات التعلم من خلال التعليم المتنقل، وبعضها تناول فاعلية التعليم المتنقل، كأحد اشكال التعليم غير التقليدية في المدارس والجامعات. ولكن لم يتم التركيز بشكل مباشر على كيفية الاستفادة من الهواتف الذكية، بصفة خاصة في مجالات البحث عن المعلومات واسترجاعها.

لقد ظهرت عدة اتجاهات حاولت دراسة استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها. يتعلق معظمها بالتفاعل بين الإنسان والتقنية. وفيه يكون استرجاع المعلومات أكثر فاعلية في حالة تجنب طريقة الإدراج الأفقي للمعلومات واتباع خاصية التجميع؛ لزيادة كم المعلومات المرئية في نفس الوقت، وكذلك التقليل من تأثيرات الجرافيك لإظهار كم كبير من المعلومات بشكل مكثف.

فهناك دراسات حاولت فهم الخصائص المحددة للمعلومات المطلوب استرجاعها من خلال الهواتف الذكية، وإلى أي حد تختلف عن خصائص المعلومات التقليدية. التي يتم البحث عنها واسترجاعها من خلال أجهزة الحاسب الآلي. ومن هذه الدراسات دراسة كامفر وبالوجا (Kamvar and Baluja. 2006) والتي حاولت توظيف محرك البحث جوجل في مجال الهواتف الذكية. وقد توصلت إلى وجود اختلافات بين توظيف محركات البحث في مجال الهواتف الذكية عنها في أجهزة الحاسب المكتبي والمحمول.

في المقابل اعتمدت دراسة شارش وآخريين (Church et al.. 2007) على دراسة أكثر من ٣٠ محرك بحث يشيع استخدامها بين مصنعي الهواتف في أوروبا. وقد توصلت إلى انه على الرغم من البحث عن المعلومات واسترجاعها من خلال الهواتف الذكية ما زال قليلاً، إلا أنه يعد نشاطاً متنوعاً ومتزايداً. ومن خلال التجارب العديدة التي قام بها



الباحثون فقد وضعوا عدة إرشادات ربما تؤدي في المستقبل إلى زيادة الاعتماد على الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها.

أما الدراسة التي قام بها سوهرن، جريسولد وهولان ( Sohn, Li, Griswold, and Hollan, 2008 ) فقد اتبعت أسلوباً مختلفاً، حيث شملت ٢٠ مشاركاً بهدف معرفة الأنماط المختلفة من الاحتياجات المعلوماتية للمستخدمين الفعليين للهواتف الذكية، وأظهرت النتائج أن هناك مجموعة كبيرة من الاحتياجات المعلوماتية، والإستراتيجيات المختلفة، التي يمكن أن يتم استرجاعها من خلال الهواتف الذكية.

بينما هناك دراسات أخرى اهتمت بقضية الإيجاز في المعلومات، باعتبارها قضية مهمة عند استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها، حيث يتطلب ذلك استخدام شاشة ذات كفاءة عالية، ومواصفات محددة. لذا حاولت دراسة قام بها بيوكوكتين وآخرون (Buyukkokten, et al. 2001) تتبع الوسائل الملائمة، لاختصار، وإيجاز صفحات الويب على شاشات أجهزة الهواتف الذكية، وذلك من خلال تصميم مستعرض يستهلك قدر قليل من ذاكرة الهاتف الذكي والمساعدات الرقمية، وفي ذات الوقت يسمح باستعراض أكبر قدر من المعلومات على شاشة الجهاز.

وقد أوضحت دراسة أخرى قام بها واترباشر، رادف وكريم ( Otterbacher, Radev, and Kareem, 2006 ) مدى فاعلية التلخيص الهرمي، والذي تم قياسه من خلال كفاية هذا الملخص لاحتياجات المستخدمين للهواتف الذكية. ولم تظهر هذه الدراسة أي ارتباط بين حجم الشاشة وطول الملخص.

وقد اتفقت عدة دراسات ومنها دراسة كلاوديو وآخرون ( Claudio C., et al., 2009 ) على بعض الجوانب فيما يتعلق باستخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها، ومنها أن مستخدمي هذه الهواتف يتجهون لاسترجاع بحوث أقل وأقصر في المحتوى، وهم أقل رغبة في الضغط على نتائج البحوث، وكذلك يتجهون إلى إدراج نتائج البحث المختصرة مع وجود أقل قدر من الروابط.

أما الدراسة التي قامت بها مؤسستي ( Our Mobile Planet and Ipsos )

Media CT. 2012) حول استخدام الهواتف الذكية، فقد كشفت عن أن منطقة الشرق الاوسط تقود سباق الهواتف الذكية في العالم، وأن مستخدمي الهواتف الذكية في الشرق الاوسط هم الأكثر نشاطاً في التسوق عبر هذه الهواتف.

وفي جانب آخر أوضحت دراسة ماكهادو وآخرون ( Machado. et. al. 2013) أن التحول من التفاعل الاجتماعي من خلال الكمبيوتر إلى التفاعل من خلال الهواتف الذكية، يؤثر بدرجة كبيرة على طبيعة الاحتياجات التي يتطلبها هذا التفاعل. ولذلك عالجت هذه الدراسة قضية البحث عن المعلومات واسترجاعها من خلال الهواتف الذكية، مؤكدة على ضرورة وجود محركات بحث مستقلة خاصة بالهواتف الذكية نظراً للنتائج الإيجابية التي يمكن أن توفرها في كافة المجالات.

وحاولت دراسة شوي وآخرون (Choi. et. Al. 2012) اقتراح أساليب جديدة لتقديم المعلومات من خلال الهواتف الذكية، والتحقق من كفاءة تلك الهواتف في تقديم تلك الخدمات. وتوصلت الدراسة إلى أن شبكة الإنترنت شهدت تغييرات كبيرة في نظام المعلومات الشخصية، وخاصة بعد ظهور الشبكات الاجتماعية والتي نقلت الإعلام الاجتماعي من الشكل المؤسسي إلى إعلام الأفراد، والذي توج باستخدام هؤلاء الإعلاميين للهواتف الذكية في مجال البحث عن المعلومات واسترجاعها وطرح ما يتوصلون له على متابعيهم.

ولقد توصلت الدراسة التي أجرتها مكتبة واينبرغ التذكارية في جامعة سكرانتون (Weinberg Memorial Library. University of Scranton) إلى عدة نتائج، لعل من أبرزها: أنه في ظل التطورات التقنية تغيرت أساليب الشباب في البحث عن المعلومات واسترجاعها، وأنهم أصبحوا أكثر اعتماداً على الهواتف الذكية؛ إلا أنهم لا زالوا قلقين إزاء موثوقية المعلومات التي يحصلون عليها؛ لذا أوصت بضرورة دراسة سلوكيات الشباب عند البحث عن المعلومات واسترجاعها من خلال الهواتف الذكية. (Yarmey. 2011)



وتتفق نتائج الدراسة التي قامت بها مؤسسة كومسكور (ComScore. 2013) مع النتائج السابقة، حيث توصلت هذه الدراسة إلى أن هناك ارتفاع في عمليات البحث عن المعلومات باستخدام الهواتف الذكية في العام ٢٠١٢م، بما نسبته ٢٦% مقارنة بالعام الماضي؛ في الوقت الذي انخفضت فيه عمليات البحث عبر الأجهزة المكتبية بنسبة ٦% .

أما التقرير الذي أعلنت عنه شركة أبجي (Apigee. 2014) وفق دراسة أجرتها، فقد توصلت إلى أن ٨٢% ممن شملتهم الدراسة لا يستطيعون الاستغناء عن تطبيقات الهواتف الذكية، وأن أكثر التطبيقات التي يستخدمونها هي: متصفحات البريد الإلكتروني.

وقد تناولت بعض الدراسات الأخطار المترتبة على استخدام الهواتف الذكية، ومنها دراسة ستيفن ساليرنو (Steven Salerno. 2013) والتي حاولت كشف أنماط الهجوم المحتملة على الجيل الحالي من الهواتف الذكية. فنتيجة لاتساع قدرات وإمكانيات الهواتف الذكية، أصبحت أهدافاً جذابة للفيروسات. وأجرت الدراسة العديد من التجارب حول الفيروسات المحتملة. وخاصة تلك التي توجه من هواتف ذكية أخرى؛ لمحاولة الكشف عن أي من هذه الفيروسات، والتي سوف تؤدي إلى توقف متعدد لمجموعة الخدمات التي تقدمها هذه الهواتف. وتوصلت الدراسة إلى أنه رغم القيام بالهجوم بوسائل سهلة، فإنها أدت إلى آثاراً قوية ومؤثرة.

ويتبين من العرض السابق للدراسات والبحوث السابقة الاستنتاجات التالية:

- أوضحت الغالبية من الدراسات السابقة بأن البحث عن المعلومات واسترجاعها من خلال الهواتف الذكية يعد ذا جدوى وفعالية، وأن محركات البحث المستخدمة في هذه الهواتف يمكن أن تكون أسرع وأكثر دقة بالنسبة لوسائل الاسترجاع الأخرى. ورغم أن استرجاع المعلومات يمكن أن يكون أقل فعالية في حالة صغر حجم شاشة الهواتف الذكية، فإن اختيارات مثل التجميع والتلخيص، ربما تؤدي إلى اتساع قاعدة الاستخدام إلى أبعد من مجرد بحث عن المعلومات.

- التقت هذه الدراسات في محاور مشتركة حول العوامل المؤثرة في استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها، وأبرز مجالات استخدام الهواتف



الذكية، ومستويات هذا الاستخدام، والتحديات التي تعوق استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها. فمن المتوقع أن يؤدي استخدام هذه التقنيات إلى تحقيق نتائج مبهرة في العملية العلمية والبحثية وفي مجال استرجاع المعلومات والبيانات. ولكن على الرغم من النتائج المتوقعة في هذه المجالات، ويظل التخوف قائماً نتيجة التطورات السريعة والمتلاحقة، والتي يمكن أن تجعل الهواتف الذكية نفسها مجرد حلقة في سلسلة طويلة من التطورات. كما يظل التخوف قائماً من أن تكون الدعوة إلى استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها ناتجاً عن الشعور بالإثارة في استخدام التقنية، وهذا قد يعتبر ثورة سرعان ما تخمد بعد فترة من الزمن.

#### رابعاً: اجراءات الدراسة

##### ١. أداة الدراسة

بناء على طبيعة البيانات المراد جمعها، والمنهج المتبع في الدراسة، استعان الباحث بمجموعة من المصادر لجمع بيانات الدراسة. فقد اعتمد على "الاستبانة" في جمع البيانات الميدانية من عينة الدراسة تمهيداً لإجراء التحليل الإحصائي لها.

##### ٢. ضبط أداة الدراسة (الصدق والثبات)

للتأكد من صدق أداة الدراسة (الاستبانة)، ومن أنها سوف تقيس ما أعدت لقياسه، وللتأكد من شمول الاستبانة لكل العناصر التي يجب أن تدخل في التحليل، قام الباحث بحساب الصدق الظاهري للأداة من خلال عرضها على مجموعة من المحكمين من التخصصات المختلفة ذات الصلة بموضوع الدراسة، وترتب على ذلك تعديل صياغة بعض عبارات المقاييس. وحذف بعض العبارات. وإضافة عبارات أخرى. وبعد التأكد من الصدق الظاهري للأداة، والتطبيق الميداني لها، قام الباحث بحساب كل من الثبات (ألفا كرونباخ) وصدق الأداة (الاتساق الداخلي) من خلال برنامج التحليل الإحصائي SPSS. واعتمدت الدراسة في حساب معامل الصدق على معامل ارتباط بيرسون بين درجة كل عبارة في كل المقياس والدرجة الكلية لهذا المقياس الذي تنتمي إليه. وكانت كل معاملات الارتباط بين

العبارات وإجمالي محورها موجبة ودالة إحصائياً عند مستوى دلالة ٠.٠١ وهو ما يشير إلى صلاحية هذه العبارات والمقاييس التي تنتمي إليها لإجراء العديد من التحليلات الإحصائية عليها.

جدول (١) معاملات الثبات والصدق لمقاييس الدراسة

المحاور	عدد العبارات	معامل الثبات	معامل الصدق
مدى استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها.	١٠	٠.٨٧	٠.٩٣
دوافع استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها.	١٠	٠.٩١	٠.٩٥
التحديات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها.	١٠	٠.٨٩	٠.٩٤
الإجمالي	٣٠	٠.٩٢	٠.٩٦

وتوضح بيانات الجدول (١) ارتفاع معاملي الثبات والصدق لأداة الدراسة في محاورها الثلاثة. فقد بلغ معامل الثبات في المحور الأول الخاص بمدى استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها ٨٧% في حين بلغ معامل الصدق ٩٣%. وفيما يتعلق بالمحور الثاني الخاص بالعوامل الدافعة إلى استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها، فقد بلغ معامل الثبات ٩١% في حين بلغ معامل الصدق ٩٥%. كما بلغ معامل الثبات في حالة المحور الثالث الخاص بالتحديات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها ٨٩% في حين بلغ معامل الصدق ٩٤%. وعلى مستوى إجمالي المحاور، بلغ معامل الثبات ٩٢% في حين بلغ معامل الصدق ٩٦%. ومن ذلك يتضح ارتفاع معاملي الصدق والثبات في محاور الدراسة الثلاثة بالدرجة التي تسمح بإجراء التحليلات الإحصائية عليها.

## ٣. مجتمع وعينة الدراسة

يتكون مجتمع الدراسة من أعضاء هيئة التدريس وحملة الدرجات العليا (دكتوراه، ماجستير، دبلوم عال) في جامعتي الإمام والمجمعة، في الفصل الثاني من العام الدراسي ١٤٣٣/١٤٣٤هـ. وتم اختيار عينة عمدية من مجتمع الدراسة. حيث قام الباحث بتوزيع عدد ست مئة استبانة. وكانت نسبة العائد منها أربع مئة وثلاث وستون استبانة، تمثل تقريباً نسبة ٧٧% من الاستبانات الموزعة. وبعد المراجعة الأولية تم استبعاد الاستبانات غير المكتملة، ليصل حجم العينة إلى أربع مئة وثلاث عشرة استبانة تمثل ما نسبته ٦٩% تقريباً من الاستبانات الموزعة، تم إجراء التحليلات الاحصائية الوصفية والاستدلالية عليها. ويوضح الجدول (٢) توزيع عينة الدراسة وفقاً لمتغيري الجامعة والمؤهل العلمي:

جدول (٢) توزيع عينة الدراسة وفقاً لمتغيري الجامعة والمؤهل العلمي

المجموع	جامعة الإمام	جامعة المجمعة	المؤهل العلمي الجامعة
١١٠	٦٠	٥٠	دكتوراه
٧٠	٧٠	٠	ماجستير
٢٣٣	٤٣	١٩٠	دبلوم عال
٤١٣	١٧٣	٢٤٠	الإجمالي

## أ. الجنس

توضح بيانات الجدول (٣) توزيع عينة الدراسة وفقاً لمتغير الجنس. ومن هذه البيانات يتضح ارتفاع نسبة الذكور عن الإناث في عينة الدراسة، فقد بلغ عدد الذكور ٢٤٠ يمثلون نسبة ٥٨:١% من جملة العينة. في حين بلغ إجمالي عدد الإناث بالعينة ١٧٣ يمثلون نسبة ٤١.٩% من جملة العينة. ويرى الباحث أن التفاوت في النسبة لصالح الذكور يعود لطبيعة عينة الدراسة التي ركزت على فئة محددة من المجتمع، والمتمثلة في حملة الشهادات العليا (دكتوراه، ماجستير، دبلوم عال) والتي تزيد بها نسبة الذكور عن الإناث، وتحديدًا طلاب الدبلوم العال الذين يمثلون العدد الأكبر بعينة الدراسة بنسبة ٥٦.٤%



جدول (٣) توزيع عينة الدراسة وفقاً لمتغير الجنس

النسبة المئوية	العدد	الفئات
٥٨.١	٢٤٠	ذكور
٤١.٩	١٧٣	إناث
١٠٠	٤١٣	المجموع

## ب. فئات العمر

وتعكس بيانات الجدول (٤) توزيع عينة الدراسة وفقاً لفئات العمر. ومن هذه البيانات يتضح أن النسبة الأعلى من عينة الدراسة تقع في الفئة العمرية من خمسة وعشرون إلى تسعة وعشرين عاماً عاماً حيث بلغت هذه النسبة ٢٨.٨%، بينما كانت أقل نسبة من عينة الدراسة تلك التي تقع في فئة العمر الأقل من خمسة وعشرون عاماً حيث بلغت ١٧.٤% من إجمالي العينة. ويرى الباحث أن انخفاض نسبة الفئة العمرية الأقل من خمسة وعشرون عاماً أمراً منطوق

ياً نظراً لطبيعة عينة الدراسة التي ركزت على فئة مجتمعية ينتمي النسبة الأكبر منها إلى الفئة العمرية ما بين خمسة وعشرون إلى أربعة وثلاثين عاماً، وذلك نظراً لأنها مرحلة تبدأ بعد إنهاء مرحلة التعليم الجامعية الأولى وهي مرحلة الدراسات العليا وصولاً للدكتوراه.

جدول (٤) توزيع عينة الدراسة وفقاً لمتغير فئات العمر

النسبة المئوية	العدد	الفئات
١٧.٤	٧٢	أقل من ٢٥ عاماً
٢٨.٨	١١٨	٢٩ - ٢٥
٢٧.٤	١١٣	٣٤ - ٣٠
٢٦.٦	١١٠	٣٥ عاماً فأكثر
١٠٠	٤١٣	المجموع

ج. الحالة الاجتماعية

كما تعكس بيانات الجدول (٥) توزيع عينة الدراسة وفقاً للحالة الاجتماعية. ومن هذه البيانات يتضح أن النسبة الأعلى من عينة الدراسة متزوجون، حيث بلغت هذه النسبة ٦٧.٣% من جملة العينة.

جدول (٥) توزيع عينة الدراسة وفقاً لمتغير الحالة الاجتماعية

النسبة المئوية	العدد	الفئات
٣٢.٧	١٣٥	أعزب
٦٧.٣	٢٧٨	متزوج
١٠٠	٤١٣	المجموع

د. التخصص العلمي

وتعكس بيانات الجدول (٦) توزيع عينة الدراسة وفقاً للتخصص العلمي. ومن هذه البيانات يتضح أن النسبة الأعلى من عينة الدراسة ينتمون إلى تخصصات نظرية (العلوم الإنسانية والاجتماعية)، حيث بلغت هذه النسبة ٦١% من جملة العينة. وذلك نظراً لزيادة عدد الكليات والأقسام العلمية في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تقدم برامج دراسات عليا داخل المملكة، مقابل الكليات والأقسام العلمية في مجال العلوم التطبيقية.

جدول (٦) توزيع عينة الدراسة وفقاً للتخصص العلمي

النسبة المئوية	العدد	الفئات
٦١	٢٥٢	علوم إنسانية واجتماعية
٣٩	١٦١	علوم تطبيقية
١٠٠	٤١٣	المجموع

## هـ. الدخل الشهري للأسرة

وتوضح بيانات الجدول (٧) توزيع عينة الدراسة وفقاً لفئات الدخل الشهري للأسرة. ومن هذه البيانات يتضح أن النسبة الأعلى من عينة الدراسة تنتمي إلى فئة الدخل (١٢٠٠٠ - ١٥٩٠٠) حيث بلغت هذه النسبة ما يقل قليلاً عن نصف العينة (٤٦.٢٪)، بينما كانت أقل نسبة من عينة الدراسة التي تحصل على دخل شهري يزيد على ١٦٠٠٠ ريال، حيث بلغت هذه النسبة ١٢.٣٪ من جملة العينة. ويرى الباحث أن ارتفاع متوسط دخل فئات العينة يعد مؤشراً إيجابياً على قدرة الأفراد على الحصول على الهواتف الذكية والاشتراك في خدمات الإنترنت التي تتيح إمكانية البحث والاسترجاع مما يزيد من مصداقية الإجابات عن أسئلة أداة البحث وموضوعية النتائج.

جدول (٧) توزيع عينة الدراسة وفقاً للدخل الشهري للأسرة

النسبة	العدد	الفئات
١٨.٦	٧٧	أقل من ٨٠٠٠ ريال
٢٢.٨	٩٤	٨٠٠٠ - ١١٩٠٠
٢٦.٢	١٩١	١٢٠٠٠ - ١٥٩٠٠
١٢.٣	٥١	١٦٠٠٠ فأكثر
١٠٠	٤١٣	المجموع

## خامساً: نتائج الدراسة

يتم تناول وتحليل نتائج الدراسة في ضوء ما ورد في تساؤلات البحث على النحو

التالي:

## ١. مظاهر استخدام الهواتف الذكية

وقد حاولت الدراسة بحث مظاهر استخدام الهواتف الذكية لدى عينة الدراسة، وذلك من خلال معرفة: مدى استخدام الهواتف الذكية، متوسط ساعات الاستخدام للهواتف الذكية في اليوم، ومدة استخدام الهواتف الذكية، وفترة تغييرها، وسوف يتم تناولها بالدراسة على



النحو التالي:

أ. مدى استخدام الهواتف الذكية

جدول (٨) مدى استخدام الهواتف الذكية لدى عينة الدراسة

النسبة	العدد	نوع الهاتف
٠	٠	لا استخدم هاتف جوال
٠	٠	استخدم هاتف جوال عادي
١٠٠	٤١٣	استخدم هاتف جوال ذكي
١٠٠	٤١٣	المجموع

وتوضح بيانات الجدول (٨) أن جميع عينة الدراسة لديهم هواتف جوال، وهم يستخدمون هواتف جوال ذكية، مما جعل إجاباتهم عن أسئلة أداة جمع البيانات مبنية على خبرات ذاتية في استخدام الهواتف الجوال الذكية.

ب. متوسط ساعات الاستخدام اليومي للهواتف الذكية

جدول (٩) متوسط ساعات الاستخدام اليومي للهواتف الذكية لدى عينة الدراسة

النسبة	العدد	الفئات
٢٧.٤	١١٣	٢ - ١
١٧.٤	٧٢	٤ - ٣
٢١.٨	٩٠	٦ - ٥
١٥.٣	٦٣	٨ - ٧
١٨.٢	٧٥	٩ فأكثر
١٠٠	٤١٣	المجموع

وتوضح بيانات الجدول (٩) أن النسبة الأعلى من عينة الدراسة تستخدم الهاتف الذكي لفترة من ساعة إلى ساعتين في اليوم، وقد أفادت بذلك ربع عينة الدراسة تقريباً. وكانت أقل نسبة لمن يستخدمون الهاتف الذكي لفترة تقع بين سبع إلى ثماني ساعات يومياً،

والتي بلغت ١٥.٣% من جملة العينة. ومن ثم يمكن القول بأن هناك تفاوتاً كبيراً لدى عينة الدراسة في استخدامهم للهواتف الذكية. ويعتقد الباحث أن التفاوت في استخدام الهواتف الذكية يرجع للتفاوت في مجالات استخدام هذه الهواتف ما بين الاتصال، والبحث على الإنترنت، وتصفح البريد الإلكتروني، وغيرها من الخدمات المتوفرة على الهواتف الذكية، وهي قد لا تكون نسبة معبرة كمؤشر عن استخدامها في استرجاع المعلومات، فقد يكون استخدام ساعة للهاتف الذكي في استرجاع المعلومات من باحث يتمتع بمهارات البحث والاسترجاع نتائجها أفضل من الاستخدام لساعات أكثر من قبل باحث لا يتمتع بالخبرات اللازمة في البحث والاسترجاع.

### ج. المدة الزمنية لاستخدام الهواتف الذكية

جدول (١٠) المدة الزمنية لاستخدام الهواتف الذكية لدى عينة الدراسة

النسبة	العدد	الفئات
٤.٨	٢٠	أقل من عام
٢٢.٨	٩٤	من عام إلى ثلاثة أعوام
٧٢.٤	٢٩٩	أكثر من ثلاثة أعوام
١٠٠	٤١٣	المجموع

كما توضح بيانات الجدول (١٠) أن النسبة الأعلى من عينة الدراسة تستخدم الهواتف الذكية من فترة تزيد عن ثلاثة أعوام، فقد بلغت هذه النسبة ٧٢.٤% من جملة العينة. ويرى الباحث أن هذه النسبة تؤكد على مدى الخبرات التي تتمتع بها النسبة الأكبر من عينة الدراسة في استخدام الهواتف الذكية، مما يقدم مؤشرات حقيقية يمكن البناء عليها في نتائج الدراسة.

د. الفترة الزمنية لتغيير الهاتف الذكي

جدول (١١) الفترة الزمنية لتغيير الهاتف الذكي لدى عينة الدراسة

النسبة	العدد	الفئات
٣١.٥	١٣٠	أقل من عام
٥٥.٤	٢٢٩	من عام إلى ثلاثة أعوام
١٣.١	٥٤	أكثر من ثلاثة أعوام
١٠٠	٤١٣	المجموع

وتشير بيانات الجدول (١١) أن النسبة الأعلى من عينة الدراسة تقوم بتغيير الهواتف الذكية كل فترة تقع بين عام إلى الثلاثة الأعوام. ويرى الباحث أن فترة الثلاث أعوام هي العمر الزمني للتطور التكنولوجي في تقنيات المعلومات بوجه عام، وتقنيات الهواتف الذكية بوجه خاص، وإن كانت وتيرة التطور أسرع في الهواتف الذكية وهو ما يبرر ارتفاع نسبة من يقومون بتغيير الهاتف الذكي في فترة أقل من عام، وإن كان هذا التطور - من وجهة نظر الباحث - في خلال عام يعد تطوراً شكلياً وليس نوعياً من حيث برمجيات التشغيل، والتطبيقات المستحدثة في البحث عن المعلومات واسترجاعها، مما يسوغ ارتفاع نسبة من يقومون بتغيير الهاتف الذكي في الفترة بين عام وثلاثة أعوام.

هـ. تغيير الهاتف الذكي إلى النمط العادي

جدول (١٢) توزيع عينة الدراسة وفقاً للتفكير في تغيير الهاتف الذكي إلى النمط

العادي

النسبة	العدد	الفئات
٧.٧	٣٢	نعم
٨٣.٣	٣٤٦	لا
٨.٥	٣٥	لا أعلم
١٠٠	٤١٣	المجموع



كما تشير بيانات الجدول (١٢) أن غالبية عينة الدراسة لا تفكر في تغيير هاتفها الذكي إلى النمط العادي، فقد بلغت هذه النسبة ٨٣.٣% من جملة العينة، وذلك في مقابل نسبة ٧.٧% فقط ترغب في تغيير هاتفها الذكي إلى النمط العادي. ويرى الباحث أن ارتفاع نسبة من لا يفكر في تغيير الهاتف الذكي إلى النمط العادي نسبة منطقية في عينة الدراسة، نظراً للخدمات البحثية في استرجاع المعلومات، والتواصل التي توفرها الهواتف الذكية، ولا تتوافر في النمط العادي من الهواتف، مما يجعل قرار التغيير والعودة للتقنيات العادية ليس بالقرار السهل.

### ٥. التطبيقات المستخدمة في الهاتف الذكي

جدول (١٣) التطبيقات المستخدمة على الهاتف الذكي لدى عينة الدراسة

النسبة	العدد	الفئات
٢٦.٤	١٠٩	أقل من ٥
١٣.٦	٥٦	٥ - ٩
١٩.٤	٨٠	١٠ - ١٤
١٣.٦	٥٦	١٥ - ١٩
٧.٧	٣٢	٢٠ - ٢٤
١٩.٤	٨٠	٢٥ فأكثر
١٠٠	٤١٣	المجموع

وتعكس بيانات الجدول (١٣) أن ربع عينة الدراسة تقريباً لديها أقل من خمسة تطبيقات، وفي الترتيب الثاني تأتي نسبة من يحتفظون على هواتفهم الذكية بعدد من التطبيقات يتراوح بين ١٠ على ١٤ تطبيقاً مشتركة مع نسبة من يحتفظون على هواتفهم بعدد من التطبيقات يزيد عن خمس وعشرون تطبيقاً، حيث بلغت هذه النسبة ١٩.٤% لكل منهما أي بمجموع ٣٨.٨% من جملة العينة. ويعتقد الباحث أن التفاوت في عدد التطبيقات على الهواتف الذكية ربما يرجع للتفاوت في الاحتياجات وأنماط استخدام هذه التطبيقات، وكذلك أنها مؤشر على أن النسبة الأكبر من المستفيدين تميل للاحتفاظ

بالتطبيقات المهمة وكثيرة الاستخدام على هواتفها الذكية، لما لذلك من تأثير على سرعة استجابة الهاتف، ومساحة التخزين، وزمن شحن بطاريات الهاتف الذكي، حيث يميل الباحث للاعتقاد بأن هناك تقارب بين الفئة التي تحتفظ بعدد أقل من خمس تطبيقات والفئة التي تحتفظ بعدد من التطبيقات ما بين عشرة إلى أربعة عشر تطبيقاً أي بنسبة ٤٥.٨% من جملة العينة. وذلك مقابل الفئة التي تحتفظ بعدد تطبيقات تزيد عن خمس وعشرين تطبيقاً.

### ز. توقيت استخدام الهاتف الذكي

جدول (١٤) توقيت استخدام الهاتف الذكي لدى عينة الدراسة

النسبة	العدد	الفئات
١.٧	٧	صباحاً
١١.٩	٤٩	مساءً
٨٦.٤	٣٥٧	ليس هناك وقت محدد
١٠٠	٤١٣	المجموع

وتوضح بيانات الجدول (١٤) أن النسبة الأعلى من عينة الدراسة تستخدم الهاتف الذكي وتطبيقاته دون تحديد وقت معين لذلك الاستخدام. ويرى الباحث أن هذه النسبة منطقية حيث أن استخدام الهاتف الذكي يرتبط بالحاجة المعلوماتية للمستفيد وليس بالتوقيت، وهو ما يؤكد أن الهاتف الذكي يعد الخيار الأول للبحث والاستخدام لدى عينة الدراسة نظراً لتوفره بشكل دائم للمستفيد مقابل باقي تقنيات المعلومات مثل الحاسب المكتبي والمحمول.

ح. معدل تحميل تطبيقات الهاتف الذكي

جدول (١٥) معدل تحميل تطبيقات الهاتف الذكي لدى عينة الدراسة

النسبة	العدد	الفئات
٢٣.٠	٩٥	يوماً
٢٢.٨	٩٤	مرة في الأسبوع
٣٥.٤	١٤٦	مرة في الشهر
١٨.٩	٧٨	لا يحدث
١٠٠	٤١٣	المجموع

وتوضح بيانات الجدول (١٥) أن النسبة الأعلى من عينة الدراسة، تقوم بتحميل تطبيقات الهاتف الذكي مرة في الشهر، تليها من يقومون بتحميل أحد تطبيقات الهواتف الذكية يومياً، بينما أقل نسبة من عينة الدراسة هي التي لا تقوم بتحميل أي تطبيقات للهواتف الذكية، حيث بلغت ١٨.٩% من إجمالي العينة. ويعتقد الباحث أن ارتفاع نسبة من يقومون بتحميل تطبيقات الهاتف الذكي مرة في الشهر أمر منطقي ويتواءم مع التطوير في برمجيات تطبيقات الهواتف الذكية، وتحديثات App Store، وكذلك فإن انخفاض نسبة من لا يقوم بتحميل تطبيقات جديدة للهواتف الذكية قد يرجع لعدم وجود تطبيقات تلي احتياجاتهم المعلوماتية، أو اقتصار الأمر على تحديث التطبيقات المحملة بالفعل على هواتفهم الذكي.



ط. المعدل الزمني لاستخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات

واسترجاعها

جدول (١٦) المعدل الزمني لاستخدام الهواتف الذكية في البحث عن

المعلومات واسترجاعها لدى عينة الدراسة

النسبة	العدد	الفئات
٤٠.٤	١٦٧	يوماً
٢٣.٥	٩٧	مرة في الأسبوع
١٤.٨	٦١	مرة في الشهر
٢١.٣	٨٨	لا يحدث
١٠٠	٤١٣	المجموع

وتوضح بيانات الجدول (١٦) أن النسبة الأعلى من عينة الدراسة تقوم بذلك يومياً، حيث بلغت هذه النسبة ٤٠.٤%، بينما جاءت نسبة من لا يستخدمون الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات ٢١.٣% من عينة الدراسة. يرى الباحث أن هذه النسب يمكن تفسيرها في ضوء الاحتياجات المعلوماتية لمستخدمي الهواتف الذكية. فبالرغم من أن ارتفاع نسبة من يستخدم الهاتف الذكي في البحث عن المعلومات واسترجاعها يومياً تؤكد على أهمية الدراسة الحالية من جانب، إلا أنها تعد مؤشراً على تزايد الاتجاه نحو استخدام الهاتف الذكي والاعتماد عليها في البحث عن المعلومات واسترجاعها في المجتمع البحثي السعودي كما أكدت الدراسات السابقة في دول نظيرة، كما يرى الباحث أن نسبة من يستخدم الهاتف الذكي للبحث مرة في الأسبوع، والتي بلغت ٢٣.٥% ترتبط بالحاجة المعلوماتية في ذلك الوقت لدى الباحث، وأن من لا يستخدم الهاتف الذكي في البحث عن المعلومات، والتي بلغت نسبتهم ٢١.٣% قد يرجع السبب لعدم توافر الخبرة الكافية في توظيف إمكانيات الهاتف الذكي في البحث عن المعلومات واسترجاعها، وهنا يبرز دور التوعية المعلوماتية ومحو الأمية المعلوماتية لهم.

ي. تكلفة تحميل تطبيقات الهواتف الذكية

جدول (١٧) تكلفة تحميل تطبيقات الهواتف الذكية لدى عينة الدراسة

النسبة	العدد	الفئات
٣٠	١٢٤	توجد تكلفة
٢٢.٨	٩٤	لا توجد تكلفة (يستخدم برامج كسر الحماية)
٤٧.٢	١٩٥	استخدم البرامج المجانية فقط
١٠٠	٤١٣	المجموع

وتوضح بيانات الجدول (١٧) توزيع عينة الدراسة وفقاً لمدى وجود تكلفة لتحميل تطبيقات الهواتف الذكية. ومن هذه البيانات يتضح أن حوالي نصف عينة الدراسة يستخدمون التطبيقات المجانية فقط، وربع العينة تقريباً يستخدمون برامج كسر الحماية للتطبيقات غير المجانية، بينما أفاد ٣٠٪ من عينة الدراسة بأنهم يقومون بتحميل تطبيقات الهواتف الذكية مقابل تكلفة معينة، والتي سوف تتضح من بيانات الجدول التالي. ويرى الباحث أن ارتفاع نسبة من يقومون بتحميل تطبيقات الهواتف الذكية المجانية أمر منطقي نظراً للفتاوت في الدخل الذي تم إلقاء الضوء عليه في جدول رقم (٧)، وأن التطبيقات الخاصة بالبحث عن المعلومات واسترجاعها مجانية، مما يبرر ارتفاع هذه النسبة لتوافقها مع نسبة من يستخدمون الهاتف الذكي في استرجاع المعلومات بشكل يومي، كما أن تطبيقات الهواتف الذكية مقابل تكلفة معينة في مجملها تطبيقات تتعلق بالاتصال عبر الإنترنت؛ وهي التطبيقات التي يهتم بها فئة محدودة من مستخدمي الهواتف الذكية، الأمر الذي يسوغ تقارب نسبة من يستخدم برامج كسر الحماية للتطبيقات غير المجانية، إلى نسبة من يقومون بتحميل تطبيقات الهواتف الذكية مقابل تكلفة معينة، وانخفاض هذه النسبة. ولمزيد من التفاصيل تم دراسة التكلفة الشهرية على النحو التالي:

جدول (١٨) التكلفة الشهرية لتحميل تطبيقات الهواتف الذكية

النسبة	العدد	الفئات
٤٠.٤	٥٠	أقل من ٥٠ ريال
٤.٨	٦	٥٠ - ٩٩ ريال
٥٤.٨	٦٨	١٠٠ ريال فأكثر
١٠٠	١٢٤	المجموع

وتوضح بيانات الجدول (١٨) أن النسبة الأعلى ممن يدفعون تكلفة التطبيقات يتحملون ما يزيد عن مئة ريال شهرياً لتحميل تطبيقات الهواتف الذكية. ويرى الباحث ارتفاع نسبة من يتحملون تكلفة تحميل تطبيقات الهواتف الذكية المهمة، والتي تقع في دائرة احتياجاتهم من وجهة نظر المستخدم مقابل ما يزيد عن ١٠٠ ريال شهرياً أمراً منطقياً، حيث إن القيمة المالية ليست بالتكلفة الكبيرة مقابل دخول عينة الدراسة التي تم إلقاء الضوء عليها سابقاً.

ك. أهم التطبيقات التي يحتفظ بها في الهاتف الذكي

جدول (١٩) أهم التطبيقات التي يحتفظ بها على الهاتف الذكي لدى عينة الدراسة

النسبة	العدد	الفئات
٥٤.٢	٢٢٤	تطبيقات الألعاب
٩١.٨	٣٧٩	واتس آب
٤٣.١	١٧٨	فايبر
٥٢.١	٢١٥	تصفح البريد الإلكتروني
٨٣.١	٣٤٣	تصفح الإنترنت
٣٦.٣	١٥٠	فيسبوك
٨١.٦	٣٣٧	تويتر
٧٢.٤	٢٢٩	يوتيوب



النسبة	العدد	الفئات
٣٤.١	٧٥	المدونات

وتوضح بيانات الجدول (١٩) توزيع عينة الدراسة وفقاً لأهم التطبيقات التي يحتفظون بها على الهاتف الذكي. ومن هذه البيانات يتضح أن النسبة الأعلى من عينة الدراسة يحتفظون على هواتفهم الذكية بالواتس آب **Whats App**، وبلغت هذه النسبة ٩١.٨% من جملة العينة، وتليها نسبة العينة التي تستخدم الهواتف الذكية في تصفح الإنترنت، ومن ثم التي تستخدم تويتر، يليهما استخدام اليوتيوب **You Tube** بنسبة ٧٢.٤% من جملة العينة، بينما بلغت نسبة من يستخدمون الفيسبوك **Facebook** ٣٦.٣% فقط من إجمالي العينة، ومثلها تقريباً المدونات. ويرى الباحث ترتيب نسب العينة وفقاً لأهم التطبيقات الموجودة على الهاتف الذكي منطقياً، حيث أن ارتفاع نسبة من يحتفظون على هواتفهم الذكية بتطبيق الواتس آب **Whats App** منطقياً نظراً لاستخدام التطبيق في أغراض التواصل الاجتماعي والاتصال السريع في المجتمع بوجه عام، كما أن ارتفاع نسبة مستخدمي الإنترنت للمرتبة الثانية مؤشراً إيجابياً على استخدام الهاتف الذكي في أغراض البحث عن المعلومات واسترجاعها، أما فيما يتعلق بالنسب المتعلقة باستخدام تطبيقات شبكات التواصل الاجتماعي مثل تويتر **Twitter**، والفيس بوك، أو تطبيقات متابعة الآراء والتوثيق المصور للحدث مثل اليوتيوب **You Tube**، والمدونات فهي نسب تبرز التفاوت في الاستخدام للهاتف الذكي حسب الاحتياجات المعلوماتية الشخصية لعينة الدراسة.

ل. مستوى مهارات التعامل مع تطبيقات الهواتف الذكية  
جدول (٢٠) مستويات مهارة التعامل مع تطبيقات الهواتف الذكية في  
البحث عن المعلومات واسترجاعها لدى عينة الدراسة

النسبة	العدد	الفئات
٣٤.١	١٤١	مرتفعة
٥٩.٨	٢٤٧	متوسطة
٦.١	٢٥	منخفضة
١٠٠	٤١٣	المجموع

وتوضح بيانات الجدول (٢٠) أن النسبة الأعلى من عينة الدراسة يتعاملون بمستوى مهارة متوسطة مع تطبيقات الهواتف الذكية، فقد بلغت هذه النسبة ٥٩.٨٥% من عينة الدراسة. وذلك في مقابل ٣٤.١٥% من العينة يستخدمون هذه التطبيقات بمهارة مرتفعة. ويرى الباحث أن ارتفاع نسبة من يتعاملون بمستوى مهارة متوسطة مع تطبيقات الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها مؤشر إيجابي على أن تطوير مهاراتهم البحثية على تطبيقات الهواتف الذكية في البحث، سينعكس في المستقبل على ارتفاع نسبة من يستخدمون هذه التطبيقات بمهارات مرتفعة، والتي تعد مرتفعة نسبياً مع حداثة استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها في المملكة.

م. اللغة المفضلة لاستخدام التطبيقات على الهواتف الذكية

جدول (٢١) اللغة المفضلة لاستخدام التطبيقات على الهاتف الذكي لدى عينة الدراسة

النسبة	العدد	الفئات
٦٧.٨	٢٨٠	العربية
٨.٠	٣٣	الإنجليزية
٢٤.٢	١٠٠	العربية والإنجليزية معاً
١٠٠	٤١٣	المجموع

وتوضح بيانات الجدول (٢١) أن غالبية عينة الدراسة تفضل استخدام اللغة العربية في تطبيقات الهواتف الذكية. ويرى الباحث أن ارتفاع نسبة تفضيل استخدام اللغة العربية في تطبيقات الهواتف الذكية منطقي باعتبارها اللغة الأم لعينة الدراسة، وأن التعامل مع التطبيقات بلغة المستفيد الأم تساهم إيجابياً في سرعة اكتسابه خبرات في التعامل مع هذه التطبيقات، وتحقيق أعلى درجات الاستفادة المعلوماتية منها.

## ٢. أغراض استخدام الهواتف الذكية

جدول (٢٢) أغراض استخدام الهواتف الذكية لدى عينة الدراسة

النسبة	العدد	الفئات
٦٠.٨	٢٥١	التسلية والترفيه
٧٠.٥	٢٩١	البحث عن المعلومات
٦٦.٨	٢٧٦	تصفح الإنترنت
٥٧.٦	٢٣٨	تصفح البريد الإلكتروني
٧١.٩	٢٩٧	التواصل مع الآخرين
١٠٠	٤١٣	المجموع

وتوضح بيانات الجدول (٢٢) أن النسبة الأعلى من عينة الدراسة تستخدم هذه الهواتف بغرض التواصل مع الآخرين، ويقترّب منها التي تستخدم هذه الهواتف بغرض البحث عن المعلومات. ويرى الباحث أن ارتفاع نسبة استخدام الهواتف الذكية بغرض التواصل مع الآخرين منطقياً باعتبارها الوظيفة الأساسية للهواتف بوجه عام هذا إلى جانب التطبيقات والإمكانيات الحديثة التي توفرها الهواتف الذكية للتواصل، أما ارتفاع نسبة استخدام الهواتف الذكية بغرض البحث عن المعلومات إلى نسبة ٧٠.٥% فيعتبره الباحث مؤشراً إيجابياً على توظيف إمكانيات الهواتف الذكية في أغراض معلوماتية.



## ٣. مجالات استخدام الهواتف الذكية

جدول (٢٣) مجالات استخدام الهواتف الذكية لدى عينة الدراسة

النسبة	العدد	الفئات
٧٥.٨	٣١٣	التواصل وتكوين العلاقات الاجتماعية
٦٣.٧	٢٦٣	المشاركة في شبكات التواصل الاجتماعي
٥٩.٣	٢٤٥	الحصول على المعلومات
٤٨.٩	٢٠٢	قضاء وقت الفراغ والترفيه والتسلية
٣١.٧	١٣١	البحث عن سلع للبيع والشراء
٤١.٤	١٧١	قراءة الصحف والمجلات

وتوضح بيانات الجدول (٢٣) أن هناك تقارباً عند عينة الدراسة في استخدام الهواتف الذكية في مجال التواصل وتكوين العلاقات الاجتماعية، والمشاركة في شبكات التواصل الاجتماعي، والحصول على المعلومات. ويرى الباحث أن التقارب لدى عينة الدراسة في أغراض استخدام الهواتف الذكية فيما يتعلق بالتواصل من جهة، والحصول على المعلومات من جهة أخرى، يعد مؤشراً إيجابياً على أهمية استخدام الهواتف الذكية في الحصول على المعلومات لدى عينة الدراسة.

## ٤. مستويات استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها

جدول (٢٤) مستويات استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات

واسترجاعها لدى عينة الدراسة

النسبة	العدد	الفئات
٣٤.٩	١٤٤	مرتفعة
٥٩.١	٢٧٧	متوسطة
٦.١	٢٥	منخفضة
١٠٠	٤١٣	المجموع

يبين الجدول (٢٤) مستويات استخدام عينة الدراسة للهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها، ومن هذه البيانات يتضح أن أكثر من نصف عينة الدراسة تنتمي إلى مستوى الاستخدام المتوسط، وذلك في مقابل نسبة ٣٤.٩% من جملة العينة تستخدم الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها بدرجة مرتفعة. في حين لم تعد نسبة من يستخدمون الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها بدرجة منخفضة ٦.١% من عينة الدراسة. وتشير هذه البيانات إلى زيادة درجة الوعي لدى عينة الدراسة بمجالات تطبيق الهواتف الذكية وكيفية الاستفادة منها في البحث عن المعلومات واسترجاعها. وكذلك نجد أن هناك توافق بين مستويات مهارات استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها الموضحة في الجدول رقم (٢٠) مع مستويات استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها الموضحة في هذا الجدول؛ مما يدل على أن تطوير مهارات استخدام الهواتف الذكية ينعكس إيجابياً على مستوى استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها.

ولمزيد من المعلومات تم قياس هذه المستويات من خلال مقياس مكون من عشر عبارات. وجاءت النتائج كما يلي:

العبارات	النتائج	النسبة المئوية
١- أستخدم الهاتف الذكي للبحث عن المعلومات	٥٥	٥٥%
٢- أستخدم الهاتف الذكي لاسترجاع المعلومات	٥٥	٥٥%
٣- أستخدم الهاتف الذكي للبحث عن المعلومات واسترجاعها	٥٥	٥٥%
٤- أستخدم الهاتف الذكي للبحث عن المعلومات واسترجاعها بدرجة مرتفعة	٥٥	٥٥%
٥- أستخدم الهاتف الذكي للبحث عن المعلومات واسترجاعها بدرجة منخفضة	٥٥	٥٥%
٦- أستخدم الهاتف الذكي للبحث عن المعلومات واسترجاعها بدرجة متوسطة	٥٥	٥٥%
٧- أستخدم الهاتف الذكي للبحث عن المعلومات واسترجاعها بدرجة عالية	٥٥	٥٥%
٨- أستخدم الهاتف الذكي للبحث عن المعلومات واسترجاعها بدرجة منخفضة جداً	٥٥	٥٥%
٩- أستخدم الهاتف الذكي للبحث عن المعلومات واسترجاعها بدرجة عالية جداً	٥٥	٥٥%
١٠- أستخدم الهاتف الذكي للبحث عن المعلومات واسترجاعها بدرجة متوسطة جداً	٥٥	٥٥%

جدول (٢٥) مستويات استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها لدى عينة الدراسة

المراتب	نعم		إلى حد ما		لا		التعليق
	ك	%	ك	%	ك	%	
١	٣٧١	٨٩.٨	٣٠	٧.٣	١٢	٣.٩	استفيد من استخدام الهاتف الذكي في البحث عن المعلومات.
٢	٣١٦	٧٦.٥	٧٧	١٨.٦	٢٠	٤.٨	احفظ في جوالي بالعديد من التطبيقات الهامة.
٣	٣١٢	٧٥.٥	٨١	١٩.٦	٢٠	٤.٨	لا أستطيع الاستغناء عن الهاتف الذي استخدمه.
٤	١٧٤	٤٢.١	٢٠٥	٤٩.٦	٣٤	٨.٢	يجب على كل فرد أن يستخدم أحد الهواتف الذكية.
٥	١٨٦	٤٥.٥	١٧٢	٤١.٦	٥٥	١٣.٣	يؤثر الاستخدام المستمر للهواتف الذكية سلباً على المستوى الدراسي.
٦	٢١٤	٥١.٨	٩٤	٢٢.٨	١٠٥	٢٥.٤	الهواتف الذكية تبقى عن استخدام الحاسب المحمول في تصفح



الترتيب	نطاق العينة	المتوسط	لا		إلى حد ما		نعم		الملاحظات
			%	ك	%	ك	%	ك	
٧	٠.٨١	٢.٠٣	٣١.٠	١٢٨	٣٤.٦	١٤٣	٣٤.٤	١٤٢	استخدام الهواتف الذكية دليل على الرقابة في المجتمع.
٨	٠.٨٢	١.٩٨	٣٤.٦	١٤٣	٣٢.٩	١٣٦	٣٢.٤	١٣٤	استخدام الهواتف الذكية دليل على الرقابة و المستوى الاقتصادي المرتفع.
٩	٠.٨٥	١.٩٥	٣٨.٥	١٥٩	٢٨.٣	١١٧	٣٣.٢	١٣٧	أحيانا تعرض لمشكلات أمنية بسبب الهواتف الذكية واستخداماتها.
١٠	٠.٨٢	١.٩٢	٣٧.٨	١٥٦	٢٢.٢	١٣٣	٣٠	١٢٤	يؤثر استخدام الهواتف الذكية في علاقتي الاجتماعية مع الآخرين.

المتوسط العام = ٢.٣١ (إلى حد ما)

وتوضح بيانات الجدول (٢٥) ارتفاع نسب موافقة عينة الدراسة على عبارات المقياس. حيث كان الاتجاه العام لاستجابات عينة الدراسة يقع في فئة الاستجابة "إلى حد ما"، فقد بلغ المتوسط العام لهذا المقياس ٢.٣١ درجة. ومن بيانات هذا الجدول تتضح المؤشرات التالية:

- أوضحت عينة الدراسة أنه يمكن الاستفادة من استخدام الهاتف الذكي في البحث عن المعلومات، وجاءت هذه الاستجابة في المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي ٢.٨٧، وانحراف معياري ٠.٤١، وبلغت نسبة الموافقة على هذه الاستجابة ٨٩.٨% من جملة العينة، في مقابل نسبة ٧.٣% من العينة يوافقون عليها إلى حد ما، في حين لم تتعد نسبة الرفض لهذه العبارة ٢.٩% من جملة العينة. يعد ارتفاع نسبة الموافقة مؤشراً إيجابياً على اتجاهات مجتمع الدراسة نحو إيفادة من الهاتف الذكي في البحث عن المعلومات واسترجاعها.

- أفادت عينة الدراسة بأنهم يحتفظون على هواتفهم الجواله بالعديد من التطبيقات الهامة. وجاءت هذه الاستجابة في المرتبة الثانية بمتوسط مرجح ٢.٢٧ وانحراف معياري ٠.٥٥، وبلغت نسبة الموافقة على هذه الاستجابة ٧٦.٥% من جملة العينة، في مقابل نسبة ١٨.٦% من العينة يوافقون عليها إلى حد ما، ولم تتعد نسبة الرفض لهذه العبارة ٢.٧٢% من جملة العينة. وتعد ارتفاع نسبة الموافقة منطقية في ضوء طبيعة مجتمع الدراسة البحثي، كما أنها مؤشراً إيجابياً لدى مجتمع الدراسة نحو التوظيف الإيجابي لتقنيات الهواتف الذكية.

- جاءت الاستجابة الخاصة بأنه "لا أستطيع الاستغناء عن الهاتف الذي أستعمله" في المرتبة الثالثة، بمتوسط ٢.٧١ وانحراف معياري ٠.٥٥ درجة. وبلغت نسبة الموافقة عليها ٧٥.٥% من جملة العينة، في مقابل نسبة ١٩.٦% من العينة يوافقون عليها إلى حد ما، ولم تتعد نسبة الرفض لهذه العبارة ٤.٨% من جملة العينة. وتعد ارتفاع نسبة الموافقة مؤشراً على أهمية الدور الذي تقوم به الهواتف الذكية في حياة المستخدمين،

كما أنها في ضوء الاستجابات السابقة تعد مؤشراً إيجابياً؛ نظراً لاستخدامها في البحث مع استخدام التطبيقات المهمة.

• أوضحت عينة الدراسة أنه يجب على كل فرد أن يستخدم أحد الهواتف الذكية، وجاءت هذه العبارة في الترتيب الرابع، بمتوسط مرجح ٢.٣٤ وانحراف معياري ٠.٦٢ درجة. وقد وافقت على هذه الاستجابة نسبة ٤٢.١% من جملة العينة، في حين بلغت نسبة من يوافقون إلى حد ما عليها ٥٩.٦% من إجمالي العينة. ولم تتعد نسبة الرفض لها نسبة ٢.٣٤% من جملة العينة. ويعد التقارب بين نسبة الموافقة والموافقة إلى حد ما مؤشراً على ميل عينة الدراسة إلى تشجيع استخدام الهواتف الذكية؛ نظراً لما اختبرته عينة الدراسة من جوانب إيجابية في استخدامها، مما يؤكد أن خبرة استخدام التقنية يؤثر على اتجاهات المستفيد سواء بالإيجاب أو السلب

• أشارت نسبة ٤٥.٠% من عينة الدراسة بموافقتها على أن الاستخدام المستمر للهواتف الذكية يؤثر سلباً على المستوى الدراسي. وجاءت هذه الاستجابة في الترتيب الخامس، حيث بلغ المتوسط المرجح لها ٢.٣٢ بدرجة تشتت ٠.٧٠، كما بلغت الموافقة (إلى حد ما) على هذه الاستجابة نسبة ٤١.٦% من جملة العينة، وذلك في مقابل نسبة رفض لها لم تتعد ٢.٣٢% من جملة العينة. يعد التقارب بين نسبة الموافقة إلى حد ما والموافقة منطقية، كما تعد مؤشراً على الخبرات الشخصية في استخدام الهاتف الذكي تؤثر على رأي عينة الدراسة، فمن المنطقي أن تميل النسبة إلى أن استخدام الهاتف الذكي في غير أغراض البحث سيكون له تأثير سلبي على المستوى الدراسي، وهو الأمر الذي ينطبق على الاستخدام السلبي لكل أوجه تقنيات المعلومات بما فيها الهاتف الذكي.

• أفادت نصف عينة الدراسة تقريباً بموافقتها على أن استخدام الهواتف الذكية يعني عن استخدام الكمبيوتر الجوال في تصفح الإنترنت، فقد بلغت هذه النسبة ٥١.٨% من جملة العينة. وجاءت في الترتيب السادس، بمتوسط ٢.٢٦ وانحراف معياري ٠.٨٤ درجة. وبلغت نسبة الموافقة إلى حد ما على هذه العبارة ٢٢.٨% من جملة العينة. ولم تتعد نسبة الرفض لها ربع عينة الدراسة تقريباً. ويعد ارتفاع نسبة الموافقة على أن استخدام



الهاتف الذكي يغني عن الكمبيوتر الجوال في تصفح الإنترنت منطقياً، نظراً للتطور التقني والبرمجي في مجال الهواتف الذكية لتوفير احتياجات المستفيد المعلوماتية.

• أفادت عينة الدراسة بأن استخدام الهواتف الذكية دليل على الرفاهية في المجتمع، وجاءت هذه العبارة في الترتيب السابع، حيث بلغ المتوسط المرجح لهذه الاستجابة ٢.٠٣ وبدرجة تشتت ٠.٨١، وبلغت نسبة الموافقة على هذه الاستجابة ٣٤.٣% من جملة العينة، في مقابل نسبة ٣٤.٦% من العينة يوافقون عليها إلى حد ما، ونسبة رفض ٣١.٠% من إجمالي العينة. ويعد التقارب بين نسبة الموافقة والموافقة إلى حد ما مؤشراً على اختلاف مفهوم رفاهية المجتمع لدى عينة الدراسة، وإن كانت المؤشرات تميل نحو ارتفاع الاتجاه نحو الموافقة، حيث إن استخدام الهواتف الذكية يتطلب مستوى دخل مناسباً للفرد، وتوفير الدولة لبنية تحتية معلوماتية لتقنيات الاتصال؛ للإفادة من إمكانيات الهواتف الذكية وكلها مؤشرات على مجتمع معلوماتي يتمتع بالرفاهية.

• أشارت نسبة ثلث عينة الدراسة تقريباً إلى أن استخدام الهواتف الذكية دليل على الرفاهية والمستوى الاقتصادي المرتفع. وجاءت هذه الاستجابة في المرتبة الثامنة على مستوى إجمالي العينة، بمتوسط حسابي ١.٩٨، وانحراف معياري ٠.٨٢، وقد أفادت نسبة ٣٢.٩% من جملة العينة بموافقتها إلى حد ما على هذه الاستجابة، في مقابل نسبة رفض لها ٣٤.٦% من العينة. ويعد التقارب بين نسبة الرفض والموافقة إلى حد ما منطقياً نظراً للفتاوت في أسعار الهواتف الذكية مع تقارب الإمكانيات، مما يجعلها متوفرة لنسبة كبيرة من فئات المجتمع بغض النظر عن المستوى الاقتصادي.

• أفادت نسبة ٣٣.٢% من عينة الدراسة بأنهم يتعرضون أحياناً لمشكلات أسرية بسبب الهواتف الذكية واستخداماتها. وجاءت هذه الاستجابة في المرتبة التاسعة بمتوسط مرجح ١.٩٥ ودرجة تشتت هي ٠.٨٥، وذلك نظراً لارتفاع معدلات استخدام الهواتف الذكية في التواصل الاجتماعي من خلال التطبيقات المختلفة المتوفرة عليه مما يؤثر على مجتمع الأسرة، وإن كان انخفاض الرتبة لهذه الاستجابة مؤشراً إيجابياً على أن نسبة أكبر من مجتمع الدراسة، يميل للاستخدام المتوازن لتطبيقات الهاتف الذكي.

• جاءت الاستجابة الخاصة بأن "استخدامي للهواتف الذكية يؤثر في علاقتي الاجتماعية مع الآخرين" في المرتبة العاشرة على مستوى العينة، فقد بلغ المتوسط الحسابي لها ١.٩٢ وانحراف معياري ٠.٨٢. درجة. انخفاض رتبة هذه الاستجابة مؤشراً إيجابياً على الاستخدام المعتدل للهواتف الذكية، مما لا يؤثر على الجانب الاجتماعي للمستخدم، كما أنها تتوافق مع ما ذكر سابقاً في جدول (١٠) فيما يتعلق بعدد ساعات استخدام الهاتف الذكي اليومية، حيث كانت النسبة الأقل هي النسبة التي تستخدم الهاتف الذكي لنسبة أكثر من سبع ساعات يومياً.

٥. العوامل المؤدية لاستخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها تم قياس هذه العوامل من خلال استبيان مكون من عشر عبارات. وجاءت النتائج كما يلي:

جدول (٢٦) عوامل استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها لدى عينة الدراسة

العبارات	موافق		إلى حد ما		غير موافق		المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
	ك	%	ك	%	ك	%			
يؤدي استخدام الهواتف الذكية إلى سهولة الوصول للمعلومات.	٣٤٦	٨٣.٨	٢٣	٨.٠	٣٤	٨.٢	٢.٧٦	٠.٥٩	١
زيادة تطبيقات الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات.	٣٣٥	٨١.١	٤٧	١١.٤	٣١	٧.٥	٢.٧٤	٠.٥٩	٢
تتيح الهواتف الذكية للفرد الوصول السريع لشبكة الإنترنت.	٣٢٥	٧٨.٧	٥٤	١٣.١	٣٤	٨.٢	٢.٧٠	٠.٦١	٣
البحث عن المعلومات واسترجاعها يتم في أي وقت وأي مكان.	٣١٨	٧٧.٠	٦٠	١٤.٥	٣٥	٨.٥	٢.٦٩	٠.٦٢	٤

الترتيب	الانحراف المعياري	المتوسط	غير موافق		إلى حد ما		موافق		العبارات
			%	ك	%	ك	%	ك	
٥	٠.٦٢	٢.٦٦	٨.٢	٣٤	١٧.٤	٧٢	٧٤.٣	٣٠٧	سهولة تبادل الرسائل بين الطلاب وبينهم وبين أعضاء هيئة التدريس.
٦	٠.٦٨	٢.٦٥	١١.٤	٤٧	١٢.١	٥٠	٧٦.٥	٣١٦	استخدام الهواتف الذكية يؤدي لزيادة المعرفة والثقافة في المجتمع
٧	٠.٦٥	٢.٦٢	٩.٢	٣٨	١٩.٤	٨٠	٧١.٤	٢٩٥	سهولة تبادل الملفات بين الطلاب وبينهم وبين أعضاء هيئة التدريس.
٨	٠.٦٢	٢.٦٢	٧.٣	٣٠	٢٣.٢	٩٦	٦٩.٥	٢٨٧	تعدد الخدمات التي تقدمها الهواتف الذكية في مجال المعلومات.
٩	٠.٦٤	٢.٥٧	٨.٢	٣٤	٢٦.٩	١١١	٦٤.٩	٢٦٨	قدرة مستخدمي الهواتف على الوصول إلى الأفراد في أي وقت وفي أي مكان.
١٠	٠.٨٣	٢.٢٠	٢٦.٩	١١١	٢٦.٦	١١٠	٤٦.٥	١٩٢	التكلفة المالية لاستخدام الهواتف الذكية ملائمة لمعظم فئات المجتمع.
المتوسط العام = ٢.٦٢ (موافق)									

وتوضح بيانات الجدول (٢٦) أن الاتجاه العام لاستجابات العينة يقع في فئة الاستجابة " موافق " حيث بلغ المتوسط العام لهذا المقياس ٢.٦٢ درجة.

ومن هذه البيانات يمكن تحديد أهم هذه المعوقات مرتبة وفقاً لاستجابات العينة كما

يلي:



• يؤدي استخدام الهواتف الذكية إلى سهولة الوصول للمعلومات، حيث بلغت نسبة الموافقة على هذه العبارة ٨٣.٨% من إجمالي العينة، وبمتوسط مرجح ٢.٧٦، وانحراف معياري ٠.٥٩ درجة. مما يعد مؤشراً إيجابياً على ميل مجتمع الدراسة نحو استخدام الهواتف الذكية في أغراض البحث عن المعلومات واسترجاعها.

• زيادة تطبيقات الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات، وبلغت نسبة الموافقة على هذه العبارة ٨١.٨% من إجمالي العينة، وبمتوسط مرجح ٢.٧٤، وانحراف معياري ٠.٥٩ درجة. مما يعد مؤشراً على توجه الشركات المنتجة للهواتف الذكية نحو توفير الاحتياجات المعلوماتية للمستخدمين لزيادة معدلات الاعتماد على الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات.

• تتيح الهواتف الذكية للفرد الوصول السريع لشبكة الإنترنت، وبلغت نسبة الموافقة على هذه العبارة ٧٨.٧% من إجمالي العينة، وبمتوسط مرجح ٢.٧٠، وانحراف معياري ٠.٦١ درجة. مما يعد مؤشراً إيجابياً على ازدياد معدلات الاعتماد على الهواتف الذكية في المستقبل للبحث عن المعلومات واسترجاعها.

• البحث عن المعلومات واسترجاعها يتم في أي وقت وأي مكان، وبلغت نسبة الموافقة على هذه العبارة ٧٧.٠% من العينة، وبمتوسط مرجح ٢.٦٩، وانحراف معياري ٠.٦٢ درجة. مما يعد مؤشراً على توقع ارتفاع نسبة الاعتماد على الهواتف الذكية مستقبلاً في البحث عن المعلومات واسترجاعها، حيث يميل المستفيد إلى الاعتقاد انه يمكنه الوصول للمعلومات وقتما يحتاجها وأينما كان.

• سهولة تبادل الرسائل بين الطلاب وفيما بينهم وبين أعضاء هيئة التدريس، فقد بلغت نسبة الموافقة عليها ٧٤.٣% من إجمالي العينة، وبمتوسط مرجح ٢.٦٦، وانحراف معياري ٠.٦٢ درجة. مما يعد مؤشراً على توظيف تقنيات الهواتف الذكية في تعزيز التواصل الأكاديمي في الوسط الجامعي مما يؤصل لمفهوم الجامعة الخفية في الحصول على المعلومات.

• استخدام الهواتف الذكية يؤدي لزيادة المعرفة والثقافة في المجتمع، حيث

بلغت نسبة الموافقة على هذه العبارة ٧٦.٥% من إجمالي العينة، وبمتوسط ٢.٦٥، وانحراف معياري ٠.٦٨. ويرتبط هذه المؤشر بالمؤشرات السابقة من حيث سهولة الوصول إلى الإنترنت من خلال الهواتف الذكية؛ مما يزيد من فرص اكتساب المعرفة لدى المجتمع، وينعكس بالتالي على المستوى الثقافي للفرد.

• سهولة تبادل الملفات بين الطلاب وبينهم وبين أعضاء هيئة التدريس، وبلغت نسبة الموافقة على هذه العبارة ٧١.٤% من إجمالي العينة، وبمتوسط مرجح ٢.٦٢، وانحراف معياري ٠.٦٥. يرتبط هذه المؤشر بالمؤشر الخاص بسهولة التواصل بين الطلاب وأعضاء هيئة التدريس، كما يعكس التسهيلات التي تقدمها الهواتف الذكية في تبادل المعلومات الأكاديمية في الوسط العلمي؛ مما يؤثر إيجابياً على سرعة الوصول للمعلومات.

• تعدد الخدمات التي تقدمها الهواتف الذكية في مجال المعلومات، فقد بلغت نسبة الموافقة على هذه العبارة ٦٩.٥% من إجمالي العينة، وبمتوسط ٢.٦٢، وتشتت ٠.٦٢. يرتبط هذا المؤشر بمؤشر زيادة تطبيقات الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات، مما يؤكد على رأي الباحث في حرص الشركات المنتجة للهواتف الذكية على مواكبة الاحتياجات المعلوماتية للمستخدم.

• قدرة مستخدمي الهواتف على الوصول إلى الأفراد في أي وقت وفي أي مكان، حيث بلغت نسبة الموافقة على هذه العبارة ٦٤.٩% من إجمالي العينة، وبمتوسط مرجح ٢.٥٧، وانحراف معياري ٠.٦٤. يعد هذا المؤشر دليلاً على إمكانية التواصل داخل المجتمع العلمي والبحثي للوصول للمعلومات في أي وقت، وفي أي مكان، مما يساعد على سهولة تبادل المعلومات والملفات في الوسط الأكاديمي.

• التكلفة المالية لاستخدام الهواتف الذكية ملائمة لمعظم فئات المجتمع، حيث بلغت نسبة الموافقة على هذه العبارة ٤٦.٥% من إجمالي العينة، وبمتوسط مرجح ٢.٢٠، وانحراف معياري ٠.٨٣. ويرتبط هذا المؤشر بمستوى الدخل، وتفاوت أسعار منتجات الهواتف الذكية، وهو ما أدى لانخفاض نسبة الموافقة على هذا المؤشر.

٧. التحديات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها

٨. تم قياس هذه التحديات من خلال محور التحديات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية

في أداة الدراسة، وهو مكون من عشر عبارات. وجاءت النتائج كما يلي:

جدول (٢٧) التحديات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها لدى عينة الدراسة

البيانات	موافق		إلى حد ما		غير موافق		المتوسط	الانحراف المعياري	البيانات
	ك	%	ك	%	ك	%			
عدم إجادة اللغة الإنجليزية اللازمة للتعامل مع كثير من تطبيقات الهواتف الذكية.	٢٧٢	٦٥.٩	٨٥	٢٠.٦	٥٦	١٣.٦	٢.٥٢	٠.٧٢	١
لا تتوفر برامج التشغيل والتطبيقات الملائمة للأنشطة العلمية والتعليمية.	٢٤٦	٥٩.٦	١١٣	٢٧.٤	٥٤	١٣.١	٢.٤٦	٠.٧٢	٢
لا تتوفر برامج التعلم المتنقل مثل برمجيات الوسائط المتعددة التفاعلية.	٢٤٧	٥٩.٨	١٠٤	٢٥.٢	٦٢	١٥.٠	٢.٤٥	٠.٧٤	٣
عدم توفر الدعم المالي والميزانيات الملائمة من المؤسسات التعليمية والبحثية للاستفادة من تلك الأجهزة.	٢٣٧	٥٧.٤	١١٦	٢٨.١	٦٠	١٤.٥	٢.٤٣	٠.٧٣	٤
نقص العناصر البشرية اللازمة لتفعيل الاستفادة من الهواتف الذكية	٢١٧	٥٢.٥	١٣٥	٣٢.٧	٦١	١٤.٨	٢.٣٨	٠.٧٣	٥



الترتيب	الاصحاري	الاصحاري	المتوسط	غير موافق		إلى حد ما		موافق		العبارات
				%	ك	%	ك	%	ك	
٦	٠.٨٣	٢.٢٩	٢٤.٢	١٠٠	٢٣.٠	٩٥	٥٢.٤	٢١٨	لا تتوفر الكتب الإلكترونية و المكتبات الإلكترونية المساعدة للباحث.	
٧	٠.٧٤	٢.٢٧	١٧.٤	٧٢	٣٨.٥	١٥٩	٤٤.١	١٨٢	عدم الوثوق في المعلومات الناتجة عن البحث من خلال الهواتف الذكية	
٨	٠.٧١	٢.٢٤	١٦.٢	٦٧	٤٣.٣	١٧٩	٤٠.٤	١٦٧	عدم ملائمة المواد التعليمية والتدريبية لتقنيات الهواتف الذكية.	
٩	٠.٧٤	٢.٢٤	١٨.٤	٧٦	٣٩.٢	١٦٢	٤٢.٤	١٧٥	عدم توفر الوقت الكافي للبحث عن المعلومات واسترجاعها.	
١٠	٠.٨٠	٢.٠٧	٢٨.٨	١١٩	٣٥.٦	١٤٧	٣٥.٦	١٤٧	لا تتوفر البنية التحتية اللازمة للبحث بواسطة تلك التقنيات.	
المتوسط العام = ٢.٣٤ (موافق)										

وتعكس بيانات الجدول (٢٧) ارتفاع نسب موافقة عينة الدراسة على عبارات هذا المقياس، وجاء الاتجاه العام لاستجابات عينة الدراسة في فئة الاستجابة "موافق"، حيث بلغ المتوسط العام لهذا المقياس ٢.٣٤ درجة. وهو ما انعكس في ارتفاع مؤشرات الموافقة لدى عينة الدراسة على عبارات المقياس.

فقد أكدت نسبة ٦٥.٩% من جملة العينة على أن عدم إجادة اللغات الأجنبية اللازمة للتعامل مع الهواتف الذكية يمثل أهم التحديات التي تواجه المستخدم في البحث عن المعلومات واسترجاعها، وجاءت هذه الاستجابة في المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي ٢.٥٢، وانحراف معياري ٠.٧٢، وذلك نظراً لأن اللغة الأم لتطبيقات الهواتف الذكية هي اللغة الإنجليزية، وكذلك فإن التعريب لبعض هذه التطبيقات لا يكون على المستوى المطلوب مما يمثل تحدياً أمام المستفيد في توظيف إمكانيات الهاتف الذكي؛ لأغراض البحث عن المعلومات واسترجاعها.

وكذلك أفادت نسبة ٥٩.٦% من عينة الدراسة بأن عدم توفر برامج التشغيل، والتطبيقات الملائمة للمناهج، وأنشطة التعليم تمثل أحد التحديات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها. وجاءت هذه الاستجابة في المرتبة الثانية بمتوسط مرجح ٢.٤٦ وانحراف معياري ٠.٧٢، وذلك نظراً لحدثة التوجه نحو توظيف إمكانيات الهواتف الذكية في الأنشطة التعليمية والأكاديمية، مما انعكس على عدم توافر البرمجيات، والتطبيقات الملائمة لهذا الغرض.

وجاءت الاستجابة الخاصة بأنه لا تتوفر برامج التعلم المتنقل مثل برمجيات الوسائط المتعددة التفاعلية في المرتبة الثالثة، بمتوسط ٢.٤٥ وانحراف معياري ٠.٧٤. وبلغت نسبة الموافقة على هذه الاستجابة ٥٩.٨% من جملة العينة، في مقابل نسبة ٢٥.٢% من العينة يوافقون عليها إلى حد ما، ولم تعد نسبة الرفض لهذه العبارة ١٥.٠% من جملة العينة. ويعد ترتيب هذه الاستجابة منطقياً حيث ترتبط بالاستجابة السابقة من حيث حداثة التوجه نحو توظيف الهواتف الذكية في الأنشطة التعليمية.

ويعد عدم توفر الدعم المالي، والميزانيات المناسبة من المؤسسات التعليمية، والبحثية، للاستفادة من تلك الأجهزة أحد التحديات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها، وجاءت هذه العبارة في الترتيب الرابع لدى عينة الدراسة، بمتوسط مرجح ٢.٤٣ وانحراف معياري ٠.٧٣. وقد وافقت على هذه الاستجابة نسبة ٥٧.٣% من جملة العينة. ويعد هذا من أهم التحديات، حيث إن توفر

الدعم المالي من المؤسسات التعليمية من شأنه أن يسهم بشكل إيجابي في توفير البرمجيات اللازمة لتوظيف إمكانيات الهواتف الذكية في العملية التعليمية.

ومن أهم التحديات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها نقص العناصر البشرية اللازمة لتفعيل الاستفادة من الهواتف الذكية. وجاءت هذه الاستجابة في الترتيب الخامس، حيث بلغ المتوسط المرجح لها ٢.٣٨ بدرجة تشتت ٠.٧٣. كما بلغت الموافقة (إلى حد ما) على هذه الاستجابة نسبة ٣٢.٧% من جملة العينة، وذلك في مقابل نسبة رفض لها لم تتعد ١٤.٨% من جملة العينة. حيث يتطلب تفعيل استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها كفاءات تتولى محو الأمية المعلوماتية لدى مستخدميها وتدريبهم على كيفية استخدامها في البحث.

وأفادت نسبة ٥٢.٨% من جملة العينة بأن عدم توفر الكتب الإلكترونية والمكتبات الإلكترونية المساعدة للباحث تمثل أحد التحديات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها، وجاءت هذه العبارة في الترتيب السادس، بمتوسط ٢.٢٩ وانحراف معياري ٠.٨٣. درجة. حيث إن توفر مصادر المعلومات الرقمية يعد دافعاً إيجابياً لدى مستخدمي الهواتف الذكية في استخدامها في البحث عن هذه المصادر والإفادة منها.

وكذلك فإن عدم الوثوق في المعلومات الناتجة عن البحث من خلال الهواتف الذكية تمثل أحد التحديات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها، وجاءت هذه العبارة في الترتيب السابع، حيث بلغ المتوسط المرجح لهذه الاستجابة ٢.٢٧ وبدرجة تشتت ٠.٧٤. وبلغت نسبة الموافقة على هذه الاستجابة ٤٤.١% من جملة العينة، في مقابل نسبة ٣٨.٥% من العينة يوافقون عليها إلى حد ما، ونسبة رفض ١٧.٤% من إجمالي العينة. وتعد ظاهرة عدم الوثوق في المعلومات الناتجة عن البحث من خلال الهواتف الذكية ظاهرة عامة مرتبطة بموثوقية البحث على الإنترنت بوجه عام، ويمكن تجنبها من خلال إكساب المستخدمين مهارات البحث على الإنترنت وتدريبهم على كيفية قياس مصداقية مصادر المعلومات.



ومن التحديات أيضاً عدم ملائمة المواد التعليمية والتدريبية لتقنيات الهواتف الذكية. وجاءت هذه الاستجابة في المرتبة الثامنة، بمتوسط حسابي ٢.٢٤، وانحراف معياري ٠.٧١، وقد أفادت نسبة ٤٠.٤% من جملة العينة بموافقتها على هذه الاستجابة، في مقابل نسبة ٤٣.٣% من العينة يوافقون عليها إلى حد ما، ونسبة رفض ١٦.٢% من جملة العينة. حيث لم تصمم هذه النوعية من المواد ل يتم التعاطي معها من خلال تطبيقات الهواتف الذكية، ويتوقع الباحث أن يتم التوجه نحو توظيف الهواتف الذكية في العملية التعليمية والتدريبية في المستقبل القريب.

وأفادت نسبة ٤٢.٤% من عينة الدراسة بأن عدم توفر الوقت الكافي للبحث عن المعلومات واسترجاعها يعد من هذه التحديات. وجاءت هذه الاستجابة في المرتبة التاسعة بمتوسط مرجح ٢.٢٤ ودرجة تشتت هي ٠.٧٤، كما أفادت نسبة ٣٩.٢% من جملة العينة بموافقتها إلى حد ما على هذه الاستجابة، في مقابل نسبة رفض لم تعد ١٨.٤% من إجمالي العينة. يعد انخفاض رتبة هذا المؤشر إيجابياً حيث أن نسبة أكبر من عينة الدراسة لا تعتبر عنصر الوقت تحدياً في عملية البحث عن المعلومات.

وجاءت الاستجابة الخاصة بعدم توفر البنية التحتية اللازمة للبحث بواسطة تلك التقنيات في المرتبة العاشرة والأخيرة، فقد بلغ المتوسط الحسابي لها ٢.٠٧ وانحراف معياري ٠.٨٠ درجة. وبلغت نسبة الموافقة على هذه الاستجابة ٣٥.٦% من جملة العينة، وهي نفس نسبة من يوافقون عليها إلى حد ما، في حين بلغت نسبة الرفض لهذه العبارة ٢٨.٨% من جملة العينة. ويعد احتلال هذه الاستجابة المرتبة الأخيرة وإنخفاض نسبة الاستجابة لها مؤشر على أن قضية البنية التحتية اللازمة للبحث تتوقف على مكان سكن المستخدم ومدى توافر البنية التحتية للاتصالات في هذه المنطقة، ويعد انخفاض نسبة الاستجابة مؤشراً إيجابياً، على أن هذا التحدي لا يمثل عائقاً كبيراً، ويمكن تجاوزه في المستقبل القريب.

جدول (٢٨) تحليل التباين أحادي الاتجاه لمقاييس الدراسة وفقاً لمتغير فئات

العمر

المحور	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	الدلالة
مستويات استخدام الهواتف الذكية	بين المجموعات	٨٠١	٣	٢٦٧	**١٥.٩	٠.٠٠
	داخل المجموعات	٦٨٥٠	٤٠٩	١٧		
	الجملة	٧٦٥١	٤١٢			
دوافع استخدام الهواتف الذكية	بين المجموعات	٢٦٠	٣	٨٧	*٣.٧٢	٠.٠١
	داخل المجموعات	٩٥٣٠	٤٠٩	٢٣		
	الجملة	٩٧٩٠	٤١٢			
الصعوبات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية	بين المجموعات	٥٨٨	٣	١٩٦	**٧.٢	٠.٠٠
	داخل المجموعات	١١٠٧٣	٤٠٩	٢٧		
	الجملة	١١٦٦١	٤١٢			

وتشير بيانات الجدول (٢٨) إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين هذا المتغير

والمغيرات التالية:

• مستويات استخدام الهواتف الذكية، فقد بلغت قيمة (ف) ١٥.٩ وكانت هذه القيمة دالة عند مستوى ٠.٠٠١، وهو ما يشير إلى وجود فروق إحصائية بين فئات الحالة العمرية في استجاباتها لعبارات هذا المقياس. ووفقاً لمقياس شيفيه كانت هذه الفروق لصالح الفئة العمرية الأولى (الأقل من ٢٥ عاماً). ويمكن تفسير ذلك بأن هذه الفئة العمرية هي الأكثر نشاطاً وفاعلية في استخدام الهواتف الذكية، ومن ثم كانت استجاباتها لعبارات المقياس مختلفة عن باقي الفئات العمرية.

• دوافع استخدام الهواتف الذكية. فقد بلغت قيمة (ف) ٣.٧٢ وكانت هذه القيمة دالة عند مستوى ٠.٠٥، وهو ما يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين فئات الحالة العمرية في استجاباتها لعبارات هذا المقياس. ووفقاً لمقياس شيفيه كانت هذه الفروق لصالح الفئة العمرية الثالثة (٣٠ - ٣٥ عاماً)، ويمكن تفسير ذلك بأن هذه الفئة العمرية تختلف من حيث دوافعها في استخدام الهواتف الذكية عن بقية الفئات العمرية، لأنها تعد أكثر قدرة على الاستفادة من تطبيقات الهواتف الذكية بطريقة أكثر إيجابية.

• الصعوبات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية، حيث بلغت قيمة (ف) ٧.٢ وكانت هذه القيمة دالة عند مستوى ٠.٠١، ويوضح ذلك فروق إحصائية بين فئات العمر المختلفة في استجاباتها على عبارات هذا المقياس. ووفقاً لمقياس شيفيه كانت هذه الفروق لصالح الفئة العمرية الثالثة (٣٠ - ٣٥ عاماً). ويمكن تفسير ذلك بأن هذه الفئة العمرية ليست على نفس القدر من الاستخدام والمتابعة لهذه التقنيات الحديثة، ومن هذا فهي تعد أكثر مواجهة للصعوبات في استخدامها.

جدول (٢٩) تحليل التباين أحادي الاتجاه لمقاييس الدراسة وفقاً لفئات الدخل الشهري

المحور	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	الدلالة
مستويات استخدام الهواتف الذكية	بين المجموعات	١٢٩	٣	٤٣	٢.٣٣	٠.٠٧
	داخل المجموعات	٧٥٢٣	٤٠٩	١٨		
	الجملة	٧٦٥١	٤١٢			
دوافع استخدام الهواتف الذكية	بين المجموعات	١٢٣	٣	٤١	١.٧٤	٠.١٦
	داخل المجموعات	٩٦٦٧	٤٠٩	٢٤		
	الجملة	٩٧٩٠	٤١٢			



المحور	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	الدلالة
الصعوبات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية	بين المجموعات	٦٣٦	٣	٢١٢	**٨.٦	٠.٠٠
	داخل المجموعات	١١٠٢٦	٤٠٩	٢٧		
	الجملة	١١٦٦٦	٤١٢			

وتشير بيانات الجدول (٢٩) إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين هذا المتغير والمتغير الخاص بالصعوبات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية، فقد بلغت قيمة (ف) ٨.٦ وكانت هذه القيمة دالة عند مستوى ٠.٠١ وهو ما يشير إلى وجود فروق إحصائية بين فئات الدخل الشهري في استجاباتها لعبارات هذا المقياس. ووفقاً لمقياس شيفيه كانت هذه الفروق لصالح فئة الدخل الأولى (الأقل من ثمانية آلاف ريال). ويمكن تفسير ذلك بأن هذه الفئة تمثل الشريحة الأكثر نشاطاً وفاعلية في استخدام الهواتف الذكية، ومن ثم فإنها يمكن أن تواجه بعض الصعوبات، وبخاصة من الناحية الاقتصادية في متابعة التطبيقات الحديثة لهذه الهواتف.

ولم تكن هناك فروق دالة إحصائية بين متغير فئات الدخل الشهري، وكل من متغيري مستويات استخدام الهواتف الذكية. ودوافع هذا الاستخدام، حيث لم تكن قيم (ف) في الحالتين دالة عند أي مستوى للمعنوية. أي إنه لم تكن هناك فروق في استجابات العينة من فئات الدخل المختلفة في طبيعة استجاباتها على عبارات كلا المقياسين.

جدول (٣٠) تحليل التباين أحادي الاتجاه لمقاييس الدراسة وفقاً لمستوى الحي السكني

المحور	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	الدلالة
مستويات استخدام الهواتف الذكية	بين المجموعات	٢٦٢	٢	١٣١	**٧.٢٦	٠.٠٠٠
	داخل المجموعات	٧٣٩٠	٤١٠	١٨		
	الجملة	٧٦٥١	٤١٢			
دوافع استخدام الهواتف الذكية	بين المجموعات	٦٢٨	٢	٣١٤	**١٤.١	٠.٠٠٠
	داخل المجموعات	٩١٦٣	٤١٠	٢٢		
	الجملة	٩٧٩٠	٤١٢			
الصعوبات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية	بين المجموعات	٤٦٢	٢	٢٣١	**٨.٤٥	٠.٠٠٠
	داخل المجموعات	١١١٩٩	٤١٠	٢٧		
	الجملة	١١٦٦١	٤١٢			

وتوضح بيانات الجدول (٣٠) وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين هذا المتغير

والمغيرات التالية:

- مستويات استخدام الهواتف الذكية. فقد بلغت قيمة (ت) ٧.٢٦ وكانت هذه القيمة دالة عند مستوى ٠.٠٠١، وهو ما يشير إلى وجود فروق إحصائية بين عينة الدراسة التي تعيش في أحياء متفاوتة في المستوى الاجتماعي والاقتصادي. ووفقاً لمقياس شيفيه كانت هذه الفروق لصالح من يعيشون في الأحياء ذات المستوى المتوسط. ويمكن تفسير ذلك بأن من يعيشون في أحياء متوسطة ينتمون إلى الشرائح المتوسطة المستوى الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع، ومن ثم فإنهم يبحثون دائماً عما يدفعهم إلى تحقيق مستويات أعلى في المجتمع من خلال استخدامهم للتقنيات الحديثة ومنها الهواتف الذكية.

• دوافع استخدام الهواتف الذكية. فقد بلغت قيمة (ت) ١٤.١ وكانت هذه القيمة دالة عند مستوى ٠.٠١، وهو ما يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين عينة الدراسة في مستويات الأحياء السكنية المتفاوتة في المستوى. ووفقاً لمقياس شيفيه كانت هذه الفروق لصالح فئة الأحياء ذات المستوى المرتفع. ويمكن تفسير ذلك بأن من يعيش في هذه الأحياء الراقية له دوافع في استخدام الهواتف الذكية تختلف عن هؤلاء الذين يعيشون في الأحياء الأقل مستوى، حيث يمكنهم استخدام هذه الهواتف بحكم طبيعة أعمالهم مثلاً، والتي قد تتطلب الاعتماد على التقنيات الحديثة والمتجددة باستمرار.

• الصعوبات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية، حيث بلغت قيمة (ت) ٨.٤٥ وكانت هذه القيمة دالة عند مستوى ٠.٠١، ويوضح ذلك فروق إحصائية بين عينة الدراسة، والتي تعيش في أحياء سكنية متفاوتة في المستوى. ووفقاً لمقياس شيفيه كانت هذه الفروق لصالح من يعيشون في الأحياء ذات المستوى المتوسط. ويمكن تفسير ذلك بأن من يعيش في الأحياء ذات المستوى المتوسط قد يواجهون صعوبات على البنية التحتية للاتصالات في هذه الأحياء.

جدول (٣١) اختبار الفرق في المتوسط (T) لمقاييس الدراسة وفقاً لمتغير الجامعة

المتغيرات	N	المتوسط	الانحراف المعياري	ت	الدلالة
مستويات استخدام الهواتف الذكية	٢٤٠	١٦.٩	٤.٢٥	٠.١٧	٠.٧٦
	١٧٣	١٦.٩	٤.٤١		
دوافع استخدام الهواتف الذكية	٢٤٠	١٣.٥	٤.٤٩	١.٤٣	٠.٦٩
	١٧٣	١٤.٢	٥.٣٥		
الصعوبات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية	٢٤٠	١٦.٨	٥.١٦	٠.٦٩	٠.٥٢
	١٧٣	١٦.٥	٥.٥٥		

وتعكس بيانات الجدول (٣١) اختبار الفرق في المتوسط (T) لمقاييس الدراسة، وفقاً لمتغير الجامعة التي تنتمي إليها. ومن هذه البيانات يتضح عدم وجود فروق ذات دلالة



إحصائية بين هذا المتغير ومقاييس الدراسة الثلاثة. حيث لم تكن قيم (ت) دالة عند أي مستوى للمعنوية في الحالات الثلاث. وهو ما يشير إلى وجود قدر كبير من الاتفاق بين عينة الدراسة في الجامعتين على عبارات مقاييس الدراسة. ويمكن تفسير ذلك بأن استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها يمثل قضية هامة لطلاب، وأعضاء هيئة التدريس في الجامعتين، وبالنتيجة تمثل هذه الظاهرة ظاهرة مجتمعية أكثر من كونها قضية فردية.

جدول (٣٢) اختبار الفرق في المتوسط (T) لمقاييس الدراسة وفقاً لمتغير الجنس

المتغيرات	N	المتوسط	الانحراف المعياري	ت	الدلالة
مستويات استخدام الهواتف الذكية	ذكور	٢٤٠	١٧.١	٠.٩٦	٠.٣٣
	إناث	١٧٣	١٦.٧		
دوافع استخدام الهواتف الذكية	ذكور	٢٤٠	١٤.٥	*٣.٢٨	٠.٠٠١
	إناث	١٧٣	١٢.٩		
الصعوبات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية	ذكور	٢٤٠	١٨.٤	**٨.٥٢	٠.٠٠٠
	إناث	١٧٣	١٤.٢		

وتعكس بيانات الجدول (٣٢) اختبار الفرق في المتوسط (T) لمقاييس الدراسة، وفقاً لمتغير الجنس. ومن هذه البيانات يتضح وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين هذا المتغير ومقاييس دوافع استخدام الهواتف الذكية، وكذلك مع المتغير الخاص بالصعوبات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية. فقد بلغت قيمة (ت) في الحالة الأولى ٣.٢٨ وكانت هذه القيمة دالة عند مستوى ٠.٠١، وفي الحالة الثانية بلغت قيمة (ت) ٨.٥٢ وكانت دالة إحصائياً عند مستوى معنوية ٠.٠٥، وكانت هذه الفروق لصالح عينة الذكور في الحالتين. وهو ما يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين عيني الدراسة من الذكور والإناث فيما يتعلق بطبيعة استجاباتهم على مقاييس الدراسة. ولم تكن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين العيتين فيما يتعلق باستخدامهم للهواتف الذكية. حيث لم تكن قيمة (ت) دالة عند أي

مستوى للمعنوية. ويمكن تفسير ذلك بأن استخدام الهواتف الذكية يعد ظاهرة مجتمعية. وليس ظاهرة فردية تختلف بين الذكور والإناث في المجتمع. ولكن تختلف دوافع استخدام الهواتف الذكية بين الذكور والإناث، ربما بحكم طبيعة الأعمال التي يقوم بها الذكور، ولا يقوم بها الإناث، والتي يمكن أن تفرض دوافع مختلفة للاستخدام بين الذكور والإناث. وبذلك تختلف الصعوبات التي يمكن أن يواجهها الذكور في استخدامهم للهواتف الذكية عن الإناث، انطلاقاً من طبيعة أدوار كلا الجنسين في المجتمع.

جدول (٣٣) اختبار الفرق في المتوسط (t) لمقاييس الدراسة وفقاً لمتغير الحالة الاجتماعية

المتغيرات	N	المتوسط	الانحراف المعياري	ت	الدالة
مستويات استخدام الهواتف الذكية	١٣٥	١٧.١	٤.١٨	٠.٨٠	٠.٤٥
	٢٧٨	١٦.٨	٤.٣٨		
دوافع استخدام الهواتف الذكية	١٣٥	١٤.٥	٥.٢٤	٢.١٢	٠.٠٥
	٢٧٨	١٣.٥	٤.٦٦		
الصعوبات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية	١٣٥	١٧.٥	٥.٣٢	٢.٣٩	٠.٠٢
	٢٧٨	١٦.٢	٥.٢٨		

وتعكس بيانات الجدول (٣٣) اختبار الفرق في المتوسط (t) لمقاييس الدراسة وفقاً لمتغير الحالة الاجتماعية. ومن هذه البيانات يتضح وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين هذا المتغير ومقاييس دوافع استخدام الهواتف الذكية، وكذلك مع المتغير الخاص بالصعوبات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية. فقد بلغت قيمة (ت) في الحالة الأولى ٢.١٢ وكانت هذه القيمة دالة عند مستوى ٠.٠٥، وفي الحالة الثانية بلغت قيمة (ت) ٢.٣٩ وكانت دالة إحصائياً عند مستوى معنوية ٠.٠٥، وكانت هذه الفروق لصالح عينة العزاب في الحالتين. وهو ما يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين عيني الدراسة من المتزوجين والعزاب فيما يتعلق بطبيعة استجاباتهم على مقاييس الدراسة. ولم تكن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين العنيتين فيما يتعلق باستخدامهم للهواتف الذكية. حيث لم تكن قيمة (ت) دالة عند أي مستوى للمعنوية. ويمكن تفسير ذلك بأن استخدام الهواتف الذكية يعد ظاهرة



مجتمعية وليس ظاهرة فردية تختلف بين المتزوجين والعزاب في المجتمع. ولكن تختلف دوافع استخدام الهواتف الذكية بين العنيتين، ومن ثم تختلف الصعوبات التي يواجهها كل من المتزوجين والعزاب في استخدامهم لهذه الهواتف.

جدول (٣٤) اختبار الفرق في المتوسط (t) لمقاييس الدراسة وفقاً لمتغير التخصص الدراسي

الدلالة	ت	الانحراف المعياري	المتوسط	N	المتغيرات	
٠.٤٦	٠.٨٢	٤.١٩	١٦.٨	٢٥٢	إنسانية	مستويات استخدام الهواتف الذكية
		٤.٥٠	١٧.١	١٦١	تطبيقية	
٠.٠٤	*١.٩٨	٤.٢٤	١٣.٤	٢٥٢	إنسانية	دوافع استخدام الهواتف الذكية
		٥.٦٩	١٤.٤	١٦١	تطبيقية	
٠.٠٠	**٦.١٦	٤.٥٧	١٥.٤	٢٥٢	إنسانية	الصعوبات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية
		٥.٨٢	١٨.٦	١٦١	تطبيقية	

وتعكس بيانات الجدول (٣٤) اختبار الفرق في المتوسط (t) لمقاييس الدراسة وفقاً لمتغير للتخصص الدراسي. ومن هذه البيانات يتضح وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين هذا المتغير ومقياس دوافع استخدام الهواتف الذكية، وكذلك مع المتغير الخاص بالصعوبات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية. فقد بلغت قيمة (ت) في الحالة الأولى ١.٩٨ وكانت هذه القيمة دالة عند مستوى ٠.٠٥، وفي الحالة الثانية بلغت قيمة (ت) ٦.١٦ وكانت دالة إحصائية عند مستوى معنوية ٠.٠١، وكانت هذه الفروق لصالح عينة من ينتمون إلى التخصصات التطبيقية في الحالتين. وهو ما يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين عيني الدراسة فيما يتعلق بطبيعة استجاباتهم على مقاييس الدراسة. ولم تكن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين العنيتين فيما يتعلق باستخدامهم للهواتف الذكية. حيث لم تكن قيمة (ت) دالة عند أي مستوى للمعنوية. ويمكن تفسير ذلك بأن كل تخصص دراسي يفرض دوافع مختلفة للمستخدمين للهواتف الذكية، فأحد التخصصات قد تعتمد على استخدام هذه الهواتف بالدرجة الكافية. في الوقت الذي يمكن أن تفرض طبيعة التخصص دوافع



استخدام مختلفة لها.

### خامساً: ملخص النتائج والتوصيات

حاولت هذه الدراسة التعرف على العوامل المؤثرة في استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها. وتوصلت إلى جملة من النتائج والتوصيات أهمها :

#### أ-ملخص النتائج

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- أن متوسط ساعات الاستخدام للهاتف الذكي لدى عينة الدراسة هو ساعتان في اليوم، والنسبة الأعلى من العينة تستخدم الهاتف الذكي لفترة من ساعة إلى ساعتين في اليوم.
- أن جميع عينة الدراسة تمتلك هاتف جوال ذكي، وهي تستخدم الهواتف الذكية منذ فترة تزيد عن ثلاثة أعوام، وتقوم بتغيير هذه الهواتف كل فترة تقع بين عام إلى ثلاثة أعوام، كما أنها لا تفكر في تغيير هاتفها الذكي إلى النمط العادي.
- أن النسبة الأعلى من عينة الدراسة لديها أقل من خمسة تطبيقات على هاتفها الذكي، وهي تستخدم هذه التطبيقات دون تحديد وقت معين لذلك الاستخدام، كما أنها تقوم بتحميل هذه التطبيقات مرة في الشهر، والنسبة الأعلى من العينة تقوم باستخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها يومياً، وتفضل أغلب العينة استخدام البرامج المجانية فقط في تحميل تطبيقات الهواتف الذكية، وبعض عينة الدراسة تتكلف ما يزيد عن مئة ريال شهرياً في تحميل تطبيقات الهواتف الذكية.
- وبالنسبة لأهم التطبيقات التي يحتفظ بها على الهاتف الذكي، أوضحت الدراسة أنها تتمثل في: الواتس اب، وتصفح الإنترنت، وتويتر، واليوتيوب، واستخدام الألعاب، والمدونات. والنسبة الأعلى من عينة الدراسة يتعاملون بمستوى مهارة متوسطة مع تطبيقات الهواتف الذكية عموماً، وفي البحث عن المعلومات واسترجاعها بصفة خاصة. وتفضل النسبة الأعلى من العينة استخدام اللغة العربية في تطبيقات الهواتف الذكية.

• أن أهم أغراض استخدام الهواتف الذكية هو: التواصل مع الآخرين، والبحث عن المعلومات، وتصفح الإنترنت، والتسليه والترفيه، وتصفح البريد الإلكتروني. كما تمثل أهم مجالات استخدام الهواتف الذكية في: الحصول على المعلومات، والتواصل وتكوين العلاقات الاجتماعية، و المشاركة في شبكات التواصل الاجتماعي، وقضاء وقت الفراغ والترفيه.

• أنه يمكن الاستفادة من استخدام الهاتف الذكي في البحث عن المعلومات، كما أفادت عينة الدراسة بأنهم يحتفظون على هواتفهم الذكية بالعديد من التطبيقات المهمة، وأنهم لا يستطيعون الاستغناء عن الهاتف الذكي الذي يستخدمونه.

• أن الاستخدام المستمر للهواتف الذكية يؤثر سلباً على المستوى الدراسي، وأن استخدام الهواتف الذكية يعني عن استخدام الكمبيوتر الذكي في تصفح الإنترنت.

• أن استخدام الهواتف الذكية دليل على الرفاهية في المجتمع، وأنه دليل على المستوى الاقتصادي المرتفع، وأنهم يتعرضون أحياناً لمشكلات أسرية بسبب الهواتف الذكية واستخداماتها، ويؤثر استخدام الهواتف الذكية في العلاقات الاجتماعية مع الآخرين.

• أن استخدام الهواتف الذكية يؤدي إلى سهولة الوصول للمعلومات، وزيادة تطبيقات الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات، وتتيح الهواتف الذكية للفرد الوصول السريع لشبكة الإنترنت، والبحث عن المعلومات واسترجاعها يتم في أي وقت وأي مكان، وسهولة تبادل الرسائل بين الطلاب أنفسهم، وبينهم وبين أعضاء هيئة التدريس.

• أن استخدام الهواتف الذكية يؤدي لزيادة المعرفة والثقافة في المجتمع، وسهولة تبادل الملفات بين الطلاب فيما بينهم وبين أعضاء هيئة التدريس، وتعدد الخدمات التي تقدمها الهواتف الذكية في مجال التعليم، وقدرة مستخدمي الهواتف على الوصول إلى الأفراد في أي وقت وفي أي مكان، والتكلفة المالية لاستخدام الهواتف الذكية ملائمة لمعظم فئات المجتمع.

• أن أكثر التحديات التي تواجه استخدام الهواتف الذكية في مجال البحث عن

المعلومات واسترجاعها، هي: عدم إجادة المستخدمين للغة الإنجليزية اللازمة للتعامل مع كثير من تطبيقات الهواتف الذكية، وقلة توفر برامج التشغيل والتطبيقات الملائمة للأنشطة العلمية، وكذلك قلة برامج التعلم المتنقل مثل برمجيات الوسائط المتعددة التفاعلية.

### ب- التوصيات

بناء على النتائج التي تم التوصل إليها، فإن الباحث يوصي بما يلي:

- ضرورة الاستفادة من استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها.
- الاهتمام بتعلم اللغة الإنجليزية اللازمة للتعامل مع كثير من التطبيقات المعلوماتية المتوفرة على الهواتف الذكية.
- توفير محركات البحث الملائمة للهواتف الذكية.
- توفير برامج التعلم المتنقل مثل برمجيات الوسائط المتعددة التفاعلية.
- الدعم المالي والميزانيات الملائمة من المؤسسات التعليمية والبحثية للاستفادة من تلك الأجهزة.
- استقطاب العناصر البشرية اللازمة؛ لتفعيل الاستفادة من الهواتف الذكية في مجال تبادل المعلومات.



منه وانظر قول الشاعر: "ما كنت حسيباً بالحق ولا حسيباً بالباطل" (البيروني، 1997: 100).  
 كذلك لا بد من معرفة معنى "حسيب" في اللغة العربية، وهو الذي يحاسب غيره، أي الذي يحاسبه الله تعالى يومئذ.  
 لهذا نجد قول الشاعر: "ما كنت حسيباً بالحق ولا حسيباً بالباطل" (البيروني، 1997: 100).

والله اعلم

بما في هذه المقالة من غلطية، والله اعلم بالصواب.

المصدر: البيروني، 1997: 100.

المصدر:

البيروني، 1997: 100.

المصدر: البيروني، 1997: 100.

المصدر: البيروني، 1997: 100.

المصدر: البيروني، 1997: 100.

المصدر: البيروني، 1997: 100.

المصدر:

المصدر: البيروني، 1997: 100.

المصدر:

## المراجع

- الدهشان، جمال على (٢٠٠٩). الجامعة الافتراضية: أحد الأنماط الجديدة في التعليم الجامعي. القاهرة: مصر العربية للطباعة والنشر.
- الدهشان، جمال على ، يونس، مجدي محمد (٢٠٠٩). التعليم بالمحمول **Mobile Learning** "صيغة جديدة للتعليم عن بعد. بحث مقدم إلى الندوة العلمية الأولى لقسم التربية المقارنة والإدارة التعليمية بكلية التربية. جامعة كفر الشيخ تحت عنوان: "نظم التعليم العالي الافتراضي" ٢٩- أبريل ٢٠٠٩.
- الهجرسي، سعد محمد (٢٠٠٠). المكتبات وبنوك المعلومات في الإذاعة والمجلة والمجمع، ط ٢. الإسكندرية: دار الثقافة العلمية.
- بامفلح، فاتن سعيد (٢٠٠٧). استرجاع المعلومات في المكتبات الرقمية: دراسة وصفية. مجلة المكتبات والمعلومات العربية، مج ١، ع ٣.
- حايك، هيام (٢٠١٣). محو الأمية المعلوماتية في بيئة الهاتف النقال.
- حسب الله، سيد (٢٠٠١). الموسوعة العربية لمصطلحات علم المكتبات والمعلومات والحاسبات، القاهرة: المكتبة الأكاديمية.
- خشبه، محمد السعيد (١٩٩٢). نظم المعلومات: المفاهيم، التحليل، التصميم. القاهرة: مطابع الوليد.
- زهيري، طلال ناظم (٢٠٠٨). مفاهيم استرجاع المعلومات. (مقال غير منشور).
- طوالة، على خالد (٢٠١٠). التخزين والاسترجاع المحوسب للمعلومات. (مقال غير منشور).
- كفاي، وفاء مصطفى (٢٠٠٧). المناهج التعليمية وتحقيق الحصانة الإلكترونية: تصوير مستقبلي. بحث مقدم إلى المؤتمر السنوي الثالث للتعليم عن بعد و مجتمع المعرفة: متطلبات الجودة واستراتيجيات التطوير. القاهرة: مركز التعليم المفتوح، جامعة عين شمس.
- ويكيبيديا الموسوعة الحرة (٢٠١٣).

- Apigee Institute (2014). Report on How Mobile Apps Are Influencing Consumer Behavior and What This Means for Retailers. SAN JOSE. CA. (Marketwired - Mar 12. 2014)
- Buyukkokten. O.. Garcia-Molina. H.. & Paepcke. A. (2001). Seeing the whole in parts: Text summarization for web browsing on handheld devices. Paper presented at the 10th International WWW Conference. HongKong. (pp. 652-662). Retrieved February 2. 2008.  
<http://infolab.stanford.edu/~orkut/papers/pb5.pdf>
- Church. K.. & Smyth. B. (2007). Mobile content enrichment. In Proceedings of the 12th International Conference on Intelligent User Interfaces (pp. 112-121). NewYork: ACM Press.
- Church. K.. Smyth. B.. Cotter. P.. & Bradley. K. (2007). Mobile information access:A study of emerging search behavior on the mobile internet.ACM Transactions on theWeb. 1(1). 1-38.
- Claudio C.. Stefano M.. Giovanni R.. Matteo S..(2009). Mobile Information Retrieval with Search Results. Clustering: Prototypes and Evaluations. Journal of the American Society for Information Science and Technology. May 2009. P. 881.
- Dancer F C.. David A. Dampier. Jacqueline M. Jackson. Natarajan Meghanathan (2013). A Theoretical Process Model for Smartphones. Advances in Intelligent Systems and Computing Volume 178. pp 279-290.
- Harry Bouwman. Mark de Reuver. Nico Heerschap. and Hannu Verkasalo (2013). Opportunities and problems with automated data collection via smartphones Mobile Media & Communication. January; vol. 1. 1: pp. 63-68.
- Jones. M.. Jain. P.. Buchanan. G.. & Marsden. G. (2003). Using a mobile device to vary the pace of search. In



- Proceedings of Human-Computer Interaction with Mobile Devices and Services (Vol. 2795. pp. 390-394).
- Kamvar. M.. & Baluja. S. (2006). A large scale study of wireless search behavior: Google mobile search. In Proceedings of the SIGCHI Conference on Human Factors in Computing Systems (pp. 701-709). NewYork: ACM Press.
  - Machado. David. et. al.. (2013) Universal Mobile Information Retrieval. Centre of Human Language Technology and Bioinformatics. University of Beira Interior. 6201-001. Covilhã. Portugal.
  - Okkyung Choi; Kangseok Kim; Duksang Wang; Hongjin Yeh; Manpyo Hong (2012). Personalized Mobile Information Retrieval System. International Journal of Advanced Robotic Systems. Vol. 9. p1-7. 7p.
  - Sohn. T.. Li. K.A.. Griswold. W.G.. & Hollan. J.D. (2008). A diary study of mobile information needs. In Proceedings of CHI 2008 (pp. 433-442). Florence. Italy.
  - Steven. Salerno (2013). exploration of attacks on current generation smartpgoes. the 8<sup>th</sup> international conference on mobile web information system (mob iwis).
  - Yarmey. K. (2011). Student information literacy in the mobile environment. Education Quarterly. Vol 34 No.1.



بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الباحث (أعضاء هيئة التدريس / المحاضرين والمعيرين / طلاب الدراسات العليا / طلاب  
الدبلومات)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

أقوم بدراسة بعنوان " استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها". وإن  
تجاوبكم وتعاونكم في الإجابة عن الأسئلة المطروحة هو المحور الأساسي لإنجاح البحث.

الباحث: د. حمد بن إبراهيم العمران

وتتمثل أهداف البحث في دراسة العوامل المؤثرة في استخدام الهواتف الذكية في البحث عن  
المعلومات واسترجاعها، وبحث أبرز مجالات استخدام الهواتف الذكية، وأهم الخدمات التي  
توفرها في مجال البحث واسترجاع المعلومات، إضافة إلى دراسة التحديات التي تعوق استخدام  
الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها.

ونقصد بالهواتف الذكية تلك الهواتف التي توفر مزايا تصفح الانترنت، ومزامنة البريد الإلكتروني،  
والمشاركة في شبكات التواصل الاجتماعي، وفتح ملفات الأوفيس، ويرسل ويستقبل المكالمات  
الصوتية ويشغل ملفات الفيديو، ويحتوي على لوحة مفاتيح كاملة، ويعمل على أحد أنظمة التشغيل  
المتعارف عليها في مجال الهواتف الذكية.

بيانات هذه الاستبانة سرية وسوف لن تستخدم إلا في أغراض البحث العلمي فقط



١	الجنس	ذكر <input type="radio"/>	أنثى <input type="radio"/>
---	-------	---------------------------	----------------------------

٢	العمر	تحت ٢٥ <input type="radio"/>	٢٥ - ٢٩ <input type="radio"/>	٣٠ - ٣٤ <input type="radio"/>	٣٥ فأكثر <input type="radio"/>
---	-------	------------------------------	-------------------------------	-------------------------------	--------------------------------

٣	الحالة الاجتماعية	أعزب <input type="radio"/>	متزوج <input type="radio"/>
---	-------------------	----------------------------	-----------------------------

٤	التخصص الدراسي	علوم إنسانية واجتماعية <input type="radio"/>	علوم تطبيقية <input type="radio"/>
---	----------------	--	------------------------------------

٥	الدخل الشهري بالريال	أقل من ٨٠٠٠ <input type="radio"/>	٨٠٠٠ - ١١٩٠٠ <input type="radio"/>	١٢٠٠٠ - ١٥٩٠٠ <input type="radio"/>	١٦٠٠٠ فأكثر <input type="radio"/>
---	----------------------	-----------------------------------	------------------------------------	-------------------------------------	-----------------------------------

٦	مستوى الحي السكني	راقي <input type="radio"/>	متوسط <input type="radio"/>	شعبي <input type="radio"/>
---	-------------------	----------------------------	-----------------------------	----------------------------

لا استخدم هاتف جوال	استخدم هاتف جوال عادي	استخدم هاتف جوال ذكي	٧ مدى استخدام الهواتف الذكية
<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	

٢-١	٤-٣	٦-٥	٨-٧	٩ فأكثر	٨ عدد ساعات استخدام الهاتف الذكي في اليوم
<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	

أقل من عام	من عام إلى ثلاثة أعوام	أكثر من ثلاثة أعوام	٩ منذ متى تستخدم الهاتف الذكي
<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	

أقل من عام	من عام إلى ثلاثة أعوام	أكثر من ثلاثة أعوام	١٠ كل كم عام تغير هاتفك الذكي
<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	

نعم	لا	لا أعلم	١١ هل تفكر في العودة إلى هاتف جوال غير ذكي (عادي)
<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	

أقل من ٥	٥-٩	١٠-	١٥-	٢٠-	٢٥ فأكثر
<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>
كم عدد التطبيقات المستخدمة في هاتفك					

صباحاً	مساءً	ليس هناك وقت محدد
<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>
وقت استخدام الهاتف الذكي		

يوماً	مرة في الأسبوع	مرة في الشهر	لا يحدث
<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>
معدل تحميل تطبيقات الهاتف الذكي			

يوماً	مرة في الأسبوع	مرة في الشهر	لا يحدث
<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>
معدل استخدام الهاتف الذكي في البحث عن المعلومات واسترجاعها			

توجد تكلفة لا توجد تكلفة (كسر الحماية) استخدام البرامج المجانية فقط



١٦	مدى تكلفة تحميل التطبيقات	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>
----	---------------------------	-----------------------	-----------------------	-----------------------

١٧	تكلفة تحميل التطبيقات شهرياً	أقل من ٥٠ ريال	٥٠ - ٩٩ ريال	١٠٠ ريال فأكثر
		<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>

١٨	أهم التطبيقات التي تحتفظ بها على هاتفك الذكي			
	<input type="radio"/>	ألعاب	<input type="radio"/>	فيسبوك
	<input type="radio"/>	واتس اب	<input type="radio"/>	تويتر
	<input type="radio"/>	فاير	<input type="radio"/>	يوتيوب
	<input type="radio"/>	تصفح البريد الإلكتروني	<input type="radio"/>	المدونات
	<input type="radio"/>	تصفح الانترنت	<input type="radio"/>	تطبيقات أخرى (تذكر) .....

١٩	مستوى المهارة في التعامل مع تطبيقات الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها	مرتفعة	متوسطة	منخفضة
		<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>

٢٠	مستوى استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها	مرتفعة	متوسطة	منخفضة
		<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>

العربية والإنجليزية معاً	الإنجليزية	العربية	٢١ لغة استخدام التطبيقات على الهاتف الذكي
<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	

التسلية والترفيه	البحث عن المعلومات	تصفح الإنترنت	تصفح البريد الإلكتروني	التواصل مع الآخرين	٢٢ أغراض استخدام الهاتف الذكي
<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	

التواصل وتكوين العلاقات الاجتماعية	المشاركة في شبكات التواصل الاجتماعي	الحصول على المعلومات	قضاء وقت الفراغ والترفيه والتسلية	البحث عن سلع للبيع والشراء	قراءة الصحف والمجلات	٢٣ مجالات استخدام الهاتف الذكي
<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	

ما مدى موافقتك على العبارات التالية عند استخدامك لهاتفك الذكي؟	نعم	لا	إلى حد ما
أستفيد من استخدام الهاتف الذكي في البحث عن المعلومات.	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>
٢٤ احتفظ على جوالي بالعديد من التطبيقات الهامة.	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>
٢٥ لا أستطيع الاستغناء عن الهاتف الذي استخدمه.	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>
٢٦ يجب على كل فرد أن يستخدم أحد الهواتف الذكية.	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>
٢٧ يؤثر الاستخدام المستمر للهواتف الذكية سلباً على المستوى الدراسي.	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>

○	○	○	الهواتف الذكية تفني عن استخدام الحاسب المحمول في تصفح الإنترنت.	٢٨
○	○	○	استخدام الهواتف الذكية دليل على الرفاهية في المجتمع.	٢٩
○	○	○	استخدام الهواتف الذكية دليل على الرفاهية و المستوى الاقتصادي المرتفع.	٣٠
○	○	○	أحياناً أتعرض لمشكلات اسرية بسبب الهواتف الذكية واستخداماتها.	٣١
○	○	○	يؤثر استخدامي للهواتف الذكية في علاقتي الاجتماعية مع الآخرين.	٣٢

ما العوامل التي تدعوك لاستخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها؟

موافق ما إلى حد غير موافق

○	○	○	يؤدي استخدام الهواتف الذكية إلى سهولة الوصول للمعلومات.	٣٣
○	○	○	زيادة تطبيقات الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات.	٣٤
○	○	○	تتيح الهواتف الذكية للفرد الوصول السريع لشبكة الإنترنت.	٣٥
○	○	○	البحث عن المعلومات واسترجاعها يتم في أي وقت وأي مكان.	٣٦
○	○	○	سهولة تبادل الرسائل بين الطلاب وبينهم وبين أعضاء هيئة التدريس.	٣٧
○	○	○	استخدام الهواتف الذكية يؤدي لزيادة المعرفة والثقافة في المجتمع	٣٨
○	○	○	سهولة تبادل الملفات بين الطلاب وبين أعضاء هيئة التدريس.	٣٩
○	○	○	تعدد الخدمات التي تقدمها الهواتف الذكية في مجال المعلومات.	٤٠
○	○	○	قدرة مستخدمي الهواتف على الوصول إلى الأفراد في أي وقت وفي أي مكان.	٤١
○	○	○	التكلفة المالية لاستخدام الهواتف الذكية ملائمة لمعظم فئات المجتمع.	٤٢

ما التحديات التي ترى أنها تواجه استخدام الهواتف الذكية في البحث عن المعلومات واسترجاعها؟

موافق ما إلى حد غير موافق

○	○	○	عدم إجادة اللغة الإنجليزية اللازمة للتعامل مع كثير من تطبيقات الهواتف الذكية.	٤٣
○	○	○	لا تتوفر برامج التشغيل والتطبيقات الملائمة للأنشطة التعليمية.	٤٤



○	○	○	لا تتوفر برامج التعلم المتقل مثل برمجيات الوسائط المتعددة التفاعلية	٤٥
○	○	○	عدم توفر الدعم المالي والميزانيات الملائمة من المؤسسات التعليمية والبحثية للاستفادة من تلك الأجهزة.	٤٦
○	○	○	نقص العناصر البشرية اللازمة؛ لتفعيل الاستفادة من الهواتف الذكية	٤٧
○	○	○	لا تتوفر الكتب الإلكترونية و المكتبات الإلكترونية المساعدة للباحث.	٤٨
○	○	○	عدم الوثوق في المعلومات الناتجة عن البحث من خلال الهواتف الذكية	٤٩
○	○	○	عدم ملائمة المواد التعليمية والتدريبية لتقنيات الهواتف الذكية.	٥٠
○	○	○	عدم توفر الوقت الكافي للبحث عن المعلومات واسترجاعها.	٥١
○	○	○	لا تتوفر البنية التحتية اللازمة للبحث بواسطة تلك التقنيات.	٥٢

Bulletin  
of  
Faculty of Arts

Bulletin  
of  
Faculty of Arts





University of Alexandria  
Faculty of Arts



United Nations  
Educational, Scientific and  
Cultural Organization

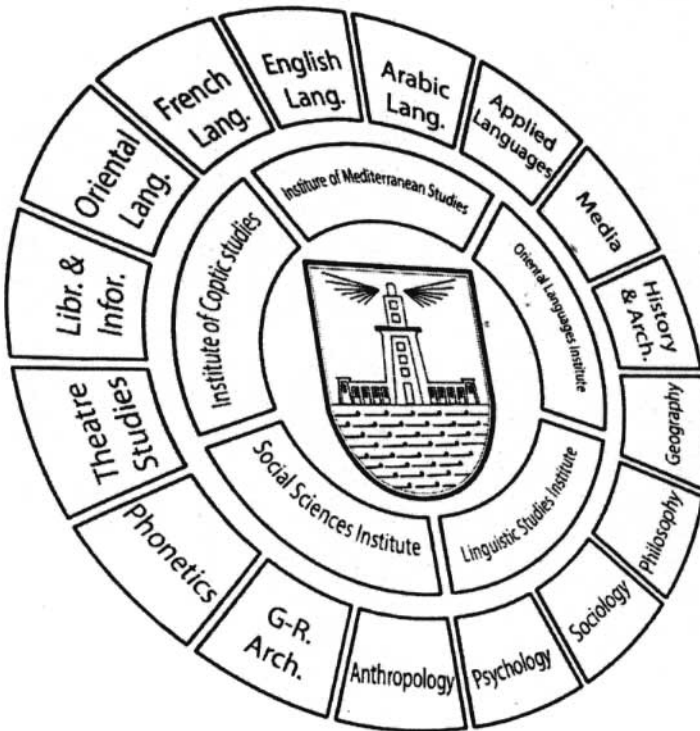


Unitwin Network  
for Underwater  
Archaeology

# Bulletin of Faculty of Arts

Academic Refereed

Issue No. 73 - 2014



[www.arts.alexu.edu.eg](http://www.arts.alexu.edu.eg)

<https://www.facebook.com/groups/faculty.arts.bulletin>



# Bulletin of Faculty of Art

Volume 1, Number 1, 2011



www.arts.alex.edu.eg  
<http://www.facultyofart.com>

**Bulletin of the Faculty of Arts**  
Editorial Councillors

Chairman of the Directors  
Professor  
**Ashraf Ahmed Farrag**  
Dean of the Faculty of Arts

General Editor  
of  
Directors and Editor in Chief  
Professor  
**Nivine Khaled**  
Vice Dean for Graduate Studies and  
Research



Editorial councillors

Professor **Abbas Souliman**

Professor **Sahar Hamouda**

Professor **Ali Galabi**

Professor **Mohammed Abdel Ghani**

Professor **Ghada Mousa**

Secretary

**Monira Rashad Fahmy**

Proofreader

**Mohamed Abdel-Salam**

Technical Support

**Abdel-Fattah el-Hadary**





## **Contents**

### ***English language and literature***

***- Technique as culture in postmodernist Ethnic American Novel: A Feminist cultural Reading of the "Baarrie – Logos" of the "Nueva Mestiza" in Sandra Cisneros' "Caramelo and Daina Abu - Jaber's Crescent***

***Dr. Eman Hilmy EL Meligi*** 1

***- Harem Years: A Chronicle of an Egyptian History: A New Historicist Reading of Huda Shaarawi's Memoirs***

***Dr. Jaidaa G. Hamada*** 47

### ***French language and literature***

***- Technique as culture in postmodernist Ethnic American Novel: A Feminist cultural Reading of the "Baarrie – Logos" of the "Nueva Mestiza" in Sandra Cisneros' "Caramelo and Daina Abu - Jaber's Crescent***

***Dr. Ayman Amin EL GHANDOUR*** 81

## Contents

### I. English Language and Literature

1. Introduction to English Literature: From  
the Middle Ages to the Present Day  
2. The Renaissance: "The Merchant of Venice"  
3. The 17th and 18th Centuries: "Pride and Prejudice"

### II. American Literature

4. The American Renaissance: "The Scarlet Letter"  
5. The 19th Century: "The Adventures of Tom Sawyer"

### III. Modern Literature

### IV. English Language and Literature

6. The 20th Century: "The Catcher in the Rye"  
7. The 21st Century: "The Hunger Games"

### V. English Language and Literature



*Technique as Culture in  
Postmodernist Borderland Ethnic American Novel:  
A Cultural Reading of Technique in  
Sandra Cisneros' Caramelo and Diana Abu-Jaber's Crescent.*

*Dr. Eman Helmy El-Meligi*

Associate Professor, Department of English,

Faculty of Arts, Damanhur University

Transition of Culture in

Transition of Culture in

The Impact of

in the

The Impact of

in the

in the

**Abstract**  
**Technique as Culture in**  
**Postmodernist Borderland Ethnic American Novel:**  
**A Cultural Reading of Technique in**  
**Sandra Cisneros' *Caramelo* and Diana Abu-Jaber's *Crescent*.**

The cultural dimensions of Sandra Cisneros' *Caramelo* and Diana Abu-Jaber's *Crescent* can be perceived through a study of the postmodernist techniques used like metafiction, magic realism, stories-within-the-story, multiple narrators, interlinguality, and paratexts, as thresholds of the text. These techniques mirror and accentuate cultural concepts underlying and shaping both novels such as, amongst others, Jose David Saldívar's "border trope", Raul Homero Villa's "barrio-logos" and Gloria Anzaldúa's "the Nueva Mestiza". This study perceives both novels as the specific "Borderland" genre defined by Saldívar as merging cultural hybridity, the Chicana feminist, the postmodern, the postcolonial, and the comparative with popular culture, bilinguality and dialogism. If the terms are literal in the case of the Chicana *Caramelo*, they are metaphorically applied to *Crescent*, especially with Andalusia and *The Arabian Nights* looming in both works. The borderland novelistic genre and cultural theory are situated physically or metaphorically at the liminal zone. Furthermore, they are beautifully embodied by both Lala, in *Caramelo*, and Sirine, in *Crescent*, the new Shahrazad or the hybrid narrator, through whose exilic consciousness all tales are filtered and then offered in a borderland counternarrative.



## ملخص باللغة العربية

قراءة نقدية مقارنة للتكنيك كأداة ثقافية في روايتي  
"كرامللو" لساندرا سيزنيروز و"الهلال" لديانا أبو جابر.

يقدم هذا البحث قراءة مقارنة للتكنيك كأداة ثقافية في روايتي "كرامللو" لساندرا سيزنيروز و"الهلال" لديانا أبو جابرفي ضوء المصطلحات النقدية لديفيد سالديفار وراؤل فيلا وجولوريا أنزالدوا، حيث يعمل التكنيك الفني والروائي كأداة ثقافية تكشف الكثير من سمات الأدب الأمريكي من أصل مكسيكي وعربي التي تعتبر روايتها الهجينة رمزا للهوية التي تستمد سماتها المتفردة من انتمائها وموقعها البيئي مجازيا وفعليا بين الثقافات والحضارات. مثال ذلك الاستخدام البارع لأدوات فنية توضح بجلاء مآزق الشخصية الهجينة، منها على سبيل المثال لا الحصر "ألف ليلة وليلة"، والرواية الأم والروايات المتضمنة، والفهارس والهوامش أو الحواشي وما الى ذلك من أدوات خارجة على النص، وأيضا الطعام والملبس والثقافة الشعبية والسينما والتلفزيون كرموز ثقافية تراثية موحية ومتكررة عبر الروايتين. هذا بالإضافة الى استخدام الواقعية السحرية والأدب الذي يعمل ببراعة على تقويض مصداقية وموثوقية الرواة على كثرتهم وأهميتهم. هذا البحث يعتمد الى قراءة هاتين الروايتين كمثال للنوع الأدبي الذي أطلق عليه سالديفار "أدب الحدود" وهو مزيج أدبي من أدب ما بعد الحداثة وما بعد الكولونيالية والثقافة الهجينة التي تدمج فكر ثقافات شتى عانت اما من التهميش أو سوء التمثيل والتي تمنح قوة الحكى والسرد للرواية الهجينة أو شهرزاد الجديدة التي تتمثل هذه الحضارات وتغربلها أيضا وتمزج ببراعة، ما جرى العرف بتسميته، الثقافة "الرفيعة" بالثقافة "الشعبية".

The cultural dimensions of Sandra Cisneros' *Caramelo* and Diana Abu-Jaber's *Crescent* can be perceived through a study of the postmodernist techniques used like metafiction, magic realism, stories-within-the-story, multiple narrators, interlinguality, and paratexts, as thresholds of the text. These techniques mirror and accentuate cultural concepts underlying and shaping both novels such as, amongst others, Jose David Saldivar's "border trope", Raul Homero Villa's "barriologos" and, most importantly, Gloria Anzaldua's "the Nueva Mestiza". If the terms are literal in the case of the Chicana *Caramelo*, they are metaphorically applied to *Crescent*, especially with Andalusia and *The Arabian Nights* looming in both works. This research starts with an introduction to the theoretical, cultural and technical aspects first, briefly, as reflected on both novels, then as expounded by their theoreticians. Afterwards, cultural aspects as projected by postmodernist techniques will be analyzed in both novels, all highlighting their "borderland" genre, defined by Saldivar, as merging cultural hybridity, the Chicana feminist, the postmodern, the postcolonial, and the comparative with popular culture, bilinguality and dialogism (BM 23, 29, 35, 14): "US-Mexico border women represent themselves in the shaping of the historical and literary record" (BM 25). Furthermore, these alternative histories, contexts, subjectivities, and spatialities, maintains Saldivar, pave the way for a Chicana cultural theory situated physically or metaphorically at the borderland. Both Lala, in *Caramelo*, and Sirine, in *Crescent*, embody this new Shahrazad or the hybrid feminist narrator, through whose consciousness all tales are filtered then offered in a borderland counternarrative, exemplifying Saldivar's notions of "borderland" cultural theory and genre.

### **Nueva Mestiza, at Barrio-Logos, Telling Her Border Counter-Narrative**

Lala, in *Caramelo*, and Sirine, in *Crescent*, act like the Nueva Mestiza or the new hybrid woman offering, through her resistant border trope, her counter-narrative. Furthermore, she brilliantly and intuitively reaches out to her group, inhabiting the same barrio-logos or liminal zone, as well as to the Other. Postmodernist techniques reflect these cultural concepts underlying both ethnic works. Paratexts, or the thresholds of the text, mirror the idea of the periphery or the border trope. Footnotes haunt *Caramelo* to offer *her story* instead of the traditional *his-tory*. Appendices follow the story of *Crescent* with an intervening



autobiographical sketch, interviews and food recipes that accentuate the similarity between the author Abu-Jaber and the protagonist Sirine. Similarly disrupting the fictional mode and the suspension of disbelief are the Epigraph and Disclaimer at the outset of *Caramelo* and the historical Chronology following the told story. The agent linking all these metafictional devices is always the female narrator or Shahrazad, whose main or frame story is infiltrated by several stories-within-the-story, all filtered through her own consciousness. That's how the Nueva Mestiza figures both technically and thematically. The barrio-logos or the liminal zone is metaphorical in California and Texas for Chicanas in Cisneros. Nevertheless, it is coupled with a physical, spatial border experience in the whole annual journey undertaken by Lala and her family to meet their extended family in Mexico and be more informed about both family and national heritage. The moving barrio-logos is reminiscent of the one undertaken by Cisneros herself as an adolescent and in the telenovelas upheld in the novel as a simulacrum. In Abu-Jaber, besides the metaphorical liminal position of Arab Americans, Sirine's restaurant, gathering both minorities and Americans, is literally emblematic of the barrio-logos, more positively than negatively. Han's Middle Eastern border experiences tend to be more horrific, however, than positive.

Several undercurrents are common in Sandra Cisneros' *Caramelo* and Diana Abu-Jaber's *Crescent*. Among these are the double exilic consciousness, hybridity, border crossing, food and the rebozo knitting as 'objective correlatives' and gendered symbols. On the other hand, in both works, loom stereotypes inherent in the depiction of Ethnic Americans, the journey motif, pop culture, as well as the media and soap operas as subtexts glimmering beneath the Arab American and Chicana historia. Equally significant is the story-telling technique, blending the story-within-the-story with the frame story, as a unifying counter-narrative voicing minority discourse in both Abu-Jaber and Cisneros. Furthermore, also similar is what Genette terms, paratextuality, evident in epigraphs, prologues and footnotes, in the case of Cisneros, and in indices, including an interview, an autobiographical sketch, recipes for Arab dishes, and questions addressed to the reader, in the case of Abu-Jaber (*Paratexts* 284, 235, 359, 114, 22, 144). If *The Arabian Nights* works as the intellectual and narrative framework and the voice qualifying minority discourse, Um-Nadia's café in *Crescent* and the journey and the saga genre in *Caramelo* work as the "barrio-logos" of



the "nueva mestiza". Although *Crescent* is not a saga proper, the generational, genealogical strain is clearly evident in the ethnic American stories of the restaurant dwellers and specifically in Han's poignant life-history.

Although the journey does not provide the main structural backbone of Abu-Jaber's narrative, like Cisneros', the journey and the quest motifs obviously inform Han's life and eventual decision to go back to his roots in Iraq. Mexican discourse and narrative are embodied in Victor in *Crescent*, together with the constant harking back to Andalucía, the epitome of the historic hybrid harmony of Arab and Spanish culture. Similarly, through *The Arabian Nights*, Arab culture works as the technique and discourse informing Cisneros' novel. Another common impact on both novels is that of *Brown Skin, White Masks*, as regards motifs like the 'native informer', 'internalizing' colonial 'dependency' and 'inferiority complex', as postulated earlier by Frantz Fanon. These complexes prove to have contaminated the individuation and psychological health of some Chicanos and Arab Americans.

### **Border Trope and Borderland Genre and Theory**

In his *Border Matters: Remapping American Cultural Studies*, Jose David Saldívar explains that "borderlands cultural theory" remaps American cultural studies, merging cultural hybridity, the Chicana feminist, the postmodern, the postcolonial, and the comparative with popular culture, bilinguality and dialogism (*BM* 23, 29, 35, 14). "US-Mexico border women represent themselves in the shaping of the historical and literary record" (*BM* 25). These alternative histories, contexts, subjectivities, and spatialities pave the way for a Chicana cultural theory situated physically and metaphorically at the borderland. "Culture is by nature heterogeneous and necessarily works through a realm of borders" (*BM* 9). One of the relevant terms defined by Saldívar is "*transfrontera* contact zone" that refers both to US-Mexico border and to other "geopolitical zones"; the *transfrontera* is a liminal and "social space of subaltern encounters" and hybrid cultures, where new identities and relations are negotiated and manufactured (*BM* 13), and lives cross over, traverse and mix. US-Mexico border writing produces a "theory of culture", where liminal avenues depict the *mestizo/a* or hybrid culture and interrogate uneven power relations (*BM* 14). It is a "continuous encounter between two or more reference codes and tropes" in a site of

cultural struggle and resistance, hence interlinguality and switching of codes. Saldivar explains his choice of the liminal geopolitical space or the *transfrontera* contact zones, embodying the writer's strategies of representation: "The US-Mexico border changes pesos into dollars, humans into undocumented workers, *cholos* (Chicano youth culture) into punks, people between cultures into people without culture" (BM 8).

Exemplified by Mexican telenovelas and *corridos*, in which border writing and theory abound, pop culture and oral narratives redraw the boundaries between "folklore and the counterdiscourses of marginality" (BM 17). The borderland migrant cultures shuffle the mainstream "US *Bildung* of assimilation, acculturation, and the polyethnic state" (BM 19). In other words, borderland theory and writing deconstruct the border, turning it from a site of "spatial stereotypes" (BM 24) into a regenerated, rejuvenated interactive, cross-cultural site. This justifies the "omnipresence of pastiche", self-reflexivity and border humour to ironically project the border "culture of the simulacrum" (BM 33), with its new temporal-spatial logic. Chicana romance culture, as reflected in telenovelas, is another dimension of this metafictional, magic realist quality of border writing and cultural theory. The border hybrid genre, therefore, is an amalgam of novel, memoir, national memory, diaspora culture, intercultural theory, pop culture and oral narratives, all deconstructing the fixed canonical imperial genre, together with hegemonic discourse and capitalist consumerism, colonizing and reifying Latina bodies, for instance. Setting, identity and exilic consciousness seem to be interchangeable; permanent residents seem to be replaced by illegal immigrants and undocumented border crossers. Being is replaced by becoming. Los Angeles and San Antonio, in particular, and California and Texas, in general, seem to embody the idea of the "barrio-logos", as expounded by Villa.

### **Barrio-Logos**

Raul Homero Villa, in his *Barrio-Logos*, discusses the material and symbolic spaces of Chicano/a cultural recreation (156). He traces the significance of the "space of representation" and the "representation of space" (180) back to the "creative destruction" resulting from founding Anglo Los Angeles on the "ruins of El Pueblo" (19). Villa explains that, using Michel Foucault's term, the "subject formation" of Mexicanos (4) went through various stages: first, the "physical regulation and constitution of space (via legal/judicial state apparatuses and police



authority" (3). Second, Villa probes the symbolic and intellectual subordination effect of space, as "the ideological control of space (via the interpellation of citizen-subjects through educational and informational apparatuses)" (4). Villa cites as instances of the most "conspicuous subordinating practices active in contemporary barrio life" the production of the "external boundaries of Chicano social space in Los Angeles" (3), "generalized proletarianization" and land loss (4), all 'legally' administered. *Barrio-Logos*, explains Villa, indicates the "points of intersection and coalescence of effect", "*landscape effect*, the *law effect*, and the *media effect*", channeled through the "three dominating spatial practices" (4). Barrios have been defined as Chicano ghettos, sites of socioeconomic and political marginalization as well as resistance; nevertheless, they played pivotal roles in the development and dissemination of Latino culture in the US (Allatson 30).

"Barrios register the broader social marginalization and discrimination of Chicano/as through counteractive processes of communal formation and the construction of distinct barrio uses of space, and new imaginaries of barrio communal identity" (Allatson 31). "Barriology", as regards Chicano/a culture, "targeted and parodied the epistemological drives by which Mexican Americans had been known and represented in various branches of scholarship" (Allatson 31). "Barrio-logos", according to Villa, "regards barrios as dynamic cultural sites of spatialization governed by a barrierizing dialectic of imposed pressures and internally generated responses on the part of barrio residents to those pressures" (Allatson 31). Barrios "psychologically and materially" sustain the "sense of home location", explains Villa (5). Villa cites attempts to defend Chicano Southside Park as an example of the "barrio's attempts to salvage its cultural, economic, and social integrity against the cumulative devastations" (172).

In these struggles, the persistence and power of memory is crucial, being simultaneously effective, as practically informing *history* in the politics of community defense, and affective, as emotionally orienting *story* in the politics of textual representation. Memory, therefore, acts as a common denominator bridging narratives of place in the "real" and represented cities of Chicano barrio dwellers (Villa 235).

The above text is reminiscent of Edward Said's terminology and practical criticism of Conrad and Camus; both Villa and Said share the



emphasis on the overlapping territories of history and story, the symbolic, ideological and moral geography of space, as well as the spatial metaphors, as related to the text and the world.

### The Nueva Mestiza and Chicana Resistance

As for the "nueva mestiza", it, according to Gloria Anzaldua, is inspired by an earlier concept by Jose Vasconcelos (CM 413). "I am all races", maintains Anzaldua as she defines the Nueva Mestiza:

I am *cultureless* because, as a *feminist*, I challenge the *collective cultural/religious male-derived beliefs* of Indo-Hispanics and Anglos; yet I am *cultured* because I am participating in the *creation of yet another culture*, a new story to explain the world and our participation in it, a new value system with *images and symbols that connect us to each other* (LF 102-3, stress mine).

Anzaldua significantly introduces *La Conciencia de la Mestiza/ Towards a New Consciousness*, with a symbolically interlingual poem: "Because I, a *mestiza*, / continually walk out of one culture / and into another, because I am in all cultures at the same time" (LF 99). The same lines are then rewritten in Spanish. "As a *mestiza* I have no country, my homeland cast me out; yet all countries are mine because I am every woman's sister or potential lover", says Anzaldua (LF 102). Through recurrent references to crossbreeding to mean hybrid and surviving crossroads to signify borderlands, Anzaldua further explains her notion through the analogy of corn:

Indigenous like corn, like corn, the *mestiza* is a product of crossbreeding, designed for preservation under a variety of conditions. Like an ear of corn, a female seed-bearing organ, the *mestiza* is tenacious, tightly wrapped in the husks of her culture. Like kernels she clings to the cob; with thick stalks and strong brace roots, she holds tight to earth, she will survive the crossroads (LF 103).

The *mestiza* is steadfast in the earth and deeply-rooted in her heritage; the idea of multiculturalism and hybridity, therefore, is embraced as a point of strength:

The new *mestiza* copes by developing a *tolerance for contradictions*, a tolerance for ambiguity. She learns to be an *Indian in Mexican culture*, to be *Mexican from an Anglo point of view*. She learns to *juggle cultures*. She

has a *plural personality*, she operates in a *pluralistic mode*, nothing is thrust out, the good, the bad and the ugly, nothing rejected, nothing abandoned. Not only does she *sustain contradictions*, she *turns the ambivalence into something else* (CM 415, stress mine).

Another analogy is that of the turtle, on whose back she carries the cultural load of heritage: "My Chicana identity is grounded in the Indian woman's history of resistance. The Aztec female rites of mourning were rites of defiance protesting the cultural changes which disrupted the equality and balance between female and male" (LF 43). The hybrid *mestiza*, Indian-Mexican and later Chicana, is the *nueva* or new identity through which she puts up with all sorts of borders. She refutes the allegation of Chicanas being severed from roots:

"Your allegiance is to La Raza, the Chicano Movement," say the members of my race. "Your allegiance is to the Third World," say my Black and Asian friends. . . What am I? A third world lesbian feminist with Marxist and mystic leanings... Only your labels split me (AR 17).

"Yet in leaving home I did not lose touch with my origins because *lo mexicano* is in my system" (LF 43). Her cultural role is beautifully depicted through the turtle metaphor that resounds in Mohja Kahf's "Men Kill Me"<sup>1</sup>, for instance. "I am a turtle, wherever I go I carry 'home' on my back" (LF 43). Teresa McKenna explains that the divide in Anzaldua is an emotional residue of an unnatural boundary, emanating from the borderlands.

The border woman's body becomes a site of consciousness and politics, McKenna explains; it "becomes the site for inscribing the ambiguity of her history and existence" (115). Anzaldua's poem, indeed, is extremely expressive of the 'barrio-logos', expounded by Villa:

1,950 mile-long open wound  
dividing a *pueblo*, a culture,  
running down the length of my body,  
staking fence rods in my flesh,  
splits me            splits me  
*me raja*            *me raja*  
This is my home  
this thin edge of  
barbwire.<sup>2</sup>



The Nueva Mestiza inhabits the *barrio-logos* and “To survive the Borderlands / you must live *sin fronteras* / be a crossroads” (LF 217). Even as an academic, she is forced to remain restricted in, what she calls, the *Nepantla*, the liminal, inbetween zone between worlds (AR 239). She is incessantly “caught in the crossfire between camps / while carrying all five races on your back / not knowing which side to turn to, run from” (LF 216). She is simultaneously “Alienated from her mother culture, ‘alien’ in the dominant culture, the woman of color does not feel safe within the inner life of her Self. Petrified, she can’t respond, her face caught between *los intersticio*, the spaces between the different worlds she inhabits” (LF 42). Her psychological conflict is to survive the borderlands and the alien spaces: both Mexico and “the tragic valley of South Texas” (LF 112). “This land [that] was Mexican once / was Indian always/ and is. / And will be again” (LF 113).

In *Borderlands/La Frontera* (1987), Anzaldúa excavates for a chain of native female figures and archetypal serpent-like Aztec goddesses; the “Coatlicue state” being “a metaphor for a nueva mestiza consciousness of plural and contradictory selfhood”, representing a “feminist Chicana reworking of the goddess Coatlicue state in Aztec mythology” (Allatson 72, 71) who resist the Western rational entrapment of the native woman, in brief, of socially disparaged or marginalized identity. “The Coatlicue state signifies the eruption of repressed and painful memories, and it also denotes a liminal space of self-awareness, *la facultad*, outside the imposed discourse of Western rationalism” (Allatson 72). McKenna explains that the border woman’s body becomes “a reconstruction of Aztec and Chicana histories. By recovering the feminine potential in Coatlicue, she rewrites the history of Chicanos”, “affirms the multiplicities represented by the serpent goddess”, and “derives a creative center that directs her as a mestiza and as a creative artist” (McKenna 115). Anzaldúa disables the Chicana symbolic function as a traitor by merging her with Virgin Mary. Significantly enough, Anzaldúa stresses her dark skin, *prieta*, and sees it as one of her creativity triggers (AR 235): “Inside my skull something shifts. I “see” my face. Gloria, the everyday face; Prieta and Prietita, my childhood faces; Gaudi, the face my mother and sister and brothers know”.<sup>3</sup> Psychoanalytically, Anzaldúa delineates the reasons behind the patriarchal injustice among Chicanos against Chicanas:

In the Gringo world, the Chicano suffers from excessive humility and self-effacement, shame of self and self-



deprecation. Around Latinos, he suffers from a sense of language inadequacy and its accompanying discomfort; with Native Americans, he suffers from a racial amnesia which ignores our common blood, and from guilt because the Spanish part of him took their land and oppressed them. He has an excessive compensatory hubris when around Mexicans from the other side. It overlays a deep sense of racial shame (MC 419).

Significantly, Anzaldua links the Coatlicue goddess to the archetypal Jungian trickster figure, in addition to a transformational incarnation of multiplicity, which is processed through her body. This is further linked to her writing and creativity. "I am a wind-swayed bridge, a crossroads inhabited by whirlwinds. Gloria, the facilitator, Gloria, the mediator, straddling the walls between abysses" (AR 17). These notions are, indeed, reminiscent of the metafictional comments of the Mermaid, Alieph, and of Abdelrahman Salahadin as the trickster or Coyote figure in Diana Abu-Jaber's *Crescent*. Anzaldua maintains that:

When I write, it feels like I'm carving bone. It feels like I'm creating my own face, my own heart, a Nahuatl concept. My soul makes itself through the creative act. It is constantly remaking and giving birth to itself through my body.<sup>4</sup>

And once again I recognize the internal tension of oppositions can propel (if it doesn't tear apart) the mestiza writer out of the *metate* where she is being ground with corn and water, eject her out as a *nahual*, an agent of transformation, able to modify and shape primordial energy and therefore able to change herself into turkey, coyote, tree, or human.<sup>5</sup>

Anzaldua suggests that the first step to unsettle the patriarchal vision of the Chicana, or, generally, the Latina, as the archetypal "femme fatale" is "to see *Coatlapoepuh-Coatlicue* in the Mother, *Guadalupe*" (CM 419). The Mexican Virgen de Guadalupe is a "spiritual mestizaje" (AR 229).

'Chicano/a', originally a term of disparagement for working-class Mexican Americans, was adopted as a neocultural, transcultural sign and a collective identity marker by the Chicano Movement in the 1960s (Allatson 61). It indicates Mexican Americans occupying, with their cultural project, the liminal and lexical interlingual space, exemplified

by English-Spanish code-switching in their literature. Chicano literary space is one of the traits of Chicano/a literature, delineated by Bruce-Novoa in *Retrospace* (49). It is a literature of identity exploring its roots in Aztec folklore or Indian heritage as well as of confrontation and protest to exclusion. Most conspicuous complexes of Chicano/as are Texas and California. Chicanismo, therefore, has provided, as an organizing rubric for the main precepts of a new communal identity formed by mestizaje, the sense of belonging to the southwest as a homeland. The Chicana writer, according to Alicia Gaspar de Alba, "is the keeper of the culture, keeper of the memories, the rituals, the stories, the superstitions, the language, the imagery of her Mexican heritage" (Barton and Hudson 67). This is, indeed, exemplified by *Caramelo*, starting with its title and main symbol, the shawl or the *rebozo*. Like Arab American writers, Chicano/a authors unsettled stereotypes and resisted discursive hegemony, further embracing their cultural hybridity as a creative inspiration.

#### Counternarratives through Postmodernist Techniques

In his *Fabulation and Metafiction*, Robert Scholes explains that metafiction or "experimental fabulation" (4) blends "concern for storytelling" with "a fresh vision of human problems and aspirations" (218). The "process" itself is important; only two words in a separate line end Scholes' book: "Fabulation lives" (218). In her *Parody/Metafiction*, Margaret Rose explains that metafiction is a critical demonstration of the processes of producing and receiving fiction from within the literary text (66); this provides self-parody (96) and self-scrutiny as well as reflection and reflexion (107). It is a mirror-image but with contemplation, reconsideration and reproduction. It shows "how a literary work exists both within a particular social context and a literary tradition" (66). Indeed, this narcissistic self-involved, self-reflexive mode of fiction effects a deconstruction of the authority of this same genre together with any 'reality' or authenticity behind it. In *A Poetics of Postmodernism: History, Theory and Fiction*, Linda Hutcheon explains the postmodernist roots of the simultaneous undermining of the authenticity of both history and the novel in historiographic self-reflexive fiction. Metafiction deconstructs itself, together with the patriarchal hegemony it is trying to dismantle. (Hutcheon, 110).

I have been arguing that postmodernism is a contradictory cultural enterprise... Historiographic metafiction, for



example, keeps distinct its formal auto-representation and its historical context, and in so doing problematizes the very possibility of historical knowledge, because there is no reconciliation, no dialectic here, just unresolved contradiction (Hutcheon 106).

The genre is an incarnation of Lyotard's notion of the mistrust of metanarratives (Lyotard xxiv), including both history, or 'his-story', and the self-reflexive novel that supposedly deconstructs it. To further prevent, what Coleridge calls, the "suspension of disbelief", magic realism is used to add an aura of mystery and the supernatural that, nevertheless, sounds totally and weirdly realistic. Especially in *Crescent*, it beautifully highlights cultural hybridity and carnivalesque postcolonial liminality, as embodied by Abderahman Salahaddin, a pastiche of history and pop culture.

### **Paratextuality and Metafiction: *Borderlands* of the Text**

In *Paratexts, Thresholds of Interpretation*, Gerard Genette assigns various liminal devices and conventions, both within (peritext) and outside (epitext) the book (xviii), a hermeneutic interpretive effect. The Epigraph has a hypertextual function of channeling the reader's vision, while typesetting and print techniques as well as discursive notes perform an intellectual and cultural function (159, 34, 325). It is a calculated "statement of intent" (221) on the part of the author. Typographical choices provide an "indirect commentary on the texts" (34). Furthermore, truthfulness (206) and authenticity, as narrative notions, are clearly undermined through the paratextual subtitle "*Puro Cuento*", or mere lies, in Cisneros' *Caramelo*. On the other hand, Cisneros' discursive and historic footnotes perform the function delineated by Genette as "attempts to forestall objections" and "provide additional arguments" (326). Paratexts, indeed, work as a metafictional technique in *Caramelo*, and as a parallel technical embodiment of the borderland metaphor and the Chicana hybrid identity. Prologues, epilogues, epigraphs, and, most important of all, footnotes, are self-reflexive paratexts employed to deconstruct the authenticity of Lala's narration, Cisneros' own 'historia', as well as the novel genre in general. Footnotes, together with the historical chronology at the end, interpreting events and adding historical background information, work as New Historicist documents. These could be read in conjunction with Lala's main narrative and the stories-within-her-story. Hovering reality,



therefore, always interrupts the narrative thread and unsettles the authenticity of both Lala as a reliable narrator and Cisneros as an authentic story-teller. Furthermore, they disrupt the fairy-tale like atmosphere induced in the many layers of simulacra. These are created by *The Arabian Nights*, telenovelas and other pop culture paratexts.

The disclaimer at the very beginning of the novel reminds us of Coleridge's "willing suspension of disbelief"; only here it is willing suspension of belief. Significantly enough, the epigraph at the outset of the novel is derived from the symbolically-entitled *Translated Woman: Crossing the Border with Esperanza's Story*; both motifs of cultural translation of women, especially Latinas, and symbolic border-crossing underline *Caramelo*. The epigraph to the novel, "Tell me a story, even if it's a lie", is immediately accentuated by the following prologue: "To write is to ask questions. It doesn't matter if the answers are true or *puro cuento*", meaning pure stories, here, lies. "After all and everything only the story is remembered, and the truth fades away like the pale blue ink on cheap embroidery pattern" (Prologue to *Caramelo*). Embroidery is significant since the *rebozo*, woven by the great grandmother and handed in to the granddaughter, is an extremely significant Chicana symbol. Here the idea is spelt out bluntly: it is merely a lie, even if it is, sometimes, cleverly masked as the truth:

The truth, these stories are nothing but story, bits of string, odds and ends found here and there, embroidered together to make something new. I have invented what I do not know and exaggerated what I do to continue the family tradition of telling healthy lies. If, in the course of my inventing, I have inadvertently stumbled on the truth, *perdonenme* (Prologue to *Caramelo*).

Another important paratext is that of the historical chronology at the end of the novel. Besides disrupting the fictional illusion, this appendix works to historicize and contextualize the novel; it is a statement on the frozen, stagnant third-world citizens. This Chronology starts with eyewitnesses' written account on the conquest in 1519 (*Caramelo* 435), passes with Immigration Reform and Control Act in 1986, and ends with the passage from the Native American belief in the Aztec fertility goddess to the conversion process to Christianity (*Caramelo* 439). It is interesting that Cisneros makes use of the Chronology to further advance his-story as written by the powerful and victorious. She keeps making fun of narrating historical events, claiming

that each side undermines the other's narrative as inauthentic. It starts with the ironic tone of "1789: Alien and Sedition Acts bar entry to 'aliens', who jeopardize the peace and security of the nation, as well as making possible their expulsion" (*Caramelo* 435). Immediately afterwards, the inauthenticity of history writing is spelt out: "1846: US invades Mexico. The Mexican War. Or, the American War of Intervention, depending on your point of view" (*Caramelo* 435). In a footnote, all italicized, the authenticity of American media is also questioned when, to use Edward Said's term, "experts"<sup>7</sup>, who are brown enough and might pass as authentic representatives of Latinos, speak in the name of Mexicans: "*there were hardly any Latinos on TV who were actually Latino and not some payaso pretending to be Latino*" (*Caramelo* 221). The concept is related to the 'native informant' in Hamid Dabashi's *Brown Skin, White Masks*, itself a reiteration of Frantz Fanon's pioneering book.

### **Print Techniques, Cultural Translation and the Nueva Mestiza**

Significantly, print techniques like bold or italics further highlight some metafictional comments addressed to the reader. Some of these remarks are related to popular culture, an important motif underlying this and many other Chicana novels, since Mexican soap operas are considered a widely-spread characterizing trait. The following remarks are printed in bold as one of Cisneros' metafictional techniques: "**If this were a movie, a few notes of a song would follow here, something romantic and tender and innocent on the piano, perhaps 'The Waltz Without a Name'?**" (*Caramelo* 104). After telling another part of the story, the narrator links her "*familia*", "Reyes-ness", as she ironically coins a term for her family notion. To further ridicule the familia notion, a bold print of another sarcastic comment is addressed to the reader to highlight the hyperreality of the told story: "**Just like a good *fotonovela* or *telenovela***" (*Caramelo* 105). 'Big closely-related families' is another Mexican trait; this, however, is also undermined. Cousins of cousins are distantly related: "Reyes-ness could be detected in their physiognomy, but they had long evolved into separate branches of being" (*Caramelo* 105).

"The old proverb was true. Spanish was the language of the gods and English the language to talk to dogs", thus ridicules "Spic Spanish" chapter cultural translation, elsewhere designated as politicized too (*Caramelo* 208). Mexican is also perceived of as an insult so Americans



would rather say 'Spanish' (*Caramelo* 210). Polite phrases, varied concepts like 'destiny' and 'destination', a phrase like 'God willing', all are shown to be betrayed in translation; the symbolic import of words like 'negro' is extremely different (*Caramelo* 209, 211). Chapter titles are extremely funny and significant, even when it comes to the hybrid identity. "All parts from Mexico, Assembled in the US, or I Am Born" (*Caramelo* 231) is a magnificent example of Cisneros' sarcastic style, even of poignant identity issues. It is significant that while Cisneros opens her novel with an epigraph from an untranslated Spanish song, she, later on not only translates another one but also uses print techniques to highlight the hybridity inside her. There are two columns on two following pages: the first is given to the song in Spanish, then the second column is for the English translation (*Caramelo* 182-3). Immediately, however, right before the reader identifies with the supposedly real-life story-within-the-story of the lover turned into a priest in this song, Cisneros resorts back to simulacra and hyperreality, as usual, through popular culture. As usual in Cisneros, this is printed in bold: "**His life makes a wonderful story and was adapted into that unforgettable film**" (*Caramelo* 183). To further highlight this, it is printed in bold; in other words, the reader cannot miss it. In case the oblivious reader does, another chapter simply spells it out in an extremely funny title: "A Scene in a Hospital That Resembles a Telenovela When in Actuality It's the Telenovela That Resemble This Scene" (*Caramelo* 402). According to Genette, titular usage is one of the paratexts or the borderlands of the text (213), hence the significant titles of *Caramelo* chapters. A symbolic text introduces the second part of *Caramelo*, significantly entitled, "When I Was Dirt". The text blends harsh reality with fairy-tale illusions, Biblical parables with narratives. Funnily, the narrator, Lala, links herself to the archetypal wicked witch with the broom. Again, her reliability as narrator is undermined with the limited human perspective or point of view she offers, all done in a very down-to-earth, seemingly realistic tone, soon unsettled by the fairy-tale atmosphere.

"When I was dirt"...is how *we begin a story that was before our time*. Before we were dust and to dust we shall return. Ashes to ashes, dust to dust. A cross on our forehead on Ash Wednesday to remind us this is *true...*  
*When I was dirt is when these stories begin. Before my time*. Here is how I heard or didn't hear them. Here is



how I *imagine the stories happened*, then (*Caramelo* 89, stress mine).

This, therefore, clearly undermines the authenticity of Lala, the main narrator and the one through whose consciousness all narratives are filtered. Indeed, any attempt at identifying with Lala or any of the other characters is always disrupted by constant reminders of external reality, like the footnotes device.

### Footnotes, the Rebozo and Pop Culture

Use of footnotes, as a technique skillfully disrupting reality, is another metafictional device. Both the narrator Lala and the footnotes address the reader in an extremely self-reflexive manner; print techniques further accentuate the relationship. Even when the reference is to epiphany of Virgin Mary, there is this questioning note that "honest to God, this sounds like a lie, but it's true" (*Caramelo* 389). What follows is like an epigrammatic pithy saying, with the rebozo as emblematic of the patchwork of the multicultural American identity: "The universe a cloth, and all humanity interwoven. Each and every person connected to me, and me connected to them, like the strands of a *rebozo*. Pull one string and the whole thing comes undone" (*Caramelo* 389). Furthermore, print techniques are clear in the bold font of the analogy of the story-within-the-story and the famous Mexican soap operas, a motif underlying the whole novel. Here, however, the link is to Hollywood, with another reference to how Mexicans and Mexican Americans are depicted in Hollywood. The interruption is definitely printed in bold: "**So this part of the story if it were a *fotonovela* or *telenovela* could be called *Solamente Soledad* or *Sola en el mundo*, or *I'm Not to Blame*, or *What an Historia I've Lived*" (*Caramelo* 95). This statement needs a footnote, all italicized, to further explain pop culture references and link them to historical events, definitely addressing the reader throughout:**

*I forgot to mention, Maximiliano was ousted by none other than Benito Juarez, the only pure-blooded Indian to rule Mexico. For a Hollywood version of the aforementioned, see Juarez, John Huston's 1939 film with the inestimable Bette Davis, who else, the madwoman* (*Caramelo* 96).

Pop culture is a recurrent motif that adds another layer of hyperreality to the novel, undermining any authenticity of the told story as well as the reliability of both narrator and author. The phrase "Just

like a good *fotonovela* or *telenovela*" (*Caramelo* 105) recurs like a refrain throughout the novel, mostly printed in bold letters. Ironically, to unsettle both Hollywood and the Mexican Revolution itself, a footnote, supposedly explaining the Mexican Revolution to the reader, suddenly wakes him up to the ridiculous simulacrum, out of which people might get historical information. Hollywood movies, with all their stereotypes and anachronism, seem to be deemed an "authentic" source, even to younger generations of Chicano/as, who are not in close contact with Mexico. The figure tackled here is a controversial figure, considered by some a hero, "fighting for ancient land rights", by others "dubbed rebels" (*Caramelo* 152). The film director, however, is a famous one, let alone the John Steinbeck as the screenplay writer. Again, the footnote is all italicized:

*For a Hollywood version of the Mexican Revolution, see Elia Kazan's Viva Zapata. John Steinbeck wrote the screenplay. His choice for the lead role was none other than the Mexican movie star Pedro Armendariz, featured in The Pearl. Armendariz had the sexy, indigenous looks for the job, and, more importantly, the acting skills, but was unknown in the States. Kazan, however, wanted and got Marlon Brando for the part, who, in my opinion, looks ridiculous with his eyes taped slant trying to pass as Mexi-Indian (Caramelo 152).*

The verb "pass as" is extremely significant, though usually used for minorities doing their best to pass as mainstream to avoid racial profiling and stereotypes. The fact that the Mexican actor, though a star in Mexico, was not cast for the role because he was not known in the US, is another critique toned down by being framed within pop media context. There is a patchwork of American, British and Mexican pop culture that suggests a way out of the conflicting showdowns; it significantly comes right after "an invasion of illegal aliens" statement: "Hippies and vagabond anthropologists, artists, students, foreigners, . . . the Beatles, the Rolling Stones, Bob Dylan, the wives of politicians, . . . came to see Maria Sabina", who was "a holy relic" (*Caramelo* 195). Like Selena, Sabina unites people from all walks of life and cultural affiliations.

Another footnote explains the cultural and symbolic import of the most important emblem, also the title of the novel, the "rebozo"<sup>6</sup>. This, in a caramel colour evoking skin tone, could be taken as an emblem of the Mexican cultural heritage. "Soledad cleaned Narciso with her



*caramelo rebozo*, wiping that beautiful face" (*Caramelo* 104). The rebozo is linked to Disney's Mermaid and the Snow Queen, another pop culture symbol, perceived in conjunction with Mexican cultural heritage and reality: "Even with half its fringe hanging unbraided like mermaid's hair, it was an exquisite *rebozo* of five *tiras*, the cloth a beautiful blend of toffee, licorice, and vanilla stripes flecked with black and white, which is why they call this design a *caramelo*"; "A *rebozo* as cradle, as umbrella or parasol" (*Caramelo* 94). Significantly, the "unfinished *caramelo rebozo*" (*Caramelo* 154) or shawl was reduced to a plaything and almost forgotten until it was handed down to Lala from her grandmother. It is reminiscent of the quilt as emblematic of African American heritage in Alice Walker's "Everyday Use".

An extensively-detailed cultural note on the cultural significance of the shawl naturally follows in the footnote, further disrupting any possible illusion or belief in the evoked fairy-tale atmosphere. In this historical note, Cisneros, like many Chicano scholars, links Mexican Americans to Native Americans. The footnote, all italicized, acts very much like an anticlimax that ruins any identification on the part of the reader:

*The rebozo was born in Mexico, but like all mestizos, it came from everywhere. It evolved from the cloths Indian women used to carry their babies, borrowed its knotted fringe from Spanish shawls. . . The quintessential Mexican rebozo is the rebozo de bolita, whose spotted design imitates a snake-skin, an animal venerated by the Indians in pre-Columbian times (Caramelo 96).*

Paradoxically, soon after, in another footnote, the author informs the reader that the rebozo might have been a suicide or murder tool for Ambrosio in Arizona: "*the rumour that he was strangled with one of his own black rebozos is true (by his second wife. . .), or committed suicide by hanging himself from the rafters with an especially beautiful silk rebozo de bolita, well, who knows and ni modo. But that is another story*" (*Caramelo* 102). Another cultural role of the rebozo is made fun of as terribly ridiculous: to tell the world "I am a widow" or even worse: "And when she does marry, how her mother would place a pale blue *rebozo* on her head, meaning, This daughter of mine is a virgin. . . Unused merchandise" (*Caramelo* 105); the blue is a clear reference to Virgin Mary's blue veil. The rebozo even has a language that has to be explained to foreigners (*Caramelo* 102). In the final paratext, the



supposedly-historical Chronology, the second entry historicizes the rebozo as dating back to 1572, "the first published mention of the rebozo" (*Caramelo* 435). Historicizing or contextualizing is also a resistant technique unsettling hegemonic discursive and textual strategies; nevertheless, even this is deliberately shown to be inauthentic. His-tory is after all only a human construct.

### 'Merican' as Border Trope: Interlinguality and Historicity

"Merican", coined by Cisneros and indicative of her hybrid interlinguality concept and device, was first used in her short story "Mericans" in *Woman Hollering Creek*, as related to the Awful Grandmother, an emblem of filiative hegemony and restraint (20). As explained, Cisneros plays with bold, italics and other printing techniques to stress what she focuses on. Since the whole footnote above is deliberately italicized to further highlight severing the reader from the told story, 'rebozo' and 'that is another story' are accentuated by not being bold. Elsewhere, in "the Grandmother's toffee-striped *caramelo rebozo*, which he wraps around himself like a flag (*Caramelo* 378), 'caramelo rebozo' is definitely italicized *not* as a foreign language but as a symbol that needs to be highlighted. This is always the case with stories-within-the-story, in addition to anything she likes, regardless of inserting another language and italicizing it. The fact that she does not italicize Spanish is indicative that this is her language; code switching here is essential. She never translates Spanish; the reader should do this for himself. Interlingualism is extremely significant for Chicano/a writers; it has to do with the hybrid identity. Significantly, it is neither hyphenated nor dehyphenated; 'American' is no longer there, as in Arab American, for instance. It is one step further: it is simply 'Chicano'. This is linked to the loss of home after the Mexican Revolution: "*Later she will learn there is no home to go back to. The Mexican Revolution begins, and Ambrosio Reyes is conscripted by Obregon's troops and never heard from again*" (*Caramelo* 102).

The novel is abundant in historicizing footnotes: one explaining to the reader the Mexican Revolution (*Caramelo* 152), another discussing World War I and II, a third one commenting on "the invasion of illegal aliens" (*Caramelo* 195). Indeed, the word 'alien' infuriates Mexicans, together with 'illegal', since they believe they have a right to parts of this land. One of the most famous refutations is: "we did not cross the border; the border crossed to us", a clear reference to them as

well as to Native Americans too. The border becomes emblematic of trans-American, subalternized identity, according to Jose David Saldívar, accredited to be the founder of US-Mexico border studies. In *Trans-Americanity*, Saldívar discusses the construction of subalternized identities, arguing how transnationalism is contested in *Caramelo*:

Inocencio's conversion from Greater Mexican infamy, from illegal Mexican to what Cisneros wryly calls ethnic "Merican", can never be complete, and like the caramelo rebozo he wraps around himself "like a flag", it becomes an integral part of the postcolonial present (154).

The compound adjective "Merican", coined by Cisneros, is a magnificent amalgam that verges on both borders, explaining hybrid identity. Since the narrator is unreliable and the author inauthentic, details like being forced to enlist or volunteering to do so to become a US citizen are meant to confuse the reader about hybrid identity and compromises made by Mexican Americans. Again, the subtitle of the novel recurs: "Is that what he told you?" "*Puro cuento*", meaning pure lies, "he wanted to enlist" (*Caramelo* 418). This, therefore, undermines the father's tale, exactly as the grandmother's and Lala's tales are inauthentic: "Uncle, drive me to the enlistment center, I want to become a US citizen. I want to become a US citizen" (*Caramelo* 418). All narrators are simply unreliable.

Sometimes, historical background information is interwoven within the body of the novel, always linking Reyes story to historical events, together with linking Mexico to the US:

Inocencio Reyes had the misfortune to grow up in interesting times and witness the beginning of Mexico's Golden Age. While the U.S. suffered its Depression, Mexico was undergoing its finest decade (*Caramelo* 205).

The new *mestizo/a* identity, proud of its Indian heritage, was, in the meantime created, with nationalization of oil companies and the flourishing arts. Very soon, however, Mexican workers were to harvest US crops and participate with the Allies in small operations (*Caramelo* 206). As if this historicizing is not enough contextualization, another detailed footnote immediately follows with the exact number of Mexican fighter pilots during World War II (*Caramelo* 207). Again, in the same footnote, pop culture tones this down: "For a super-sentimental story of Squadron 201, see Indio Fernandez' splendid *Salon Mexico*, a classic. Note the Mexican matriarchy scene between the injured pilot and his



angelic mother. This scene alone will explain everything" (*Caramelo* 207). Indeed, like heritage, story-telling and pop culture, matriarchy is extremely important in Chicana literature. Ironically, the "Awful Grandmother" in the novel is the exact antithesis of the melodramatic and sentimental, in Cisneros' opinion, "angelic mother" in Fernandez' classic in the above footnote. As explained earlier, it was because of Gloria Anzaldua that the positive connotations of Virgin Mary came to replace the Jungian archetype of the wicked witch or the femme fatale, as the elevated trickster figure came to symbolize the resistant smuggler of illegal immigrants across the border.

### ***Arabian Nights* and Lala's Self-Reflexive Counternarrative**

*The Arabian Nights* works as a self-reflexive counternarrative in *Caramelo*. In a footnote, the famous Mexican telenovela is seen as the present-day Shahrazad; indeed, most writers of this well-loved pop culture genre are women writers and, in many ways, voice women's opinions. Even if this form is looked down upon by some as low culture, it does empower women and narrate their struggles, at least to people who do not derive their knowledge from archives, documents or written literature. In a way, fotonovelas act like an archive of oral narratives nowadays; in a footnote towards the end of the novel, Cisneros explains that the telenovelas are the simulacrum and not the other way round; their importance is that they keep the heritage alive since they act like modern-day Shahrazad. Again the printing technique is used for emphasis; since footnotes are italicized in *Caramelo*, "telenovela" is the only word that is not italicized so it stands out:

*A famous chronicler of Mexico City stated Mexicans have modeled their storytelling after the melodrama of a TV soap opera but I would argue that telenovela has emulated Mexican life. Only societies that have undergone the tragedy of a revolution and a near century of inept political leadership could love with such passion the telenovela, storytelling at its very best since it has the power of a true Scheherazade, it keeps you coming back for more. In my opinion, it is not the storytelling in telenovelas that's so bad, but the insufferable acting (*Caramelo* 409).*

Afterwards, the rest of the footnote explains that what undermines these soap operas is their implausibility; only the credulous would believe



them and take them to be true; nevertheless, nothing seems authentic or rings true in Cisneros' opinion. On the other hand, with the several stories incorporated within her story, Lala, the narrator of her grandmother's story, is implicitly compared to Shahrazad. Ilan Stavans sees the rebozo as harking back to Andalusian heritage and relates it to Lala, seeing "herself as a present-day Scheherazade and *Caramelo* is her *Thousand and One Nights*" (Stavans 57).

Lala's is, in fact, one of the multiple points of view in the novel. There are multiple perspectives, all intersecting and overlapping, sometimes, even questioned like that of the Awful Grandmother (*Caramelo* 91, 123, 262, 348, 359). Like the footnotes, *The Arabian Nights* framework, acting like embedded texts, and the non-linear structure further serve the disrupting purpose. They both portray the family saga that revolves in a kind of vicious circle, itself mirroring Chicana/o history. "Because a life contains a multitude of stories and not a single strand", says Lala (*Caramelo* 115). The fact that Narciso tells his story in Chicago, as a setting, (*Caramelo* 137) is enough evidence of the Chicano/a barrio-logos, discussed by Villa. Furthermore, the narrative of Narciso, as related to the grandmother, seems to bear the seeds of its own destruction (*Caramelo* 143). In *Trans-Americanity*, Saldivar adds another portable barrio-logos: the Barrio Archive Shoebox (*TA* 180). It is the acquittal evidence that the Father is not an undocumented immigrant or illegal alien as the indispensable identity shoebox or the paper "barrio archive" (*TA* 180) prove that Inocencio was honourably discharged from the US army after fighting and defeating its enemies: Europe's Fascists during the Second World War. Saldivar likens the function of this American identity box to the Mexican rebozo, both being "barrio archives" on both sides of the border (*TA* 181).

The paper archive, like the rebozo that is passed down through the Reyes family, is figured finally by Celaya as the supplementary "trace" of early migratory (immigrant) life, an "outernational" trace that paradoxically stands in for a loss of history yet simultaneously marks the figurations of Greater Mexico, a Mexican community *de adentro* (from within) that commences with the investment through puros cuentos and memory, in that melancholic loss (*TA* 181).

Indeed, it could be an allusion to Narcissus, the mythical arrogant, and self-centred figure; it acts like an alter-ego or surrogate self to writers or

narrators, with their obsessive and somehow hubristic, love of their own creativity and perfection. The “border-crossing puros cuentos and histories” are, therefore, both spatial and discursive that can neither be assimilated nor translated (TA 181). If Edward Said<sup>8</sup> deconstructed the ideological geography of the canonical novel, Cisneros, according to Saldivar, does this by merging genres and producing the mestiza or hybrid high and low culture type of novel/telenovela, in other words, imperial/Mexican. All is done through paratexts and other narrative techniques in which, what he terms, the “mass-mediated” “transnational novel” (TA 181) abounds:

Cisneros permits the introduction of a critical study of cuentos and discourse where space and rhetoric are entwined and where rhetoric depends on space. Can space act on style, producing a double enunciation (toward the novel and the telenovela)? Near the US-Mexican borderlands, does figurality go up and across? Geography indeed acts on style in transnational novels about Greater Mexico such as Cisneros’s *Caramelo* or *Puro Cuento* (TA 181).

### **Drowned Arab: Hollywood and *Arabian Nights* in *Crescent***

Similarly, *The Arabian Nights* acts as subtext, glimmering beneath *Crescent*. As in *Caramelo*, the disputed and much-quoted text is inextricably linked to popular culture, specifically, Hollywood. Sirine’s Uncle insists on every single minute detail of the slave narrative of Abdelrahman Salahadin. His fake drowning show to escape slavery (*Crescent* 64) and his career at Hollywood like Omar Sharif are told in a magical realist atmosphere with the presence of the Mermaid and jins all around. The characters’ names in the story-within-the-story evoke the types of a morality play: the Covered Man (*Crescent* 65) and the Drowned Arab, evoking the stereotypical lens Arabs and Arab Americans are perceived through. “So Abdelrahman Salahadin had enough with drowning. He would try his hand at being a movie star”; “He played Mexicans and Italians and that sort of thing” (*Crescent* 336). Funnily, Hollywood for him was the Arabic homophone *Hal’Awud*. This attempt to stop drowning follows the apocalyptic climactic moment of Han resigning and going back to Iraq. It deceptively seems like a respite from the horrors of border crossing from Jordan to Iraq (*Crescent* 392) and the dictatorial state there. When Abdelrahman Salahadin went to



audition, "all the Italian actors fell silent" and the line he was saying was significantly "A small, barbaric people!" (*Crescent* 337). Though "his voice split open the air of the theater like a spear and everyone knew that he would be the star of the movie" (*Crescent* 337), he was turned down. He had no idea that "no one in Hollywood wanted anything to do with an actual Arab" (*Crescent* 336). Immediately afterwards comes the comment of the story-teller, Shahrazad in this case, Sirine's Uncle: "Except, of course, how could he be the star, this Jordanian, Syrian, Lebanese, Egyptian, Iraqi, Palestinian, drowned Bedouin of an Arab?" (*Crescent* 337).

It is logical and natural, therefore, that the lines between the 'Drowned Arab' and the 'Found Arab' are eventually blurred so the story-within-the-story merges with the frame story, the Arab with the Arab American, 'being' with 'becoming' Arab, and the "cultural identities with the dominant constructions" (Gana 240).

[W]hen Han emerges in Iraq bearing the name of the same mythical figure of the uncle's story, i.e., Abdelrahman Salahadin, it becomes of particular relevance to an understanding of the competing mythical, historical, and cultural forces that factor in the makeup of an Arab and an Arab American identity. When Han reappears in Iraq under the name of Abdelrahman Salahadin, not only does myth merge with reality, but also reality itself (here Arabness) becomes too unstable to brook any prediscursive or operational locus of referentiality (Gana 239).

Very soon, an epiphany dawns: "Back in the Forbidden Temple of the Queen of Sheba, also known as Hollywood, California, Abdelrahman Salahadin was tiring of pretending to be a movie star" (*Crescent* 382). This anagnorisis leads him to go to Cairo to play the role of Othello. Indeed, Abu-Jaber, in the interview included amongst the indices at the end of the book, explains how her original novel was a reworking of *Othello*, writing back at the racism she sees in the original; afterwards, she rewrites her novel and this is the only remnant of the Othello motif in it. The drowning motif is obviously linked to the fragmented narrative Salahaddin is trying to offer. This is reminiscent of Ihab Hassan's allusion to the metaphorical dismemberment of Orpheus and his lyre in postmodernist literature, only here with specific resonance in Arab and



Arab American high and pop culture. No matter how dismembered or drowning, Arab American literature still rejoices in the sinking melody:

Postmodernism . . . is essentially subversive in form and anarchic or eclectic in its cultural spirit . . . Orpheus is not only dismembered; his severed head seems to sing of *sinking even as it sinks into the river Hebrus* (RC 113, stress mine).

Since "Orpheus consents to dismemberment", to Hassan, this is "the true meaning of the avant-garde" and the postmodern (DO xvii). Therefore, the drowning motif is clearly linked to postmodernist techniques, such as magic realism and pastiche, mostly embodied by the anti-hero Abderahman Salahaddin, a far-fetched parody of the historic figure Salah Eddin el-Ayubbi, on one level, and of Omar Sharif, on another level. Both high and pop culture beautifully merge in the pastiche or the subscript parodying the original figures, the failed simulacrum, as well as the present counternarrative. Paradoxically, as Ingeborg Hoesterey maintains, this pastiche is a postmodern technique that simultaneously pays homage and deconstructs, dialogically engages with and critiques both parodied sides (Pastiche 95, 85).

### **Magic Realism and Rewriting the Slave/Exile Narrative**

Aunt Camille's generational story about her search for her son, Abdelrahman Salahadin, the drowned Arab, opens almost every chapter. Aunt Camille turns out to be the Muse inspiring Sir Richard Burton's translation of *The Arabian Nights*.

Aunt Camille began to take up space in Burton's imagination. Like a creature leaving a chrysalis, she began the *metamorphosis from slave to muse*...

"And afterwards." He had begun his famous, *criminal, suggestive, imperial version of Victorian madness dissolved in the sky over the Middle East*, his translation of *The Thousand and One Nights* (Crescent 123, stress mine).

Abu-Jaber's statement on the intentional cultural translation, on the part of Burton, is crystal clear in the above text. Furthermore, it is here too that a revisionist version of the slave narrative is offered; this is done, however, within the magical realist atmosphere. The vast difference between the creative and innovative Aunt Camille and the materialist, possessive Richard Burton is done in an ecocritical way: the way she is

very much at one with nature and relates to every single minute detail of the landscape, while he does not even heed it. Like Cisneros, this is emphasized through interlinguality through the archetypal motif of "Be it" or *kon fayakon*:

She hears the sound of leaves on leaves and that sound is a word and the word, she says, is *aujuba*, wonder. She watches the way nightingales and the hummingbirds spin around the garden like spirits and shadows. You may have guessed that she wasn't much of a *slave*, but that was of little consequence to Burton, who, remember, was just an amateur, and enjoyed collecting people just for the sake of collecting. He adorned himself with Arabs, Chinese, and Indians, and he wrote and wrote and wrote, trying to fill the empty space inside him with a layer of ink (*Crescent* 122, stress mine).

The verbs 'collected' and 'adorned' explain the urge to write his own story and colonial vision of the tales from the point of view of a someone who comes close to a slave trader; story-telling here is not passive but a constructed Orientalist vision that serves to fill the void inside him. The coming text evokes Saidian typical description of Orientalists:

Sir Richard Burton wandered the Arab world like a speckled wraith. He dressed in *native garb*, spent hours gazing into Arab eyes... He did, however, like so many Victorians, have an aptitude for *ownership*, an attachment to things material and personal, like *colonies and slaves*, he especially enjoyed owning slaves while living in someone else's house. He was an amateur slaver but he was a professional amateur, wearing the robes of so many different tribes, eating the food and entering the land of so many different countries (*Crescent* 121, stress mine).

The metafictional note that "he wrote and wrote and wrote" to fill the void inside him is reminiscent of Cisneros. Metafiction, in both writers, undermines the authenticity of the imperialist cultural translation of the other, in brief, the Orientalist narrative, only to broaden afterwards to unsettle the reliability of the narrator and of the novel itself in Cisneros, in an attempt to undermine reality and its multiple untrustworthy perspectives.



### Interlinguality, Metafiction: Alieph Reinscribing Narrative

Magic realism is skillfully used with every single minute detail told in an extremely realistic way, even when this involves the Mermaid Alieph, who is no longer silent and passive but vocal and independent. Significantly, Alieph, who chooses writing to other imposed tasks, joins forces with Aunt Camille, the Muse. To accentuate the power of language, here, Arabic language, she goes on musing on the separate letters, *horouf moqatta'a*, a concept that has always symbolized the genius of the Quran and of the Arabic language in Islamic tradition. When Aunt Camille asks her how many Mermaids there are altogether, she symbolically cites the number of the Arabic letters: "'Twenty-eight. Alieph, Ba, Ta, Tha, Jeem...'" and she went through the whole alphabet" (*Crescent* 271). Like Cisneros, Abu-Jaber does not always italicize Arabic letters, or phonemes here, in a self-assertive attempt to indicate equality in interlinguality. If the reader does not get the meaning, he has to go and look them up. On the other hand, this is reminiscent of another Arab American work that is totally based on the idea of separate and combined letters, and on dotting and diacritics; this is *I'jaam* by Sinan Antoon. In *Crescent*, the mermaid Alieph starts to lament that some of the letters are "literalists" and that "we can just barely hear the sounds of the great missing civilization that is said to be lost somewhere in the distant heart of the center of the center, where no one ever goes" (*Crescent* 272). The postcolonial notion of centre and periphery is obvious.

Furthermore, this might be a reference to, specifically, the Andalusian, or to Arab civilization, in general. Textual evidence is scattered around the novel, varying from fantasy and nostalgia to historical and factual (*Crescent* 79, 119, 323); the main motif is, what Nouri Gana calls, "convivencia" and what Edward Said calls "serendipity". Even the land is called "Na", which is an allusion to *na elfa'elin*, in Arabic grammar, or a longing to the Arabs as agents or makers of civilization or, at least, a nation that should take action for a change. Alieph decides to start with herself and take action; she shrugs her tail and decides to fulfill her urge to write; after all, like many Arab American writers, she left her land to pursue this dream. "Read the book" is another Islamic allusion, while the Arab American writers mentioned in the coming text are preoccupied with writing either novels or autobiographies.



"I left my sisters and my land," she said. "Because after the narwhale and *I read that book* I realized that in my heart of hearts I was a *poet*, not a shipwrecker. I came here to try and *write* but people keep bothering me about special favors. Half of them are working on their *novels*, the other half on their *memoirs* (*Crescent* 279, stress mine).

Indeed, all the stories abound in metafictional hints. It is not only Alieph's or Aunt Camille's stories that are metafictional. Both uncles of Han and Sirine are professors of Arabic literature at UCLA; writing is part and parcel of their career. Indeed, the choice of this specific university, as indicated in one of the paratexts or indices at the end of the book, is itself an autobiographical detail. Significantly, however, the male narrators, Sirine's Uncle (*Crescent* 26, 255), Han (*Crescent* 80, 83), and Han's Uncle (*Crescent* 243), only acquire Shahrazad's voice through the renarration of Sirine herself. Everything is filtered through her consciousness. In a sense, like Sirine's and Diana Abu-Jaber's father, the male characters acquire the role of Shahrazad, only temporarily, nonetheless, until the counternarrative is revisited and revised by Sirine or Diana Abu-Jaber, the original Shahrazad. The main link of all the stories-within-the-story is the narratee, Sirine, who is addressed by all the narrators. Indeed, the stories turn out to polish her sense of her Iraqi identity and link her more to her Arab side, besides her Irish American one. Salahadin's is the main story-within-the-story told by Sirine's Iraqi Uncle. In addition, there are other narrators of stories-within-the-story like Han himself and his Uncle. On the other hand, *Crescent* abounds in instances of interlinguality (26, 44, 72, 80, 103, 122, 242), all serving a metaphorical border-crossing role, a function similar to that in Cisneros' *Caramelo*.

### From Andalucía to Drowned Arabs

In the above nostalgic text, Ariel, the Mermaid, was lamenting the passing of Arab glory (*Crescent* 272). The drowned Arab motif works like a statement on the decline from Andalucía to the present-day predicament of Arabs: Covered, Drowned, Found or Returned at the end. Nouri Gana explains the symbolic significance of both segments of Abdelrahman's name, as related to the gravity of history and the symbolic import of the motif of Andalucía. This is nostalgic and dreamy at times, especially on the part of Han, and derogatory at other times, on



the part of some Western historians. The nostalgia and lamentation of past glory are clear, for instance, when Han links the etymology of words to Arabic ones: "It was from when the Arabs came into Spain a million years ago" (*Crescent* 323) and when he plays songs and reads poems reviving Andalucian glory (*Crescent* 119). The title "crescent" could be a symbolic allusion to his fantasizing about the prominence of Arab and Muslim civilization once more. Significantly, Han's face has a "crescent-shaped scar at the corner of his eye" (*Crescent* 393, 84). At the end, pop culture and magic realism are linked to the crescent symbol as Abdelrahman Salahadin's fantasizing about a huge crescent looming in the sky above, what he calls, *hal a'uod*, or Babylon, nicknamed, according to him, Hollywood (*Crescent* 320).

Abdelrahman in Andalusian history refers to the Umyyad *emir* [prince] who escaped the Abbasid massacre of his ruling family...A year later, he became the founder and governor of Cordoba; he declared himself *emir* of the Iberian Peninsula and began to build the early glory of Al-Andalus (*Gana* 239).

*Gana* even links him to the following *Sagr Quraish* under whose reign, Andalusia was a cultural radiation centre. According to Maria Rosa Meocal, "This was a chapter in Europe's culture when Jews, Christians, and Muslims lived side by side and, despite their intractable differences and enduring hostilities, nourished a complex culture of tolerance" (*Gana* 239). The second segment of the Drowned Arab is a clear allusion to Salahadin Al-Ayyubi, who "A great warrior, Salahadin respected and earned the respect of Richard the Lion Heart, King of England (*Gana* 239). There is evidence that Abdelrahman Salahadin acts like Han's alter-ego or surrogate self (*Crescent* 394); it is calculated that the drowning, covered and returning Arabs are all interchangeably used at the end, as an allusion to the archetypal motif of drowning and of the Celtic Fisher King. It can be read as a reference to the impotence of Arabs, the loss of their holy grail, and their current waste land.

### **The Barrio-logos of the Nueva Mestiza**

Sirine acts as the Nueva Mestiza or the new hybrid woman and Um-Nadia's restaurant acts like the barrio-logos or the meeting place of Arab Americans, together with other minorities. Victor represents Chicano workers, while Christobal represents other Latino Americans. Significantly, it is Victor who breaks in the good news at the very end

that Han is still alive and hands Sirine the phone to answer Han's call: "Victor Hernandez is on the phone, saying Han's name and looking at her" (*Crescent* 395). The circular structure reminds us of the beginning of the novel when Victor is also the very first witness to the budding love story, starting in the kitchen during the baklava scene (*Crescent* 21). It is also Victor who links the American dream and its distortion to border crossing and the state back in Mexico (*Crescent* 323). The distortion of the American Dream is further linked to the American foreign policy in Iraq (*Crescent* 328). Though Sirine has professionally cooked international recipes at French, Italian and Californian restaurants, she cooks specifically-delicious Arab meals at Um-Nadia's café.

But when she moved to Um-Nadia's café, she went through her parents' old recipes and began cooking the favorite, but almost forgotten, dishes of her childhood. She felt as if she were returning to her parents' tiny kitchen and her earliest memories (*Crescent* 22).

If cooking brings Sirine and Han together and they have their first date immediately after the baklava-making scene, food links the students to their home: "baklava is important, it cheers the students up" (*Crescent* 66), says Sirine. Um-Nadia's restaurant is not only a Lebanese one but an all-Arab and Middle-Eastern one because of Sirine's cooking, though she herself, as Han tells her, looks "all-American" (*Crescent* 20, 76) and many Middle-Eastern students dream of having her as their 'American' girlfriend (*Crescent* 83).

And the customers *quickly returned to the restaurant, only this time there were many exchange students and immigrants from the Middle East*. Sirine rolled out dough early in the morning in her open kitchen behind the counter and discreetly watched the students sipping coffee, studying *newspapers, and having arguments*. Everything about these young men seemed infinitely *vulnerable and tender* (*Crescent* 22, stress mine).

Um-Nadia's café, therefore, is the exemplary barrio-logos, where food, pop culture, and heated intellectual and political debates make it the most vivid even for the Iranians of Teherangeles (*Crescent* 28), the popular name of the neighbourhood, despite the Iran-Iraq war that antagonized them at one time. "Life is an argument!", Um-Nadia wisely explains to Sirine "what they are fighting about" (*Crescent* 24). Again,



the parallel structure, overlapping every now and then beautifully renders this. Sirine, busy chopping eggplant and stirring leben, watches closely Hanif Al-Eyad, or Han, as he is busy arguing with students. With light rays reflected on them, the halo effect of the entourage, or the students always surrounding Han, is accentuated.

There are voices blurring and unblurring, complicated gestures, winding hands and arms. It sounds like the same sort of *argument* the students are always having: *about America, the Middle East*, and who is wronging whom, this time it's in *Arabic*, sometimes it's in *English*, usually it's *a little of both* (*Crescent 24*, stress mine).

Even Han's English accent, as perceived by Sirine, is described in culinary terms: it "has nuances of England and Eastern Europe, like a complicated sauce" (*Crescent 24*). The sometime parallel, sometime overlapping structure best describes the rhythmical movement in a very musical way. "She has turned from the leben to the eggplant when Hanif bursts into English, 'Of course I love Iraq, Iraq is my home, and there is, of course, no going home', and then back into Arabic" (*Crescent 24*). When the heated argument relaxes into laughter by Han, followed by his students, tabbouleh salad soon follows, implying a happy mood (*Crescent 25*).

### Pop Culture at the Barrio-Logos

Besides food and the intellectual debates taking place at Um-Nadia's café, television Arabic shows and soap operas form another link to homeland. Funnily, some Americans have even fallen in love with some Gulf series; whether this is due to an Orientalist infatuation with the different and exotic or out of real admiration for the story, it does not really matter, as long as the sharing concept is there:

There are *two American policemen*, one white and one black, who come to the café every day, order *fava bean dip and lentils* fried with rice and onions, and have become *totally entranced by the Bedouin soap opera plotlines* involving ancient blood feuds, bad children, and tribal honor. (*Crescent 23*, stress mine).

Pop culture is linked to food, since both act as objective correlatives for human culture and heritage.

As in *Caramelo*, the postmodernist parodic element of pop culture seems like a unifying human element, perhaps as an escape from life's problems.

At Nadia's café, there is a TV tilted in the corner above the cash register, permanently tuned to all-Arabic station, with news from Qatar, variety shows and shopping channel from Kuwait, endless *Egyptian movies*, *Bedouin soap operas in Arabic*, and *American soap operas with Arabic subtitles*. There is a group of regulars who each have their *favorite shows and dishes* and who sit at the same tables as consistently as if they were assigned. There are *Jenoob*, *Gharb*, and *Schmaal*, engineering students from Egypt; Shark, a math student from Kuwait; Lon Hayden, the chair of Near-Eastern studies (*Crescent* 23, stress mine).

The names *Jenoob*, *Gharb* and *Schamal*, like Covered Man and Drowned Man, are ironically reminiscent of characters as types in morality plays. However, they seem to undermine the rigid dichotomies of the Orientalist East-West oversimplistic binarism. The cardinal points connote that within the 'East' and within the Arab World, there are incredible diversity and multiculturalism that are totally glossed over in grouping them all together in one stereotypical 'bunch'. Abdelrahman Salahadin, the coyote or trickster of the story-within-the-story, is also likened to Omar Sharif since the former dreams of a Hollywood career like the one the latter star has had.

Significantly, the Chair of the Department of Middle Eastern Studies does not make enough money; it is his wife, the Hollywood producer and director who affords their wonderful house on Beverly Hills (*Crescent* 45). Sirine has always described home in terms related to the American Dream Puritan work ethics (*Crescent* 132); the same ideal is accentuated in the interview, included as one of the paratexts or indices at the end of the book. A long discussion of Cairo as an intellectual radiation centre in the eyes of young Han and the current ideals of pop culture is expressed in the symbolic smoke and mirrors analogies. "I came back from Cairo obsessed with just about everything cultural, literature, painting, drama. I wanted nothing to do with what I said were the 'betrayals' of religion and money" (*Crescent* 329-330). Later on, Han was exposed to two views of America: his own of the intellectual, literary America, symbolized by, for instance, his icon, the



“writer and visionary” Hemingway, versus that of his school friends: “that America was the great traitor, consuming goods and resources, and never really giving anything back but baubles, cheap entertainment. Smoke and mirrors” (*Crescent* 329). The latter was amplified in his mind through his reminiscence and grasping of the significance of the “street signs in Baghdad”, “Disney characters and American-style T-shirts everywhere. Trinkets. Junk” (*Crescent* 329), reminiscent of Baudrillard’s view in his book *America* (114).

### **Native Informant and Postmodernist Paranoia**

Like *Caramelo*, *Crescent* includes references to, what Hamid Dabashi calls “the native informer” rather than “informant” in his *Brown Skin, White Masks*, itself a replay of Frantz Fanon’s *Black Skin, White Masks*. Dabashi explains that the term native informant was first used by Adam Shatz in reference to Fouad Ajami.

I have modified informant to informer. Where informant credits comprador intellectuals with the knowledge they claim to possess but in fact do not, informer suggests the moral degeneration specific to the act of betrayal. The record of Fouad Ajami and Kanan Makiya, two prominent native informers who predicted that in response to the US invasion the Iraqis would pour into the streets bearing flowers and sweets, is a case in point (Dabashi 12).

In a historical footnote in *Caramelo*, Empress Carlota, “known to be a Western puppet” (96), was toppled by the disgruntled Mexicans and betrayed by Napoleon III and other Western allies, whose foreign intervention failed. “Abandoned and delirious, Carlota suffered a mental collapse and began to suspect everyone of trying to poison her” (*Caramelo* 96). Santa Anna too “as we recall, gave away half of Mexico to the United States” (*Caramelo* 96). Similarly, at the outset of *Crescent*, two CIA agents are looking for terrorists among the Middle Eastern students:

there were two grown men in business suits sitting at the counter every day writing things in pads. All they did was glance at the Middle Eastern students and take notes...One day after a month of sitting at the counter, the two men took the cook aside and asked if he knew of any



terrorist schemes developing in the Arab-American community (*Crescent* 21).

The former owner of the restaurant, called Falafel Faraoh then, was terrified and sold the restaurant to his friend, Um-Nadia. This fear is ironically described as a terrible disillusion dawning upon him with the evaporation of all his hopes for fulfillment under the American Dream banner: "He'd never heard of such a thing in his life. He and his wife liked to watch *Columbo* at night: that was all he knew about intrigues or crime. He thought he was living in America" (*Crescent* 21). Um-Nadia, however, acted in a completely different way, funny and self-confident: "The two men in sunglasses promptly reappeared at the counter, but Um-Nadia, who said she'd seen worse in Beirut, chased them off the premises flapping her kitchen towel at them" (*Crescent* 21). Immediately afterwards in a very touching text, the reason behind her decisive action is clarified in Um-Nadia's compassion for the Arabs with their "all-consuming" loneliness that hovers like "a little shadow" (*Crescent* 21). Sirine too, though somehow ironically expressed, empathizes with the exaggerated emotional aspect of Arabs which turns tragic sometimes: "Arabs feel everything, larger than life, feelings walking in the sky" (*Crescent* 21).

Elsewhere in the novel, Arabs' paranoid fear of persecution is accentuated: "My uncle says it's the Arab disease. Where you keep thinking the CIA is following you around" (*Crescent* 130). Funnily, right afterwards, both Sirine and Han start suspecting Nathan as such. Towards the end of the novel, Han's narration of his past shows the role played by native informants, who brought disaster upon him and his family. Han's tragic bitterness stems out of his sense of guilt that the lives of his sister and brother, Leila and Aref, and of his friend Sami were wrecked because of "the so-called Ma'al, author of treasonous and defamatory articles that attacked the Iraqi president", Ma'al being Han himself; "they had information that I'd had dealings with a certain American businessman, a known CIA informant" (*Crescent* 330), a reference to the husband of his beloved teacher of English, Janet. His relationship with his American teacher of English, whom he taught Arabic, was another reason why he had to flee to Cairo, then London, and finally, the US. "They said [Leila] was affiliated with American spies" (*Crescent* 330). Han has always been emotionally wrecked because of his sense of guilt. In a way, his story-telling uncovers both

the dictatorial autocracy and surveillance in many Arab countries and the betrayal by some Western friends.

I wondered if Janet understood how dangerous it had been for me and my family to be associated with her. It began to seem as if my time at the private school had been a kind of brainwashing, with so much exposure to Western thoughts and values, a glorification of the West. Even after she'd spent all that money on me, I'd never learned Janet's last name or what she and her husband were really doing in my country. But she knew that Saddam Hussein was coming to power. She knew all sorts of things she shouldn't have known. And while I never really learned their motives, eventually I understood that in some way, deliberate or not, they were the ones who'd betrayed me (*Crescent* 331).

In his *Constructing Postmodernism*, Brian McHale traces paranoia in postmodernist, especially American, literature and links it to capitalism and conspiracy theory. In "postmodernist paranoid fictions", "conspiracy and counter-conspiracy, terrorist network and government intelligence agency, are clearly conceived of as displaced representations, at the content level, of the global capitalist network itself" (McHale 178). Whenever "the complexity of the social-economic system outstrips our capacity to represent it to ourselves, conspiracy theory", adds McHale, quoting Frederick Jameson's phrase, "arises to fill the gap as the 'poor person's cognitive mapping'" (McHale 179).

### **Paratexts and Food as the Objective Correlative**

Food in *Crescent* works as the objective correlative, in other words, it plays the same role the rebozo plays in *Caramelo*. There is a parallelism between food and love, food and home, as well as food and identity: "the fine dicing of walnuts and the way to clarify butter were also meditations on hope and devotion" (*Crescent* 68), contemplates Sirine. "My mother told me that if I knew how to make baklava I would be irresistible to any woman" (*Crescent* 68), says Han. A beautifully crafted scene is structured of overlapping moments between pastry-making and happy or insecure moments. There is a crescendo, a rising action movement of parallel stretching of baklava dough sheets and harmonious rhythms between Sirine and Han. He



aligns the next pastry perfectly. She paints the dough with clarified butter. . . it seems that she and Han know how to make baklava together. . . He transports the sheets and she sweeps the pastry brush, losing herself in the rocking movement. She takes in the powerful curve of his neck and shoulders (*Crescent 67*).

Discord hovers with reminiscences of Arab dictators and the poignancy of insecurity, on the part of Sirine and her fear of losing Han to Iraq, as well as Han's shattered sense of betrayal and exile. It starts with Han missing the kitchen, his mother and his home. "He accidentally tears a corner of a sheet of dough, it's starting to get dry. "I miss my mother's coffee/ I miss my mother's bread" (*Crescent 68*), he says probably quoting Mahmoud Darwish. This abrupt discrepancy is mirrored by the broken layers of baklava that cannot be patched, even when they both try to do so. Sirine tries, in vain, to patch the cracked layers of dough with butter (*Crescent 69*). She

pulls a pastry sheet off center, tearing it. She tries to pull it back into place, bites her lower lip. "Do you think you'll be back?"

His back stiffens. "I can't go back," he says. "To Iraq? No." . . . "Not the way things are now, of course. It's very dangerous, it was terribly difficult for me to get out of the country in the first place." He tries to patch the last broken layer of dough together (*Crescent 70*).

Therefore, the parallel movement of an uprising action when they are happily making pastry together is immediately disrupted, turning into a discordant rhythm with the discrepancy of going home and notes of political exile. Significantly enough, like the broken dough layer, this insecurity and poignancy can never be patched.

Immediately after this baklava-making scene, Han invites Sirine to dinner at his home for the very first time. For her, he bakes "a sleeve of meat", "Just like mom used to make" (*Crescent 76*). The close relationship between them is obviously consolidated by food, itself reminiscent of home. Even though Han tasted Sirine's magnificent Arab recipes, he still thought of her as "all-American" (*Crescent 76*).

"It's Fairuz", Han Says. "I was going to play some American music for you but I guess I don't actually own any. I meant for tonight to be all-American for you."



"But I'm not really all-American", Sirine says. (*Crescent* 76, stress mine).

This stereotype of judging by appearances is commonly refuted in both Arab American and Chicana literature. There are books written on the maid, reproductive rabbit, or sexy Latina stereotype in the media advertisements and in Hollywood movies. Equally significant is the stereotype of Arab and Muslim women as either subservient, meek wives or terrorists. It is reminiscent of Gilbert and Gubar's critique of the depiction of women, or women writers, in the antithetical *Jane Eyre* as the angel or the "madwoman in the attic" as the monster or devil (Gilbert and Gubar 53).

Among the paratexts (or indices) included in the book are an autobiographical sketch, an important interview with Diana Abu-Jaber, and a few questions addressed to readers, further accentuating the metafictionality of the novel, as well as recipes for famous Arab dishes. In her autobiographical portrait, Abu-Jaber explains the somehow autobiographical similarity with Sirine. Both look American and both have learnt cooking as well as story-telling from their Arab fathers. It is as if the original Shahrazad is their father and the link to their original home is through narratives and food. The interview is an example of the paratexts included in the book; others include indices and questions. This could be the choice of Abu-Jaber herself or the editor. In both cases, there is the encroachment of reality upon the fictional text; the numerous interpretive and metafictional comments, together with the autobiographical similarities ruin the suspension of disbelief the reader might have enjoyed, since this follows immediately after the ending of the novel.

Therefore, the cultural dimensions of both Sandra Cisneros' *Caramelo* and Diana Abu-Jaber's *Crescent* can be perceived through a reading of their postmodernist technique as a reflection of the critical concepts of Jose David Saldivar's "borderlands" genre and cultural theory, Raul Homero Villa's "barrio-logos" and Gloria Anzaldúa's "the Nueva Mestiza". If the terms are literal in the case of the Chicana *Caramelo*, they are metaphorically applied to *Crescent*, especially with Andalusia and *The Arabian Nights* looming in both works. Furthermore, amongst other techniques like metafiction, magic realism, stories-within-the-story, multiple narrators, and interlinguality, paratexts, as thresholds of the text, culturally and technically accentuate the border concept shaping both novels. These cultural aspects, projected by postmodernist

techniques, mirror the "borderland" genre and cultural theory. Both, as delineated by Saldivar, highlight cultural hybridity, the Chicana feminist, the postmodern, the postcolonial, and the comparative, intermingled with popular culture, bilinguality and dialogism. The borderland novelistic genre and cultural theory are situated physically or metaphorically at the liminal zone in both ethnic American novels. Furthermore, they are beautifully embodied by both Lala, in *Caramelo*, and Sirine, in *Crescent*, the new Shahrazad or the hybrid narrator, through whose exilic consciousness all tales are filtered and then offered in a borderland counternarrative. Indeed, both novels can be seen as examples of postmodernist Chicana and Arab American borderland fiction, where technique acts as culture.

## Notes

The following abbreviations will be used:

Saldivar, *Border Matters*: BM

Saldivar, *Trans-Americanity*: TA

Anzaldua, *La Frontera*: LF

Anzaldua, *La Conciencia de la Mestiza*: CM

Anzaldua, *Anzaldua Reader*: AR

Hassan, *Dismemberment of Orpheus*

Hassan, *Rumors of Change*: RC

1. Mohja Kahf's "Men Kill Me" in *Emails from Scheherazad* (61).
2. Gloria Anzaldua's *Borderlands/ La Frontera* (1987): 1, quoted by Teresa McKenna (115).
3. Anzaldua (44), quoted by McKenna (115).
4. Anzaldua (73), quoted by McKenna (116).
5. Anzaldua (74), quoted by McKenna (116).
6. In my understanding of Sandra Cisneros' *Caramelo*, I am indebted to the lecture given by the critic Jose David Saldivar at Berkeley University, 4<sup>th</sup> July, 2007.
7. "Experts" in this sense is a reference to Edward Said's *Covering Islam: How the Media and the Experts Determine How We See the Rest of the World*.
8. See Edward Said's Ph.D. thesis on Joseph Conrad (131, 151), *The World, the Text and the Critic* (49) and *Culture and Imperialism* (97, 367), where his notions of the ideological geography of the novel, filiation, affiliation, secular criticism, the gravity of history, and liminality, as related to postcolonial intellectuals in exile, are all expounded in depth.



## Bibliography

- Abdelrazek, Amal Talaat. *Contemporary Arab American Women Writers: Hyphenated Identities and Border Crossings*. Cambria: New York, 2007.
- Abu-Jaber, Diana. *Crescent*. Norton: New York, 2003.
- \_\_\_\_\_. *The Language of Baklava: A Memoir*. 2005. Anchor Books: NY, 2006.
- Allatson, Paul. *Key Terms in Latino/a Cultural and Literary Studies*. Blackwell: Malden, MA, 2007.
- Anzaldúa, Gloria. *Borderlands/La Frontera: The New Mestiza*. 1987. 25<sup>th</sup> Anniversary. Fourth Edition. Aunt Lute Books: San Francisco, 2012.
- \_\_\_\_\_. "La Conciencia de la Mestiza/ Towards a New Consciousness" from *Borderlands/La Frontera: The New Mestiza in Latino Bloom: An Anthology of US Latino Literature*. Eds. John S. Christie and Jose B. Gonzalez. Pearson, Longman, 2006: 413-426.
- \_\_\_\_\_. *The Gloria Anzaldúa Reader*. Ed. AnaLouise Keating. Duke University Press: Durham & London, 2009.
- Barton, Edwin and Glenda Hudson. *A Contemporary Guide to Literary Terms*. Houghton Mifflin Company: Boston & New York, 1997.
- Baudrillard, Jean. *America*. 1986. Verso: London & New York, 2010.
- Brady, Mary Pat. *Extinct Lands, Temporal Geographies: Chicana Literature and the Urgency of Space*. Duke University Press: Durham & London, 2002.
- Bruce-Novoa, Juan. *Retrospace: Collected Essays on Chicano Literature*. Arte Publico Press, University of Houston: Texas, 1990.
- Cisneros, Sandra. *My Wicked Wicked Ways*. 1987. Alfred A. Knopf: NY, 2009.
- \_\_\_\_\_. *Loose Woman*. Vintage: NY, 1994.
- \_\_\_\_\_. *Woman Hollering Creek and Other Stories*. Random House: NY, 1994.
- \_\_\_\_\_. *Caramelo*. Vintage: New York, 2002.
- Dabashi, Hamid. *Brown Skin, White Masks*. Pluto & Fernwood: New York, 2011.
- Fadda-Conrey, Carol. *Racially White but Culturally Coloured: Defining Contemporary Arab American Literature and Its Transnational*

- Connections*. Ph.D. Dissertation. Purdue University: West Lafayette, Indiana, 2006.
- Fanon, Frantz. *Black Skin, White Masks*. C 1952. Trans. Charles Lam Markmann. Paladin: Granada Pub. Co: London, 1970.
- Gana, Nouri. "In Search of Andalusia: Reconfiguring Arabness in Diana Abu-Jaber's *Crescent*" in *Comparative Literature Studies*. Pennsylvania State University: PA. Vol. 45, No. 2, 2008: 228-246.
- Genette, Gerard. *Paratexts: Thresholds of Interpretation*. Trans. Jane E. Lewin. C 1987. Cambridge UP: New York, 1997.
- Gilbert, Sandra and Susan Gubar. *The Madwoman in the Attic: The Woman Writer and the Nineteenth-Century Literary Imagination*. C 1979. Yale UP: New Haven & London, 2000.
- Hassan, Ihab. *Dismemberment of Orpheus: Toward a Postmodern Literature*. University of Wisconsin Press, 1971
- \_\_\_\_\_. *Paracriticisms: Seven Speculations of the Times*. University of Illinois Press, 1975
- \_\_\_\_\_. *Rumors of Change: Essays of Five Decades*. University of Alabama Press, 1995.
- Hoesterey, Ingeborg. *Pastiche*. Bloomington: Indiana University Press, 2001.
- Hutcheon, Linda. *A Poetics of Postmodernism: History, Theory, Fiction*. Routledge: London, 1990.
- Kahf, Mohja. *Emails from Scheherazad*. University Press of Florida: Gainesville, 2003.
- Liotard, Jean-Francois. *The Postmodern Condition: A Report on Knowledge*. Trans. Geoff Bennington and Brian Massumi. Foreword by Frederic Jameson. Minneapolis: the University of Minnesota Press, 1984.
- McHale, Brian. *Constructing Postmodernism*. Routledge: London & New York, 1992.
- McKenna, Teresa. *Migrant Song: Politics and Process in Contemporary Chicano Literature*. University of Texas Press: Austin, 1997.
- Nyman, Jopi. *Home, Identity, and Mobility in Contemporary Diasporic Fiction*. Rodopi: New York, 2009.
- Rose, Margaret. *Parody/Metafiction*. London: Croom Helm, 1979.
- Sabry, Somaya Reda. *Racing Sheherazade: Arab-American Women's Translation of Scheherazade in Writing and Performance*. Ph.D. Dissertation. University of Western Ontario: Canada, 2009.

- Said, Edward. *The Letters and Short Stories of Joseph Conrad*. Ph.D. Thesis. Harvard University: Massachusetts, 1964.
- \_\_\_\_\_. *Covering Islam: How the Media and the Experts Determine How We See the Rest of the World*. 1981. Vintage: NY, 1997.
- \_\_\_\_\_. *The World, the Text and the Critic*. 1983. London: Vintage, 1991.
- \_\_\_\_\_. *Culture and Imperialism*. 1993. London: Vintage, 1994.
- Saldívar, Jose David. *Border Matters: Remapping American Cultural Studies*. University of California Press: Berkeley, 1997.
- \_\_\_\_\_. "Lecture on Sandra Cisneros' *Caramelo*". Berkeley University, 4<sup>th</sup> July, 2007.
- \_\_\_\_\_. *Trans-Americanities: Subaltern Modernities, Global Coloniality and Cultures of Greater Mexico*. Duke University Press: 2012.
- Scholes, Robert. *Fabulation and Metafiction*. Chicago: University of Illinois Press: 1979.
- Stavans, Ilan. *A Critic's Journey*. The University of Michigan Press: Ann Arbor, 2010.
- Waller, Nicole. "Omar Sharif as Transnational Trickster: The Overlapping Geographies of Diana Abu-Jaber" in *Virtually American? Denationalizing North American Studies*. Heidelberg. Winter 2009: 135-146.
- Villa, Raul Homero. *Barrio-Logos: Space and Place in Urban Chicano Literature and Culture*. University of Texas Press: Austin, 2000.



The first part of the study is devoted to a general introduction to the subject of the research. It discusses the importance of the study and the objectives of the research. The second part of the study is devoted to a detailed analysis of the data. It discusses the results of the study and the implications of the findings. The third part of the study is devoted to a conclusion and recommendations. It discusses the overall findings of the study and provides suggestions for further research.

The study is divided into three main parts. The first part is an introduction to the subject of the research. The second part is a detailed analysis of the data. The third part is a conclusion and recommendations. The study is based on a sample of 100 respondents. The results of the study are as follows:

The first finding is that the majority of respondents are male. The second finding is that the majority of respondents are aged between 20 and 30. The third finding is that the majority of respondents are from the urban areas. The fourth finding is that the majority of respondents are employed. The fifth finding is that the majority of respondents are married.

The study has several limitations. First, the sample size is relatively small. Second, the study is based on self-reported data. Third, the study does not take into account the possibility of bias. Fourth, the study does not take into account the possibility of confounding variables. Fifth, the study does not take into account the possibility of non-response bias.

Despite these limitations, the study provides valuable insights into the subject of the research. It highlights the need for further research in this area. The study also provides suggestions for further research. These suggestions include increasing the sample size, using more objective data collection methods, and taking into account the possibility of bias and confounding variables.

# ***Harem Years: A Chronicle of an Egyptian History***

***A New Historicist Reading of Huda Shaarawi's Memoirs***

***Dr. Jaidaa G. Hamada***

**English Department**

**Faculty of Arts**

**Alexandria University**

History: A Chronicle of  
in Egyptian History  
The Journal of Faculty of Arts, Mansoura University

The Journal of Faculty of Arts  
Egyptian Department  
Faculty of Arts  
Mansoura University



"It is not the strongest of the species that survive, nor the most intelligent, but the one most responsive to change".

### Charles Darwin

Combining strength of will, intelligence and a conspicuous responsiveness to change, Huda Shaarawi managed not only to "survive", but, more influentially, to make the act of surviving possible for others. In the early 1920s, when the winds of change were blowing hard over Egypt, she became an active leader in the country's fight for political independence, in addition to her leading the longstanding struggle for women's rights, focusing on education, the right to vote, marriage laws, among many other concerns. Her refusal to be baulked by the restrictive conventions of her day is climaxed in removing her veil at the Cairo Train Station in 1923; an act of defiance that had far-reaching consequences on the then marginalized status of Egyptian women within the stultifying harem culture. Towards the end of her life, Shaarawi set out to write her memoirs; an endeavour that could be aptly hailed as her "final feminist act" (Badran, Preface 1). In 1987, Shaarawi's memoirs were brought to light when they were translated by Margot Badran and published under the title *Harem Years: The Memoirs of an Egyptian Feminist*<sup>1</sup>. The importance of these memoirs lies not only in their offering insight into Shaarawi's private life, family life and the challenges she had to surmount, but also in the way they offer enlightening glimpses into the social and political state of affairs of Egypt at an instrumental point of its history. A helpful tool in amplifying understandings of Shaarawi's memoirs is to view them from the lens of new historicism, the critical practice named by the critic Stephen Greenblatt to "signal a turn away from the formal decontextualized analysis that dominate[d] new criticism", and also to describe an interest in "the embeddedness of cultural objects in the contingencies of history" ("Resonance" 308). According to Greenblatt, new historicism is a textual practice, not just a theory or a doctrine of literary criticism. As he describes it in his seminal book *Renaissance Self-Fashioning from More to Shakespeare*, it is primarily a means of "interpretation" (qtd. in Murfin and Ray 241). It is the aim of this paper to examine Huda Shaarawi's memoirs *Harem Years* as a chronicle of an Egyptian history; an authenticated conduit of *interpreting* some aspects of Egypt's social and political makeup at a decisive moment in its

history. Since "as a critical practice [new historicism] treats literary texts as a space where power relations are made visible" (Brannigan qtd. in Bertens 179), *Harem Years* will be examined as the locus of encounter between Shaarawi's budding feminist consciousness and her gendered society.

In their broadest sense, the memoirs embody a variety of discourses in a form that largely "novelizes" the cultural and social changes of the author's time (Quawas). The way the personal is interspersed with the political finds its clearest expression in Shaarawi's words "I would have separated from my husband ... if it had not been for the nationalist movement. My attention was drawn from the private life to serving my country" (111). These lines may be viewed as capturing the kernel of the book: how history transcends being merely a backdrop against which Shaarawi charts her life story, to become bound up with her own personal life. Understanding one thus becomes indispensable to understanding the other. In other words, the text in which she recounts her story and the historical context in which it is embedded become interdependent, thus typifying the aim of new historicism: to grasp the "historicity of texts and the textuality of history" (Montrose qtd. in Murfin and Ray 243). From the standpoint of new historicism, there is no seamless overarching unity; rather, there are shifting "representations" of several "histories" (Rice and Waugh 252). Before viewing Shaarawi's memoirs as a "representation" of one of these "histories", or as a chronicle of an Egyptian history, a brief survey of new historicism becomes imperative.

Between the 1920s and 50s, and before the advent of New Criticism, the majority of critics focused on a work's historical content and based their interpretations on the interplay between the text and its historical context, including the author's life or his/her intentions in writing. Literature was seen as a reflection of the historical world in which it was produced. Furthermore, history was perceived to be stable, linear, and unitary. However, with the advent of New Criticism, the prevalent approach became text-oriented, viewing texts as self-contained and self-referential objects, and focusing on relationships within the text to uncover its form and meaning. Particular attention was accordingly given to symbolism, imagery and rhythm. In the 1970s, New Criticism was roundly attacked by reader-response critics, who asserted that the meaning of the text is jointly produced by the reader and the text, and poststructuralists, who, following Jacques Derrida,



argued that texts are by definition self-contradictory. Yet, their approach remained text-oriented, disregarding the historical context within which literary works were read and written (Murfin and Ray 238-39).

It was in the 1980s that a form of historical criticism practiced by Louis Montrose and Stephen Greenblatt came into being, challenging the then reigning text-oriented approach. In this regard, new historicism emerged as "a much-needed corrective" to the legacy of New Criticism and its attempt "to understand literature purely as literature ... without reference to factors or forces outside a narrowly defined aesthetic domain" (Cantour). Generally speaking, new historicists are less fact- and event-oriented than traditional historical critics, primarily because they question whether the truth about what really happened can ever be objectively ascertained or not. They are also less inclined to see history as linear and progressive, and less likely to think of it in terms of specific historical eras, each with definite, well-constructed boundaries. The term "new historicism" received its current meaning when Greenblatt used it to describe recent works of himself and others on the Renaissance period, and when Montrose argued for the presence of power in pastoral genres, thereby following Michel Foucault in his assumption that "social relations are, intrinsically, relations of power" (qtd. in Bertens 178). New historicism is also indebted to Foucault and his view of how the so-called objective historical accounts are always products of a will to power enacted within specific social institutions<sup>2</sup>. His "histories" challenge the idea of an overarching narrative, and focus instead on the "other", generally excluded by such accounts (Rice and Waugh 253).

New historicism also represents a form of "thick description"; a term used in anthropology to denote seemingly insignificant details in any cultural practice. By focusing on these details, one can discover larger contradictory forces at work within a culture. A thick description offers an explanation not only of human behaviour, but also of its context (Rice and Waugh 252). Its importance lies mainly in the way it "inspires interpretation and encourages the reader to look for meaningful exchanges" so that the text moves beyond its conventional context to receive new meanings (Hamilton 134). In his *Renaissance Self-Fashioning*, Greenblatt also describes his critical practice as "a poetics of culture" (qtd. in Bertens 178). Contrary to other historical approaches and interpretive methods that tend to see historical texts as autonomous entities, poetics of culture seeks to examine the relationship



between texts and their sociopolitical contexts. The text not only documents the social forces that inform and constitute history and society, but "also features prominently in the social processes themselves which fashion both individual identity and sociohistorical situation" (Veenstra 174). New historicists also share the assumption that at a given historical moment, different modes of discourse intersect, contradict, destabilize, cancel or modify each other. They are also interested in recovering lost histories and in exploring mechanisms of repression and subjugation. In so doing, they seek to minimize the distortions that are innately found in historical perceptions and interpretations (Murfin and Ray 240-41; Wayne 793).

In "Resonance and Wonder" Greenblatt shows how new historicism sets itself out against the three definitions of historicism that *The American Heritage Dictionary* outlines: the belief that there are processes at work in history that man can hardly alter; the theory that the historian must avoid all value judgments in studying past periods and former cultures; and a veneration of the past and of tradition (308). In response to the first, he denigrates it as being based on "abstraction" and an obvious exclusion of "human agency". The people who belong to particular contexts, in given circumstances, and at particular times, are transformed into something called "man", which Greenblatt defines as "a colourless, nameless collective being [who] cannot significantly intervene in the processes at work in history". These processes become "mysteriously alienated from all of those who enact them" (308). New historicism, by contrast, eschews the use of the term "man" since "interest lies not in the abstract universal but in particular, contingent cases". Representatives of these "particular ... cases" act according to the rules and conflicts of a given culture; are fashioned and conditioned by the expectations of their class, gender, religion, race and national identity; and are constantly bringing about changes in the course of history. New historicism insists on agency, for even "inaction or extreme marginality is understood to possess meaning and therefore to imply intention" (308). In response to the second definition, Greenblatt argues that "[w]riting that was not engaged, that withheld judgments, that failed to connect the present with the past seemed worthless" (310). The past is to be linked to the present both analogically and causally, and this largely accounts for his fascination with Renaissance studies. As the third definition suggests, the eschewing of value judgments was accompanied by a veneration of the past that was presented in an



objective garb. According to Greenblatt, what was viewed as a flawed and unworthy work by one generation can be regarded as a "masterpiece" by another (311).

To hail Shaarawi's memoirs as "a masterpiece" is thus to give them their due. Based on the new historicist assumption that works of literature both influence and are influenced by historical reality, *Harem Years* may be rightly credited with articulating many cultural, gender, political and social issues of the writer's time. In this way, Shaarawi's memoirs become one of the many "histories" of the time, exemplifying Greenblatt's interest in "*petites histoires*", in contradistinction to a unitary history that assimilates all otherness into sameness (qtd. in Veenstra 179). That the text impacts historical reality can be discerned in Shaarawi's redefinition of a wide range of discourses: the rampant harem culture; women's marginalized status; growing nationalist sentiments; women's battle for liberation; gender inequality; patriarchal authority; fledgling feminist consciousness; societal norms and conventions; familial hierarchies; daily routines and events; marital laws and conventions, to name only some of the thematic issues around which her life revolves. Simultaneously, the text is informed by the plethora of transformations Egypt had already undergone by the time Shaarawi was born in 1879<sup>3</sup>. In short, studying history reveals more about the text; studying the text reveals more about history. The way in which power is deployed and manipulated in the patriarchal society of Shaarawi's day acquires greater significance in the light of the new historicist assumption that power relations are the fundamental units for analysis and interpretation (Murfin and Ray 240-41).

An understanding of the way Shaarawi's selfhood is forged may likewise be understood along the lines of Greenblatt's view of the conditions under which the fashioning of the self takes place: Firstly, a self is formed in submission to an absolute power; then secondly, in relation to any category that is branded as marginal or subversive. Ultimately, "[s]elf-fashioning takes place in a double relationship to authority on the one hand and to alterity on the other" (Veenstra 181-82). As Shaarawi charts her life story, it becomes obvious how she goes through the two stages: Firstly, submission to the authoritative discourses of harem life, society, family, and patriarchal authority. Secondly, an alignment with deviant voices; one that establishes her as a potent voice of the "marginalia", the term Greenblatt employs to denote marginalized groups, individuals and phenomena that

defy attempts at integration into a totalizing structure (qtd. in Veenstra 188). In this regard, new historicism may be said to validate Shaarawi's memoirs as an active participant in the formation of history, thus reinstating "the central significance of marginality" (Greenblatt qtd. in Veenstra 192). In so becoming, they transcend the status of a literary text or a personal chronicle to actively contribute to the historical processes at work. This serves as a specimen of how a literary text becomes directly involved in the formation of history. From a new historicist perspective,

[t]he literary text is a time- and place-bound verbal construction that is always in one way or another political .... As a consequence ... literature does not simply reflect relations of power, but actively participates in the consolidation and/or construction of discourses and ideologies ... not only at the individual level - that of the subject - but also on the level of the group or even that of the national state. (Bertens 177)

Though recounted in the first person and concerned with her own life, Shaarawi's account brings to light important anecdotes that actively contribute to "the consolidation and/or construction of discourses and ideologies". Based on the new historicist rejection of the separation of artistic works from their creators (Wayne 793), *Harem Years* becomes a mirror that reflects Shaarawi's own personal life, and how it is pitted against her milieu. This is apparent at the onset of the memoirs when Shaarawi, explaining her Turco-Circassian lineage, moves back in time to recall the visit of her maternal grandmother who came every year or two from Turkey. A unilateral historical account based primarily on recorded facts and precluding human agency, as well as the voice of the "marginalia", would refer to the fighting that broke out between the Caucasus and Czarist Russia in the 1860s as merely an invasion of the Caucasus by the Russian Empire, consisting of a series of military actions waged by Russia against territories and tribal groups in Caucasia, and eventually resulting in the annexation of the areas of the North Caucasus to Russia and the ethnic cleansing of Circassians. From this perspective, the Russian-Circassian War becomes an impersonal experience, bringing victory to one side at the expense of the suffering of another. On the other hand, recounting personal anecdotes broadens the contours of history, thereby offering a key to understanding the human experience of war, and therefore the war itself, which lies less in the details of the battles than in the realities of life of those who took



part in the conflict, or even heard about it through personal narratives. The valiance of the Circassians in defending Russia; the grandfather's captivity and the allegations about his treachery; the seizure of his son; the bravery of Huriyya, the grandfather's niece; the killing of the grandfather; the falsity of the alleged betrayal; his burial; the departure of the grandmother to Istanbul; the arduous journey they embarked upon; the abduction of the aunt; the sending of her mother to Egypt to be raised under the care of her maternal uncle; the refusal of his wife to receive her; her staying with a Ragheb Bey's family; her guardian's marrying her off to Sultan Pasha; the reunion of the family after investigations about their whereabouts - all these personal anecdotes exemplify the new historicist commitment to "the value of the single voice, the isolated scandal, the idiosyncratic vision, [and] the transient sketch" (Gallagher and Greenblatt 16). Reading Shaarawi's account of her mother's lineage from the lens of new historicism thus adds a new dimension to the Russian-Circassian War. Moreover, history here is no longer a linear chronicle of facts and events, nor is it a mere background for literature. Rather, it is a social science; a complex rendering of human reality, focusing on ideas of social organization, prejudices, ethnicity, inequities, among many others.

In as much as the same way, Shaarawi's stories about her father's public achievements serve the new historicist aim to foreground "the singular, the specific, and the individual" (Gallagher and Greenblatt 6). "My father played an important role in the political life of Egypt and rendered noble services during his long public career", she states (27). In so proclaiming, Shaarawi may be said to voice the new historicist rejection of the distinction between "literary foreground" and "political background" since her "literary" text unearths many aspects of the "political" background against which it is poised (Young 263). By the same token, her account is given credibility by being embedded in the political furor of her day. Her failure to find historical records to document his involvement in the political life of Egypt at the time, and her reliance instead on the stories narrated to her by one of her father's contemporaries, Qallini Pasha Fahmi, is validated by the new historicist assumption that history cannot be solely derived from monologically authoritative documents. The new historicist questioning of whether the truth can ever be objectively verified or not lends credence to the voice of her father's acquaintance since "the goal should never be to reduce the variety of human adaptations to a single triumphant form or to rank

the cultures of the earth as if they were all competing for the same prize" (Gallagher and Greenblatt 6).

As Shaarawi's account unfolds, important historical figures, events, practices and anecdotes are highlighted, exemplifying the new historicist tendency to "reconceive history on the model of literature" (Cantour). It is to be noted that literature, from the standpoint of new historicism, is not confined to canonical works and classical texts, but rather have them contested, not only with works judged as minor, but also with those that are not literary in the first place. Texts that have hitherto been denigrated or ignored are accordingly treated as major achievements. Not only do the newly recovered works assume importance, but they also change the status of authors and texts long treated as canonical. The new importance accorded to non-canonical discourses, whether oral or written, is explained by Gallagher and Greenblatt as follows:

Major works of art remain centrally important but they are jostled now by an array of other texts and images. Some of these alternative objects of attention are literary works regarded as too minor to deserve sustained interest and hence marginalized or excluded entirely from the canon. Others are texts that have been regarded as altogether nonliterary, that is, lacking the aesthetic polish, the self-conscious use of rhetorical figures, the aura of distance from the everyday world, the marked status as fiction that separately or together characterize belles lettres. (9)

What ultimately results is a broader perception of history that resists a totalizing vision; one that allows catapulting Shaarawi's once unheeded voice from the background to the foreground.

An example of the new historicist rejection of an overarching totality can be discerned in the conflicting perceptions of the Urabi Revolt. "For the Europeans, the Egyptian revolution of 1882 and British intervention formed a starting-point for the controversy about economic imperialism .... For Egyptians, however, the Revolution has been a matter of continuing debate in the conception of their national evolution" (Cole 18-19). While an early nationalist movement viewed Urabi as having dictatorial tendencies, but praised the Revolution as having had some constitutionalist ideas, another socialist approach presents the Revolution as a nationwide revolt on the part of the intellectuals and landowners. Equally valid is a view that sees the revolt



as a movement dominated by the petty bourgeois officers, often in alliance with the peasantry while the agricultural bourgeoisie allied itself with the Khedive and the Europeans (19-20). As far as Shaarawi is concerned, the Revolution is laden with very personal recollections, which, in keeping with Greenblatt's refutation of "homogenization", are accountable contributors to the ongoing historical processes ("Resonance" 313). Not only does Shaarawi incorporate the personal with the national, but she even employs her memoirs as a vehicle for clearing her father's name of having collaborated with the British, thereby facilitating their entry into Egypt. An appendix to her memoirs is entirely devoted to her defense. From the standpoint of new historicism, Shaarawi's defensive voice, antithetical as it is to the voices that incriminate her father, becomes part of the process of negotiation and exchange that makes up history. Along the lines of Greenblatt's consensus that "cultural artifacts do not stay still, that they exist in time, and that they are bound up with personal and institutional conflict, negotiations and appropriations" (306), her father's alleged alliance with the British is likely to be contested and refuted. This also enables her to take issue with what she has read in Urabi's memoirs, which she dismisses in the appendix as "distorted" (148). By the same token, Shaarawi's memoirs themselves may be at some point disparaged as "distorted" or erroneous. To lend credence to her defense, she turns to the testimony of Qallini Fahmi Pasha who had first-hand experience with this furor. Quoting Fahmi's defense opens up new venues for multiple voices to chart the ongoing historical process.

In the second part of her memoirs, Shaarawi focuses on the timeframe between 1884 and 1892 which coincides with her childhood years in the harem, a hallmark of nineteenth-century Egypt which mandated the seclusion of upper- and middle-class women to certain areas of the household. It also necessitated veiling in the presence of all males except the father, brother, uncle, or grandfather; that is, men with whom marriage was not allowed. In *Feminists, Islam and Nation: Gender and the Making of Modern Egypt*, Badran gives a succinct account of this system:

The Arabic word *harim* (from which the English-language loan word *harem* derives) applied both to women and to the women's quarters of the house. Neither domestic confinement nor veiling the face was ordained by Islam, although both had been imposed on women in the name of religion. These practices were also enforced because of



deeply held sexual and moral beliefs .... Domestic seclusion and veiling in Egypt were not practiced solely by Muslims but by Jews and Christians as well. (5)

Against this backdrop, women were perceived as essentially, or exclusively, sexual beings. Based on the supposition that women were endowed with a more potent sexual drive than men, they were viewed as posing a threat to society because of the *fitna* they could induce. Since women's sexual purity was linked to the family, restricting women to their homes was deemed necessary to the preservation of their purity and with it the honour of their men and families. A staple feature of the architecture of the time was the way it attended to the strict demarcation between men and women. Moreover, eunuchs, castrated male slaves, guarded women and children if they stepped outside the harem and took their orders only from the master of the house. In fact, eunuchs were allotted considerable authority over women, to the extent of exercising control over their expenditures (5). It was only when modernization and secularization gained momentum that this system began to loosen its grip on the Egyptian society. In the last decades of the nineteenth century, male tutors had been brought into upper-class Egyptian households to instruct women in Arabic, Persian and Turkish. Nineteenth-century Egypt saw the rise of the modern state, expanding capitalism, secularization, technological innovation, and urbanization. In 1925 the Egyptian government opened the first institution offering a secondary education for girls. These new educational opportunities challenged traditional gender relations and led to the emergence of a new libertarian consciousness. Women began to publish articles in national journals, and soon a feminist press emerged, taking up issues pertaining to feminism, religion, and nationalism. These factors, modifying the lives of Egyptians across lines of class and gender, chipped away at the harem culture. Gradually, the harem system and the face veil began to disappear until they became extinct (Badran, *Feminists* 6; Chatterjee et al. 280).

As far as Shaarawi's memoirs are concerned, the importance of this period lies not only in its being a formative stage in her own life, but also because of the way it demystifies the perceptions of women, family life, veiling, and harem seclusion, among many other practices of the time. Examining the harem system solely from the perspective of gender is likely to sever it from its cultural context. Such a unitary approach is what Greenblatt dismisses as being "monological"; that is, it

is concerned with discovering "a single vision, usually identical to that said to be held by the entire literate class or indeed the entire population" ("Power" 2253). On the other hand, as a mode of cultural poetics, new historicism would attend to the discursive beliefs, practices and social structures of the harem system, thus revealing its multidimensional nature. In its essence, this system is about "women and men, society, and politics in a particular culture, not women, sexualized life, and seclusion" (El Guindi 36). Much can be culled from Shaarawi's account:

Her description of her life in the *harim* reveals an atmosphere of large household management, marital alliances, life and death events, and involvement in national politics, rather than a locus of sexual orgies .... Much useful information can be discerned from Sha'rawi's description of the *harim* that was her home before and after marriage. (26)

When brought to bear on Shaarawi's account of the harem system, new historicism becomes a means of redressing many misconceptions about it, as Gallagher and Greenblatt explain: "Against the determinism that attempts to insist that certain things in a given period were beyond conception and articulation, new historicism invokes the vastness of the textual archive, and with that vastness an aesthetic appreciation of the individual instance" (16).

The harem where Shaarawi was raised included her mother, alongside her father's wife, Hasiba, or *Umm Kabira*, as it was common for upper-class Egyptian men to have both a wife and concubines, or second wives (Badran *Feminists* 32; "Introduction" 16-17). No sooner does Shaarawi begin her account of her childhood than she foregrounds issues pertaining to marriage laws and polygamy, thereby emphasizing the new historicist view of literature as playing a major role in the creation and consolidation of power relations, and accordingly contributing to the constitution of culture, and thus of history (Bertens 185). From an early age, Shaarawi gained awareness of gender inequities, both in her own household and in society at large. Despite her initial acquiescence to the patriarchal culture of her class, she was deeply distraught, even as a child, by the privileged status accorded to her brother and how he was doted on by their mother; a frustration that made her go as far as questioning her own identity as a daughter:



I used to imagine that I was not my mother's daughter- that my real mother was a slave girl who had died, and the truth was being withheld from me. Firmly convinced of this, I suffered all the more. I could keep everything suppressed until nightfall but as soon as I laid my head on the pillow, I was overcome by anxieties and frightening thoughts moved me to tears .... I dreamed often that huge beasts were pouncing on me, baring their fangs in my face, and that when I sought refuge with my mother I would find that she had taken my brother in her arms and turned her back on me. 'I am not your child!' I would scream, 'You have lied to me! Tell me the truth! I am not your child! I am not your child!'. (34-35)

In her attempt to find an explanation for the superiority of her brother, she came to realize the implications of being born a woman in a restrictively patriarchal society:

I once asked *Umm Kabirah* why everyone paid more attention to my brother than to me. 'Haven't you understood yet?' she asked gently. When I claimed that as the elder I should receive more attention she replied, 'But you are a girl and he is a boy. One day the support of the family will fall upon him. When you marry you will leave the house and honor your husband's name but he will perpetuate the name of his father and take over his house'. (36)

The binary opposition boy/girl came as a moment of epiphany for Shaarawy, opening her eyes to her disadvantaged position. As much as it has grieved and distressed her, her negligible position wielded a positive impact on her, providing her with the impetus to carve out a more rewarding place for herself in her household, and, by implication, in society. Moreover, she capitalized on having a male sibling by sharing his various lessons when his tutors came over to the harem. "I was devoted to my studies and became completely absorbed at lesson time", she states (39). Her precocious thirst for knowledge and her keenness on learning were satiated within the contours of the harem. She studied Quranic Arabic, Turkish and calligraphy, in addition to French, which was then replacing Turkish among the elites in Egypt. Her French teacher, who was originally Italian, also taught her to play the piano, a pastime then becoming fashionable for upper-class girls. Arts, languages, and knowledge in general infiltrated into the harem, thereby refuting the oft-recurring perception of it as "a locus of women's oppression and licentiousness" (El Guindi 34). Although the



system itself was predicated on female domestic seclusion and other stringent forms of patriarchal authority, there was scope for liberation and self-definition, provided that the secluded woman herself was invested with stamina and strength of will as was the case with Shaarawi. In "The Work of Gender in the Discourse of Discovery", Montrose states how gender and its representations participate in "a multivalent ideological process that perpetually generates, contains and contests cultural meanings and values", thereby preventing history from calcifying into a stagnant unitary whole (qtd. in Lennox 162). By the same token, Shaarwi's awareness of those inequities came as an emancipatory force, engaging her in an ongoing "multivalent ideological process". This is evident in her words: "I became depressed and began to neglect my studies, hating being a girl because it kept me from the education I sought" (34). In many ways, this feeling of "hating" may be viewed as the spark that ignited her lifelong battle to assert the equity of women, as can be discerned in her words: "I observed how women without learning would tremble with embarrassment and fright if called upon to speak a few words to a man from behind a screen ... [This] convinced me that, with learning, women could be the equals of men if not surpass them" (34-35). Her aim was primarily to "change, rather than replace, the old authoritative order into a system based on equity and independence" (Quawas). Imbued with a spirit of rebellion, she departed from prescribed models and indulged her lively curiosity and active mind by reading voraciously. She started buying books from the peddlers who came to the house, in addition to taking books from her late father's bookcase.

While recognizing the importance of her education and self-development, Shaarawi also clearly stresses the broader cultural aspect of life by delineating many of the then prevalent routines, events, feasts and social customs. One fruitful approach to her memoirs is to view them in terms of Greenblatt's view of "the work of art [as] the product of a negotiation between a creator or class of creators, equipped with a complex, communally shared repertoire of conventions, and the institutions and practices of society" (qtd. in Bertens 176). Chief among "the institutions and practices of society" that *Harem Years* abounds with are: venues of outings and excursions; the practice of exchanging visits and receiving family friends; the tradition of keeping slaves at the household; the phenomenon of women peddlers; celebrating different feasts, each with its own costumes, treats and ritual foods; the integrated

presence of foreign communities; the convention of having a legal guardian to run the affairs of the family after the master is deceased; the different social strata of society; social and familial hierarchies; and, above all, the harem culture itself. Shaarawi's memoirs also reveal the following: in the late nineteenth and early twentieth centuries, women, unlike their male counterparts, were prohibited from stepping into a wide range of public spaces; domesticity was the staple feature of women's lives; formal education and intellectual endeavours were discouraged; and domestic activities including cooking, cleaning, decorating, and childrearing, were deemed the only available undertakings for women. As the narrative unfolds, more phenomena of the time are brought to light. To name only a few of them are the following: women of Shaarawi's class were educated at home at the hands of tutors; the choice of a tutor was largely determined by his age since he had to be admitted into the harem; eunuchs played an active part in running the household; women's outings were strictly regimented and had to be monitored by one of the eunuchs and maids; restrictive societal conventions were enforced on women as if they were sacred laws; violating societal codes was met with punitive measures; and women's expenditures were under strict supervision. Though all these practices and phenomena are based on Shaarawi's own experience, they move beyond her personal life to achieve the new historicist aim of articulating a cultural identity. The shift from the personal to the wider cultural context unearths many aspects of life at the time, thus rendering Shaarawi "a chronicler of an epoch" (Quawas).

Of all Shaarawi's retrospective stories, her betrothal to her cousin shows how discourses on gender are "implicated in the construction and conception of power itself" (Montrose qtd. in Lennox 162). Though seemingly a personal anecdote, its larger implications may be best understood in terms of the new historicist aim to highlight the ways in which power is enforced, rendering literary texts a space where power relations are made visible (Bertens 179). This is clearly shown in her feelings about her marriage:

I was deeply troubled by the idea of marrying my cousin whom I had always regarded as a father or older brother deserving my fear and respect (as I had been previously made to understand). I grew more upset when I thought of his wife and three daughters who were all older than me, who used to tease me saying, 'Good-day, stepmother!' When my brother and I were small and our guardian-cousin called on us, I did



not find him gentle. He was especially abrupt and curt with me, but treated my brother better. All of this alienated me from him. (55)

Her reaction to her betrothal becomes more meaningful when viewed in terms of Greenblatt's assertion that "[e]very form of behavior ... is a strategy: taking up arms or taking flight is a significant social action, but so is staying put, minding one's business, turning one's face to the wall" ("Resonance" 308). In this regard, Shaarawi's acquiescence to the marriage, and her utter helplessness before her mother's arrangements as can be evinced in her words "Do as you please" (55), are not to be misconstrued as acts of passiveness; rather, her attitude may be viewed as a cultural expression that lays the groundwork for her lifelong concern to transform women from silent objects to speaking subjects. Her endeavour to forge her identity evolves into an attempt at creating a new Egyptian national identity that counters the invisibility of women. In examining this historical era, new historicism would shift the traditional focus on political and social determinants towards an examination of the effacement of women's experiences by the then prevalent hegemonic discourses. The act of covering her face on the wedding day is symbolic of this effacement:

A woman came and lowered a veil of silver thread over my head like a mask concealing the face of a condemned person approaching execution. At that moment, the bridegroom entered the room. After praying two *rakaas* ... he came to me, lifting the veil from my face, kissed me on the forehead. He led me by the hand to the bridal throne and took his place beside me. All the while, I was trembling like a branch in a storm. The groom addressed a few words to me but I understood nothing. When the customary goblets of red sorbet were offered, I was unable to taste the ritual drink. Finally, my new husband took me by the hand. In my daze I knew not where I was being led. (57)

From Shaarawi's account of her wedding rituals, it is obvious how reluctant she was to be coerced into such a union. In terms of new historicism, viewing history in conjunction with such mundane practices becomes a way of "de-idealizing it", thus bringing to the fore what has been thought of as marginal and insignificant (Leitch et al. 2250). As presented in her memoirs, marriage becomes one of the channels through which power operates, which include "not just direct coercion and governmental action but also, crucially, daily routines and language" – all of which are areas of interest to new historicists (2250).



The way she leaves every gesture to be decided by others echoes Greenblatt's postulation that "inaction or extreme marginality is understood to possess meaning" ("Resonance" 308). In this context, her "inaction" may be said to reflect her constrictively gendered world and the way it seeks to suppress her voice. The new historicist attempt to rewrite history in order to champion the marginal and the outcast becomes a most empowering conduit.

Along similar lines, the new historicist postulation that reading about personal anecdotes enables minor cultural acts to widen out into larger contexts (Gallagher and Greenblatt 26), is nowhere more fully expressed than in the way Shaarawi's experience with marriage addresses many contested issues of the 1920s; notably, women's restricted spheres of activity, authority, polygamy, and divorce, to name only a few. Power is also shown to be deployed on different levels: the familial, the social, the legislative, the religious and the cultural. Shaarawi's predicament is thus revelatory of not only her life within the harem system, but also of the public political realm. The new historicist emphasis on the inseparability of texts from the world in which they are produced is revealed in the way the memoirs abound with references to the social customs of the time. In no way is the text an autonomous aesthetic form sealed off from other kinds of cultural practices; rather, it is a social construct that "informs and sometimes even conditions the historical process" (Veenstra 180).

A seemingly personal episode in Shaarawi's life that yielded far-reaching consequences was discovering that her husband had returned to his former wife when she became pregnant. This came as a means of salvation to her, enabling her to be separated from him for seven years, having formerly written a paper committing himself to a monogamous union. Accordingly, she moved back to her paternal house and stayed there for seven years. In fact, she was right in her description of this period as putting an end to her "misery" (60), for this seven-year separation was a most decisive time that altered the course of her life, enabling her to resume her studies, enlarge her circle of friends and acquaintances, and develop a selfhood that would inspire others for generations to come. The course of life she undertook during her period of separation sheds light on her burgeoning feminist consciousness. During her separation, she exercised more control over her day-to-day life; resumed studying Arabic and French; indulged her love for music by attending concerts at the Khedival Opera House; and sojourned in

Alexandria wherein she enjoyed the sea, called on friends and made excursions to the newly founded modern department store. The importance of the personal nuances recounted by Shaarawi is once again revealed in the light of the new historicist emphasis on "the singular, the specific, and the individual", shifting attention to aspects of daily life, long unheeded by traditional historical accounts, though indispensable in charting history (Gallagher and Greenblatt 6). The rebuke she received from Zuhair Pasha, one of her late father's friends, reveals the inherent double standards underlying marriage. Deeming her behavior "not fitting for a daughter of Sultan Pasha", he reminded her that her husband had "the right to force [her] to return to him" and that her refusal was a "disgrace" (Shaarawi 64). While society condemned her for her behaviour, it legalized the right of the husband to live with his former slave who bore him a child every year. The new approach to culture adopted by new historicists is empowering in this regard, broadening the field of cultural interpretation to include groups that had hitherto been "marginalized, half hidden or even entirely excluded from the professional study of literature": "Women's studies, and the feminism that motivated its formation, has served as an important ... model for new historicism in that it has inspired its adherents to identify new objects for study, bring those objects into the light of critical attention, and insist upon their legitimate place in the curriculum" (Gallagher and Greenblatt 11). By recourse to new historicism, the cultural significance of women's voices becomes more pronounced.

The camaraderie that was forged between Shaarawi and a host of women mentors may be viewed as one specimen of the "new objects" to which "critical attention" has been shifted. Mme. Richards, Adila Nabarawi, and Atiyah Saqqaf are among those who played an important role in her life, each influencing her life in a different way<sup>4</sup>. Most important of all, an instant affection developed between Shaarawi and Eugénie Le Brun, a Frenchwoman many years her senior, who was married to Husayn Rushdi Pasha, a wealthy landowner and future prime minister. "Nourishing her mind and spirit", she took it upon herself to direct her reading in French and expand her learning (Shaarawi 78). In the 1890s, Le Brun hosted the first women's salon in Cairo to become a venue for debating issues pertaining to women, on top of which was veiling, in addition to child bearing and immorality. Providing a forum for other collective intellectual activities, including women's lectures and political discussions, women began to realize that while Islam



guaranteed women certain rights, they were denied to them by societal codes. For instance, they discovered that many so-called Islamic practices such as face-veiling, segregation and seclusion were not ordained by Islam, as they had been made to believe (Sheri 73-74). The books Le Brun authored were also of paramount importance in calling attention to many rampant inequities of the time<sup>5</sup>. While attending sessions at the Shariah Courts, Le Brun discovered how wives were victimized by their husbands and became intent on ameliorating their living conditions. "Such friendships, through shared intellectual interests, had become the light in Shaarawi's life" (Quawas).

Formative as these influences were in Shaarawi's life, a traditional historical approach would gloss over them, deeming them too insignificant a subject matter for historical analysis; a stance that Greenblatt would denigrate as an "exclusion of human agency" ("Resonance" 308). Furthermore, "[w]hen modern historians write about individual lives or small events, they usually stress their broad historical significance or generalizable typicality. Such people and events usually come into view historically only at a distance from the trivialities and intricacies of daily life" (Gallagher and Greenblatt 49). In Shaarawi's case, the ties she had forged with her female companions would be sidestepped, focusing instead on broader societal and political issues. New historicists, on the other hand, would invoke history through anecdotes of the like, counterpoising them against "more ambitiously comprehensive historical narratives" (Greaney 123). Focusing on grand narratives, "those big words that say everything and nothing about the changes being wrought in the world", fails to make sense of history (123)<sup>6</sup>. Along the lines of new historicism, "the more one concentrates on the ordinary and hence average practices of a time period, the more one is free to move around within the period and generalize about things like ... the mode of thought or way of life" (Cantor). Thus, it is only when the personal anecdotes are taken into account that an impartial rendition of history becomes attainable. The new historicist focus on the anecdote and the way it "offer[s] access to the everyday, the place where things are actually done, the sphere of practice that even in its most awkward and inept articulations make a claim on the truth", offers new insights into Shaarawi's personal details (Gallagher and Greenblatt 48). Reconciling with her husband in 1900; giving birth to a daughter, then to a son; devoting herself to maternal duties in the ensuing years; travelling to France with her husband, then



to Turkey with her mother; the loss of her mother then her brother - all these personal details become laden with a cultural valence, or more accurately a "social energy" (Greenblatt qtd. in Veenstra 187). From a new historicist stance, virtually all details, even those seemingly idiosyncratic or marginal ones, can be made to represent larger wholes. As Shaarawi "develops a feminist social critique from her own experience and then generalizes from her own experience to a public statement of feminism", clues to broader historical contexts are made available (Quawas).

An even more decisive personal episode in Shaarawi's life that had far-reaching consequences on her, her contemporaries and even on posterity is her meeting with Marguerite Clement who had come from France on a tour of several eastern countries sponsored by the Carnegie Endowment. A seemingly minor episode like her being Shaarawi's guest at the Opera House during her visit may be rightly acclaimed as the spark that ignited the women's movement in Egypt, for it was during this outing that Mlle. Clement inquired if Egyptian women were in the habit of giving and attending public lectures. "We were not", was Shaarawi's reply, "but [she] invited her to give one", thereby heralding a series of public lectures for women (Shaarawi 93). Taking to organizing such lectures became Shaarawi's prime concern; a groundbreaking enterprise that revolutionized Egyptian women's lives. Proving to be a great success, a host of Egyptian women, who had acquired a measure of education, exhibited interest in giving more lectures, in addition to their tireless contribution to the women's section created at the Egyptian University. The importance of similar undertakings becomes more pronounced in terms of the new historicist endeavour to "effect a social rebellion in the study of culture", the result of which is that "figures hitherto kept outside the proper circles of interest ... have now forced their way" (Gallagher and Greenblatt 9-10). Shaarawi's proclamation that "Egyptian women began to speak" may be said to capture the kernel of this "social rebellion" (93).

This act of "speaking" is rendered more significant along the lines of new historicism and the way it attends to the marginalized, the occluded and the peripheral, as succinctly summed up in Greenblatt's emphasis on "the central significance of marginality" (qtd. in Veenstra 192). As Shaarawi made headway onto her lifelong devotion to the rights and claims of women in Egypt, as well as to social and political reform, she rallied more voluble "speaking" women whose



contributions heightened the role of "marginality" in the construction of history. In this respect, Shaarawi's refusal to attend the reception held in memory of the late Lady Cromer transcends being a personal rebuff on patriotic grounds, to become an eye-opener to the political and social backdrop against which her life is pitted. The pervasive presence of the British in Egypt; the establishment of the Foundling Home in memory of the late Lady Cromer; the formation of the Lady Cromer Society by British and European women as a dispensary for poor mothers and children; women's burgeoning but discreet public activism; the germs of an organized feminist movement; the gradual infiltration of women into the public arena; the launching of Mubarrat Muhammad Ali, a women's social service organization and dispensary - are all indispensable phenomena that, by recourse to a new historicist approach, become invested with a broader cultural significance.

Shaarawi's foundation of The Intellectual Association of Egyptian Women in 1914, which worked to improve women's intellectual and social lives, was another manifestation of a visible change in gender consciousness. In terms of Greenblatt's model, this single episode reflects a dense web of changes since any change is connected with a host of others, progressive or regressive (Murfin and Ray 243). Travelling to Europe with her son for treatment on the eve of the First World War was another momentous experience that later had its bearing on ameliorating the then marginalized status of Egyptian women, and also on paving the way for the role they played in Egypt's fight for political independence. Attending public speeches in general and meetings for women agitating for peace and the right to vote in particular; being exposed to the western turn of mind; having first-hand experience with the tumultuous state of affairs in Europe right before the outbreak of the war- all these seemingly personal episodes proved to be the catalyst for Shaarawi's ensuing involvement in the Nationalist Movement in Egypt, as well as for her commitment to the women's cause. Even her bereavement over shattering personal events, such as the passing away of her mother, subsequently her sister, and, most devastatingly, her brother, becomes laden with historical value, contextualized as it is in a time of political and social upheavals. By the same token, her account of the rupture between her and her husband, which was about to lead to their separation, is suffused with her delineation of the Egyptian Nationalist Movement, as is palpable in her



words: "The Egyptian Nationalist Movement brought my husband and me closer to one another" (111).

The Epilogue of *Harem Years* is particularly notable in this regard since it charts the time frame from 1919 to 1924, when Egyptians, men and women alike, battled for national liberation. In 1919 the Egyptians founded the Wafd Party, aiming at gaining independence, with Shaarawi's husband becoming a leader. As far as the status of Egyptian women was concerned, this was also the decisive time that heralded women's organized struggle for their liberation. In this context, Shaarawi's memoirs rightly establish her as a chronicler of both the Egyptian Nationalist Movement and the women's movement, thereby attesting to the way gender issues are reciprocally integrated with multiple and shifting social, political and economic changes. Not only do her memoirs become a valid conduit for revealing the configurations of power, society and ideology of her time, but they also contest the value of established canonical works that are often antithetical to the inclusion of hitherto "marginalized, half hidden or even entirely excluded" groups (Gallagher and Greenblatt 11). While a traditional historical approach would primarily focus on issues appertaining to colonialism, nationalism, identity and sovereignty, and would touch on women's militancy only during the time when nationalist men welcomed their support in the nationalist struggle, a new historicist "practice", the term preferred by Greenblatt, will view the rhetoric of women's liberation as being caught up in a web of changing and contesting values. The effacement of women's experiences by hegemonic discourses is accordingly redressed by the way new historicists make a strong plea for the textuality of history. Moreover, since the new historicist paradigm rejects separating texts into canonical and non-canonical categories, and seeks instead to explore the connection between artistic and non-artistic texts, *Harem Years* may be rightly read as a reliable document of historical discourse, inexorably related to both its author and its context.

More thoroughgoing insights into this significant moment are reflected in Shaarawi's memoirs as she recounts her contribution to the fight for national liberation. In 1919, she organized one of the largest protests of the revolution, "The March of Veiled Women", to denounce the repressive acts and intimidation practiced by the British. Blatantly defying the constrictive codes of the harem culture, she urged the women of Cairo to take to the streets. Her detailed account of the course



they undertook not only testifies to their militancy, but also sheds light on this decisive moment in the history of Egypt. By 1920 the first political organization for Egyptian women, the Wafdist Women's Central Committee (WWCC) was formed, of which Shaarawi was made president. The championing of women's previously unheeded voices resonates in Shaarawi's words: "My husband kept me informed of events so that I could fill the vacuum if he were imprisoned or exiled" (116). The new historicist consensus of how "[t]exts ... shed their singular categorical identities, their division into 'literary' and 'historical'" (Gallagher and Greenblatt 52), is palpable in the way Shaarawi's memoirs act as an eye-opener to the changing power relations of the time. In 1922, Shaarawi held a mass meeting for women at her house, eventually resolving to launch a boycott against the British. After independence was achieved in Egypt, nationalist men blatantly disregarded women's liberation. Much to their dismay, the new constitution turned out to be inimical to women's libertarian agenda since they were not granted suffrage. Feeling betrayed by the Wafd, which had agreed to grant women the vote, Shaarawi retaliated by forming the Egyptian Feminist Union (EFU) in 1923, primarily concerned with attaining political, social, and legal equality for women. Raising marriage age, women's suffrage, the restriction of polygamy, stricter divorce laws for men, expanding the access of girls and women to education, running a dispensary for women and children were also among the EFU's priorities (Badran 96). In May 1923, Shaarawi travelled to Rome to attend a conference of the International Alliance of Women. It was upon her return that she removed her face veil in public for the first time, a symbolic act of liberation that "signalled the end of the harem system in Egypt" (Sullivan and Abed-Kotob 103). After Egypt gained nominal independence from Britain in 1922, she proceeded with her fight for women's rights. Not only did she lead Egyptian women protests at the opening of Parliament in January 1924, but she also submitted a list of nationalist and feminist grievances. Ignored as they were by the Wafdist government, she resigned from the WWCC, but continued to lead the Egyptian Feminist Union until her death, publishing the feminist magazine *l'Égyptienne (al-Misriyya)*, and representing Egypt at international women's conferences. She played a leading role in 1944 in convening the first Arab Feminist Conference, and in 1945 in forming the Arab Feminist Union. She also proposed internationalizing the Suez Canal and abolishing nuclear weapons. In

1945, two years before her death at the age of sixty-eight, she received the highest decoration from the Egyptian state, the *Nishan al Kamal*, for services rendered to the country (Goldschmidt 191; Shaarawi 117-34; Sullivan and Abed-Kotob 103-105)

To conclude, more than merely being an autobiographical document that charts Shaarawi's life story and delineates her progress towards an articulation of a feminist consciousness, *Harem Years* becomes a pulpit that "exposes" an instrumental period in the history of Egypt and the feminist movement (Gallagher and Greenblatt 49). Enmeshing the personal with the political, the historical with the literary, the peripheral with the central, and the past with the present, Shaarawi's memoirs may be said to enact the new historicist aim to simultaneously grasp "the historicity of texts and the textuality of history".

When brought to bear on Shaarawi's account, the new historicist endeavour to recover lost histories and explore mechanisms of repression and subjugation adds new insights into the character of both the author and her milieu. Concerned as it is with both the margins and the center, a new historicist approach would catapult Shaarawi's voice to the foreground to examine "not only what stories were occluded, but also how they have been concealed from view in order to facilitate the elaboration of a closed system" (Gallagher and Greenblatt 49). Shaarawi, in this context, becomes a specimen of the new historicist emphasis on human agency; one who acts according to the rules and conflicts of a given culture; is fashioned and conditioned by the expectations of his/her class, gender, religion, race and national identity; and is constantly bringing about changes in the course of history. While a traditional historical approach would examine the "closed system" as the one and only viable source of authority, showing how the text objectively reflected its underlying beliefs and value judgments, a new historicist reading, by contrast, subjectively filters interpretation of the very same system from Shaarawi's own set of historically conditioned viewpoints. Rather than reflecting the system, Shaarawi's memoirs resist many of its assumptions, to become only one of many histories that constitute the social and political makeup of Egypt. If one is to describe the text-history dyad and how they mutually influence one another, one can find no better way than in the new historicist thrust towards referentiality; how literature both refers and is referred to by other historical determinants outside its own aesthetic boundaries.



Finally, if Shaarawi's autobiographical narrative brings to light an amalgam of disparate episodes, it is further imbued with new dimensions when examined along the lines of the new historicist attempt to change the ways in which we approach literary texts and their meanings by probing into the relationship between literature and social, cultural, political and sexual powers. As a result, in addition to its being *The Memoirs of an Egyptian Feminist, Harem Years* aptly becomes a chronicle of an Egyptian history.



## **Works Cited**

Works Cited

## Works Cited

### Primary Sources:

Shaarawi, Huda. *Harem Years: The Memoirs of an Egyptian Feminist (1879-1924)*. Trans. Margot Badran. Cairo: The American University in Cairo Press, 1998. Print.

### Secondary Sources:

Badran, Margot. *Feminists, Islam and Nation: Gender and the Making of Modern Egypt*. Princeton: Princeton UP, 1995. Print.

---. Introduction. *Harem Years: The Memoirs of an Egyptian Feminist (1879-1924)*. By Huda Shaarawi. Trans. Margot Badran. Cairo: The American University in Cairo Press, 1998. 7-22. Print.

---. Preface. *Harem Years: The Memoirs of an Egyptian Feminist (1879-1924)*. By Huda Shaarawi. Trans. Margot Badran. Cairo: The American University in Cairo Press, 1998. 1-6. Print.

Bertens, Hans. *Literary Theory: The Basics*. London: Routledge, 200. Print.

Cantor, Paul A. "Stephen Greenblatt's New Historicist Vision." *Academic Questions* 6.4 (1993): 21+. *Questia*. Web. 17 Oct. 2012.

Chatterjee et al. *The 20th Century: A Retrospective*. Boulder: Westview Press, 2002. Print.

Cole, Juan R. I. *Colonialism and Revolution in the Middle East: Social and Cultural Origins of Egypt's 'Urabi Movement*. Princeton, NJ: Princeton UP, 1993. Print.

Coyle, Martin, et al., eds. *Encyclopedia of Literature and Criticism*. London: Routledge, 1990. Print.

El Guindi, Fadwa. *Veil: Modesty, Privacy and Resistance*. New York: Berg, 1999. Print.

Gallagher, Catherine, and Stephen Greenblatt. *Practicing New Historicism*. Chicago and London: Chicago UP, 2000. Print.

Greaney, Michael. *Conrad, Language, and Narrative*. Cambridge: Cambridge UP, 2001. Print.

Greenblatt, Stephen. "The Power of Forms in the English



Renaissance". Eds. Vincent B. Leitch et al. *The Norton Anthology of Theory and Criticism*. New York: Norton, 2001. 2251-54. Print.

"Resonance and Wonder." *Modern Literary Theory: A Reader*. Eds. Philip Rice and Patricia Waugh. 4<sup>th</sup> ed. London: Arnold, 2001. 305-24. Print.

Goldschmidt, Arthur. *Biographical Dictionary of Modern Egypt*. Boulder: L. Reinner, 1999. Print.

Hamilton, Paul. *Historicism*. 2<sup>nd</sup> ed. London: Routledge, 2003. Print.

Leitch, Vincent B. et al., eds. *The Norton Anthology of Theory and Criticism*. New York: Norton, 2001. Print.

Lennox, Sara. "Feminism and New Historicism". *New Historicism*. 84.2 (1992): 159-70. *Monatshefte*. Web. 5 Aug. 2013.

Murfin, Ross, and Suparia M. Ray. *The Bedford Glossary of Critical and Literary Terms*. Boston: Bedford, 1997. Print.

Quawas , Rula B. " 'A Sea Captain in Her Own Right': Navigating the Feminist Thought of Huda Shaarawi." *Journal of International Women's Studies*. 8.1 (2006): 219 + *Questia*. Web. 12 Dec. 2012.

Rice, Philip, and Patricia Waugh, eds. *Modern Literary Theory: A Reader*. 4<sup>th</sup> ed. London: Arnold, 2001. Print.

Sheri, Bahira. "Multiple Perspectives on Women's Rights." *Women's Rights: A Global View*. Ed. Lynn Walter. Westport, CT: Greenwood, 2000. 71-85. Print.

Sullivan, Denis J., and Sana Abed-Kotob. *Islam in Contemporary Egypt: Civil Society vs. the State*. Boulder, CO: Lynne Rienner, 1999. Print.

Veenstra, Jan R. "The New Historicism of Stephen Greenblatt: On Poetics of Culture and the Interpretation of Shakespeare." *History and Theory*. 34.3 (1995): 174-98. *Questia*. Web. 16 Oct. 2012.

Walter, Lynn, ed. *Women's Rights: A Global View*. Westport, CT: Greenwood, 2000. Print.

Wayne, Don E. "New Historicism." *Encyclopedia of Literature and Criticism*. Eds. Martin Coyle et al. London: Routledge, 1990. 791-805. Print.

Young, R. V. "Stephen Greenblatt: The Critic As Anecdotalist." *Modern Age* 51.3/4 (2009): 262-271. *Academic Search Complete*. Web. 30 Aug. 2012.

المجلة تصدر عن كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر. وهي من المجلات العلمية المحكمة التي تهتم بالدراسات والبحوث في مختلف المجالات الأدبية واللغوية.

المجلة تأسست في عام 1975م، وهي تصدر دورياً. وهي من المجلات العلمية المحكمة التي تهتم بالدراسات والبحوث في مختلف المجالات الأدبية واللغوية.



Notes:

<sup>1</sup> In her Preface to the book, Margot Badran tells how she came to find Huda Shaarawi's memoirs twenty years after her death. While studying in Egypt and doing research on the feminist movement and its leader, she met Hawa Idris, Huda Shaarawi's cousin, who spent long hours with her discussing the life of such an iconic figure, eventually introducing her to the memoirs, written as they were in Arabic under the title *Mudhakirati*.

<sup>2</sup> Generally speaking, new historicism is influenced by Michel Bakhtin, Louis Althusser, Hayden White, Hans-Georg Gadamer, Raymond Williams, Clifford Geertz and Michel Foucault.

<sup>3</sup> By the time Huda Shaarawi was born in 1879, Egypt had already undergone a series of transformations. Early in the century, Egypt won de facto independence from the Ottoman Empire when Muhammad Ali implemented a plan to modernize Egypt. By the 1860s and 1870s, modern transformation accelerated under the rule of Khedive Ismail, culminating in the opening of the Suez Canal in 1869. Architectural forms catering to female isolation also began to disappear. The Opera House built to celebrate the opening of the Suez Canal in 1869 provided new entertainment for upper-class women. Screened loges reached by a private staircase were installed for women. A pioneer in the 1880s was Princess Nazli Fazil, niece of the deposed Khedive Ismail, who broke ground as the first woman to open a salon frequented by men (Badran, *Feminists* 6-7).

<sup>4</sup> A penchant for European music and French literature aligned Shaarawi and Adilah Nabarawi, her "new and strong-willed friend [who] was well educated" (Shaarawi 62-63). Together they frequented the opera house and shared one of its private boxes. Possessing many "fine qualities" and defending her when attempts were made to reconcile her with her husband, Mme. Richard fostered Shaarawi's artistic sensibilities. While Adilah shared her outings, Atiyah Saqqaf, a distant relative of her mother's who had come from Arabia following her divorce, stayed at their household for five years. Domineering and possessive of Shaarawi's attention as she was, "all the while [they] remained like two sisters" (76).

<sup>5</sup> While *Harem et les Musulmanes* (The Harem and Muslim Women) was meant to enlighten Europeans about the life of Egyptian women and to clear up any false misconceptions, *Les Reépudiées* (The Divorcees), was intended to reveal that it was not Islam but “social customs” which oppressed women (Shaarawi 81).

<sup>6</sup> Grand narrative or “master narrative” is a term introduced by Jean-François Lyotard in his classic 1979 work *The Postmodern Condition: A Report on Knowledge*, in which Lyotard summed up a range of views which were being developed at the time, as a critique of the institutional and ideological forms of knowledge.

*L'autofiction et la judéité dans la Place de  
l'étoile de Patrick Modiano et W ou le  
souvenir d'enfance de Georges Perec*

*Dr. Ayman Amin EL GHANDOUR  
Maître de conférences à la faculté de pédagogie de  
Tanta*



Le monde est en train de changer et la société doit se transformer en conséquence. Les jeunes doivent être éduqués de manière à leur permettre de relever les défis du monde moderne. L'éducation doit être centrée sur le développement des compétences et des valeurs. Les parents et les enseignants ont un rôle crucial à jouer dans ce processus. Il est important de créer un environnement d'apprentissage qui favorise la curiosité et l'innovation. Les écoles doivent offrir des programmes qui préparent les étudiants à la vie réelle. Les universités doivent promouvoir la recherche et le débat intellectuel. Les gouvernements doivent investir dans l'éducation et garantir l'accès à une éducation de qualité pour tous. Les médias sociaux ont un impact croissant sur la culture et la société. Il est important de développer une conscience critique et de résister à la désinformation. Les citoyens doivent être actifs et engagés dans la vie de leur communauté. Le respect des droits humains et la promotion de la justice sociale sont des valeurs fondamentales. La coopération internationale est essentielle pour résoudre les problèmes mondiaux. Le dialogue et la compréhension mutuelle sont la clé d'un monde meilleur. L'éducation est le fondement d'une société prospère et démocratique. Nous devons tous nous efforcer de créer un avenir meilleur pour tous.

Dr. Ahmed El Ghannouchi  
Maître de conférences à la faculté de l'éducation de  
Tunis

## résumé

L'autofiction et la judéité dans *la Place de l'étoile* de  
Patrick Modiano et *W ou le souvenir d'enfance* de  
Georges Perec

L'étude présente met en relief l'autofiction et la judéité à travers *La place de l'étoile* de Patrick Modiano et *W ou le souvenir d'enfance* de Georges Perec. Elle est ainsi basée sur une double interrogation : l'une, d'ordre générique, a essayé de définir l'autofiction qui est la forme romanesque dans laquelle se racontent les écrivains. Elle mélange Histoire et fiction, permettant à l'auteur de s'inventer une existence sans perdre son identité réelle. L'autre, d'ordre thématique a pour but de montrer la judéité, qui est l'ensemble des caractéristiques sociologiques, psychologiques et biologiques qui font le Juif; ainsi que l'existence remarquable d'écrivains juifs dans le corpus d'autofiction, surtout celle de Modiano et Perec. Et à la fin de cette étude, nous pouvons dire que les deux auteurs ont pu mélanger deux notions tout à fait contradictoires, la réalité et la fiction, de manière à créer l'autofiction. Ils ont refusé la forme du roman classique, ont utilisé une nouvelle technique romanesque pour bien exprimer leur message.

## ملخص باللغة العربية

الخيال الذاتي و اليهودية في رواية "ميدان النجمة" لباتريك موديانو و رواية "w أو ذكرى

## الطفولة" لجورج بيريك

تلقي هذه الدراسة الضوء على الخيال الذاتي و اليهودية في روايتي "ميدان النجمة" لباتريك موديانو و رواية "w أو ذكرى الطفولة" لجورج بيريك و من ثم يتناول البحث اطروحتين مختلفتين: من ناحية الخيال الذاتي و الذي بموجه يحكي الكاتب حياته من خلال الشكل الروائي ليخلط الواقع بالخيال و يخترع وجوداً دون أن يفقد وجوده الحقيقي, ومن ناحية أخرى يدرس اليهودية و كل السمات الاجتماعية و النفسية و الحياتية التي تشكل اليهودي. و قد حاول الباحث رصد مساهمة الكتاب اليهود في الخيال الذاتي و لا سيما موديانو و بيريك و قدرتهما على خلط الخيال بالواقع و كذلك رفضهما لشكل الرواية الكلاسيكية مستخدمين تقنية جديدة من أجل التعبير عن رسالتهما.

## L'autofiction et la judéité dans *La Place de l'étoile* de Patrick Modiano et *W ou le souvenir d'enfance* de Georges Perec

« L'œuvre de Patrick Modiano, à côté de celle de Georges Perec, mène à bien une double gageure : elle élabore des figures romanesques qui saisissent un état de non-retour historique et ses séquelles à terme ; elle invente un archétype de fiction qui énonce des obsessions personnelles en les transmutant en principes d'écriture (culpabilité, persécution, phobie de la perte). »<sup>(1)</sup>

« Il serait plus à propos de rapprocher Perec d'un auteur comme Patrick Modiano qui lie le problème de l'identité juive au souvenir de l'Occupation, [...] ce rapprochement permettrait non seulement de mettre en relief la proximité de certains thèmes et de certains procédés, mais aussi de restituer *W ou le souvenir d'enfance* dans son époque et de le rattacher à la transformation qu'a subie la représentation française de la Seconde Guerre mondiale dans les années soixante-dix. »<sup>(2)</sup>

L'étude présente vise à mettre en relief l'autofiction et la judéité à travers *La place de l'étoile* de Patrick Modiano et *W ou le souvenir d'enfance* de Georges Perec. Elle est ainsi basée sur une double interrogation : l'une, d'ordre générique, essaie de définir l'autofiction ; l'autre, d'ordre thématique, ayant pour but de montrer l'existence remarquable d'écrivains juifs dans le corpus d'autofiction, surtout celle de Modiano et Perec. Et pour affirmer que notre supposition n'est pas gratuite, il serait utile de présenter ces dires de Pierre Lepape : « Originellement, historiquement, l'autofiction est liée à l'expérience de la Shoah. »<sup>(3)</sup> Cet avis est renforcé par Timo Obergöker qui dit : « Le genre de l'autofiction est répandu particulièrement chez les auteurs

(1) Blanckeman (Bruno), *Les fictions singulières, étude sur le roman français contemporain*, Paris, Prétéxte éditeur, 2002, pp. 158-159.

(2) Montfrans (Manet Van), *Georges Perec, la contrainte du réel*, Amsterdam, Éditions Rodopi, 1999, p. 245.

(3) Lepape (Pierre), "Au delà de l'autofiction", in *Le monde*, 6 nov. 1998, p. 21.



juifs. »<sup>(4)</sup> Cependant il serait abusif de réduire à ces derniers la pratique de ce genre littéraire.

Il nous est indispensable de définir les deux mots qui constituent les deux volets de notre étude. C'est Serge Doubrovsky qui a annoncé le terme autofiction, lors de la parution de son *Fils* en 1977. Il dit : « *Fiction, d'événements et de faits strictement réels ; si l'on veut, autofiction, d'avoir confié le langage d'une aventure à l'aventure du langage, hors sagesse et hors syntaxe du roman, traditionnel ou nouveau.* »<sup>(5)</sup> Cette définition indique que l'autofiction se trouve à mi-chemin entre l'autobiographie et le genre romanesque. Elle est présentée comme un tiers lieu où l'on peut à la fois exprimer l'indicible, échapper à la crédibilité et aux règles strictes de l'autobiographie. De nouveau, Doubrovsky nous présente une autre définition, décelant de nouvelles dimensions de ce genre : « *L'autofiction, c'est la fiction que j'ai décidé, en tant qu'écrivain, de me donner de moi-même et par moi-même, en y incorporant, au sens plein du terme, l'expérience de l'analyse, non point seulement dans la thématique, mais dans la production du texte.* »<sup>(6)</sup>

Ainsi l'œuvre devient un travail analytique où la mémoire du narrateur constitue le côté fictionnel. Philippe Vilain résume ce qui précède, annonçant que « l'autofiction est la forme romanesque dans laquelle se racontent les écrivains ».<sup>(7)</sup> Elle mélange Histoire et fiction, permettant à l'auteur de s'inventer une existence sans perdre son identité réelle.

En ce qui concerne la judéité, la notion a été introduite par Albert Memmi en 1962 ; elle est « *l'ensemble des caractéristiques sociologiques, psychologiques et biologiques qui font le Juif.* »<sup>(8)</sup> Elle est distincte du judaïsme, « *religion des juifs* », <sup>(9)</sup> de la judaïté, « *la*

<sup>(4)</sup> Obergöker (Timo), *Ecriture du non-lieu, Topographies d'une impossible quête identitaire : Roman Gary, Patrick Modiano et Georges Perec*, Frankfurt. Peter Lang, 2004, p. 110.

<sup>(5)</sup> Doubrovsky (Serge), « textes en main », in *RITM (Autofiction et cie)*, n° 6, Nanterre, Centre des Recherches Interdisciplinaire sur les Textes Modernes, Université Paris X, 1993, p. 207.

<sup>(6)</sup> Id, *Autobiographiques: De Corneille à Sartre*, Paris, Presses Universitaires de France, 1988, p. 77.

<sup>(7)</sup> Vilain (Philippe), *Défense de narcissisme*, Paris, Éditions Grasset et Fasquelle, 2005, p. 211.

<sup>(8)</sup> Memmi (Albert), *Portrait d'un juif*, Paris, Gallimard, 1962, p. 58.

<sup>(9)</sup> Robert (Paul), *Le Petit Robert*, tome 1, Paris, Le Robert, 1987, p. 1053.

condition de juif»<sup>(10)</sup> et enfin de la judaïcité, « le fait d'être juif (sur le plan religieux). »<sup>(11)</sup> Donc nous nous intéressons à la spécificité des juifs, aux composantes qui déterminent leur conduite et leur manière, non à la doctrine religieuse du judaïsme. Ce qui nous aide à éviter toute analyse basée sur un critère ethnico-religieux.

Modiano et Perec qui ont à la base de cette étude, sont nés en France, mais d'origine juive. Bien qu'ils ne se rencontrent pas, ils échangent des correspondances. L'auteur de *La place de l'étoile* nous dit : « J'avais été très frappé par *Les choses que j'ai lues à leur sortie en 1965* [...] Perec m'avait envoyé *Un cabinet d'amateur*, on devait se voir, mais cela ne s'est jamais fait, malheureusement ». <sup>(12)</sup> Les deux font partie de ces romanciers de la deuxième génération dont les œuvres contribuent effectivement à l'épanouissement de la mémoire de la Shoah. Ils sont possédés par une obsession pour le passé qu'ils essaient de recomposer pour mettre en relief l'héritage familial. Ce retour aux temps révolus a renforcé leur ressemblance et leur a imposé deux thèmes communs et permanents : le moi et la judéité.

En fait les deux auteurs de notre corpus ont joué un rôle remarquable dans la vie littéraire, particulièrement dans les marges de l'autobiographie, introduisant de nouvelles techniques telles la fragmentation, la structure anti-chronologique et l'incorporation du fictif dans le récit. D'une part, « l'œuvre de Patrick Modiano aurait donné une tonalité idéale au genre autofictif » <sup>(13)</sup> ; d'autre part, « la grande machine perecquienne fonctionnant tantôt sous des contraintes formelles tantôt sous l'empire de la mémoire imposée tantôt sous le régime de la réécriture, a produit des inventions et des illuminations. » <sup>(14)</sup>

Grâce à sa production volumineuse, Modiano se trouve constamment au cœur du paysage littéraire français. Il ne se contente de présenter une trentaine de romans, il a contribué en 1974 à l'écriture du

(10) Loc.cit.

(11) Loc.cit.

(12) Heck (Maryline), "Modiano, seule l'écriture est tangible", in *Le magazine littéraire*, n° 490, Paris, Sophia Publications, Octobre 2009, p. 66.

(13) Molkou (Elizabeth), *Contributions d'écrivains juifs à la problématique de l'autofiction*, Thèse de doctorat, Faculté des études supérieures et de la recherche, Université McGill, Montréal, Québec, Août 2000, p. 234.

(14) Lecarme (Jacques) et Tabone (Eliane Lecarme), *L'autobiographie*, Paris, Armand Colin, 1997, p. 237.



film *Lacombe Lucien* <sup>(15)</sup> de Louis Malle, rédigé le scénario du film *Bon voyage*, réalisé par Jean-Paul Rappeneau en 2003. Bien que son œuvre soit multidimensionnelle, l'auteur est soucieux de choisir des thèmes cohérents. Dès le début de sa carrière, il ne s'intéresse qu'à restaurer un passé douloureux. Malgré la diversité des histoires qu'il raconte, c'est l'Occupation qui demeure fortement présente dans son œuvre. Celle-ci met sans cesse l'accent sur un Paris cauchemardesque où s'égarèrent les héros à la recherche de leur identité. Cette spécificité a attiré l'attention des critiques qui lui ont consacré de nombreux essais. Ce qui a participé à célébrer ses romans, traduits ultérieurement dans d'autres pays : Allemagne, Angleterre, Etats-Unis, Pays-Bas ... etc. Couronné, Modiano a reçu tant de prix. <sup>(16)</sup>

Quant à Georges Perec, il ressemble au paysan qui cultive des champs en semant des germes tout à fait différents. Son œuvre comporte quatre horizons : le sociologique qui l'entoure (*Les choses*), l'autobiographique dont la matière est sa propre histoire (*Je me souviens*), le romanesque fictif (*W ou le souvenir d'enfance*) et enfin le langage où il est influencé par l'Oulipo (*La disparition*, roman rédigé sans un seul e). Cette variété fait de lui « l'écrivain le plus important de sa génération. Les tenants d'une littérature formaliste y trouvent leur bonheur ; les partisans d'une littérature existentielle sont aussi comblés. » <sup>(17)</sup> Il a essayé de moderniser les formes classiques et familières, emprunter d'autres techniques aux domaines non littéraires, les combiner ensemble afin d'inventer de nouvelles formes et déceler aux lecteurs des territoires inconnus. Pour cela, son œuvre est considérée comme « une encyclopédie de la littérature ». <sup>(18)</sup> Telle une personne bien entraînée, il possède tous les outils qui l'aident à pratiquer tous les genres littéraires : mots croisés, poésie, roman, traduction, livret d'opéra, théâtre, scénario de cinéma. Ce dernier a adapté son roman *un homme qui dort*, obtenant le prix Jean Vigo en

<sup>(15)</sup> Ce film a reçu l'Oscar anglais "pour le meilleur film".

<sup>(16)</sup> L'œuvre de Modiano a successivement remporté des prix : *La Place de l'étoile* (le prix Roger-Nimier et le prix Fénéon en 1968), *La ronde de nuit* (La Plume de diamant), *Les Boulevards de ceinture* (Le Grand Prix de L'Académie française), *Villa triste* (Le prix des libraires), *Rue des boutiques obscures* et l'ensemble de son travail (Le Goncourt en 1974), *De si braves garçons* (Le Prix Prince de Monaco), *Voyage de noces* (Le prix du Roman d'évasion) et enfin il remporte en 2010 le prix mondial de la fondation Simone et Cino Del Duca.

<sup>(17)</sup> Lecarme (Jacques) et Tabone (Eliane Lecarme), op.cit, p. 235.

<sup>(18)</sup> Magné (Bernard), *Georges Perec*, Paris, Nathan, 1999, p. 7.



1974. Aussi a-t il écrit un feuilleton pour Radio Abidjan et une pièce pour une radio allemande. On lui a décerné le prix Renaudot et le prix Médicis. Bien plus, « *son nom fut donné à titre d'hommage commémoratif, en 1984, à la petite planète n° 2817, nouvellement découverte.* »<sup>(19)</sup>

Comme le titre de cette étude est composé de deux éléments différents, nous adoptons à la fois la méthode de Lucien Goldmann et celle de Vincent Colonna ; l'un affirme que le roman est « *la transposition sur le plan littéraire de la vie quotidienne dans la société individualiste née de la production pour le marché* »<sup>(20)</sup> et qu'il est un produit de l'individu et de la société. Autrement dit, toute œuvre littéraire ou artistique est influencée par le contexte socio-politique duquel elle est issue ; l'autre considère l'autofiction comme « *une œuvre littéraire par laquelle un écrivain s'invente une personnalité et une existence, tout en conservant son identité réelle* ». <sup>(21)</sup> Ainsi naît le pacte d'autofiction en vertu duquel l'auteur est relativement infidèle à la vérité lorsqu'il raconte sa vie personnelle. A l'intérieur de ce pacte, on rencontre une forme d'expression littéraire qui est différente de celle de l'autobiographie. Cette dernière exige que le mot « roman » ne doive pas être mentionné sur la couverture. Cependant dans les deux genres, personnage, narrateur et auteur sont identiques. C'est Thierry Laurent qui met fin à ce dilemme, affirmant qu'on peut trouver l'autofiction à l'aide des informations données par l'écrivain dans ses interviews. Celui-ci n'est pas demandé de présenter tout dans son récit. « *Les informations que donne l'écrivain pour passer son pacte d'autofiction avec le lecteur se trouvent dans le paratexte (titre, dédicace, épigraphe, préface, quatrième de couverture) et – le plus souvent – dans les entretiens qu'il accorde* ». <sup>(22)</sup>

Nous essayons de comparer le roman de Patrick Modiano à celui de Georges Perec, mettre en lumière les convergences et les

<sup>(19)</sup> Dangy (Isabelle), *Étude sur Georges Perec, W ou le souvenir d'enfance*, Paris, Ellipses Édition Marketing S.A., 2002, p. 7.

<sup>(20)</sup> Goldmann (Lucien), *Pour une sociologie du roman*, Paris, Gallimard, 1964, p. 36.

<sup>(21)</sup> Colonna (Vincent), *L'autofiction, essai sur la fictionnalisation de soi en littérature*, thèse de doctorat sous la direction de Gérard Genette, nouveau doctorat de l'E.H.E.S., 1989, p. 34.

<sup>(22)</sup> Laurent (Thierry), *L'œuvre de Patrick Modiano, Une autofiction*, Lyon, Presses Universitaires de Lyon, 1997, p. 21.

divergences, répondre à ces questions : Quelles sont les motivations de l'écriture autobiographique chez les deux auteurs ? Le passé évoqué a-t-il été modifié ? Quelle structure et quelle technique choisissent-ils pour présenter leur autobiographie ? Est-ce que cette technique a aidé chacun d'eux à purifier son moi ? Mais avant tout, il nous serait indispensable d'aborder la genèse et la structure des deux ouvrages de notre corpus.

Modiano a livré le manuscrit de son roman à Gallimard. Mais les éditeurs qui y ont remarqué un ton antisioniste, d'épineuses questions, « *le problème juif et rien que cela* »<sup>(23)</sup>, ont décidé de le publier à l'année suivante. C'est en 1968 que l'œuvre voit le jour et capte à la fois l'attention du public et des critiques dont nous citons Baptiste Roux. Ce dernier constate que « *l'emploi des temps ainsi que la présence de personnages récurrents donnaient au texte une apparence du récit fictif.* »<sup>(24)</sup> On ne s'étonne pas en voyant *La Place de l'étoile* obtenir, à la même année de sa parution, deux prix : Fénelon et Roger Nimier.

*La place de l'étoile* est un récit des aventures tragiques dont l'action se déroule de la fin de la Deuxième Guerre mondiale jusqu'aux années soixante. Schlemilovitch, le personnage principal, qui est né à Boulogne-Billancourt, se trouve déchiré par sa double identité juive et française. Il essaye de concilier ces deux identités afin de déceler son vrai visage. Mais cette dualité le tourmente et le livre à ses hallucinations. Le héros nous accompagne dans un voyage non seulement à travers l'espace géographique en France, en Autriche et en Israël, mais aussi à travers l'espace temporel, rencontrant des êtres disparus tels Freud, Maurice Sachs, Karl Marx, Hitler et sa femme ... etc. D'ici naît le fictif que l'auteur mêle au réel. Le narrateur nous raconte le parcours de son histoire. Nous le voyons influencé par son professeur, Debigorre, pendant ses études supérieures à Bordeaux. Après sa rencontre avec un aristocrate travaillant dans la traite des femmes, il devient proxénète ayant pour but de séduire des jeunes femmes françaises et de les rapporter à ceux qui payent. Ensuite, il se trouve en Israël, dans un camp ressemblant à celui de concentration. La scène finale du roman nous présente le héros à Vienne, allongé sur un divan ; il est sur le point de se faire psychanalyser par Freud. Cette fin

<sup>(23)</sup> Montalbetti (Jean), "Patrick Modiano ou l'esprit de fuite", in *Le Magazine littéraire*, n°34, novembre 1969, p. 42.

<sup>(24)</sup> Roux (Baptiste), *Figures de l'Occupation dans l'œuvre de Patrick Modiano*, Paris, L'Harmattan, 1999, p. 125.



reflète l'échec du narrateur qui ne peut trouver aucune réponse à ses questions.

Quant à *W ou le souvenir d'enfance*, c'est un livre d'une âme blessée. L'auteur y présente la disparition de ses proches, particulièrement celle de sa mère. Il est plus émouvant et plus intime que toute l'œuvre littéraire de Georges Perec. Il obtient le prix Goncourt. Catherine Dana constate que cette œuvre « *tresse le personnel avec le collectif* ». <sup>(25)</sup> Elle occupe une place remarquable dans l'écriture de soi du XX<sup>e</sup> siècle. On a du mal à la classer à cause de sa nouvelle structure où alternent des chapitres fictifs et des chapitres autobiographiques. Elle « *s'inscrit dans un contexte plus large dont l'enjeu est le mélange des genres.* » <sup>(26)</sup>

*W ou le souvenir d'enfance*, Paru en 1975, est composé de deux récits, l'un est l'autobiographie de Georges Perec qui relate son enfance pendant la Deuxième Guerre mondiale et ses rares souvenirs vagues et incohérentes : la mort de son père, la prise de sa mère dans une rafle, son séjour à Villard-de-Lans ; l'autre fictionnel est un roman d'aventures dont le héros s'appelle Gaspard Winckler. Après sa désertion, il vit en Allemagne avec un faux passeport. Il porte le nom d'un enfant sourd-muet, disparu lors de son voyage. Le bureau Veritas <sup>(27)</sup> le charge de retrouver cet enfant. Mais Gaspard, lui-même, disparaît de la scène et nous laisse à un autre narrateur anonyme ayant pour but de décrire objectivement la société olympique de l'île W. Cette société despotique où les forts vivent au détriment des faibles, symbolise fortement les camps de déportation et d'extermination.

Le résumé des deux ouvrages désigne que Modiano et Perec étaient le produit d'une période trouble. Cela se traduit avec leurs héros

<sup>(25)</sup> Dana (Catherine), *Fictions pour mémoire, Camus, Perec et l'écriture de la Shoah*, Paris, L'Harmattan, 1998, p. 142.

<sup>(26)</sup> Sirvent (Michel), *Georges Perec ou le dialogue des genres*, Amsterdam, Rodopi, 2007, p.117.

<sup>(27)</sup> «Le bureau Veritas [...] a pour objectif la sauvegardé des personnes et des biens. Fondée en 1828 par trois commerçants et assureurs maritimes du port d'Anvers, comme « Bureau de renseignements pour les assurances maritimes », cette organisation se proposait de tenir les assureurs au courant des primes en usage sur les différentes places commerciales et en même temps de fournir une description détaillée des bonnes et mauvaises qualités des navires qui fréquentent les ports principaux des Pays-Bas ».

Montfrans (Manet Van), *op.cit*, pp. 157-158.



dont l'héritage est une blessure, il s'agit d'un vide au sein de leur histoire. Les deux auteurs sont convaincus que leur douleur est individuelle, même si elle s'inscrit dans une histoire collective. Cette douleur les a poussés à la recherche de leurs racines. D'une part, Modiano a essayé à travers *La Place de l'étoile* de mettre l'accent sur la conduite de son père, Albert Modiano (1912-1978) et sur la décadence morale résultant de la guerre ; d'autre part, Perec, face à un simple traumatisme psychique, prend l'écriture pour un moyen d'affirmer sa vie et « trouver un sens à son histoire brisée. »<sup>(28)</sup> Si l'écriture échoue à montrer la vie de ses parents, elle peut être le souvenir de leur disparition. Comment oublier ses paroles efficaces : « *J'écris parce qu'ils ont laissé en moi leur marque indélébile et que la trace en est l'écriture.* »<sup>(29)</sup> Après avoir montré la motivation des deux romanciers à écrire, il serait erroné d'aborder *La place de l'étoile* et *W ou le souvenir d'enfance* sans remonter à leur vie personnelle. Celle-ci est la seule qui puisse nous aider à lire l'œuvre et à en dégager l'autofiction.

Malgré sa naissance en France, le petit Modiano n'est qu'un produit métissé d'une mère belge et d'un père oriental d'origine juive. Celui-ci est un homme énigmatique ayant l'habitude d'émigrer même s'il abandonne ses deux enfants. Pendant les années de guerre, il a profité du marché noir, réalisant des revenus illicites, il a collaboré avec le régime nazi et la Gestapo. A son tour, la mère a consacré sa vie au théâtre, jouant de seconds rôles. Sa carrière l'a obligée à confier ses deux fils à des voisins. Dans ce climat, Modiano était isolé. Mais la solitude s'est achevée avec le divorce de sa mère et la mort de Rudy, son petit frère, qui lui représentait la seule attache familiale. Il a ressenti un deuil et un déchirement. Ce ressentiment est renforcé par l'instabilité et les déplacements de sa famille. Celle-ci a habité plusieurs appartements, mais dans le même immeuble, au 15 quai de Conti où Modiano a passé son enfance. Aussi a-t-il fréquenté de nombreux pensionnats et établissements jusqu'à son inscription à la faculté des Lettres de la Sorbonne qui « n'était qu'un moyen utilisé pour avoir un sursis militaire. »<sup>(30)</sup> Son refus d'être un soldat dans l'armée française

(28) Ducret (Vivienne), *Georges Perec: Autobiographie et trauma*, Thèse de doctorat sous la direction de Carol Lazzaro-Weis, Université de Missouri, Columbia, 2007, p. 62.

(29) Perec (Georges), *W ou le souvenir d'enfance*, Paris, Éditions Denoël, 1975, p. 59.

(30) Laurent (Thierry), *op.cit.*, p. 164.

est le fruit de ses déplacements. Ces derniers ont concrétisé son exotisme et son apatridie parmi des gens dont il ne partage que la langue.

La ville natale de Modiano est aussi celle de Perec ; il s'agit de Paris qui a témoigné sa naissance, le 7 mars 1936. Ses parents sont juifs d'origine polonaise. Après leur émigration en France, ils ont francisé leurs prénoms pour ne pas être arrêtés par les forces nazies : La mère Cyrla devient Cécile et le père Isie porte le nom d'Icek. Ils ont habité au n° 24 de la rue Vilin. Lors de l'éclat de la Deuxième Guerre mondiale, Icek s'est engagé à l'armée pour défendre la France. Il est mort le 16 juin 1940, enterré au cimetière militaire de Nogent-sur-Seine. Deux ans après, la police a arrêté Cyrla et l'a déportée à Auschwitz sans laisser aucune trace. C'est aussi le sort d'autres membres de la famille : sa sœur Fanny, son père Aron Szulewicz et son beau-père David Perec. Personne n'est rentré. Cette situation tragique de Georges Perec a poussé Derek Schilling à se demander : « *Son arbre familial n'aura-t-il été transplanté, de Pologne jusque sur le sol de la France républicaine, que pour être abattu, détaillé et offert au feu.* »<sup>(31)</sup>

Ainsi le petit Georges avait vécu des événements terribles qui ont ultérieurement influencé son existence et ses écritures. Avant d'accomplir ses six ans, il a perdu ses parents. Son sort ressemble à celui de nombreux enfants français juifs. Orphelins, ils s'installent dans des établissements laïques ou religieux. A son tour, Perec était pensionnaire dans un home d'enfants, dans un internat catholique où il a été baptisé. Dès 1945, sa vie était marquée par un malaise, malgré son séjour chez sa tante. Celle-ci l'a confié à une psychologue, Françoise Dolto. Ce malaise ne l'a pas entravé de faire ses études au lycée Claude Bernard, au collège Geoffroy-Saint-Hilaire d'Estampes, à la Sorbonne où il s'est inscrit en histoire. Contrairement à Modiano le déserteur, il est entré au service militaire, s'engageant aux parachutistes. Son entrée à l'Oulipo en 1966 est un tournant dans sa production littéraire. Frappé d'un cancer des branches, il meurt en 1982.

Ce résumé autobiographique nous a révélé la solitude dans laquelle se trouvaient Modiano et Perec. L'un a perdu son frère et son enfance se distinguait par l'absence totale de ses parents. L'autre était

(31) Schilling (Derek), *Mémoires du quotidien: les lieux de Perec*, France, Villeneuve-d'Ascq, Presses Universitaires du Septentrion, coll. « Perspectives », 2006, p. 10.



privé de son père tué sur le front par les troupes d'Hitler, et de sa mère déportée à Auschwitz ; sa famille est un exemple expressif de la douleur des juifs et des conséquences terribles de l'Holocauste. Leur appartenance à l'identité juive n'a cessé de leur apporter la souffrance. Tous les deux ont ressenti une angoisse devant un passé inconnu et une disparition de leurs siens. Ils avaient un sentiment complexe, réunissant la honte et l'absence. Pour saisir la douleur des deux auteurs, nous allons cerner l'autobiographique et le fictif dans les deux ouvrages de notre corpus.

### I- De l'autobiographie à l'autofiction à travers *La place de l'étoile* et *W ou le souvenir d'enfance*

Il serait erroné de croire que l'écriture de soi est un genre littéraire, puisqu'un auteur peut se raconter à travers d'autres modes et d'autres pratiques d'écriture dont on peut citer : le journal qui s'intéresse à montrer l'intimité et permet à son écrivain d'éviter l'oubli et l'inexactitude. « Dans le journal, la marque des jours n'est pas effacée par la rédaction, mais au contraire soulignée par le discontinu de l'écriture, et même par l'inscription de la date »<sup>(32)</sup> ; les mémoires dont le rédacteur est une personne importante, jouant un rôle remarquable dans l'Histoire. Ce dernier met à l'écart sa vie personnelle et « relate les événements historiques auxquels il a pris part en tant qu'acteur ou témoin ». <sup>(33)</sup> Les mémoires sont proches des souvenirs où l'auteur a pour objectif de présenter aux lecteurs, des événements dont il est le témoin. Aussi y a-t-il la confession dans laquelle un pénitent raconte sa conversion, sans oublier les carnets qui « se fondent sur des épisodes de l'existence, sur des expériences précises pour en tirer des préceptes, des analyses générales, des maximes ou des aphorismes ». <sup>(34)</sup> Avant tous ces modes de l'écriture de soi, vient l'autobiographie, composée de trois parties : auto (soi-même), bio (vie), graphie (écriture). Elle n'a cessé d'envahir le champ littéraire au point que les Français y ont consacré une ville. <sup>(35)</sup>

<sup>(32)</sup> Didier (Béatrice), *Le journal intime*, Paris, Presses Universitaires de France, 1976, p. 27.

<sup>(33)</sup> Marcou (Loïc), *L'autobiographie, Anthologie*, Paris, Flammarion, coll. « Etonnants classiques », 2001, p. 19.

<sup>(34)</sup> Miraux (Jean-Philippe), *L'autobiographie, écriture de soi et sincérité*, Paris, Nathan, 1996, p. 14.

<sup>(35)</sup> « La seule ville de France où le moi n'est pas haïssable. C'est la capitale de l'autobiographie depuis l'universitaire Philippe Legendre a choisi d'y fonder



Il est inévitable de jeter un coup d'œil sur l'évolution historique de l'autobiographie. Celle-ci est inconnue dans l'antiquité qui considère la confiance comme un tabou. Il faut attendre la Renaissance, distinguée par son individualisme, pour que le genre progresse et s'épanouisse au XVII<sup>e</sup> siècle avec des œuvres telles les *Mémoires* de Marguerite Valois et les *Mémoires* de Pierre de Bourdeille. Mais c'est Rousseau qui a donné naissance à l'autobiographie moderne ; cette dernière a commencé à fleurir au XIX<sup>e</sup> siècle et à se répandre dans le monde entier et particulièrement en France, avec d'innombrables œuvres dont nous citons à titre d'exemple : *La confession d'un enfant du siècle* de Musset (1835) et *Mémoire d'outre-tombe* de Chateaubriand (1848-1850). Au XX<sup>e</sup> siècle, les autobiographes se mettent à déceler leurs secrets tout en brisant les anciens tabous imposés par les mœurs et la religion. Dès 1970, l'autobiographie a pu devenir un genre légal ayant des critères précis, défini par Philippe Lejeune : « *Récit rétrospectif en prose qu'une personne réelle fait de sa propre existence, lorsqu'elle met l'accent sur sa vie individuelle, en particulier sur l'histoire de sa personnalité.* »<sup>(36)</sup> Aussi a-t-il présenté le pacte autobiographique en vertu duquel il y a un contrat de crédibilité entre l'auteur et son lecteur, apte à examiner les informations citées dans l'œuvre. Lejeune nous affirme que « *pour qu'il y ait autobiographie (et plus généralement littérature intime), il faut qu'il y ait identité de l'auteur, du narrateur et du personnage.* »<sup>(37)</sup> Ainsi ce pacte oblige l'écrivain à s'avouer et dire tout, respectant la vérité.

Malgré tout ce qui précède, l'autobiographie est étroitement liée avec la fiction parce qu'il est impossible de représenter le moi d'une façon objective. Personne ne peut raconter sa vie sans évoquer celle des autres. Serge Doubrovsky, soucieux de ménager sa mère, n'a-t-il publié *Fils* qu'après sa mort ? Ce qui a poussé les auteurs à réinventer leur vie, changer des noms et des lieux, mêler l'autobiographique au romanesque. Par conséquent naît l'autofiction, plus efficace que l'écriture de soi traditionnelle. Bien que le texte contienne des indices

---

l'Association pour l'autobiographie (APA). Cette grosse ville de l'Ain, à l'abri du vacarme urbain, reçoit depuis 1992 les textes des gens obscurs ».

Rubens (Alain), « Ambérieu, à tout auteur son lecteur », in *Lire*, N° 353, Mars 2007, p. 45.

<sup>(36)</sup> Lejeune (Philippe), *Le Pacte autobiographique*, Paris, Éditions du Seuil, coll. « Points », 1996, p. 14.

<sup>(37)</sup> *Ibid.*, p. 15.

autobiographiques, il est considéré comme un roman où «l'écrivain se retire de la vie pour la mieux exprimer ; il se situe alors dans une sorte de non-lieu puisqu'il se confie à l'univers imaginaire de l'écriture pour représenter la réalité dont il s'éloigne». <sup>(38)</sup> Donc, c'est l'univers imaginaire qui domine et offre une vie plus réelle. «En Amérique est apparu le mot-valise "faction", pour désigner un mixte de "fact" et de "fiction"». <sup>(39)</sup>

Il va de soi que le roman n'est qu'une duplication du réel. Bien qu'il crée un monde indépendant, ce dernier ressemble au nôtre. Cependant il se distingue par un espace de liberté qui lâche la bride à la fiction. Mais ce qui nous importe ici, c'est de cerner l'autobiographie et le contexte sociopolitique dans les deux œuvres de notre corpus.

Dès son premier roman, Modiano a essayé de mettre en relief son identité juive, il s'est intéressé moins à restituer l'Histoire qu'à constituer l'image du passé afin de comprendre le présent. Pour cela, on trouve dans presque toute son œuvre, des thèmes répétés : l'Occupation, la Deuxième Guerre mondiale, la quête des disparus ... etc. Lors d'un entretien tenu en 1981, Modiano annonce : «J'écris pour savoir qui je suis, pour me trouver une identité [...] J'ai vraiment le sentiment d'écrire toujours le même livre.» <sup>(40)</sup> Sa vie est ainsi à la base de ses écrits où on trouve la mère actrice, le père absent, les origines juives et le problème de la deuxième génération. *La place de l'étoile* n'est qu'une enquête de la filiation et des angoisses familiales. Elle met l'accent sur la solitude de Schlemilovitch qui ressemble au romancier. Il se trouve intrus dans un pays étranger où il échoue sans cesse à pénétrer et à en comprendre les mécanismes. Aux dires de Baptiste Roux : «Être seul, telle est la véritable angoisse du héros modianien. Livré à lui-même, le personnage se retrouve confronté à sa vacuité existentielle. Ce qui ne fait que renforcer sa déchirure.» <sup>(41)</sup>

Avec *La Place de l'étoile*, Modiano décrit Paris dont il a flâné dans les rues. Son point de départ est le réel qu'il a vécu et auquel il a ultérieurement mêlé le fictif. L'auteur, lui-même, affirme qu'il «par[t]

<sup>(38)</sup> Miraux (Jean Philippe), op.cit, p. 28.

<sup>(39)</sup> Lejeune (Philippe), "Peut-on innover en autobiographie?", in *L'autobiographie*, VI<sup>es</sup> rencontres psychanalytiques d'Aix-en-Provence 1987, Paris, Les Belles Lettres, 1990, p. 80.

<sup>(40)</sup> Ezine (Jean-Louis), *Les écrivains sur la sellette*, Paris, Du Seuil, 1981, p. 22.

<sup>(41)</sup> Roux (Baptiste), op.cit, p. 50.



du concret pour aller vers la fiction. »<sup>(42)</sup> Le concret est ici la partie autobiographique de laquelle se nourrit l'histoire de Schlemilovitch. Ce dernier est un juif français ayant l'impression d'être le produit du chaos de la Seconde Guerre mondiale qui a imposé la solitude et la décadence morale. Il est un héros impuissant. Privé d'amour et de bonté, il est voué à l'errance.

Bien que le protagoniste ne porte pas le nom de Modiano, il lui ressemble. A l'écart de son père, il oscille entre ses origines juives et son désir de s'identifier à la société française. Ayant des « ancêtres orientaux »,<sup>(43)</sup> il se trouve isolé. Il nous informe : « Je ne suis pas un enfant de ce pays. Je n'ai pas connu les grand-mères qui vous préparent des confitures, ni les portraits de famille, ni le catéchisme ». <sup>(44)</sup> En lisant cette citation qui exprime la fragilité identitaire, nous nous rappelons celle de Georges Perec : « Je n'ai pas de souvenirs d'enfance ». <sup>(45)</sup> Mais cette dernière annonce une autobiographie négative, distinguée par le vide et l'absence.

Le texte fourmille de détails concernant la vie personnelle de Modiano. Celui-ci ne se contente d'attribuer à Schlemilovitch ses origines juives, mais il lui donne sa propre adresse, « la maison du quai Conti, au bord de la Seine. » <sup>(46)</sup> Et quand le héros a tué son ami, Des Essarts, et en a porté le nom, usurpant son identité française, le romancier n'hésite pas à lui décerner sa propre date de naissance : « le 30 juillet 194 ... » <sup>(47)</sup> Bien plus, le protagoniste représente l'instabilité et la fragilité des liens familiaux. Il nous informe qu'il « avai[t] un père en Amérique ». <sup>(48)</sup> Celui-ci s'installe à New York tout en oubliant son fils. Il ressemble à Albert Modiano qui a renoncé à sa responsabilité et son rôle paternel. Ce qui crée une société hostile où Schlemilovitch est déséquilibré, ayant des sentiments contrastés vis-à-vis de son père. Il l'aime et le déteste en même temps. Agé de dix-sept ans, il le rencontre pour la première fois, voit en lui un personnage ambigu et caricatural :

<sup>(42)</sup> Busnel (François), "Patrick Modiano, la sensation d'être comme un trapéziste qui parvient in extremis à rattraper le trapèze », (entretien avec Modiano), in *Lire*, n° 383, mars 2010, Paris, p. 91.

<sup>(43)</sup> Modiano (Patrick), *La Place de l'étoile*, Paris, Gallimard, 1968, p. 17.

<sup>(44)</sup> Loc.cit.

<sup>(45)</sup> Perec (Georges), op.cit, p.13.

<sup>(46)</sup> Modiano (Patrick), op.cit. p. 164.

<sup>(47)</sup> Ibid., p. 23.

<sup>(48)</sup> Ibid., p. 52.



« Mon père portait un complet d'alpaga bleu Nil, une chemise à rayes vertes, une cravate rouge et des chaussures d'astrakan ». <sup>(49)</sup> Le narrateur tente de remplacer son père faible et absent par d'autres pères spirituels tel Maurice Sachs. Cette relation père-fils nous fait penser immédiatement aux dires de Patrick Modiano : « En 1945, juste après ma naissance, mon père décide de vivre au Mexique. [...] il quitte l'Europe après la guerre. [...] il s'est beaucoup déplacé : le Canada, la Guyane, l'Afrique équatoriale, la Colombie ... » <sup>(50)</sup>

En fait, le jeune Patrick s'est moins révolté contre son père que contre son absence et ses activités ambiguës qui l'avaient conduit à la prison. Ce qu'exprime son protagoniste : « Je regrettai amèrement le départ de mon père ». <sup>(51)</sup> Albert Modiano est mystérieux sur divers points. Durant l'Occupation, il a contribué à quelques trafics avec des officiers allemands. Grâce à son personnage caméléon et son habitude de changer des noms, il n'a jamais porté l'étoile jaune comme les autres juifs. Et lorsqu'il a été arrêté dans une rafle, un personnage haut placé l'a libéré avant sa déportation aux camps de concentration. Ces activités mystérieuses auxquelles Modiano a consacré *La ronde de nuit* <sup>(52)</sup>, sont citées à divers endroits de *La Place de l'étoile*. Nous avons vu Schlemilovitch le père porter « de faux papiers au nom de Jean Cassis de Coudray-Macouard » <sup>(53)</sup> ; et après avoir vendu « la forêt de Fontainebleau aux Allemands, [...] il émigra aux Etats-Unis et fonda une société anonyme : la kaléidoscope Ltd ». <sup>(54)</sup>

Pour indemniser l'absence de son père, Modiano, tel Schlemilovitch, a rencontré des hommes d'âge mûr, profité de leur expérience. Mais c'est Raymond Queneau, ami de sa mère et voisin d'immeuble, qui a joué un rôle remarquable dans sa vie. Il l'a aidé à étudier les mathématiques. Grâce à lui, Modiano est entré dans la maison de Gallimard et a commencé sa carrière d'écrivain. Rappelons ici que « Queneau est le témoin que Modiano choisit à son mariage ».

<sup>(49)</sup> Ibid., p. 53.

<sup>(50)</sup> Modiano (Patrick), *Ephéméride*, Paris, Mercure de France, 2002, p. 15.

<sup>(51)</sup> Id, *La Place de l'étoile*, op.cit., p. 73.

<sup>(52)</sup> L'action de *La ronde de la nuit* (1969) se déroule à Paris pendant l'Occupation allemande. Le héros est déchiré parce qu'il travaille à la fois pour la résistance et pour la Gestapo.

<sup>(53)</sup> Modiano (Patrick), *La place de l'étoile*, op.cit., p. 57.

<sup>(54)</sup> Loc.cit.

(55) Autre personnage était efficace dans la vie de Modiano et a rempli le vide résultant de l'absence de son père ; il s'agit d'Emmanuel Berl qui lui a parlé de la France des années quarante et lui a décelé ses mœurs et son idéologie.

Autre élément contribue à renforcer l'écart autobiographique dans *La Place de l'étoile*, c'est la ressemblance entre la mère de Modiano et celle du protagoniste. Ce dernier constate que sa mère « *faisait souvent des tournées en Province [...] Comme elle parlait le français avec un accent balkanique, elle jouait les rôles de princesses russes, de comtesses polonaises et d'amazones hongroises* ». (56) Cette mère, toujours absente soit en province ou à l'étranger, nous fait penser à la mère de l'auteur, Luisa Colpeyn, actrice d'origine flamande. Elle n'a cessé de voyager si bien qu'elle ne voyait pas son fils pendant des mois. Nous remarquons que son portrait est superficiel et qu'elle est moins présente que le père dont le roman retrace le parcours. L'auteur ne décrit ni ses rôles ni ses succès, ne voyant dans son univers ordinaire aucune inspiration romanesque. Cependant il lui a consacré la dédicace de *La ronde de la nuit* en l'associant à la mémoire de son frère, Rudy.

Cette atmosphère familiale nous pousse à affirmer que Schlemilovitch est Modiano. Bien plus, en suivant le parcours du protagoniste, nous pouvons en dégager trois éléments empruntés à la vie personnelle de l'auteur : premièrement le héros a changé son nom en vue de survivre dans un milieu hostile. A Genève, il est allé chez un faussaire pour obtenir « *de faux papiers* ». (57) Et après avoir tué son ami, Des Essarts, il lui a emprunté son nom. Cette conduite ressemble à celle de l'adolescent Modiano qui cite une information significative, lors d'un entretien avec Maryline Heck : « *Quand j'avais 19 ans, j'avais falsifié mon passeport pour faire croire que j'avais 21 ans, l'âge de la majorité. J'avais inscrit "1943" au lieu de "1945". Après, je l'ai refalsifié pour rétablir la date, mais il était plus facile de transformer le 3 en 7 qu'en 5* ». (58) Deuxièmement, Schlemilovitch a déclaré dans un journal parisien : « *Je suis coupable de désertion* ». (59) Ce qu'a fait Modiano lorsqu'il s'est inscrit à la Sorbonne (Faculté des Lettres),

(55) Laurent (Thierry), op.cit, p. 96.

(56) Modiano (Patrick), *La Place de l'étoile*, op.cit, p. 52.

(57) *Ibid.*, p. 23.

(58) Heck (Maryline), "Modiano, seule l'écriture est tangible", (entretien avec Modiano), in *Le Magazine littéraire*, n° 490, octobre 2009, pp. 66-67.

(59) Modiano (Patrick), *La place de l'étoile*, op.cit., pp. 23-24.



« dans le seul but d'obtenir un sursis militaire ». <sup>(60)</sup> Et enfin Schlemilovitch est présenté comme un écrivain ; il a rédigé des essais, une pièce théâtrale où il a « mis en scène [ses] névroses et [son] racisme d'une manière aussi provocante ». <sup>(61)</sup> Aussi exprime-t-il son amour pour Proust dont l'enfance ressemble à la sienne. Il nous informe que son ami, « Des Essarts comparait [leur] amitié à celle qui unissait Robert de Saint-Loup et le narrateur d'*A la recherche du temps perdu* ». <sup>(62)</sup>

A travers ce qui précède, nous avons mis l'accent sur les points communs entre le protagoniste et le romancier : adresse, date de naissance, métier, parents et origines. En vertu de cette ressemblance, il nous paraît évident que Schlemilovitch est le prolongement de Modiano ; l'un est fictif et romanesque alors que l'autre est réel et concret. Avec eux, nous avons vu le juif broyé par son fardeau historique. Donc nous pouvons dire que l'auteur a fait de sa vie personnelle et sa matière historique, un arrière-fond de son roman. Notre point de vue est soutenu par les dires de Bender : « Les éléments autobiographiques se mêlent en effet constamment à l'existence de papier des protagonistes et créent un mélange narratif dans lequel il est difficile de distinguer avec certitude entre la personne physique qui écrit (Modiano) et la voix fictive du texte. » <sup>(63)</sup>

En ce qui concerne *W ou le souvenir d'enfance*, c'est un roman plus autobiographique que toute l'œuvre de Georges Perec. Michel Sirvent désigne que « *W* devient une sorte de réservoir d'informations biographiques dont la fiabilité ne saurait plus être mise en doute ». <sup>(64)</sup> Il est composé de 37 chapitres dont 18 sont consacrés à l'autobiographie où l'auteur raconte sincèrement son enfance dès 1936 à 1945, alors que les autres chapitres mettent l'accent sur l'île W, distinguée par ses fantasmes olympiques.

Dans les chapitres autobiographiques, le narrateur se trouve orphelin du père, inapte à se souvenir. Il nous dit : « *Je n'ai pas de*

<sup>(60)</sup> Gellings (Paul), *Poésie et mythe dans l'œuvre de Patrick Modiano, le fardeau du nomade*, Paris-Caen, Lettres modernes Minard, 2000, p. 8.

<sup>(61)</sup> Modiano (Patrick), *La Place de l'étoile*, op.cit., p. 49.

<sup>(62)</sup> Ibid., p. 21.

<sup>(63)</sup> Bender (Martine Guyot), *Mémoire en dérive, poétique et politique de l'ambiguïté chez Patrick Modiano*, Paris, Lettres modernes Minard, 1999, p. 15.

<sup>(64)</sup> Sirvent (Michel), op.cit., p. 157.



souvenirs d'enfance. Jusqu'à ma douzième année à peu près, mon histoire tient en quelques lignes : j'ai perdu mon père à quatre ans, ma mère à six ; j'ai passé la guerre dans diverses pensions de Villard-de-Lans ». <sup>(65)</sup> Malgré la faiblesse de sa mémoire et ce début décourageant, il essaie de mettre en lumière quelques vérités concernant sa première enfance, anéantie par « l'Histoire avec sa grande Hache ». <sup>(66)</sup> C'est au sixième chapitre qu'il nous indique la date et le lieu de sa naissance : « Je suis né le samedi 7 mars 1936, vers neuf heures du soir, dans une maternité sise 19, rue de l'Atlas, à Paris, 19<sup>e</sup> arrondissement ». <sup>(67)</sup> Le narrateur nous informe de même qu'il s'appelle Georges Perec et que ses parents sont polonais.

Pour préciser ses souvenirs incertains, Perec a compté sur des objets matériels, notamment des photographies. En dépit de sa superficie, celles-ci contribuent effectivement à déceler la profondeur du souvenir. Elles aident l'auteur d'un récit d'enfance à combler la lacune temporelle entre sa naissance et son adolescence et à comprendre ce qui s'est passé. Alain schaffner montre que « le récit d'enfance des écrivains jusqu'aux années 1970 apparaît, non comme la restitution d'une image de soi de type photographique, mais comme la constitution d'une identité en mouvement à partir d'un matériau iconique et indiciel dont la photographie (d'ailleurs souvent sous-estimée dans les textes) fait partie. » <sup>(68)</sup>

Dès le VIII<sup>e</sup> chapitre, le narrateur commence à signaler presque dix photos jaunies de ses proches, particulièrement le père et la mère. Il les décrit d'une manière détaillée. Mais nous remarquons qu'aucune photo ne présente ses parents ensemble. Ces photos interviennent fréquemment à la première partie où les souvenirs sont absents, alors qu'elles laissent la place aux véritables souvenirs du héros pendant son séjour à Villard-de-Lans. Essayons de mettre l'accent sur quelques photos qui ont contribué à éclairer le texte.

Les trois premières photos que nous allons aborder, sont le seul héritage qui lui reste de sa mère. Dans la première qui date de 1938, le

<sup>(65)</sup> Perec (Georges), *W ou le souvenir d'enfance*, op.cit., p. 13.

<sup>(66)</sup> Loc.cit.

<sup>(67)</sup> Ibid., p. 31.

<sup>(68)</sup> Schaffner (Alain), « L'image de soi dans le récit d'enfance », in *Traces photographiques, traces autobiographiques*, (collection lire au présent), Saint-Etienne, Publications de l'université de Saint-Etienne, 2004, p. 205.

narrateur constate : « Elle nous montre, ma mère et moi, en gros plan. La mère et l'enfant donnent l'image d'un bonheur [...] Elle porte un corsage [...] Ma mère sourit en découvrant ses dents ». <sup>(69)</sup> Cette photo nous fait voir de près la mère et son fils qui sont si unis qu'ils forment un tout ; ils sont contents, quiets et tranquilles. Dans la deuxième photo, datée de 1939, le narrateur se trouve à côté de sa mère assise et nous déclare : « Je me tiens debout près d'elle, à sa gauche [...] Elle sourit gentiment [...] Elle porte un manteau à grands revers, en drap sombre ». <sup>(70)</sup> Nous remarquons dans cette photo que le fils a grandi ; il ne se trouve ni sur les genoux de sa mère, ni dans ses bras, mais debout auprès d'elle. Mais au coin droit de cette image, nous voyons un morceau de manteau de son père qui est encore avec eux. Aussi le chapitre X présente-il une troisième photo où la mère se trouve seule dans un jardin. Elle « porte un grand béret noir. [...] Le sac, les gants, les bas et les chaussures à lacets sont noirs. Ma mère est veuve. » <sup>(71)</sup> Cette photo exprime le deuil et annonce une double absence : celle du père qui a trouvé la mort dans la guerre et celle de l'enfant. En fait ces trois photos contribuent effectivement à la structure dramatique du récit autobiographique. On y remarque l'ordre chronologique. En 1938, rien ne menace la famille réunie ; la mère protège l'enfant et le tient dans ses bras. En 1939, le narrateur commence à se détacher de sa mère alors que le père est présenté comme une ombre. Et en 1940, c'est la guerre qui a mis fin à la vie du père ; la mère y semble veuve, portant des vêtements noirs. Claire de Ribaupierre observe qu'il y a dans ces photos significatives, « un mouvement de disparition progressive : d'abord le gros plan, puis un plan moyen, enfin un plan éloigné. Ce mouvement reprend également la distanciation de l'enfant : sur les genoux, debout, puis absent. [...] Les vêtements se ternissent : la blouse aux motifs floraux, puis la jupe grise, enfin le manteau noir ». <sup>(72)</sup>

Aussi y a-t-il d'autres photos telle celle qui montre l'enfant intelligent, entouré de ses proches, extasiés de sa puissance de décoder une lettre. Ce qui distingue cette photo, c'est le cercle de famille où se trouvent l'amour véritable et la protection. Autre photo est significative

<sup>(69)</sup> Perec (Georges), *W ou le souvenir d'enfance*, op.cit, pp. 69-70.

<sup>(70)</sup> Ibid., p. 71.

<sup>(71)</sup> Ibid., p. 74.

<sup>(72)</sup> De Ribaupierre (Claire), *Le roman généalogique chez Claude Simon et Georges Perec*, Bruxelles, Éditions La part de l'œil, 2002, p. 73.



où le père « *est un simple soldat* ». <sup>(73)</sup> Elle exprime l'amour et le respect d'une famille juive pour la France. C'est le père qui annonce son appartenance à ce pays, faisant partie de son armée.

Ces photographies sont importantes parce qu'elles ont donné à l'auteur l'occasion de saisir le passé perdu et de s'approcher d'un réel qu'il n'avait pas vécu. Perec en a désigné le format et les dates, les a décrites de droite à gauche et de haut en bas pour montrer tout ce qu'il a regardé : objets, visages, paysages ... etc. Nous remarquons de même son insistance à citer les particularités vestimentaires : les étoffes, les cols, les boutons, les couleurs ... etc.

En fait la période que le petit Georges a vécue avec ses parents, est brève. Il est impuissant à pénétrer sa première enfance dont il ne reste que des souvenirs incertains. Comme l'a dit Claude Burgelin : « *Lui [Perec] ne fut que le témoin absent d'un engloutissement qu'il n'a pas vu. Il y a là ce qui fonde et interdit le projet autobiographique* ». <sup>(74)</sup> Ainsi on peut dire que *W ou le souvenir d'enfance* n'est pas basé sur des souvenirs ; il évoque des événements pénibles : la mort de son père, la disparition de sa mère, son châtement par l'administration de son école, sa blessure au visage par les bâtons de ski.

Dans le récit autobiographique de *W ou le souvenir d'enfance*, les souvenirs sont désincarnés, particulièrement ceux qui concernent ses parents où nous ne trouvons aucune précision physique. Ces souvenirs sont si rares qu'ils empêchent le narrateur de remonter facilement au passé. Ce qui l'oblige à répéter le même souvenir pour l'affirmer. Ceci paraît évident avec le départ de la mère, mentionné à trois endroits : « *De ma mère, le seul souvenir qui me reste est celui du jour où elle m'accompagna à la gare de Lyon d'où, avec un convoi de la croix Rouge, je partis pour Villard-de-Lans* ». <sup>(75)</sup>

De nouveau, nous trouvons ce souvenir à la fin du même chapitre, mais l'auteur y ajoute une date : « *un jour elle [la mère] m'accompagna à la gare. C'était en 1942* ». <sup>(76)</sup> Et à la troisième reprise, il cite son âge : « *Ma mère m'accompagna à la gare de Lyon. J'avais six ans* ». <sup>(77)</sup> Non

<sup>(73)</sup> Perec (Georges), *W ou le souvenir d'enfance*, op.cit, p. 42.

<sup>(74)</sup> Burgelin (Claude), *Georges Perec*, Paris, Édition Du Seuil, 1990, p. 20.

<sup>(75)</sup> Perec (Georges), *W ou le souvenir d'enfance*, op.cit, p. 41.

<sup>(76)</sup> Ibid., p. 48.

<sup>(77)</sup> Ibid., p. 76.



seulement cette scène est répétée, mais elle se trouve au centre du livre et au centre du récit autobiographique. Elle est présentée comme une nouvelle naissance du narrateur que la mère accepte d'abandonner pour lui attribuer une seconde vie.

L'auteur aborde la plupart de ses souvenirs d'une manière incertaine. Il en doute en les présentant à ses lecteurs. Lors du départ de sa mère, il nous dit : « *Bien que je n'aie rien de cassé, je porte le bras en écharpe* ». <sup>(78)</sup> Ce qu'il dénie ultérieurement au chapitre X : « *Je n'avais pas le bras en écharpe, il n'y avait aucune raison pour que j'aie le bras en écharpe* ». <sup>(79)</sup> Donc le bras cassé n'est qu'une invention parce que le petit Georges est confié à la Croix Rouge en tant qu'orphelin de guerre. Autre exemple montre le doute de Perec. Celui-ci nous raconte qu'il avait commis une erreur si grave que son équipe a perdu sa balance et s'est retrouvée au fond d'un ravin. Ensuite il nous frappe par ses dires : « *Je ne sais pas si j'ai réellement vécu cet accident ou si, comme on l'a déjà vu à d'autres occasions, je l'ai inventé ou emprunté* ». <sup>(80)</sup>

Malgré la vie brève de Georges Perec, les événements historiques ont accablé son destin. L'auteur a fait recours aux journaux de l'époque pour raconter ce qui s'est passé, le 7 mars 1936, jour de sa naissance : « *Coup de théâtre à Berlin ! [...] Les troupes allemandes entrent dans la zone rhénane démilitarisée. [...] On annonce pour le vendredi 13 mars la première de **Temps modernes**, de Charlie Chaplin* ». <sup>(81)</sup> Il présente tous ces événements pour lier son histoire personnelle avec l'histoire collective, notamment celle de ses proches.

Le texte fourmille d'événements historiques. Mais ce qui nous importe ici, c'est la guerre dont l'auteur est une victime. « *Enfant de la guerre, - constate Paul Virilio - Perec avait été comme beaucoup d'autres, le témoin scrupuleux des drames d'une guerre absolue. Un voyeur en somme, mais un voyeur menacé de disparition, pour qui la hantise de prévoir domine celle de voir* ». <sup>(82)</sup> Au fur et à mesure qu'on

<sup>(78)</sup> Ibid., p. 41.

<sup>(79)</sup> Ibid., p. 77.

<sup>(80)</sup> Ibid., p. 182.

<sup>(81)</sup> Ibid., pp. 3-34.

<sup>(82)</sup> Virilio (Paul), "Un homme qui marche", in *Portrait(s) de Georges Perec*, (ouvrage collectif sous la direction de Paulette Perec), Paris, Bibliothèque nationale de France, 2001, p. 158.

progresses dans le livre, on remarque la guerre et son évolution. C'est elle qui a fait de Georges Perec un orphelin ; âgé de quatre ans, il a perdu son père, tué par l'armée allemande ; et la situation devient plus difficile avec la disparition de sa mère et trois de ses grands-parents, déportés à Auschwitz. Le petit Georges, lui-même, était menacé par la guerre. Nous avons vu une des amies de sa grand-mère le cacher « *sous un édredon chaque fois qu'il y avait un bombardement* ». <sup>(83)</sup> Et dans une autre reprise, il dit : « *On nous fait essayer des masques à gaz* ». <sup>(84)</sup> En fait le héros n'est qu'un échantillon, symbolisant tous les habitants de Villard-de-Lans, situé dans le massif du Vercors. Cette région témoignait en juin et juillet 1944, des attaques allemandes contre la résistance française. La situation va de mal en pis et « *l'horreur devient le tissu et la texture de cette société* ». <sup>(85)</sup>

Malgré le manque des souvenirs, Perec a réussi à nous présenter son enfance pendant la guerre. Nous avons vu de près son drame et son autobiographie pulvérisée. Il a fait de l'Histoire un arrière-fond de son roman, mettant en lumière les abus de la guerre et du régime nazi. Mais son univers est si ambigu qu'il pousse Isabelle Dangy à dire : « *L'autobiographie perecquienne est une invitation à pénétrer dans le labyrinthe de la mémoire, d'où l'on ne peut sortir que par le haut en bâtissant des lectures multiples* ». <sup>(86)</sup>

Il est à noter que les souvenirs d'enfance chez les deux autobiographes sont incohérents, car leurs familles avaient l'habitude de se déplacer, changer des lieux et rencontrer de nombreux personnages. S'ils évoquent un fait passé, ils n'en feront jamais l'équivalent. Ce qu'affirme Freud : « *Nos souvenirs d'enfance nous montrent les premières années de notre vie, non comme elles étaient, mais comme elles sont apparues à des époques ultérieures d'évocation* ». <sup>(87)</sup> Ce qui nous pousse à étudier la dimension fictive dans les deux œuvres de notre corpus pour déchiffrer l'ambiguïté autobiographique.

<sup>(83)</sup> Perec (Georges), *W ou le souvenir d'enfance*, op.cit, p. 73.

<sup>(84)</sup> Ibid., p. 74.

<sup>(85)</sup> Misrahi (Robert), « W, un roman réflexif », in *Georges Perec*, Paris, Librairie Du Poncelet, 1990, p. 84.

<sup>(86)</sup> Dangy (Isabelle), op.cit, p. 50.

<sup>(87)</sup> Freud (Sigmund), « Sur les souvenirs-écrans », in *Névrose, psychose et perversion*, Paris, PUF, 1973, p. 132.



Bien que tout récit autobiographique s'avère référentiel, il emprunte à la fiction et s'élabore grâce à son aide et à son apport. « *C'est en écrivant que l'on se souvient et que l'on se met à inventer, à esthétiser sa mémoire, à se détourner à la fois de ce que l'on a vécu et de la stricte autobiographie* ». <sup>(88)</sup> Et par conséquent on peut dire que le fictif est un autre mode d'exprimer le réel qui conduit son auteur à une impasse. Ainsi les deux genres ne se trouvent pas en relation d'opposition. D'après Jacques Lecarme : « *L'autofiction ne s'oppose plus à l'autobiographie, mais en devient, sinon un synonyme, du moins une variante ou une ruse* ». <sup>(89)</sup> Elle est un état intermédiaire entre la réalité et la fiction et permet au moi de bien s'exprimer.

Quant à Modiano, il s'est intéressé à restaurer un temps révolu auquel il n'a pas vécu. Pour achever son projet, il est obligé de compter sur les souvenirs des autres et de créer la substance de ses propres souvenirs. Il « *se sert de l'autofiction comme d'un moyen d'exploration autant que comme d'un jeu littéraire* » ; <sup>(90)</sup> il voit dans la fiction, le prolongement logique de la réalité. C'est lui-même qui nous affirme que « *l'imaginaire peut dire quelque chose du réel* ». <sup>(91)</sup>

Modiano n'a cessé d'arpenter les coins obscurs du passé afin de découvrir ses origines. Il avait l'habitude de confier à l'un de ses personnages de le représenter. Nous l'avons vu dans *La place de l'étoile* s'avancer soit sous le masque de Schlemilovitch ou sous celui du narrateur. Et nous avons décelé l'autobiographique en comparant ce que nous savons de l'auteur aux informations citées dans le texte. Mais le récit se métamorphose en fiction, particulièrement lorsqu'il fait le héros vivre des événements que l'auteur n'a pas vécus, et rencontrer des personnes qui sont mortes avant la naissance de Modiano. D'ici Schlemilovitch semble avoir une « *identité trouble, insaisissable, il incarne le personnage autofictif par excellence* ». <sup>(92)</sup>

Le narrateur de *La place de l'étoile* nous a décrit deux univers : celui qu'il a connu et celui qu'il n'a pas vécu. Il a raconté ce dernier d'une manière précise, adressant ses paroles aux Français : « *Je n'ai pas*

<sup>(88)</sup> Vilain (Philippe), op.cit, p. 122.

<sup>(89)</sup> Lecarme (Jacques), "L'autofiction: un mauvais genre?" in *RITM, (Autofiction et Cie)*, op.cit, p. 227.

<sup>(90)</sup> Laurent (Thierry), op.cit, p. 30.

<sup>(91)</sup> Heck (Maryline), op.cit, p. 65.

<sup>(92)</sup> Molkou (Elizabeth), op.cit, p. 239.



connu les grand-mères qui vous préparent des confitures, ni les portraits de famille, ni le catéchisme. Pourtant, je ne cesse de rêver aux enfances provinciales ». <sup>(93)</sup> Il rêve de cette enfance où tous les membres de la famille se trouvent ensemble et mènent une vie homogène ; il rêve de cette maison traditionnelle où la grand-mère est dynamique et bienveillante. Nous remarquons ici que les portraits de famille expriment la continuité et la cohérence des générations alors que le catéchisme reflète leur appartenance à la société catholique française. Malgré la brièveté de cette citation, le narrateur a réuni tout ce qui distingue l'enfance provinciale. Au contraire, il n'aime pas son enfance réelle qui « se déroule avec monotonie sur les plages frelatées : [...] Maman [le] délaisse pour des joueurs de polo. Elle vient [l'] embrasser le soir dans [son] lit, mais quelquefois elle ne s'en donne pas la peine ». <sup>(94)</sup> Cette enfance est si stérile qu'il n'y a ni amour, ni sécurité. Elle contribue au déchirement du héros qui a du mal à s'intégrer à la France dont il n'est pas l'enfant. Ce qui le pousse à renoncer à son identité juive et à usurper tant d'identités françaises, particulièrement celle de son ami, Des Essarts. Et plus il souffre, plus il échappe au réel et reprend le fictif. Il constate : « Nos mamans nous auront tricoté des paletots : l'hiver il fait froid à Paris. Nos sœurs se marieront avec des pharmaciens d'Aurillac, des assureurs de Bordeaux. Nous servirons d'exemple à nos neveux » ; <sup>(95)</sup> il continue à mentir : « J'étais le fils aîné d'un notaire de Libourne ». <sup>(96)</sup>

Modiano a graduellement constitué sa famille fictive où nous avons rencontré ses frères et ses sœurs qu'il n'avait pas en réalité. Nous avons de même vu la mère active et soucieuse de son fils aîné. C'est une femme casanière qui s'est consacrée à sa famille. Elle s'oppose parfaitement à la mère de l'auteur qui partait sans cesse en tournées théâtrales. Aussi le contraste est-il remarquable entre le père réel et le père fictif. L'un est apatride, inapte à assumer ses responsabilités paternelles, demeure en Amérique et ne rentre que pour prendre son héritage ; l'autre en tant que notaire, garantit la stabilité financière et met les biens des familles à l'abri de tout danger. L'auteur se sert de la fiction et attribue à son père, cette profession significative, basée sur la loyauté. « Il fabrique à son père des destins imaginaires. La fiction

<sup>(93)</sup> Modiano (Patrick), *La Place de l'étoile*, op.cit, pp. 17-18.

<sup>(94)</sup> *Ibid.*, p. 18.

<sup>(95)</sup> *Ibid.*, p. 62.

<sup>(96)</sup> *Ibid.*, p. 60.

comble ainsi les vides biographiques tout en exprimant les fantasmes et les peurs du fils ». <sup>(97)</sup>

Dans *La place de l'étoile*, le héros fictif se trouve avec des personnages historiques tel Hitler (1889-1945), ce dirigeant allemand qui a fondé le nazisme et dont la politique impérialiste a contribué à l'éclat de la Deuxième Guerre mondiale. Le narrateur nous dit : « Je suis le seul juif qui ait reçu des mains d'Hitler la Croix pour le Mérite ». <sup>(98)</sup> De plus, il a tombé amoureux de sa femme : « Depuis 1935, je suis l'amant d'Eva Braun ». <sup>(99)</sup> Ce qui précède, montre à quel point l'auteur joue avec la réalité sans respecter l'objectivité, ni la crédibilité qui distingue le roman historique.

Aussi avons-nous rencontré des personnages fictifs tels Lévy-Vendôme qui était le prolongement du père, le vieux Schlemilovitch. Mais si ce dernier représente le juif égaré et apatride, celui-là travaille ans la traite des blanches et rêve d'enjuiver les Français. A côté de ce personnage, il y a un autre qui est à la fois réel et mystérieux ; il s'agit de Maurice Sachs (1906-1945), qui est célèbre par *Le sabbat* et *La chasse à courre*. Le narrateur annonce que Sachs n'est pas mort et nous raconte ses aventures depuis sa disparition en 1945. Il lui promet de « garder le secret de sa survie ». <sup>(100)</sup>

En fait tous les personnages précédents, Sachs, Hitler et Eva Braun sont morts en 1945, date de naissance de Schlemilovitch. La communication de ce dernier avec eux reste logiquement incroyable. Mais son recours à ces trois personnages est significatif et justifiable. Bien qu'il soit mis en hommage par Hitler, il le trahit en devenant l'amant de sa femme. Cette trahison n'est qu'une vengeance contre Hitler, ce dictateur qui était hostile aux juifs. Aussi Sachs ne représente-il pas le juif déchiré. Il ressemble au père de Modiano. Issu d'une famille juive, il « tente de faire fortune par diverses escroqueries et indécitesses jusqu'à se brouiller avec tous ses proches. En septembre 1930, il s'enfuit aux États-Unis d'Amérique, [...] il se livre au marché noir jusqu'en septembre 1942, où, compromis et ruiné dans divers

<sup>(97)</sup> Laurent (Thierry), op.cit, p. 102.

<sup>(98)</sup> Modiano (Patrick), *La place de l'étoile*, op.cit, p. 43.

<sup>(99)</sup> Ibid., p. 148.

<sup>(100)</sup> Ibid., p. 28.



trafics, il se cache à Anceins, dans l'Orne »<sup>(101)</sup> ; il ne faudrait pas oublier qu'il a collaboré avec la Gestapo.

En fait, l'imagination et l'hallucination sont les seuls moyens qui permettent à Schlemilovitch de s'évader de l'emprise d'un réel tragique. Il se trouve déchiré entre deux identités : l'une réelle, extérieure et l'autre fictive et intérieure. Ce déchirement nous justifie que le héros s'est intégré aux bourreaux, non pour changer des rôles, mais pour être à l'abri du danger et acquérir une identité plus sécurisante. Il ne se contente d'être proxénète, mais il nous informe : « *Je m'engageai dans la Gestapo française* »<sup>(102)</sup> dont les membres s'installaient au 16<sup>e</sup> arrondissement de Paris.

C'est l'hallucination qui a creusé l'autofiction dans *La place de l'étoile*. D'une part, elle a transformé le faux en vrai et le fictif en réel et d'autre part, elle a aidé Schlemilovitch à être équilibré. Ce dernier qui semblait, au début de l'ouvrage, naïf et victime, est progressivement devenu terrible. C'est lui qui a tué son ami Des Essarts après avoir scié les freins de sa voiture. Il a de même laissé ses lames de rasoir devant Tania qui pensait au suicide. Son comportement a bien révélé sa double identité et sa schizophrénie. Et nous le voyons à la fin du roman, allongé devant Freud qui lui dit : « *Vous n'êtes pas juif, vous êtes un homme parmi d'autres hommes, voilà tout. Vous n'êtes pas juif, je vous le répète, vous avez simplement des délires hallucinatoires, des fantasmes, rien de plus, une très légère paranoïa* ». <sup>(103)</sup> Bien que cette rencontre contribue à mettre en lumière l'état de Schlemilovitch et l'aide à se réconcilier, elle nous paraît étrange parce que Freud « *meurt d'un cancer de la mâchoire en 1939.* »<sup>(104)</sup> Cette rencontre n'est pas logique parce que le protagoniste ne naît plus. Elle n'exprime que l'aptitude de Modiano à mélanger le réel et le fictif.

Témoin de la mort de son père, de la disparition de sa mère et de ses proches, victimes de la Shoah, Perec annonce au début de son ouvrage qu'il n'a pas de souvenirs. Cette déclaration s'oppose nettement au pacte autobiographique de Philippe Lejeune qui oblige l'auteur à raconter fidèlement sa vie. Incapable d'exprimer son enfance, distinguée par le vide, Perec a compté sur l'autofiction qui lui a permis de s'écrire.

(101) [http://fr.wikipedia.org/wiki/Maurice\\_Sachs](http://fr.wikipedia.org/wiki/Maurice_Sachs).

(102) Modiano (Patrick), *La place de l'étoile*, op.cit, p. 163.

(103) Ibid., p. 209.

(104) [http://fr.wikipedia.org/wiki/Sigmund\\_Freud](http://fr.wikipedia.org/wiki/Sigmund_Freud)



Ce qu'affirme Franck Evrard : « *L'enjeu de l'écriture autobiographique de Perec est de récupérer une partie de lui-même effacée de sa mémoire en établissant des liens entre la réalité et la fiction* ». <sup>(105)</sup> Donc c'est le manque des souvenirs qui a poussé l'auteur à inventer une nouvelle structure textuelle ; il s'agit de W, le récit fictif qui est le produit « *des dessins qu' [il avait] faits vers treize ans. Grâce à eux, [il] réinvent[a] W et l'écrivi[t], le publiant au fur et à mesure, en feuilleton, dans La Quinzaine littéraire, entre septembre 1969 et août 1970* ». <sup>(106)</sup> L'auteur y dresse les mœurs et les traditions de la société W, basée sur le racisme, ainsi que son climat, sa situation géographique, son système alimentaire et onomastique. Il en consacre les deux derniers chapitres à l'enfance déchirée. Michel Bernier montre qu' « *avec les chapitres de fiction, Perec ajoute sa double vie* ». <sup>(107)</sup> Ce recours au fictif lui a permis d'interpréter sa propre histoire et d'exprimer l'indicible ; il s'agit de l'horreur et des camps. Tout cela pousse le lecteur à faire un rapprochement entre le héros autobiographique et l'enfant autiste et à se demander à quel point le récit fictif est le prolongement de la vie de l'auteur. A notre tour, nous allons mettre en lumière les points communs entre les deux récits réel et fictif.

Tout au long du livre, on remarque que les deux récits échangent sans cesse des signes. L'auteur multiplie des thèmes communs qui nous font établir des rapprochements entre les deux récits. Au chapitre II, autobiographique, il nous annonce les origines du récit fictif. Celui-ci n'est que le fruit de ses dessins pendant l'adolescence. Aussi Perec raconte-il son séjour au Vercors, « *dans un home d'enfants* ». <sup>(108)</sup> Ce qui nous fait penser immédiatement à la maison des enfants à W où ces derniers vivent ensemble. C'est « *un long bâtiment sans étages éclairé par de vastes baies. L'intérieur est une chambre unique, immense et sans cloisons, tout à la fois dortoir, salle de jeux, salle à manger* ». <sup>(109)</sup>

Dès le début de *W ou le souvenir d'enfance*, les deux récits, fictif et autobiographique, essayent sans cesse de mettre en relief un univers

<sup>(105)</sup> Evrard (Franck), *Jeux autobiographiques*, Paris, Ellipses Édition Marketing S.A., 2006, pp. 61-62.

<sup>(106)</sup> Perec (Georges), *W ou le souvenir d'enfance*, op.cit, p. 14.

<sup>(107)</sup> Bernier (Michel), "L'écriture, mémoire de l'inhumain", in *Analyses et réflexions sur Georges Perec, W ou le souvenir d'enfance*, ouvrage collectif, Paris, Ellipses Édition Marketing S.A., 1997, p. 10.

<sup>(108)</sup> Perec (Georges), *W ou le souvenir d'enfance*, op.cit, p. 117.

<sup>(109)</sup> Ibid., p. 185.

disparu : dans l'un, celui d'une île détruite, anéantie et dans l'autre celui d'une enfance perdue. Cette ressemblance est renforcée par les deux narrateurs qui sont orphelins, élevés chez leurs proches. Le père de l'un « mourut des suites d'une blessure », <sup>(110)</sup> alors que celui de l'autre « perdit tout son sang et mourut pour la France avant d'avoir été opéré ». <sup>(111)</sup> Aussi les deux hésitent-ils avant de commencer à écrire. L'un écrit, « *Persuadé que les événements dont [il a] été le témoin doivent être révélés et mis en lumière* » <sup>(112)</sup>, l'autre écrit pour mettre l'accent sur son enfance en vertu de laquelle « *les axes de [sa] vie pourront trouver leur sens* ». <sup>(113)</sup> Nous remarquons de même que les deux narrateurs changent leurs noms afin d'échapper à un réel tragique. Gaspard Winckler en tant que déserteur emprunte une autre identité pour éviter les poursuites. Et pendant son séjour au ver cors, Perec est obligé de franciser son nom pour ne pas être arrêté par les Allemands.

Autre remarque renforce la ressemblance entre les deux récits, il s'agit d'un naufrage qui a eu lieu le « 23 novembre 1942 » <sup>(114)</sup> et dont il résulte la mort de la mère de Gaspard Winckler l'enfant. Dans cette année, Georges Perec s'est trouvé à la gare de Lyon, séparé de sa mère qui devrait être déportée à Auschwitz. Donc cette année témoigne à la fois la disparition de la mère soit au récit fictif soit au récit réel. L'une est engloutie par la mer sans laisser aucune trace, l'autre « *n'a pas de tombe. C'est seulement le 13 octobre 1958 qu'un décret la déclara officiellement décidée* ». <sup>(115)</sup> Les deux mères sont ainsi abstraites, absentes de l'histoire.

A la recherche de son identité, le narrateur du récit fictionnel offre d'autres similitudes avec celui du récit autobiographique. Ses propos s'appliquent non seulement à Perec, mais ils expriment généralement la tragédie de l'identité juive pendant la Deuxième Guerre mondiale : la volonté d'être anonyme, d'échapper, de mener une vie clandestine, de dissimuler le passé et les origines. On peut dire que l'enfance de Gaspard Winckler n'est que l'écho de celle du petit Georges.

<sup>(110)</sup> Ibid., p. 11.

<sup>(111)</sup> Ibid., p. 53.

<sup>(112)</sup> Ibid., p. 9.

<sup>(113)</sup> Ibid., p. 21.

<sup>(114)</sup> Ibid., p. 64.

<sup>(115)</sup> Ibid., p. 57.



Ainsi les deux récits sont si tissés qu'on doit les lire simultanément. Ils empruntent leur matériau à la vie personnelle de Perec. Le récit fictionnel explique le récit autobiographique et lui offre certaines clés et vice versa. Ce qu'affirme Philippe Forest : « *Fiction et réalité échangent interminablement leur place, chacun passant à son tour pour la double de l'autre* ». <sup>(116)</sup> Autrement dit, les deux récits ne sont qu'un. Cependant on remarque que le récit fictionnel est antérieur à l'autre et lui impose des détails à retenir. Il ne se contente pas de traduire la douleur indicible et la perte des parents, mais il met l'accent sur l'horreur dans laquelle se trouvait l'enfant Perec. Bernard Magné constate que « *W raconte le camp de concentration qui ne peut être que brièvement nommé dans Le souvenir d'enfance, et qui a interdit le souvenir d'enfance* ». <sup>(117)</sup> Ce qui nous pousse à révéler les dimensions de la judéité et du génocide dans les deux ouvrages de notre corpus.

## II- Modiano et Perec en quête d'une judéité et d'une commémoration de la Shoah:

Les juifs sont apatrides et leur errance perpétuelle reflète leur métissage culturel. Le IV<sup>e</sup> siècle témoigne de leur arrivée en Gaule. Ils s'installent graduellement à l'Alsace et à la Lorraine. Mais au Moyen Age, à l'exception de la période de Charlemagne, ils se trouvent marginalisés, ayant du mal à se mêler à la société féodale. Privés des droits, ils souffrent et sont exacerbés par le racisme et les violences. C'est la Révolution française qui leur permet d'acquérir la nationalité et la citoyenneté. Au XIX<sup>e</sup> siècle, les juifs connaissent leur âge d'or et réussissent à s'intégrer aux Français. Ce qui encourage de nombreux juifs à quitter l'Europe orientale et à partir pour la France. Mais le nationalisme donne naissance à l'antisémitisme qui explose avec l'affaire Dreyfus. « *Les juifs ne peuvent être membres du gouvernement, ni occuper aucune fonction ministérielle ou étatique, [...] Ils ne peuvent plus pratiquer des métiers ayant à voir avec la propagation des idées ou le contact avec le grand public* ». <sup>(118)</sup>

En fait l'antisémitisme atteint le sommet durant la Seconde Guerre mondiale. Il est basé sur l'infériorité des juifs dont le nazisme considère

<sup>(116)</sup> Forest (Philippe), *Le roman, le Je*, Nantes, Editions Pleins Feux, 2001, p.19.

<sup>(117)</sup> Magné (Bernard), "Un puzzle de 100 pièces", in *Le Magazine littéraire*, n° 193, mars 1983, p. 29.

<sup>(118)</sup> Avni (Ora), *D'un passé à l'autre, aux portes de l'histoire avec Patrick Modiano*, Paris, L'Harmattan, 1997, p. 64.



le sang corrompu. Cette idéologie est logiquement adoptée dans tous les pays, soumis au régime nazi, et par conséquent dans la zone occupée de la France. Là, les juifs sont dispersés, menacés par la chasse quotidienne, obligés de vivre dans la clandestinité. Ils cachent leur véritable identité afin de ne pas être déportés soit aux camps de concentration soit à ceux d'extermination. Selon Catherine Dana : « Être juif est le signe invisible d'une destinée aveugle et arbitraire, une cause de mort, en tout cas le symbole même de l'instable ».<sup>(119)</sup>

Mais l'événement le plus tragique, c'est la Shoah (mot hébreu signifiant la catastrophe) où six millions de personnes ont trouvé la mort parce qu'ils étaient juifs. C'est un massacre sans précédent. Cependant la littérature a échoué à l'exprimer parce que les déportés n'avaient pas la chance de prendre des notes ; ils ne pensaient qu'à la survie. Aussi l'absence d'images a-t-elle contribué à l'ambiguïté du génocide<sup>(120)</sup>, demeurant longtemps insaisissable. Et ceux qui ont survécu, avaient besoin d'un temps en vue de mettre en relief leur mémoire blessée et leur expérience vécue. Aux dires de Blanckeman : « L'Occupation, la collaboration, la déportation, la Shoah constituent un temps-zéro à partir duquel la mémoire s'est perdue ».<sup>(121)</sup> Serge Doubrovsky ressent ce trou de mémoire et le présente dans son *Livre brisé* : « Saisi d'angoisse, je tâtonne d'une hâte fébrile. Je m'ausculte, je me palpe la mémoire. Je bats le rappel des souvenirs. [...] Tout a disparu en un absolu naufrage. Comme une épave, je suis là, pétrifié, sur le terre-plein de l'Étoile, devant ce désastre. 8 MAI 1945 : TROU DE MEMOIRE ».<sup>(122)</sup>

Ce sont les écrivains de la deuxième génération qui ont contribué au réveil de la mémoire juive en France. Parmi eux se trouvent Modiano et Perec qui n'étaient pas témoins de ce qui s'est passé, mais ils resteraient longtemps hantés par la mémoire de ce massacre. Bien que Modiano ne soit pas privé de ses origines tel Perec qui a perdu sa mère, il s'avère produit de l'Occupation. « Comme tous les gens qui n'ont ni terroir ni racines, dit-il, je suis obsédé par ma préhistoire. Et ma

(119) Dana (Catherine), op.cit., p. 135.

(120) Les écrivains ont commencé à traiter réellement le génocide dès les années soixante-dix : *La vie devant soi* d'Emile Ajar (1976), le *Mémorial de la déportation* de Serge Klarsfeld (1977).

(121) Blanckeman (Bruno), op.cit, p. 158.

(122) Doubrovsky (Serge), *Le livre brisé*, Paris, Grasset, (coll. Le livre de poche), 1989, pp. 32-33.

*préhistoire, c'est d'abord la période trouble et honteuse de l'Occupation : j'ai toujours eu le sentiment, pour d'obscures raisons d'ordre familial, que j'étais né de ce cauchemar ».* <sup>(123)</sup>

Pour Modiano, il s'est mis à rechercher la judéité dès sa treizième année. Il a découvert dans la bibliothèque de son père les pamphlets de Céline et d'autres textes antisémites tels *Notre avant-guerre* de Brasillach et *Décombres* de Rebatet. Même s'il n'a connu ni la souffrance de la déportation, ni l'humiliation du juif apatride, il a remonté aux temps révolus pour mettre en relief les origines desquelles il est issu. On rencontre dans toute son œuvre des marginaux, des déracinés et des chasses. A son tour, *La place de l'étoile* fourmille de thèmes concernant la question juive : la crise de l'identité, la quête des racines et la difficulté de s'adapter à une société étrangère. Nous voyons le statut de Modiano en tant que demi-juif et déraciné à travers Schlemilovitch qui dit : « *J'étais juif. Ils étaient gaulois. Ils me persécutaient* ». <sup>(124)</sup> Ces phrases simples et expressives démontrent à quel point le héros se trouve impuissant dans un milieu hostile. Cependant il a essayé de s'enraciner dans cette société et d'en trouver la clé qui l'aiderait à comprendre la mentalité française.

Schlemilovitch n'est que l'échantillon qui traduit l'image du juif humilié et marginal. A l'internat, il perçoit une menace perpétuelle. Les autres internes lui demandent ironiquement de « *cirer leurs chaussures, sous prétexte qu'ils étaient arrivés ici avant [lui]* ». <sup>(125)</sup> L'auteur n'épargne aucun effort pour mettre en lumière ce dédain, dans certaines reprises de son roman; il nous informe que « *le juif était une marchandise prisée* ». <sup>(126)</sup> Aussi Schlemilovitch nous dit-il tristement : « *Nous étions d'énormes rats d'Amérique* ». <sup>(127)</sup> Et ces paroles sont affirmées par son amie Tania qui constate terriblement : « *La Gestapo, Raphaël ! [...] Ils vont nous reconduire au bercail* » ! <sup>(128)</sup> Ceci nous indique à quel point le juif est présenté comme une épidémie. Il n'a ni histoire, ni patrie. Au lieu d'être sujet, il est toujours objet, regardé et observé par les autres qui le prennent pour un bouc-émissaire.

<sup>(123)</sup> Ezine (Jean Louis), op.cit, p. 22.

<sup>(124)</sup> Modiano (Patrick), *La Place de l'étoile*, op.cit., p. 75.

<sup>(125)</sup> Ibid., pp. 74-75.

<sup>(126)</sup> Ibid., p. 51.

<sup>(127)</sup> Ibid., p. 70.

<sup>(128)</sup> Ibid., p. 43.



Si Schlemilovitch le père représente le juif apatride qui se déplace sans laisser aucune trace, c'est Schlemilovitch le fils qui incarne la solitude et l'exotisme. Quoi qu'il fasse, son travail est gratuit et où qu'il aille, il est rejeté. Il est si dispersé qu'il revêt de nombreuses identités : journaliste de gauche, juif aristocrate ... etc. Il reste longtemps déchiré entre le pays d'origine et le pays d'accueil. Mais enfin il décide de quitter celui-ci, influencé par les dires de Lévy-Vendôme : « *Quittez la France le plus vite possible. Ce pays vous a fait du mal !* »<sup>(129)</sup>

La frustration engendre l'explosion. Schlemilovitch qui a vainement tenté d'être juif, n'a trouvé que la déception et le déracinement. Il a commencé à être agressif contre les Français. Au lycée de Bordeaux, il a crevé l'œil d'un camarade et a brisé les vertèbres d'un autre. Il a fait cela pour « *venger l'injure faite régulièrement par le comte de Toulouse à ses ancêtres !* »<sup>(130)</sup> Et lorsqu'il a tué Hilda, sa maîtresse allemande, il nous paraissait heureux. Ne dit-il pas : « *Je l'ai giflée trois fois de suite. Ça m'a fait plaisir de voir le sang couler à la commissure de ses lèvres* ». <sup>(131)</sup> Ce plaisir est justifiable parce que cette dernière, mi-allemande mi-autrichienne, n'aimait pas les juifs qui « *exigeaient des indemnités sous prétexte que leurs familles avaient été exterminées dans les camps ; ils saignaient l'Allemagne aux quatre veines* ». <sup>(132)</sup> Le plaisir du héros exprime de même sa réussite à venger six millions de juifs écrasés dans les fours crématoires.

Modiano a repris le thème de la vengeance à d'autres endroits. Nous avons vu le narrateur tuer un membre de la Gestapo qui avait tourmenté son père. Il est devenu proxénète et a livré loïtia, la nièce de l'abbé Perrache, à Lévy-Vendôme. Aussi a-t-il réussi à « *métamorphoser Aliénor d'Aquitaine en pensionnaire de bordel* ». <sup>(133)</sup> Son travail dans la traite des blanches ne lui signifie que la vengeance ; sa victoire se réalise en conduisant des françaises aux bordels orientaux ou sud-américains. Halluciné, il a rêvé de « *prostituier toute la littérature française. Transformer les héroïnes de Racine et de Marivaux en putains. Junie faisant de plein gré l'amour avec Néron sous l'œil horrifié de Britannicus. Andromaque se jetant dans les bras*

(129) **Ibid., p. 139.**

(130) **Ibid., p. 86.**

(131) **Ibid., p. 157.**

(132) **Ibid., p. 152.**

(133) **Ibid., p. 122.**



de Pyrrhus dès leur première rencontre ».<sup>(134)</sup> Ceci montre la haine du héros pour la France et son désir de détruire tout, soit concret soit abstrait. Ce désir paraît plus fort chez son compagnon Lévy-Vendôme qui s'est emparé du château d'Aliénor d'Aquitaine tout en déchirant les tableaux et les tapis. Ainsi la victime se métamorphose en bourreau et annonce franchement son racisme : « *Les juifs sont la substance même de Dieu, mais les non-juifs ne sont que la semence du bétail ; les non-juifs ont été créés pour servir le juif jour et nuit* ». <sup>(135)</sup>

La vengeance de Schlemilovitch est un cri contre la France qui a marginalisé les juifs et contre le destin de sa race considérée toujours comme épidémie. Pour exprimer ce malaise, Modiano n'hésite pas à mettre l'accent sur l'affaire Dreyfus qui représente un tournant décisif dans l'histoire des juifs français. Elle a divisé la France en deux camps : les dreyfusards et les antidreyfusards qui prennent les juifs pour traîtres. L'auteur a présenté deux versions de cette affaire ; l'une tient Dreyfus pour coupable ; il « *aimait passionnément la France de Saint Louis, de Jeanne d'Arc et des Chouans, ce qui expliquait sa vocation militaire. La France, elle, ne voulait pas du juif Alfred Dreyfus. Alors il l'avait trahie, comme on se venge d'une femme méprisante aux éperons en forme de fleurs de lis* » <sup>(136)</sup> ; la seconde est basée sur la loi de la non-contradiction où le héros refuse d'être soldat à l'armée qui a renoncé aux services de Dreyfus. Il a publié une déclaration signée par Jacop X, dans les journaux parisiens : « *Je suis juif et l'armée qui a dédaigné les services du capitaine Dreyfus se passera des miens. On me condamne parce que je ne remplis pas mes obligations militaires. Jadis le même tribunal a condamné Alfred Dreyfus parce que lui, juif, avait osé choisir la carrière des armes. En attendant que l'on m'éclaire sur cette contradiction, je me refuse à servir comme soldat de seconde classe dans une armée qui, jusqu'à ce jour, n'a pas voulu d'un maréchal Dreyfus* ». <sup>(137)</sup> Celui-ci et le héros représentent bien la contradiction : l'un est brutalement éliminé de l'armée alors que l'autre est déserteur. De plus, ce dernier demande aux jeunes juifs de suivre son exemple. Ce refus d'appartenir à la France évolue dans *La ronde de nuit* où le héros, agent double, trompe alternativement la Gestapo et la Résistance française. Cet ouvrage présente tant de crimes non seulement contre la

<sup>(134)</sup> Ibid., p. 93.

<sup>(135)</sup> Ibid., p. 137.

<sup>(136)</sup> Ibid., p. 16.

<sup>(137)</sup> Ibid., p. 24.

société, mais contre tout un pays. Nous y voyons Rosenheim, un des personnages, déclarer : « *Nous obtiendrons bientôt la France entière pour une bouchée de pain et la revendrons au plus offrant* ». <sup>(138)</sup>

Modiano a réussi à mettre en lumière le climat de menace où le juif était persécuté. Persuadé qu'il y a deux sortes d'identité, celle de la société extérieure, réelle et celle de l'égo intérieure et imaginaire, l'auteur compte sur cette dernière pour traiter la Shoah. Il n'hésite pas à désigner les nazis fanatiques et criminels. C'est son héros dont la torture laisse des marques sur son visage. Il résume toute la persécution pratiquée contre sa race durant deux mille ans de l'histoire. Nous le voyons en Israël, dans un camp commandé par des bourreaux juifs. Il dit : « *On me plonge la tête dans l'eau glacée. [...] On me tira par les cheveux* ». <sup>(139)</sup> Dans cette scène terrible et cauchemardesque, Modiano insiste à énumérer toute forme de souffrance pour nous faire penser au génocide. Nous voyons de nouveau Schlemilovitch, allongé à terre. « *Saül [lui] arracha consciencieusement trois ongles. Ensuite Isaïe [lui] lima les dents* ». <sup>(140)</sup> De plus, sa fiancée, Rebecca « *est liquidée* », <sup>(141)</sup> après avoir été violée par des policiers israéliens. Cette scène n'est que l'écho de la liquidation adoptée par les Allemands dès 1942, pour exécuter les juifs en utilisant le gaz.

Quant à Georges Perec, son existence a été bouleversée par la Shoah. Celle-ci captait sans cesse l'attention de l'auteur qui lui a consacré *W ou le souvenir d'enfance*, soit le récit fictionnel soit le récit autobiographique. L'un présente l'île olympique ressemblant aux camps nazis où plus de six millions de juifs ont été exterminés ; l'autre raconte l'histoire d'un enfant orphelin pendant la Seconde Guerre mondiale. Il n'hérite de ses parents que les blessures et le déchirement.

Le petit Perec n'était pas témoin de ce qui s'est passé dans les camps de concentration. Tout ce qu'il connaît, est confus et imaginaire parce que ces camps ont détruit non seulement la mémoire individuelle, mais aussi la mémoire collective. Perec affirme que « *les troubles de la mémoire ne sont pas de son seul fait, ils s'étendent à la tante Esther, à*

<sup>(138)</sup> Id, *La ronde de nuit*, Paris, Gallimard, 1969, p. 147.

<sup>(139)</sup> Id, *La place de l'étoile*, op.cit, p. 178-179.

<sup>(140)</sup> Ibid., p. 180.

<sup>(141)</sup> Ibid., p. 202.



la cousine Ela, et même au camarade de classe Louis Argoud. »<sup>(142)</sup>  
 Bien qu'il ignore la Shoah, l'auteur en reste à jamais le fils d'une victime ; il s'agit de sa mère qui représente à la fois la disparition et l'anéantissement. Mais cette ignorance a disparu lorsque l'adolescent Perec est allé à une exposition sur les camps et a découvert la réalité cauchemardesque. A ses dires : « *Je suis allé avec ma tante voir une exposition sur les camps de concentration. [...] Je me souviens des photos montrant les murs des fours lacérés par les ongles des gazés* ». <sup>(143)</sup> Cette exposition lui a permis de voir des tableaux expressifs et de deviner le destin tragique de sa mère.

Autre élément a aidé Perec à bien connaître le régime nazi ; il s'agit des films qu'il a vus. Il serait utile de rappeler qu'il a « participé à une émission de télévision qui s'appelait « *la vie filmée des Français* », qui était un montage de films d'amateurs des années 30-36 et pour laquelle [il a] écrit le commentaire ». <sup>(144)</sup> Aussi a-t-il fait partie de l'équipe d'un film sur *Ellis Island*, réalisé par Robert Rober, qui a mis l'accent sur les émigrants européens de 1880 à 1940. Ceci lui a donné l'occasion de retrouver sa propre histoire. Nul doute qu'il a vu *Triomphe des Willens*, film allemand, réalisé en 1934 sur l'ordre d'Hitler. Ce film montre l'entrée triomphale de ce dernier à Nuremberg. En fait, le régime nazi a utilisé le cinéma pour enthousiasmer et galvaniser ses soldats et les persuader de tuer les juifs qui ne méritent pas de vivre. Pierre Birnbaum constate que « *plusieurs films sont tournés pour montrer l'abjection de cet ennemi juif. Ils sont diffusés massivement et les soldats ont pour obligation de les regarder attentivement* ». <sup>(145)</sup>

Il est à noter qu'au volet autobiographique de *W ou le souvenir d'enfance*, le narrateur n'a jamais attaqué le régime nazi. Il a vite mentionné la mort de son père pendant la guerre et la déportation de sa mère aux camps de concentration. Il nous a fait voir les Allemands se trouver dans son collège, sans citer des détails. Au lieu d'exprimer la terreur pratiquée contre les juifs, il a montré la réaction de ses proches habituels à se déplacer, particulièrement sa grand-mère. Elle « *ne parlait*

<sup>(142)</sup> Behar (Stella), *Georges Perec: écrire pour ne pas dire*, New York, Peterlang Publishing, 1995, pp. 141, 142.

<sup>(143)</sup> Perec (Georges), *W ou le souvenir d'enfance*, op.cit., p. 213.

<sup>(144)</sup> Id, *Je suis né*, Paris, Éditions du Seuil, 1990. p. 85.

<sup>(145)</sup> Birnbaum (Pierre), "La guerre juive", in *Critique*, tome LXV, n° 740-741, Paris, Les Éditions de Minuit, 2009, p. 29.



*pratiquement pas le français, et que son accent étranger aurait pu la faire dangereusement remarquer, il fut convenu qu'elle passerait pour muette.* »<sup>(146)</sup> Contrairement au récit réel, c'est le volet fictif qui a lâché la bride à Perec et lui a permis d'exprimer l'indicible. Aux dires d'Andy Leak : « *Le récit W se substitue au souvenir d'enfance qui manque* ».<sup>(147)</sup>

On se demande pourquoi l'auteur a tenu le sport pour référence du régime nazi, terroriste. Ce choix remonte peut être à sa formation personnelle. Perec, lui-même, nous a affirmé qu'il pratiquait du ski pendant son enfance et son adolescence. Il en a expliqué la technique : « *Il faut se tenir debout, bras et mains tendus dans le prolongement du corps, et le sommet de la spatule du ski tenu verticalement doit venir s'appliquer au milieu de votre paume* ».<sup>(148)</sup> Aussi a-t-il pratiqué le cyclisme et *W ou le souvenir d'enfance* a révélé à quel point il s'intéressait aux manifestations et aux records sportifs. Andrée Chauvin remarque que « *36 des 478 microtextes de Je me souviens sont en relation avec la culture populaire du sport* ».<sup>(149)</sup> Avec ces motivations intérieures, il y a d'autres extérieures ; il s'agit de l'importance que les pays communistes ont donnée au sport. Ce dernier y constituait dès 1945, une manière de la promotion sociale. Mais ce sont les Jeux Olympiques de Berlin en 1936, qui ont lié le sport avec la politique et en ont fait un moyen pour endoctriner la masse et lui imposer le nazisme. 36 ans après, la situation va de mal en pis. C'est Munich qui a témoigné en 1972 d'un « *attentat terroriste perpétré par l'O.L.P. contre les athlètes israéliens dans le village olympique. Par cet attentat contre des sportifs désarmés, et au sein d'un espace fondé sur l'idéologie de la compétition fraternelle, les membres de l'O.L.P. renversaient leur pseudo-idéal de liberté démocratique et fraternelle, et ce renversement était comme le progrès insidieux et irrésistible d'une pourriture.* »<sup>(150)</sup>

<sup>(146)</sup> Perec (Georges), *W ou le souvenir d'enfance*, op.cit, p. 172.

<sup>(147)</sup> Leak (Andy), "W / Dans un réseau de lignes entrecroisées : souvenir, souvenir-écran et construction dans W ou le souvenir d'enfance », in *Parcours Perec*, colloque de Londres, textes réunis par Mireille Ribière, Lyon, Presses Universitaires de Lyon, mars 1990, p. 80.

<sup>(148)</sup> Perec (Georges), *W ou le souvenir d'enfance*, op.cit, p. 139.

<sup>(149)</sup> Chauvin (Andrée), *Leçon littéraire sur W ou le souvenir d'enfance de Georges Perec*, Paris, Presses Universitaires de France, 1997, pp. 84-85.

<sup>(150)</sup> Misrahi (Robert), op.cit, p. 85.

Ainsi cette olympiade a annoncé la discrimination et a détourné l'idéal sportif du droit chemin.

Dans l'île W, il n'y a ni famille, ni communauté amicale, ni liens sociaux. Elle est si divisée en divers lieux qu'elle représente la ségrégation ; on y retrouve quatre villages olympiques, maison des enfants, asile des vieillards, gynécée. Les athlètes sont ainsi séparés des femmes ; ils ne les rencontrent que dans la violence. « *On amène alors sur le stade central les femmes présumées fécondables, on les dépouille de leurs vêtements et on les lâche sur la piste où elles se mettent à courir du plus vite qu'elles peuvent. On leur laisse prendre un demi-tour d'avance, puis on lance à leur poursuite les meilleurs Athlètes W, [...] un tour de piste suffit généralement aux coureurs pour rattraper les femmes, et c'est le plus souvent en face des tribunes d'honneur, soit sur la cendrée, soit sur la pelouse, qu'elles sont violées* ». <sup>(151)</sup> Dans cet univers chaotique, la sexualité se métamorphose en comportement animal et les enfants ne sont que le produit d'un viol collectif. Et lorsque ces derniers deviennent novices, ils se trouvent isolés, obligés de se soumettre à ceux qui les protègent. Cette soumission et cette appartenance contribuent effectivement à renforcer la rivalité et à détruire toute sorte de solidarité. Ce qui fait de l'île W, une machine enorme de l'inhumain dont le but est : anéantir systématiquement les hommes.

La division de l'île W en 4 villages ressemble au camp d'Auschwitz, divisé en blocs. La forteresse est le bâtiment principal où résident les membres du gouvernement qui « *sont choisis parmi les organisateurs et dans le corps des Juges & Arbitres, mais jamais parmi les Athlètes* ». <sup>(152)</sup> Ce gouvernement symbolise le régime nazi qui dominait le camp et l'avait sous sa conduite. Il encourage les athlètes à lutter afin d'empêcher leur solidarité, de les réduire à la conduite animale et de les emprisonner à jamais dans une situation cauchemardesque. De plus, il modifie les critères objectifs, acceptables dans toute compétition et introduit d'autres pour répartir les victoires. « *Ce qui ferait exagérément dégénérer la compétition et la transformerait en un carnage aux conséquences imprévisibles* ». <sup>(153)</sup> Les athlètes sont sans cesse obligés à une déchéance morale et physique.

<sup>(151)</sup> Percec (Georges), *W ou le souvenir d'enfance*, op.cit, p. 167.

<sup>(152)</sup> *Ibid.*, p. 99.

<sup>(153)</sup> *Ibid.*, p. 169.



Ils ne peuvent ni gagner, ni améliorer leur niveau sans trahir leurs confrères. Enfermés, ils sont pareils aux prisonniers du camp d'extermination. Ce qui nous pousse à comparer les uns aux autres pour mettre en relief les points de similitude.

Nous trouvons à W des allusions à la ségrégation des athlètes handicapés. Ceux-ci sont destinés à des courses amusantes pour « *délasser le public de la tension extrêmement forte qui règne pendant la plupart des compétitions* ». <sup>(154)</sup> Mais en fait, on tue immédiatement les juifs qui étaient malades soit physiquement ou psychiquement. Autre problème est fortement présent à W ; il s'agit de la sous-alimentation des athlètes. Ce sont les vainqueurs qui peuvent dîner alors que les vaincus sont exclus ; ainsi « *les uns étant de plus en plus vigoureux, les autres de plus en plus faibles* ». <sup>(155)</sup> Cette méthode est réellement adoptée par les nazis dans les camps de concentration. Ils font tout ce qui déforme l'être humain. Pour eux, « *il faut que les détenus se battent entre eux pour manger, qu'ils pourrissent devant la nourriture* ». <sup>(156)</sup>

De nouveau, les athlètes et les prisonniers du camp d'extermination se ressemblent ; ils sont anonymes. Ce que montre Perec dans son récit fictionnel. « *L'abandon des noms propres appartenait à la logique W : bientôt l'identité des Athlètes se confondit avec l'énoncé de leurs performances* ». <sup>(157)</sup> L'athlète est ainsi privé de son identité qui ne se trouve qu'avec ses victoires réalisées dans les courses. Le nom qu'il porte est celui d'un athlète antique et change selon le type d'épreuve où il gagne. Autre chose renforce cette ressemblance ; il s'agit des novices qui portent un vêtement uni. « *On leur remet l'insigne de leur nouvelle fonction : un large triangle d'étoffe blanche qu'ils cousent, pointe en haut, sur le dos de leur survêtement* ». <sup>(158)</sup> Ce triangle nous fait penser à l'étoile jaune que les juifs étaient obligés de porter sur leurs vêtements. Il est à noter que l'étoile juive est composée de deux triangles identiques.

Aussi les athlètes de W sont-ils pareils aux prisonniers déportés qui viennent de tous les pays et coexistent dans des blocs. Ils se trouvent dans une société raciste qui ne s'intéresse qu'à broyer les hommes.

<sup>(154)</sup> Ibid., p. 116.

<sup>(155)</sup> Ibid., p. 123.

<sup>(156)</sup> Antelme (Robert), *L'espèce humaine*, Paris, Gallimard, 1996, p. 71.

<sup>(157)</sup> Perec (Georges), *W ou le souvenir d'enfance*, op.cit, p. 130.

<sup>(158)</sup> Ibid., p. 197.



Cette société classifie ses membres selon leur puissance physique. Elle comporte les maîtres et les esclaves dont chacun commence sa carrière comme novice ; il reste, six mois, « enchaîné la nuit à son lit, et souvent même bâillonné ». <sup>(159)</sup> Même si lorsqu'ils deviennent athlètes, nous les voyons tels des animaux, « amenés sur la ligne de départ dans des cages grillagées ». <sup>(160)</sup> Le piège est si bouclé que tous se trouvent au sein d'un cercle vicieux sans issue et leur mouvement de circulation est permanent et gratuit. Comme l'a dit Solange Fricaud : « Les personnages de *W* ne représentent pas des individus, ni mêmes des hommes, ils n'évoluent pas, n'ont pas d'histoire, ils se reproduisent et s'entretiennent. » <sup>(161)</sup>

Tout ce qui précède affirme que les camps de *W* représentent ceux de la mort et que les athlètes sont l'écho des juifs déportés. Perec s'était reposé sur la métaphore qui lui a permis d'affronter la vérité de cet univers infernal et de « se dire sans se dire ». <sup>(162)</sup> Cependant après nous avoir donné l'occasion de deviner, l'auteur a annoncé à la fin de son ouvrage que « plusieurs îlots de la Terre de Feu sont aujourd'hui des camps de déportation ». <sup>(163)</sup> Ce qu'il a ultérieurement répété d'une manière plus franche : « Je pense que ce qui se passe, c'est que dans la partie de fiction [de *W* ...] je décris l'univers complètement inhumain qui, petit à petit, devient un univers très zélé de camp de concentration correspondant à la découverte que j'en ai fait moi-même après la guerre ». <sup>(164)</sup>

Nul besoin de multiplier d'autres exemples concernant la présence de la judéité dans les deux ouvrages de notre corpus. Nous avons observé que les deux auteurs avaient traité la Shoah et leur vie personnelle d'une manière métaphorique et fictionnelle. Nous essaierons de savoir à quel point la technique romanesque a participé à exprimer l'autofiction et le réel juif.

### III- La technique romanesque au service de la judéité et de l'autofiction :

<sup>(159)</sup> Ibid., p. 187.

<sup>(160)</sup> Ibid., p. 175.

<sup>(161)</sup> Fricaud (Solange), « *W* : l'utopie de la déshumanisation », in *Analyses & réflexions sur Perec, W ou le souvenir d'enfance*, op.cit, p. 100.

<sup>(162)</sup> Burgelin (Claude), op.cit, p. 20.

<sup>(163)</sup> Perec (Georges), *W ou le souvenir d'enfance*, op.cit, p. 220.

<sup>(164)</sup> Id, *Entretiens et conférences 1979-1981*, Paris, Joseph K., 2003, p. 206.

En fait Modiano et Perec ont choisi deux titres significatifs. Abordons tout d'abord *La place de l'étoile*, ce titre hypersémantique qui nous rappelle à la fois l'étoile juive et les souvenirs de l'Occupation. Cette place, « *marquée en son centre par l'Arc de Triomphe, est celle où défilait l'armée allemande après la défaite française : en un tel lieu, symbole de la grandeur française, ce défilé militaire a dû représenter plus qu'une humiliation pour les Parisiens* ». <sup>(165)</sup> Ce titre renferme un nom de lieu et révèle l'amour de l'auteur pour l'espace qui est présent dans la plupart de ses ouvrages : *Boulevard de ceinture, villa triste, Rue des boutiques obscures, Quartier Perdu* ... etc. De plus, une des composantes de ce titre est l'étoile que tous les juifs déportés étaient condamnés à porter. Pour exprimer la valeur de ce lieu, Modiano a présenté dès le début, un exergue emprunté à *l'Histoire juive* : « *Au mois de juin 1942, un officier allemand s'avance vers un jeune homme et lui dit : « Pardon, monsieur, où se trouve la place de l'Étoile ? » Le jeune homme désigne le côté gauche de sa poitrine* ». <sup>(166)</sup> Donc la place de l'étoile se trouve au cœur de protagoniste ; elle l'accompagne où qu'il aille et domine ses sentiments et son intériorité. D'après Daniel Parrochia : « *La place de l'étoile n'est pas un lieu précis de l'espace ambiant, et qu'on pourrait éviter. C'est la place du cœur, et on ne guérit jamais entièrement des attaques dont il a été le siège* ». <sup>(167)</sup>

Quant à *W ou le souvenir d'enfance*, c'est un titre double <sup>(168)</sup>, énigmatique, renfermant deux composantes dont le rapprochement provoque la curiosité. En vertu de cette forme du titre le roman est si divisé qu'il impose deux récits au lecteur. D'une part, la fiction de l'île W ; de l'autre, le récit autobiographique. « *Le titre indique à l'aide de la conjonction « ou » à quel point les deux récits sont considérés comme équivalents, voire interchangeables* ». <sup>(169)</sup> Donc ce « ou » qui sépare les deux éléments du titre ne présente ni choix, ni alternative, parce que les

<sup>(165)</sup> Obergöker (Timo), op.cit. , p. 118.

<sup>(166)</sup> Modiano (Perec), *La place de l'étoile*, op.cit, p. 11.

<sup>(167)</sup> Parrochia (Daniel), *Ontologie fantôme, essai sur l'œuvre de Patrick Modiano*, Fougères, La Versanne, Encre marine, 1996, p. 52.

<sup>(168)</sup> Perec n'invente pas la pratique du titre double qui est déjà connu. On peut citer à titre d'exemple : *la folle journée ou le mariage de Figaro de Beaumarchais, Blanche ou l'oubli d'Aragon*.

<sup>(169)</sup> Imbert (David Conte), "Mémoire et utopie dans W ou le souvenir d'enfance", in *Thélème*, n°16, Madrid, Revista complutense de Estudios Franceses, Departamento de Filología Francesa, Facultad de Filología Ciudad Universitaria , 2001, p. 140.



deux récits ne sont qu'un. Le second affirme le premier et ne l'annule pas.

Il est à noter que le deuxième élément du titre est un mot singulier : le souvenir. Cette singularité montre le manque des souvenirs. Ce qui justifie la mise en relief du récit fictionnel qui précède l'autobiographie. Et après avoir mis la lettre W, isolée sur la couverture de son ouvrage, Perec ne s'attarde pas à en désigner le sens. On apprend dès le début que le narrateur a fait un « voyage à W »<sup>(170)</sup> qui est une île secrète et mystérieuse. W est aussi l'initiale de Gaspard Winckler, le héros, et de Wilson le fondateur de cette île. Bref c'est un titre significatif qui comporte à la fois la judéité et l'autofiction. Un de ses éléments symbolise les camps de concentration à Auschwitz, alors que l'autre est un retour au temps révolu qui témoigne de la disparition de sa famille juive.

Autre chose relie les deux ouvrages de notre corpus avec la judéité, il s'agit de la dédicace. D'une part, Modiano a dédié *La place de l'étoile* à son frère Rudy; d'autre part, Perec a offert W, le récit fictif, à Robert Antelme à qui il avait consacré un article intitulé « *Robert Antelme ou la vérité de la littérature* »<sup>(171)</sup> Influencé par *L'espèce humaine* de ce dernier qui a mis l'accent sur la quotidienneté dans le camp de Gandersheim, Perec a présenté d'une manière rapide des descriptions inexplicées. Quant au récit autobiographique, l'auteur l'a dédié à E introuvable. Ainsi on est demandé d'identifier ce E qui peut être : eux (ses parents), elle (sa mère), Ela (sa cousine), Esther (sa tante) ... etc. Anne-Laure Brisac croit que la dédicace concerne cette dernière ; elle dit : « *Perec a rédigé l'essentiel de son roman à Blévy chez sa tante Esther, alors malade d'un cancer. Cette dédicace pourrait donc tout d'abord se présenter comme un hommage que Perec rend à sa tante mourante* ».<sup>(172)</sup>

En ce qui concerne les personnages, ceux de Modiano se trouvaient en conflit perpétuel en vue de vivre et résister au passé qui essayait de les engloutir. *La place de l'étoile* a présenté des personnages réels tels le père, aventurier et la mère, actrice et d'autres fictifs qui avaient réellement vécu avant la naissance du narrateur tel Maurice

<sup>(170)</sup> Perec (Georges), *W ou le souvenir d'enfance*, op.cit., p. 9.

<sup>(171)</sup> Cet article est paru en *Partisans*, n° 8, 1963, p. 121-134.

<sup>(172)</sup> Brisac (Anne-Laure), "Sur le seuil de W ou le souvenir d'enfance", in *Analyses & réflexions sur Perec, W ou le souvenir d'enfance*, op.cit, pp. 41-42.



Sachs. Ces personnages ont révélé l'impuissance et le découragement de manière à nous faire penser aux juifs déportés. Ballottés par les circonstances terribles, ils cachent leur vraie identité et changent des noms afin de s'adapter à la société. « *Beaucoup d'entre eux sont anonymes, mais leur anonymat exprime l'oubli et l'isolement* ». <sup>(173)</sup>  
Bref ils sont passifs et dépersonnalisés.

En fait Schlemilovitch demeure le seul personnage bien décrit. Il pèse « *quatre-vingt-dix kilos, mesurai[t] un mètre quatre-vingt-dix-huit* » <sup>(174)</sup>; il est « *un jeune homme tout à fait comme il faut. Belle prestance, yeux de velours, sourire américain* ». <sup>(175)</sup> Cependant il est frappé par la tuberculose. Modiano lui attribue un visage expressif, reflétant son intérieur et en présente les origines familiales. Persuadé que la dénomination contribue à la structure du personnage et lui dicte ses actions, l'auteur donne à son héros un nom significatif. Baptiste Roux désigne que « *le nom provient de l'union de schlemihl et du suffixe ovitch, plaisante référence à la finale d'une importante catégorie de noms hébraïques, employée avec dérision de façon générique. L'origine du substantif proviendrait, selon les sources, de la formation yiddish de Schlimn (mauvais) et mazel (chance), donnant l'adjectif schlimazl* » <sup>(176)</sup> que nous pouvons traduire en français par celui qui n'a pas de chance. Ainsi ce nom étranger correspond au héros apatride et l'entrave de s'intégrer au milieu hostile ; il traduit son exotisme.

Pour Perec, il a présenté ses personnages d'une manière superficielle, sans citer les détails qui nous aident à les comprendre. Bien qu'ils soient nombreux, nous avons du mal à en saisir la composition et les spécificités. Humiliés, ils se trouvent dans un milieu hostile qui les déshumanise. Au lieu de participer à l'action, ils sont présentés comme décor. L'auteur les utilise pour constituer la scène et mettre en relief l'injustice et le fascisme. Ils sont « *abandonnés et le texte ne s'occupe plus que d'évoquer W : l'île utopique a basculé dans l'horreur d'un monde absurde et féroce.* » <sup>(177)</sup>

<sup>(173)</sup> Gellings (Paul), *op.cit*, p. 19.

<sup>(174)</sup> Modiano (Patrick), *La Place de l'étoile*, *op.cit.*, p. 78.

<sup>(175)</sup> *Ibid.*, p. 90.

<sup>(176)</sup> Roux (Baptiste), *op.cit*, p. 232.

<sup>(177)</sup> Zanone (Damien), *L'autobiographie*, Paris, Ellipses, édition marketing S. A., 1996, p. 85.

Au récit autobiographique, Perec est le témoin qui ne voit rien. Il reste absent de son histoire. Tous ses proches sont abstraits, marginalisés. Son père meurt gratuitement dans la guerre en vue de défendre un pays qui n'est pas le sien ; sa mère est déportée à Auschwitz sans laisser aucune trace. Ils sont présentés comme photographies. L'auteur « ne cherche pas à leur donner intériorité psychologique, intimité sensorielle ou présence corporelle ». <sup>(178)</sup> D'autre part, le récit fictif présente Gaspard Winckler, orphelin né en France. Il part pour l'Allemagne afin de ne pas faire la guerre. C'est un personnage énigmatique dont nous ignorons le vrai nom et la date de naissance. Au fur et à mesure que l'on progresse dans le livre, s'imposent des questions concernant ce personnage dont la réponse reste inconnue : Quelles sont ses origines ? Pourquoi a-t-il choisi l'Allemagne comme terre d'accueil ? Comment est-ce qu'il a survécu à ses aventures ? Où est-ce qu'il a disparu ? Est-il mort ? Cependant c'est lui qui s'est mis à chercher l'enfant autiste absent jusqu'au bout. Il nous a conduit à l'île W où il y avait des sportifs anonymes symbolisant les déportés juifs.

Nous avons remarqué l'importance de l'espace dans les deux ouvrages de notre corpus. Dans *La place de l'étoile*, Schlemilovitch est égaré sur le plan géographique et ses proches sont dispersés dans de diverses villes : Vienne, Trieste, Budapest, Salonique, Istanbul, Le Caire, Londres, Paris, Caracas. Ceci montre l'amour de Modiano pour la ville et particulièrement pour Paris qui est à la fois témoin de ses rêveries et de ses angoisses. L'auteur choisit Paris « non seulement d'un point de vue dramatique, mais également historique, puisque c'est dans cette ville que le père de l'écrivain vécut la guerre ». <sup>(179)</sup> Aussi le héros y trouve-t-il la scène de ses souvenirs et le seul lieu qui puisse exprimer son univers intérieur. Il nous dit : « Paris me ressemblait trop. Une fleur artificielle au milieu de la France ». <sup>(180)</sup> Cette ressemblance désigne qu'ils sont identiques, indissociables. Même si la capitale est présentée comme labyrinthe, c'est elle qui aide le héros à prendre conscience de soi et à achever sa quête intérieure. Elle est à la fois le réel et le fictif. Ce qu'affirme Modiano : « Mon Paris n'est pas un Paris de nostalgie

<sup>(178)</sup> Burgelin (Claude), *op.cit*, p. 21.

<sup>(179)</sup> Roux (Baptiste), *op.cit*, p. 107.

<sup>(180)</sup> Modiano (Patrick), *La place de l'étoile*, *op.cit*, p. 65.



*mais un Paris rêvé, composé d'expressions vécues et incorporées à la fiction* ». <sup>(181)</sup>

Tout au fil du roman, Modiano n'a cessé de présenter un espace labyrinthique, concrétisant le passé complexe et opaque. On n'a trouvé ni maison familiale, ni lieux d'enfance, mais des non-lieux tels les buffets de gare où le père du narrateur rencontrait ses amis. L'auteur, lui-même, constate que son « *père en profitait pour donner des rendez-vous dans les cafés de la porte d'Orléans. [...] Les gens qu'il rencontrait là lui parlaient à voix basse* ». <sup>(182)</sup> L'espace a contribué à creuser l'ambiguïté des personnages, condamnés à fréquenter des lieux de transit. Il était si mouvant et si transitoire que le héros se déplaçait sans but, ni destination. Cet espace est parfois morcelé et discontinu. Schlemilovitch qui a été arrêté en Israël, nous l'avons vu soudainement à Paris. Cette discontinuité a entravé le déroulement réaliste d'événements tout en renforçant l'écart autofictionnel dans le roman.

D'autre côté, Perec était amoureux de Paris et de ses quartiers auxquels il a consacré son livre *Espèces d'espaces*. Mais en ce qui concerne les lieux du récit autobiographique, il s'est contenté de citer les noms des villes sans en présenter une description détaillée. C'est seulement la rue Vilin qui a ancré le récit en réel. L'auteur y a remonté afin de se mettre en quête de soi-même. Il nous a fait voir cette rue, située dans le vingtième arrondissement où se trouvait la maison familiale. Elle « *est aujourd'hui aux trois quarts détruite. Plus de la moitié des maisons ont été abattues, laissant place à des terrains vagues où s'entassent des détritiques, de vieilles cuisinières et des carcasses de voitures ; la plupart des maisons encore debout n'offrent plus que des façades aveugles* ». <sup>(183)</sup> Cette rue démolie a révélé les indices de la guerre, le sort des juifs et particulièrement celui des proches de Perec qui ont trouvé la mort soit en France soit aux camps de concentration. Autre citation expressive désigne à quel point les juifs étaient dispersés et apatrides. L'auteur nous informe qu'entre 1896 et 1909, la ville natale de son père, « *Lubartow aurait été successivement russe, puis polonaise, puis russe à nouveau* ». <sup>(184)</sup>

(181) Busnel (François), op.cit, p. 93.

(182) Modiano (Patrick), *Ephéméride*, op.cit, p. 22.

(183) Perec (Georges), *W ou le souvenir d'enfance*, op.cit, p. 67.

(184) *Ibid.*, p. 52.



Si l'espace du récit autobiographique met en relief les origines juives de Perec, celui du récit fictif montre l'autofiction. L'auteur y présente des villes impossibles à identifier parce qu'elles sont réduites à leur initiale et deviennent des lettres. Le narrateur constate qu'il était « depuis trois ans à H. Lorsque, le matin du 26 Juillet 19 ..., [sa] logeuse [lui] remit une lettre. Elle avait été expédiée la veille de K., une ville de quelque importance située à 50 kilomètres à peu près de H. » (185)

Grâce au voyage de Gaspard Winckler, nous avons vu l'île W, située à l'extrémité du monde, sur la Terre de Feu. L'auteur ne s'est pas attardé à la décrire géographiquement et historiquement. « W était une île absolument déserte, [...] la brume, les récifs, les marais avaient interdit son approche ; [...] W n'apparaissait pas ou n'était qu'une tache vague et sans nom dont les contours imprécis divisaient à peine la mer et la terre ». (186) Ainsi cette île est présentée comme un non-lieu à la fois hostile et inaccessible. C'est un univers clos dont les lois et l'inférieure machine anéantissent l'humanité au lieu de l'exalter ; il symbolise la mort et la ruine. Ce qui nous fait penser aux camps de concentration et à l'Allemagne nazie. Celle-ci est présente dans le récit fictif, mais d'une manière chiffrée et ambiguë. Manet Van Montfrans nous annonce que Perec utilise des noms de lieux qui « sont tous soumis à une stratégie de codage métonymique dont le déchiffrement fait apparaître la figure de l'Allemagne ». (187)

Un autre point renforce la similitude entre les deux ouvrages, c'est l'intertextualité. Celle-ci est présente à certaines reprises de *La place de l'étoile*. Tout d'abord, nous y rencontrons ces deux vers expressifs : « Que serais-je sans vous ? Venez donc me défendre / Contre la raison sèche de cette terre heureuse ». (188) Ces vers qui montrent la solitude et l'exotisme du poète, nous rappellent les juifs apatrides. De plus, ils sont écrits par André Spire (1868-1966) qui est à la fois poète, écrivain et militant sioniste. Parmi ses œuvres consacrées à la judéité, nous citons *Quelques juifs* (1913), *Les juifs et la guerre* (1917), *Le sionisme* (1918) et *Poèmes juifs* (1919). Modiano ne se contente pas de mettre l'accent sur la victime juive, mais il a tenté de créer un climat exotique

(185) Ibid., p. 15.

(186) Ibid., p. 90.

(187) Montfrans (Manet Van), op.cit, p. 186.

(188) Modiano (Patrick), *La place de l'étoile*, op.cit, p. 40.

en citant un poème <sup>(189)</sup> écrit en allemand par Heine. <sup>(190)</sup> Ce poème n'est pas gratuit, l'auteur en a profité dans la structure dramatique. Schlemilovitch l'a prononcé lorsqu'il a décidé de révéler son identité juive à Hilda, son amie allemande.

Dans *La place de l'étoile*, on trouve presque de nombreuses références qui expriment le déchirement culturel du héros. Mais ce qui a capté notre attention, c'est l'insistance de Modiano à choisir des écrivains qui ont connu le chagrin et la souffrance dès leur enfance. A titre d'exemple, il a cité Proust et Mauriac qui n'avaient pas un passé heureux. Schlemilovitch a porté le nom de l'un lorsqu'il était prisonnier et a rencontré l'autre. « *Je me rappelai la surprise de Mauriac - dit-il - quand je lui récitai avec ferveur sa si belle prose* ». <sup>(191)</sup> Aussi s'identifie-t-il à Gatsby le magnifique, personnage fictif, créé par Scott Fitzgerald. « *On me surnommait the young Gatsby* » <sup>(192)</sup>, dit-il. Ce surnom désigne à quel point les deux personnages se ressemblent. Au lieu de vivre dans la réalité, ils se trouvent dans un monde imaginaire, convenable à leur fragilité intérieure. Ils se lancent dans le danger pour échapper au passé dont ils sont victimes. Ceci paraît évident avec la phrase prononcée par le héros de Fitzgerald : « *C'est ainsi que nous avançons, barques luttant contre un courant qui nous rejette sans cesse vers le passé* ». <sup>(193)</sup>

A l'instar de Modiano, Perec a introduit l'intertextualité dans son ouvrage ; il a emprunté à Queneau quatre vers dont les deux premiers sont présentés comme exergue pour la première partie de *W ou le souvenir d'enfance*, alors que les deux autres inaugurent la deuxième partie. Il serait utile de mettre en relief ces vers : « *Cette brume insensée où s'agitent des ombres / Comment pourrais-je l'éclaircir ? Cette brume insensée où s'agitent des ombres / Est-ce donc là mon*

<sup>(189)</sup> "Ich, Señora, eur Geliebter / Bin der Sohn des Vielbelobten / Grossen, Schriftegelehrten Rabbi / Israel Von Saragossa".

Ibid., p. 155.

<sup>(190)</sup> "Christian Johann Heinrich Heine, né le 13 décembre 1797 à Dusseldorf, Duché de Berg, sous le nom de Harry Heine et mort le 17 février 1856 à Paris (8<sup>e</sup> arrondissement) sous le nom de Henri Heine, fut l'un des plus grands écrivains allemands du XIX<sup>e</sup> siècle.

[http://fr.wikipedia.org/wiki/Heinrich\\_Heine](http://fr.wikipedia.org/wiki/Heinrich_Heine)

<sup>(191)</sup> Modiano (Patrick), *La place de l'étoile*, op.cit, p. 55.

<sup>(192)</sup> Ibid., p. 17.

<sup>(193)</sup> Fitzgerald (F. Scott), *Gatsby le magnifique*, Paris, Le livre de Poche, 1946, p. 252, (traduit en français par Victor Liona).



avenir ? »<sup>(194)</sup> Ces vers ont une triple importance parce qu'ils relient les deux parties, remontent aux souvenirs d'enfance du poète, exprimant ses angoisses pendant la première Guerre mondiale et enfin ils sont écrits par Queneau. Celui-ci a joué un rôle remarquable dans la vie des deux auteurs ; il a aidé l'adolescent Modiano à étudier les mathématiques comme nous l'avons déjà dit et il était à la fois l'ami et le maître de Perec.

Avec *W ou le souvenir d'enfance*, on remarque le retour permanent de Perec à des auteurs juifs. Après avoir fait allusion à *L'espèce humaine* de Robert Antelme, il a emprunté un extrait significatif à *L'univers concentrationnaire* de David Rousset : « *Le sport consiste en tout : faire tourner très vite les hommes pendant des heures sans arrêt, avec le fouet ; organiser la marche du crapaud, et les plus lents seront jetés dans le bassin d'eau sous le rire homérique des S.S.* »<sup>(195)</sup> Cette citation lui a présenté l'univers inconnu où il avait perdu sa mère et nous en trouvons l'écho au récit fictif de W : « *Le 100 m, aura peut-être comme conséquence la mort de celui qui sera arrivé le dernier. [...] il sera exposé au pilori, puis promené dans les villages un lourd carcan de bois clouté au cou.* »<sup>(196)</sup> Peut-on dire que l'œuvre de Rousset soit l'inspiration de W ?

Après avoir creusé la judéité dans son roman, Perec a inventé une particularité sans précédent pour mettre en évidence l'autofiction ; il s'agit de la fragmentation, basée sur la différence typographique les chapitres fictifs sont écrits en lettres italiques, alors que les lettres romaines sont consacrées aux chapitres autobiographiques. Cette différence contribue à ne pas mélanger les deux récits et à montrer l'opposition : « *D'un côté une écriture droite, verticale, franche, directe, autrement dit, transitive ; d'un autre, une écriture penchée, inclinée, oblique, indirecte, autrement dit, détournée.* »<sup>(197)</sup> Bien que la typographie fasse du récit autobiographique le texte principal, c'est le récit fictif qui domine et comble les lacunes de celui-là.

Au récit fictif de W, Perec a cité tant de mots étrangers, particulièrement des ordres en allemand : « *Raus ! Raus ! [...] Schnell !*

<sup>(194)</sup> Queneau (Raymond), *Chêne et chien*, Paris, Gallimard, 1969, p. 58.

<sup>(195)</sup> Perec (Georges), *W ou le souvenir d'enfance*, op.cit., p. 220.

<sup>(196)</sup> Ibid., p. 146.

<sup>(197)</sup> Sirvent (Michel), op.cit, p. 125.



*Schnell !* »<sup>(198)</sup> Ceci a contribué à mettre l'Allemagne au cœur du texte et a renforcé la ressemblance entre la société olympique de W et le régime nazi. Autre expression étrangère, mais cette fois en latin ; il s'agit du slogan de l'île W : « *Fortius Altius Citius* »<sup>(199)</sup> En vertu de ce slogan qui est essentiellement celui des Jeux Olympiques, le sportif de W doit être plus fort que les autres afin de survivre.

*W ou le souvenir d'enfance* est un texte polygénérique où Perec a pu mélanger des genres antagonistes, intégrer réalité et fiction d'une manière alternative. Ce contraste a offert une terre fertile à l'autofiction. Jacques Lecarme affirme que celle-ci « *réside dans le montage et l'intervalle lacunaire de deux récits, l'un fictif et l'autre non-fictif* ». <sup>(200)</sup> Et en vertu de ce montage rare, la lecture linéaire est impossible ; autrement dit, le lecteur est obligé de lire les deux récits conjointement.

En fait, c'est au récit fictif de W qu'éclate la prose perecquienne. On y rencontre des indices linguistiques concernant la fiction dont le plus important est cité par J.M. Schaeffer : « *L'emploi de déictiques spatiaux indexés à des tiers* ». <sup>(201)</sup> Ce que nous avons déjà montré. Le récit fictif ne fourmille-t-il pas de villes, présentées par leurs initiales ? Mais ce qui renforce effectivement la fiction, c'est le signe typographique (...) qui se trouve à la page 85, séparant les deux parties et suspendant le récit. Loin d'être un silence, ces points de suspension annoncent l'inexprimable, la déportation de la mère à Auschwitz et le voyage de l'enfant Perec à Villard-de-Lans. Avec cette page blanche qui lâche la bride à notre imagination, « *il ne s'agit plus seulement d'un espace vide, mais à la fois d'un seuil et d'une suite* ». <sup>(202)</sup>

Tout auteur est soucieux de trouver la voix qui va raconter l'histoire. D'ici vient la narratologie, considérée comme la seule procédure qui puisse séparer le réel du fictif. Selon Genette, « *tous les traits distinctifs entre fictionalité et factualité étaient d'ordre narratologique* ». <sup>(203)</sup> Le narrateur est précisé par sa relation à l'espace

<sup>(198)</sup> Perec (Georges), *W ou le souvenir d'enfance*, op.cit., p. 209.

<sup>(199)</sup> Ibid., p. 146.

<sup>(200)</sup> Lecarme (Jacques), "L'autofiction: un mauvais genre?", in *Autofiction et Cie*, op.cit, p. 242.

<sup>(201)</sup> Schaeffer (Jean - Marie), *Pourquoi la fiction?*, Paris, Du Seuil, 1999, p. 264.

<sup>(202)</sup> Sirvent (Michel), "Blanc, coupe, énigme: Auto(Bio)graphies, W ou le souvenir d'enfance de Georges Perec", in *Littérature*, n° 98, Mai 1995, Paris, Larousse, p. 5.

<sup>(203)</sup> Genette (Gérard), *Fiction et diction*, Paris, Éditions Du Seuil, 1991, p. 88.

et peut apparaître sous plusieurs aspects : celui qui narre à la première personne en tant que héros du récit (narration autodiégétique) ; celui qui est témoin des événements racontés tout en utilisant la première personne (narration homodiégétique) et enfin celui qui est au sein des aventures qu'il raconte (narration intradiégétique).

*La place de l'étoile* s'oppose aux autres œuvres classiques, distinguées par la suite d'événements ; sa structure discontinue ressemble à celle des romans d'aventure. Bien que cet ouvrage mette en relief un espace autobiographique, on le prend pour autofiction parce que l'auteur et le narrateur se confondent. Il est écrit à la première personne ; « le " je " est omniprésent ». <sup>(204)</sup> Dès le début, ce " je " nous paraît juif, d'origine latino-américaine. C'est à la première ligne que le narrateur dit : « *C'était le temps où je dissipais mon héritage vénézuélien* ». <sup>(205)</sup> Aussi constate-t-il à la dernière phrase du roman : « *Je suis bien fatigué* ». <sup>(206)</sup> L'auteur repose sur la narration à la première personne soit autodiégétique soit homodiégétique, ainsi que sur la focalisation interne de manière à nous faire bien voir la pensée du héros, ses rêves et ses hallucinations.

Plus le texte est polygénérique, plus il est polynarratif. Ceci paraît évidemment avec *W ou le souvenir d'enfance*, composé de deux récits fictionnel et autobiographique. On y trouve deux narrateurs autodiégétiques dont chacun est à la recherche de son identité. Pour le récit autobiographique, Georges Perec est le narrateur qui parle à la première personne du singulier. Même s'il ne prononce pas son nom, son identité est facilement révélée grâce aux éléments biographiques, présents dans le texte : sa carrière d'écrivain, la mort de son père à la guerre, la disparition de sa mère, déportée à Auschwitz. Le " je " qui narre ce récit, est suffoqué, inapte à exprimer le drame de ses siens, broyés aux camps de concentration. Le narrateur utilise une langue scrupuleuse, convenable au manque de ses souvenirs. Rappelons ici les paroles de Philippe Lejeune qui affirme qu'au récit d'enfance, « *la mémoire est morcelée, les souvenirs flottent, ils sont rares au début, [...] mais le doute persiste sur les circonstances ou les détails.*

<sup>(204)</sup> Laurent (Thierry), op.cit, p. 38.

<sup>(205)</sup> Modiano (Patrick), *La place de l'étoile*, op.cit., p. 13.

<sup>(206)</sup> Ibid., p. 211.



*L'autobiographe va exprimer ses scrupules* ». <sup>(207)</sup> Cette incertitude est justifiée par la distance temporelle qui sépare l'auteur de son enfance. Ceci paraît au récit de Perec qui fourmille d'imprécisions et de tournures hésitantes : « *Je crois* » (p. 68), « *Il me semble que* » (p. 69).

Quant au narrateur du récit fictif, il est présent aux chapitres impairs dès I à XI ; il est satisfait de raconter les circonstances de sa rencontre avec Otto Apfelstahl et sa mission de rechercher l'enfant perdu. Mais le texte ne nous informe pas s'il achève bien sa tâche ; il disparaît au début de la seconde partie où « *la première personne de narration s'efface* ». <sup>(208)</sup> Autrement dit, le narrateur homodiégétique est remplacé par un autre hétérodiégétique, anonyme et omniscient. Ce dernier ne s'intéresse qu'à décrire l'île W, sa société, ses mœurs, ses traditions et les mécanismes de ses jeux olympiques. Aucune émotion dans sa langue froide, pleine de données numériques. Ne dit-il pas : « *330 répartis en 22 équipes de 15 Athlètes chacune* ». <sup>(209)</sup>

A la fin de cette étude, nous pouvons dire que Modiano et Perec s'opposent aux autres autobiographes dont les œuvres se nourrissent nettement de l'histoire de leur vie et se distinguent par la crédibilité. Les deux romanciers ont pu mélanger deux notions tout à fait contradictoires, la réalité et la fiction, de manière à créer l'autofiction. Celle-ci est présentée comme le seul moyen qui puisse exprimer l'indicible et le moi qui « *n'existe jamais que comme fiction* ». <sup>(210)</sup>

La quête identitaire est à la base des deux romans de notre corpus. Modiano et Perec ont remonté aux temps révolus pour comprendre ce qui s'est passé et mettre en relief leurs racines ; ils ont révélé à quel point les juifs étaient victimes d'un régime despotique. D'une part, *La place de l'étoile* a traité le père de l'auteur, ce juif apatride qui se trouvait dans un milieu hostile, ainsi que le fils déchiré entre le pays d'accueil et celui d'origine ; d'autre part, *W ou le souvenir d'enfance* a essayé de saisir les traces de la mère de Perec, disparue et déportée aux camps de concentration, malgré la fidélité de son mari, mort à la guerre pour défendre la France. Aussi les deux ouvrages ont-ils désigné la

<sup>(207)</sup> Lejeune (Philippe), *Les brouillons de soi*, Paris, Éditions Du Seuil, 1998, p.

36.

<sup>(208)</sup> Ribière (Mireille), "L'autobiographie comme fiction", in *Cahiers Georges Perec*, *W ou le souvenir d'enfance*, textuel 33/44, n° 2, 1988, Paris, p. 26.

<sup>(209)</sup> Perec (Georges), *W ou le souvenir d'enfance*, op.cit, p. 112.

<sup>(210)</sup> Forest (Philippe), op.cit, p. 68.



shoah, mais d'une manière métaphorique. Nous avons vu de près la souffrance physique de Schlemilovitch, ainsi que sa fiancée violée et liquidée. D'autre côté, Perec s'est efforcé de mettre en évidence l'horreur de l'île W qui n'a cessé de déshumaniser les sportifs, tout en opposant les uns aux autres afin de détruire tout.

Les deux écrivains qui ont refusé la forme du roman classique, ont utilisé une nouvelle technique romanesque pour bien exprimer leur message. Mais c'est Perec qui a présenté deux récits alternatifs et a « inventé des procédés d'étayage, agencé de nouveaux échafaudages. Il a été là un bâtisseur et un novateur hors du commun ». <sup>(211)</sup> Les deux romanciers ont choisi des titres significatifs dont l'un désigne la judéité et l'autre montre l'autofiction. Ils ont dédié leurs ouvrages à des personnages juifs, y avaient introduit l'intertextualité qui a ancré l'historicité dans le récit. Leurs personnages sont si égarés qu'ils représentent bien les juifs apatrides. Les deux auteurs ont également décrit un espace cauchemardesque et labyrinthique, dominé par la guerre et le bombardement dans *La place de l'étoile*, et par la lutte et le viol dans le récit fictif de W. Ils ont utilisé la narration à la première personne où nous avons du mal à séparer le narrateur de l'auteur.

Tout ce qui précède nous pousse à affirmer que Modiano et Perec sont des écrivains authentiques. Ils ont renouvelé la littérature en contribuant à introduire l'autofiction. Ils ont bien décrit la période de Vichy et ont arraché la Shoah à l'oubli.

---

<sup>(211)</sup> Burgelin (Claude), *Les parties de dominos chez monsieur Lefèvre, Perec avec Freud, Perec contre Freud*, Dijon-Quetigny, Circé, 1996, p. 63.

## Bibliographie

## 1- Corpus étudié :

Modiano (Patrick), *La Place de l'étoile*, Paris, Gallimard, 1968.

Perec (Georges), *W ou le souvenir d'enfance*, Paris, Éditions Denoël, 1975.

## 2-Autres ouvrages de Modiano et de Perec :

Modiano (Patrick), *Ephéméride*, Paris, Mercure de France, 2002.

Id, *La ronde de nuit*, Paris, Gallimard, 1969.

Perec (Georges), *Entretiens et conférences 1979-1981*, Paris, Joseph K., 2003.

Id, *Je suis né*, Paris, Éditions du Seuil, 1990.

## 3-Ouvrages consacrés entièrement ou partiellement à Georges Perec:

Behar (Stella), *Georges Perec: écrire pour ne pas dire*, New York, Peterlang Publishing, 1995.

Bernier (Michel), "L'écriture, mémoire de l'inhumain", in *Analyses et réflexions sur Georges Perec, W ou le souvenir d'enfance*, ouvrage collectif, Paris, Ellipses Édition Marketing S.A., 1997.

Burgelin (Claude), *Georges Perec*, Paris, Édition Du Seuil, 1990.

Id, *Les parties de dominos chez monsieur Lefèvre, Perec avec Freud, Perec contre Freud*, Dijon-Quetigny, Circé, 1996.

Chauvin (Andrée), *Leçon littéraire sur W ou le souvenir d'enfance de Georges Perec*, Paris, Presses Universitaires de France, 1997.

Dana (Catherine), *Fictions pour mémoire, Camus, Perec et l'écriture de la Shoah*, Paris, L'Harmattan, 1998.

Dangy (Isabelle), *Étude sur Georges Perec, W ou le souvenir d'enfance*, Paris, Ellipses Édition Marketing S.A., 2002.

De Ribaupierre (Claire), *Le roman généalogique chez Claude Simon et Georges Perec*, Bruxelles, Éditions La part de l'œil, 2002.



Leak (Andy), "W / Dans un réseau de lignes entrecroisées : souvenir, souvenir-écran et construction dans W ou le souvenir d'enfance », in *Parcours Perec*, colloque de Londres, textes réunis par Mireille Ribière, Lyon, Presses Universitaires de Lyon, mars 1990.

Magné (Bernard), *Georges Perec*, Paris, Nathan, 1999.

Misrahi (Robert), "W, un roman réflexif », in *Georges Perec*, Paris, Librairie Du Poncelle, 1990.

Montfrans (Manet Van), *Georges Perec, la contrainte du réel*, Amsterdam, Éditions Rodopi, 1999.

Obergöker (Timo), *Ecriture du non-lieu, Topographies d'une impossible quête identitaire : Roman Gary, Patrick Modiano et Georges Perec*, Frankfurt. Peter Lang, 2004.

Schilling (Derek), *Mémoires du quotidien: les lieux de Perec*, France, Villeneuve-d'Ascq, Presses Universitaires du Septentrion, coll. « Perspectives », 2006.

Sirvent (Michel), *Georges Perec ou le dialogue des genres*, Amsterdam, Rodopi, 2007.

Virilio (Paul), "Un homme qui marche", in *Portrait(s) de Georges Perec*, (ouvrage collectif sous la direction de Paulette Perec), Paris, Bibliothèque nationale de France, 2001.

#### 4-Ouvrages consacrés entièrement ou partiellement à Patrick Modiano :

Avni (Ora), *D'un passé à l'autre, aux portes de l'histoire avec Patrick Modiano*, Paris, L'Harmattan, 1997.

Bender (Martine Guyot), *Mémoire en dérive, poétique et politique de l'ambiguïté chez Patrick Modiano*, Paris, Lettres modernes Minard, 1999.

Ezine (Jean-Louis), *Les écrivains sur la sellette*, Paris, Du Seuil, 1981.

Gellings (Paul), *Poésie et mythe dans l'œuvre de Patrick Modiano, le fardeau du nomade*, Paris-Caen, Lettres modernes Minard, 2000.

Laurent (Thierry), *L'œuvre de Patrick Modiano, Une autofiction*, Lyon, Presses Universitaires de Lyon, 1997.



Parrochia (Daniel), *Ontologie fantôme, essai sur l'œuvre de Patrick Modiano*, Fougères, La Versanne, Encre marine, 1996.

Roux (Baptiste), *Figures de l'Occupation dans l'œuvre de Patrick Modiano*, Paris, L'Harmattan, 1999.

#### 5- Ouvrages généraux :

Antelme (Robert), *L'espèce humaine*, Paris, Gallimard, 1996.

Blanckeman (Bruno), *Les fictions singulières, étude sur le roman français contemporain*, Paris, Prétexte éditeur, 2002.

Didier (Béatrice), *Le journal intime*, Paris, Presses Universitaires de France, 1976.

Dobrovsky (Serge), « textes en main », in *RITM (Autofiction et cie)*, n° 6, Nanterre, Centre des Recherches Interdisciplinaire sur les Textes Modernes, Université Paris X, 1993.

Id, *Autobiographiques: De Corneille à Sartre*, Paris, Presses Universitaires de France, 1988.

Id, *Le livre brisé*, Paris, Grasset, (coll. Le livre de poche), 1989.

Evrard (Franck), *Jeux autobiographiques*, Paris, Ellipses Édition Marketing S.A., 2006.

Fitzgerald (F. Scott), *Gatsby le magnifique*, Paris, Le livre de Poche, 1946, (traduit en français par Victor Liona).

Forest (Philippe), *Le roman, le Je*, Nantes, Editions Pleins Feux, 2001.

Freud (Sigmund), « Sur les souvenirs-écrans », in *Névrose, psychose et perversion*, Paris, PUF, 1973.

Genette (Gérard), *Fiction et diction*, Paris, Éditions Du Seuil, 1991.

Goldmann (Lucien), *Pour une sociologie du roman*, Paris, Gallimard, 1964.

Lecarme (Jacques) et Tabone (Eliane Lecarme), *L'autobiographie*, Paris, Armand Colin, 1997.

Lejeune (Philippe), "Peut-on innover en autobiographie?", in *L'autobiographie*, VI<sup>es</sup> rencontres psychanalytiques d'Aix-en-Provence 1987, Paris, Les Belles Lettres, 1990.

Id, *Le Pacte autobiographique*, Paris, Éditions du Seuil, coll. « Points », 1996.

Id, *Les brouillons de soi*, Paris, Éditions Du Seuil, 1998.

Marcou (Loïc), *L'autobiographie, Anthologie*, Paris, Flammarion, coll. « Etonnants classiques », 2001.

Memmi (Albert), *Portrait d'un juif*, Paris, Gallimard, 1962.

Miroux (Jean-Philippe), *L'autobiographie, écriture de soi et sincérité*, Paris, Nathan, 1996.

Queneau (Raymond), *Chêne et chien*, Paris, Gallimard, 1969.

Schaeffer (Jean - Marie), *Pourquoi la fiction?*, Paris, Du Seuil, 1999.

Schaffner (Alain), "L'image de soi dans le récit d'enfance", in *Traces photographiques, traces autobiographiques*, (collection lire au présent), Saint-Etienne, Publications de l'université de Saint-Etienne, 2004.

Vilain (Philippe), *Défense de narcississe*, Paris, Éditions Grasset et Fasquelle, 2005.

Zanone (Damien), *L'autobiographie*, Paris, Ellipses, édition marketing S. A., 1996.

#### 6- Articles et périodiques :

Birnbaum (Pierre), "La guerre juive", in *Critique*, tome LXV, n° 740-741, Paris, Les Éditions de Minuit, 2009.

Busnel (François), "Patrick Modiano, la sensation d'être comme un trapéziste qui parvient in extremis à rattraper le trapèze", (entretien avec Modiano), in *Lire*, n° 383, mars 2010, Paris.

Heck (Maryline), "Modiano, seule l'écriture est tangible", (entretien avec Modiano), in *Le Magazine littéraire*, n° 490, octobre 2009.

Heck (Maryline), "Modiano, seule l'écriture est tangible", in *Le magazine littéraire*, n° 490, Paris, Sophia Publications, Octobre 2009.



Imbert (David Conte), "Mémoire et utopie dans W ou le souvenir d'enfance", in *Thélème*, n°16, Madrid, Revista complutense de Estudios Franceses, Departamento de Filología Francesa, Facultad de Filología Ciudad Universitaria, 2001.

Lepape (Pierre), "Au delà de l'autofiction", in *Le monde*, 6 nov. 1998.

Magné (Bernard), "Un puzzle de 100 pièces", in *Le Magazine littéraire*, n° 193, mars 1983.

Montalbetti (Jean), "Patrick Modiano ou l'esprit de fuite", in *Le Magazine littéraire*, n°34, novembre 1969.

Rivière (Mireille), "L'autobiographie comme fiction", in *Cahiers Georges Perec, W ou le souvenir d'enfance*, textuel 33/44, n° 2, 1988, Paris.

Rubens (Alain), « Ambérieu, à tout auteur son lecteur », in *Lire*, N° 353, Mars 2007.

Sirvent (Michel), "Blanc, coupe, énigme: Auto (Bio)graphies, W ou le souvenir d'enfance de Georges Perec", in *Littérature*, n° 98, Mai 1995, Paris, Larousse.

#### 7- Thèses consultées sur Modiano et Perec :

Colonna (Vincent), *L'autofiction, essai sur la fictionnalisation de soi en littérature*, thèse de doctorat sous la direction de Gérard Genette, nouveau doctorat de l'E.H.E.S., 1989.

Ducret (Vivianne), *Georges Perec: Autobiographie et trauma*, Thèse de doctorat sous la direction de Carol Lazzaro-Weis, Université de Missouri, Columbia, 2007.

Molkou (Elizabeth), *Contributions d'écrivains juifs à la problématique de l'autofiction*, Thèse de doctorat, Faculté des études supérieures et de la recherche, Université McGill, Montréal, Québec, Août 2000.

#### 8- Dictionnaires:

Robert (Paul), *Le Petit Robert*, tome 1, Paris, Le Robert, 1987.

#### 9- Internet :

[http://fr.wikipedia.org/wiki/Heinrich\\_Heine](http://fr.wikipedia.org/wiki/Heinrich_Heine)



[http://fr.wikipedia.org/wiki/Maurice Sachs.](http://fr.wikipedia.org/wiki/Maurice_Sachs)

[http://fr.wikipedia.org/wiki/Sigmund\\_Freud](http://fr.wikipedia.org/wiki/Sigmund_Freud)

المجلة العلمية للدراسات والبحوث  
التي تهتم بالثقافة والفنون والآداب







University of Alexandria  
Faculty of Arts



United Nations  
Educational, Scientific and  
Cultural Organization



Unitwin Network  
for Underwater  
Archaeology

# Bulletin of Faculty of Arts

Academic Refereed

Issue No. 73 - 2014



[www.arts.alexu.edu.eg](http://www.arts.alexu.edu.eg)

<https://www.facebook.com/groups/faculty.arts.bulletin>